تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة آية الله

أبي محمد يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الخامس والثلاثون



شبكة الفكر
alfeker.net

*هوية الكتاب

الكتاب:	تفسير البصائر
المجلد:	الخامس و الثلاثون
المؤلف:	الأستاذ المحقق البارع سماحة آية الله يعسوب الدين رستگار الجويباری
الناشر:	المؤلّف
زينغراف:	الكرمانی
المطبعة:	باقری
الكميّة:	۲۲۰۰ نسخة
سنة الطبع:	۱۴۱۸ هـ ق
عدد الصّفحات:	۱۰۱۶ صفحة الوزيری
السّعر:	۱۵۰۰ توماناً
الطبعة:	الاولی
تنذيف الحروف:	كمپيوتر مؤسسة المعارف الاسلامية، ايران، قم، شارع ارم سوق القدس



قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

الانعام: ١٠٤

كتاب علمي، فني، أدبي، فقهي، ديني، تاريخي، أخلاقي، اجتماعي، سياسي، روائي، حديث، يفسر القرآن بالقرآن، مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه، واسراره الكونية والتشريعية، وفريد في بابه، يبحث فيه عن العقل والنقل

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُورَةُ الزُّمَرِ — ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

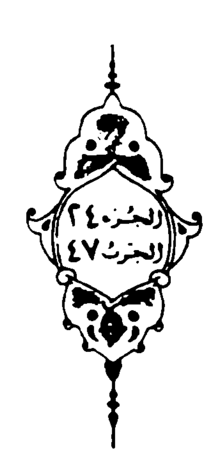
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ
لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ
نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا
لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ
ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ
وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾
قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ

قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾
أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ
ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ
ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ
شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾



۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ
إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى
جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ
أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى

لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ
قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن
دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ
فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ

أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ
وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ
وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾
۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن
رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ
ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ
بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ
عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا

وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي
جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ
بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا
ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ
أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ
فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ
وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ
مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ
﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ

بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ
﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا
فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ
يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ
هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى
ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى
ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ
خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾
وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ
رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿فضلها وخواصّها﴾

روى **الصّدوق** رضوان الله تعالى عليه في كتاب «ثواب الأعمال» بإسناده عن هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من قرأ سورة «الزّمر» إستخفّها من لسانه أعطاه الله من شرف الدّنيا والآخرة، وأعزّه بلا مال ولا عشيرة حتّى يهابه من يراه و حرّم جسده على النّار، ويبني له في الجنّة ألف مدينة، في كلّ مدينة ألف قصر، في كلّ قصر مأة حورآء، وله مع هذا عينان تجريان، وعينان نضّا ختان، وعينان مد هامّتان، وحورات مقصورات في الخيام، وذواتا أفنان، ومن كلّ فاكهة زوجان». **قوله** عليه السّلام: «استخفّها»: حفظها.

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع وفي جوامع الجامع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثّقلين، والشّيخ الحرالعاملي في وسائل الشّيعة، والدّيلمي في أعلام الدّين والكفعمي في المصباح، وفي فقه الرّضا عليه السّلام وجامع أحاديث الشّيعة بإختلاف يسير. **وفي مكارم الأخلاق:** عن الصّادق عليه السّلام: «من قرأ سورة «الزّمر» في يومه أو ليلته أعطاه الله شرف الدّنيا والآخرة...» الحديث ومن قرأ سورة «الزّمر» متدبّراً في آياته وحفظها وتذكّر واقشعرّ جلده منها، ولان قلبه بها وخشى ربّه وآمن بالله تعالى حقّاً وأخلص له دينه وصبر واتقىٰ وأحسن واهتدى واجتنب الطّاغوت، فله ماجآء في الرّواية من دون ريب كما يقول الله جلّ وعلا فيها: «قل يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يتوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب ـ لهم غرف من فوقها غرف

مـبنيّة تجري من تحتهـا الأنهار ـ لهم مايشـآون عند ربّـهم ذلك جزآء المحسنين ـ وسيق الّذين اتّقـوا ربّـهم إلى الجنّة زمـراً حـتّى إذا جآؤها وفتحـت أبوابها وقال لهم خـزنتها سلام علـيكم طبتم فـادخلوهـا خالدين وقـالوا الحمـد لله الّـذي صدقـنا وعده وأورثـنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين» الزّمر: ١٠و٢٠و٣٤و٧٣و٧٤).

وفي المجمع: ابيّ بن كـعب عن النّبـيّ صلّى الله عليـه وآله وسلّم قال: «من قرأ سورة «الزّمر» لم يقطع الله رجاه وأعطاه ثواب الخآئفين الّذين خافوا الله تعالى».

أقول: رواه أبوالفتوح في تفسيره عن أبي أمامة.

وفي البـرهان: روى عن النّبـيّ صلّـى الله عليه وآله وسلّـم: أنّه قال: «من قرأ هذه السّورة لم يبق نـبيّ ولا صديـق إلّا صلّوا وإستـغفروا لـه ومن كـتبها وعـلقهـا عليه أو تـركـها في فراشه كلّ مـن دخـل عـليه وخرج أثنى عليـه بـخير وشكر ولا يزالون على شكره مقيمين أبداً تعطفاً من الله عزّوجلّ».

وفيه: وقال رسـول الله صلّى الله عـليه وآله وسلّم: «مَن كـتبها وعلقها علـيه كلّ من دخل عليه أو خرج أثنى عليه بالخير وشكره في كلّ مكان دائماً».

وفيه: وقال الصّادق عـليه السّلام: «من كتبها وعلقها في عضده أو فراشه فكلّ من دخل عليه أو خرج عنه اثنى عليه بالجميل وشكره ولم يلقه أحد من النّاس إلّا شكره وأحبّه ولا يـزالون مـقيمين على شـكره والـكلام بفضـله ولم يـغتبـه أحد مـن النّاس أبداً».

وفي الجامع لأحكام القرآن لـلقرطبي: «روى الـتّرمذي عن عـائشة قالـت: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا ينام حتّى يقرأ «الزّمر» و«بني إسرائيل».

وفي الجامع لأحكام القرآن لـلقرطبي: «وقال سعيد بـن جبير: إنّي لأعرف آية ما قرأها أحد قطّ فسئل الله شيئاً إلّا أعطاه إيّـاه قوله تعالى: «قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الـغيـب والشّهـادة أنـت تحكـم بين عبـادك فيما كانـوا فـيه يختلـفون» الزّمر: ٤٦).

وفي كلمة الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في وصيّة رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا عليّ! أمان لأمّتي من الغرق إذا هم ركبوا في السّفن فقرؤا: «بسم الله الرّحمن الرّحيم وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون. بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربّي لغفور رحيم»».

وفي الخصال ـ باب حديث أربعمأة ـ بإسناده عن أبي بصير و محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «من خاف منكم الغرق فليقرأ: «بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربّي لغفور رحيم، بسم الله الملك الحقّ، ما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون»».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السّلام إنّه قال: «والّذي بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم بالحقّ، وأكرم أهل بيته ما من شيء يطلبونه من حرز: من حرق أو غرق أو سرق أو افلات دابة من صاحبه أو ضالة أو آبق إلّا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسئلني عنه، قال: فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا يؤمن من الحرق والغرق، فقال: إقرأ هذه الآيات: «الله الّذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصّالحين» «وما قدروا الله حقّ قدره ـ سبحانه وتعالى عمّا يشركون» فمن قرأها فقد أمن من الحرق والغرق، قال: فقرأها رجل واضطرمت النّار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء...» الحديث.

وفي طبّ الأئمّة: بإسناده عن صفوان الجمّال عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليهم السّلام: «أنّ رجلاً إشتكى إلى أبي عبدالله الحسين بن عليّ عليهما السّلام فقال: يابن رسول الله إنّي أجد وجعاً في عراقيبي قد منعني عن النّهوض إلى الغزو؟ (الغرف خ) (الصّلاة خ) قال: فما يمنعك من العوذة؟ قال: لست أعلمها، قال: فإذا أحسست بها فضع يدك عليها وقل: بسم الله وبالله والسّلام على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ اقرأ عليها: «وماقدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً

قبضته يوم القيامة والسّموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون» الزّمر: ٦٧) ففعل الرّجل ذلك فشفاه الله تعالى».

قوله: «عراقيبي» العرقب: عصب موثق خلف الكعبين، جمعه: عراقيب.

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السّورة وآيها ما وردت فيها الرّوايات لمن كان له فضيلة قرائتها، فليس لكلّ من قرأها أو تقرأ عليه تلك الفضائل ولا هذه الخواص... فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿الغرض﴾

واعلم أنّ غرض سورة «الزّمر» هو بيان حقّيّة الوحي إلى الموحىٰ إليه، عليها تدور دعوته الإنسان في كلّ ظرف إلى التّوحيد بالتّفكّر في مشاهد الكون ونواميس الوجود وإلى الإخلاص في الدّين والعبادة لله تعالى وحده، وإلى رفض الآلهة المزعومة، ورفض الشّرك في العبادة ورفض الطّاغوت إطلاقاً، وإلى أنّ الإنسان هو المختار القائم على خطّين متعاكسين: التّوحيد والشّرك ، الإيمان والكفر، الحقّ والباطل، الهداية والضّلالة، الصّلاح والفساد، الكمال والإنحطاط، والفلاح والخسران وما إليها من مكتسبات الإنسان وقابليته الإختياريّة الّتي شآء الله عزّوجلّ أن يودعها فيه من دون إكراه على أحد الخطّين، مع بيان عدم كونهما متساويين بدأً وختماً، وعدم تساوي سالكيهما، وعدم تساويهما في النّتاج والمآل.

وفي السّورة مقايسات بين الفريقين، وكمال أحدهما بالإيمان والتّقوى وبالعلم والعمل وانحطاط الآخرين بالكفر والطّغيان، وبالجهل والعصيان، مع حكاية بعض عقائد المشركين الباطلة، وأقوالهم السّيئة وأعمالهم الفاسدة، وحملة عليهم بالأدلّة الواضحة الآفاقية والأنفسيّة، السماوية والأرضيّة...

وفيها تنويه بالوحي السّماوي وأثره المستمرّ في النّفوس الطيّبة في كلّ ظرف ومكان، إذ لا يسمع المؤمن المخلص إلّا استشعر بروحانيّته وخشع قلبه له وخاف ربّه وتصوير صورة من صور مواقف الكفّار بإنقباض قلوبهم ونفور نفوسهم الخبيثة من الوحي وما يدعوهم إليه من التّوحيد والإخلاص لشدّة عنادهم ومكابرتهم

واستخفافهم بالوحي وهزئهم بالنّذر الأخرويّة لسوء إختيارهم.

وفيها هتاف بالمؤمنين المخلصين تثبيتاً لقلوبهم وتطميناً لروعهم وحثّاً لهم على الصّبر والتّمسّك بأهداب الإيمان والعلم والتّقوى وصالح الأعمال... وتبشيراً لهم بالعاقبة الحسنى في الدّنيا والآخرة، وهتاف بالمشركين إنذاراً وتعنيفاً لاذعاً لهم وبياناً لسوء مصيرهم من النّار وعذابها المحيط بهم، وتقريعاً لذوي القلوب القاسية وإثارة الخوف والإرعواء فيهم، وفيها تصوير رائع للبعث والحساب والجزآء بين النّاس فتأمّل جيّداً.

﴿النّزول﴾

سورة «الزّمر» مكّـيّة نزلت بعـد سورة «سبأ» وقبل سورة «غافر» وقيل: ثلاث آيات منها: «٥٢ـ٥٤» مـدنيّة وقـيـل: آيتان منهـا: «٢٣و٥٣» مدنيتـان، وقيل: سبع آيات منها: «٥٣ـ٥٩» مدنيّة، نزلـت في وحشي بن حرب قاتل حمزة وأضـرابه، وقيل آية منها وهي: «قل يا عبـادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...» الآية: ٥٣) مدنيّة وهي السّورة التّاسعـة والخمسون نزولاً، والتّـاسعة والثّلا ثـون مصحفاً، وتشتمل على (٧٥) آية، سبقت عليها (٢٩٩٢) آية نزولاً، و(٤٠٥٨) آية مصحفاً على التّحقيق، ومشتملة على (١١٧٠) كـلمة، وقيل: (١١٧٢) كلـمة وقيل: (١١٩٢) كلمة وعلى (٤٠٠٠) حرفاً و(٤٧٠٨) و(٤٩٠٨) حرفاً على ما في بعض التّفاسير.

ولهذه السّورة إسمان: **أحدهما** ـ «الزّمر» سمّيت به لإشتمالها على الآية الّتي ذكر فيها زمـر الفـريقين: فرقـة الهدى، وفـرقة الضّـلالة المشيـرة إلى تفصيل الجزآء والزام الحجّة وبطلان المعذرة. **ثانيها** ـ «الغرف» لما ذكر فيها «الغرف».

في أسباب النّزول للسّيوطي في قوله تعالى: «والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء...» ٣) قال إبن عبّاس: أنزلت هذه الآية في ثلا ثة أحيآء: عامر وكنانة وبني سلمة كانوا يعبدون الأوثان ويقولون: الملائكـة بناته، فقـالوا: «ما نعبـدهم إلّا ليقرّبـونا إلى الله زلفىٰ».

وفي الدّرالمنثور: مثله.

وفي روضة الكـافي: ـ باب حديث قـوم صالح عليه السّلام حـديث ٢٤٦ ـ بإسناده

عن عمّار السّاباطي قال: «سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله تعالى: «وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه منيباً إليه» الزمر:٨) قال: نزلت في أبي الفصيل، إنّه كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنده ساحراً فكان إذا مسّه الضّرّ يعني السّقم دعا ربّه منيباً إليه يعني تآئباً إليه من قوله في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مايقول «ثمّ إذا خوّله نعمة منه ـ يعني العافية ـ نسي ما كان يدعوا إليه من قبل» يعني نسي التّوبة إلى الله عزّوجلّ ممّا كان يقول في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه ساحر ولذلك قال الله عزّوجلّ: «قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار» الزّمر:٨) يعنى إمرتك على النّاس بغير حقّ من الله عزّوجلّ ومن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال:

ثمّ قال أبوعبدالله عليه السّلام: ثمّ عطف القول من الله عزّوجلّ في عليّ عليه السّلام يخبر بحاله وفضله عند الله تبارك وتعالى فقال: «أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون ـ أنّ محمّداً رسول الله ـ والّذين لا يعلمون ـ أنّ محمّداً رسول الله وأنّه ساحر كذّاب ـ إنّما يتذكّر اولواالألباب» الزّمر:٩) قال: ثمّ قال أبوعبدالله عليه السّلام: هذا تأويله يا عمّار»

وفي البحار: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه بعد ذكر الرّواية: «أنّ أبابكر كان يعبّر عنه بأبي الفصيل لتقارب البكر والفصيل في المعنى. وقال السيّد الشريف في بعض تعليقاته: قد يعتبر في الكنى المعاني الأصليّة كما روي أنّ في بعض الغزوات نادى بعض المشركين أبابكر: يا أبا الفصيل إنتهى»

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة»: نزلت في أمير المؤمنين عليه السّلام».

وفي شواهد التّنزيل للحسكاني ـ من أعلام العامّة ـ بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله تعالى: «قل هل يستوي الّذين يعلمون» الآية: ٩) قال: «الّذين يعلمون» نحن «والّذين لايعلمون» عدوّنا «إنّما يتذكّر أولواالألباب» شيعتنا».

وفيه: بإسناده عن ابن عبّاس في قوله: «هل يستوي الّذين يعلمون» قال: يعني بالّذين يعلمون عليّاً وأهل بيته من بني هاشم «والّذين لا يعلمون» بني أميّة و«أولوا الألباب» شيعتهم» أي شيعة أهل بيت الوحي عليهم السّلام.

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن محمّد بن قيس عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام - في حديث - «وسمع رجل من التّابعين أنس بن مالك يقول: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه» قال الرّجل: فأتيت عليّاً عليه السّلام لأ نظر إلى عبادته، فاشهد بالله لقد أتيته وقت المغرب فوجدته يصلّي بأصحابه المغرب، فلمّا فرغ منها جلس في التّعقيب إلى أن قام إلى عشآء الآخرة، ثمّ دخل منزله فدخلت معه فوجدته طول اللّيل يصلّي ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر ثمّ جدّد وضوئه وخرج إلى المسجد وصلّى بالنّاس صلاة الفجر، ثمّ جلس في التّعقيب إلى أن طلعت الشّمس ثمّ قصده النّاس، فجعل يختصم إليه رجلان، فإذا فرغا قاما واختصم آخران إلى أن قام إلى صلاة الظّهر.

قال: فجدّد لصلاة الظّهر وضوءاً ثمّ صلّى بأصحابه الظّهر، ثمّ قعدفي التّعقيب إلى أن صلّى بهم العصر ثمّ أتاه النّاس، فجعل يقوم رجلان ويقعد آخران يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشّمس، فخرجت وأنا أقول: أشهد بالله أنّ هذه الآية نزلت فيه»

وفي الدّرالمنثور: عن إبن عبّاس في قول: «أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقائماً» قال: نزلت في عمّار بن ياسر».

وفيه: عن إبن عبّاس قال: نزلت هذه الآية في إبن مسعود وعمّار وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وقال مقاتل: إنّه عمّار بن ياسر» الكلبي: صُهَيب وأبوذر وإبن مسعود»).

وفي أسباب النّزول للسّيوطي: «وأخرج جويبر عن عكرمة قال: نزلت في عمّار

بن ياسر».

وفي أسباب النّزول للواحدي النّيسابوري ـ من أعلام العامّة ـ: «وقال مقاتل: نزلت في عمّار بن ياسر».

وفيه: قوله تعالى: «والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها...» الآية: ۱۷) قال إبن زيد: «نزلت في ثلاثة أنفار كانوا في الجاهليّة يقولون: «لا إله إلّا الله» وهم زيدبن عمرو وأبوذر الغفّاري وسلمان الفارسي».

وفي الدّرالمنثور: عن زيدبن أسلم في قوله: «والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها» قال: نزلت هاتان الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: «لا إله إلّا الله» في زيدبن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفّاري وسلمان الفارسي».

وفيه: عن إبن عمر قال: «كان سعيدبن زيد وأبوذر وسلمان يتبعون في الجاهليّة احسن القول، وأحسن القول والكلام: «لا إله إلّا الله» قالوا بها، فأنزل الله تعالى على نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» الآية.

وفي الجامع لأحكام القرآن: «وقال عبدالرّحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفّاري وسلمان الفارسي، اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم واتّبعوا أحسن ماصار من القول إليهم».

أقول: وعلى هذا النّقل من أعلام العامّة فلنا أن نسئلهم: «إذا كان سلمان الفارسي وأبوذرالغفّاري يجتنبان الطّاغوت ويتبعان أحسن القول في الجاهليّة فهل كانا بعد الإسلام وبعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجتنبان الطّاغوت ويتبعان أحسن القول؟ أم لا؟».

وفي الدّرالمنثور: عن أبي سعيد قال: لمّا نزلت: «فبشّر عبادي الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» أرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم منادياً فنادى: من مات لايشرك بالله شيئاً دخل الجنّة. فاستقبل عمر الرّسول فردّه فقال: يا رسول الله خشيت أن يتكلّ النّاس فلايعملون، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو يعلم النّاس قدر رحمة الله لا تكلوا ولو يعلمون قدر سخط الله وعقابه لا ستصغروا

أعمالهم».

أقول: ولم يردّ عمربن الخطاب قول رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّما هو ردّ قول الله عزّوجلّ: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشآء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» النّسآء: ١١٦) وقوله تعالى: «من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار» المائدة: ٧٢) وقوله جلّ وعلا: «وقل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» ص: ٥٣) وغيرها من الآيات القرآنيّة... وقدكان الردّ هو دأب عمربن الخطاب وهو الضّلال الّذي ما كان عنه ببعيد.

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه»: نزل في أمير المؤمنين عليه السّلام.

وفي أسباب النّزول للواحدي: قوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه» الآية: نزلت في حمزة وعليّ وأبي لهب وولده، فعليّ وحمزة ممّن شرح الله صدره، وأبولهب وأولاده الّذين قست قلوبهم عن ذكر الله وهو قوله تعالى: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» الزّمر: ٢٢) رواه الواحدي أيضاً في كتابه (الوسيط) عن عطآء، ورواه جمّ غفير وجمع كثير من نقلة آثار العامة وحملة أسفارهم.

منهم: البيضاوي في تفسيره (أنوار التّنزيل) والقرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) والطّبري في كتابه (الرّياض النّضرة ص ٢٠٧ ط محمّد أمين الخانجي) وفي (ذخآئر العقبى ص ٨٨ ط مصر عام ١٣٥٦) وغيرهم تركناهم روماً للإختصار وفي أسباب النّزول للواحدي بإسناده عن مصعب بن سعد عن سعد: «قالوا: يا رسول الله لو حدّثتنا؟ فأنزل الله تعالى: «الله نزّل أحسن الحديث...» الزّمر: ٢٣)

وفي أسباب النّزول للسّيوطي: «روى الحاكم وغيره عن سعد بن أبي وقّاص قال: أنزل على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم القرآن فتلاه عليهم زماناً فقالوا: يا رسول الله لو حدّثتنا؟ فنزل: «الله نزّل أحسن الحديث» الآية.

وفي الجامع لأحكام القرآن: «قال سعدبن أبي وقّاص: قال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو حدّثتنا؟ فأنزل الله عزّوجلّ: «الله نزّل أحسن الحديث»

فقالوا: لو قصصت علينا فنزل: «نحن نقصّ عليك أحسن القصص» فقالوا: لو ذكرتنا، فنزل: «ألم يأن للّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» الآية.

وفيه: «وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ملّوا مَلّة فقالوا له: حدّثنا فنزلت» أي قوله تعالى: «الله نزّل أحسن الحديث».

وفي الدّرالمنثور: عن إبن عبّاس قال: قالوا: يا رسول الله لو حدّثتنا فنزل: «الله نزّل أحسن الحديث». أي لايقاس به حديث آخر.

وفي شواهد التّنزيل: بإسناده عن محمّد بن الحنفية عن عليّ عليه السّلام في قوله تعالى: «ورجلاً سلماً لرجل» الزّمر: ۲۹) قال: أنا ذلك الرّجل السّليم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم»

وفيه: بإسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «الرّجل السّالم كذا للرّجل عليّ وشيعته».

وفيه: بإسناده عن عبدالله بن عبّاس في قول الله تعالى: «ضرب الله رجلاً فيه شركآء» فالرّجل هو أبوجهل، والشّركآء آلهتهم الّتي يعبدونها، كلّهم يدّعيها يزعم أنّه أولى بها «ورجلاً» يعنى عليّاً «سالماً» يعني سلماً دينه لله يعبده وحده لا يعبد غيره «هل يستويان مثلاً» في الطّاعة والثّواب».

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «ضربه الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون»: فإنّه مثل ضربه الله لأمير المؤمنين وشركآئه الّذين ظلموه وغصبوه حقّه. ومعنى متشاكسون: متباغضون وقوله تعالى: «رجلاً سلماً لرجل» أمير المؤمنين عليه السّلام سلم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال: «هل يستويان» إلى قوله تعالى: «لايعلمون» ثمّ عزّى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» يعني أمير المؤمنين عليه السّلام ومن غصبه حقّه ثمّ ذكر أيضاً أعداء آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن كذب على الله وعلى رسوله وادّعى مالم يكن له، فقال: «فمن أظلم ممّن كَذَبَ على الله وكذّب بالصّدق» يعني لمّا جآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحقّ، وولاية أمير

المؤمنين عليه السّلام ثـمّ ذكر رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما فقال: «والّذي جآء بالصّدق وصـدّق به» يعني أمير المؤمـنين عليه السّلام «أولئك هم المتّقون» «أليس الله بكاف عبـده ويخوّ فونـك بالّذين من دونه» يعني يـقولون لك: يا محمّد اعـفنا من عليّ ويخوّ فونك أنّهم يلحقون بالكفّار».

وفي تفسير الطّبرى: عن عبدالله بن الزّبير قال: لمّا نزلت هذه الآية: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» الزّمر: ٣٠-٣١) قال الزّبير: يا رسول الله أينكر عِلينا ما كان بيننا في الدّنيا مع خواص الذّنوب؟ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم حتّى يؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقّه».

وفيه: عن إبن عمر قـال: نزلت علـينا هـذه الآية وما ندرى مـا تفسيـرها حتّى وقعت الفتنة، فـقلنا: هذا الّذي وعدنـا ربّنا أن نختصم فيه ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون».

أقول: إنّما الفتنة هي الّتي وقعت بأبيه عمربن الخطاب عند وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فولدت يوم السّقيفة السّخيفة الشّؤمة فأحرقت بيت الوحي وأوجبت إنحطاط المسلمين حتّى اليوم وإلى قيام المهدي عليه السّلام.

وفي الدّرالمنثور: عن عبدالله بن عمر قال: لقد لبثنا برهة من دهرنا ونحن نرى أنّ هذه الآية نزلت فينـا وفي أهل الكتابين من قبل: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون ثمّ إنكم يوم القيامة عنـد ربّكم تختصمون» قـلـنا: كيف نختصم ونبـيّنا واحد وكتابنـا واحد حتّى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسّيف فعرفت أنّها نزلت فينا».

وفيـه: عن عـبدالله بن الـزّبير قال: لـمّا أنـزلت هذه الآيـة: «إنّك مـيّت وإنّـهم ميّتون ثـمّ إنكم يـوم القيامـة عند ربّـكم تختصمون» قال الزّبير: يـا رسول الله يكررّ علينا مـاكان بيننـا في الدّنيا مع خـواص الذّنوب؟ فقال رسـول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: نعم لـيكرّر ذلك علـيكم حتّى يـؤدّي إلى كلّ ذي حقّ حقّه، قـال الزّبير: إنّ الأمر لشديد.

وفيه: عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نـزلت: «ثمّ إنّـكم يوم القـيامة عـند ربّكم

تختصمون» كنّا نقول: ربّنا واحد ودينـنا واحد فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان يوم صفين وشدّ بعضنا على بعض بالسّيوف قلنا: نعم هو هذا».

وفي شواهد التّنزيل للحسكاني ـ وهو من أعلام العامّة ـ بإسناده عن مجاهد في قول الله تعالى: «والّذي جاء بالصّدق وصدّق به» قال: الّذي جآء بالصّدق رسول الله والّذي صدّق به عليّ».

وفيه: بإسناده عن إبن عبّاس قال: هو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء بالصّدق وصدّق به عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

أقول: روى جماعة من أعلام العامّة: أنّ قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» الزّمر:۳۳) نزل في حقّ مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فنشير إلى مايسعه مقام الإختصار:

۱ ـ الحافظ أبونعيم الإصبهاني في كتابه (النّور المشتعل: ص ۲۰٤ ط سنة ۱٤۰٦ هـ ق).

۲ ـ إبن المغازلي الشّافعي في (المناقب: ص ۲٦۹ الحديث: ۳۱۷).

۳ ـ إبن عساكر في (تاريخ دمشق: ج ۲ ص ٤۱۸ الحديث: ۹۲٤).

٤ ـ الگنجي الشّافعي في (كفاية الطّالب: ص ۱۰۹ ط الغرى) ثمّ قال ما لفظة: «ذكره إبن عساكر في تاريخه ورواه جماعة من أهل التّفسير بطرق».

٥ ـ القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن).

٦ ـ أبو حيّان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط).

۷ ـ السّيوطي في تفسيره (الدّر المنثور) عن أبي هريرة.

۸ ـ الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) مالفظه: «قال أبوالأسود ومجاهد وجماعة من أهل البيت وغيرهم: الّذي جاء به هو عليّ كرّم الله تعالى وجهه».

۹ ـ الكشفي التّرمذي في كتابه (مناقب مرتضوي: ص ٥۱ ط بمبئ بمطبعة محمّدي).

۱۰ ـ إبن مردويه في كتابه (المناقب).

١١ ـ الأربلي في (كشف الغمّة: ص ٩٣) عن موسى بن جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذجآءه» قال: هو من ردّ قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عليّ عليه السّلام أي في إمامته كما وقع في يوم غدير خم، والّذي ردّ عليه هو حارث بن النّعمان الفهري.

وغيرهم تركناهم لأنّا على جناح الإختصار، وأمّا الإختلاف في أمر خلافة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فممّا لايمكن الإنكار إلّا من كان مريض القلب وخبيث الولادة، وإنّ قضيّة إختلاف القوم وفي مقدمهم عمر بن الخطاب في دار النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وإسناد الهجر إلى رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم مذكورة في أسفار العامة لايمكن إنكاره:

منها: (شرح العيني على البخارى: ج ٨ ص ٤٣٩ ط حيدرآباد).

ومنها: (تاريخ إبن الأثير: ج ٢ ص ٢١٧).

ومنها: (كتاب الذهبي: ج ١ ص ٣١٠ ط مصر).

ومنها: (فتح البارى لإبن حجر العسقلاني: ج ٧ ص ١٠٩) حيث قال: «وصمّم عمر على الإمتناع» وغيرهم تركناهم للإختصار.

وفي خصائص الوحي المبين ـ الفصل الرّابع عشر ـ لإبن البطريق الحلّي المتوفّى (٦٠٠ هـ) رحمة الله عليه بعد أن ذكر مارواه أبونعيم الإصبهاني في (النّور المشتعل) قال: «واعلم أنّ هذا الفصل قد جمع أشيآء من الوحي العزيز كلّها توجب لمولانا أمير المؤمنين عليه السّلام السّيادة وعدم النّظير منها قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» وإذا كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الّذي جآء بالصّدق، وعليّ هو المصدّق فقد استويا في درجة التّصديق لأنّ الّذي جآء بالصدّق هو مصدّق بلاخلاف، والّذي صدق به بعد حجته فقد شاركه في منزلة التّصديق فهما في التّصديق على حدّ واحد، والتّفاضل بينهما بمنزلة الرّسالة، فلهذا فضيلة الإرسال، ولهذا ميزة الإتباع، فوجب الإقتدآء بهما على حدّ واحد كما قدّمناه من أنّه يجب للتّابع ما وجب من امتثال الأمر للمتبوع بدليل تخصيصهما في الوحي العزيز.

ثمّ قال:

منـاقـب منها للـفـخار مـنـاقـب ومنهـا لجيـد المكـرّمـات قـلائـد
وفـخـر به لـلـدّين فـخـر ورفـعة عليـه مـن الـذّكر الحكيم شـواهـد

وفي البحار: ـ ج ٣٥ باب ٢١ ـ بعد ذكر حديث (١٧) قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «بيان: قال العلاّمة ـ الحلّي ـ رحمة الله في (كشف الحقّ) في قوله تعالى: «والّذي جاء بالصّدق وصدّق به» روى الجمهور عن مجاهد قال: هو عليّ بن ابيطالب عليه السّلام وروى مثل ذلك عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن أبي جعفر عليه السّلام ورواه الشّيخ الطّبرسي رحمة الله عن مجاهد قال: ورواه الضّحاك عن إبن عبّاس وهو المرويّ عن أئمة الهدى عليهم السّلام».

ثمّ قال المجلسي رضوان الله تعالى عليه: «فقد صحّ بنقل المخالف والمؤالف نزول تلك الآية في أمير المؤمنين عليه السّلام ولا عبرة بما يتفرّد به شاذّ من متعصّبي المخالفين كالرّازي أنّها نزلت في أبي بكر لإنتحالهم له لقب الصّدّيق ـ مختلقاً ـ وقد عرفت بنقل الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو الصدّيق في هذه الأمّة ورأس جميع الصدّيقين وإذا ورد نقل بإتّفاق الفريقين وآخر تفرّد به أحدهما، فلا شكّ في أنّ المعوّل على ما اتفقا عليه، مع أنّه سيأتي في باب سبق إسلامه عليه السّلام إثبات أنّه لسبق إسلامه أولى بالوصف بالتّصديق، والصدّيق ـ يعنى أبابكر ـ ممّن عبد الصّنم أزيد من أربعين سنة من عمره ثمّ صدّق ظاهراً، وكان يظهر منه كلّ يوم شواهد نفاق قلبه، وأمّا تصحيح الآية على وجه يوافق الأخبار فبوجهين:

الأوّل: أن يكون المراد بالموصول الجنس، فيكون الرّسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما داخلين في الموصول وإنّما خصّ الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بالجزء الأوّل من الصّلة لكونه فيه أظهر وأقوى، وكذا خصّ الجزء الثّاني بأمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه فيه أحوج إلى البيان. وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الجائي بالصّدق والمبلّغ له، فلا جرم يكون مصدّقاً أيضاً لما جآء به، فلاحاجة في إثبات كونه مصدّقاً إلى بيان، وأمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فليس كذلك، فإنّه فيه أحوج إلى

البيان.

الثّاني: أن يقدّر الموصول في الثّاني - أي في الجملة الثّانية بأن يقال: والّذي صدّق به - كما هو مختار الكوفيّين، قال الشّيخ الرّضي رضي الله عنه: أجاز الكوفيين حذف غير الألف واللاّم من الموصولات الإسميّة، خلافاً للبصريين قالوا: قوله تعالى: «وما منّا إلاّ له مقام معلوم» أي إلاّ مَن له مقام معلوم، ثمّ قال: ولا وجه لمنع البصريّين من ذلك من حيث القياس، إذ قد يحذف بعض حروف الكلمة وليس الموصول بألزق منها. إنتهى.

ثمّ اعلم أنّ إختصاصه بتلك الكرامة الدّالّة على فضله في الإيمان والتّصديق اللّذين كلاهما مناط الشّرف والفضل على سائر الصّحابة يدلّ على أنّه بالإمامة والخلافة كما مرّ تقريره مراراً»

وفي كتاب مانزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام- للحسين بن الحكم الخيرى الكوفي من رواة القرن الثّالث - بإسناده عن إبن عبّاس: قوله: «والّذي جآء بالصّدق وصدق به» رسول الله جآء بالصّدق وعليّ صدق به»».

وفي أسباب النّزول للسّيوطي: قوله تعالى: «وإذا ذكر الله وحده» الآية أخرج ابن المنذر عن مجاهد: أنّها نزلت في قراءة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم النّجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة.

وفي تفسير البرهان: - نقلاً عن تفسير القمّي - قوله تعالى: «وإذا ذكر الله وحده...» الآية فإنّها نزلت في فلان وفلان وفلان» يعني الثّلاثة: أبوبكر وعمر وعثمان من غاصبي الخلافة.

وفي تفسير القمّي: قال: - في قوله تعالى: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...» الآية نزلت في شيعة أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ قال: حدّثنا جعفر بن محمّد قال: حدّثني عبدالكريم عن محمّد بن عليّ عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال: قال أبوجعفر عليه السّلام: «لا يعذر الله يوم القيامة أحداً يقول: لم أعلم أنّ ولد فاطمة هم الولاة على النّاس كافّة وفي شيعة ولد فاطمة عليها السّلام أنزل الله هذه

الآية خاصّة: «قل يا عبادي الّذين...».

وفي الكافي: بإسناده عن محمّدبن سليمان عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السّلام - في حديث أبي بصير - قال: قد ذكركم الله في كتابه إذ يقول: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم» والله ما أراد بهذا غيركم».

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن الثّمالي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «لايعذر أحد يوم القيامة بأن يقول: يا ربّ لم أعلم أنّ ولد فاطمة هم الولاة، وفي ولد فاطمة أنزل الله هذه الآية خاصّة: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...» الآية.

وفي تفسير البرهان: بالإسناده عن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» فقال: إنّ الله يغفر لكم جميعاً الذّنوب، قال: فقلت: ليس هكذا نقرأ فقال: يا أبامحمّد فإذا غفرالله الذّنوب جميعاً فلن يعذب الله والله ماعنى من عباده غيرنا وغير شيعتنا».

وفي المجمع: «وقيل: إنّ الآية نزلت في وحشيّ قاتل حمزة حين أراد أن يسلم وخاف أن لاتقبل توبته، فلمّا نزلت الآية أسلم، فقيل: يا رسول الله هذه له خاصّة أم للمسلمين عامّة؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: بل للمسلمين عامّة. وهذا لايصحّ لأنّ الآية نزلت بمكّة ووحشيّ أسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآية، فكانت سبب إسلامه...».

وفي أسباب النّزول للواحدي: قوله تعالى: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...» الآية قال إبن عبّاس: نزلت في أهل مكّة قالوا: يزعم محمّد أنّ مَن عبدالأوثان وقتل النّفس الّتي حرّم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهاً آخر وقتلنا النّفس الّتي حرّم الله؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية».

وفي غاية المرام - عن طريق العامّة - عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «وفد على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أهل اليمن، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: جآءكم أهل اليمن يبسّون بسيساً فلمّا دخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم قال: قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصييّ، حمايل سيوفهم المسك، فقالوا، يا رسول الله! ومَن وصيّك؟ فقال: هو الّذي أمركم الله بالإعتصام به، فقال عزّوجلّ: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا» فقالوا: يا رسول الله بيّن لنا ما هذا الحبل؟ فقال: هو قول الله: «إلّا بحبل من الله وحبل من النّاس» فالحبل من الله كتابه، والحبل من النّاس وصيّ، فقالوا: يا رسول الله ومَن وصيّك؟

فقال: هو الّذي أنزل فيه: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله» الزّمر: ٥٦)

فقالوا: يا رسول الله وما جنب الله؟ فقال: هو الّذي يقول فيه: «ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً» هو وصييّ والسّبيل إلى مَن بعدى، فقالوا: يا رسول الله بالّذي بعثك بالحقّ أرناه فقد اشتقنا إليه، فقال: هو الّذي جعله الله آية للمتوسّمين، فإن نظرتم إليه نظر من «كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد» عرفتم أنّه وصييّ كما عرفتم أنّي نبيّكم، فتخللوا الصّفوف وتصفحوا الوجوه فمن اهوت إليه قلوبكم، فإنّه هو لأنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: «واجعل أفئدة من النّاس تهوى إليهم» إليه وإلى ذريّته عليهم السّلام قال:

فقام أبوعامر الأشعري في الأشعريين، وأبوغرة الخولاني في الخولانيين، وظبيان وعثمان بن قيس وغربة الدّوسي في الدّوسيين، ولا حق بن علاقة، فتخللوا الصّفوف وتصفحوا الوجوه وأخذوا بيد الأصلع البطين، وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنتم نخبة الله حين عرفتم وصييّ رسول الله قبل أن تعرفوه، فيم عرفتم أنّه هو؟ فرفعوا أصواتهم يبكون، فقالوا: يا رسول الله نظرنا إلى القوم، فلم ننجس (نبخس خ) لهم ولمّا رأيناه رجمت (وجفت خ) قلوبنا ثمّ اطمأنّت نفوسنا فابخاست (فانجاست خ) أكبادنا وهملت أعيننا وتبلجت صدورنا حتّى كأنّه لنا أب، ونحن له بنون.

فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم».

العلم» أنتم منه بالمنزلة الّتي سبقت لكم بها الحسنى، وأنتم عن النّار مبعدون، قال: فبقي هؤلآء القوم المسمّون حتّى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السّلام الجمل وصفّين، فقتلوا بصفين، وكان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يبشّرهم بالجنّة وأخبرهم يستشهدون مع عليّ بن أبيطالب كرّم الله وجهه» رواه النّعماني في الغيبة والمجلسي في البحار.

وفي المناقب الفاخرة في العترة الطّاهرة: عن أبي بكر بن أبي قحافة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «خلقت أنا وأنت يا عليّ من جنب الله تعالى، فقال: يا رسول الله ماجنب الله تعالى؟ قال: سرّ مكنون، وعلم مخزون، لم يخلق الله منه سوانا، فمن أحبّنا وفى بعهدالله ومن أبغضنا فإنّه يقول في آخر نفس: «يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله»».

وفي البحار: ـ في أخبار الغدير ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم غدير خم ـ: «معاشر النّاس إنّه جنب الله الّذي في كتابه: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله»».

وفي تفسير البرهان: عن الإمام الرّابع زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «إنّه اجتمعت قريش إلى أبيطالب ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عنده فقالوا: نسئلك عن ابن أخيك النّصف منه، قال: وما النّصف؟ قالوا: يكفّ عنّا ونكفّ عنه، فلا يكلّمنا ولانكلّمه، ولا يقاتلنا ولانقاتله إلّا أنّ هذه الدّعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحنآء وأثبتت البغضآء قال: يا بن أخي أسمعت؟ قال: يا عمّ لو أنصفني بنو عمّي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي، إنّ الله تعالى أمرني أن أدعو إلى الحنيفية ملّة إبراهيم، فمن أجابني فله عندالله الرّضوان، والخلود في الجنان، ومن عصاني قاتلته حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقالوا: قل له: أن يكفّ عن شتم آلهتنا، فلا يذكرها بسوء فنزل: «أفغير الله تأمرونى أعبد أيّها الجاهلون» الزّمر: ٦٤).

وفيه: عن أبي موسى الرّغابي قال: كنت عنده وحضره قوم من الكوفيين فسئلوه عن قول الله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» قال: ليس حيث تذهبون إنّ

الله عزّوجلّ حيث أوحى إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقيم عليّاً للنّاس علماً أندس إليه معاذ بن جبل، فقال: أشرك في ولايته أي الأوّل والثّاني حتّى يسكن النّاس إلى قولك ويصدقوك ، فلمّا أنزل الله عزّوجلّ: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك» شكى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى جبرئيل، فقال: إنّ النّاس يكذبونني ولا يقبلون منّي فأنزل الله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين» الزّمر: ٦٥).

وفي متشابه القرآن ومختلفه لإبن شهرآشوب السّروي المازندراني في قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين» قال: «المراد به أمّته، قال إبن عباس: نزل القرآن بايّاك أعني فاسمعي ياجاره مثل قوله: «يا أيّها النّبيّ إذا طلقتم النّسآء فطلقوهنّ لعدّتهنّ واحصوا العدّة واتّقوا الله ربّكم لا تخرجوهنّ من بيوتهنّ» قال السيّد عبدالعظيم والسيّد المرتضى: سبب نزول هده الآية أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا نصّ على أمير المؤمنين عليه السّلام بالإمامة في إبتدآء الأمر جآء قوم من قريش فقالوا: يا رسول الله إنّ النّاس قريبوا عهد بالإسلام ولا يرضون أن تكون النّبوّة فيك والإمامة في إبن عمّك ، فلو عدلت بها إلى غيره لكان صواباً، فقال لهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما فعلت ذلك برأيي فأتخير فيه، ولكنّ الله أمرني به وفرضه عليّ، فقالوا: فإذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف على ربّك فاشرك معه في الخلافة رجلاً من قريش، ليسكن إليه النّاس ليتمّ لك أمرك ولا يخالف النّاس فنزلت الآية».

أقول: إنّ الشّرك في أمر الخلافة هو نفس الشّرك في التّوحيد سوآء بسوآء ولذلك عبّر عن هؤلآء الثّلاثة الّذين غصبوا الخلافة بالطّاغوت كما عبّر عن الأصنام والأوثان بالطّاغوت. فافهم إن كنت طيّب الولادة.

وفي أسباب النّزول للواحدي: عن عبدالله ـ إبن مسعود ـ قال: «أتى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أباالقاسم بلغك أنّ الله يحمل الخلائق على أصبع، والأرضين على أصبع، والشّجر على أصبع، والثّرى على أصبع،

فضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى بدت نواجذه فأنزل الله تعالى: «وما قدروا الله حقّ قدره» الآية: ٦٧) ومعنى هذا أنّ الله تعالى يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق والشّجر قدرة أحدنا ما يحمله بأصبعه، فخوطبنا بما نتخاطب فيما بيننا لنفهم، ألا ترى أنّ الله تعالى قال: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» أي يقبضها بقدرته».

وفي الدّرالمنثور: عن إبن مسعود قال: «جآء حبر منَ الأحبار إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد إنّا نجد أنّ الله يحمل السّموات يوم القيامة على أصبع، والأرضين على أصبع، والشّجر على أصبع، والمآء والثّرىٰ على أصبع، وسآئر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك فضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبْر ثمّ قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة»».

وفي تفسير القمّي: قال: قوله تعالى: «وما قدروا الله حقّ قدره» نزل في الخوارج».

وفي أسباب النّزول للسّيوطي: عن إبن عبّاس قال: مرّ يهوديّ بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السّموات على ذه والأرضين على ذه والمآء على ذه والجبال على ذه فتلا: «وما قدروا الله حقّ قدره».

وفيه: عن سعيد بن جبير قال: تكلّمت اليهود في صفة الرّبّ، فقالوا بما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله الآية: «وما قدروا الله حقّ قدره».

وفيه: عن الرّبيع بن أنس قال: لمّا نزلت: «وسع كرسيّه السّموات والأرض» قالوا: يا رسول الله، هذا الكرسي هكذا فكيف العرش؟ فأنزل الله: «وما قدروا الله» الآية.

﴿القراءة﴾

قرأ حمزة «إمّهاتكم» بكسر الهمزة والميم معاً لكسر ماقبلها، وقرأ الكسآئي بكسر الهمزة وصلاً وفتح الميم، وقرأ الباقون بضمّ الهمزة وفتح الميم وهي القراة المشهورة.

وقرأ حمزة وأبوجعفر وعاصم وأبوعمرو «يَرضَهْ لكم» بإسكان الهآء على أنّ ذلك لغة وقرأ نافع وإبن عامر وإبن كثير «يرضهو لكم» بضمّ الهاء بالإشباع وإلحاق الواو لأنّ ماقبل الهآء متحرّك ، فيكون بمنزلة ضربهو وهذا لهو، وقرأ الباقون «يَرْضَهُ لكم» بضمّ الهآء مختلسة غير مشبعة، فحرّك الهآء من غير إلحاق الواو لأنّ الألف المحذوفة بالجزم ليس يلزم حذفها لأنّ الكلمة إذا نصبت أو رفعت عادت الألف، فصار الألف في حكم الثّابت، فإذا ثبت الألف فالأحسن أن لايلحق الواو كقوله تعالى: «فألقى موسى عصاه» الشّعرآء: ٤٥) وذلك أنّ الهآء خفيفة فلو لحقتها الواو وقبلها الألف لأشبه الجمع بين السّاكنين، وهذه القراءة مشهورة.

وقرأ إبن كثير وأبوعمرو «ليضل» بفتح اليآء ثلاثياً، والباقون بالضمّ من باب الإفعال وهو الصّحيح.

وقرأ إبن كثير ونافع وحمزة «أمَنْ هو قانت» بتخفيف الميم على تقدير النّدآء أي يامن هو قانت. وقرأ الباقون بتشديد الميم: «أمّن» وهذه قراءة مشهورة وهي صحيحة، لأنّ المقام مقام معادلة لانداء، فلاوجه للنّدآء.

وقرأ نافع «إنّي أمرت» بفتح اليآء والباقون بإسكانها.

وقرأ أبوجعفر و إبن كثيرونافع وأبوعمرو «إنّي أخاف» بفتح الياء والباقون بإسكانها

وقرأ أبوعمرو «فبشّر عبادي» باليآء المفتوحة وصلاً وبالحذف وقفاً، والباقون بالحذف في الحالين لدلالة الكسرة على اليآء.

وقرأ نافع «فَهْوَ» ٢٢) بسكون الهآء والباقون بضمّها.

وقرأ إبن كثير وأبوعمرو «سالماً» ٢٩) بالألف على أنّه إسم فاعل أي خالصاً من الشّرك قيل هذه القراءة هي الأصحّ إذ كما أن الشّريك عبارة عن العين وليس بإسم حدث، فكذلك الّذي بازآئه ينبغي أن يكون فاعلاً ولا يكون إسم حدث، وقرأ الباقون «سَلَماً» بفتح السّين واللاّم من دون ألف، مصدراً أي ذا سلامة وذا خلوص من الشّركة، وهذه القراءة مشهورة، وفي قراءة شاذّة عن سعيد بن جبير «سلْماً» بكسر السّين وسكون اللاّم ـ مصدراً ـ كالفتح إذ يقال: سَلَمَ سَلَماً وسلامة وسِلْماً.

وقرأ حمزة والكسآئي «عباده» ٣٦) على الجمع بأنّ المراد بهم النّبيّ الكريم وسآئر الأنبيآء صلوات الله عليهم أجمعين لأنّ أمّة كلّ نبيّ خاطبوا نبيّهم بمثل ذلك. والمعنى: أليس الله بكافٍ عباده الأنبيآء كما كفى نوحاً الغرق، وإبراهيم النّار، ويونس ما وقع إليه، فهو تعالى كافيك كما كفى الأنبيآء قبلك. وقرأ الباقون «عبده» بالإفراد فإنّ المراد منه هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوله تعالى: «ويخوّفونك» فالمعنى: أليس الله بكافيك وهم يخوّفونك. وهذه قراءة مشهورة وهي الأنسب بظاهر السّياق.

وقرأ حمزة «أرادني» ٣٨) بسكون اليآء، فتسقط في اللّفظ وصلاً، وقرأ الباقون بفتحها. وقرأ نافع «أفرأيتم» ٣٨) بتسهيل الهمزة الثّانية، والباقون بتحقيقها.

وقرأ أبوعمرو «كاشفات» و«ممسكات» بالتّنوين لأنّهما إسمان فاعلان في معنى الإستقبال فيعملان عمل النّصب، و«ضرّه» و«رحمته» بالنّصب على المفعول، وقرأ الباقون بغير التّنوين، وخفض «ضرّه» و«رحمته» بالإضافة على أنّهما بمعنى الماضي كقوله تعالى: «إنّا مرسلوا النّاقة» القمر:٢٧).

وقرأ حمزة والكسآئي «قُضِيَ عليها» ٤٢) مبنيّاً للمفعول، و«الموت» بالرّفع نيابة للفاعل، والباقون مبنيّاً للفاعل، و«الموت» بالفتح، على المفعول به، والدّليل عليه

قوله تعالى: «ويرسل الأخرى» لبناء الفعل للفاعل.

وقرأ حمزة وأبوعمرو «يا عبادي الّذين» ٥٣) بسكون اليآء، والباقون بالفتح وصلاً والسّكون وقفاً.

وقرأ أبوجعفر «يا حسرتاي» ٥٦) بياء ساكنة بعد الألف، وعنه أيضاً بيآءٍ مفتوحة بعد الألف، وقرأ الباقون «ياحسرتا» بدون يآء.

وقرأ حمزة والكسآئي «بمفازاتهم» ٦١) على جمع المفازة لأنّ المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها، وقرأ الباقون «بمفازتهم» على الإفراد لأنّ الفوز والمفازة واحد، فافراد المفازة كافراد الفوز.

وقرأ إبن كثير «تأمرونّي» ٦٤) مشدّدة النّون، بإدغام إحدى النّونين في الأخرىٰ، وفتح اليآء. وقرأ إبن عامر «تأمروني» بكسر النّون المخففة، على حذف إحدى النّونين وسكون اليآء، وعنه أيضاً «تأمرونني» بنونين خفيفتين بفتح الأولىٰ وكسر الثّانية على الأصل وقرأ نافع وأبوجعفر «تأمروني» بكسر النّون المخففة، وفتح اليآء، وقرأ الباقون بكسر النّون المشدّدة وسكون اليآء وهذه قراءة مشهورة.

وقرأ نافع «بالنّبئين» ٦٩) بالهمزة، وقرأ الباقون باليآء المشدّدة وهي مشهورة.

وقرأ نافع «وَهْوَ» ٧٠) بسكون الهآء، والباقون «وَهُوَ» بضمّها وهي مشهورة.

وقرأإبن عامر«سُيِقَ» ٧١و٧٣) بضمّ السّين وكسر اليآء، وقرأ الباقون بكسر السّين نحو «قيل» وهي صحيحة.

وقرأ حمزة وعاصم «فُتِحَتْ» ٧١ و ٧٣) بتخفيف التّاء الأولىٰ لأنّها تفتح دفعة واحدة وأنّ التّخفيف يصلح للقليل والكثير، وقرأ الباقون «فُتِّحَتْ» بتشديدها لأنّها تفتح مرّة بعد أُخرى، وأنّ التّشديد يختصّ بالكثرة ولقوله تعالى: «مفتّحة لهم الأبواب» ص: ٥٠) وهذه مشهورة.

وقرأ نافع «فبيسَ» ٧٢) والباقون «فَبِئسَ» وهي صحيحة.

﴿الوقف والوصل﴾

«الدّين ط» لتمام الكلام، ولمكـان حرف التّنبيـه: «ألا» و «الخالص ط» لتمام الكـلام، واستئـناف التّالي، و«أوليآء م» لأنّ الـتّقدير: يقـولون: ما نعبـدهم ... فلو وصـل لأوهم أنّ ما نعبدهـم إخبار من الله سبحانـه و«زلفى ط» لإستئناف التّالي، و«يختلفون ط» كالسّابـق، «يشآء لا» لتعجيل التّـنزيه، و«سبحانه ط» لإستئناف الـتّالي، و«بـالحقّ ج» لإحتمـال كـون مـابعـده حالاً وإستـئـنـافـاً، و«القمر ط» لإسـتـئنـاف الـتّالي، و«مسمّـى ط» لتمام الكـلام وحـرف التّـنبيه، و«أزواج ط» لإسـتئنـاف التّالي، و«ثـلاث ط» كـالمتقـدم، و«الملك ط» كـالسّـابق، و«هوج» لإحتمال الجملة أن تكون خبراً رابعاً ومستأنفة.

«الـكفر ج» لـعطف جملتي الشّرط مع وقوع العـارض، و«لكم ط» لإسـتئنـاف التّالي، و«أخرى ط» لأنّ «ثمّ» لترتيب الإخبار، و«تعملـون ط» لإستئناف التّالي، و«عـن سبيله ط» كالسّـابـق و«قليلا ق» أي قال بالـوقـف بعض العلمآء، و«رحمة ربّه ط» لإستئناف التّالي، و«لايعلمون ط» كالمتقدّم، و«الألباب ع» علامة إنتهاء الرّكـوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القـرآن الكـريم في عامين، و«ربّكم ط» لإستئنـاف التّالي، و«حسـنة ط» كالسّابـق و«واسعة ط» لتمـام الكلام، و«حساب ى» علامة العشر وتوضع عند إنتهآء عشر آيات.

«الدّين لا» للـعطف التّـالي، و«ديني لا» لفاء الرّابطة التّـالـية، «من دونه ط» لإسـتـئناف الـتّالي، و«الـقيامـة ط» لحرف الـتّنبـيه الـتّالي، و«ظلل ط» لإستئناف

التّالي، و«عباده ط» لحرف النّدآء التّالي، و«البشرى ج» لإنقطاع النّظم مع فآء التّعقيب، و«عباد لا» للنّعت التّالي، «وأحسنه ط» لإستئناف التّالي، و«العذاب ط» لإستفهام التّالي، و«في النّار ج» للآية مع الإستدراك ، و«مبنيّة لا» لأنّ مابعدها صفة، و«الأنهار ط» لإستئناف التّالي، و«وعدالله ط» كالسّابق، و«الميعادي» كالمتقدّم.

«حطاماً ط» لتمام الكلام، واستئناف التّالي، و«الألباب ع» كالسّابق، و«من ربّه ط» لحذف جواب الإستفهام، واستئناف التّالي، و«من ذكر الله ط» لإستئناف التّالي، و«ربّهم ج» لأنّ الجملة ليست من صفة الكتاب مع العطف، و«إلى ذكر الله ط» لإستئناف التّالي، و«مَن يشآء ط» كالسّابق، و«يوم القيامة ط» لحقّ الحذف، و«الدّنيا ج» للام الإبتداء مع العطف و«أكبر م» الوقف لازم للشّرط التّالي، و«يتذكّرون ج» لإحتمال كون «قرآناً» منصوباً على المدح أو الحال المؤكّدة كما يجيئ، و«لرجل ط» لإستفهام التّالي، و«مثلاً ط» لتمام الكلام، و«الحمد لله ج» للإضراب مع اتفاق الجملتين، و«ميّتون ى» كالسّابق.

«تختصمون ع» كالمتقدّم، و«إذ جآءه ط» لإستفهام التّالي، و«عند ربّهم ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«المحسنين ج» لإحتمال تعلّق اللاّم بمحذوف كما يجيئ، و«عبده ط» لإستئناف التّالي، و«من دونه ط» كالسّابق، و«من هاد ج» للآية وعطف التّالي، و«من مضلّ ط» لإستفهام التّالي، و«ليقولنّ الله ط» لإستئناف التّالي، و«رحمته ط» كالسّابق، و«حسبي الله ط» كالمتقدّم، و«عامل ج» لإبتداء التّهديد مع فاء التّعقيب، و«تعلمون لا» لمفعول التّالي، و«مقيم ي» كما مرّ.

«بالحقّ ج» لإختلاف الجملتين، و«فلنفسه ج» كالسّابق، و«يضلّ عليها ج» للإبتداء بالنّفي مع العطف، و«بوكيل ع» كما تقدّم، و«في منامها ج» لطول الكلام وعطف التّالي، و«مسمّى ط» لإستئناف التّالي، و«شفعآء ط» كالسّابق، و«جميعاً ط» كالمتقدّم و«الأرض ط» بنآء على أنّ «ثمّ» لترتيب الإخبار، و«بالآخرة ج»

فصلاً بين الجملتين مع اتفاقهما نظماً، و«يوم القيامة ط» لطول الكلام، و«دعانا ز» فصلاً بين تناقض الحالين مع اتّفـاق الجملتين ولكنّ الوصل أولى، و«منّ لا» لأنّ ما بعد جواب، و«علم ط» لإضراب التّالي، و«يكسبون ى» كما سبق.

«ما كسبوا ط» لإستئنـاف التّالي، و«ما كسبوا لا» للحال التّالي، و«يقدر ط» لإستئناف التّالي، و«يؤمنون ع» كـالمتقدّم، و«من رحمة الله ط» لإستئناف التّالي، و«جميعاً ط» كالسّابق، و«لا تشعرون لا» لأنّ التّالي معمول لماقبله، و«السّاخرين لا» كالسّابق، و«المتّقين» كالمتقدّم، و«مسودّةط» لإستفهام التّالي، و«للمتكبّرين ي» كما تقدّم.

«بمفازتهم ز» لإحتمال استئناف التّالي، والحال أوجه، و«كلّ شيء ز» للفصل بين الوصفين تعظيماً مع اتّفاق الجملتين، و«الأرض ط» لإستئناف التّالي، و«الخاسرون ع» كما مرّ، و«من قبلك ج» لحقّ القسم المحذوف، و«قدره ق» و«بيمينه ط» لإستئناف التّالي، و«شآء الله ج» بياناً لتراخي النّفخة الثّانيّة عن الأولىٰ مع اتفاق الجملتين، و«يفعلون ى ع» كما سبقا.

«زمراً ط» لأنّ «حتّى» حرف إبتداء، و«هذا ط» لإستئنـاف التّالي، و«فيها ج» لإستئناف التّالي مع فاء التّعقيب، و«زمراً ط» كالسّابق، و«نشآء ج» لإستئناف التّالي، مع فاء التّعقيب، و«بحمد ربّهم ج» لأنّ الماضي لا ينعطف على المستقبل بنآءً على قول ضعيف، ولإحتمال جعله حالاً، وقدقضى بين الزّمرين.

﴿اللغة﴾

٤٦ ـ الخلوص والإخلاص ـ ٤٣٤

خلص الشّي ء يخلص خلوصاً وخلاصاً وخالصة نحو عاقبة،وعافية ـ من باب نصر ـ: صار خالصاً. الخالص: الصّافي الّذي ليس فيه شآئبة من غيره حسّيّة كانت أو معنوية قال الله عزّوجلّ: «ألا لله الدّين الخالص» الزّمر: ٣).

خلص الشّي ء من التّلف: نجا و سلم، وخلص المآء من الكدر: صفا. يقال: فلان خلص من القوم: إنفرد عنهم. قال الله تعالى: «فلمّا استيئسوا منه خلصوا نجيّاً» يوسف: ٨٠) أي انفردوا خالصين عن غيرهم يتناجون فيما أهمّهم. خلص إليه وبه الشّي ء: وصل إليه، ومنه حديث المعراج: «فلمّا خَلَصْتُ بمستوىً من الأرض» أي وَصَلْتُ وبَلَغْتُ. وفي الحديث: «إنّي لا أخلص إلى الحجر الأسود من ازدحام النّاس» أي لا أصل إليهم. ومنه قوله: «لم يجد المآء ولم يخلص إلى الصّعيد» أي لم يصل إليه.

خَلِصَ اللّحم يخلص خَلَصاً ـ من باب عَلِمَ ـ: تشظّى العظام في اللّحم، وذلك في قصب عظام اليد والرّجل، وخَلِصَ العظم: إذا برأ وفي خَلَلِهِ شي ء من اللّحم.

الخالص: كلّ شي ء صفى وتخلص ولم يمتزج بغيره، أو امتزج ثمّ صفا وتخلّص من غيره سوآء كان ذلك الغير أدون منه أم لا. والعمل الخالص: كلّما تجرّد قصد التقرّب فيه عن جميع الشوآئب، ولا يريد العامل أن يحمده عليه إلّا الله تعالى، وهذا التّجريد يسمّى إخلاصاً. وفي الحديث: «قل هو الله أحد» هي سورة الإخلاص» سميّت به لأنّها خالصة في صفة الله تعالى أو لأنّ اللافّظ بها قد أخلص التّوحيد لله تعالى.

الخالص: الصّافي النّاصع من الألوان، يقال: هذا ثوب خالص إذا كان صافي البياض والمحض، ومآء خالص: أبيض، وكلّ شيء أبيض. وجمعه: خُلّص. الخالص كالصّافي إلّا أنّ الخالص هو مازال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصّافي قديقال لمالا شوب فيه. ويقال: خلّصته فخلص. والخالص: نهر شرقي بغداد عليه كورة كبيرة تسمّى الخالص ينسب إليه بعض المشاهير..

الخالصة: يقال: هذا الشّيء خالصة لك: خالص لك خاصّة. قال الله تعالى: «قل إن كانت لكم الدّار الآخرة عند الله خالصة من دون النّاس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين» البقرة: ٩٤) وقال: «إنّا أخلصنا هم بخالصة ذكرى الدّار» ص: ٤٦) أي مجالة خالصة. والمعنى: اخترناهم واصطفيناهم بسبب خالصة أي خلّة فيهم، خاصّة لاشوب فيها، هي تذكيرهم بالدّار الآخرة وذلك شأن الأنبيآء عليهم السّلام أو أخلصناهم بخالصة أي جعلنا هالهم وهي خلّة ذكرى الدّار دائماً بطاعة الله تعالى.

يقال: فلان خالصتي: خِلْصي وخِدْني. وخالصة: إسم إمرأة.

الخلاص: ـ بالفتح ـ: الإسم من التّخليص بمعنى التّنجية، ومانتفي عنه الغشّ من الذّهب والفضّة، والخلاص ـ في الأصل ـ مصدر للشّيء الخالص من خلص، فسمّي به الخالص. وفي الحديث: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذكر يوم الخلاص، قالوا: يا رسول الله مايوم الخلاص؟ قال: يوم يخرج إلى الدّجّال من المدينة كلّ منافق ومنافقة، فيتميّز المؤمنون منهم، ويخلص بعضهم من بعض» وذلك قبل ظهور المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

الخَلاص: مثل الشّيء و منه حديث شريح: «انّه قضي في قوس كسرها رجل بالخَلاص» أي مثلها. والخلاص: أُجرة الأجير. يقال: أعطى البحارة خلاصهم أي أجر أمثالهم.

الخِلاص ـ بالكسر ـ: ماأخلصته النّار من الذّهب والفضّة والزُبْد، والخِلاص: الإثر.

الخُلاصة ـ بالضّمّ ـ والخِلاصة ـ بالكسر ـ: ماخلص من السّمن، ثمّ أطلق على

ما خلص من غيره. ومنه: «خُلاصة الكلام» وخُلاصة الشّيء: جيّده وما صفى منه مأخوذ من خلاصة السّمن وهو ما يلقى فيه تمر أو سويق أو أبعار غزلان ليخلص من بقايا اللّبن. الخِلاص: ما يُخلَصُ به السّمن في البُرْمة من اللّبن والمآء والثُفْل وذلك إذا ارتجن واختلط اللّبن بالزُبْد، فيؤخذ تمر أو دقيق أو سويق فيطرح فيه ليخلص السّمن من بقيّة اللّبن المختلط به، وذلك الّذي يخلص هو الخِلاص وأمّا الخِلاصة والخُلاصة فهو ما بقي في أسفل البُرْمَة من الخِلاص وغيره من ثُفل أو لبن أو غيره.

الخَلْص ـ بالفتح فالسّكون ـ: كلّ أبيض، ومنه «خلصا الشّنّة» أي عراقاها وهو ما خلص من المآء من خَلَل سيورها.

الخِلْص ـ بالكسر فالسّكون ـ: الخِدْن، يقال: «فلان خِلصي» كما يقال: خِدْني جمعه: خُلصَاء. قيل: يستوي فيه الواحد والجمع. يقال: هؤلآء خُلَصآئي إذا كانوا من الأخِصّآء.

الخُلْصان ـ بالضّمّ ـ: الخالص من الأخدان، يستوي فيه الواحد والجمع، يقال: هو خُلصاني وهم خُلْصاني.

الخَلَص ـ متحركة ـ: شجر ينبت نبات الكرم يتعلّق بالشّجر، فيعلق وهو طيّب الرّيح، له ورد كورد المرو، طيّب زكيّ، وله ورق أغبر رقاق مدوّرة واسعة، وحبّه أحمر كخرز العقيق لا يؤكل ولكنّه يُرعى. الواحدة: خَلَصَة.

الخَلَصَة أيضاً: صنم كان على الصّحيح أسفل مكّة، نصّه عمرو بن لُحَيّ، وقلّده القلائد، وعلّق به بيض النّعام، وكان يذبح عنده، فأنفذ إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جرير بن عبدالله فهدمه وخرّبه. وفي الحديث: «لا تقوم السّاعة حتّى تضطرب ألَيات نسآء دوس على ذي الخَلَصَة» بأن تسعى نسآء بني دوس طائفات حول ذي الخَلَصَة فترتج أعجازهنّ. ذوالخَلَصَة: مقام ذلك الصّنم.

الخُلاّص ـ كرمّان ـ: الخلل في البيت بلغة هُذَيل.

الخُلُوص: رُبٌّ يتّخذ من تمر، والخلوص: الثُفل الّذي يبقى في أسفل خلاصة السّمن والقِشدَة.

خُلَيْص: كزبير ـ: حصن بين عسفان وقديد على ثلاث مراحل من مكّة المكرّمة.
أَخْلَص السَّمْنَ: أخذ خلاصته، وأخلص في العبادة: ترك الشّرك والرّيآء فيها.
وقال الله تعالى: «فاعبدالله مخلصاً له الدّين ـ قل إنّي أُمرت أن أعبدالله مخلصاً له الدّين» الزّمر: ٢و١١).

وأخلص له النّصيحة والحبّ: خلّصهما عن الغشّ، وحقيقة الإخلاص: التبرّى عن كلّ ما دون الله تعالى في التّوحيد والعبادة. قال الله تعالى: «وأخلصوا دينهم لله» النّسآء: ١٤٦) أي أمحضوه لله جلّ وعلا فلم تشبه شآئبة من شرك أوريآء فهو مُخلِص وهم مخلصون قال تعالى: «مُخلِصاً له ديني» الزّمر: ١٤) وقال: «وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين...» البيّنة: ٥) المخلصون: الموحّدون.

وأخلصه الله عزّوجلّ إخلاصاً: جعله مختاراً خالصاً من الدّنس وإسم المفعول: مُخلَص والجمع: مخلصون: «إنّه من عبادنا المخلَصين» يوسف: ٢٤) أي المختارون.

وأخلص العظم: كثر مُخّه، وأخلص البعير: سمن، وكذلك النّاقة. الإخلاص والإخلاصة: الزبد إذا خلص من الثُفل. والإخلاص: إيقاع العبادة خالصاً لله وحده كلمة الإخلاص: هي كلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» وإخلاص المسلمين أنّهم تبرّؤا عن كلّ مايدّعيه اليهود والنّصارى والمجوس والمشركون من أنحآء الشّرك في أصل الوجود والإيجاد والتّدبير والعبادة، ومن الرّيآء.

خلّصه من كذا: نجّاه، وخلّص الشّيء: صفّاه وميّزه من غيره. والتّخليص: التّنجية من كلّ مُنشب. تقول: خلّصته من كذا تخليصاً أي نجّيته تنجيةً فتخلّص. وفي حديث الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «إنّه قضى في حكومة بالإخلاص» أي بما يتخلّص به من الخصومة. والمعنى: الرّجوع بالثّمن على البائع إذا كانت العين مستحقة، وقدقبض ثمنها أي قضى بما يتخلّص به من الخصومة.

خالصه ـ من باب المفاعلة ـ في العشرة مُخالصة: صافاه وخالصه في المودّة: صافاه فيها.

تخلّصه كما يتخلّص الغَزْل إذا إلتبس.

تخالصا: تصافيا، وأخلص أحدهما الآخر.

إستخلصه الرّجل: إختصّه بدُخْلُلِهِ، واستخلص الشّيء: إختاره، واستخلص الشّيء منه: إستحصله. قال الله تعالى: «أستخلِصه لنفسي» يوسف:٥٤) أي إستخصّه بأن جعله خالصاً لنفسه، وخاصاً به يرجع إليه في تدبيره.

٦٤ ـ الخَوْل ـ ٤٥٢

خال الرّجل مالَهُ يخوله خَوْلاً وخِيالاً ـ أجوف واوي من باب نصر نحو قال ـ: رعاه وساسه وأحسن القيام به وحفظه. يقال: فلان يخول على أهله: يرعى عليهم أغنامهم ويكفيهم ويملك أمورهم ويعطيهم مايصلح أحوالهم...

خوّله كذا: ملّكه إيّاه، وخوّله نعمة: أعطاه نعمة وفي الدّعآء: «وأدِمْ ما خَوَّلْتنا» قال الله تعالى: «ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ماكان يدعو إليه من قبل ـ ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما أوتيته على علم» الزّمر:٨و٤٩).

وفي الحديث: «النّاس كلّهم أحرار ولكنّ الله خوّل بعضكم على بعض» أي فضّل بعضكم على بعض من خوّله المال: أعطاه إيّاه متفضّلاً. وفي الحديث: «إتّقوا الله فيما خوّلكم» أي ملّككم وأعطاكم. وخوّال ـ كشدّاد ـ: كثير الخَوْل أي العطية.

وتخوّل: تعهّد. وفي حديث الصّحابة: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يتخوّلنا بالموعظه مخافة السّآمة» أي يتعهّدنا من التخوّل: التّعهد وحسن الرّعاية. يقال: تخوّلت الأرض الرّيح: تعهدتها من قولهم: فلان خائل مالٍ وهو الّذي يصلحه ويقوم به.

الخائل: واحد الخَوَل. يقال: هو خآئل مالٍ أي راعيه ومصلحه وحافظه. ويقال أيضاً: «هو خال مالٍ» بالحذف على حدّ قولهم: «شاكي السّلاح» الخايل: المتعهد للشّيء والحافظ له. الخَوَل: حَشَمُ الرّجل وأتباعه وخَدَمه، واحدهم خائل. وقديكون واحداً، ويقع على العبد والأمة والخدمة وهو مأخوذ من التّخويل: التّمليك . وقيل: من الرّعاية. خوّله: أعطاه إبتدآء من غير مجازاة، فلايقال في الجزآء: خول. فالتّخويل مختصّ بالتفضّل. خال يخال خَولاً ـ من باب عَلِمَ نحو خاف ـ:

صارذا خَوَلٍ بعد إنفراد.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ولكنّني اُسىٰ أن يَلِيَ أمر هذه الأمّة سفهآؤها وفجّارها فيتّخذوا مال الله دُوَلاً وعبادَه خَوَلاً والصّالحين حَرْباً والفاسقين حِزْباً».

الخَوَل ـ بالتّحريك ـ: العبيد. وفي حديث العبيد: «هم إخوانكم وخَوَلكم جعلهم الله تحت أيديكم». ومنه الخبر: «إذا بلغ بنو العاص ثلاثين، اتّخذوا عبادالله خَوَلاً» أي خدماً وعبيداً يعنى أنّهم يستخدمونهم ويستعبدونهم. يقال هؤلاء خَوَل فلانٍ: إذا اتّخذهم كالعبيد وقهرّهم. وخال: تكبّر وتقهّر.

الخَوَل: جمع خَوَليّ: القائم بأمر النّاس، السّآئس له، والخَوَل: الرّعاة، والخَوَل: أصل فأس اللّجام، والخَوَل: ماأعطاك الله تعالى من النّعم والخدم والعبيد والإمآء وغيرهم من الحواشي والأتباع، مأخوذ من التّخويل وهو يستعمل بلفظٍ واحد للجميع وربّما قيل للواحد: خائل. الخَوَليّ: الرّاعي الحسن القيام على المال والغَنَم جمعه: خَوَل كعَرَبيّ وعرب.

الخال: أخو الأم، جمعه: أخوال وأخْوِلة وخؤول وخُوَّل وخؤولة.

قال الله تعالى: «أو بيوتِ أخوالكم أو بيوت خالا تكم» النور: ٦١) الأخْوَل: مَن له أخوال... إنّ النّسبة إلى الخال كالعمومة وهي النّسبة إلى العم يقال: بيني وبينه خؤولة.

الخالة: اخت الأمّ، جمعها: خالات... يقال: هما أبنآء خالة أي كلّ واحد منهما إبن خالة الآخر، ولايقال: هما أبنآء عمّة لأنّ إبن عمتك تكون أنت إبن خاله.

الخال: ماتوسّمت من خير، والخال: لوآء الجيش. الخال: بردللعرب. والخال: الفحل الاسود من الإبل. الخال: صاحب الشّيء يقال: «أنا خال هذا الفرس» أي صاحبه.

الخَوَليّ: القيّم بأمر الإبل وإصلاحها من التخوّل: التعهّد وحسن الرّعاية.

الخَوْلة: الظّبية، وخَوْلة من أعلامهنّ.

الخُوّال: الرّعاة الحفّاظ للمال.

خولة: بنت حكيم هي إمرأة عثمان بن مظعون، وهي الّتي وهبت نفسها للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد كانت إمرأة صالحة فاضلة وكانت من أجلاّء نسآء ثقيف.

أخْوَل الرّجل إخوالاً وأُخوِلَ ـ مبنياً للمفعول ـ: كان له أخوال... وأخال فيه خالاً من الخير وأخاله: تفرّس فيه الخير. تطاير الشّرر أخْوَل أخْوَل: متفرّقاً وذهب القوم أخْوَل أخوَل: تفرّقوا شتّى. رجل مُخْوِل ـ إسم فاعل ـ ومُخْوَل ـ إسم مفعول ـ: كريم الأخوال ... إنّه لمخيل للخير أي خليق به.

تخوّل فيه خالاً من الخير وتخيّل تخوّلاً وتخيّلاً: تفرّس وتوسّم فيه. تخوّل خالاً: إتّخذه كما يقال: تعمّم عمّاً. وتخوّل فلاناً: تعهّده. وتخوّلتني المرأة: دعتني خالها.

إستخولهم إستخوالاً: اتّخذهم خَوَلاً ومنه: «فلان تخدّم بنى فلان واستخولهم» وفيهم إتّخذهم أخوالاً. ويقال: إستخال فيهم، ومنه: «إستخْوِلْ خالاً غير خالك» يقال: إستَخِلْ خالاً غير خالك واستخوِل خالاً غير خالك: اتّخذ. الإستخوال أيضاً: مثل الإستخبال من أخبلته المال إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأو بارها أو فرساً يغزو عليه.

في المفردات: قوله تعالى: «وتركتم ماخوّلناكم ورآء ظهوركم» الأنعام: ٩٤) أي تركتم ما أعطيناكم وملكناكم وتفضّلنا به عليكم في الدّنيا فشغلكم عن الآخرة ورآء ظهوركم.

والتّخويل: ـ في الأصل ـ: إعطآء الخَوَل. وقيل: إعطآء مايصير له خَوَلاً. وقيل: إعطآء ما يحتاج أن يتعهّده من قولهم: فلان خالُ مالٍ وخايل مالٍ أي حَسَنُ القيام به والخال ثوب يعلّق، فيخيّل للوحوش، والخال في الجسد شامة فيه» انتهى.

وفي اللّسان: الخائل: المتعهّد للشّيء والمصلح له، القائم به. والخويلآء: موضع، وخَوَليّ: إسم، وخَوْلان: قبيلة من اليمن. وكُحْل الخَوْلان: ضرب من الأكحال.

كحل الخولان: عصارة الحُضُض بلغة أهل مكّة.

وفي القاموس وشرحه: الخال برد معروف، أرضه حمرآء فيها خطوط سود. وقد خال ماله يخوله خَولاً وخيالاً: إذا رعاه وساسه وقام به.

وفي التّهذيب: الخائل: الحافظ وراعى القوم يخول عليهم أي يحلب ويسق ويرعى.

٩ ـ الغرفة ـ ١٠٧٨

غَرَفَ المآء يَغرفه بيده غَرْفاً من بابي ضرب ونصر ـ: أخذه بها، وغرف الشّيء: رفعه وتناوله، وغَرَفَ شعره: جزّه وقطعه، وغَرَفَ النّاصية: جزّها وحلقها.

الغَرْف: رفع الشّيء وتناوله. يقال: غَرفتُ الماء والمرق.

الغُرْفَة ـ بالضّمّ ـ: ماغُرِفَ من المآء وغيره باليد لأنّك مالم تغرفه بيدك لاتسمّيه غرفة، الغَرْفة: مايغترف، والغُرْفَة: ملُ اليد.

قال الله تعالى: «إلّا من اغترف غرفة بيده» البقرة: ٢٤٩) ومنه استعير: غَرَفْتُ عَرْفَ الفرس إذا جررته، وغرفت الشّجرة. وجمها: غِراف وغُرُفات وغُرْفات والغُرافة كالغُرْفة.

الغُرْفة: عُلَيّة من البنآء، وقد سُمّيَ منازل الجنّة غُرَفاً.

قال الله تعالى: «اولئك يجزون الغرفة بما صبروا» الفرقان: ٧٥) جمعها: غُرَف وغُرُفات قال جلّ وعلا: «لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة» الزّمر: ٢٠) وقال: «وهم في الغرفات آمنون» سبأ: ٣٧) أي منازل رفيعة من فوقها منازل رفيعة. قيل: غُرُفات جمع غُرَف، وغُرَف جمع الغُرفة.

وفي الحديث: «لا تنزلوا النّسآء الغُرَف».

الغُرفة: السّمآء السّابعة وفي الحديث: «سوّى فأغلق دون غرفة عرشه» والغُرْفَة: الحبل المعقود بانشوطة يعلّق في عنق البعير. الغَرْفة ـ بالفتح ـ: للمرّة. وغَرفَتِ الإبلُ غَرَفاً: إشتكت بطونها من أكل الغَرَف وهو شجر معروف. وغرف الجلد: دبغه بالغَرْف.

الغَرْف: مصدر وما يُدبغ به «سقاء غَرْفيّ»: دُبغ بالغَرْف. والغَرَف ـ محركة ـ: مصدر ولغة في الغَرْف. ويطلق الغَرَف على الثّمام أو مادام أخضر، وعلى الشَّتّ والطُّبّاق والبَشم والعَفار والعُثْم والصوم، والحَجَج والشَّدْن والحَيْهل والهَيْشر والضِرْم. والغَرَف أيضاً: ورق الشّجر.

ناقة غارفة: سريعة السّير كأنّها تغرف الجرى، سمّيت غارفة لأنّها ذات قَطْع. وفي الحديث: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عن الغارفة» بأن تسوّى ناصية الفرس مقطوعة على وسط جبينها. وجمع الغارفة: غوارف.

المِغْرَف: الفرس السّريع الّذي كأنّه يغرف الجري. ويقال: «فارس مِغْرَف» جمعه: مغارف.

المِغْرَفة: مايُغْرَف به الطّعام، ولما يتناول به. جمعها: مغارف.

الغِراف: مِكيال ضخم مثل الجراف وهو القَنْقل. وجمع الغُرْفة.

الغُرافة من المآء: ما اغترف باليد.

الغَروف: البئر الّتي يُغْتَرَفُ مآؤها باليد. غَرْبٌ غَرُوفٌ: كبير. وقيل: كثير الأخذ لِلمآء.

الغِرْفَة ـ بالكسر ـ: هيئة الغرف والنّعل، جمعها: غِرَف.

الغَرّاف: فعّال لِلمبالغة، فرس غَرّاف: رحيب الشّحوة، كثير الأخذ بقوائمه. ونهر غَرّاف: كثير المآء. وغَيْث غرّاف: غزير. وغرّاف: فرس البرآء بن قيس.

الغَريف: القصبآء والحلفآء، والغيضة والشّجر الكثير الملتفّ أيّ شجر كان وغرب غريف: كثير الأخذ للمآء. الغريف: الأجمة نفسها بما فيها من شجرها. والغريف: جبل لبني نمير. ودلو غريف: كثير الأخذ من المآء.

الغريفة: الشّجر الكثير الملتفّ أيّ شجركان. والغريفة: النّعل. ودلو غريفة: كثيرة الأخذ من المآء.

الغِرْيَف ـ كدرهم ـ: شجر خوّار. والغِرْيَف: رمل لبني سعد.

تغرّفه: أخذ كلّ شيء معه.

إنغرف الشّيء: انقطع. يقال: غرفه فانغرف. انغرف العظم: إنكسر.

إغترف المآء بيده: غرفه.

في المجمع: الغرفة ـ بالضّمّ ـ: ملأ اليد من المغروف و ـ بالفتح ـ: المرّة الواحدة باليد. والجمع: غراف مثل بُرْمة وبرام.

وفي النّهاية: في الحديث: «أنّه نهى عن الغارفة» الغَرْف: أن تُقْطع ناصية المرأة ثمّ تسوّى على وسط جبينها. فمعنى الغارفة: أنّها فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية بمعنى مرضيّة، وهي الّتي تقطعها المرأة وتسوّيها. وقيل: هي مصدر بمعنى الغَرْف كالرّاغية والثّاغية واللاّغية ومنه قوله تعالى: «لاتسمع فيها لاغية» أي لغو.

وفي اللّسان: الغُرْفة: العِلّيّة، والجمع غُرُفات وغُرَفات وغُرْفات وغُرَف. والغُرْفة: السّمآء السّابعة. وغَرَفَ البعير يَغْرِفُهُ ويَغْرُفُهُ غَرْفاً: ألقى في رأسه الغُرْفة. والغريفة: النّعل بلغة بنى أسد. وقال اللّحياني: الغريفة: النّعل الخَلَق. والغريفة: جلدة مُعَرّضة فارغة نحو من الشّبْر من أدَم مرتّبة في أسف قِراب السّيف تتذبذب، وتكون مُفَرّضة مُزيّنة. وغَرَفْتُ الجلد: دبغته بالغرف، وغَرِفَتِ الإبل ـ بالكسر ـ: تَغْرَفُ غَرَفاً ـ: إشتكت من أكل الغَرَف. التّهذيب: وأمّا الغريف فإنّه الموضع الّذي تكثر فيه الحلفآء والغَرْف والأبآء وهي القصب والغضا وسآئر الشّجر.

٨ ـ النّبع ـ ١٤٨٣

نبع المآء ينبع نَبْعاً ونُبُوعاً ونَبَعاناً ـ من بابي منع ونصر ـ: تفجّر، وظهر وخرج وجرى من العين. النّبع ـ مصدر ـ: خروج المآء من العين.

الينبوع: العين الّذي يخرج منه الماء، والعين الّتي لاينضب مآؤها.

قال الله عزّوجلّ: «وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجرلنا من الأرض ينبوعاً» الإسراء: ٩٠) أي عيناً ينبع منه المآء جمعه: ينابيع قال الله تعالى: «فسلكه ينابيع في الأرض» الزّمر: ٢١) وفي الحديث: «فجر الله ينابيع الحكمة على لسانه» والينابيع: الجدول الكثيرة المآء.

ينبع: قرية كبيرة بها حصن على سبع مراحل من المدينة المنوّرة. وقدورد: «إنّ

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا قسّم الفيئ أصاب عليّ عليه السّلام أرضاً، فاحتفر عيناً فخرج منها مآء ينبع في المآء كهيئة عنق البعير، فسمّاها عين ينبع» ينبوعه: مُفَجّره.

النّبع: شجر يتّخذ منه القِسِيّ، ومن أغصانه السّهام ينبت في قلّة الجبل، والنّابت منه في السّفح الشّريان، وفي الحضيض الشَوْحَط.

يقال: «لو اقتدح بالنّبع لَأوْرى ناراً» مَثَل في جَوْدة الرّأي والحذق بالأمور لأنّ النّبع لانار فيه. ويقال: «قرعوا النّبع بالنّبع» إذا تلاقوا وتطاعنوا ويقال: «فلان صليب النّبع» أي شديد. ويقال: «مارأيت أصلب نبعة منه» أي مارأيت أشدّ منه.

النّبعة: واحدة النّبع كقوله: «وتُرهِبُ عنّا نبعة ويمان» أراد بالنّبعة قوساً «هو من نبعة كريمة» أي من أصل كريم.

النّباعة: الاست. يقال: كذبَتْ نبّاعتك إذا رَدَم. النّباعة: مشدّدة الرّماعة من رأس الصّبيّ قبل أن تشتدّ فإذا اشتدّت فهي اليافوخ.

النّابعة: إسم فاعل للمؤنّث جمعها نابعات ونوابع، نوابع البعير: مسايل عَرَقه يقال: «نضحت نوابع البعير» المواضع الّتي يسيل منها عَرَقه. والنّابعة عين بالقرب من السّويس أحد ثغور مصر، حلوليس لهم من غيره.

منبع المآء: موضع تفجّره، جمعه منابع. وقد يطلق المنبع على مجمع الماء من الآنية الكبيرة، وعلى المراكز الإقتصادية، وعلى المدارك المهمّة الإعتقادية من الكتب المعتبرة...

النّابع: القلم الّذي حبره فيه. والنّبيع: العَرَق.

إنباع العرق انبياعاً: سال. يقال: قدانباع فلان علينا الكلام أي إنبعث وفي المثل: «مُخْرَنْبِقٌ لينباع» أي ساكت لينبعث. انباع حقّه أن يذكره في فصل بوع لأنّه انفصل من باع الفرس يبوع إذا انبسط في جريه، وكلّ راشح مِنباع.

تنبّع المآء تنبّعاً: جآء قليلاً قليلاً.

في النّهاية: «قيل: النّبع كان شجراً يطول ويعلو فدعا عليه النّبيّ صلّى الله عليه

وآله وسلّم فقال: «لا أطالك الله من عود» فلم يَطُل بعده».

وفي اللّسان: «نَبَعَ المآء ونَبِعَ ونَبُعَ عن اللّحياني يَنْبِعُ ويَنْبَعُ ويَنْبُعُ الأخيرة عن اللّحياني نَبْعاً ونُبُوعاً: تفجّر. وقيل: خرج المآء من العين. ولذلك سميّت العين ينبوعاً. وبناحية الحجاز عين مآء يقال لها: ينبع تسق نخيلاً لآل عليّ بن أبيطالب رضي الله عنه. ينبوع: موضع بين مكّة والمدينة. ونُبايع: إسم مكان أو جبل أو واد في بلاد هذيل. جمعه: نبايعات»

وفي القاموس: نبع المآء ينبع مثلّثة. وفي شرحه: إنّ التّثليث راجع إلى عين المضارع لا الماضي.

وفي القاموس وشرحه: ينبع ـ كينصر ـ: حصن له عيون فوّارة قال الزّمخشري: مأة وسبعون عيناً ونخيل وزروع لبني الحسن بن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام رضي الله عنهما بطريق حاج مصر عن يمين الجائي من المدينة إلى وادي الصّفرآء وهو الآن صقع كبير بين الحرمين الشّريفين وأمّا العيون فإنّه لم يبق منها إلّا الآثار.

٤٥ ـ الهيج ـ ١٦٢٩

هاج النّبات يهيج هَيْجاً وهياجاً وهَيَجاناً ـ من باب ضرب نحو باع ـ: جفّ بعد خضرته ويبس بعد نضارته. وهاج البقل: يبس واصفرّ وطال.

أصل الهيج أن يثور وينتقل، والنّبات إذا تمّ جفافه كأنّما يحاول أن يثور من مكانه وينقلع من مقرّه ومنبته إذ لا حاجة إليه في غذائه. الهيج: الصّفرة الجفاف.

قال الله عزّوجلّ: «ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً» الزّمر: ٢١).

هاجت الأرض: أخذ نباتها في اليبس. أرض هائجة: يبس بقلها أو اصفر وفى الخبر عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «لا يهيج على التّقوى زرع قوم» أي مَن عمل خالصاً لله تعالى لم يفسد عمله ولم يبطل كما يهيج الزّرع ويهلك. أهيج إهياجاً الأرضَ: وجدها هائجة النّبات. هاج الشّيء يهيج هَيْجاً وهِياجاً وهَيَجاناً ـ كالسّابق وزناً ـ: ثار وتحرّك وانبعث ومنه الحديث:

«كنّا مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأمر بغُصْنٍ فقطع أو كان مقطوعاً قدهاج ورقه» وهاج البحر: إضطرب وتحرّك ، وهاج الرّجل: إضطرب وتحرّك من حمقه وشجع وتقحّم. وهاج الشّي ء وبالشّي ء ـ لازم ومتعدٍّ ـ: أثاره وبعثه. وهاجت الإبلُ: عطشت وهاج الإبلَ: حرّكها باللّيل إلى المورد أو الكلاء في حديث الإعتكاف: «هاجت السّمآء فمُطِرْنا» أي تغيّمت وكثر ريحها.

وهاج الدّمّ والفحل: تحرّك . في حديث الدّيات: «إذا هاجت الإبل رَخُصَتْ ونقصتْ قيمتها» هاج الفحل: إذا طلب الضّراب، وذلك ممّا يهزله فيقلّ ثمنه.

وفي حديث الملاعنة: «رآى مع إمرأته رجلاً فلم يهجه» أي لم يزعجه ولم ينفّره. وهاج الزّرع: ثار من منابته.

الهيج: ـ مصدر ـ: الحرب تسمية بالمصدر. الهيج: الحركة ومنه: «هاجهم هَيْجٌ من اللّيل كانوا مستعدّين» الهيج: الرّيح الشّديدة. يقال: «يوم هيج» أي يوم ريح أو غيم ومطر. ويقال للحساب أوّل ماينشأ: هاج له هيجٌ حَسَنٌ.

الهيجا والهيجآء ـ بالقصرو المدّ ـ: الحرب. لأنّها موطن غضب، وكلّ حرب ظهر فقد هاج. ومنه: «فلان لاينكل في الهيجآء» أي لايتأخّر ولا يضعف في الحروب.

يوم الهياج: يوم القتال بشي ء هَيُوج ومِهيٰاج: مهيّج. وهي هيوج أيضاً.

المِهياج ـ بالكسر ـ: النّاقة النّزوع إلى وطنها، والجمل الّذي يعطش قبل الإبل.

الهِيْج ـ بالكسر والبنآء على الكسر ـ وهِجْ ـ بالسّكون ـ: من زجر النّاقة.

الهائج: الفورة والغضب. يقال: «هاج هائجه» أي ثار غضبه. و«هدأ هائجه» أي سكنت فورته. الهائجة: مؤنّث الهائج.

الهاجة: الضفدعة الأنثى والنّعامة، جمعها: هاجات وهِيَج. وتصغيرها: هُوَيجة ويقال: هُيَيْجة. والهاجة: النّعجة الّتي لا تشتهي الفحل.

أهاج الرّيحُ النّبْتَ إهاجة: أيبسه.

هيّج الشّيء تهييجاً: أثاره وبعثه. يقال: «هيّج بينهما الشرّ والحرب» أوجدهما وأثارهما. وهيّجتُ البعيرَ: أثرته. وفي حديث الدّعآء: «هيّج لنا السّحاب» أي

سخّره وأثّره.

هايج مهايجة وهياجاً: أثاره وقاتله.

إهتاج الشّيء إهتياجاً: ثاره.

تهيّج الشّيء تهيّجاً: ثار.

تهايج القوم تهايجاً: تواثبوا للقتال.

وفي اللّسان: هاج الشّيء يهيج هَيْجاً وهِياجاً وهَيَجاناً واهتاج وتهيّج: ثار لمشقّة أو ضرر. وهاج هائجه: إشتدّ غضبه وثار. الهيج: الرّيح الشّديدة والهيج: الصّفرة. والجفاف. والحركة. والفتنة. وهيجان الدّم أو الجماع أو الشّوق.

٣٦ - الإقشعرار - ١٢٢٨

إقْشَعَرَّ جلده يَقْشَعِرُّ إقْشِعْراراً - رباعيّ مزيد فيه بزيادة همزة الوصل المكسورة وتكرار اللاّم الثّانية من باب إفْعِلّال -: إرتعد وقف وتجمّع وتقبّض وتخشّن وتغيّر لونه فهو مُقشَعِرّ. يقال: إقشعرّ جلده من الخوف: وقف شعره وهو مَثَلٌ في شدّة الخوف. واقشعرّ الشَّعَرُ: قام وانتصب من فزع أو برد وغير ذلك. ويعبّر بالإقشعرار كناية عن شدّة الفزع أو الرّهبة والخوف من الله تعالى.

قال الله عزّوجلّ: «تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم» الزّمر: ٢٣) أي يعلوها رعدة وتنقبض منه. يقال: إقشعر جلد فلان إقشعراراً فهو مقشعَر إذا أخذته قشعريرة أي رعدة. وربّما كنّى بالإقشعرار عن الإشمئزاز والوجل لأنّه يكون عندهما كقوله: «إلى صفّ أخرى من عِدىً فاقشعرّت». رجل متقشعر: مُقشعِرّ. القَشعَريرة: تقبّض الجلد. القُشَعْريرة: الإسم من اقشَعَرَّ. وهي عند الأطبّاء: بَرْدٌ خفيفٌ يتقدّم نوبة الحمّى متردّداً في الظّهر على سكون بخلاف النّافض.

إقشعرّت الأرض من المَحْل - اربدّت وتقبّضت وتجمّعت وذلك إذا لم ينزل عليها المطر. إقشعرّت السّنة: امحلت وأجدبت. إقشعرّ النّبات: لم يُصَبْ ريّاً وتخشّن وتغيّر لونه. القُشْعُر - كقنفذ -: القِثّاء بلغة أهل الجوف من اليمن. القُشعُور - كجمهور -: القثّاء. القُشاعر: الخشن المسّ. فتخذف الميم لزيادتها.

في اللّسان: القُشعُر: القِثّاء واحده قُشعُرة والقُشَعْريرة: الرّعدة.

٣٨ ـ الشّكس ـ ٨٠٦

شكس يشكس شَكْساً وشَكاسة ـ من بابي علم وشرف ـ: صَعُبَ خُلُقُه في المبايعة وغيرها وبخل فهو شَكِس وشَكَس، جمعه: شُكْس.

الشّكس ـ ككتف ـ: البخيل، والصّعب الخُلق. الشّكس: العسير السّيئ الخُلق. و«محلّة شَكِس»: ضيّقة. الشَكْس: قبل الهلال بيوم أو يومين وهو المحاق. الشَّكيس: الشّوم كقوله: «اغدوا فلا احاذر الشّكيسا» المِشكَسْ: بمعنى الشَكِس.

شاكسه مشاكسة ـ مفاعلة ـ:عاسره وحالفه.

تشاكس القوم تشاكساً ـ من باب التّفاعل ـ:تعاسروا وتخالفوا وتنازعوا فهم متشاكسون. قال الله تعالى: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون» الزّمر: ٢٩) أي متشاجرون، متضادّون لا يتفقون على اعتقاد واحد فإنّ التّوحيد ضدّ الشّرك فكيف يتفق الموحد مع المشرك على إعتقاد.

وتفسير هذا المثل: أنّه ضرب لمن وحّد الله تعالى ولمن جعل معه شركآء، فالّذي وحّد الله عزّوجلّ مَثَلُه مَثَل السّالم لرجل لا يشركه فيه غيره، يقال: سَلِمَ فلان لفلان أي خلص له. ومَثَل الّذي عَبَدَ مع الله سبحانه غيره مثل صاحب الشّركآء المتشاكسين، والشّركآء المتشاكسون العسرون المختلفون المتضادون الّذين لا يتفقون، وأراد بالشّركآء الآلهة الّتي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى.

يقال: «اللّيل والنّهار يتشاكسان» أي يتضادان.

في النّهاية: في حديث عليّ عليه السّلام: «فقال: أنتم شركآء متشاكسون» أي مختلفون متنازعون.

٦٨ ـ الموت ـ ١٤٦٦

مات الإنسان يموت مَوْتاً ـ أجوف واويّ من باب نصر نحو قال ـ: حلّ به الموت وفارقت الرّوحُ جَسَده. فهو ميّت وجمعه: ميّتون وموتى وأموات. الميّت الّذي فارق الحياة قال تعالى: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون» الزّمر: ٣٠) وقال: «إنّا نحن نحي الموتىٰ»

يس: ١٢) وقال: «وما يستوي الأحيآء ولا الأموات» فاطر: ٢٢) ويجوز في الماضي إذا أُسنِدَ إلى ضميري الخطاب والتكلّم كسر الميم وضمّها كقوله تعالى: «قالت يا ليتني مِتُّ قبل هذا» مريم: ٢٣) و«لئن مُتّم أو قتلتم» آل عمران: ١٥٨).

وقيل: إنّه من فَعِلَ يَفْعُلُ بكسر العين في الماضي وضمّها في المضارع فهو شاذّ. ويجوز أن يكون «مِتّ» بكسر فاء الفعل من باب علم، مات يمات فكسرت الفآء إيذاناً بحركة العين المحذوفة، وأن يكون «مُتّم» معلوماً ـ بضمّ الفآء ـ من نصر مات يموت، فتضمّ الفآء إيذاناً بنفس الحرف المحذوفه وهي الواو، ويجوز أن يكون من باب مَوِت يموت بكسر العين في الماضي وضمّها في المضارع فمن تداخل اللّغتين لأنّها جآئت من باب علم ونصر، فأخذ الماضي من الأوّل والمضارع من الثّاني.

في اللّسان: «قال سيبويه: إعتلّت من فَعِلَ يَفعُلُ بكسر فضمّ... ونظيرها في الصّحيح فَضِلَ يَفضُلُ بكسر فضمّ ولم يجئ على ما كثر واطّرد في فَعِلَ وقال كراع: مات يموت والأصل فيه مَوِت بالكسر يموت» إنتهى. مات يموت مَوْتاً: لغة في مات يموت موتاً وهو على زنة خاف يخاف خَوْفاً.

الموت: زوال الحياة عمّن اتّصف بها، فالموت ضدّ الحياة. وقد ورد: أنّ الموت والحياة خلقان من خلق الله تعالى، فإذا جآء الموت فدخل الإنسان لم يدخل في شيء إلّا وقد خرجت منه الحياة. وقيل للإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: «صِف لنا الموت؟ فقال: هو للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه فينقطع التّعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ».

وقد جآء الموت في القرآن الكريم والرّوايات والكلمات لمعانٍ:

١ ـ الموت: حالة الإنسان قبل إتّصال الحياة والرّوح به، وذلك حين كان نطفة أو قبل ذلك، ومن ثمّ كان للإنسان موتتان، وقد يهمل هذا النّظر فلا يكون إلّا الموتة بعد الحياة. ولذلك يقال: الموت لمادة الحيوان والنّبات الّتي يتولّدان منها كالبيضة للفروخ والنّواة للنّخلة والبذر للزّرع وهذا على التّشبيه والتّمثيل.

قال الله تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم» البقرة: ٢٨) أراد

بموتهم حالة النّطفة أو ما قبل ذلك. وقال: «وتخرج الحيّ من الميّت» آل عمران: ٢٧) أراد بالميّت مادّة الحيّ كالنّطفة للإنسان والبيضة للفروخ والنّواة للنّخلة.

٢ ـ الموت هو عدم الحياة وانقطاع النّفَس، وإذا اجتمع الموت والقتل في الذّكر، فالموت ماكان بغير القتل، ويقال في هذا مات حتف أنفه. وهو خروج الرّوح من الجسد لا رجوع لها إليه في الحياة الدّنيا.

قال الله عزّوجلّ: «كلّ نفس ذآئقة الموت» آل عمران: ١٨٥).

٣ ـ يقال: الموت للجماد الّذي لا روح فيه. ولذلك يقال: مات أي سكن.

قال الله تعالى: «أموات غير أحيآء وما يشعرون أيّان يبعثون» النّحل: ٢١) وهذا في الأصنام جعلها أمواتاً إذ كانت جمادات لا روح فيها.

٤ ـ يقال: الموت للضالّ عن الهدىٰ.

قال الله عزّوجلّ: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس» الأنعام: ١٢٢) أي ضالاً عن الهدىٰ. قال الشّاعر:

ليس من مات فاستراح بميّت إنّما الميّت ميّت الأحيآء

٥ ـ الموت هو خروج الرّوح من الجسد ثمّ رجوعها إليه في هذه الحياة الدّنيا،يعبّر عنه بالرّجعة.

قال الله تعالى: «فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم» البقرة: ٢٤٣).

٦ ـ يقال: الموت للأرض الّتي ليس بها نبات وكذلك البلدة.

قال الله جلّ وعلا: «وآية لهم الأرض الميّتة أحييناها» يس: ٣٣).

وقال: «لنحيى به بلدة ميتاً» الفرقان: ٤٩) جآء ميتاً وصفاً لبلدة للذّهاب بها مذهب البلد والمراد بموتها أنّه لانبات بها.

٧ ـ يقال: مات فلان بغيظه: إذا اشتدّ أسفه وغيظه حتّى كأنّه مات، وقد يأتي هذا في الدّعآء فيقال: «مت بغيظك».

٨ ـ يقال: الموت للأهوال والأسباب الّتي هي خليقة أن تفضي إلى الموت يقال: أحاط به الموت من كلّ جانب.

قال الله تعالى: «ويأتيه الموت من كلّ مكان» إبراهيم:١٧) أي أسباب الموت.

٩ ـ الموت: النّوم. وفي دعآء الأنبيآء بعد النّوم: «الحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النّشور» سمّي النّوم موتاً لأنّه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً أو تشبيهاً لا تحقيقاً.

١٠ ـ الموت: المعصية، ومنه الحديث: «أوّل مَن مات إبليس» لأنّه أوّل من عصى.

١١ ـ الموت: الفقر ومنه حديث موسى عليه السّلام: «قيل له: إنّ هامان قد مات فلقيه، فسئل ربّه فقال له: أما تعلم أنّ مَن أفقرته فقد أمَتّهُ»

١٢ ـ الموت: الخضوع لله تعالى. يقال: مات الرّجل: إذا خضع للحقّ.

المَوْتة: إسم المرّة. المَوْتة: الموت وهي أخصّ منه، يقال: مات موتة لم يمتها أحد. قال الله تعالى: «لايذوقون فيها الموت إلاّ الموتة الأولىٰ» الدّخان:٥٦).

المَوْتة: جنس من الجنون الصّرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنّائم والسّكران.

الموات: مالا روح فيه، والأرض الخالية من السّكان أو الّتي لاينقطع بها أحد.

المُوتان: موت يقع فى الماشية. يقال: «هذا مَوْتان الفؤاد» أي بليد غير ذكيّ كأنّ خزّارة فهمه بردت فماتت وهي مَوْتانة المُوتان والمَوْتان والمَوَتان: الموت. المَوَتان: أرض لم يجر فيها إحيآء بعد خلاف الحيوان. يقال: «إشترِ من المَوَتان ولا تشترِ من الحيوان» أي اشترِ الأرض والدّور ولا تشترِ الرّقيق والدوابّ. ويقال: فلان يبيع الموتان أي المتاع وكلّ شيء غير ذي روح.

وفي الحديث: «مَوَتان الأرض لِله ولرسوله» يعنى مواتها الّتي ليست لأحد. وفي الحديث: «يكون في النّاس مُوتان كقُعاص الغنم» المُوتان ـ كالبطلان ـ: الموت الكثير الوقوع. المَوات والمَواتان: المكان الّذي خلا من العمارة والسّكّان، والأرض الخراب، والأرض الّتي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد لإنقطاع المآء عنها أو لغلبته عليها أو لغير ذلك ممّا يمنع الإنتفاع بها بخلاف العامر.

الممات ـ مصدر ميمي ـ بمعنى الموت. قال تعالى: «إذاً لأذقناك ضِعفَ الحياة

وضِعفَ الممات» الأسراء: ٧٥).

المَيتة: مؤنّث المَيْت ـ: الحيوان الّذي لم تلحقه الذّكاة بأنّه مات حتف أنفه أو ذُبِحَ أو نحر أو ذكى على هيئة غير مشروعة إمّا في الفاعل وإمّا في المفعول كالغنم والإبل والسمك، ...

قال الله تعالى: «حُرِّمت عليكم المَيتة ـ إلّا ماذكّيتم» المائدة: ٣) جمعها: ميتات.

المِيتة: حالة الموت وهيئته. يقال: مات ميتة سوء ٍومات ميتة صالحة.

وفي الحديث الصّحيح: «من مات ولا يعرف إمامه مات مِيتة جاهلية» أي كموت أهل الجاهلية من الضّلال والفرقة.

الميتة: الحالة الّتي يكون عليها الإنسان عند الموت كالفقر المدقع والوصب الموجع والألم المغلق والإعلال الّتي تقضي به إلى كفران النّعمة ونسيان الذّكر والأحوال الّتي تشغله عمّا له وعليه.

المآئت: مَن قارب أن يموت. يقال: موت مآئت أي موت شديد.

الميّت: ـ كسيّد ـ: الّذي فارق الحياة. وماتت الرّيح: سكنت كقوله: «حتّى تموت شمال كلّ شتآء» ويقال: «بلد تموت فيه الرّيح» ماتت النّار: برد رمادها فلم يبق من الجمر شيء. وماتت الحمّى: سكن غليانها، ومات الحرّ أو البرد: باخ أو زال ومات الثّوب: بلي. ومات الطّريق: إنقطع سلوكه. يقال: مات فَوْقَ الرَّحْل: استثقل في نومه. مات المآء: نشّفته الأرض. والعرب تسمّى النّوم مَوْتاً والإنتباه حياةً.

الموت الأحمر: هو الموت قتلاً، الموت الأبيض: هو الموت الطّبيعي أو هو الموت فجأة. الموت الأسود هو الموت خنقاً. الميتوتة: الموت.

أماته الله إماتة: جعله ميّتاً، وذلك بخلقه ميتاً أو بسلبه الحياة ومن ثَمَّ يقال في إبن آدم: خلقه الله ميتاً وهو نطفة لم يتخلق، وهذا كما يقال: كبّر الله جِسْمَ الفيل وصغّر جسْمَ البعوضة وهو يميته عندإنتهآء أجله، فكان من الله له إماتتان كما كان له

موتتان على ما سبق. وقد يقال: أحيى وأمات من دون ذكر المفعول: قال تعالى: «وأنّه هو أمات وأحيى» النجم: ٤٤).

أمات نفسه: قهرها وأمات غضبه: سكّنه. أمات الرّجل: مات له إبن أو بنون وأماتت النّاقة أو المرأة: مات ولدها فهي مميت ومميتة جمعها: مماويت. وخطيئة مميتة: كبير تسلب النّفس حياة النّعمة المبرّزة. أمات القوم: وقع الموت في مواشيهم. وأمات اللّحمَ: بالغ في نضجه وإغلائه، أميتت اللّفظةَ: تُرِكَ إستعمالها. يقال: ما أموته أي ما أموت قلْبَه وما أضعَفَه.

الإماتة: عند المسيحيين: الإمتناع عن بعض الأطعمة وقمع الأهوآء قهراً للنّفس وعبادة لله، مميتة: كبير تسلب النّفس حياة النّعمة المبرّزة. وفي حديث الثّوم والبصل: «من أكلها فَلْيُمِتْهُمٰا طبخاً» أي فليبالغ في طبخهما لتذهب حِدّتها ورائحتها.

موّته تمويتاً: جعله يموت.

ماوت مماوتة قِرْنه: صابره. المماوتة: المصابرة والمثابة.

تماوت: تظاهر أنّه مات أي ادّعى الموت وليس به. يقال: ضربته فتماوت أى أرى أنّه ميّت وهو حيّ، وتماوت: أظهر من نفسه التّخافت والتّضاعف من العبادة والزّهد والصّوم. المُتَماوت: النّاسك المُرائي أي الّذي يُرِى أنّه كميّت عن الدّنيا. يقال: فلان مُتماوِت: يسكّن أطرافه رئآء.

إستمات إستماتة وإستماتاً: طلب الموت لنفسه، ذهب في طلب الشّيء كلّ مذهب. استمات الشّيء: استرخى. واستمات الثّوب: بلى. واستمات: سمن بعد هزال واستمات الرّجل: إذا طاب نفساً بالموت. واستمات الشّيء في اللّين والصّلابة: ذهب منها كلّ مذهب.

المستميت: المستقبل الّذي لا يبالى في الحرب بالموت، والّذي يتجانّ وليس بمجنون. المستميت: غِرْقِئ البَيْض. رجل مستميت للأمر: مسترسلٌ له كقوله: «واللّيل فوق المآء مستميت» وفي حديث بدر: «أرى القوم مستميتين» أي مستقتلين وهم الّذين يقاتلون على الموت. المستميت: الشّجاع الطّالب للموت.

والمستميت الّذي يتخاشع ويتواضع لهذا حتّى يطعمه.

مؤتة ـ بهمزة ساكنة وتاء فوقانية كغرفة ـ ويجوز التّخفيف: قرية في أرض البلقآء بطريق الشّام الّذي يخرج منه أهله للحجاز وهي قريةٌ من الكرك وبها وقعة مشهورة فتل فيها جعفر بن أبيطالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة وجماعة كثيرة من الصّحابة. وقيل: إنّها من مشارف الشّام على أثني عشر ميلاً من أذرح. ويوم مؤته: يوم مشهور في السّير. وفي حديث الشّيطان: «أمّا همزة فالمُوتة» يعني الجنون. وذوموتة: فرس لبني أسد.

في النّهاية: وفي الحديث: «مَن أحيا مَواتاً فهو أحقّ به» المَوات: الأرض الّتي لم تُزْرَع ولم تُعمَر ولا جرى عليها مِلك أحد. وإحياؤها: مباشرة عمارتها وتأثير شيء فيها. فأمّا غزوة مؤتة فإنّها بالهمز وهي موضع من بلد الشّام.

وفي المجمع: الموات ـ بضمّ الميم وفتحها ـ: يقال لما لا روح له، ويطلق على الأرض الّتي لا مالك لها من الآدميين، ولا ينتفع بها إمّا لعطالتها أو لاستيحامها أو لبُعد المآء عنها. والأرض الموات في كلام الأصحاب: إمّا في ملك الإمام أو في ملك المسلمين أو يكون لها مالك معروف، فالاولى تملك بالأحيآء حال الغيبة مسلماً كان المحيي أم كافراً في حال حضوره عليه السّلام تملك بإذنه وما في ملك المسلمين لا يجوز إحيآؤه إلّا بإذنه، وعلى المحيى طسقه، وقال حال الغيبة من سبق إلى إحيآء ميتة فهو أحقّ بها، وعليه طسقها، وقيل: ليس عليه شيء، وأمّا الّتي لها مالك مخصوص وقدملكت بغير الإحياء كالبيع والشّرآء فهي لمالكها وعليه الإجماع من الأصحاب.

وفي القاموس وشرحه: المُوتة ـ بالضّمّ ـ: الغشي وفتور في العقل والجنون لأنّه يحدث عنه سكون كالموت. وفي الحديث: «إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتعوّذ بالله من الشّيطان وهمزه ونفثه ونفخه، فقيل له: ماهمزه؟ قال: الموتة».

٤٤ ـ الإشمئزاز ـ ٨١٢

شمزت نفسه منه تشمز شَمْزاً ـ من بابي ضرب ونصر ـ: نفرت منه لكراهته.

الشَّمْز: التقبّض ونفور النّفس ممّا يكره. وتشمّز وجهه: تقبّض وتمعّر. إشمأزّ

يشمئزّ إشمئزازاً ـ من باب افعلال بزيادة الهمزتين في الأوّل والوسط وتكرير اللاّم ـ: إنقبض واقشعرّ واجتمع بعضه إلى بعض. وقيل: ذُعِرَ من الشّي ء وهو مذعور. واشمأز الشّي ء: كرهه، ونظر كراهة وانقبض.

قال الله عزّوجلّ: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة» الزّمر: ٤٥) أي نفرت وانقبضت. والمشمئز: الكافر الكاره والمذعور.

وفي الحديث: «سيليكم أمرآء تقشعرّ منهم الجلود وتشمئزّ منهم القلوب» أي تتقبّض.

الشُمأزيزة ـ بالضّمّ ـ: إسم.

٢٥ ـ الزّمر ـ ٦٤٢

زمر الرّجل يزمر زَمْراً وزِماراً وزميراً وزَمَراناً ـ من بابي ضرب ونصر ـ: غنّى بالنّفخ في القصب ونحوه وهو زامر وهي زامرة. زَمَرَ الحديث بثّه وأذاعه وأفشاه، وزَمَرَ القربة: ملأها. وزَمَرَ النّعام: صوّت، والزِمار: صوت النّعام، والزِمارة: حرفة الزّمار.

الزُمْرَة: الفوج والجماعة في تفرقة من النّاس، أصلها من الزّمر وهو الصّوت، فإنّ الجماعة لا تخلو عن الصّوت، جمعها: الزُّمَر.

قال الله تعالى: «وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً ـ وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً» الزّمر: ٧١و٧٣) أى أفواجاً متفرّقة بعضها إثر بعض.

الزَّمْر والزَّمَر: الصّوت، جمعه: زُمُور. الزِّمر والزّمرة والزّمار: المغنّي بالقصب، والزّمارة: القصبة الّتي يزمّر فيها، وتسمّى الشّبابة. ومنه الحديث: «إنّ الله بعثني لأمحق المغارف والمزامير» وفي آخر: «أمرت بمحق المزامير».

المزمار: الآلة الّتي يُزَمّر فيها، جمعه مزامير كما أن المَزمُور والمُزمور: مايترنّم به من الأناشيد، جمعه: مزامير. مزامير داود عليه السّلام: ماكان يترنّم به من الأناشيد والأدعية وهو الّذي يقال له الزّبور الواحد منها: مِزمار ومُزْمور. ولسان المزمار: آلة الصّوت في الحنجرة، وهي جسم يشبه لسان المزمار الّذي يزمر به، فسميّت بإسمه.

الزَمّارة: السّاجور ومنه: «أتي الحجاج بسعيد بن جبير وفي عنقه زمّارة» وهي

السّاجور استعيرت للجامعة، وعمود بين حلقتي الغُلّ. وقد كتب الحجاج بن يوسف لعنة الله عليه إلى بعض عمّاله: «إبعث إليّ بفلان مزمّراً مسمّعاً» أي مسجوراً مقيّداً. المزمّر: المَسَوْجَر، والمسمّع: المقيّد. السّاجور: الّذي يجعل في عنق الكلب. والزّمارة: عمود بين حلقتي الغُلّ. وفي الخبر: «نهى عن كسب الزّمارة» أي الزّانية لأنّها تشيع أمرها وقيل: عن كسب المرأة المغنّية. والزّمارة: نبات يتداوى به. زَمّرَهُ: غنّى بالنّفخ في القصب ونحوه وزَمَّرَ القربة: ملأها.

زَمِرَ يَزْمَرُ زَمراً ـ من باب علم ـ: كان قليل الشّعر. وكان قليل المرؤة. وزَمِرتِ الشّاة: كانت قليلة الصّوف. عطيّة زَمِرَة: قليلة. الزُّمورة: قلّة المرؤة. الزّمير: القصير زَمَرَ فلاناً بفلان ـ من بابي ضرب ونصر ـ: أغراه به. والزُّمور والزّمير والزَّوْمَر: الغلام الجميل الوجه. والزِمِر: الصّلب الشّديد. والزّمير: الحسن من الرّجال. زَمَرَ الظّبي يزمر زَمَرَاناً ـ من باب يضرب ـ: نفر.

إزمأزّ ـ كإشمأزّ ـ: غضب فاحمرّت عيناه.

إستزمر الرّجل عند الهوان: تقبّض وتصاغر. المستزمِر: المنقبض المتصاغر.

الزِّمِرّ: الصّلب الشديد. والزِّمّير والزُّمّير: نوع من السّمك له شيوك ناتئ على ظهره وأكثر مايكون في المآء العذبة. وفي الحديث: «لا تأكل الزّمير» وفي آخر «أنهاكم عن أكل الزّمّير». الزّمّير ـ كسكّيت ـ: نوع من السّمك. وفي بعض الأحاديث: «الزّمار من المسوخ».

بنُو زُمَيْر: بطن. وزَمَيْر: إسم ناقة. وزِيمران وزمّارة: موضعان.

في المفردات: زُمَر جمع زمرة وهي الجماعة القليلة ومنه قيل: شاة زَمِرَة: قليلة الشّعر، ورجل زَمِرٌ: قليل المرؤة. والزمّارة كناية عن الفاجرة. يقال: قال فلان لرجل: يابن الزمّارة يعنى المغنّية.

﴿النّحو﴾

١ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)

في «تنـزيل» وجـوه: **أحدها ـ** مصـدر باب الـتّفـعيل بمعنى المفـعول، أضيف إلى «الكتـاب» من إضـافة الصّفة إلى موصـوفها، مبتـداء، و«من الله» متعلّـق بمحذوف وهو خبره أي تـنـزيل الكتـاب ثـابت من الله تعـالى لا مـن غيره كما تقول: صلابة بعض النّاس في الدّين من الأنبيآء عليهم السّلام أي أنّها لا تكون إلّا منهم. **ثانيها ـ** خبر لمحذوف، تقديره: هذا تنـزيـل. و«من الله» متعلّق بـ «تـنزيل» والمعنى: هذا كتاب منزّل مـن الله العـزيـز الحـكيم. وقيـل: «مـن الله» في موضع نصـب، لأنّـه يتـعلّق بـ «تنزيـل» وقـيـل: متعلّـق بمحذوف وهو الحال مـن «الـكتاب» عمـل فيـها معنى الإشارة وقيل: خبر بعـد خبر. **ثالثها ـ** «تـنـزيل» مفعـول لفعل محذوف بنآء على قراءة النّصـب، أي اتبعـوا تنزيل الكـتاب أو اقرؤوا تنزيـل الكتاب. وقال الـفرآء: نصبه على الإغرآء كقوله: «كتابَ الله عـليكم» أي ألزموا. و«العـزيز» نعت و«الحكيم» نعت ثان من «الله» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٢ ـ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين)

«إنّا» حرف مشبّـه بالفـعل وإسمه، و«أنـزلنا» فـعل ماضٍ للتّكلّـم مع الغير من بـاب الإفعال، في مـوضـع رفع، خبر لـ «إنّ» والجـمـلة المؤكّـدة مستـأنـفـة لا محلّ لها، و«إليك» متـعـلّق بـ «أنزلنـا» و«الكتـاب» مفعـول به وفي «بالحقّ» وجوه: **أحـدها ـ** متعلّق بـ «أنزلـنـا» والباء سببيـة والمعنى: أنزلناه بسبب كونـه حقّاً. **ثانيها ـ** مـتعلّق

بمحذوف وهو حال من فاعل «أنزلنا» أي أنزلناه إليك متلبّساً بالحقّ، فما فيه من الأمر بعبادة الله تعالى حقّ. فالباء للملابسة، وعلى هذا المعنى فرّع عليه قوله: «فاعبد...» والمعنى: فاذا كان بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين لأنّ فيه ذلك. فالفآء لترتيب مابعدها على ماقبلها. **ثالثها** ـ في موضع نصب، مفعول لـ«أنزلنا» أو نعت لـ«الكتاب» **رابعها** ـ في موضع نصب، على الحال تقديره: أنزلنا الكتاب محقّين أو محقّاً. فيكون «نا» ذاالحال أو الكتاب.

«فاعبد» الفاء عاطفة لربط المسبّب بالسّبب، و«اعبد» فعل أمر، و«الله» مفعول به، و«مخلصاً» حال من فاعل «أعبد» أي موحّداً لاتشرك به شيئاً، و«له» متعلّق بـ«مخلصاً» و«الدّين» مفعول به لـ«مخلصاً» والجملة معطوفة على مستأنفة مقدّرة لا محلّ لها أي تنبّه فاعبد.

٣ ـ ألا لله الدّين الخالص والّذين اتّخذوا من دون الله أوليآء مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيماهم فيه يختلفون إنّ الله لايهدي من هو كاذب كفّار)

«ألا» حرف تنبيه، و«لله» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، و«الدّين» مبتداء مؤخّر و«الخالص» نعت للدّين والجملة مستأنفة لامحلّ لها. الوا ومستأنفة وفي «الدّين» وجوه: أحدها ـ في موضع رفع، مبتدآء وخبره محذوف، وتقديره: والّذين يقولون مانعبدهم **ثانيها** ـ: مبتداء، وخبره «إنّ الله يحكم بينهم» ويكون «يقولون» المقدّر في موضع نصب، على الحال من ضمير «اتّخذوا...» تقدير: والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء قائلين مانعبدهم، وجملة «مانعبدهم» في موضع نصب بـ«يقولون» لأنّ الجمل تقع بعد القول محكيّة في موضع نصب، وقيل: «يقولون» المقدّر بدل، من الصّلة فلايكون له محلّ كالمبدل. **ثالثها** ـ من موضع رفع بفعل مضمر تقديره: «وقال الّذين اتّخذوا» هذا كلّه إن كان «الّذين» للكفّار والعآئد الواو، وأمّا لوكان للمعبودين: عيسى والملائكة والأصنام فالعائد محذوف أي اتّخذوهم، فالخبر «إنّ الله يحكم بينهم» وجملة القول حال أو بدل. «اتّخذوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب الإفتعال، صلة الموصول، و«من دون الله» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان،

و«أوليآء» جمع وليّ، مفعول بـه أوّل لـ «اتّخذوا» والجملة لا محلّ لها. و«ما» نافية، و«نعبـد» فـعل مضارع للتّـكلّم مع الغير، و«هـم» في مـوضع نصب، مفـعـول به، و«إلّا» حـرف حصـر، واللام في «ليقرّبـونـا» لـلتّعليـل، والـفـعل مضارع من باب الـتّفعيل، منصـوب بـ «أن» مضمرة بعد اللاّم، و«نا» في مـوضع نصب، مفعول به، و«إلى الله» مـتـعلّق بـ «يقرّبـونـا» و«زلفى» في موضع نصب على المصدر أو إسم أقيم مقام المصدر لأنّه مرادفه والتّقدير: «ليقرّبونا قربى» أي تقريباً، مفعول مطلق أو حال مؤكّدة، وجملة: «ليقرّبونا» لا محلّ لها.

و«يحكـم» في موضـع رفع، خبر لـ «إنّ» و«بينهـم» ظرف مـنصوب بـ «يحكم» و«فيما» متعلّق بـ «يحكم» والجملة المؤكّدة: «إنّ الله يحكم بينهم» مستأنفة لا محلّ لها و«ما» مـوصولة، و«هـم» مبـتداء و«فيـه» متعلّق بـ «يختلفون» فعـل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الا فتعال، خبر لـ «هم» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

«لايهدي» في مـوضـع رفع، خبر لـ «إنّ» و«مَن» مـوصـولة، في مـوضـع نصب، مفعـول به، والجـملة المؤكّدة مسـتأنفة لا محلّ لهـا، و«هو» مبتداء و«كـاذب» خبره و«كفّار» مبالغة، خبرثان أو نعت لـ «كاذب» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

٤ ـ (لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشآء سبحانه هو الله الواحد القهّار)

«لـو» حرف شرط غيرجازم، و«أراد» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و«الله» فاعله، و«أن» حرف ناصب، و«يتّخذ» فعل مضارع من باب الإفتعال، منصوب بـ «أن» فـاعله ضـمير مستترفيه، راجع إلى «الله» والمصدر المؤوّل في مـوضع نصب، مـفعول به، والـلاّم واقـعة في جواب «لـو» و«اصطفى» فـعـل ماضٍ من بـاب الإفـتعال، جواب الشّرط وجملـة الشّرط والجزآء لا محـلّ لهـا، و«ممّا» مـتـعـلّق بـ «اصطفى» و«من» تـبعيضـية و«مـا» موصولـة، و«يخلـق» صلتها والـعآئد محذوف أو متعـلّق بحال من الموصول الثّاني: «ما» في موضـع نصب، مفعول به، و«يشآء» صلة الموصول، والعائد محذوف، وجملتي الصّلتين والموصولتين لا محلّ لهما.

«سبحانـه» مفعـول مطلق، منصوب لفعـل محذوف أي نسبّح سبحانـه، والجملة

إعتراضيّة دعائية أو استئنافية بيانية لا محلّ لها، و«هو» مبتداء و«الله» خبره و«الواحد القهّار» نعتان لـ «الله» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٥ ـ (خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّىً ألا هو العزيز الغفّار)

«خلق» فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الله» و«السّموات» جمع السّماء مفعول بها، و«الأرض» عطف على «السّموات» و«بالحقّ» متعلّق بـ «خلق» أي محقاً فالباء سببية أو متعلّق بمحذوفٍ وهو الحال من الفاعل أو المفعول أي متلبّساً بالغاية الصّحيحة فالباء للملابسة،والجملة: «خلق...» مستأنفة بيانية لا محلّ لها أو في موضع رفع، خبرثان لـ «الله» أونعت له وفي «يكوّر» فعل مضارع من باب التّفعيل وجوه: **أحدها** ـ في موضع رفع، خبر ثالث لـ «الله» أو نعت له. **ثانيها** ـ في موضع نصب، حال من ضمير «خلق» **ثالثها** ـ مستأنف لا محلّ له، و«اللّيل» مفعول به، و«على النّهار» متعلّق بـ «يكوّر» و«يكوّر النّهار...» عطف على «يكوّر اللّيل».

«و» عاطفة و«سخّر» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، و«الشّمس» مفعول به، والجملة معطوفة على «يكوّر اللّيل» و«كلّ» مبتداء، وجه جواز الإبتداء بالنّكرة لدلالتها على العموم، فإنّ التّنوين عوض عن محذوف أي كلّ واحد منهما، و«يجري» في موضع رفع، خبره و«لأجلٍ» متعلّق بـ «يجري» و«مسمّىً» إسم مفعول، نعت لـ «أجل» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، ويجوز أن يكون في موضع نصب، حال من الشّمس والقمر، و«ألا» حرف تنبيه أي تنبّهوا فإنّي أنا العزيز الغفّار، و«هو» مبتداء و«العزيز» خبره و«الغفّار» نعت أو خبرثان، والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٦ ـ (خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون)

«خلق» فعل ماضٍ، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«من نفس»

متعلّق بـ «خلق» و«واحدة» صفة لـ «نفس» والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها أو خبر ثالث، أو نعت ثان لـ «الله» و«ثمّ» عاطفة تقتضي ثلاثة امور: ١ـ تشريك مابعدها لما قبلها في الحكم. ٢ـ التّرتيب ٣ـ المهلة. و«جعل» عطف على «خلقكم» و«منها» متعلّق بـ «جعل» بتضمينه معنى «خلق» أو متعلّق بمحذوفٍ، مفعول به ثان إذا كان من أفعال التّحويل، و«زوجها» مفعول به، والجملة معطوفة على «جعلكم» لا محلّ لها، و«لكم» متعلّق بـ «أنزل» و«من الأنعام» متعلّق بحال من «ثمانية أزواج» والجملة كالسّابقة معطوفة لا محلّ لها.

«في بطون» جمع بطن، اضيف إلى «امّهات» اضيفت إلى «كم» متعلّق بـ «يخلقكم» و«خلقاً» مفعول مطلق، منصوب، و«من بعد» اضيف إلى «خلق» متعلق بنعت لـ «خلقاً» أو متعلّق بـ «يخلقكم» و«في ظلمات» جمع ظلمة، بدل من «بطون» بإعادة الجار، فيتعلّق بـ «يخلقكم» أو متعلّق بـ «خلقٍ» المجرور قبله، و«ثلاث» نعت لـ «ظلمات» والجملة مستأنفة لا محلّ لها أو في موضع رفع، خبر رابع أو نعت ثالث لـ «الله» و«ذلكم» مبتداء و«الله» خبره أو عطف بيان، و«ربّكم» خبرثانٍ أو بدل من «الله» والجملة مستأنفة لا محلّ لها و«له» متعلّق بمحذوفٍ وهو خبر مقدّم، و«الملك» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، خبر ثالث، أو في موضع نصب، حال من «الله» والعامل فيه معنى الإشارة والتّقدير: ثابتاً له الملك.

«لا» نافية للجنس، و«إله» إسمها، و«إلّا» حرف إستثنآء، و«هو» ضمير منفصل بدل من الضّمير في الخبر المحذوف في موضع رفع، والجملة في موضع رفع، خبر رابع أو مستأنفة لا محلّ لها، أو في موضع نصب على الحال أي متوحّداً بالوحدانيّة، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«أنّى» إسم إستفهام في موضع نصب على المصدر أو على الظّرفية المكانيّة بمعنى كيف، حال من النّآئب الفاعل في «تصرفون» فعل مضارع مبنيّاً للمفعول، لجمع المذكّر المخاطب في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن كان هذا شأن الله فكيف تصرفون؟!

٧ ـ إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرةٌ وِزرَ أخرىٰ ثمّ إلىٰ ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصّدور

«إن» حرف شرط، و«تكفروا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجزوم بحرف الشّرط، على حذف نون الرّفع، والجملة الشّرطية مستأنفة لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب الشّرط و«غنيّ» خبر لـ«إنّ» و«عنكم» متعلّق بـ«غنيّ» والجملة في موضع جزم جواب الشّرط، ويجوز أن تكون الجملة تعليلاً للجواب المقدّر أي إن تكفروا يعذبكم لأنّ الله غنيّ عنكم، والواو عاطفة، و«لا» نافية، و«لعباده» متعلّق بـ«يرضى» و«الكفر» مفعول به، والجملة في موضع رفع، معطوفة على «غنيّ» والواو عاطفة و«تشكروا» نحو «تكفروا» والجملة معطوفة على «تكفروا» لا محلّ لها، و«يرضه» فعل مضارع، مجزوم بالشّرط على حذف اللاّم، والضّمير منصوب، مفعول به راجع إلى الشّكر الّذي يدلّ عليه قوله تعالى: «وإن تشكروا» كقوله عزّوجلّ: «إعدلوا هو أقرب للتّقوىٰ» المائدة:٨) و«لكم» متعلّق بـ«يرضه» والجملة جواب الشّرط لا محلّ لها.

الواو إستئنافية، و«لا» نافية، و«تزر» فعل مضارع، و«وازرة» فاعل الفعل، صفة نابت عن موصوف أي نفس وازرة، و«وزر» مفعول به، أضيف إلى «نفس» مقدّرة و«اخرىٰ» صفة للنّفس المقدّرة أي وزر نفس أُخرى والجملة مستأنفة لا محلّ لها أو معطوفة على الإستئنافيّة. «ثمّ» عاطفة، و«إلى ربّكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مرجعكم» مبتداء مؤخّر، والجملة معطوفة على المستأنفة الأخيرة لا محلّ لها، والفاء عاطفة، و«ينبّئكم» فعل مضارع من باب التّفعيل، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «ربّكم» و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«ما» حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل: «ما كنتم...» في موضع جرّ بالبآء، متعلّق بـ«ينبّئكم» والجملة معطوفة على الا سميّة الأخيرة لا محلّ لها.

ويجوز أن تكون «ما» موصولة، في موضع جرّ، والعآئد محذوف. و«تعملون» فعل

مضارع في موضع نصب، خبر لـ «كنتم» والجملة صلة الموصول الحرفي أو الإسمي لا محلّ لها، و«إنّه عليم...» تعليلية لا محلّ لها.

٨ ـ(وإذا مسّ الإنسان ضُرّدعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار)

الواو استئنافية، و«إذا» شرطيّة، و«مسّ» فعل ماضٍ من باب المضاعف نحو «برَّ» و«الإنسان» مفعول به، و«ضرّ» فاعل الفعل، والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، و«دعا» جواب الشّرط، و«ربّه» مفعول به، و«منيباً» حال من «الإنسان» و«إليه» متعلّق بـ «منيباً» والجملة جواب شرط غير جازم، وجملة الشّرط والجزآء مستأنفة لا محلّ لها.

«ثمّ» عاطفة، و«خوّله» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، وضمير المتّصل في موضع نصب، مفعول به، و«نعمة» مفعول به ثانٍ، وجملة الشّرط كالسّابقة، و«منه» متعلّق بـ «خوّل» أو بنعت لـ «نعمة» و«نسي» جواب شرط غير لازم لا محلّ لها، وجملة الشّرط والجزآء معطوفة على السّابقة، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، ويحتمل أن يكون «ما» بمعنى «مَن» و«يدعوا» في موضع نصب، خبر لـ «كان» و«إليه» متعلّق بـ «يدعوا» و«قبل» إسم ظرفيّ، مبنيّ على الضّمّ في موضع جرٍّ، متعلّق بـ «يدعوا» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

الواو عاطفة، و«جعل» فعل ماضٍ، و«لله» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ، و«أنداداً» جمع ندّ، مفعول به أوّل، والجملة معطوفة على «نسى» لا محلّ لها، واللاّم في «ليضلّ» للعاقبة والغرض أي لأنّهم لم يفعلوا ما فعلوه إلاّ وغرضهم إضلال النّاس عن سبيل الهدى والرّشاد ولكن كان عاقبتهم ذلك، وقيل: تعليلية، و«يضلّ» فعل مضارع، منصوب بأن مضمرة بعد اللاّم، و«عن سبيله» متعلّق بـ «يضلّ» والمصدر المؤوّل في موضع جرّ باللاّم، متعلّق بـ «جعل» والجملة لا محلّ لها.

«قل» فعل أمر، مستأنف لا محلّ له، و«تمتّع» فعل أمر من باب التّفعيل، و«بكفرك» متعلّق بـ«تمتّع» و«قليلاً» مفعول فيه، ظرف زمان، نائب عن الظّرف، أو هو مفعول مطلق، نائب عن المصدر فهو صفته، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«من أصحاب النّار» متعلّق بمحذوفٍ، وهو خبر لـ«إنّ» والجملة تعليلية لا محلّ لها.

٩ ـ (أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب)

في «أمن» وجوه: **أحدها** ـ أن تكون الهمزة للإستفهام بمعنى التّنبيه، فاضمر معادلاً للألف ـ هذا بنآء على قراءة التّخفيف ـ فحذف أحد شقّي التّرديد. تقديره: أهذا الّذي ذكرناه خير أم مَن هو قانت...؟ وقد دلّ على المحذوف قوله تعالى: «قل هل يستوي الّذين يعلمون...» **ثانيها** ـ أن تكون الهمزة للنّدآء. تقديره: يا مَن هو قانت أبْشرِ فإنّك من أهل الجنّة. لأنّ ماقبله يدلّ عليه وهو قوله تعالى: «إنّك من أصحاب النّار» وهذا بنآء على قراءة التّخفيف أيضاً. **ثالثها** ـ أن يكون «أم» للإضراب الإنتقالي بمعنى «بل» والهمزة الّتي للإستفهام الإنكاري، و«من» موصولة في موضع رفع، مبتداء حُذِفَ خبره. تقديره: بل أيكون الّذي هو قانت كمن هو عاصٍ.

رابعها ـ على قراءة تشديد الميم ـ دخل «أم» على «مَن» واضمر لها معادلاً أيضاً قبلها. والتّقدير: العاصون ربّهم خير أم من هو قانت؟ و«من» بمعنى الّذي وليس للإستفهام لأنّ «أم» لاتدخل على ما هو إستفهام لأنّها للإستفهام، ولا يدخل إستفهام على إستفهام، ودلّ على هذا الحذف حاجة «أم» إلى المعادلة، ودلّ عليه أيضا قوله تعالى: «قل هل يستوى الّذين يعلمون...».

«هو» مبتداء و«قانت» إسم فاعل، خبره والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، و«آنآء» جمع إنىً، أضيفت إلى «اللّيل» مفعول به لـ«قانت» و«ساجداً وقائماً» حالان من الضّمير في «قانت» أو من الضّمير في «يحذر» فعل مضارع، في موضع

نصب، حال أُخرىٰ من الضّمير في «قـانـت» و«الآخرة» مفعول به، و«يـرجـوا رحمة ربّـه» عطـف على «يحذر...» و«قل» فـعل أمر، مسـتـأنـفـة لا محلّ لها، و«هل» حرف إستفهام إنكـاري، و«يستـوي» فعل مضارع من بـاب الإفتـعال، و«الّذين» موصولة في مـوضـع رفع، فاعل «يسـتـوي» و«يعلمـون» صـلة الموصول، والجـمـلة في موضع نصب، مقوله القول، و«الّذين لا يعلمون» عـطف على ماقبلها لا محلّ لها.

«إنّما» كافّـة ومكـفوفـة، و«يـتذكّـر» فعـل مضارع من بـاب التّـفعّـل و«اولوا» اضيف إلى «الألباب» فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها.

١٠ ـ (قل يا عبادِ الّـذين آمنوا اتقّـوا ربّكم للّذيـن أحسنوا في هذه الدّنـيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب)

«قل» فعـل أمر، والجـمـلـة مستأنـفة لا محلّ لها، و«يـا» حرف ندآء، و«عـباد» مناد مضاف، مـنصوب، وعلامة النّصب، الـفتحة المقـدّرة على ماقبل اليآء المحذوفة للتّخفيف إتباعاً لقراءة الوصل، و«اليا» مضاف إليه، وجملة النّدآء وجوابه في موضع نصب، مقولة القول، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، نعت لـ «عباد» و«آمنوا» فـعل ماضٍ لجمع المـذكّـر الـغآئـب من بـاب الإفعـال، صـلة المـوصـول لا محـلّ لها، و«اتقّوا» فعل مـاضٍ لجمع المذكّر الـغائب من باب الإفـتعال، على تبديل الواو تآءً، و«ربّكم» مفعول به، والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها.

«لـلّذين» متعلّـق بمحذوف، خبر مقدّم، و«حسنة» مـبتداء مؤخّر، و«أحسنوا» صلـة لـلموصـول، و«في هـذه» متعـلّق بـ «أحسنـوا» على أنّ «حسـنة» هي الجـنّة، والجزآء في الآخرة أو متعـلّقة بـ «حسنة» على أنّ الحسنة مايُعطى العبد في الدّنيا ممّا يستـحبّ فيها. وقيل: هـي مـايـعطى من موالاة الله تعـالى إيّـاه ومحبّته له والجزآء في الدّنيا، والأوّل هو الصّحيـح لأنّ الدّنيا ليست بدار جزآءٍ. و«الدّنيا» بدل أو عطف بيان لـ «هذه» والجملة: «للذين أحسنوا... حسنة» مستأنفة بيانيه لا محلّ لها.

الواو عاطفة، و«أرض الله» مبتداء و«واسعة» خبره والجملة معطوفة على جواب النّدآءِ: «اتـقّوا ربّـكم» وتحـتمل الإسـتئناف فلامحـلّ لها، و«إنّما» كافّة ومكـفوفة،

و «يوفّى» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول من باب التّفعيل، و«الصّابرون» ناب مناب الفاعل، و«أجرهم» مفعول به، و«بغير حساب» متعلّق بحال من «أجرهم» فيفيد كثرة الأجر الّذي يوفونه أي موفراً. وقيل حال من «الصّابرون» أي هم غير محاسبين وقيل: «بغير حساب» متعلّق بـ «يوفّى» صفة لمصدر يدلّ عليه، والمعنى: لا يعطى الصّابرون أجرهم إلّا عطآءً بغير حساب. والجملة مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها.

١١ ـ (قل إنّي أُمرت أن أعبدالله مخلصاً له الدّين)

«قل» فعل أمر، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«أُمِرْت» فعل ماضٍ للتّكلّم وحده مبنيّ للمفعول في موضع رفع، خبر لحرف التّوكيد، والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقولة القول، و«أن» حرف مصدريّ ناصب، و«أعبد» فعل مضارع للتّكلّم وحده، منصوب بـ «أن» والمصدر المؤوّل: «أن أعبد» في موضع نصب، مفعول به، عامله: «أُمرتُ» و«الله» مفعول به، و«مخلصاً» إسم فاعل، حال من الضّمير في «أعبد» و«له» متعلّق بـ «مخلصاً» و«الدّين» مفعول به لـ «مخلصاً».

١٢ ـ (وأُمِرتُ لأن أكون أوّل المسلمين)

الواو عاطفة، و«أُمرت» في موضع رفع، معطوف على «أُمرت» الاولىٰ، وفي اللاّم وجوه: أحدها ـ للتّعليل. **ثانيها** ـ بمعنى الباء للتّعدية أي أُمرت بأن أكون أوّل من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره. ومآل الوجهين واحد بحسب المعنى، فإنّ كون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل المسلمين يعطي عنواناً لإسلامه، وعنوان الفعل يصحّ أن يجعل غاية للأمر بالفعل، وأن يجعل متعلّقاً للأمر، فيؤمر به، فيقال: إضربه للتّأديب ويقال: أدّبه بالضّرب. **ثالثها** ـ زائدة لتركها في قوله تعالى: «قل إنّي أُمرت أن أكون أوّل من أسلم» الأنعام: ١٤).

«أن أكون» مثل «أن أعبد» والمصدر المؤوّل: «أن أكون» في موضع جرّ باللاّم، متعلّق بـ «أُمرت» و«أوّل» أضيف إلى «المسلمين» خبر لـ «أكون».

١٣ ـ (قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم)

«أخاف» فعل مضارع للتكلّم وحده، في موضع رفع، خبر لحرف التّوكيد، والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقولة القول، و«إن» حرف شرط، و«عصيت» فعل ماضٍ للتكلّم وحده، مبنيّ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«ربّي» مفعول به لـ «عصيت» و«عذاب» أُضيف إلى «يوم» مفعول به لـ «أخاف» و«عظيم» صفة من «يوم» وجملة «عصيت...» إعتراضية لا محلّ لها. وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ماقبله.

١٤ـ (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

«الله» منصوب بـ «أعبد» والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«مخلصاً» حال إمّا من الضّمير في «قل» وإمّا من الضّمير في «أعبد» و«له» متعلّق بـ «مخلصاً» و«ديني» في موضع نصب، مفعول لـ «مخلصاً».

١٥ ـ (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)

الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«اعبدوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، والجملة في موضع رفع، خبر لمبتداءٍ محذوف أي أمّا أنتم فاعبدوا «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، أو نكرة موصوفة، و«شئتم» صلة الموصول على الأوّل والعآئد محذوف، ونعت لـ «ما» على الثّاني، و«من دونه» متعلّق بمحذوف وهو حال من العآئد المقدّر، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقولة القول، و«خسروا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«أنفسهم» مفعول به، و«أهليهم» عطف على «أنفسهم» و«يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ «خسروا» أُضيف إلى «القيامة» و«ألا» حرف تنبيه، و«ذلك» مبتداء، و«هو» ضمير فصل، أو مبتداء ،خبره: «الخسران» والجملة الإسمية خبر لـ «ذلك» و«المبين» نعت لـ «الخسران» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

١٦ - (لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتّقونِ)

«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«ظلل» جمع ظلّة، مبتداء مؤخّر، و«من فوقهم» متعلّق بمحذوف وهو حال من «ظلل» أي ظلل كائنة من فوقهم، ويجوز أن يكون متعلّقاً بالخبر المحذوف، و«من النّار» متعلّق بمحذوفٍ وهو نعت لـ «ظلل» و«من تحتهم» مثل «من فوقهم» و«ظلل» الثّاني معطوف على الأوّل، ويجوز أن يكون مبتداء مؤخّراً، خبره: «من تحتهم» فالعطف من عطف الجمل، والجملة مستأنفة بيانية أو تعليليّة لا محلّ لها، و«ذلك» في موضع رفع، مبتداء و«يخوّف» في موضع رفع، خبره، و«الله» فاعل الفعل، و«به» متعلّق بـ «يخوّف» و«عباده» مفعول به، والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، وقيل: زائدة للتّزيين، و«اتّقوا» فعل أمر لجمع المذّكر المخاطب، والنّون المكسورة للوقاية، وكسرها يدلّ على حذف ياء المتكلّم لمناسبة الفاصلة، وهي مفعول به، وجملة «اتّقونِ» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن خفتم النّار... وجملة الشّرط والجزآء جواب النّدآء لا محلّ لها.

١٧ - (والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرىٰ فبشّر عباد)

الواو إستئنافية، و«الّذين» موصولة، و«اجتنبوا» فعل ماضٍ من باب الإفتعال، صلة الموصول، و«الطّاغوت» مفعول به، وجملة الصّلة لا محلّ لها، و«أن» مصدريّة، و«يعبدوا» منصوب بـ «أن» على حذف نون الرّفع، و«ها» في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الطّاغوت» والمصدر المؤوّل: «أن يعبدوا» في موضع نصب، بدل إشتمال من «الطّاغوت» أي إجتنبوا عبادة الطّاغوت، و«إلى الله» متعلّق بـ «أنابوا» فعل ماضٍ من باب الإفعال، معطوف على «اجتنبوا» و«لهم» متعلّق بمحذوفٍ وهو خبر «الّذين» و«البشرىٰ» مرفوع بـ «لهم» لوقوعه خبراً للمبتداء، ويجوز أن يكون «البشرى» مبتداء مؤخّراً، والجملة: «لهم البشرى» في موضع رفع، خبر لـ «الّذين» وجملة الموصول والصلة مستأنفة لا محلّ لها.

«فبشّر» الفآء عاطفة لربط المسبّب بالسّبب، و«بشّر» فعل أمر، معطوف على مستأنف مقدّر أي تنبّه فبشّر و«عباد» مفعول به على حذف ياء المتكلّم، تدلّ عليها كسرة الدّال، والجملة لا محلّ لها.

١٨ ـ (الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب)

«الّذين» موصولة، في موضع نصب، نعت لـ«عباد» و«يستمعون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، و«القول» مفعول به، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، والفآء عاطفة، و«يتّبعون» من باب الإفتعال، معطوف على «يستمعون» و«أحسنه» مفعول به، و«اولئك» مبتداء، و«الّذين» في موضع رفع، خبره و«هداهم الله» صلة الموصول لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«اولئك» مبتداء، و«هم» ضمير فصل، و«اولوا الألباب» خبره، ويجوز أن يكون «هم» ضميراً منفصلاً، مبتداءً، خبره «اولوا...» والجملة الإسمّية خبر لـ«اولئك» والجملة معطوفة على «اولئك الّذين» لا محلّ لها.

١٩ ـ (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ مَن في النّار)

الهمزة للإستفهام الإنكاري وفي الفآء وجهان: أحدهما ـ عاطفة على محذوف يدلّ عليه سياق الكلام. تقديره: أأنت مالك أمرهم فمن حقّ... **ثانيها** ـ لمزيد الإنكار لا للعطف، فمجموع الآية شرطية. وفي «من» وجهان: **أحدهما** ـ إسم شرط جازم، في موضع رفع، مبتداء و«حقّ» فعل ماضٍ، و«عليه» متعلّق بـ«حقّ» و«كلمة العذاب» فاعل الفعل، الجملة في موضع رفع، خبر لـ«من» وقوله تعالى: «أفأنت...» جزآء الشّرط. تقديره: فلا تقدر على هدايته فتنقذه من النّار. **ثانيها** ـ إسم موصول، مجرّداً من الشّرط، مبتداء، خبره محذوف، تقديره: كمن هو ناج. وجملة «من حقّ...» مستأنفة لا محلّ لها أو معطوفة على استئناف مقدّر بالفآء أي أمَن كفر فمن حقّ عليه كلمة...

«أفأنت» الهمزة توكيد للاولى، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«أنت» مبتداء،

و«تنقذ» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب في موضع رفع، خبره، والجملة في موضع جزم جواب الشّرط مقترنة بالفآء، ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً، والجملة المذكورة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السّابقة، تقدير الجواب: فأنت تخلّصه، و«من» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «تنقذ» و«في النّار» متعلّق بمحذوفٍ وهو صلة «من».

٢٠ ـ (لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعدالله لايُخلف الله الميعاد)

«لكن» حرف إستدراك مهمل، وفيه معنى الإضراب، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«اتّقوا» صلتها لامحلّ لها و«ربّهم» مفعول به، و«لهم» متعلّق بمحذوفٍ، خبر مقدّم، و«غرف» جمع غرفة، مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، خبر لـ «الّذين» والجملة: المبتداء والخبر مستأنفة لا محلّ لها، و«من فوقها» متعلّق بمحذوفٍ، خبر مقدّم، و«غرف» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، نعت لـ «غرف» الأوّل، و«مبنيّة» إسم مفعول من بنى الثّلاثي، وفيه إعلال بالقلب، أصله مَبْنُويٌ ـ بضمّ النّون وسكون الواو نحو مَرْمُويٌ ـ إجتمعت الواو والياء الاولى ساكنة، قلبت الواو يآءً فادغمت مع اليآء الثّانية، ثمّ كسر ماقبل اليآء للمناسبة، صفة لـ «غرف» و«من تحتها» بحذف مضاف أي من تحت عرصاتها، متعلّق بـ «تجري» أو متعلّق بحال من «الأنهار» جمع النّهر، فاعل الفعل، والجملة في موضع رفع، نعت لـ «غرف» في الموضعين أو في موضع نصب، حال منها، و«وعدالله» مفعول مطلق، قآئم مقام فعله أي وعدهم الله ذلك وعداً، والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

«لا» حرف نفي، و«يخلق» فعل مضارع من باب الإفعال، و«الله» فاعله، و«الميعاد» مفعول به، والجملة تعليلية أو مستأنفة بيانية لا محلّ لها.

٢١ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لأولى الألباب)

الهمزة للإستفهام التّقريري، و«لم» حرف جحد و«تر» فعل مضارع، مجزوم بحرف الجحد على حذف اللاّم، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«أنزل» في موضع رفع، خبر لـ «أنّ» والمصدر المؤوّل: «أنّ الله أنزل...» في موضع نصب، سدّ مسدّ مفعولى «ترى» و«من السّمآء» متعلّق بـ «أنزل» و«مآءً» مفعول به، والفآء في الموضعين عاطفة، و«سلكه» معطوف على «أنزل» والضّمير في موضع نصب، مفعول به، و«ينابيع» جمع ينبوع من صيغ منتهى الجموع مفعول به ثان لتضمين «سلكه» معنى جعله أو منصوب على الظّرفية إذا كان بمعنى الموضع الّذي يخرج منه المآء كالعيون والآبار لا بمعنى المآء النّابع من الأرض و«في الأرض» متعلّق بمحذوفٍ وهو نعت لـ «ينابيع» و«ثمّ» في المواضع الثّلاثة عاطفة و«يخرج» فعل مضارع من باب الإفعال، و«به» البآء سببيّة، متعلّق بـ «يخرج» في موضع رفع، معطوف على «سلكه» و«زرعاً» مفعول به، و«مختلفاً» نعت لـ «زرعاً» و«ألوانه» جمع لون، فاعل لـ «مختلفاً».

«يهيج» عطف على «يخرج» و«فتراه» معطوف على «يهيج» و«مصفرّاً» إسم مفعول نحو محمّراً ـ من باب إصفرار ـ مفعول به ثان، و«يجعله» عطف «يهيج» و«حطاماً» إسم بمعنى الفتات، مفعول به ثان، و«في ذلك» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «إنّ» واللام لام الإبتداء للتّوكيد، و«ذكرىٰ» إسم «إنّ» و«لأولي» أضيف إلى «الألباب» جمع اللّبّ، متعلّق بالمصدر: «ذكرى» والجملة المؤكّدة مستأنفة بيانية لا محلّ لها.

٢٢ ـ (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين)

الهمزة للإستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة، و«من» إسم شرط، جازم مبتداء و«شرح الله» في موضع رفع، خبر لـ «من» والجملة معطوفة على استئناف مقدّر

لـلتّعليل لا محلّ لها أي أمن أسلم فمن شرح الله... ويجوز أن يكون «مَن» موصولة فلا محلّ لـ «شرح الله» وخبر المبتداء محذوف أي كمن طبع الله قلبه، يدلّ عليه قوله: «فويل للقاسية قلوبهم» أي لا يستويان، و«صدره» مفعول به، و«للإسلام» متعلّق بـ «شرح» الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«هو» مبتداء و«على نور» متعلّق بمحذوف وهو خبره و«من ربّه» متعلّق بمحذوفٍ وهو نعت لـ «نور» والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة بالفآء على جملة الصّلة.

«فويل» الفآء إستئنافية، و«ويل» مبتداء لكونه دالاً على الدّعآءِ، و«للقاسية» متعلّق بـ «قلوبهم» وهوالخبر، و«من ذكر الله» متعلّق بـ «للقاسية» و«من» بمعنى «عن» والجار للسببيّة والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«اولئك» مبتداء و«في ضلال» متعلّق بمحذوفٍ، خبره و«مبين» نعت لـ «ضلال» والجملة مستأنفة بيانية أو تعليلية لا محلّ لها.

٢٣ ـ (الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشآء ومن يضلل الله فماله من هاد)

«الله» مبتداء و«نزّل» في موضع رفع، خبره، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«أحسن» أفعل تفضيل اضيف إلى «الحديث» مفعول به، و«كتاباً» بدل من «أحسن» أو حال منه، و«متشابهاً» نعت لـ «كتاباً» و«مثاني» جمع مثنى، نعت ثان لـ «كتاباً» أو منصوب على التّميز من «متشابهاً» كقولك: «رأيت رجلاً حسناً شمآئل» و«تقشعرّ» فعل مضارع من باب إفعلال، في موضع رفع، نعت ثالث لـ «كتاباً» ويجوز أن يكون في موضع نصب، حال من «كتاباً» لأنّه وصف، و«منه» متعلّق بـ «تقشعرّ» و«جلود» جمع جلد، أضيف إلى «الّذين» فاعل لـ «تقشعرّ» و«يخشون» صلة الموصول لا محلّ لها، و«ربّهم» مفعول به.

«ثمّ» عاطفة و«تلين جلودهم» معطوف على «تقشعرّ» و«قلوبهم» معطوف على «جلودهم» و«إلى ذكر الله» متعلّق بـ «تلين» لتضمّنه معنى السّكون والطّمأنينة،

ولـذلك عدّى بـ «إلى» أو مـعطوفة على جملـة الصّلة فـلا محلّ لها، و«ذلـك» مبتداء، و«هدى الله» خبره والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«يهدى» في مـوضع نصب، حال من «هـدى» والـعامـل فيها مـعنى الإشارة: «ذلك» و«بـه» مـتـعلّق بـ «يهدى» و«مَن» موصولة في موضع نصـب، مفعول بـه، و«يشآء» صلة الموصول لا محلّ لها، والـواو عاطفة، و«مَن» إسم شـرط جازم في موضع نصب، مفعـول به مقدّم، عامله: «يضـلل» والفآء رابطة لجـواب الشّرط، والجملة مـعطـوفة على «ذلك هدى الله» لا محلّ لها، و«ما» نافية مـهملة و«له» متعـلّق بخبر مقدّم، و«هاد» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط، مقترنة بالفآء.

۲٤ ـ (أفمن يتّقي الله بـوجهه سوء الـعذاب يـوم القيامة وقيـل لـلظّـالمين ذوقوا ماكنتم تكسبون)

الإستفهـام لـلإنكار، والفآء عـاطـفة، و«من» موصـولـة، في موضع رفع، مبـتداء خبره محذوف، تقديره: كـمن هو في أمن منه تعـالى أو كمن ينعم في الجنـة، والجملة معطوفة على مستـأنف مقدّر على أكل النّاس سوآء! فمن يتّقي... و«بـوجهه» متعلّق بـ «يتّقي» و«سوء العذاب» مفعول به، و«يوم القيامة» متعلّق بـ «يتّقي».

«وقيل» الـواو حالـية، و«قيل» فعـل ماضٍ مبنيّ لـلمفعول، في مـوضع نصب، بـتقدير «قـد» على الحال، أو مـعطـوفة على «يتّقي» فـلا محلّ لها أي يـقـال للظّالمين، وصيغة الماضى للدّلالة على التّحقق والوصول، و«ذوقـوا» فعل أمر، في موضع رفع، نائب الفاعـل، لأنّ الجملة مقولة القول في الأصل، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول بـه، على حـذف مضـاف أي جـزآء «ماكنتم» ويجوز أن يكـون «مـا» حـرفاً مصدرياً، والمصـدر المؤوّل، مـفـعول به، حذف مضـاف، و«تـكسـبـون» في مـوضع نصب، خبر لـ «كنتم» وجملة: «كنتم تكسبون» بنآءً على الأوّل صلة الموصول لا محلّ لها.

۲٥ ـ (كذّب الّذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

«كذّب» فـعل مـاضٍ من باب الـتّفـعيل، و«الّذين» مـوصولـة، في موضع رفع،

فـاعل الفعل، والجمـلـة مستأنفة لا محلّ لهـا، و«مـن قبلهم» متـعلّق بمحذوف، صلة الـمـوصـول لا محلّ لها، والـفـآء عـاطفة، و«أتى» فعـل مـاضٍ، معطوف على «كذّب» و«هم» في موضع نصب، مفعـول به، و«العذاب» فاعله، و«من حيث» مبنيّ على الضّـمّ، في موضع جرّ بـ «مـن» متعـلّق بـ «أتاهم» و«لا» نـافية، و«يشـعرون» فعل مضارع في موضع جرّ بإضافة «حيث» إلى الجملة.

٢٦ ـ (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

الـفآء عـاطـفة، و«أذاق» فـعـل مـاضٍ مـن باب الإفـعـال، و«هـم» في موضع نصب، مـفعول به أوّل، و«الله» فاعـل الفـعل، و«الخزي» مفعـول به ثانٍ، والجملة معطوفة على «أتـاهم» لا محلّ لهـا، و«في الحياة» متـعلّق بـ «أذاقـهم» أو بمحذوف، حال من المفعـول، و«الدّنيا» نعت لـ «الحياة» والواو إستئنافية، واللاّم لام الإبتداء للتّوكيد، و«عذاب» أضيف إلى «الآخرة» مبتداء و«أكبر» خبره، والجملة مستأنفة لا محـلّ لهـا، و«لـو» حـرف شـرط غير جازم، و«يـعـلـمـون» في مـوضع نصب، خبر لـ «كانوا» والجملة مستـأنفة لا محلّ لها، ويجوز أن تكـون حالاً من الضّمير المفعول في «أذاقهم» وجواب الشّرط محذوف، تقديره: لما كذّبوا رسلهم في الدّنيا.

٢٧ ـ (ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون)

الواو إستئنـافية، واللاّم للقسم المقدّر أي اقسم بالله انا ضربنا... و«قد» حرف تحقيق، و«ضـربـنا» فعل ماضٍ لـلتّكلّم مـع الغير، و«للنّاس» مـتعلّق بـ «ضربـنا» و«في هذا» متـعلّق بـ «ضـربـنا» و«القـرآن» بدل من «ذا» أو عطف بـيان عليـه، والجملة جواب الـقسم، وجملة القسـم المقدّرة مستأنفة لا محلّ لها، و«من كلّ» اضيف إلى «مثل» متعلّق بـ «ضـربنا» و«لـعلّ» حرف ترجّـى، و«هم» في موضـع نصب، إسمها، و«يتذكّرون» فـعل مضارع من باب التّفعّل في موضع رفع، خبرها، والجملة: «لعلّهم يتذكّرون» مستأنفة بيانيّة أو تعليليّة لا محلّ لها.

٢٨ ـ (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون)

في «قرآناً» وجوه: **أحـدهـا** ـ منصوبة توطـئة للحال: «عـربياً» كقولـك: مررت

بزيد رجلاً صالحاً. فرجلاً منصوب توطئة للحال: «صالحاً» **ثانيها** ـ حال من «القرآن» موطئةوالحال في المعنى. **ثالثها** ـ حال مؤكّدة للفظ «القرآن» الّذي سوّغ صحّة مجيئ الحال جامدة أنّها موصوفة، فهي موطّئة للحال الّتي هي «عربياً» من حيث المعنى. **رابعها** ـ مفعول به لـ «يتذكّرون» **خامسها** ـ منصوبٌ على المدح أي أمدح أو أخصّ ونحو. **سادسها** ـ حال معتمد على الوصف: «عربياً».

وفي «عربياً» وجوه: **أحدها**: نعت لـ «قرآناً» **ثانيها** ـ حال من «قرآناً» أي في حال عروبيته. **ثالثها** ـ مفعول به لـ«يتذكّرون»و«غير» نعت ثانٍ لـ «قرآناً» أو حال منه. أضيف إلى «ذي» اضيف إلى «عوج» و«يتّقون» في موضع رفع، خبر لـ «لعلّ» والجملة: «لعلّهم يتّقون» مستأنفة بيانية أو تعليليّة لجعل القرآن عربياً لا محلّ لها.

٢٩ ـ (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلَماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

«ضرب» فعل ماضٍ، و«الله» فاعله، و«مثلاً»، مفعول به، و«رجلاً» بدل من «مثلاً» على تقدير المضاف أي مثل رجل، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«فيه» متعلّق بمحذوف خبر مقدّم، و«شركاء» مبتداء مؤخّر، و«متشاكسون» جمع متشاكس، إسم فاعل، من باب التّفاعل، نعت لـ «شركاء» والجملة نعت لـ «رجلاً» ويجوز أن يكون «فيه» متعلّقاً بـ «شركآء» خبر مقدّم، و«متشاكسون» مبتداء مؤخّر، والجملة نعت لـ «رجلاً» والواو عاطفة، و«رجلاً» معطوف على «رجلاً» الأوّل و«سلماً» نعت لـ «رجلاً» الثّاني أي مثل رجل سالم.

«لرجل» متعلّق بـ «سلماً» و«هل» حرف إستفهام، و«يستويان» فعل مضارع لتثنية المذكّر من باب الإفتعال، و«مثلاً» تمييز لفاعل «يستويان» واقتصر على الواحد لبيان الجنس، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«الحمد» مبتداء و«لله» متعلّق بمحذوف، خبره والجملة إعتراضيّة دعائية لا محلّ لها، و«بل» للإضراب الإنتقالي، و«أكثرهم» مبتداء و«لا يعلمون» في موضع رفع، خبره والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٣٠ ـ (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)

«ميّت» خبر لحرف التّوكيد، والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«ميّتون» جمع ميّت، خبر لحرف التّوكيد، والجملة معطوفة على ماقبلها.

٣١ ـ (ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون)

«ثمّ» عاطفة، و«يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ «تختصمون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، في موضع رفع، خبر لحرف التّوكيد، و«عند» ظرف منصوب، اضيف إلى «ربّكم» متعلّق بـ «تختصمون» والجملة المؤكّدة معطوفة على جملة: «إنّهم ميّتون».

٣٢ ـ (فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوى للكافرين)

الفآء إستئنافية، و«مَن» إستفهاميّة، مبتداء، و«أظلم» أفعل تفضيل، خبره، و«ممّن» متعلّق بـ «أظلم» و«مَن» موصولة، و«كذّب» صلة الموصول، و«على الله» متعلّق بـ «كذّب» والواو عاطفة، و«كذّب» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، معطوف على «كذّب» و«بالصّدق» متعلّق بـ «كذّب» و«إذ» ظرف للزّمن الماضي، في موضع نصب، متعلّق بـ «كذّب» أضيف إلى «جآءه» والهمزة إستفهاميّة و«ليس» فعل ناقص، و«في جهنّم» متعلّق بمحذوفٍ، خبر لـ «ليس» و«مثوى» إسم مكان، إسم لـ «ليس» و«للكافرين» متعلّق بـ «مثوى» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٣٣ ـ (والّذي جآء بالصّدق وصدّق به أولئك هم المتّقون)

الواو إستئنافية، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«جآء» صلة الموصول، و«بالصّدق» متعلّق بـ «جآء» وهو نعت لمنعوت محذوف أي جآء بالكلام الصّادق، أو متعلّق بحال من فاعل «جآء» وجلمة الموصول وصلتها مستأنفة لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«صدّق» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، و«به» متعلّق بـ «صدّق» والجملة معطوفة على جملة: «جآء...» لا محلّ لها، و«اولئك» مبتداء

و«هم» مبتداء ثان، و«المتقون» خبره، والجملة خبر لـ «اولئك» والجملة الكبيرة خبر لـ «الّذي» لأنّه بمعنى الجمع لكون خبره جمعاً، ويجوز أن يكون جملة: اولئک هم المتقون» حال من فاعل «جآء» وجملة: «لهم مايشآؤن» خبر لـ «الّذي».

٣٤ ـ (لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك جزآؤ المحسنين)

«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«ما» موصولة، مبتداء مؤخّر، و«يشآؤن» صلة الموصول، بحذف العائد أي يشاؤنه، والجملة: «لهم مايشاؤن» في موضع رفع، خبر ثان لـ «اولئك» و«عند» ظرف منصوب، متعلّق بحال من العائد المحذوف، أو من فاعل «يشآؤن» و«ذلك» مبتداء إشارة إلى ما يريدون، والجملة تعليليّة لا محلّ لها.

٣٥ ـ (ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون)

في اللاّم وجوه: **أحدها** ـ لام العاقبة، و«يكفّر» فعل مضارع من باب التّفعيل، منصوب بأن مضمرة بعد اللاّم، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ، متعلّق بمحذوفٍ تقديره: يسّرلهم ذلك ليكفّر.. أو تقديره: جزاؤهم وإكرامهم لأجل ذلك. **ثانيها** ـ متعلّق بـ «المحسنين» كأنّه قيل: الّذين أحسنوا للتّكفير. **ثالثها** ـ متعلّق بـ «يشاؤن» **رابعها** ـ اللاّم للقسم تقديره: والله ليكفّرن، فحذفت النّون وكسرت اللاّم.

«الله» فاعل الفعل، و«عنهم» متعلّق بـ «يكفّر» و«أسوأ» أفعل تفضيل، اضيف إلى «الّذي» و«عملوا» صلة الموصول، والواو عاطفة، و«يجزيهم» معطوف على «يكفّر» و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«أجرهم» مفعول به ثانٍ، و«بأحسن» الباء للمقابلة نحو: «بعت هذا بهذا» متعلّق بـ «يجزيهم» و«يعملون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، والعائد محذوف أي يعملونه.

٣٦ ـ (أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ومَن يضلل الله فما له من هاد)

الهمزة للإستفهام التقريري، و«بكاف» خبر لـ «ليس» بزيادة البآء، حذفت اليآء من «كاف» لسكونها، وسكون التّنوين بعدها، وكان الأصل ألاّ تحذف في

الوقف لزوال التّنوين، إلاّ أنّها حذفت ليعلم أنّها كذلك في الوصل، و«عبده» مفعول به لـ «كاف» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والواو إستئنافية في الموضعين، و«يخوّفون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب التّفعيل وضمير الخطاب: «ك» مفعول به، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«بالّذين» متعلّق بـ «يخوّفونك» و«من دونه» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و«من» إسم شرط جازم، في موضع نصب، مفعول به مقدّم، و«يضلل» حرّك بالكسر لإلتقآء السّاكنين، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«ما» نافية مهملة، أو عاملة عمل ليس، و«من هاد» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «ما» والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء.

٣٧ ـ (ومن يهد الله فما له من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام)

الواو عاطفة، و«مَن» إسم شرط جازم في موضع نصب، مفعول به، مقدّم، و«يهد» فعل الشّرط، مجزوم بحذف اللاّم، و«الله» فاعله، والجملة معطوفة على «من يضلل...» والإستفهام تقريري، و«بعزيز» خبر لـ «ليس» بزيادة البآء، و«ذي انتقام» نعت لـ «عزيز» والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٣٨ ـ (ولئن سئلتهم مَن خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون)

الواو إستئنافية، واللاّم موطئة للقسم، و«إن» حرف شرط، و«سئلت» مبنيّ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة الشّرطية مستأنفة لا محلّ لها، وفي «مَن» وجهان: **أحدهما** ـ إسم إستفهام، مبتداء و«خلق» في موضع رفع، خبره والجملة في موضع نصب، مفعول به لفعل السّئوال المعلّق بالإستفهام بتقدير حرف الجرّ. ثانيها ـ إسم موصول في موضع نصب، على نزع الخافض أي عمّن خلق، و«السّموات» مفعول به، و«الأرض» معطوف على «السّموات» واللام للقسم، و«يقولنّ» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مؤكّد

بنون الثّقيلة على حذف واو الجمع ونون الرّفع، و«الله» مبتداء، خبره محذوف، أي خالقهنّ وجملة: «يقولنّ...» جواب القسم لا محلّ لها، وجواب الشّرط محذوف، دلّ عليه جواب القسم، وجملة: «الله ـ خالقهنّ» في موضع نصب، مقولة القول.

«قل» مستأنفة كالسّابقة لا محلّ لها، والهمزة إستفهاميّة، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«رأيتم» في موضع جزم، جواب الشّرط أي إن أراد الله ضرّي أو نفعي فأخبروني هل يمنعن ضرّي أو يحجبن نفعي، وجملة الشّرط وفعله وجوابه مقولة القول أو لا محلّ لها إذا كانت جواب شرط غير جازم أي: إذا كان ثمّة إله سواه فأخبروني هل يمنع ضرّاً أراده الله أو يحجب نفعاً قدّره الله.

«ما» إسم موصول في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«تدعون» صلة الموصول لا محلّ لها، و«من دون الله» متعلّق بحال من العآئد المقدّر أي تدعونه، و«إن» شرطية، و«أراد» فعل ماضٍ من باب الإفعال، والنّون للوقاية واليآء للتّكلّم وحده و«الله» فاعل الفعل، و«بضرّ» متعلّق بـ«أراد» والجملة إعتراضيّة لا محلّ لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ماقبله، و«هل» حرف إستفهام، و«هنّ» مبتداء و«كاشفات» جمع كاشفة، خبر المبتداء اضيف إلى «ضرّه» بنيّة الإنفصال والجملة في موضع نصب، مفعول به ثان لـ«رأيتم».

«أو» عاطفة و«أرادني» معطوف بـ«أرادني» و«برحمة» متعلّق بـ«أرادني» الثّاني، و«هل هنّ ممسكات رحمته» في موضع نصب، معطوفة على «هل هنّ كاشفات ضرّه» و«قل» مستأنفة لا محلّ لها، و«حسبي» خبر مقدّم، و«الله» مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«عليه» متعلّق بـ«يتوكّل» فعل مضارع من باب التفعّل، و«المتوكلون» جمع متوكل، إسم فاعل، فاعل الفعل، والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٣٩ ـ (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون)

«قل» مستأنفة لا محلّ لها، و«يا» حرف ندآءٍ و«قوم» منادى مضاف، منصوب على حذف ياء المتكلّم تخفيفاً، وجملة «ياقوم...» في موضع نصب، مقولة

القـول و«اعملوا» فعـل امر لجمع المذكّر المخاطـب، جواب النّداء لا محلّ لها، و«على مكانتكـم» متعلّق بحال من فاعل «إعملوا» و«عامل» خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لا محلّ لها، والفاء تعليلية، و«سـوف» حرف تسويف، و«تعلمون» تعليل لأمر العمل لا محلّ لها.

٤٠ ـ (مَن يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم)

في «مـن» وجهـان: **أحدهما** ـ إسـم موصـول، في مـوضـع نصـب، مـفـعـول به لـ «تعلمون» و«يـأتيه» صلة الـموصول، و«عذاب» فاعل «يـأتي» **ثانيها** ـ إستفهاميّة لظهور العلم فيا يتـعلّق بالجملة لا بالمفرد، و«يخزيه» فعل مضارع، من باب الإفعال، في موضع رفع، نعت، لـ «عذاب» وضمير الوصل في موضع نصـب مفعول به، والواو عـاطفة، و«يحـلّ» معطوف على «يخزيـه» و«عليـه» متعـلّق بـ «يحلّ» و«عذاب» فـاعـل لـ «يحلّ» و«مـقيم» إسـم فـاعـل مـن بـاب الإفعـال، أصـله: مُـقـوِمٌ، نـعت لـ «عذاب».

٤١ ـ (إنّا أنزلنا عـليك الكتـاب للنّاس بالحـقّ فمن اهتدى فلـنفسه ومن ضلّ فـانّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل)

«أنـزلـنا» في مـوضـع رفع، خبر لـ «إن» والجـمـلة المؤكّـدة مسـتأنـفـة لا محلّ لها، و«عليك » متعلّق بـ «أنزلنا» و«الكتاب» مفعول به، و«للنّاس» اللاّم تعليلية أي لأجل الـنّاس متـعلّق بـ «أنزلنـا» و«بالحـقّ» البـاء لـلملابسة أي ملابسـاً للحقّ لا يشوبه باطل، متعـلّق بحال من فاعل «أنزلـنا» أو من مفعوله، والفآء عاطفة و«من» إسم شرط في مـوضع رفع، مبـتدآء و«اهتدى» في موضع رفع، خـبره ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآء معـاً، والفآء رابطة لجواب الشّرط في الـموضعين و«لنفسه» متعلّتق بمحـذوف وهو خبر لمبتداء محذوف تقـديره: إهتداؤه لنفسه، والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء.

الواو عاطفة، و«من ضلّ» معطوف على «من اهتدى» و«إنّما» كافة ومكفوفة، و«عليهـا» متعلّق بحـال من فاعل «يضلّ» وجملة «إنّما يضـلّ عليها» في موضع جزم،

جواب الشّرط مقترنة بالفآء والواو استئنافية، و«ما» نافية عاملة عمل ليس، و«أنت» إسمها، و«عليهم» متعلّق بـ«وكيل» مجرور لفظاً، منصوب محلاً، خبر لـ«ما» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، ويجوز أن تكون معطوفة بالواو على جملة: «إنّما يضلّ عليها» في موضع جزم.

٤٢ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تَمت في منامها فيمسك الّتي قضي عليها الموت ويُرسل الاخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

«الله» مبتداء و«يتوفّى» فعل مضارع من باب التفعّل، في موضع رفع، خبر المبتدا، وجملة المبتداء والخبر مستأنفة لا محلّ لها، و«الأنفس» جمع النّفس مفعول به، و«حين» ظرف منصوب، متعلّق بـ«يتوفّى» أضيف إلى «موتها» والواو عاطفة، و«الّتي» موصولة في موضع نصب، معطوف على «الأنفس» و«لم تمت» صلة الموصول لا محلّ لها، و«في منامها» متعلّق بحال من فاعل «لم تمت» أو متعلّق بـ«يتوفّى» والفآء عاطفة و«يمسك» معطوف على «يتوفّى» و«الّتي» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«قضى» صلة الموصول و«عليها» متعلّق بـ«قضى» والموت مفعول به لـ«قضى».

الواو عاطفة و«يرسل» معطوف على «يمسك» و«الأخرى» مفعول به أي الأنفس الأُخرىٰ وهي الّتي لم يقبض عليها الموت، فحذف الموصوف، واقيمت الصّفة مقامه، و«إلى أجل» في موضع نصب، متعلّق بـ«يرسل» و«مسمّى» إسم مفعول، نعت لـ«أجل» و«إنّ» حرف توكيد، و«في ذلك» متعلّق بمحذوف، خبر لـ«إنّ» واللاّم لام الإبتداء للتّوكيد، و«آيات» جمع آية إسم لـ«إنّ» و«لقوم» متعلّق بمحذوف، وهو نعت لـ«آيات» والجملة المؤكّدة تعليلية لا محلّ لها، و«يتفكّرون» فعل مضارع من باب التّفعّل، في موضع جرّ، نعت لـ«قوم».

٤٣ ـ (أم اتّخذوا من دون الله شفعآء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

«أم» منقطعة بمعنى بل، و«اتّخذوا» فعل ماض من باب الإفتعال، و«من دون» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ، أضيف إلى «الله» و«شفعآء» مفعول به أوّل،

والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«قل» مستأنفة لا محلّ لها، ومقول القول محذوف أي أيشفعون ولو كانوا بحيث لا يملكون...

الهمزة إستفهاميّة، والواو حالية، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«لا يملكون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» وجملة «لو كانوا...» في موضع نصب، حال من فاعل الفعل المقدّر وجواب الشّرط محذوف يفسّره ماقبله، و«شيئاً» مفعول به أي شيئاً من الشّفاعة وغيرها، والواو عاطفة و«لا يعقلون» في موضع نصب، معطوف على «لا يملكون».

٤٤ ـ (قل لِلّٰه الشّفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون)

«قل» مستأنفة لا محلّ لها، و«لله» متعلّق بخبر مقدّم، و«الشّفاعة» مبتداء مؤخّر والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«جميعاً» حال من «الشّفاعة» لأنّ الشّفاعة على أنواع مختلفة أو لأنّها صادرة من شفعآء مختلفين، أو لأنّ الشّفاعة مصدر يدلّ على القليل والكثر، فحمل «جميعاً» على المعنى، و«له» اللاّم للملك متعلّق بمحذوف: خبر مقدّم، و«ملك» مبتداء مؤخّر، اضيف إلى «السّموات» والجملة مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها، و«ثمّ» عاطفة و«إليه» متعلّق بـ «ترجعون» والجملة معطوفة على جملة «له ملك...».

٤٥ ـ (وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون)

الواو إستئنافية، و«ذكر» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول، في موضع جرّ بإضافة «إذا» إليه و«الله» ناب مناب الفاعل و«وحده» منصوب على المصدر أي إيحاداً، ويجوز أن يكون حالاً من «الله» أي موحداً، و«اشمأزّت» فعل ماضٍ من باب إفعلّلال و«قلوب» فاعل الفعل، أضيف إلى «الّذين» والجملة جواب شرط غير جازم، و«لا يؤمنون» صلة الموصول لا محلّ لها، و«بالآخرة» متعلّق بـ «لا يؤمنون» والواو عاطفة، و«إذا ذكر الّذين» معطوف على «إذا ذكر الله وحده» و«الّذين» ناب مناب الفاعل، و«من دونه» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، و«إذا» حرف فجأة

و«هم» مبتداء و«يستبشرون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإستفعال، في موضع رفع، خبر لـ«هم» والجملة: «هم يستبشرون» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

٤٦ ـ (قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

«أللّهمّ» منادى مفرد، عَلَمٌ مبنيّ على الضّمّ في موضع نصب، والميم المشدّدة عوض عن يآء النّداء المحذوفة،وجملة النّدآء في موضع نصب، مقولة القول، و«فاطر» نعت لـ«الله» منصوب لأنّه مضاف إلى «السّموات» وقال سيبويه: منادى ثانٍ، حذفت منه أداة النّداء، منصوب لأنّه مضاف، ولم يجعله نعتاً على المحل، لأنّ عنده أنّ إسم الله تعالى لمّا اتصل به الميم المعوّضة عن حرف النّدآء أشبه الأصوات، فلم يجز نعته. و«عالم» نعت ثانٍ و«أنت» مبتداء، و«تحكم» في موضع رفع، خبره، والجملة جواب النّدآء لا محلّ لها، و«بين» ظرف منصوب، متعلّق بـ«تحكم» أضيف إلى «عبادك» و«فيما» متعلّق بـ«تحكم» و«فيه» متعلّق بـ«يختلفون» في موضع نصب، خبر لـ«كانوا» والجملة صلة الموصول لا محلّ لها.

٤٧ ـ (ولو أنّ للّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)

الواو إستئنافية، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«للّذين» متعلّق بمحذوف، خبر لـ«أنّ» و«ظلموا» صلة الموصول، و«ما» إسم موصول، مبنيّ في موضع نصب، إسم لـ«أنّ» و«في الأرض» متعلّق بمحذوف، صلة «ما» والمصدر المؤوّل: «أن للّذين...» في موضع رفع، فاعل لفعل محذوف، تقديره: ثبت أي لو ثبت تملك الّذين ظلموا لأموال الدّنيا ومثلها معها... والجملة: «لو ثبت...» مستأنفة لا محلّ لها، و«جميعاً» حال من العائد المقدّر في الصّلة، والواو عاطفة، و«مثله» منصوب، معطوف على الموصول: «ما» و«معه» ظرف منصوب، متعلّق بحال من «مثله» واللاّم واقعة في جواب «لو» و«به» متعلّق بـ«افتدوا» فعل ماضٍ لجمع المذكر

الغآئب من باب الإفتعال، على حذف اليآء، والجملة جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

«من سوء العذاب» متعلّق بـ«افتدوا» و«يوم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ«افتدوا» أضيف إلى «القيامة» والواو عاطفة و«بدا» فعل ماضٍ، معطوف على «افتدوا» و«لهم» متعلّق بـ«بدا» و«من الله» متعلق بـ«بدا» و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل «بدا» و«لم يكونوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«يحتسبون» في موضع نصب، خبر لـ«يكونوا».

٤٨ ـ (وبدالهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

الواو عاطفة، و«بدالهم» معطوف على «بدالهم» السّابق، و«سيّئات» فاعل الفعل، اضيفت إلى «ما» موصولة في موضع جرّ، مضاف إليه أي ظهرت لهم سيئات أعمالهم الّتي اكتسبوها، أو حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل مضاف إليه أي سيئات كسبهم، و«كسبوا» صلة الموصول، و«حاق» معطوف على «بدا» و«بهم» متعلّق بـ«حاق» و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل «حاق» و«كانوا» صلة الموصول، و«به» راجع إلى «العذاب» متعلّق بـ«يستهزؤن» في موضع نصب، خبر لـ«كانوا».

٤٩ ـ (فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما أُوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون)

الفآء عاطفة، و«مسّ» فعل ماضٍ، في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليه، و«الإنسان» مفعول به مقدّم، و«ضرّ» فاعل الفعل، وجملة «دعانا» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و«ثمّ» عاطفة، و«خوّلنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير من باب التّفعيل في موضع جرّ لإضافة «إذا» إلى الجملة، والضّمير في موضع نصب، مفعول به أوّل و«نعمة» مفعول به ثانٍ و«منّا» متعلّق بنعت لـ«نعمة» و«قال» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها.

«إنّما» كافّة ومكفوفة، و«اوتيت» فعل ماضٍ مبنيّ للمفعول للتّكلّم وحده،

والضّمير في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«على علم» متعلّق بحال من نائب الفاعل في «اوتيته» ويجوز أن يكون متعلّقاً بـ «اوتيته» إذا كان بمعنى: على علم من الله بأنّي له أهل، و«بل» للإضراب الإنتقالي، و«هي» ضمير البلوى أو الحال مبتداء و«فتنة» خبر والجملة مستأنفة أو إعتراضية لا محلّ لها، والواو عاطفة، و«لكنّ» حرف استدراك و«أكثرهم» إسمها، و«لا يعلمون» في موضع رفع خبره والجملة معطوفة علىَ جملة «هي فتنة».

۵۰ ـ (قد قالها الّذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

«قد» حرف تحقيق و«قال» فعل ماضٍ وضمير التّأنيث في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى القول السّابق بإعتبار أنّه مقالة أو كلمة أو جملة من قول قارون أو من الأمم السّابقة الّذين قالوا مثل قوله، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، و«من قبلهم» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، وجملة «قدقالها...» مستأنفة لا محلّ لها، والفاء عاطفة، و«ما» نافية، و«أغنى» فعل ماضٍ من باب الإفعال، و«عنهم» متعلّق بـ «أغنى» والجملة معطوفة على «قالها...» و«ما» حرف مصدريّ أو إسم موصول، في موضع رفع، فاعل «أغنى» والعآئد محذوف، و«يكسبون» في موضع نصب، خبر لـ «كانوا» وجملة «كانوا...» صلة الموصول.

۵۱ ـ (فأصابهم سيئات ماكسبوا والّذين ظلموا من هؤلآء سيصيبهم سيّئات ماكسبوا وماهم بمعجزين)

الفاء عاطفة و«أصاب» فعل ماض من باب الإفعال، والضّمير في موضع نصب، مفعول به، و«سيّئات» جمع «سيّئة» فاعل الفعل، أُضيف إلى «ما» حرف مصدري أو موصولة، في موضع جرّ بإضافة «سيئات» إليه، والعائد محذوف و«كسبوا» صلة الموصول، وجملة «أصابهم...» معطوفة على «ما أغنى» والواو عاطفة، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«ظلموا» صلتها، و«من هؤلآء» متعلّق بحال من فاعل «ظلموا» والسّين حرف إستقبال، وجملة «سيصيبهم...» في موضع رفع، خبر لـ «الّذين» والواو حالية و«ما» نافيه عاملة عمل ليس، و«هم»

إسـمـها، و«بمعجزيـن» مجرور لـفظاً منصوب محلاً خـبـرها وجملة: «وماهم...» في موضع نصب، حال من «هؤلآء» الظّالمين.

٥٢ ـ (أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

الهمزة إستفـهاميّة والواو عـاطفة، و«يعلموا» مجزوم بحرف الجحد على حذف نون الرّفع، والجـملة معطوفة على إستـئناف مقدّر أي: أغـفلوا ولم يعلـموا؟ و«يبسط» في مـوضـع رفع، خبر لـ «أنّ» والمصـدر المؤوّل: «أنّ...» في موضـع نصـب، سـدّ مسدّ مفـعولى «يـعلمـوا» و«الرّزق» مـفعـول به لـ «يبسط» و«لمـن» متـعلّق بـ «يبسط» و«مـن» مـوصـولة، و«يشآء» صـلـة المـوصـول لا محلّ لهـا، و«يـقـدر» معطوف على «يشآء» و«في ذلك» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «إنّ» واللاّم للتّوكيد، و«آيات» إسم لـ «إنّ» و«لقوم» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ«لآيات» و«يؤمنون» في موضع جرّ، نعت «لقوم» وجملة «إنّ في ذلك ...» مستأنفة بيانيّة لا محلّ لها.

٥٣ ـ (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم)

«قـل» فعل أمـر، مستأنـفة لا محلّ لها، و«يـا» حرف ندآء و«عـبادي» منادى مضاف، منصوب، وعلامة النّصب، الفتحة المقدّرة على ماقبل اليآء، واليآء المفتوحة مضاف إليـه، وجملة «يـا عـبادي ..» في موضـع نصب، مقـولـة القول، و«الّـذين» موصولـة في موضع نصب، نـعت لـ «عبـادى» و«أسرفوا» صلـة الموصول لا محلّ لها، و«على أنـفسهم» متعلّق بـ «أسرفوا» و«لا» ناهية جازمـة، و«تقنطوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مجـزوم بـ «لا» على حذف نون الرّفع، و«من رحمة الله» متعلّق بـ «تقنطوا» وجملة «لا تقنطوا... جواب النّدآء لا محلّ لها، و«يغفر» في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» والجملة المؤكّـدة تعليلـية لا محلّ لها، و«الذّنوب» جمع الذّنب مفعول به، و«جميعاً» حال من «الذّنوب».

في «هو» وجهـان: **أحدهما**ـ ضمير منفصل في مـوضـع رفع، مبـتداء، و«الغفور» خبره والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» **ثانيها** ـ مستعار لمحل النّصب، توكيد للضّمير

المتّصل: إسم «إنّ» و«الغفور» خبر لـ«إنّ» و«الرّحيم» نعت لـ«الغفور» أو خبرثان.

٥٤ ـ (وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون)

الواو عاطفه، و«أنيبوُا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، و«إلى ربّكم» متعلّق بـ«أنيبوا» معطوف على «لا تقنطوا» و«أسلموا» معطوف على «لا تقنطوا» وقيل: الواو إستئنافية، و«له» متعلّق بـ«أسلموا» و«من قبل» متعلّق بالفعلين: «أنيبوا ـ و أسلموا» و«أن» حرف مصدرى و«يأتي» منصوب بـ«أن» و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«العذاب» فاعل الفعل، والمصدر المؤوّل: «أن يأتيكم» في موضع جرلإضافة «قبل» إليه، و«ثمّ» عاطفة و«لا» نافية، و«تنصرون» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، والجملة معطوفة على جواب شرط مقدّر أي فإذا جآءكم العذاب عذّبتم ثمّ لا تنصرون.

٥٥ ـ (واتّبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون)

الواو عاطفة، و«اتّبعوا» فعل أمر من باب الإفتعال، معطوف على «أسلموا» و«أحسن» مفعول به، اضيف إلى «ما» إسم موصول، في موضع جرّ، و«أنزل» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول، ونائب الفاعل، ضمير مستتر فيه، وهو العائد، و«إليكم» متعلّق بـ«أنزل» و«من ربّكم» متعلّق بـ«أنزل» و«من قبل أن يأتيكم العذاب» كالسّابق، والجار متعلّق بـ«اتّبعوا» و«بغتة» مفعول مطلق، نائب عن المصدر فهو ملاقيه في المعنى أو مصدر في موضع الحال أي مباغتاً، والواو حالية، و«أنتم» مبتدآء و«لا تشعرون» في موضع رفع، خبر، والجملة في موضع نصب، حال.

٥٦ ـ (أن تقول نفس يا حسرتىٰ على مافرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين)

في «أن تقول» وجوه: **أحدها**ـ أنّ المصدر المؤوّل مفعول من أجله أي لأن تقول أو من أجل أن تقول. **ثانيها**ـ على تقدير: لئلاّ تقول نفس... فحذفت «لا» كما حذفت من قوله تعالى: «يبيّن الله لكم أن تضلّوا» النّسآء:١٧٦) أي لئلاّ تضلّوا.

ثالثهاـ على تقدير: كراهية أن تقول نفس. بحذف المضاف، عامله: «أنيبوا» أو عامله مقدّر أي أنذرناكم مخافة أن تقول نفس.

«يا» حرف نداء و«حسرتىٰ» منادى مضاف، منصوب، فالألف «حسرتا» كناية عن المتكلّم أي يا حسرتي ولكن العرب تحوّل اليآء الّتي في كناية إسم المتكلّم في الإستغاثة ألفاً فتقول: «يا ويلتا» فيخرجون ذلك على لفظ الدّعآء، و«ما» حرف مصدريّ و«فرّطت» فعل ماض من باب التّفعيل، والمصدر المؤوّل: «ما فرّطت» في موضع جرّ بـ «على» متعلّق بـ «حسرتا» أو «ما» إسم موصول، في موضع جر، متعلّق بـ «حسرتىٰ» والعائد محذوف، و«في جنب الله» متعلّق بـ «فرّطت» وجملة «يا حسرتىٰ ...» في موضع نصب، مقولة القول.

الواو حالية، و«إن» مخففة من الثّقيلة وهي مهملة وجوباً، واللاّم فارقة و«من السّاخرين» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «كنت» وجملة «كنت....» في موضع نصب، حال من «نفس».

٥٧ ـ (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين)

«أو» عاطفة، و«تقول» معطوف على «تقول» السّابق، و«لو» حرف شرط غير جازم، و«هداني» في موضع رفع، خبر لـ «أنّ» والمصدر المؤوّل: «أنّ الله هداني» في موضع رفع، فاعل لفعل محذوف، تقديره: ثبت أي لو ثبتت هدايتي لكنت... والجملة هذه في موضع نصب، مقولة القول. واللاّم: «لكنت» واقعة في جواب «لو» و«من المتّقين» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «كنت» وجملة «كنت من المتّقين» جواب «لو» لا محلّ لها.

٥٨ ـ (أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين)

«أو تقول» عطف على السّابق، و«حين» ظرف، منصوب، متعلّق بـ «تقول» اضيف إلى «ترى» و«العذاب» مفعول به، و«لو» حرف تمنّ، و«لي» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «أنّ» و«كرّة» إسمها، والجملة في موضع نصب، مقولة القول، والفاء سببيّة، و«أكون» فعل مضارع للتكلّم وحده منصوب على جواب التمنّي،

ويجوز أن يكون معطوفاً على «كرّة» لأنّ معناه أن أكرّ. و«من المحسنين» متعلّق بمحذوف، خبر لـ «أكون» والمصدر المؤوّل: «أن أكون» معطوف على مصدر مأخوذ من التمنّي أي ليت ثمّة رجوعاً لي فكوني محسناً.

٥٩ ـ (بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

«بلى» حرف نفي لإيجاب السّؤال المنفي: «لو أنّ الله هداني...» لأنّ معناه: ما هداني.

و«قد» حرف تحقيق، وكاف الخطاب في موضع نصب، مفعول به، خطاب للنّفس حملاً على الإنسان، و«آيات» اضيفت إلى يآء التّكلّم، والجملة في موضع نصب، مقولة لقول مقدّر، والفآء عاطفة، و«بها» متعلّق بـ «كذّبت» والواو في الموضعين عاطفة و«كذّبت ـ واستكبرت وكنت» معطوفات على «جآئتك» و«من الكافرين» متعلّق بمحذوف وهو خبر لـ «كنت».

٦٠ ـ (ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين)

الواو إستئنافية، و«يوم» ظرف زمان، منصوب، اضيف إلى «القيامة» متعلق بـ «ترى» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«كذبوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«على الله» متعلّق بـ «كذبوا» و«وجوههم» مبتداء و«مسودّة» خبره والجملة في موضع نصب، حال من الموصول، لأنّ «ترى» من رؤية البصر، واستغنى عن الواو لمكان الضّمير في قوله تعالى: «وجوههم» ولو كان «ترى» من رؤية القلب لكانت الجملة في موضع نصب، مفعولاً ثانياً. الهمزة للإستفهام التّقريري، و«ليس» فعل ناقص، و«في جهنّم» متعلّق بمحذوف وهو خبر «ليس» و«مثوى» إسم «ليس» و«المتكبّرين» إسم فاعل لجمع المتكبّر من باب التّفعيل متعلّق بمحذوف، وهو نعت لـ «مثوى» وجملة «أليس...» تعليلية أو مستأنفة لتقرير مضمون ما سبق لا محلّ لها.

٦١ ـ(وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولاهم يحزنون)

الواو عاطفة، و«ينجّي» فعل مضارع من باب التّفعيل، معطوف على «ترى» و«الله» فاعل الفعل، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«اتّقوا» فعل ماضٍ لجمع المذكّر الغائب من باب الإفتعال، صلة الموصول لا محلّ لها، و«بمفازتهم» متعلّق بـ«ينجّي» والبآء تحتمل السببيّة والملابسة، و«لا يمسّهم السّوء» في موضع نصب، حال من «الّذين» ويجوز أن تكون الجملة مستأنفة بيانية لما سبق فلا محلّ لها، و«لا هم يحزنون» عطف علىٰ «لا يمسّهم» والكلام في محلّ المعطوف هو الكلام في محلّ المعطوف عليه.

٦٢ ـ (الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل)

«الله» مبتداء و«خالق» إسم فاعل، اضيف إلى «كلّ» اضيف إلى «شيء» خبره والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والوا وعاطفة و«هو» مبتداء و«على كلّ شيء» متعلّق بـ«وكيل» وهو خبر المبتدآء، والجملة معطوفة على المستأنفة لا محلّ لها.

٦٣ ـ (له مقاليد السّموات والأرض والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون)

«له» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مقاليد» جمع مقلاد إسم آلة كالمفتاح والمفاتيح أو جمع مقليد كالمنديل والمناديل، ويجوز أن يكون إسم جمع لا واحد من لفظه، وقيل: واحد مقاليد: إقليد لفظ فارسي معرّب والجملة مستأنفة بيانية لا محلّ لها، والواو استئنافية أو عاطفة، و«الّذين» موصولة، مبتداء، و«كفروا» صلتها، والجملة لا محلّ لها على الأوّل، ومعطوفة على «له مقاليد» على الثّاني، و«بآيات الله» متعلّق بـ«كفروا» و«اولئك» مبتداء و«هم» ضمير فصل، أو منفصل مبتداء، خبره: «الخاسرون» والجملة خبر «اولئك» وجملة «اولئك هم الخاسرون» في موضع رفع، خبر لـ«الّذين».

٦٤ ـ (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون)

«قل» مستأنفة لا محلّ لها، والهمزة للإستفهام الإنكاري، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّرة تقديره: إن كان الله خالق كلّ شيء... فكيف تأمرونني أن أعبد غير

الله. وفي «غير» وجوه: **أحدها** ـ أنّه مفعول به، مقدّم، عامله: «أعبد» تقديره: أعبد غير الله فيما تأمروني؟! وأصله: أن أعبد. فحذفت «أن» فارتفع الفعل، ولو ظهرت «أن» لماجاز نصب «غير» بـ «أعبد» لأنّ صلة «أن» لا يعمل فيما قبلها، فلمّا حذفت «أن» سقط حكمها. **ثانيها**ـ أنّه منصوب بـ «تأمرونّي» لأنّه يقتضي مفعولين، الثّاني منهما بحرف جرّ كقولك: أمرتك الخير أي بالخير. فياء التكلّم هي المفعول الأوّل و«غير» مفعول ثانٍ و«أعبد» في تقديره: «أن أعبد» بدل إشتمال من «غير» فتقديره: أتأمرونّي بغير الله أن أعبد. **ثالثها**ـ أنّه منصوب بفعل محذوف، تقديره: أفتلزموني غير الله. وفسّره مابعده.

وفي «تأمرونّي» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب وجهان: **أحدهما**ـ أن يكون إعتراضا تقديره: أفغير الله أعبد أيّها الجاهلون فيما تأمرونّي. وعلى هذا فلاموضع لـ «أعبد» من الإعراب لأنّه على تقدير: أعبد أيّها الجاهلون. **ثانيها**ـ أن لا يكون إعتراضاً، فتقديره: أتأمرونّي أعبد غير الله أيّها الجاهلون فيما تأمرونّي. وعلى هذا فوضع «أعبد» نصب على الحال. وتقديره: أتأمرونّي عابداً غير الله؟ فمخرجه مخرج الحال ومعناه أن أعبد. وفي النّون المشدّدة وجهان: **أحدهما** ـ أنّهما علامة الرّفع ونون الوقاية، واليآء للتّكلّم وحده، وأصله: تأمرونني، فادغمت فيه إحدى النّون في الأخرىٰ. **ثانيها**ـ أنّهما نون الثّقيلة للتّأكيد، فحذفت نونا الرّفع والوقاية.

«أعبد» فعل مضارع للتكلّم وحده صلة الموصول الحرفي: «أن» مضمرة لا محلّ لها، وتقديره: أتامرونني أن أعبد غير الله؟ فلمّا حذف الحرف المصدري، رفع الفعل، ولا عبرة بتقدّم معمول الصّلة عليها لأنّ الحرف المصدري حذف، والمصدر المؤوّل: «أن أعبد» في موضع نصب، مفعول به، عاملة تأمرونني. أي قل: أتأمرونّي بعبادة غير الله؟! و«أيّهاٰ» منادى نكرة مقصودة، مبنيّ على الضّمّ في موضع نصب، وفي «الجاهلون» وجوه: **أحدها**ـ بدل من «أيّ» **ثانيها**ـ عطف بيان على «أيّ» **ثالثها**ـ نعت لـ «أيّ» تبعه في الرّفع لفظاً.

٦٥ ـ (ولقد أوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

الواو إستئنافية، واللاّم للقسم المقدّر و«قد» حرف تحقيق و«أُوحي» فعل ماض مبنيّ للمفعول من باب الإفعال و«إليك» متعلّق بـ«أُوحي» على تقدير نآئب الفاعل أي أُوحي إليك التّوحيد. والجملة جواب للقسم المقدّر لا محلّ لها تقديره: أقسم بالله أو بعزّتي وجلالي. وجملة القسم المقدّرة مستأنفة لا محلّ لها و«إلى الّذين» معطوف على كاف الخطاب من عطف الظّاهر على الضّمير، و«من قبلك» متعلّق بمحذوف، وهو صلة الموصول لا محلّ لها، واللاّم موطئة للقسم، و«إن» حرف شرط جازم، و«أشركت» فعل ماضٍ من باب الإفعال، في موضع جزم، فعل الشّرط، وجملة «أشركت...» تفسّر نائب الفاعل المقدّر أي أوحي إليه التّوحيد فلا محلّ لها.

اللاّم للقسم و«يحبطنّ» فعل مضارع مبنيّ على الفتح، في موضع رفع، والنّون للتّوكيد و«عملك» فاعل الفعل، والجملة جواب القسم لا محلّ لها، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه جواب القسم، والواو عاطفة و«لتكوننّ» مثل «ليحبطنّ» وإسمه ضمير مستتر فيه، تقديره: أنت و«من الخاسرين» متعلّق بمحذوف، وهو خبر لـ«تكوننّ» والجملة معطوفة على جملة جواب القسم لا محلّ لها. ويجوز أن تكون اللاّم في «الخاسرين» للعهد والمعنى: ولتكوننّ من الخاسرين الّذين كفروا بآيات الله وأعرضوا عن الحجج الدّالّة على وحدانيّته.

٦٦ ـ (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين)

«بل» للإضراب الإنتقالى عن النّهي المفهوم من كلام السّابق إلى الأمر التّالي. وفي نصب «الله» وجهان: **أحدهما**ـ منصوب بفعل يفسّره: «فاعبد» تقديره: أعبدالله فاعبد. فن باب الإشتغال. **ثانيها**ـ منصوب بـ«أعبد» على تقدير: قدبلّغت أو بيّنت فاعبدالله. فقدّم المفعول للحصر. فالمعنى: فلاتعبد غيرالله بل الله فاعبد. وفي الفآء وجوه: **أحدها**ـ زائدة للتّأكيد. لأنّها تقدّمت جملة إنشائية، وفصلت الفعل عن المفعول. **ثانيها**ـ فآء جزآء إذحذف شرطه. تقديره: بل إن كنت عابداً أوعاقلاً أو إن

كنت قدتثبّت فاعبد الله. فحذف الشّرط، وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه. **ثالثها-** عاطفة على الجملة المقدّرة أي تنبّه فاعبدالله. ثمّ حذف تنبّه وقدّم المنصوب على الفآء إصلاحاً للفظ كيلا تقع الفآء صدراً. **رابعها-** جواب لـ «أمّا» مقدّرة.

الواو عاطفة و«كن» فعل أمرنا قص، إسمه ضمير مستتر فيه وجوباً، و«من الشاكرين» متعلّق بمحذوف، وهو خبر «كن» وجملة «كن من الشاكرين» معطوفة على «أعبد» لا محلّ لها.

٦٧- (وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون)

الواو إستئنافية، و«ما» نافية، و«قدروا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب، و«الله» مفعول به، و«حقّ» مفعول مطلق، منصوب نائب عن المصدر أُضيف إلى «قدره» والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والواو حالية، و«الأرض» مبتداء وفي «جميعاً» وجوه: أحدها- حال من الأرض بإعتبار تعدّدها أي الأرضون السّبع. **ثانيها-** خبر لـ «كانت» محذوفة. تقديره: والأرض إذا كانت جميعاً قبضته. أي والأرض قبضته إذا كانت جميعاً. أو ثبتت جميعاً في قبضته كقولك: هنيئاً مريئاً أي ثبت ذلك لأنّه دعآء في موضع المصدر كما تقول: سقياً. **ثالثها-** على تقدير: إذا كانت الأرض مجتمعة قبضته أي مقبوضه. فالعامل في «إذا» المصدر لأنّه بمعنى المفعَول. وكان ههنا تامّة إذِ لو كانت ناقصة لكان «جميعاً» خبرها، ولم يكن حالاً.

و«قبضته» خبر المبتداء، والجملة في موضع نصب، حال من «الله» و«يوم» ظرف زمان، منصوب أُضيف إلى «القيامة» متعلّق بقبضته بمعنى مقبوضة، والواو عاطفة، و«السّموات» معطوفة على «الأرض» و«مطويات» إسم مفعول، جمع مطويّة كالمرميّة، خبرها، والجملة في موضع نصب، على الحال كسابقتها، وفي «بيمينه» وجوه: **أحدها-** متعلّق بـ «مطويات» **ثانيها-** متعلّق بمحذوف وهو حال من الضّمير في «مطويات» **ثالثها-** متعلّق بمحذوف، خبرثان لـ «السّموات» و«سبحانه» مفعول مطلق، منصوب لفعل محذوف، وجملة: «نسبّح سبحانه»

إعتراضية دعائية أو إستئنافية لا محلّ لها، و«تعالى» فعل ماضٍ من باب التّفاعل، معطوف على «نسبّح» المقدر، و«عمّا» متعلّق بـ «تعالى» و«ما» موصولة و«يشركون» صلتها لا محلّ لها.

٦٨ - (ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا مَن شآء الله ثمّ نفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون)

الواو إستئنافية، و«نفخ» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول، و«في الصّور» ناب مناب الفاعل، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، والفاء في الموضعين عاطفة، و«صعق» معطوف على «نفخ» و«من» موصولة و«في السّموات» متعلّق بمحذوف، وهو صلة الموصول، و«من في الأرض» معطوف على «من في السّموات» و«إلّا» أداة حصر و«مَن» إسم موصول، في موضع نصب، على الإستثنآء المنقطع، و«شآء الله» صلة الموصول، بحذف العائد، و«ثمّ» عاطفة، وجملة «نفخ ...» معطوفة على «صعق» لا محلّ لها.

«فيه» ناب مناب الفاعل، والضّمير راجع إلى «الصّور» و«أُخرىٰ» مفعول مطلق ناب عن المصدر، صفة لمحذوف، أي نفخة أُخرىٰ. ويجوز أن يكون «فيه» متعلّقاً بـ «نفخ» و«أُخرىٰ» ناب مناب الفاعل، و«إذا» فجائية، و«هم» مبتداء و«قيام» جمع قائم، خبره والجملة معطوفة على «نفخ فيه» و«ينظرون» في موضع رفع، خبرثانٍ لـ «هم» أو في موضع نصب، حال من الضّمير في «قيام».

٦٩ - (وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيءَ بالنّبييّن والشّهدآء وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون)

الواوات الخمس الاولى في الآية الكريمة عاطفات، و«بنور» أُضيف إلى «ربّها» متعلّق بـ «أشرقت» معطوفة على جملة «هم قيام ...» ويجوز قطعها على الإستئناف، و«بالنّبييّن» نائب الفاعل، و«بينهم» ظرف منصوب، متعلّق بـ «قضي» و«بالحقّ» نائب الفاعل، والواو السّادسة الأخيرة حالية، و«هم» مبتداء و«لا يظلمون» في موضع رفع، خبره والجملة في موضع نصب، حال من «النّبييّن

والشّهدآء».

٧٠ ـ (ووفّيت كلّ نفسٍ ماعملت وهو أعلم بما يفعلون)

الواو عاطفة، و«وُفِّيَتْ» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول من باب التّفعيل، وتأنيث الفعل بإعتبار إكتساب فاعله: «كلّ» تأنيثاً لاضافته إلى «نفس» مؤنّث مجازي والجملة معطوفة على «قضى ...» لا محلّ لها، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ حرف مصدري و«عملت» صلة الموصول الحرفي لا محلّ لها، والمصدر المؤوّل: «ماعملت» في موضع نصب، مفعول به، بحذف مضاف أي جزآء عملها. **ثانيها** ـ إسم موصول في موضع نصب، بحذف مضاف أيضاً أي جزآء ماعملت والعائد محذوف.

«وهو» في الواو وجهان: أحدهما ـ إستئنافية، فالجملة: «هو أعلم» مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ حالية، والجملة في موضع نصب، حال. وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل: «مايفعلون» في موضع جرّ بالباء، متعلّق بـ «أعلم» **ثانيها**ـ إسم موصول في موضع جرّ و«يفعلون» صلة الموصول، والعائد محذوف لا محلّ لها.

٧١ـ (وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين)

الواو عاطفة و«سيق» فعل ماضٍ، مبنيّ للمفعول، و«الّذين» في موضع رفع ناب مناب الفاعل، و«كفروا» صلة الموصول، و«إلى جهنّم» متعلّق بـ «سيق» و«زمراً» جمع زمرة، حال من الكافرين، وجملة «سيق الّذين...» معطوفة على «وفّيت» ويجوز أن تكون مقطوعة على الإستئناف أصلاً و«حتّى» حرف إبتدآء دخل على الجملة بأسرها ولا عمل له، و«جآؤها» في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليها، وضمير التّأنيث: «ها» راجع إلى «جهنّم» مفعول به، و«فتحت أبوابها» جواب شرط غير جازم لا محلّ لها، و«لهم» متعلّق بـ «قال» و«خزنتها» جمع خازن فاعل «قال» والجملة معطوفة على «فتحت أبوابها».

«ألم يأتكم...» الهمزة للإستفهام التّقريعي، و«منكم» متعلّق بمحذوف وهو نعت لـ«رسل» وجملة «ألم يأتكم رسل...» في موضع نصب، مقولة القول، و«عليكم» متعلّق بـ«يتلون» وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، حال من «رسل» **ثانيهما**ـ في موضع رفع، نعت ثانٍ لـ«رسل» و«آيات ربّكم» مفعول به لـ«يتلون» و«ينذرونكم» معطوف على «يتلون» و«لقآء يومكم» مفعول به ثانٍ، و«هذا» في موضع جرّ، نعت لـ«يومكم» و«قالوا» مستأنف بيانيّ لا محلّ لها، ومقول القول محذوف أي بلى جائنا الرّسل، و«بلى» حرف جواب لإيجاب السّؤال المنفي، والواو إستئنافية، و«لكن» حرف إستدراك مهمل، و«حقّت كلمة العذاب» مستأنفة بيانية لا محلّ لها، و«على الكافرين» متعلّق بـ«حقّت».

٧٢ ـ (قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

«قيل» مستأنفة لا محلّ لها، و«ادخلوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب في موضع رفع، ناب مناب الفاعل، لأنّ الجملة في الأصل مقولة القول، و«أبواب» جمع باب أُضيف إلى «جهنّم» مفعول به، و«خالدين» حال من فاعل «ادخلوا» و«فيها» متعلّق بـ«خالدين» والفآء استئنافية، و«بئس» فعل ذمّ و«مثوى» إسم مكان اضيف إلى «المتكبّرين» فاعل «بئس» واللاّم للجنس والمخصوص بالذّمّ محذوف، ثقة بذكره آنفاً أي فبئس مثواهم جهنّم. والجملة: «بئس...» مستأنفة لا محلّ لها.

٧٣ ـ (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ إستئنافية، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، ناب مناب الفاعل، و«اتّقوا» صلة الموصول لا محلّ لها، و«ربّهم» مفعول به، و«إلى الجنّة» متعلّق بـ«سيق» و«زمراً» جمع زمرة، حال من «الّذين» وجملة «سيق الّذين...» مستأنفة لا محلّ لها. **ثانيها**ـ عاطفة، وجملة «سيق الّذين اتّقوا...» معطوفة على «سيق الّذين كفروا...» و«حتّى إذا جآؤها» كالسّابق. وفي جواب «إذا» وجوه: **أحدها**ـ أن يكون محذوفاً، وتقديره: حتّى إذا جآؤها فازوا أو نعموا.

ثانيها. قوله تعالى: «وفتحت أبوابها» هو الجواب بزيادة الواو، وتقديره: حتّى إذا جاؤها فتحت أبوابها. **ثالثها.** إنّ الجواب قوله تعالى: «وقال لهم خزنتها» على زيادة الواو. وتقديره: حتّى إذا جاؤها قال لهم خزنتها.

في قوله تعالى: «وفتحت أبوابها» وجوه: **أحدها.** الواو عاطفة، وجملة «فتحت...» في موضع جرّ، معطوفة على جملة «جآؤها» وجواب الشّرط محذوف، تقديره: اطمأنّوا أو سعدوا... **ثانيها.** حالية، وجملة «فتحت...» في موضع نصب، حال بتقدير «قد» إذا قدّر الجواب: «جآؤها وقد فتحت أبوابها» أي هو مقيّد بحال وهو صحيح. **ثالثها.** زآئدة، وجملة «فتحت...» جواب الشّرط، وجملة «قال لهم خزنتها» في موضع جرّ، معطوفة على جملة «جاؤها» **رابعها.** الواو تدلّ على فتح أبواب الجنّة قبل إتيان أهلها إليها، والجواب محذوف أي حتّى إذا جآؤها آمنوا. وقيل: الجواب: «وقال لهم خزنتها» على زيادة الواو.

«سلام» مبتداء، إبتدأبالنّكرة لأنّها تدلّ على المدح، و«عليكم» متعلّق بمحذوف، وهو خبر لـ«سلام» والجملة في موضع نصب، مقولة الفول، و«طبتم» مستأنفة في حيّز القول لا محلّ لها، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر و«خالدين» حال مقدّرة أي مستقبلة من فاعل «ادخلوها» وجملة «ادخلوها» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن دخلتموها فادخلوها...

٧٤ ـ (وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الأرض حيث نشآء فنعم أجر العاملين)

الواو عاطفة، و«قالوا» معطوفة على مستأنفة مقدّرة أي فدخلوها وقالوا... فلا محلّ لها، و«الحمد» مبتداء و«لله» متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«الّذي» موصولة في موضع جرّ، نعت لـ«الله» و«صدق» فعل ماض و«نا» ضمير التّكلّم مع الغير في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«وعده» مفعول به ثان، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها، و«أورث» فعل ماض من باب الإفعال، و«نا» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«الأرض»

مفعول به ثانٍ والجملة معطوفة على «صدقنا وعده» و«نتبوّأ» فعل مضارع للتّكلّم مع الغير من باب التّفعيل، في موضع نصب، حال من ضمير التّكلّم في «أورثنا» و«من الجنّة» متعلّق بـ«نتبوّأ» و«حيث» ظرف مكان، مبنيّ على الضّمّ في موضع نصب، متعلّق بـ«نتبوّأ» وقيل: مفعول به، وجملة «يشآء» في موضع جرّ بإضافة «حيث» إليها، والفآء إستئنافية، و«نعم» من أفعال المدح، و«أجرالعاملين» فاعل لـ«نعم» والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره نعم الأجر أجر العاملين وهو الجنّة. والجملة مستأنفة لا محلّ لها.

٧٥ ـ (وترى الملائكة حآفّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقُضِيَ بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين)

الواو إستئنافية، و«ترى» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، والجملة مستأنفة لا محلّ لها، و«الملائكة» مفعول به، و«حافّين» جمع حافّ، إسم فاعل، حال من «الملائكة» لأنّ «ترى» من رؤية البصر تتعدى إلى مفعول واحد. وفي «من» وجوه: **أحدها**ـ زآئدة. **ثانيها**ـ إبتدائية، أي مبتدأ حافتهم من هناك إلى حيث يشآء الله تعالى. **ثالثها**ـ متّصل بالرّؤية. **رابعها**ـ متعلّق مع مجرورها بـ«حافين» و«حول» يدل على ظرف مكان، أُضيف إلى «العرش» و«يسبّحون» في موضع نصب، حال من ضمير «حافين» أي ملابسين للحمد بأنّهم يقولون: سبحان الله وبحمده، و«بحمده» متعلّق بمحذوف، وهو حال من فاعل «يسبّحون».

«وقضى» الواو عاطفة، و«قضى» معطوف على «ترى» أو في موضع نصب، حال بتقدير «قد» و«بينهم» ظرف منصوب متعلّق بـ«قضى» و«بالحقّ» نائب الفاعل، الواو عاطفة، و«الحمد» مبتداء و«لله» متعلّق بمحذوف، خبره والجملة في موضع نصب، مقولة القول، و«ربّ» اضيف إلى «العالمين» نعت لـ«الله» والجملة في موضع رفع، نائب الفاعل لـ«قيل» لأنّ الجملة في الأصل مقولة القول.

﴿البيان﴾

١ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)

تقرير لمبدء نزول الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّه نزّل تدريجاً من عند الله العزيز الّذي عظمت قدرته، وعزّ جانبه، الحكيم الّذي جميع أفعاله حكمة وأقواله صواب، فهذا الكتاب هو الحقّ الّذي لا ريب فيه، وفيه إبطال مايقوله المشركون من أنّ محمّداً يقوله من تلقآء نفسه، وجواب عن أسئلة كثيرة كانت تدور في رؤس مشركي مكّة، وتجري على ألسنتهم:

مِن أين نزل هذا الكتاب؟ من أين جآء محمّد بهذا الّذي يحدّثنا به؟ مَن عَلَّمه هذا؟ ومن أيّ الكتب أخذه؟؟؟ وما إلى ذلك من الأسئلة الّتي كانوا هم يحدّثون بها أنفسهم، ويتحدّث به بعضهم إلى بعض في شأن القرآن الكريم... فأجابهم الله جلّ وعلا عن المصدر الّذي جآء منه القرآن المجيد: من الله العزيز الحكيم تنزيله بتقديم الجهة الّتي نزل منها على الذّات الّتي أنزلته، تنبيهاً على أنّه صادر من جهة عالية، وأنّه ليس ممّا على هذه الأرض وما فيها من جهات وذوات... وبهذا ينعزل القرآن الكريم عن أن يكون من العالم الأرضي، إنّه نور خالص لمن تدبّر فيه وعمل به، وإنّ السّمآء هي مصدر كلّ نور على هذه الأرض...

فإذا تقرّر ذلك، كان البحث في طبيعة هذا النّور، وهل هو نور إلهي أم من ذلك النّور الّذي تشعّه الكواكب والنّجوم ... وإنّ التّدبّر وإمعان النّظر في القرآن الكريم يكشف للمتدبّر عن أنّه نور إلهيّ لا ينكسر ضوؤه، ولا تغرب شمسه أبداً،

وإذن فهو نور من الله عزّوجلّ: «تنزيل الكتاب...» هو القرآن المجيد، وقدسمّاه كتاباً بإعتبار ماكان يكتب منه، تنبيهاً على الأمر بكتابة مايُوحىٰ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإلّا فجرّد الكلمة الموحية الملفوظة بواسطة جبرئيل عليه السّلام لا تسمّى كتاباً، وهذا برهان قاطع، ودليل واضح للمتدبّر الخبير على أنّ الوحي كان يكتب عند نزوله إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

في قوله تعالى: «من الله» إشارة إلى الذّات المستحقّ للعبادة والطّاعة كقولك: «هذا كتاب من فلان» تعظم به شأن الكتاب، وشأن مَن أُرسِلَ إليه الكتاب.

وفي قوله عزّوجلّ: «العزيز» تنبيه على أنّ هذا الكتاب يحقّ قبوله، فإنّ كتاب العزيز عزيز، وفيه أنّه غنيّ عن إرسال الكتاب والإستكمال به، وإنّما ينتفع به المرسل إليهم، فعليهم أن يقرؤه ويتدبّروا فيه ويعملوا به. وفي وصفه تعالى بالعزّة تحذير عن مخالفة كتابه.

وفي قوله جلّ وعلا: «الحكيم» في إنزال هذا الكتاب، إشارة إلى أنّ هذا الكتاب مشتمل على الفوائد الدّينية والدّنيويّة، وعلى المنافع المادّيّة والمعنويّة كلّها، وليس فيه عبث ولا باطل، ووصفه عزّوجلّ بالحكمة إعلام بأنّه تعالى يحفظه من التّغيير والتّبدس والتّحريف والدّسّ فيه، في كلّ ظرف، وفي الآية الكريمة تعظيم لأمر القرآن الكريم، وحثّ النّاس على القيام، بما فيه واتباع أوامره ونواهيه... فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٢ ـ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين)

بيان لشأن المنزل إليه ومايجب عليه إثر بيان شأن المنزل، وكونه من عند الله العزيز الحكيم، وإخبار من الله جلّ وعلا عن نفسه أنّه أنزل هذا الكتاب إلى نبيه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم متلبّساً بالحقّ، ليس فيه للباطل سبيل، وليس هذا تكراراً كما زعم بعضهم، لأنّ التّنزيل للتّدريج، والإنزال دفعيّ، مع أنّ الأوّل كعنوان الكتاب، والثّاني لتقرير ما في الكتاب، ولأنّ القصد إلى بيان كونه متلبّساً بالحقّ وهو يناسب مجموع مانزل إليه من ربّه، فالمعنى: أنّ كلّ ماأودعنا فيه من

الأصول الإعتقاديّة، والأحكام والفروع العمليـة، ومن القصص والإخبار عن الأمم الماضيّة والمستقبلة... كلّها حقّ وصدق.

وقوله تعالى: «فاعبد الله مخلصاً له الدّين» الفآء لترتيب الأمر بالعبادة على ما أنزل إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم الكتاب بالحقّ أي فاعبد الله جلّ وعلا ممحضاً له الدّين، ومصفّىً له السّرّ من شوآئب الشّرك والرّيآء والسّمعة، حسبما بيّن في تضاعيف ما أنزل إليك ومعرضاً عمّا سواه أوّلاً ثم ادع النّاس إليه، فإنّ داع النّاس وهاديهم إلى الحقّ والكمال، لا بد وأن يكون مقدّماً عليهم في الطّريق إليها.

فإذا كان القرآن الكريم يحمل إليك الحقّ خالصاً من كلّ شائبة، فلا بدّ وأن تكون العبادة خالصة من كلّ شائبة، وذلك أنّ من قرأ آياته وتدبّر فيها عرف طريق الحقّ والكمال واضحاً مشرقاً، وإذا كان ذلك هو ماعرفت من آيات الله وكلماته من حق، فاعبدالله تعالى على هذه المعرفة عبادة خالصة تملأ القلب وتملك المشاعر وتستولى الوجدان، فإذاً لا ترى غير الله لائقاً للعبادة، فيجب عليك الخضوع والإتجاه والعبادة له وحده إذ لا يليق غيره لشيء من ذلك. وأدنى آية الإخلاص أن يكون الدّاعي إلى العبادة هو مجرّد الأمر لا طلب مرغوب ولا هرب مكروه، وأعلاها أن يكون الداعى إليها هو لياقة الآمر و إستحقاقه لها.

وقد قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

وفي ابتدآء الآية الكريمة بالجملة الإسميّة المؤكّدة، وفي ضميري التّكلّم مع الغير، وتكرير الكتاب وفي الخطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلاً بالعبادة مخلصاً له الدّين مالا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر.

٣ - (ألا لله الدّين الخالص والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار)

مستأنف مسوق لتقرير ماقبله من الأمر بالعبادة وإخلاص الدّين لله تعالى

ووجوب الإمتثال والتّأكيد به أي إنّ الدّين الخالص من شوآئب الشّرك وغيره هو لِلّه تعالى، وماسواه من الأديان قبل الدّين الإسلامي وبعده فليس بدين الله الّذي أمر به كما قال جلّ وعلا: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ١٩و٨٥) كما أنّ العبادة لغير الله تعالى ليست بعبادة سوآء عبده وغيره أم عبد غيره وحده.

وقال بعض المعاصرين في قوله تعالى: «ألا لله الدّين الخالص»: إظهار وإعلان لما أضمر وأجمل في قوله: «بالحقّ» وتعميم لما خصّص في قوله: «فاعبدالله مخلصاً له الدّين» أي إنّ الّذي أوحيناه إليك من إخلاص الدّين لِلّه واجب على كلّ من سمع هذا النّدآء، ولكون الجملة ندآءً مستقلاً أُظهِرَ إسم الجلالة، وكان مقتضى الظّاهر أن يضمر ويقال: له الدّين الخالص. ومعنى كون الدّين الخالص له أنّه لا يقبل العبادة ممّن لا يعبده وحده سوآء عبده وغيره أو عبد غيره وحده» إنتهى.

وقوله تعالى: «والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء» تحقيق لحقّيّة ما ذكر من إخلاص الدّين الّذي هو عبارة عن التّوحيد ببيان بطلان الشّرك الّذي هو عبارة عن ترك إخلاصه، وفيه، ذمّ طريق المشركين وتقريع عليهم.

وقوله عزّوجلّ: «مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفىٰ» حال بتقدير القول من واو «اتّخذوا» مبنيّة لكيفيّة إشراكهم، وتفسير لعدم خلوص دينهم، حكاية عن إعتذار المشركين عن شركهم، وزعمهم أنّهم يعبدون الشّركآء ليكونوا لهم سبب قربىٰ إلىٰ الله سبحانه. والإستثنآء مفرّغ من أعمّ العلل.

وقوله عزّوجلّ: «إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون» تقرير بأسلوب إنذاري، وإخبار من الله تعالى بأنّ الله جلّ وعلا سوف يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون، من إخلاص العبادة لله والإشراك به ومرتكسون، ويجزيهم على مايزعمون بما يستحقون، وفيه تهديد وبيان وخيم عاقبة المشركين.

وقوله تعالى: «إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار» حكم على مدّعيات مشركي مكّة بأنّها من ملفّقات الأكاذيب، وأنّ الكفر هو صفة من يدين بهذا الإفك ويقيم

معتقده على هذه الأكاذيب، وأنّ من سلك هذا الطّريق ولم يراجع نفسه، وبصحيح معتقده فإنّ الله تعالى سيخلى بينه وبين الضّلال الّذي هو فيه، فلن يهتدى أبداً مادام على كفره وكذبه، وفيه تسجيل عليهم بالخذلان والحرمان، إشعاراً بعلّيّة الحكم بأنّ الكذب والكفر مانعان من الإهتدآء، فلايمكن الإهتدآء مع فعليتها كما قال: «إنّ الله لايهدي» وفيه إشارة إلى آثار سوء الشّرك ، وإلى نتآئج شوم الكفر في الدّنيا بأنّ الله تعالى لا يرشد إلى الحقّ، ولا يوفق له مَن هو كاذب مفترعليه.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ وصفي الكذب والكفر يعنيان فيما يعنيانه أيضاً فساد الخلق وسوء النيّة وعدم الرّغبة في الحقّ والهدى، وأنّ ذلك هو الدّافع للمتّصفين بهما إلى المواقف الباغية الّتي يقفونها، مع أنّ في الجملة وأمثالها مقصدان آخران:

أوّلهما- أنّ مقصد التّنديد والتّبكيت والإنذار هو حمل أصحاب الصّفات المذكورة على الإرعوآء والتّوبة عن مواقفهم...

ثانيها - أنّها قاصرة على مَن يبقى متّصفاً به، وأنّها لا تعنى مع ذلك أنّه من المحتم على الموصوفين به أن يبقوا في الكفر والضّلال، في الفسق والفساد، في الكذب والإجرام، وفي البغي والانحطاط محرومين من توفيق الله تعالى وعنايته وهدايته، فمادام أنّ الله عزّوجلّ قد جعل فيهم قابليّة للتدبّر والتّفكّر والإختيار، فإنّ إحتمال عودتهم عن مواقفهم إلى الحقّ والهدى، إلى الخير والفلاح، وإلى الصّواب والكمال ونيلهم لرضآء الله تعالى وتوفيقه يظلّ قآئماً، فإنّ باب التّوبة مفتوح تجاه الكافرين المجرمين، تجاه الظّالمين المشركين ... لينيبوا إلى الله عزّوجلّ كما وقع ذلك في المؤمنين السّابقين الّذين تابوا وأنابوا إلى الله تعالى وآمنوا بعد أن كانوا كافرين، فغدوا موضعاً لعناية الله جلّ وعلا وأهلاً لرضائه، واستحقّوا وصف الله تعالى: «والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضواعنه وأعدّلهم جنّات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم» التوبة: ١٠٠).

٤ـ (لوأراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشآء سبحانه هو الله الواحد القهّار)

شرط صدّر بـ«لو» الدّال على الإمتناع للإمتناع، مستأنف سيق لتحقيق الحقّ وإبطال القول بأنّ الملائكة بنات الله سبحانه، وعيسى عليه السّلام إبنه سبحانه،وعزير ابن الله تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ببيان إستحالة اتّخاذ الولد في حقّه سبحانه على الإطلاق ليندرج فيه إستحالة ماقيل إندراجاً أوّلياً.

وقوله تعالى: «سبحانه» تقرير لماذكر من إستحالة اتّخاذ الولد في حقّه جلّ وعلا، وتاكيد له ببيان تنزّهه تعالى عنه.

وقوله عزّوجلّ: «هو الله الواحد القهّار» مستأنف سيق لبيان تنزّهه جلّ وعلا بحسب الصّفات إثر بيان تنزّهه عنه بحسب الذّات، فإنّ صفة الألوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النّافية لسمات النّقصان والوحدة الذّاتية الموجبة لإمتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين ماسواه على الإطلاق، كذا وصف القهّارية لما أنّ إتخاذ الولد شأن مَن يكون تحت ملكوت الغير، وعرضة للفنآء ليقوم ولده مقامه عند فنآئه، ومن هو مستحيل الفنآء قهّار لكلّ الكائنات... فكيف يتصوّر أن يتّخذ من الأشيآء الفانية مايقوم مقامه!

وإنّ قوله تعالى: «هو الله الواحد القهّار» إشارة إلى أحديّة الأسمآء والصّفات بأنّها مع كثرتها الّتي لا تحصى عين ذاته، وهذه الأحدية هي أحدية الإلهيّة، والوحدة بهذا الإعتبار نعت للواحد لا ذاته، وتسمّى وحدة النّسب والإضافات أي وحدة تعدد لا بإعتبار الوجود المتعدد والتّميز الحقيقي، بل تعدّد نسبي من حيث إنّ ذلك المتعدّد عين ذلك الواحد كالخالق والقادر والعالم... من حيث الذّات الّتي ثبت لها هذا الأحكام، فإنّ الأسمآء من حيثية وحدة الذّات واحدة.

وبعبارة اخرى: إنّ الآية الكريمة بصدد إحتجاج على بطلان معتقد المشركين بطريق برهان وهو صورة قياس إستثنائي ساذج، يستثنى فيه نقيض المقدّم لينتج نقيض التّالي، وذلك إنّ الله عزّوجلّ لو أراد أن يتّخذ ولداً لأصطفىٰ لأجل الإتّخاذ بعض مَن يشآء من خلقه، ولكنّه تعالى مااصطفى فينتج أنّه ما أراد.

أمّا الشرطيّة فظاهرة بعد تسليم كمال قدرتة، وأمّا الثّانية فأشار إليها بقوله تعالى: «سبحانه» أشار إلى إستحالة إصطفائه شيئاً لأجل اتّخاذ الولد. وقوله عزّوجلّ: «هو الله الواحد القهّار» إشارة إلى البرهان على إستحالة ذلك وتقريره من أوجه ثلاثة:

أحدها ـ أنّه هو الله وهو إسم للمعبود الواجب، الّذات الجامع لجميع نعوت الجمال والجلال، واتّخاذ الولد يدلّ على الحاجة والفقر حتّى يقوم الولد بعده مقامه أو على الإستئناس والإلتذاذ بوجوده، وما إلى ذلك من الأغراض ... وكلّ ذلك ينافي الوجوب الذاتي والإستغنآء المطلق.

ثانيها ـ أنّه هو الواحد الحقيقي، والولد إنّما يحصل من جزء من أجزاء الوالد، ومن شرطه أن يكون مما ثلاً لوالده في تمام الماهية حتّى تكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصين، ويكون تعيّن كلّ منهما معلوماً لسبب منفصل، وكلّ ذلك ينافي التعيّن الذاتي والوحدة المطلقة، مع أن حصول الولد من الزّوج يتوقّف على الزّوجة عادة وهي لا بد أن تكون من جنس الزّوج فلا يكون الزّوج ممّا ينحصر نوعه في شخصه.

وبعبارة أُخرى: أنّ القول بالولد دآئر بين عامّة الوثنيّة على إختلاف مذاهبهم وقدقالت النّصارى: المسيح إبن الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله على ماحكاه القرآن الكريم عنهم: «وقالت اليهود عزير إبن الله وقالت النّصارى المسيح إبن الله» التوبة: ۳۰) سوآء كانت البنوّة تشريفية أم حقيقية، فإنّ البنوّة كيفما كانت تقتضي شركة مابين الإبن والأب، والولد والوالد، فإن كانت بنوّة حقيقيّة وهي إشتقاق شيء من شيء وانفصاله منه، اقتضت الشّركة في حقيقة الذّات والخواصّ والآثار المنبعثة من الذّات كبنوّة إنسان لإنسان المقتضية لشركة الإبن لأبيه في الإنسانية ولوازمها، وإن كانت بنوّة إعتباريّة كالبنوّة الإجتماعيّة وهو التّبني إقتضت الاشتراك في الشّئونات الخاصّة بالأب كالسّؤدد والملك والشّرف والتّقدّم والوراثة، وبعض أحكام النّسب، والحجّة المسوقة في الآية الكريمة تدلّ على إستحالة اتّخاذ الولد عليه سبحانه بكلا المعنيين.

ثالثها - أنّه هو القهّار، والمحتاج إلى الولد الّذي يموت، فيقوم الولد مقامه، والميّت مقهور لا قاهر، فثبت بهذه الدّلائل المتقنة أنّ الله جلّ وعلا ما اصطفى شيئاً لأن يتخذه ولداً، فصحّ أنّه لم يرد ذلك، ونفي إرادة الإتخاذ أبلغ من نفي الاتّخاذ، فقد يراد ولا يتّخذ لمانع كعجزه ونحوه...

٥ - (خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى ألا هو العزيز الغفّار)

إنّ الآية الكريمة قويّة رائعة في اسلوبها ولفتها النّظر إلى مشاهد عظمة الله جلّ وعلا ونواميس ملكوته، بسبيل البرهنة على تفرّده، وإستحقاقه وحده للعبادة، وضلال الّذين يشركون غيره معه فيها وفيه، وفيها إشارة إلى ثلاثة أفعال من فعاله جلّ وعلا الدّالّة على تفرّده بما ذكر من الصّفات الجليلة، والقدرة الكاملة والقهر العام في العالم العلوي، والسّفلي، أمّا الأوّل فهو على ثلاثة أوجه:

أوّلها - الإبداع وهو إيجاده لأفعال تولّاها بذاته، وهي الإبداعيات، ومعنى الإبداع هو إيجاد الشّيء لا من شيء فأشار إليه بقوله: «خلق السّموات والأرض بالحقّ» أي متلبّساً بالغاية الصّحيحة، فهو القادر على الكمال، المستغني عن الصّاحبة والولد والشّريك ومن كان هكذا فحقّه أن لا يشرك به، وأن يفرد بالعبادة، وأن يخلص له الدّين.

ثانيها - التّدبير وهو إخراج الشّيء من النّقص إلى الكمال إخراجاً غير محسوس وهو معنى الرّبوبيّة، فأشار إليه بقوله: «يكوّر اللّيل...» بيان لكيفية تدبيره في اللّيل والنّهار بعد بيان خلقهما، فإنّ حدوث اللّيل والنّهار في الأرض منوط بتحريك السّموات ... وإيثار المضارع: «يكوّر» دالّ على التجدّد والحدوث، وإنّ التّكوير هو اللّفّ واللّي، يقال: كار العمامة على رأسه وكوّرها. والتّكوير هو طرح الشّيء على الشّيء بالتّدريج ملتفاً مدوّراً. وفي التّشبيه وجوه: **منها:** أنّ اللّيل والنّهار متعاقبان، إذا غشى أحدهما مكان الآخر فكانّما البسه ولفّ عليه.

ومنها: أنّه شبه كلّ منهما إذا غيب صاحبه بشيء ظاهر لف عليه ماغيبه عن

الأبصار.

ومنها: أن كلاً منهما يكرّ على الآخر كروراً متتابعاً كتتابع أكوار العمامة.

في تلخيص البيان للسيّد الشريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه قال في قوله تعالى: «يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل»: «وهذه إستعارة والمعنى: يعلى هذا على هذا، وهذا على هذا، وذلك مأخوذ من قولهم: كار العمامة على رأسه يكورها إذا أدارها عليه. وقد قالوا: طعنه فكوره أي صرعه ومنه قول أبي كبير الهذلي:

**متكوّرين على المعادي بينهم	ضرب كتعطاط المزد الأثجل**

ومنه الحديث المأثور: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من الإدبار بعد الإقبال. وقيل: من القلّة بعد الكثرة لأنّهم يسمّون القطيع الكثير من البقر وغيرها كوراً ومنه أبي ذؤيب في صفة الثّور:

**ولا شبوب من الثّيران أفرده	عن كوره كثرة الإغراء والطّرد**

أي عن سربه الكثير، فيجوز أن يكون المعنى «يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل» على قول من يقول: طعنه فكوره يريد فصرعه أي يلقى اللّيل على اللّيل، ويكون المعنى على قول من يذهب إلى أنّ الكور إسم للكثرة أي يكثر أجزآء اللّيل حتّى يخفى ضوء النّهار، وتغلب ظلمة اللّيل ويكوّر النّهار على اللّيل أي يكثر أجزاء النّهار حتّى تظهر وتنتشر وتتلاشى أجزآء وتضمحل» إنتهى كلامه ورفع مقامه.

ثالثها ـ التّسخير وهي أفعال سخّر الله تعالى لها موجودات هذا العالم كالإضائة للشّمس والإنارة للقمر، فنبّه عليه بقوله عزّوجلّ: «وسخّر الشّمس والقمر» وهما وسيلتا اللّيل والنّهار منقادين له تعالى، وإنّ أكثر مصالح العالم الأرضي مرتبطة بهما، فهما يجريان لمنتهى دورتهما ومنقطع حركتهما. وقوله تعالى: «كلّ يجري...» بيان لكيفية تسخيرهما...

ونتيجة الحجّة: أنّ من كان قادراً على إبداع السّموات والأرض، وعلى تدبير

الملوين: اللّيل والنّهار، وعلى تسخير النّيرين: الشّمس والقمر، وجريهما على نظم خاص، على وتيرة واحدة وعلى تقدير واحد لأجل مسمّى فهو منزّه عن اتخاذ الولد والشّريك، فإنّ ذلك من صفات المحتاجين، لا يليق بساحة الغني المطلق فهو الواحد القهّار.

وقوله تعالى: «ألا هو العزيز الغفّار» تصدير الجملة بحرف التّنبيه لإظهار كمال الإعتنآء بمضمونها، وفيها ترهيب من الكفر والمعاصي ... مع ترغيب في التّوبة وطلب المغفرة بالإيمان والعبادة والإخلاص له تعالى، وفيها خوف مع رجآء، وعيد مع وعد، وإنذار مع بشارة... وفيها دلالة على كمال قدرته وغاية رحمته، فهو القهّار ذوالقوّة المتين، الغفّار لذنوب التّائبين المستغفرين ... وفي ذكر الوصفين: «العزيز الغفّار» وجهان:

أحدهما ـ إشارة إلى مايحتجّ به على تفرّده عزّوجلّ في الألوهية فإنّ العزيز الّذي لايعتريه ذلّة إن كان فهو الله وهو المتعيّن للعبادة لا غيره الّذي تغشاه الذّلّة وتغمره الفاقة وكذلك الغفّار للذّنوب إذا قيس إلى مَن ليس من شأنه ذلك. **ثانيها**ـ تحضيض على التّوحيد والإيمان بالله الواحد. والمعنى: تنبّهوا أيّها النّاس في كلّ ظرف أنّ الله تعالى العزيز فآمنوا به واعتزّوا بعزّته، وهو الغفّار يغفر الذّنوب كلّها فآمنوا به.

٦ ـ (خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّي تصرفون)

إنّ الآية الكريمة كسابقتها قويّة رائعة في أسلوبها ولفتها النّظر إلى مشاهد عظمة الله تعالى وقدرته بأسلوب يتّسق مع أفهام النّاس على اختلاف فئاتهم، وبما هو ماثل أمام أعينهم وفي أنفسهم، ومايتمتّعون به من وسائل الحياة. وفيها بيان إجماليّ لبعضٍ آخر من أفعاله تعالى في العالم السفليٰ الدّالة على ماذكر خطاباً لكافّة البشر في كلّ ظرف، وهو على أوجه أربعة:

أوّلها ـ الإبداع من طريق تشعيب الخلق الفآئت للحصر من نفس آدم، وفي ترك

عطفه على «خلق السّموات ...» إيذان بإستقلاله في الدّلالة، ولتعلّقه بالعالم السّفلى، وأمّا البدآءة بخلق الإنسان فلعراقته في الدّلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة، فإنّ الإنسان بحال نفسه أعرف: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

ثانيا ـ جعل حوآء من ضلع آدم عليه السّلام، حيث إنّ الجعل غير الخلق، فإنّ الخلق هو الإبداع، والجعل هو الإظهار لما في المخلوق من خصآئص وإبراز ما اشتمل عليه من صفاتٍ: «ثمّ جعل منها زوجها» عطف على محذوف هو صفة للنّفس أي من نفس خلقها ثمّ جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثمّ جعل منها زوجها، فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدّلالة، فإنّهما وإن كانا آيتين دالتين على ماذكر، لكن الأولى لإستمرارها صارت معتادة، وأمّا الثّانية فحيث لم تكن ـ أي خلق انثى غير حوآء من قصيري رجل ـ معتادة، خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التّعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتّعجّب من السّامع، فعطفت على الاولى بـ«ثمّ» دلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها خلقة.

إن تسئل: لماذا قدّم ذكر خلق عامّة البشر: «خلقكم» قبل خلق امّهم حوّآء: «ثمّ جعل منها زوجها» مع العطف بكلمة «ثمّ» للمهلة والتّراخي، وذلك يقتضى أنّ الله تعالى خلق كافّة البشر من آدم عليه السّلام ثمّ بعد ذلك خلق حوّآء وهي امّهم، مع أنّ خلق الأُمّ مقدّم على خلق الأولاد، لأنّها امّهم، وهم أولادها؟.

تجيب عنه بأجوبة: منها ـ إنّ «ثمّ» هنا للتّرتيب في الكلام والإخبار لا في الخلق والإيجاد، فقدّم خلق الأولاد في الذّكر، وإن كان خلقهم متأخّراً عن خلق امّهم في الواقع ونفس الأمر، إظهاراً لقدرته تعالى، وبياناً لعظمته في تنظيم خليقته، ويجري هذا مجرى قولك لصاحبك: أعطيتك اليوم كذا ثمّ أعطيتك أمس أكثر منه. أي ثمّ اخبرك بكذا ومنه قول الشّاعر:

إنّ مَن ساد ثمّ ساد أبوه ثمّ قد ساد قبل ذلك جدّه

فتقديم ماهو متأخّر، وتأخير ماهو متقدّم لمناسبة تقتضي ذلك جائز، ولا مشاحة فيه فكأنّه قال: خلقكم من نفس واحدة ثمّ أخبركم أنّه جعل منها زوجها إذ لا يصحّ رجوعها إلى المخلوقين من الأولاد على معنى التّرتيب لأنّ الوالدين قبل الولد وهو نظير قوله تعالى: «ثم الله شهيد على مايفعلون» يونس: ٤٦) وقوله تعالى: «ثمّ آتينا موسى الكتاب تماماً» الأنعام: ١٥٤) ونحوهما.

ومنها - إنّ «ثمّ» متعلّقة بمعنى «واحدة» وعاطفة عليه لا على «خلقكم» ففي «واحدة» معنى: خلقها وحدها. فالمعنى: خلقكم من نفس واحدة، وأفردت بالإيجاد ثمّ شفعت بزوج.

ومنها - إنّ «ثمّ» على ظاهرها للتّراخي والمهلة وذلك انّ الله تعالى خلق آدم ثمّ أخرج أولاده من ظهره كالذّرّ، وأخذ عليهم الميثاق ثمّ ردّهم إلى ظهره ثمّ خلق منه حوّآء، فالمراد بقوله تعالى: «خلقكم» خلقاً يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لأنّ هذا الخلق الّذي نحن فيه بالتّوالد والتّناسل.

ومنها - انّ المراد بقوله: «زوجها» غير حوّآء. بل أراد المزدوج من نسل آدم من الذّكور والأناث فكأنّه تعالى قال: هو الّذي خلقكم من نفس واحدة وهي آدم ثمّ جعل المزدوج من نسل تلك النّفس. وهذا متأخّر عن خلق النّفس الواحدة الّتي هي آدم عليه السّلام وإنّ سبب دخول «ثمّ» للإعتداد بهذه النّعمة والذّكر لها على سبيل الإمتنان إنّما كان بعد ذكر خلقها من نفس واحدة، فكأنّه قال: هو الّذي ذكر لكم واعتدّ عليكم بأنّه خلقكم من نفس واحدة، ثمّ عطف على هذا الإعتداد والإمتنان ذكر نعمة أُخرى، وهي أنّ زوج هذه النّفس المخلوقة، مخلوقة منها، فزمان الخلق للزوج وإن كان متقدّماً، فزمان ذكره والإعتداد به غير زمان وجوده، فلايمتنع أن يكون الترتيب في زمان الذكر والإعتداد غير الترتيب في زمان الإيجاد والتّكوين. كقولك لصاحبك: «لي عليك من النّعمة كذا اليوم ثمّ كذا أمس».

ومنها - أنّ المراد بـ«ثمّ» الواو، وقد تستعمل الواو بمعنى «ثمّ» فـ«ثمّ» بمعنى الواو وهو الجمع والإنضمام كقوله تعالى: «فإلينا مرجعهم ثمّ الله شهيد» يونس: ٤٦)

وغيرها من الأجوبة لانرى فآئدة لذكرها

ثالثها ـ التّدبير، فقال: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» ففيه بيان إجماليّ لبعض أفعاله تعالى الدالّة على تدبيره في العالم السّفلىٰ، وفي الإنـزال نوع فخامة وتعظيم لإفادته معنى الرّفعة والإعتلاء، ولهذا يقال: رفعت القضيّة إلى الأمير وإن كان الأمير في سرب، وتقديم الظّرفين: «لكم من الأنعام» على المفعول الصّريح: «ثمانية أزواج» للإعتنآء بما قدّم، والتّشويق إلى ما أخّر، فإنّ كون الإنزال لمنافعهم، وكونه من الجهة العالية من الأمور المهّمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة، وقد خصّت هذه الأزواج لكثرة منافعها من اللّبن واللّحم والجلد والشّعر والوبر والرّكوب والحمل والحرث وغير ذلك بالتّعبير بالإنزال دون الخلق تنبيهاً على أنّها نعم منزلة من عندالله تعالى وأنّ شأنها في حياة الإنسان عظيم، أشبه بالغيث الّذي ينزل من السّمآء.

وقد ذكر الأزواج بعد قوله: «جعل منها زوجها» تنبيهاً على أنّ كلّ حيوان ذوزوج.

إن تسئل: مامعنى إنزال الأنعام؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها ـ إنّ المراد من الإنزال هنا الإحداث والإنشآء كقوله تعالى: «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم» الأعراف:٢٦) ولم ينزل اللّباس، بل أنزل الماء الّذي هو سبب القطن والصّوف والكتان وما إليها، ويكون اللّباس منها، فكذلك الأنعام تكون بالنّبات، والنّبات بالمآء، فأنزل الله تعالى المآء من السّمآء، وأنبت به الزرع والشّجر والنّبات الّتي تتغذّى بها الأزواج الثّمانية، فكأنّها كلّها نزلت من السّمآء، فهذا من باب مجاز النّسبة إلى سبب السّبب، فإنّ الأنعام لمّا كانت لاتعيش إلّا بالنّبات والنّبات لا يكون إلّا بالمطر، والمطر منزل من السّمآء، فوصفها بالإنزال من تسمية المسبّب بإسم سبب سببه.

ومنها ـ إنّ هذه الأزواج الثّمانية نزلت من السّمآء على أنّ اصول المخلوقات نزلت من عالم آخر غير الأرضي.

ومنها ـ إنّ الله تعالى خلق الأزواج الثّمانية في الجنّة، ثمّ أنزلها على آدم عليه السّلام بعد إنزاله.

ومنها ـ إنّ تسمية خلق الأنعام في الأرض إنزالاً لها بإعتبار أنّه تعالى يسمّى ظهور الأشيآء في الكون بعد مالم يكن إنزالاً لها من خزائنه الّتي هي عنده ومن الغيب إلى الشّهادة قال تعالى: «وإن من شيء إلّا عندنا خزآئنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

رابعها ـ خلق الإنسان والأنعام: «يخلقكم في بطون امّهاتكم ...» مستأنف سيق لبيان كيفيّة خلقهم وأطواره المختلفة الدالّة على القدرة الباهرة، وفي إيثار صيغة المضارع دلالة على التدرّج والتجدّد، وفي الخطاب تغليب اولي العقل على غيرهم، وفي الجملة توصيف لعجائب خلق الإنسان والأنعام في الأرحام، ويظهر العجآئب في إبداعهما.

وقوله تعالى: «ذلكم الله ربّكم» إشارة إلى الله جلّ وعلا بإعتبار أفعاله المذكورة من خلق هذا الخلق وإبداعه وتدبيره وتسخيره، وإخراجه على هذا النّظام المحكم، وما فيه من معنى البُعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبريآء، والكاف حرف خطاب للمخاطبين في كلّ ظرف. فالمعنى: ذلكم الله ربّكم الّذي خلقكم وخلق كلّ شيء، فلا شريك له في الإبداع والتّدبير ولا في التّسخير فهو المتفرّد بملكيّة الوجود: «له الملك» على جميع الخلق في الدّنيا والآخرة فهو المليك على الإطلاق وتقديم الظّرف: «له» يفيد الحصر.

وقوله تعالى: «لا إله إلّا هو» تتّجه إليه وحده الوجوه كلّها، وتفوض إليه وحده الامور كلّها ... ولايخفى على القاري الخبير المتدبّر أنّ إنحصار الألوهية فيه جلّ وعلا فرع انحصار الرّبوبيّة فيه، لأنّ الإله إنّما يعبد لأنّه ربّ مدبّر، فيعبد إمّا خوفاً منه كعبادة العبيد، وإما رجآء فيه كعبادة التّجار أو شكراً له كعبادة الأحرار.

وقوله عزّوجلّ: «فأنّى تصرفون» الفاء لترتيب مابعدها على ما ذكر من شئونه جلّ وعلا فالمعنى: فبعد ذلك البيان فأنّى تتحوّلون عن التّوحيد إلى الشّرك ، عن

الإيمان إلى الكفر، عن الطّاعـة إلى الطّغيان، وعن عبادة الخـالق إلى عـبادة المخلوق؟! وكيف يعدل بكم عن طريق الحقّ والهدى بعد هذا البيان؟

٧ ـ (إن تكـفروا فإنّ الله غـنيّ عـنكم ولا يـرضىٰ لعباده الـكفر وإن تشكروا يـرضه لكم ولاتزر وازرة وزر أُخرىٰ ثمّ إلى ربّكم مرجـعكم فينبّئـكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذاتِ الصّدور)

مستـأنف بيانـيّ لـتقـرير أنّ الإيمـان والطّاعـة، والهـدى والسّعـادة، وأنّ الكـفر والمعصية، والخسران والضّـلالة من مكتسـبات الإنسان وقابليته الإختياريّة الّتي شآء الله تـعالى أن يـوُدعهـا فيه، فـلولاهـا لما كان الإنسـان مختـاراً فيها وما كـان للـرّسالة والدّعوة، للثّـواب والعقاب، وللجنّة والنّار معنىً، تعقيباً على تلك الدّعوة الّتي دعابها الله عزّوجلّ عباده إليه بقوله: «ذلكم الله ربّكم فأنّى تصرفون».

وبيان لتنزيه الله جلّ وعلا عن تحتيم الكفرو المعصية، والإيمان والطّاعة على أحد تحتيماً لا يجعل لـه مناصاً منهما، وتقرير لـغنآئه تعالى عن النّـاس إن كفروا به وعصوه وإن كان لا يرضى بذلك ولا يحبّـه لهم قطّ، في حين أنّه تعالى يرضـىٰ منهـم الإيمان والطـاعة، وأنّهما لا يفيدان إلّا أنـفسهم، فالدّعوة إلى التّـوحيد والإيمـان، وإلى العبادة وإخلاص الدّين لله عزّوجـلّ ليست لحاجة مـنه سبحانـه إلى إقبالهم إلـيـه بالإنصراف عـن الشّرك به وعن عبادة غـيره بل لعناية مـنه جلّ وعلا بعباده فـيدعوهم إلى مافيه صلاحهم وكما لهـم، إلى مـا فيه خيـرهـم وفلاحهم، وإلى مـافيه سعادتهـم ونجـاتهم، إعـتنآء بهـا كما يعتنى بـرزقهـم، فيفـيض عليهم نـعمـه ظاهرة وبـاطنـة، وكما يعتنى بحفظهم فـيلهمهم أن يـدفعوا الآفات عن أنـفسهم. وفي الخطاب حثّ وتشـويق على الإيمان والطّاعة، وتنديد وتحذير عن الكفر والمعصية.

وقوله تعالى: «ولا يـرضى لعباده الـكفر» دفع لما ربّما يمـكن أن يتوهّم مـن قوله: «فـإنّ الله غـنـيّ عنكم» أنّـه إذا لم يـتضـررّ بـكفر أحد، ولا يـنـتـفع بإيمان شخص، فلاموجب له أن يـريد منّا الإيمان والشّـكر والطّاعة، فدفـعه بأنّ تعلّق الإرادة الإلهية بـعـبـاده يقتضي أن لا يـرضـى بـكـفرهم، وهم عـبـاده، فـإذا لا يرضى الأب لولده

الطّغيان والإنحطاط، فكيف الخالق الرّحيم الّذي لاتقاس برحمته رحمة خلقه، وفي التّعبير بقوله: «لعباده» دون أن يقول: «لكم» دلالة على علّة الحكم أعني سبب عدم الرّضا.

فالمعنى: إنّكم أيّها النّاس! عباد مملوكون لله جلّ وعلا منغمرون في نعمه، ورابطة المولوية والعبودية وهي نسبة المالكية والمملوكية، والخالقية والمخلوقية لاتلائمه أن يرضى الخالق لمخلوقه الكفرو الإنحطاط، ولا العبد المخلوق أن يكفربنعمة سيّده، فينسى ولاية خالقه ويتخذ لنفسه أوليآء من دونه، ويعصيٰ مولاه ويطيع عدوّه وهو عبد، طابع عليه العبودية لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً.

وقوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أُخرى» بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً فضلاً عن الله سبحانه.

وقوله تعالى: «ثمّ إلى ربّكم مرجعكم ...» تهديد لهؤلاء المشركين المعاندين، ووعيد لهم بالعذاب الأليم الّذي هو الجزآء لأهل الشّرك والطّغيان، وأهل الكفر والعصيان...

وقوله عزّوجلّ: «إنّه عليم بذات الصّدور» تعليل للتّنبئة الّتي عبرت بها عن التّعذيب وإشارة إلى عدله تعالى في الجزآء حيث لا يخفى عليه شيء لسعة علمه وعظيم إحاطته بكلّ شيء، فلا يجازى أحداً إلّا بما إستحقّه بعمله، وفي صيغة الفعيل «عليم» وتحلية «الصّدور» بلام الإستغراق، ووصف الضّمآئر بصاحبتيها من الجزالة مالاغاية ورآئه، كأنّه قيل: إنّه مبالغ في الإحاطة بمضرات جميع النّاس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ماتسرّونه وتجهرون به.

٨ ـ (وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة نسي ماكان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار)

مستأنف بياني سيق لتقرير ماوقع من الجدل بين رسول الله صلّى الله عليه وآله

وسلّم والمشركين، وتنديد بموقف التّناقض الّذي يقفونه من الله في حالتي الشّدة والرّخآء وتوكيد لما احتوته آيات في سور أُخرى من اعترافهم في قرارة نفوسهم بالله وبأنّه وحده كاشف الضّرّ والسّوء، ومن عادتهم في اللّجؤ إليه وحده حينما يحدق بهم خطر أو يلمّ بهم ضرر.

وفي الآية الكريمة تلقين مستمر المدى في صدد من لا يذكر الله تعالى إلاّ وقت الشّدة، وينساه وينحرف عن جادة الحقّ والهدى وقت الرخآء، وما في ذلك من قبح وبشاعة وإثم عند الله جلّ وعلا.

وفيها حكاية لنهاية ضعف الإنسان الكافر وتناقض آرآئه، وتنديد بخلق كثير من النّاس، فإذا أصاب أحداً ضرر أو أحدق به خطر لجأ إلى الله تعالى وحده وإستغاث به، فإذا ما استجاب له وكشف عنه ما ألم به وبدّله نعمة بعد سوء نسيه وجعل له أنداداً وشركآء في الدّعآء والعبادة متخلّياً عن موقفه الأوّل ضالاًّ بذلك عن سبيل الله عزّوجلّ.

وقوله تعالى: «قل تمتّع بكفرك قليلاً» أمر للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يقول لذلك الإنسان الضّالّ وكلّ من ينسلك مسلك في كلّ ظرف: تمتّع بكفرك قليلاً في الحياة الدّنيا، فإنّك من أصحاب النّار جزآء ما أنت فيه ضلال وتناقضٍ، أمر تهديدي شديد لكلّ كافر وبيان لحاله ومآله في معنى الإخبار، وفيه إشعار بأنّ الكفر نوع تشهٍّ لا مستند له، وفيه إقناط للكافرين من التّمتع في الآخرة.

٩ ـ (أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقآئماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب)

مستأنف بياني سيق لتقرير حال المؤمنين من علماء الدّين الّذين لا رجوع لهم إلاّ إلى الله تعالى، ولا إعتماد لهم إلاّ على فضله، وحال الغافلين الجاهلين، والعلمآء الفاسدين الّذين لا يعملون بعلمهم، فجعل الله عزّوجلّ العلماء غير العاملين كالجهّال، وفيه إزدرآء عظيم بالّذين يقتنون العلوم الدّينية ولا يقنتون فيها، ثمّ يفتنون بالدّنيا وحطامها، وتقرير لنفي المقايسة بين المؤمن العالم القائم في ولآء وخشوع يقطع

اللّيل ساجداً وقائماً، وهو بين خوف من عذاب الله تعالى وطمع في رحمته، واتّبع طريق الهدى، فإذا ذكر عذاب الله عزّوجلّ طلب السّلامة من العذاب بالتّوبة والإستغفار، وإذا ذكر رحمة الله تعالى أنِسَ بالرّجآء في مغفرته ورضوانه، فلهج بالحمد والشّكر، وبين العالم بدون عمل، والجاهل الغافل الّذي عمى بصره.

قوله تعالى: «أمّن هوقانت...» فيه تنبيه على فضل قيام اللّيل لبعده عن الرّيآء ولمزيد الحضور وفراغ الحواس من الشّواغل الخارجية، ولأنّ اللّيل وقت الرّاحة فالعبادة فيه أشقّ على النّفس، فيكون ثوبه أكثر، في توقيت القنوت باللّيل إشارة إلى المعاناة الّتي يجدها المؤمن العالم في طاعة ربّه، حيث يهجر النّوم باللّيل ويقهر سلطانه... كما قال تعالى: «إنّ ناشئة اللّيل هي أشدو طأًوأ قوم قيلاً» المزمل:٦) وقال في الثّنآء على عبّاد اللّيل ما لهم من جزآء عظيم عنده: «كانوا قليلاً من اللّيل ما يهجعون وبالأسحارهم يستغفرون» الذّاريات:١٧-١٨) وقدّم العمل على العلم إعتنآءً بالعمل، وتنبيهاً على أنّ العمل هو ملاك الشّرف والكرامة، وللعلم فضيلة إذا كان معه العمل، وإلّا فليس له فضيلة ولا لأهله كرامة وإن بلغ ما بلغ منه. وإنّ مثل العلم مثل عضدتي السّلّم، لايمكن الصّعود بهما إلّا بالدّرجات الّتي تنضّهم بهما، فلايمكن الصّعود لعالم إلّا بالعمل.

وقوله تعالى: «ساجداً وقآئماً» الواو فيه للجمع بين الصّفتين.

وقوله عزّوجلّ: «يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه» فيه إشارة إلى أنّ المؤمن العالم يتقلّب بين الخوف والرّجآء، بين طوري القهر واللّطف، ويتردّد بين حال القبض والبسط.

وقوله جلّ وعلا: «قل هل يستوي الّذين...» أمر ربّانيّ للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتّساؤل ثانية عمّا إذا كان يصحّ أن يسوى بين المؤمنين من علمآء الّذين وغيرهم من الجهّال أو العلمآء الفاسدين أو أن يكون الفريقان على حدّ سوآء، على وجه الإنكار عليهم، وفيه تحريك لحميّة الجهال، وتحزّن وتفجّع للعلماء غير العاملين، وليس بإخبار. وإنّ العلمآء العاملين يبلغون أعلى معارج الخير والسّعادة، وانّ

الآخرين درجوا في دركات الشّرّ والشّقاوة.

وقوله تعالى: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب» بصدد التّعليل لنفي المقايسة بين الفريقين بأنّ أحد الفريقين يتذكّر حقائق الأمور دون الفريق الآخر، فلايقاس أحدهما بالآخر لفقد شرطي باب المقايسة وهما: السّنخيّة والعرضيّة بين المتقايسين، فلايقاس المرجع الدّيني الأعلى بالبقّال العامّي في العلم لفقد السّنخيّة بينهما كما لايقاس بالمبتدي من الطّلاّب لفقد العرضية بينهما، وأما العلمآء غير العاملين فكأنّهم لاعلم عندهم أصلاً لأنّ حقيقة العلم فقدت منهم فهم والجهّال على حدّ سوآء.

وفيه تقرير بأنّ أرباب العقول الرّاجعة السّليمة هم فقط الّذين يتذكّرون ويدركون حقآئق الأمور... وإيمآء إلى أنّ غير المؤمنين من العلمآء والجهّال يعدّون غير العقلاء كالجمادات والبهآئم... وفيه تعريض بذمّ العلمآء غير العاملين والجهّال، فإنّهم في حدّ سوآء، وفي حكم من ليس بذي عقل، فأنتم في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكّروا كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب كقوله تعالى: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء» فاطر: ۲۸) فمن لم يكن عليه طوق العبودية فلا يخشاه، ومن لم تكن له هذه الخشية فكأنّه ليس له أذن بسمع ولا قلب يعقل.

۱۰ - (قل يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب)

أمر ربّانيّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهتاف المؤمنين وتذكيرهم تثبيتاً لقلوبهم وتطميناً لروعهم، وحملهم على التّقوى بإجتناب المعاصي، وعلى الطاعة بإتباع أوامره وحثّاً لهم على صالح الأعمال، وعلى الصّبر إطلاقاً، وتبشيراً لهم بالعاقبة الحسنى في الدّنيا والآخرة، إثر تخصيص التّذكر باولي الألباب إيذاناً بأنّهم هم، وفيه تشريف لهم باضافتهم إلى ضمير الجلالة: «يا عبادي» ومزيد إعتنآء بشأن المأمور به، وإضافة الرّبّ إلى ضميرهم: «ربّكم» على طريق الخطاب، وفيه إشعار بأنّ الإيمان من التّصديق بوحدانيّة الله جلّ وعلا والإيمان بكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبكلّما جآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والعمل بما علم لايكفي، بل أنّ

المؤمن يحتاج مع ذلك كلّه إلى تقوى الله تعالى، وإن كان الإيمان الكامل جامعاً لكلّ ذلك ، فانّما هو في حاجة قصوى إلى تقوى الله في كلّ ظرف.

وقوله تعالى: «لِلّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة» تعليل للأمر أو لوجوب الإمتثال به، وإيراد الإحسان في حيّز الصّلة دون التقوى إيذان بأنّه من باب الإحسان، وإشارة إلى أنّ الأعمال الحسنة تعطي ثمرة حسنه معجّلة في هذه الحياة الدّنيا إلى ما تعطيه من حسنات كثيرة في الدّار الآخرة، فالعمل الحسن هو حسن في ذاته، لا يجيء منه إلّا ما هو حسن. وهذا من شأنه أن يضمن للمحسنين حياة طيّبة معه في الدّنيا، مضافاً إلى ما له من آثار طيّبة في الآخرة، ولذلك لا يرى المحسنون أنفسهم مغبونين في تعاملهم بالإحسان في دنياهم، وأنّهم ينالون باحسانهم حياة طيبة ويجدونها في راحة الضّمير، وصفآء النّفس... وفي «هذه الدّنيا» بيان لمكان الحسنة.

وفي تنكير «حسنة» تعظيم أي حسنة لا يقدّر وصفها بقدر، ولا يصل العقل إلى كنهها، أو إشارة إلى أنّ المحسنين غالباً لا يعرفون أنّ ما ينالون في الدّنيا من عيش هنيء، ورزق واسع، وصفآء النّفس وراحة الضّمير... هو جزآء حسنه عملوا بها، وفي إفرادها إشارة إلى أنّ ما يجُزَى به المحسنون بإحسانهم في الدنيا. هو قليل قليل بالإضافة إلى ما يجزون به في الآخرة.

وقوله تعالى: «وأرض الله واسعة» حثّ للمحسنين على الهجرة والإنتقال من الأرض الغالية إلى الأرض الرّاخية، وإشارة إلى أنّ أسباب التّقوى إن لم تيسّر في أرض وجبت الهجرة إلى أرض يتيسّر ذلك فيها، فيكون كقوله تعالى: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» النّسآء: ٩٧).

وقوله تعالى: «إنّما يوفّى الصّابرون» فيه ترغيب إلى التّقوىٰ المأمور بها، وإيثار الصّابرين على المتّقين إيذان بأنّهم حآئزون لفضيلة الصّبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أُشير إليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حثّ على المصابرة والمجاهدة في تحمّل مشاقّ المهاجرة وترك الوطن والأهل أحياناً.

وفيه وما قبله بشارة للمهاجرين في سبيل الله تعالى في كلّ ظرف بأنّهم سوف

يجدون في أرض الله تعالى واسعة، وبأنّ الله عزّوجلّ سييسر لهم ما تقرّبه أعينهم، ويؤتيهم أُجور صبرهم وافياً بغير تقتير ولاحساب على ماينالونه من أذى وجهد وفراق... ودعوة للمؤمنين إلى الصّبر الّذي هو ملاك كلّ أمر يراد منه الخير الكثير الدّائم الّذي لا ينقطع، لأنّ كلّ ثمرة إنّما تكون قيمتها بقدر مايُبْذَل فيها من جهد، وما يحتمل في سبيلها من عنآء ومعاناة... ومَن طلب ثمرة بلاعمل فقد طلب رِيّاً من سراب.

وقوله تعالى: «بغير حساب» إشارة إلى أنّ جزآء الصّبر جزآء عظيم، وأنّ ميزان العمل الّذي يجيئ في أعقاب الصّبر يرجح جميع الأعمال كلّها، حيث ينال الصّابر جزآء صبره مايشآء من فضل وإحسان بلاحساب.

١١ - (قل إنّي امرت أن اعبدالله مخلصاً له الدّين)

أمر ربّانيّ للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلانه صلّى الله عليه وآله وسلّم ماأُمِرَ بإعلانه للمشركين من التّوحيد، ورفض الشّرك ، ومن العبادة لله تعالى وحده وهذا هو الإخلاص في الدّين، تأكيداً لأوّل الأمر المذكور في أوّل السّورة: «فاعبدالله مخلصاً له الدّين» : ٢) وبياناً لحال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الدّعوة الّتي حملها إلى النّاس من ربّه، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مأمور من الله جلّ وعلا بما يأمر الله تعالى به عباده جميعاً، فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم والنّاس في هذا الأمر السّماوي على سوآء ، فلا إستثنآء لأحد في هذا القانون، كما يقع ذلك في القوانين الوضعية الّتي ترفع السّلطان عن الخضوع للقانون العام الّذي تخضع له الرّعية... بل وأكثر من هذا أنّ صاحب الدّعوة صلّى الله عليه وآله وسلّم يتلقّى هذه الدّعوة من ربّه في صورة أمر وإلزام،على حين يتلقّاها النّاس مجرّد دعوة لا إلزام فيها ولا إكراه معها... «إنّي امرت أن أعبد الله...» «أفانت تكره النّاس حتى يكونوا مؤمنين» يونس: ٩٩).

وقطعاً لأيّ أمل لدى المشركين في تساهله صلّى الله عليه وآله وسلّم معهم في صدد آلهتهم وشركآئهم وتراجعه عمّا كان المشركون يبذلون جهدهم في سبيل تحقيقه، في

الآية الكريمة ومايليها من الآيات الأربع نوع رجوع إلى أوّل الكلام من هذه السّورة.

فعلى المشركين أن لا يطمعوا في النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخالف فعله قوله، وسيرته دعوته، فإنّه مجيب لربّه، مسلم له، متصلّب في دينه، خآئف منه أن يعصيه...

وقيل: إنّ الأوامر وإن كانت متوجهة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المرادبها الامّة بل جميع المكلّفين من جميع الامم، وفي هذا نعي لهم على تماديهم في عبادة الأوثان، والكلام عليه من وادى قولهم: «إيّاك أعني واسمعي يا جاره».

١٢ ـ (وامرت لأن أكون أوّل المسلمين)

تنبيه على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أوّل المسلمين خضوعاً لسلطان الله جلّ وعلا، وإمتثالاً لأمره، يسلم إليه وجوده كلّه، وتخلص له ولآءه تمامه، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو القدوة لكافة النّاس في التّوحيد والطّاعة لربّه وحده وهو الأسوة في إمتثال أوامره ورفض نواهيه... وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم رسول النّاس من الله جلّ وعلا فلابدّ أن يكون أكثرهم عبادة لله تعالى واجتهاداً في طاعته واتّقآءً لحرماته، وخوفاً من عقابه، وأنّه عبد من عباد الله عزّوجلّ وأفضلهم وأكرمهم عنده تعالى وأقربهم إليه، من كان أعرفهم به وأكثرهم طاعة وولآءً له!

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنّ في الأمر المتوجّه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم زيادةعلى ماتوجّه إلى كافّة النّاس من التّكليف، وهو أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أُمِرَ بما أُمِرَ، وقد توجّه الخطاب إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم قبلهم، والغرض منه أن يكون هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل مَن أسلم لهذا الأمرو آمن به، وقد أُمِرَ أن يكون أوّل المسلمين وإن كان قبله مسلمون كثيرون من الأمم السّالفة لأنّ المراد به أوّل المسلمين من هذه الامّة، وإن كان هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّل من أسلم قبل خلق الكون ونواميس الوجود إذقال الله تعالى: «لولاك لما خلقت الأفلاك».

وقد أُمِرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلاً بالإخلاص في الدّين، وثانياً بأن يكون سابقاً ليقتدى به غيره، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان أوّل من خالف دين

آبآئه، ورفض الأصنام وحطمها، وقد أسلم لله تعالى وآمن به ودعا النّاس إليه، بل له سابقة في كلّ مايأمر به وينهى، دعا النّاس إلى مارضيه الله تعالى له، ورضيه لنفسه، فليس هو صلّى الله عليه وآله وسلّم كالملوك الجبابرة والدّعاة الفاسقة الّذين يأمرون النّاس بأشيآء وهم لايفعلونها.

وفي ذلك درس لدعاة الدّين والعلمآء والمصلحين، فعليهم الإخلاص لله تعالى في الدّين والعمل بما علموا، ثمّ دعوة النّاس إلى الحقّ والهدى، فمن كان فاقداً الإخلاص والعمل، فلايليق أن يدعو غيره إليها، إذ لا يكون فاقد الشّيء معطيه.

إن تسئل: لماذا كلّ هذا التّرديد والتّوكيد الشّديد على أنّه محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم عبد من عباد الله تعالى مخلص في دينه وعبادته؟

نجيب عنه ـ مضافاً إلى ماسبق في خلال البحث آنفاً ـ بأجوته:

منها ـ أن يفهم النّاس كافّة في كلّ ظرف وخاصّة أعدآء محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذين حاولوا أن يثنوه عن دعوته بكلّ وسيلة: أنّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هو رجل الحقّ والإيمان الرّاسخ، وأنّ غايته من حياته أبعد الغايات وأسماها، وهي هداية الخلق إلى الحقّ وإحترام الإنسان وتحريره من عبودية غير الله إلى الله جلّ وعلا وحده وخلاص الإنسانيّة من كلّ ماتعانيه وتقاسيه وتعاديه ويحطّ شأنه.

ومنها ـ أن لايقول المسلمون بذبذبة المذبذ بين ككعب الأحبار و وهب بن منبه وأضرابها المكذّبين في محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ماقالته اليهود في عزير ابن الله وماقالته النّصارى في المسيح ابن الله سبحانه.

١٣ ـ (قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم)

أمر ربّانيّ للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لتقرير تبعات مخالفة أمر الله جلّ وعلا تعريضاً بهؤلآء المشركين ومن انسلك مسالكهم ... أي قل لهم: إنّي مع كوني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخاف إن عصيت ربّي بترك الإخلاص له الدّين وبالشّرك به في العبادة أخاف عذاب يوم القيامة الكثير الأهوال والآلام...

وذلك أنّ شأن عبادالله تعالى في التّوحيد والطّاعة هو شأنهم في الشّرك

والمعصية، فكما أنّه مَن ازداد إيماناً وطاعة لله عزّوجلّ ازداد قرباً منه، كذلك من أقام أمره مع الله تعالى على الكفر والمعصية، والخروج عن أمر الله عزّوجلّ والإجترآء على محارمه ازداد بعداً عنه وتعرّضاً لسخطه وعذابه حتّى سيّد الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وحاشاه فهو محاسب بهذا الحساب.

١٤ - (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

أمر ربّاني للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بتصريح حاله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على الدّين الخالص وعلى العبادة الخالصة لله جلّ وعلا، لا يلتفت إلى غيره ولا يدين لسواه لا إستقلالاً ولا إشتراكاً لأنّه ممتثل لأمر ربّه، مطيع له وحده، بعد التّكنية عنه في الآية السّابقة، وفيه إياس للمشركين أن يطمعوا فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يخالف أمر ربّه.

وفي الآية الكريمة من الحصر ما ليس في قوله تعالى: «قل إنّي امرت أن أعبد الله...» إذ قدّم المفعول في قوله تعالى: «قل الله أعبد» لإفادة الحصر، وقوله: «مخلصاً له ديني» يؤكّد معنى الحصر، وذلك أنّ قوله عزّوجلّ: «قل إنّي امرت ...» إخبار بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مأمور بالعبادة والإخلاص، وقوله جلّ وعلا: «قل الله أعبد» إخبار بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يخصّ الله بعبادته مخلصاً له دينه، ولذلك قدّم المفعول على فعل العبادة، وأخّره في الأوّل، فالكلام أوّلاً في الفعل نفسه، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله، ولذلك رتّب عليه قوله تعالى.

١٥ - (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)

أمر تهديد وتوبيخ، أمر وعيد وتنديد، وأمر إنذار وخذلان، وأمر تعنيف لاذع للمشركين متناسب مع الموقف، وباثّ في الوقت نفسه الوثوق والإستعلاء في النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأتباعه... وفي الأمر دلالة على شدّة الغضب على المشركين وإيذان بأنّهم لا يعبدون الله جلّ وعلا. وهذا أبلغ اسلوب يعبّر عن غضب الله تعالى وتهديد من اتّخذ معبوداً من دونه.

وقوله تعالى: «قل إنّ الخاسرين...» أمر ربّانيّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتقرير حال المشركين يوم القيامة، وتعريض لهم بقوله: «فاعبدوا...» كأنّه قال: أيّها المشركون أيّاً ماعبدتم غيرى، فانكم تخسرون أنفسكم بإيرادها بالكفر مورد الهلكة وأهليكم وهم خاصتكم بحملهم على الكفر والشّرك وهي الخسران بالحقيقة، لأنّ من يكن خاسراً يوم القيامة فهو الخاسر لكلّ شيء.

وقوله عزّوجلّ: «ألا ذلك هو الخسران المبين» مستأنف سيق لتقرير خسرانهم وتصدير الجملة بحرف التّنبيه والإشارة البعيدة لبعد منزلة المشار إليه في الشّرك والفساد، في الكفر والعناد، وفي البغي واللّجاج، وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران، و وصفه بالمبيّن دلالة على نهاية هو له وغاية فظاعته وأنّه لا خسران ورآئه.

وبعبارة أُخرى: إنّ للإنسان قوّتين يستكمل بإحداهما علماً، وبالاخرى عملاً والآلة الواسطة في القسم الأوّل هي العلوم المسمّاة بالبديهيات وترتيبها على الوجه المؤدّى إلى النّتائج وهو بمنزلة الرّبح يشبه تصرّف التّاجر في رأس المال بالبيع والشّرآء، والآلة في القسم الثّاني هو القوى البدنية وغيرها من الأسباب الخارجية المعينة عليها، واستعمال تلك القوى في وجوه الأعمال الصّالحة الّتي هي بمنزلة الرّبح يشبه التّجارة، فكلّ مَن أعطاه الله العقل والصّحّة والتّمكين ثمّ إنّه لم يستفد منها معرفة الحقّ ولا عمل الخير... فاذامات فقد فات ربحه، وضاع رأس ماله، و وقع في عذاب الجهل وألم البُعد عن عالمه، والقرب مما يضادّه أبدالآباد، فلاخسران فوق هذا ولا حرمان أبين منه.

إن تسئل: إن المشركين الفجرة والمجرمين الفسقة والمستكبرين الظّلمة إذا خسروا أنفسهم وأوردوها موارد الإنحطاط والهلاك يوم القيامة، فكيف يكون خسارتهم لأهليهم يومئذ؟

تجيب عنه بأجوبة: منها ـ أنّ أهل الكفر والضّلال، والظّلم والعناد لايلتقي بعضهم ببعض يوم القيامة إلّا على عداوة وخصام، وعلى قطيعة ونفور... لقوله تعالى: «ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النّار

ومالكم من ناصرين» العنكبوت:٢٥) فأهل الضّلال بعضهم فتنة لبعض، ومن هنايقع بينهم يوم القيامة هذه العداوة والخصام: «الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين» الزّخرف:٦٧) ومن هنا يلتفت الضّالّ، فلا يجد حوله في جهنّم إلّا وجوهاً كالحة تلعنه، وترمى إليه بالعداوة ممن كانوا هم أقرب النّاس إليه في الحياة الدّنيا من أهل وصديق...

ومنها - أنّ خسارة الكافر والضّال والظّالم لأهليهم يوم القيامة، هي تفرّقهم عنهم فلايلتقون بهم إذا كانوا في الجنّة، أما إذا كانوا في جهنّم فإنّ لقآئهم بهم حسرة وبكآء وعويل... على خلاف لقآء المؤمنين، حيث يجمعهم الله بأهليهم وبإخوانهم من أهل الجنّة، فيتضاعف لذلك سرورهم، نعيمهم كما قال الله عزّوجلّ: «والّذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنابهم ذريتهم» الطور: ٢١) وقال في أهل الإيمان: «ادخلوا الجنّة أنتم وأزواجكم تحبرون» الزخرف: ٧٠) وغيرهما فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

١٦ - (لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتّقون)

مستأنف بيانيّ سيق لتفصيل خسران المشركين يوم القيامة بعد تهويله بطريق الإبهام، والتّعظيم لأمره، ولفت نظر عباد الله الصّالحين إلى ما في هذا المصير من هون، وتقرير كون الله تعالى إنّما يوحى بذلك ليحذرهم منه ويدعوهم إلى اتقائه بالإيمان وصالح الأعمال...

إن تسئل: مامعنى قوله تعالى: «ومن تحتهم ظلل» والظّلل لا تكون إلّا من فوقهم؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها - أنّه سمّى ما تحتهم من النّار ظللاً لأنّها ظلل لمن تحتهم، فإنّ النّار دركات وطبقات، وهم بين أطباقها، فكأنّه قال: «لهم من فوقهم ظلل من النّار، ومن تحتهم ظلل من النّار للّذين هم أسفل منهم» فالظلل من تحتهم ظلل لمن تحتهم، فهذه هي بساط لهم، وهي لمن تحتهم ظلل، و هلمّ جرّاً حتّى ينتهوا إلى القعر والدّرك الأسفل

من النّار.

ومنها ـ أن ينزل العذاب من فوقهم إلى أسفلهم، ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم.

ومنها ـ أنّ الظّلل جمع الظلّة وهي مايخيم فوق الرّأس ويحيط فوق الشّيء، وقد سميّت النّار ظلّة بغلظها وكثافتها، فصارت محيطة بهم من جميع جوانبهم حائلة من النّظر إلى شيئ آخر، فإنّ المعهود من النّار الجهتان أي إحاطتها بهم من فوقهم ومن تحتهم.

ومنها ـ أنّ الظلّة ماعلا الإنسان، فسمّى ماتحتهم بالظلّة إطلاقاً لأحد الضدّين على الآخر أو لأن التحتانيّة مشابهة للفوقانيّة في الحرارة والإحراق.

ومنها ـ أنّ إسم الظّلل أجرى على قطع النّار على سبيل التّوسع والمجاز لأنّها في مقابلة مالأهل الجنّة من الظّلل.

وغيرها من الأجوبة فتأمل جيّداً.

وقوله تعالى: «ذلك يخوّف الله به عباده» تحذير من الله عزّوجلّ لعباده وتخويف لهم من هذا المورد الوبيل وهم في هذه الدّنيا ليأخذوا لذلك حذرهم، وليعملوا على توقّيه بالإيمان بالله جلّ وعلا واتقآء محارمه، ولهذا جآء قوله تعالى: «يا عباد فاتّقون» تعقيباً على هذا التّحذير وإلفاتاً إلى طريق السّلامة والنّجاة من هذا البلاء الراصد، وذلك بتقوى الله سبحانه، فالتّقوى هي مركب النّجاة من هذا الطّوفان الجهنّمي الّذي يحتوى بأمواجه المتلاطمة كلّ من لم يكن في هذا المركب النّاجي.

وقوله عزّوجلّ: «يا عباد» ندآء من ربّ كريم إلى عباده ليأخذوا طريق العبودية إلى معبودهم الحقّ جلّ وعلا حيث الأمن والسّلامة والنّعيم والرّضوان...

وقوله سبحانه: «فاتّقون» الفآء فصيحة وتفريعة تفصح عن كلام محذوف أي قد بيّنتُ لكم ماينتظر الّذين لايؤمنون بي ولا يتّقون محارمي من بلآءٍ شديد وعذاب أليم، فاتّقون أنتم حتّى لا تقعوا تحت طائلة نقمتي وعذابي وهذه عظة ومنّة من الله تعالى منطوية على نهاية اللطف وغاية الرّحمة على عباده، وفيه حثّ على التّقوى الّتي هي طريق النّجاة.

١٧ ـ (والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرىٰ فبشّر عباد)

وعدوثناء وتنويه بالّذين يجتنبون عبادة الأصنام، ويخلصون في الإتجاه إلى الله تعالى وحده، فلهؤلآء البشرى وعلى النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يبشّر عباد الله الّذين يتروون فيما يسمعون... وتقرير لحال المؤمنين وما أعدّلهم من الثّواب الجميل والجزآء الجزيل، وتعقيب أيضاً على هذا العرض الّذي عُرضت فيه جهنّم وأهلها ومايلقون فيها، ومن هذا العرض بيان شارح للطّريق الّذي يعدل بالنّاس عن الطّريق الجهنمى إلى طريق النّجاة والفوز بجنات النّعيم، فمن اجتنب الشّرك بالله سبحانه أخلى يديه وقلبه من هذه المعبودات المخلوقة لله تعالى أو المصنوعة بأيدى النّاس... من اجتنب هذه المعبودات إبتداءً أو تاب إلى الله عزّوجلّ من بعد شركه وأخلص لله تعالى دينه وعبده وحده فله البشرىٰ بالنّجاة والفوز بالجنّة ونعيمها.

قوله تعالى: «الطّاغوت» مبالغة من الطّغيان ـ وهو تجاوز الحدّ ـ على وزن جبروت وملكوت... والمراد به شدّة الطّغيان والبغي والشّرّ والفساد وأسبابها... لأنّ الطّاغوت هو كلّ ضلال، وأصله من الطّغيان الّذي يعدل بصاحبه عن طريق الحقّ والهدى، عن طريق الخير والفلاح، وعن طريق الكمال والصّلاح... إلى متاهات الباطل والضّلال، والشرّ والخسران، والإنحطاط والفساد... وفي التّعبير عن الضّلال بكلمة «الطّاغوت» تشنيع على الضلال، وعرض له في تلك الصّورة الّتي تتمثل في هذه الأحرف المتنافرة الّتي تشكلّت منها هذه الكلمة كما يتشكل الضّلال والإنحطاط من وجوه الآثام والشّرور...

وفي تأنيث «الطّاغوت» إشارة لمشاعر البغضآء والكراهية الّتي عند الجاهلين للانثى ليلتقوا بهذه المشاعر مع معبوداتهم، ولينظروا إليها في صورة انثى يعبدونها ويخرّون للأذان سجّداً بين يديها... وهكذا من المتناقضات الّتي تعيش في عقولهم السّقيمة وقلوبهم المريضة إذ كيف يستقيم لذي عقل أن يحقر الانثى ويكره وجهها في صورة إبنة هي فلذة من كبده ثمّ إذاً هو عبد ذليل بين يدي أنثى سوّاها بيده من حجر أو خشب...؟! ولم يقتصر على مجرّد اجتناب عبادة الطّاغوت بل أضاف إليه.

قوله تعالى: «وأنابوا إلى الله» تنبيهاً على أنّ مجرّد النّفي لا يجدي شيئاً ولا يكتفى به، وإنّما الّذي ينفع الإنسان مجموع النّفي والإثبات: رفض الآلهة الباطلة كلّها والتّوحيد، ورفض عبادة غير الله، وعبادة الله وحده وهذا هو التّوحيد وعبادته مخلصاً له الدّين وهذا هو المعنى بالحقيقة لكلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» فلابدّ من التّخلية قبل التّحلية، ومن التّطهير قبل الطّهارة.

١٨ - (الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب)

توصيف وتشريف للعباد، وبيان لحقيقة عبوديتهم لِلّه جلّ وعلا والفاء في قوله: «فيتّبعون أحسنه» فصيحة تفصح عن حقيقة «القول» أي قول الله جلّ وعلا بأنّه المقياس لكلّ قول حسن من غير الله تعالى، فكلّ قول لا يوزن على قوله عزّوجلّ ولا يؤيّد به فليس بحسن، فلا يمكن طلب الحقّ والهدى ولا إرادة الرّشد والصّلاح، ولا إصابة الواقع والفلاح إلّا بقول الله جلّ وعلا، وقد خفي هذا المعنى على أكثر المفسّرين كما خفي عليهم المايزبين أفعل التّفضيلات الثّلاث ومعناها: زيد أعلم النّاس - زيد أعلم من عمرو - زيد هو الأعلم مثلاً.

حيث انّ الأوّل من باب المقياس والميزان، والثّاني من باب المقايسة والمفاضلة بين الإثنين، والثّالث من باب القصر، أي قصر الأعلمية فيه.

ومن الأوّل قولنا: الله أكبر - الله أعلم... بأنّ علمه تعالى هو المقياس والمعيار لكلّ علم وليس معناه: الله عالم، وزيد عالم ولكنّ الله أعلم من زيد سبحانه وتعالى. ولذلك ورد أفعل في شأن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته بالإضافة:

عليّ أعلم النّاس، أفقه النّاس، أقضى النّاس، أحكم النّاس، أعرف النّاس بالله تعالى، أعدل النّاس، أصدق النّاس، أعبد النّاس، أورع النّاس، أتقى النّاس، أزهد النّاس، أكرم النّاس عند الله عزّوجلّ، أبصر النّاس، أحبّ النّاس عند الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، أشجع النّاس، أسخى النّاس، أجود النّاس، وأحقّ

النّاس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وغيرها من الفضآئل كان الإمام عليّ عليه السّلام معياراً وميزاناً لها، وما كان هو عليه السّلام أحد كفّتي الميزان الرّاجح.

في نهج البلاغة: «لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد، ولا يسوّىٰ بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدّين وعماد اليقين».

وقد سبق منّا في هذا التّفسير أنّ لباب المفاضلة شرطين: **أحدهما** ـ سنخيّة المتفاضلين في الصّفة، فلايقاس بقّال عامي بالمجتهد الدّيني في العلم. **ثانيها** ـ عرضيّة المتفاضلين فيها، فلايقاس الطّلبة المبتدي بالمرجع الدّيني.

وقوله تعالى: «اولئك الّذين هداهم الله» إشارة إلى أنّ هذه الصّفة هي الهداية الإلهية الإجمالية الّتي تكون معياراً لكلّ هداية تفصيليّة، وأنّهم جعلوا قول الله عزّوجلّ ميزاناً للحقّ والهدى والخير والرّشاد، قال الإمام علي عليه السّلام فيهم وفيمن على خلافهم: «ويعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأي».

وقوله عزّوجل: «واولئك هم اولوا الألباب» إشارة إليهم بإعتبار إتّصافهم بما ذكرمن النّعوت الجليلة، ومعنى البعد فيها إيذان بعلوّ رتبتهم، وبُعد منزلتهم في الفضل والكمال، وفيه دلالة على أنّ العقل هو الّذي يهتدي به الإنسان إلى الحقّ وآيته صفة اتباع الحقّ، ويستفاد منه أنّ العقل مايتّبع به دين الله تعالى وأنّ اولى العقول السّليمة يستضيئون بنور الله تعالى ويتدبّرون مايقع لأسماعهم من كلمات، فيميزون به الحقّ من الباطل، الطيّب من الخبيث، والهدى من الضّلال، ثمّ يؤدّيهم هذا إلى أن يستجيبوا لكلّ مادعاهم الله تعالى إليه، ويتبعوا كلّ ماهو من عندالله جلّ وعلا، وهم أصحاب عقول سليمة وقلوب واعية، يعيشون بها في صورة بشرية كريمة، وهم ذو وا العقول على الحقيقة لأنّهم الّذين انتفعوا بعقولهم من حيث اتّبعوا مايجب اتباعه، وأمّا الكفّار ـ وإن كان لهم عقول ـ فكأنّهم لاعقول لهم من حيث انّهم لاينتفعون بما دعوا إليه، وأمّا مايعيشون به فهو النّكرآء فيهم. فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

١٩ ـ (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ مَن في النّار)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير أحوال أضداد المذكورين على سبيل الإجمال، وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطّاغوت ومتبعوا خطواتها ... وفيه تهديد و وعيد شديد لاولئك الّذين استولى عليهم الكفر والضّلال، فحجب عقولهم من رؤية النّور الّذي يشعّ من حولهم، وأصمّوا آذانهم عن داعي الهدى الّذي يدعوهم إليه ليخرجهم مماهم فيه من فساد وإنحطاط.

الهمزة إنكارية، والفآء عاطفة على جملة مستتبعة لها مقدّرة بعد الهمزة ليتعلّق الإنكار والنّفي بمضمونها معاً أي أأنت مالك أمر النّاس ومصرّف امورهم؟ فمن حقّ عليه كلمة العذاب ينجو منه.

ثمّ كرّرت الهمزة والفآء في الجزآء لتأكيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام، ثمّ وضع: «مَن في النّار» موضع الضّمير، تصريحاً بجزائهم، ولمزيد تشديد الإنكار والإستبعاد لانقاذه صلّى الله عليه وآله وسلّم أهل النّار منها، وإيماء إلى أنّ دعآئهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النّار المحققة، وتنبيهاً على أنّ المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النّار وإفهاماً النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على سبيل التّطمين والتّسلية أنّه ليس من مهمّته إرغام هؤلآء المشركين على الإيمان.

٢٠ ـ (لكن الّذين اتقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد)

مستأنف بيانيّ ـ على طريق الإضراب عن وعيد الكفّار ـ سيق لتقرير مساكن المتّقين في الجنّة إثر بيان مساكن أهل النّار فيها، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلّيّة الوصف في الحكم مالا يخفى على القاري الخبير المتدبّر فلايدخلها إلّا مَن اتصف بصفة التّقوى، فليطلبها كلّ أمرءٍ من بابها وهو التّقوى.

وقوله تعالى: «غرف مبنيّة» في وصف الغرف بأنّها مبنيّة إشارة إلى أنّها ثابتة، تطيب فيها الحياة بالسّكن والإستقرار، وأنّها ليست خياماً مضروبة لايستقرّ فيها المقيم إلّا ريثما يتحوّل بها إلى أماكن اُخرى.

وقوله تعالى: «وعد الله...» إخبار عن سنّة الله جلّ وعلا في مواعيده، وتقرير لتحقّقها وتأكيد لحصولها لهم لامحالة، وفيه تطييب لنفوسهم الرّاضية المرضيّة.

٢١ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لاولى الألباب)

مستأنف بيانيّ مسوق إما لتمثيل الحياة الدّنيا في سرعة الزّوال وقرب الإضمحلال بما ذكر من أحوال الزّرع ترغيباً عن زخارفها وحطامها وزينتها، وتحذيراً من الإغترار بزهرتها كما في قوله تعالى: «إنّما مثل الحياة الدّنيا...» يونس: ٢٤) فكلّ مايبدوفيها بهيجاً عاقبته إلى الجفاف والدّمار، وليس المراد بذلك الدّعوة إلى نفض اليد منها بتاتاً، وإنّما يعني التّحذير من الإستغراق فيها إستغراقاً مسرفاً ينسي المرء واجبه نحو الله تعالى والنّاس، وينسى المصير الأخروي الّذي سوف يلقى فيه جزآء ماقدّم بين يديه من خير وشرّ.

وإمّا للإستشهاد على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من إنزال المآء من السّمآء وما يترتب عليه من آثار قدرة الله تعالى وأحكام حكمته ورحمته، وتذكير بآلائه ونعمه على عباده، فالآية الكريمة عود إلى بدءٍ من الإحتجاج على ربوبيّته تعالى و وحدانيّته.

وقوله تعالى: «ثمّ يخرج به زرعاً» التّراخي للرتبة أو الزّمان، وإيثار المضارع لإستحضار صورة تلك الحالة العجيبة الشّأن، وهي إخراج النّبت المختلف الألوان والأصناف والخواصّ بسبب المآء المخالط للأرض.

وقوله تعالى: «فتراه مصفرّاً» في العطف بالفآء إشارة إلى قصر الزّمن بين شباب الزّرع وشيخوخته.

وقوله عزّوجلّ: «ثمّ يجعله حطاماً» في العطف بـ«ثمّ» إشارة إلى الزّمن بين إصفرار النبات وجفاف مآء الحياة منه وهو زمن أطول بالنّسبة إلى الزّمن بين هيجانه وإصفراره.

وقوله جلّ وعلا: «إنّ في ذلك لذكرى...» إشارة إلى ما ذكر تفصيلاً، ومعنى

البعد فيها للإيذان ببعد منزلته في الغرابة والدّلالة على ماقصدبيانه، وإلى أنّ هذه المشاهدة الّتي تعرضها الآية الكريمة لقدرة الله جلّ وعلا لا يراها ولا يذكر مافيها من دلالات دالّة على تلك القدرة إلاّ أصحاب العقول السّلمية الّتي لم يغط عليها الجهل والضّلال... وأنّ الخطاب وإن كان للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المراد به جميع المكلّفين على وجه التّنبيه لهم على الأدلّة الدّالّة على توحيده جلّ وعلا وإختصاصه بصفات لايشركه فيها غيره.

٢٢ - (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين)

مستأنف بيانيّ، جار مجرى التّعليل لما قبله من تخصيص الذكرىٰ باولى الألباب، على طريق التّساؤل الإنكاري عمّن له الفضيلة والكمال تنوها بهم. أي أليس هو الّذي شرح الله تعالى صدره فاهتدى وهو على نور من ربّه؟

وقوله تعالى: «فهو على نور من ربّه» تفيد لفظة «على» الإستعلاء والتّمكّن.

وقوله عزّوجلّ: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» إنذار وتقريع للكافرين، ووعيد وتهديد وتوبيخ لذوي القلوب القاسية الّتي لا تخشع ولا تلين عند ذكر الله تعالى، بل إذ ذكّرت بآيات الله جلّ وعلا إشمأزّت ونفرت، وهذا هو بعض السّرّ في تعدية إسم الفاعل: «قاسية» بلفظة «من» لتضمنها معنى ناضرة أي فويل للنّاضرة قلوبهم من ذكر الله عزّوجلّ، كما يشير إليه قوله تعالى: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة» الزّمر: ٤٥) مع أنّ قسوة القلب تدلّ على خلوّه من فوائد القرآن الكريم، وهذا هو بعض السّرّ الآخر في تعديتها بـ «من».

ومن المحتمل أن تكون لفظة «من» للتّعليل، وذلك أنّ النّفوس الإنسانيّة بإعتبار تزكيتها وعدمها مختلفة، فبعضها المزكّاة مشرقة بنور الله تعالى يزيدها نور القرآن الكريم بهآء وضيآء: «قد أفلح من زكّاها» وبعضها المدسّسة مظلمة كدرة لا ينعكس إليها نور الذّكر، ولا تظهر فيها صورة الحقّ كالمرآة الصدئة: «وقد خاب من دسّاها».

وأنّ الآية الكريمة بصدد إستخراج العبرة الّتي انطوت في الآية السّابقة، والّتي

دُعِيَ اولوا الألباب إلى تدبّرها، فإذا كان النّاس متنوّعين في مشاربهم وميولهم مختارين فيها، فالفضيلة بطبيعة الحال هي للصّالحين المتّقين المهتدين بهدى الله جلّ وعلا و بنوره.

وفيها: تعريف الهداية بلازمها وهو شرح الصّدر وجعله على نور من ربّه، وتعريف الضّلال بلازمه وهو قساوة القلب من ذكر الله تعالى.

وقوله تعالى: «فويل...» الفآء تفريعة على الجملة السّابقة بما يدلّ على أنّ القاسية القلوب ـ وقساوة القلب وصلابته لازمة عدم شرح الصّدر وعدم الإستضاءة من نور الله عزّوجلّ ـ لا يتذكّرون بآيات الله تعالى فلا يهتدون إلى ما تدلّ عليه من الحقّ، ولذا عقبه بـ

قوله تعالى: «اولئك في ضلال مبين» بياناً لحالهم، وتقريراً لضلالتهم وثباتهم عليها.

٢٣ ـ (الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشآء ومن يضلل الله فما له من هاد)

مستأنف بيانيّ سيق لتأكيد وصف القرآن الكريم، وكيفيّة تأثيره في النّفوس المزكّاة وشرحها ولينها به، وتنويه به وأثره، إذ جاء في حسن التّساوق والإنسجام والمواعظ والرّوحانيّة وتنوّع أساليب الإنذار والتّبشير والقصص وصفات الله وأسمائه الحسنى ومشاهد علمه وحكمته، وقدرته وعظمته ما من شأنه أن يثير في الّذين يؤمنون بالله تعالى ويخافونه شعور الرّهبة والهيبة والخشوع، فتقشعر جلودهم لذكر الله عزّوجلّ ثمّ لا تلبث أن تستشعر بالسّكينة والطّمأنينة، وهذا من أثر هداية الله الّتي يوفّق الله تعالى إليها مَن يشآء من عباده الّذين جعلوا طوق العبوديّة لله تعالى وحده على أعناقهم، ومن امتنع وأبى واستكبر فلم يوفقه إليها ولم ينتفع بذلك.

إنّ الآية الكريمة كالإجمال بعد التّفصيل بالنّسبة إلى الآية السّابقة، إلى ما يتحصّل من الآية في معنى الهداية، وإن كانت بياناً لهداية القرآن الكريم، فقد

احتوت السّابقة تنويهاً بمن شرح الله عزّوجلّ صدره للإسلام وتنديداً بقساة القلوب، عند ذكر الله تعالى، فجائت هذه الآية تبين ما هو ذكر الله وما هو أثره في القلوب الصّافية السّليمة، كما أنّها بصدد التّنويه بفريق المؤمنين الّذين التفّوا حول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واهتدوا به وتأثّروا بالقرآن الكريم ومواعظه، وتساوقه وانسجامه وقوة روحانيته.

وإنّ معجزة الآية الكريمة في المؤمنين مستمرّة المدى في كلّ ظرف ومكان، فلن يسمع القرآن الكريم مؤمن يخاف الله تعالى ولا يكابر في آياته إلّا استشعر بروحانيته وخشع له قلبه.

وفي الآية الكريمة أيضاً إلفات إلى نعمة جليلة من نعم الله جلّ وعلا إلى جانب ماينزل تعالى من نعمه... فهو الّذي أنزل من السّمآء مآءً فأحيابه الأرض بعد موتها، وأخرج منها حبّاً ونباتاً، تغتذي منه الأجسام، وإنّه يغير هذا المآء، وبما يخرج من الأرض من ثمرات لايكون للإنسان ولا لكائن حيّ حياة، ثمّ إنّ الله تعالى بعد أن كفل للإنسان حاجة وللجسم حاجته ـ أنزل له من السمآء مايحيى به الجانب الروحى الإنساني منه، فالإنسان ليس جسداً وروحاً حيوانياً يتحرّك ويأكل ويتمتّع... كسائر الحيوان، وإنّما هو جسد وروح إنساني، ولا تتحقق إنسانيته إلّا بالجسد والرّوح الإنساني معاً.

وقوله تعالى: «الله نزّل أحسن الحديث» بيان للغذاء الرّوحي الّذي أنزله الله تعالى وهو القرآن الكريم، إنّه حديث الله إلى عباده وكلماته إليهم، ولا يكون «أحسن» هنا للمفاضلة لأنّه اضيف إلى مابعده: «الحديث» وقد سبق منّا آنفاً أنّ أفعل إذا اضيف كان موصوفه مقياساً في صفته لغيره وليس من باب المقايسة، فلايكون الموصوف أحد كفّتي الميزان الرّاجح كمازعمه أكثر المفسّرين، فالمعنى: إنّ الله تعالى نزّل أحسن الحديث وهو القرآن الكريم الّذي لايقاس به حديث آخر من الأحاديث غير النّازلة من الله تعالى، فكلّ حديث لابد أن يوزن بهذا الحديث في حسنه.

إن تسئل: إنّ الله تعالى ذكر هنا أنّ القرآن كلّه متشابه: «كتاباً متشابهاً» وقد جآء في أوّل سورة هود أنّ القرآن كلّه محكم: «كتاب أحكمت آياته»: ١) وذكر في سورة آل عمران أنّ بعضه محكم وبعضه متشابه: «منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب واخر متشابهات»: ٧) وهل هذا إلّا تناقض؟

تجيب عنه بأجوبة:

منها ـ إنّ هذا التّشابه غير التّشابه الّذي في المتشابه المقابل للمحكم، فإنّه صفة بعض آيات الكتاب، وهذا صفة الجميع، فالمعنى: يشبه بعض أجزائه بعضاً. وليس معناه أنّ له متشابهاً، بل كلّه حسن ومعيار لكلّ حديث حسن كما تقول: ما أدرى ما أختار من هذا الثياب كلّها عندي حسن.

فقوله تعالى: «كتاباً متشابهاً» وصف لأحسن الحديث وبيان له، فأحسن الحديث هو هذا الكتاب أي القرآن الكريم، وهو كتاب متشابه في جلال قدره وعلوّ منزلته وسمّو معانيه، .أنّه الحقّ في آياته وكلماته، فهو على درجة واحدة في الحسن والجمال، فيشبه بعضه بعضاً في الصّدق والبيان، في الوعظ والحكمة، في الإعجاز والإتقان، في النظم والاسلوب، في الإشتمال على الغيوب واصول العلوم، في المحتوى والمبنى، وفي الجزالة والبلاغة، فالتّشابه بمعنى حسن التّساوق والإنسجام في نظم القرآن ومحتوياته كما تتشابه أجزآء المآء والهوآء فيشبه بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً ليس فيه إختلاف ولا تناقض ولا تهافت ولا تنافر بين معانيه... وأنّها غير ما تعنيه قو. تعالى: «واخر متشابهاً» آل عمران: ٧).

وأمّا وصفه بأنّه محكم كلّه فالمراد به أنّه بحيث لا يتطرّق إليه الفساد والتّناقض والإختلاف والتّباين والتّعارض، بل لا شيء منه إلّا وهو في غاية الإحكام إمّا بظاهر وإمّا بدليله على وجه لا مجال للطّاعنين عليه.

وأمّا وصفه بأنّ بعضه محكم وبعضه متشابه فالمراد به أنّ ما يفهم بظاهره فيسمّى محكماً، وما يشتبه المراد منه بغيره فيسمّى متشابهاً، فلا تناقض في ذلك.

وقوله تعالى: «تقشعرّ منه...» كناية عن خوف المؤمنين حين يسمعون وعيد الله

تعالى وتهديده بالجحيم، والإقشعرار حال تعترى الجسد من أثر رهبة أوخوف فيموج الجلد بموجات أشبه بمسّة الكهربآء.

وقوله عزّوجلّ: «ثمّ تلين جلودهم...» كناية عن إطمئنانهم حين يسمعون وعد الله تعالى وبشارته بالنّعيم أو يسمعون ذكر الله تعالى: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» الرّعد: ۲۸) وفي تعدية الفعل: «تلين» بـ«إلى» إشارة إلى تضمين الفعل معنى الميل بمعنى أنّ قلوبهم تميل وتهفوا إلى مواصلة الحياة مع كتاب الله عزّوجلّ.

وقوله جلّ وعلا: «ذلك هدى الله...» تعريف آخر للهداية بلازمها. فالمعنى: مايأخذهم من إقشعرار الجلود من القرآن الكريم ثمّ سكون جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى هو هدى الله تعالى.

وقوله سبحانه: «يهدي به من يشآء من عباده» إشعار بأنّ الهداية من فضله تعالى، وليس بموجب فيها، مضطرّ إليها، فمن جعل طوق العبودية على عنقه، فيشمله فضله وهو رحمته الخاصّة.

وقوله تعالى: «ومن يضلل الله...» بيان لحال القاسية قلوبهم في الحياة الدّنيا وهي الضّلال العام.

ولا يخفى على القاري الخبير أنّ الله تعالى وصف القرآن الكريم بخمس صفات:

۱ ـ «أحسن الحديث» ۲ـ «كتاباً متشابهاً» ۳ـ «مثاني» ٤ـ «تقشعرّ منه جلود...» ٥ـ «تلين جلودهم وقلوبهم...».

۲٤ ـ (أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظّالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير حال المؤمنين الّذي اتّقوا سوء العذاب بإيمانهم، على سبيل التّساؤل الإنكاري في المقايسة بين الّذي يجد مايتّقي به عذاب الله يوم القيامة، وبين مَن لايجد مايتّقي به عذاب الله يومئذ إلّا وجهه لأنّه لم يقدم عملاً صالحاً يتّقي به. فالمعنى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل له: ادخل الجنّة كمن يلقى في جهنّم، وقيل له:

ولا يبعد أن يكون مستأنفاً جارياً مجرى التّعليل لماقبله من تباين حال المهتدي

والضّال والهمزة للإنكار والفاء للعطف المقدّر أي أكلّ النّاس سوآء فمن شأنه أن يتّقي بوجهه الّذي هو أشرف أعضآئه العذاب الشديدالسّيء يوم القيامة كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى اتقاء محظور مخوف.

وقوله تعالى: «وقيل للظّالمين...» إخبار عمّا يقوله خزنة النّار للكفّار على طريق الإهانة والتّهكّم والإستهزآء بهم، وإيثار الماضي للدّلالة على التحقّق والتقرّر وفي وضع الظّاهر موضع الإضمار تسجيل عليهم بالظّلم، والإشعار بعلّيّة الأمر في قوله عزّوجلّ: «ذوقوا ما كنتم تكسبون» أي وبال ماتكسبونه في الدّنيا من الكفر والمعاصي... فعلّة الحكم من ذوق العذاب هي الظّلم.

٢٥ ـ (كذّب الّذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

مستأنف سيق لتصوير حال أمثال هؤلآء الكافرين المكذّبين من الامم الماضية الّذين كذّبوا رسلهم مثلهم، ولبيان ما أصابهم من العذاب الدّنيوي إثر بيان مايصيب الكلّ من العذاب الاخُروي، وفيه تذكير لهم بهم إذ حلّ فيهم عذاب الله جلّ وعلا من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون، وتهديد شديد لهم بالخزي والهلاك والدّمار والعذاب.

٢٦ ـ (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

بيان للعذاب الّذي حلّ بالمكذّبين من الأمم الماضية، إنّه عذاب في الدّنيا بما أصابهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم...

وقوله تعالى: «ولعذاب الآخرة أكبر...» تقرير ينطوي على الإنذار بأنّ عذاب الآخرة الّذي ينتظر هؤلآء المكذّبين سيكون أكبر وأشدّ لشدّته ودوامه وحيث تكون النّار مأواهم لو فكروا وعلموا، وهذا العذاب الأخروي أكبر من كلّ عذاب يراه النّاس في هذه الدّنيا، ولكنّ المكذّبين في غفلة وجهالة من هذا، فهم لا يعلمون سوء هذا المصير الّذي ينتظرهم.

٢٧ ـ (ولقد ضربنا لِلنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون)

تسويه بما احتواه القرآن الكريم من الأمثال المتنوّعة الّتي ضربها الله تعالى للنّاس

فيه بقصد حملهم على التدبّر والتّذكّر، على طريق القسم تأكيداً.

إنّ الآية الكريمة وما يليها تقرير بأنّ هذه البيانات بلغت في الكمال إلى حيث لامزيد عليه، فما جاءهم القرآن الكريم من الأمثال والمواعظ، والحكَم والمعارف... كلّها عبرة لو كانوا يعلمون.

وقوله تعالى: «لعلّهم يتذكّرون» تعليل لما قبله، وفيه حثّ على طلب الذّكر المؤدّي إلى العلم.

٢٨ ـ (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتقون)

إشارة إلى أنّ القرآن الّذي إحتوى هذه الأمثال هو قرآن عربيّ لا عوج فيه ولا إغراب ولا تعقيد، وقد جعله الله تعالى كذلك حتّى يفهمه السّامعون بسهولة وتبعث فيهم أمثاله شعور تقوى الله جلّ وعلا، ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ الآية الكريمة ليست بصدد تقرير كون لغة القرآن الكريم هي اللّغة العربية لأنّ هذا تحصيل الحاصل، وإنّما هي بصدد تقرير كون لغته العربية سليمة مأنوسة لا إغراب فيها، ولا تعقيد ليستطيع السّامعون على مختلف طبقاتهم في كلّ ظرف أن يفهموه ويفهموا مافيه من مواعظ وأمثال وحكم ونصائح... وفي هذا ردّ قرآنيّ على من زعم أنّ لغة القرآن الكريم كانت فوق مستوى مدارك العرب وأفهامهم، وتوكيد بأنّ لغته هي اللّغة الّتي كان يفهمها السّامعون أو معظمهم على إختلاف فئاتهم ومنازلهم...

وقد يرد هنا في هذه المناسبة سئوال عن حالة الأعاجم بالنّسبة إلى القرآن المجيد، فهذه الآية تقرّر أنّ الله تعالى جعله بلغة عربية مأنوسة ليفهمها سامعوه ويتدبروه والدّعوة الإسلاميّة القرآنيّة هي دعوة عامّة لكافة النّاس: «قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ١٥٨) والقرآن هو كتاب المسلمين جميعهم من عرب وعجم.

وفي الآية الكريمة جواب عن هذا السّئوال: بأنّ الله عزّوجلّ جعل لغة القرآن قليلة الألفاظ، كثيرة المعاني، سهلة غير معقدة، ليس مثلها لغة من لغات العالم كلّها، وهذا ممّا يسهل ترجمة معانيه إلى اللّغات الاخرى ليطلع عليها الأعاجم

ويفهموه بها، فيجب على المسلمين ترجمة معاني القرآن الكريم تبعاً لما يجب عليهم من نشر الإسلام ومعارفه في مشارق الأرض ومغاربها لتحقيق وعدالله تعالى بإظهاره على الدّين كلّه.

مع وجوب تلاوة القرآن الكريم في الصّلاة عربياً على كلّ مسلم، لحفظ الأصل والوحدة بين المسلمين، فلا تصحّ الصّلاة إلّا بالقرآنِ العربي لأنّ الله عزّوجلّ أنزله عربياً وسمّاه قرآناً عربياً.

وقوله تعالى: «لعلّهم يتّقون» تعليل لنزول القرآن بلسان عربيّ مبين، فبهذا اللّسان العربي المبين يقع منه العلم، ومن العلم يكون الإيمان والتّقوى والتّذكّر...

وقيل: علّة اخرى ناشئة عن الاولى بأنّ التّقوى ينشىء من التّذكّر كما أنّ التّذكّر يحصل بالنّظر إلى الأمثال القرآنية، وأمّا القول بإستحالة تأخّر العلّة عن المعلول فهو في الوجودات لا في العوارض والأحكام... وإن يمكن لنا أن نقول: إنّ ضرب الأمثال علّة لحصول التّذكّر، والتّذكّر علّة لحصول التّقوى، علّة ناقصة غير ملزمة.

٢٩ - (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لِلّه بل أكثرهم لا يعلمون)

مثل مستأنف من جملة الأمثال القرآنية على سبيل المقايسة، بعد بيان أنّ الحكمة في ضربها هو التّذكّر والإتّعاظ وتحصيل التّقوىٰ، والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة بأخرىٰ مثلها وجعلها مثلها، وقد ضرب الله تعالى مثلاً للمشرك وعبادته الأصنام وقبح طريقته وفساد مسلكه، فتنطبق عليه حال كلّ مشرك في كلّ ظرف إذ ذكر رجلاً واحداً منهم، ووصفه بصفة موجودة في سآئر المشركين، فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم أجمعين. وهذا مثل ساذج ممكن الفهم لعامّة النّاس لكنّه عند التأمّل والدّقّة يرجع إلى دليل التّمانع في قوله تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) وعاد برهاناً على نفي تعدّد الآلهة.

ثمّ ضرب مثلاً للمؤمن الموحّد فرقاً بين المشرك والموحّد، بين الكافر والمؤمن وبين الخبيث والطيّب... فالمشرك يشبه رجلاً مستعبداً لرجال لا يتّفقون على رأى،

فهو في مِلكة شركآء متخالفين طباعاً ونوازع وتفكيراً... فهم على خلافٍ في أمر هذا العبد المملوك الضّئيل، فهذا يأمره بهذا الفعل، والآخر ينهاه عنه، والثّالث يريده لفعل، والآخر يطلبه في نفس الوقت لفعل آخر وهكذا، فيصبح هذا العبد المأمور الضّئيل موزّع المشاعر، ممزّق الكيان، حآئر في أمره لا يدري ماذا يأخذ؟ وماذا يدع؟ ولا يستطيع أن يقرر أيتقدّم أم يتاخّر... إنّه ريشة في مهبّ ريح هو جآء...

وأمّا المؤمن الموحّد فهو كالعبد المملوك لواحد حكيم فيما يأمره وينهاه فإنّه مع مالكه على أمر معلوم و وجه مفهوم، فإنّه يجد كيانه كلّه حاضراً معه، أينما أقبل أو أدبر.

فلايستوي هذان المملوكان في حظّهما من الحياة كما لا يستوي من يعبد الواحد الأحد ومن يعبد أرباباً أشكالاً وألواناً، فإنّ الموحد يعبد إلهاً واحداً هو الله ربّ العالمين فهو صورة لهذا الرّجل الّذي هو سَلَم لرجل أي خالص له، فيعبد الله وحده فهو على حال من الأ من والإستقرار والطّمأنينة مادام مطيعاً له، مخلصاً له الدّين، وأمّا المشرك فهو شقيّ تمزّقه الأيدي الممسكة به، والمختلفة فيه، كلّ يدتريد أن تذهب به مذهباً، فانّه يعبد آلهة شتّىٰ، وهذا هو صورة من هذا الرّجل الّذي تملكه تلك الأيدي الكثيرة المتشاكسة... إنّهيقطع أنفاسه لاهثاً، ورآء كلّ إله يريد أن يكسب رضاه بالملق والرّيآء والدّسّ على آلالهة الآخرين...

فالمنطق والعقل السّليم كما يحكم على السّعادة والفضيلة للملوك لصاحب واحد، كذلك يحكم على الشّقاء والرّذيلة للمملوك في مِلكةشركآء متنازعة عليه كلّ واحد منهم يجذبه إليه.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر من تقديم المشرك على المؤحّد في ذكر المثل فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

إنّ الله تعالى جعل المضروب له فيهما رجلاً لنقص عقول النّسآء وسقوط التّكاليف أيّاماً منهنّ، وعدم توجّه التّكاليف إلى الصّبيان، مع أنّ الرّجل أصل في كلّ باب، فجعله مضرب المثل أولى، وليكون الرّجل أفطن لما شقي به أو سعد فإنّ

المرأة والصّبي قديغفلان عن ذلك .

وقوله تعالى: «هل يستويان مثلاً» إنكار وإستبعاد لاستوآئهما، ونفي له على أبلغ وجه وآكده، وإيذان بأنّ ذلك من الجلآء والظّهور بحيث لايقدر أحد أن يتفوه بإستوآئهما أو يتعلثم في الحكم بتباينهما ضرورة أنّ أحدهما في أعلى علّيّين والاخرى في أسفل السّافلين، والإقتصار في التّمييز: «مثلاً» على الواحد لبيان الجنس، والمراد تجهيل من يجعل المعبود متعدداً، فليس رضا واحد كطلب رضا جماعة مختلفين، فلم يقل: «مثلهن» لأنّ كلاهما ضربا مثلاً واحداً فجرى المثل بالتّوحيد كقوله تعالى: «وجعلنا إبن مريم وامّه آية» المؤمنون: ٥٠) إذكان معناهما واحداً في الآية وهذا المثل المضروب وإن كان مثلاً ساذجاً، ممكن الفهم لعامّة النّاس، ولكن حاصله عند المداقّة يرجع إلى دليل التّمانع كما مرّ في قوله عزّوجلّ: «لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا» الأنبيآء: ٢٢) فعاد برهاناً على نفي تعدّد الآلهة والأرباب المتعدّدة. ولا يخفى أنّ المثل الّذي احتوته الآية الكريمة مقتطع من حياة العرب الجاهلية الّذين كانوا أوّل مَن وجّه القرآن الكريم إليهم، حيث كان المملوك الواحد يقع أحياناً في ملك عدّة شركآء وارثين، فيكون في صدده مشادات ومشاحنات فيما بينهم، ومع ذلك فإنّه ممّا يصحّ ان يكون عامّاً أيضاً لأنّه قآئم على منطق صحيح يتسق مع كلّ ظرف وحال.

وقوله عزّوجلّ: «الحمد لله» تقرير لماقبله من نفي الإستوآء بطريق الإعتراض، وتعقيب على هذا المثل الّذي تنكشف به الطّريق إلى الحقّ والهدىٰ، وإلى الإيمان باله واحد لاشريك له، وهذا الحمد هو منطق كلّ مؤمن، ولسان كلّ عاقل، نظر في هذا المثل في كلّ ظرف، وأخذ منه العبرة، وفيه تنبيه للموحّدين على أنّ ما لهم من مطلق الخير والفضيلة المطلقة بتوفيق الله تعالى وأنّهما نعمتان جليلتان موجبتان عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته، وثنآء لله جلّ وعلا بما أنّ عبوديته خير العبودية بحيث لا خير فيما سواها، فمن كان على هدى من ربّه، مستوياً على صراط مستقيم، صراط الله العزيز الحميد، فيسلك سبيل الله تعالى بنور الهداية بقدمي العلم والعمل، يصل إلى دارالسّلام ويسلم من هذه المهلكات الدّنيوية، ويتخلّص عن رقّ الدّنيا وأسر

الشّهوات، ويسلم من هذه المعذّبات الأخروية...

وفي الجملة تقرير لإستحقاق الله تعالى وحده للحمد بعبارة اريدبها عدم تجويز العقل والمنطق أن يسوي بين الله جلّ وعلا والشّركآء...

وقوله تعالى: «بل أكثرهم لايعلمون» إنتقال من بيان عدم الإستوآء على الوجه المذكور إلى بيان أنّ أكثرهم من المشركين أو بعض المسلمين لايعلمون ذلك مع كمال ظهوره، فيبقون في ورطة الشّرك والنّفاق، لا يعلمون أنّ الخير كلّه في العبودية لله تعالى وحده فلاخير أصلاً في عبودية غيره، بل فيها شرّ كلّه، وإضراب عن الحمد المطلوب من المشركين والضّالّين، والّذي يقتضيه العقل منهم، وهم في مواجهة هذا المثل المضروب، فالنّاس كلّهم مطالبون من عقولهم أن يحمدوا الله جلّ وعلا الّذي ضرب لهم الأمثال، ليبيّن لهم الطّرق إلى الحقّ والخير... ولكن أكثر النّاس لايعلمون شيئاً، ومن ثمّ فلا يحمدون الله تعالى على هذا المثل المضروب لهم، إذ لم يعلموا ما ينطوي عليه من هدى ونور.

وفيه تقريع المشركين على مايبدو منهم من حمق وعدم إدراك وعلم لما في شركهم من سخف وضلال.

٣٠ - (إنّك ميّت وإنّهم ميتون)

تمهيد لمايعقبه من الإختصام يوم القيامة، وإحالة لما بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبين المشركين إلى مابعد هذه الحياة الدّنيا، على طريق الخطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مقرّراً له صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه سوف يموت وأنّهم سوف يموتون، فيتبيّن يومئذ المحقّ والمبطل، إذ قد إستنفد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جهده معهم في إبلاغهم رسالة ربّه إليهم، كما استفرغوهم جهدهم معه صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما كانوا يرمونه به من ضرّ وأذى، وفيما كانوا يكيدون له وللمؤمنين معه.

وانّ الآية الكريمة تحتوي ترديداً لقول المشركين الّذين كانوا يقولون: إنّ محمّداً لن يلبث أن يموت فتنتهي حركته، وأنّها أيضاً تنطوي صورة من صور السّيرة النّبويّة

والتّشاد التّاشب بين النّبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمشركين، فالآية حلقة في سلسلة الجدل والمناظرة بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبينهم، فلاشماتة بالموت.

٣١ ـ (ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون)

إنّ الخطاب وإن كان شاملاً للجميع بـاسلوب الجمع المخاطب أي لـرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمشركين معاً تقريراً بـأنّهم سقفون يوم القيامة أمام الله جلّ وعلا موقف الخصومة والتّقاضي، ولكنّه عامّ ـ كسائر الخطابات ـ يشمل لِلاّمة المسلمة عامّة، كما أنّ في الآية الكريمة إشارة إلى أنّ هذا الموت المقضيّ به على النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى النّاس أجمعين، ومنهم هؤلآء المشركون، هذا الموت ليس هو خاتمة الأمر بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبينهم، وإنّما هو بدء مرحلة جديدة، يكون فيها الفصل بينه وبين المشركين ومن انسلك مسالكهم إلى يوم القيامة، فيوفّي كلّ جزآؤه.

وفي التّسوية بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وإن كان له مقام محمود عند الله جلّ وعلا «عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً» الأسرآء٧٩) وبين النّاس في الموت، ثمّ في التّسوية بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبينهم في مجلس القضآء والفصل بين يدي الله تعالى إشارة إلى أنّ النّاس جميعاً على سواء عند الله تعالى، وإنّما هي أعمالهم الّتي تنزلهم منازل عنده: «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها» فصلت:٤٦).

إن تسئل: يظهر التّناقض بين هذه الآية الكريمة وبين قوله تعالى: «لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد» ق:٢٨) فما وجه التّوفيق ما بينهما؟

تجيب عنه: إنّ يوم القيامة كما قال الله جلّ وعلا: «كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج:٤) مواقف عديدة، فمنها يقفون ويحاسبون ويتخاصمون، فيدّعي المظلومون على الظّالمين، فإذا إنتهت المسئلة وجبت الحجّة، وانقطع الكلام، ووقع القصاص، وصدر الحكم عليهم وذهب الخصام، واسودّت وجوه قوم، وابيضّت وجوه الآخرين وعرف الفريقان بسيماهم قيل لهم: لا تختصموا ولا تنطقوا ولا تعتذروا

إذ تمّ القضاء وصدر الحكم...

۳۲ ـ (فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوىً للكافرين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير حال كلّ من طرفي الإختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان، سيق لتقرير نتآئج الخصومة إستكمالاً للإرستدراك والإنذار، فلسوف يظهر أنّ الفريق الّذي كذب على الله سبحانه بإدّعآئه الأولاد والشّركآء له سبحانه، وكذب بالقرآن الصّادق الّذي جآء به نبيّه الصادق هو أشدّ النّاس ظلماً وجناية على نفسه، وأنّ من الطّبيعي أن تكون جهنّم مثواه لا غيرها.

إنّ الإستفهام الأوّل إنكاري، اريد به التّقريع والتّوبيخ أي لا أظلم ممّن جمع بين هذين المنكرين العظيمين: الكذب على الله سبحانه بنسبة الوعد والصاحبة والشّركآء... والتّكذيب بالصّدق وهو القرآن الكريم الّذي أنزله الله تعالى على رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم إذ قالوا: إنّه حديث مفترى، إنّه أساطير الأوّلين اكتتبها محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فهم بهذين المنكرين العظيمين أكثر الظّالمين ظلماً، إذ قطعوا على أنفسهم كلّ عذر يعتذرون به عن هذا الكفر الّذي هم فيه، وذلك أنّه لو كان لهم عذر ـ لا عذر قطّ ـ بالكذب على الله تعالى لجهلهم، لما كان لهم عذر بتكذيب الحقّ الّذي جآءهم، إذ كان من البيان والوضوح بحيث لا يكذّب به إلّا كلّ معاند مكابر، مع أنّ الظّلم يعظم بعظم من تعلّق به، وإذا كان هو الله جلّ وعلا وكلامه كان أعظم من كلّ ظلم، وكان مرتكبه أظلم من كلّ ظالم.

وقوله تعالى: «إذ جآءه» بيان لأنّهم كذّبوا بكلام الله جلّ وعلا من غير وقفة، ولا إعمال رويّة بتمييز بين حقّ وباطل كما يفعل أهل النّصفة فيما يسمعون، فهم لم يراعوا طريق أهل الإنصاف والتّدبّر بل لمّا سمعوه فاجئوه بالتّكذيب.

وقوله تعالى: «أليس في جهنّم مثوى للكافرين» إستفهام يراد به الإثبات على طريق الإلزام والتّوكيد، حيث لا جواب لهذا الإستفهام إلّا التّسليم بالمستفهم عنه وإلّا أن يجيب المستفهم منه بقوله: «بلى في جهنّم مثوى للكافرين» فهي منزلهم

المعدّلهم لامنزل لهم سواها. وفيه من تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعلية الوصف في الحكـم مالا يخفى على القارئ الخبير المـتدبّر. وصدر الآية تفسير لقـوله تعالى: «عند ربّكم تختصمـون» ففيه دلالة على أنّ الخصـومة بين المؤمنين والكـافرين بعد تخاصم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع المخالفين الّذين خالفوه وما تمسّكوا بما تركه فيهم.

وفي الآيـة الكريمة إثـارة الخوف والإرعوآء في المشركين، وتهديـد لكلّ من اتّصف بهذه الصفـة في كلّ ظرف ومـكان، وتعـمّ لـكلّ من إبتـدع أحكامـاً ونسبها إلى الله سبحانه، وترك سنّة من سنن الدين الإسلامي فتأمل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٣٣ ـ (والّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون)

مستأنف سيق لبيان وعد الصّادقين المصدّق، إثر بيان وعيد الكاذبين المكذّبين.

قـوله تعالى: «اولئك هـم المتّقون» وصف شامل لـلّذي جآء بالصّدق وهو رسول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّـم والصّدق هـو القرآن الـكريم الّـذي تلقّـاه وحيـاً من ربّه، وشامل للّذين صدّقـوا به وفي مقدّمهم مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمن علىّ بن أبيطالب عليه أفضـل صلوات الله وأكمل تحياتـه، وفي بُعد الإشارة: «اولئك» إليهم تنبـيه إلى بُعد مـنزلتهم وعـلوّ درجاتهـم، وأنّـهم بهذا المـقام العالي الّـذي تتقطّع دونه الأعناق... كما أنّ في ضمير الفصل: «هم» إشارة اخرى إلى إختصاصهم وحدهم بهذا المقام الرّفـيع الكريم الّذي هـم فيه، وكذلك الـلاّم في «المتّقون» تدلّ على أنّـهم معنيّون، وهم أهـل بيـت الوحي المـعصومـون صلوات الله عـليهم أجمعين والّذين اتّـبعوهم واتّقوا الله حقّ تقاته، وعـبدوه جلّ وعلا وحده وأخلصوا لـه الدّين ورفضوا الطّواغيت على أشكالها...

ولم يقل: «المسلمون» تنبيهاً على أنّ التّظاهر بالإسلام لا يجدي كتظاهر أبي بكر بن أبي قحافة، و أبـي سفـيان وعمـربن الخطاب، ومعاويـة بن أبي‌سفيان، والمغيرة بن شعبة وعـثمان بن عفّـان وخالدبن الوليد وعمروبن العاص وابن ملجم ويزيدبن معاوية وشمـربن ذى الجوشن ومن إليهـم من الهتّاكين لحرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٣٤ ـ (لهم ما يشآؤن عند ربّهم ذلك جزآء المحسنين)

تبشير للمتّقين وتطمين لهم ببيان مآل أمرهم في الدّار الآخرة من حسن المآب، إثر بيان ما لهم في الدّنيا من محاسن الإعتقاد والقول والعمل... أي لهم كلّ مايشآؤن من جلب المنافع ودفع المضارّ في الآخرة لا في الجنّة فقط، امّا أنّ بعض مايشآؤنه من تكفير السّيّئات والأمن من الفزع الأكبر وسآئر أهوال القيامة إنّما يقع قبل دخول الجنّة، مع بيان مايلقون من أجر عظيم ورزق كريم، ومقام رفيع، وهم في هذا المقام الرّفيع «لهم مايشآؤن عند ربّهم» حيث يجدون كلّ مايشتهون من نعيم الجنّة حاضراً بين أيديهم، وإنّ من الطّبيعي أن يكون لهم عند ربّهم مايشتهون ومايشآؤنه لأنّ هذا هو جزآء المحسنين.

فلهم عند الله جلّ وعلا ماتتعلّق به مشيّتهم في الدّار الآخرة قبل دخول الجنّة وبعده، فالمشيّة هى السّبب التّام لحصول مايشآئه الإنسان المؤمن -حقّاً أيّاما كان بخلاف ماعليه الأمر في الحياة الدّنيا، فإنّ حصول شيء من مقاصد الحياة فيها يتوقّف ـ مضافاً إلى المشيّة الإنسانيّة بعد مشيّة الله جلّ وعلا ـ على عوامل وأسباب كثيرة منها السّعي والعمل المستمدّ من الإجتماع والتّعاون.

وقوله تعالى: «ذلك جزآء المحسنين» إشارة إلى أنّ هذا الّذي للمتّقين عند ربّهم من فضل وإحسان هو الجزآء الّذي يجزي الله تعالى به المحسنين من عباده كما يقول تعالى: «للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة...» يونس: ٢٦) وفيه من التعليق على الوصف مالا يخفى.

فالآية الكريمة تدلّ أوّلاً على إقامتهم في دار القرب وجوار ربّ العالمين، وثانياً أنّ لهم مايشآؤن في الدّار الآخرة قبل دخولهم الجنّة وبعده، فهذان جزآء المتّقين، وهم المحسنون، فإحسانهم هو السّبب في إيتائهم الأجر المذكور وهذه هي النّكتة في إقامة الظّاهر مقام الضّمير في قوله عزّوجلّ: «ذلك جزآء المحسنين» وقد كان مقتضى الظّاهر أن يقال: «وذلك جزآؤهم» وتوصيفهم بصفة الإحسان وظاهره العمل الصّالح أو الإعتقاد الحقّ والقول الحسن جميعاً يشهد على أنّ المراد بالتّصديق المذكور

هو التّصديق قلباً وقولاً وفعلاً وهو الإيمان حقّاً، على أنّ القرآن الكريم لا يسمّى تارك بعض ما أنزله الله تعالى من حكم مصدّقاً به، ولذلك لا يكون هؤلآء المتظاهرون بالإسلام مصدّقين به قطّ.

٣٥ ـ (ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعلمون)

تقرير لإعطآء منافعهم، وإظهار الإسم الجليل في موضع الإضمار لإبراز كمال الإعتنآء بمضمون الكلام، وهذا تعليل للجزاء الّذي يُجزاه المحسنون من الله عزّوجلّ، وهو جزآء يُضاعف فيه الإحسان إلى المحسن، حتّى ليسئل السّائلون: ما بال هؤلآء المحسنين يجزون الحسنة أضعافاً مضاعفة، على حين يجزى المسيئون السّيّئة بمثلها؟ أليس العدل يقضي بالتّسوية في الجزآء، فيجزى المحسنون الحسنة بالحسنة، كما يجزى المسيئون السيّئة بالسيّئة؟

فيجاب على هذا التّساؤل: إنّ جزآء السيّئة بالسّيّئة عدل، وإنّ جزآء الحسنة بأضعافها إحسان، فالمسيئون مأخوذون بعدل الله تعالى، والمحسنون مجزيّون بإحسانه، وذلك «ليكفّرالله عنهم أسوأ الّذي عملوا» أي بهذا الإحسان المضاعف يمحو الله عنهم أسوأ ما في صحفهم من أعمال، وهي السّيّئات الّتي تقع منهم، وهم على طريق الإحسان، حتّى تصبح صحفهم كلّها إحسان، فيكون جزاؤهم الإحسان بهذا الإحسان كقوله تعالى: «أولئك الّذين نتقبّل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنّة» الأحقاف:١٦).

قوله تعالى: «أسوأ الّذين ـ بأحسن الّذي» ليست إضافتها إلى ما بعدهما من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشّيء إلى بعضه للقصد إلى التّحقيق والتّوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه، وإنّما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزّيادة لا على المضاف إليه المعيّن بخصوصه، فالأوّل بالنّظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم، حتّى أنّ الصّغآئر عندهم أسوأ أعمالهم بعد إيمانهم وإخلاصهم الدّين لله تعالى، والثّاني بالنّظر إلى لطف أكرم الأكرمين، ففي ذكر تكفير الأسوإ إشارة إلى إستعظامهم للمعصية مطلقاً حتّى الصّغآئر لشدّة خوفهم من الله تعالى، وإلى أنّ

الحسن الّذي يعملونه هو الأحسن عند الله لحسن إخلاصهم له.

مع احتمال المراد بالأسوإ هو الكفر الّذي كانوا عليه قبل إيمانهم، والكفر هو المقياس لكلّ سوءٍ، والمراد بالأحسن هو الإيمان الّذي هو الميزان لكلّ حسن، وقدسبق منّا آنفاً أنّ أفعل تفضيل إذا اضيف كان موصوفه مقياساً وميزاناً لغيره وليس من باب المقايسة والموازنة.

وقوله تعالى: «عملوا ـ يعملون» في إيثار صيغتي الماضي أوّلاً والمضارع ثانياً إيذان بإستمرارهم على الأعمال الصّالحة بخلاف السّيّئة وانقطاعها

وفي الآية الكريمة: تلقين جليل مستمر المدى في بثّ الأمل بالغفران الرّباني في نفس المذنب إذا ماتاب وارعوى وأناب إلى الله جلّ وعلا.

إن تسئل: كيف قال الله تعالى في وصف الصّادقين المصدّقين: «الّذي جاء بالصّدق وصدّق به...» ومنهم الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وهو معصوم: «ليكفر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا...»؟

تجيب عنه: أنّ ماسبق منّا البيان آنفاً هذا بالنّسبة إلى المؤمنين حقّاً من شيعته ولو قلنا بشمول هذه الآية الكريمة لما دلّت على انتفآء العصمة عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بل حكمه في التّأويل مثل حكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله تعالى: «ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر» الفتح: ۲) على أنّ التّكفير إنّما هو توكيد التّطهير له من الذّنوب وهو وإن كان ظاهر الخبر على الإطلاق، فإنّه مشترط بوقوع الفعل إن لووقع، وإن كان المعلوم أنّه غير واقع أبداً للعصمة بدلائل العقول الّتي لايقع فيها اشتراط، ثمّ إنّ التّكفير فيها إنّما تعلّق بالمحسنين الّذي اخبر الله تعالى بجزآئهم في التّنزيل، وجعله جزآء بالمدحة التّصديق دون أن يكون متوجّهاً إلى المصدّق المذكور.

۳۶ ـ (أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد)

إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده، فإنّ في إستفهام الإنكار

للنّفي مبالغة في الإثبات، حيث إنّ نفي النّفي دليل الإثبات، والإثبات لدليل أبلغ من الإثبات من غير دليل، ففي دخول همزة الإنكار على كلمة النّفي إفادة لمعنى إثبات الكفاية وتقريرها، وكناية عن وعده بالكفاية كما صرّح به في قوله تعالى: «إنّا كفيناك المستهزئين» الحجر:٩٥) وقد كانت الكفاية من التّحقق والظّهور بحيث لايقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها، فالإستفهام للتّقرير أي لحمل المخاطب على الإقرار بما دخله النّفي وهو الله كافٍ. وإظهار الإسم الجليل: «الله» في موضع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة.

والمعنى: إن الله تعالى هو الّذي يكفي عبده محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم كيد أعدآئه ويصرف عنه شرّهم ويكفله ويحفظه من كلّ سوء يراد به، إذ كيف يعجز عن أن يحمى حماه هذا، ويدفع عنه المكروه؟

وفي الإشارة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بضمير الغيبة دون ذكره تنويه بشأنه وإعلاء ذكره وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو وحده المعنيّ بهذا الحديث، وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وحده لجدير بهذه الإضافة بالعبودية الخالصة إلى ربّه. وفي الجملة تشجيع وتقوية لقلبه صلّى الله عليه وآله وسلّم كيلايهتمّ بعتاة البغى وحزبه، وفيها لدعاة النّاس والمصلحين درس قويّ في غاية الأهمّيّة.

وقوله تعالى: «ويخوّفونك بالّذين من دونه» خطاب صريح للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ المكذّبين كانوا يخوّفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم من معبوداتهم...

وقوله تعالى: «ومن يضلل الله فماله من هاد» مرسل إرسال الضّوابط الكلّيّة، ولذا جيئ فيه بإسم الجلالة، وكانَ من قبيل وضع الظّاهر موضع الضّمير.

وفي تعقيب قوله تعالى: «أليس الله بكاف عبده...» بقوله: «ومن يضلل

الله...» إشارة إلى أنّ هؤلآءِ المخوّفين لا يهتدون بالإيمان أبداً، ولن ينجح مسعاهم، وأنّهم لن ينالوا بغيتهم ولا أمنيّتهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ الله جلّ وعلا لن يضلّه وقد هداه.

وأنّ الآية الكريمة تنطوي صورة اخرىٰ ممّا كان يقع بين النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمشركين ومن انسلك مسالكهم من الجدل والمناظرة، وفيها تأمين لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبال تخويفهم إيّاه بمعبوداتهم...

۳۷ ـ (ومن يهد الله فماله من مضلّ أليس الله بعزيزذي انتقام)

مرسل إرسال الضّوابط الكلّيّة عكس السّابق، ولذا جيئ فيه أيضاً بإسم الجلالة وكان من قبيل وضع الظّاهر موضع الضّمير.

وقوله تعالى: «أليس الله...» الإستفهام إنكاري تقريريّ، إنكار للنّفي، وتقرير لما بعده أي هو عزيز وذوانتقام قطعاً. وفيه توكيد وإنذار بأنّ الله تعالى قويّ منتقم لن يعجز عن جاحديه ولن يفوته الإنتقام منهم، وهو تعليل ظاهر لقوله: «ومن يضلل الله...» فإنّ عزّته وكونه ذا إنتقام يقتضيان أن ينتقم ممّن جحد الحق، وأضرّ على كفره، فيضلّه، ولا هادي يهديه لأنّه تعالى عزيز لا يغلبه فما يريد غالب، وكذا إذا هدى عبداً من عباده لتقواه وإحسانه لم يقدر على إضلاله مضلّ. وفي التّعليل دلالة على أنّ الإضلال المنسوب إلى الله تعالى هو ماكان على نحو المجازاة والإنتقام دون الضّلال الإبتدائي.

۳۸ ـ (ولئن سئلتهم مَن خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون)

مستأنف بياني مسوق على طريق القسم للتّأكيد ـ أوّلاً لتقرير تناقض المشركين العجيب في اتخاذهم شركآء مع الله سبحانه إذلو سُئلوا عمّن خلق السّموات والأرض لاعترفوا بأنّ الله تعالى هو الخالق، ثمّ أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ثانياً بسئوالهم سئوالاً يتضمّن جواب النّفي والتّحدّي والتّهوين عمّا إذا كان هؤلآء الشّركاء قادرين

على رفع ضرّ يريده الله تعالى به أومنع رحمة يناله بها، تبكيتاً وتوبيخاً لهم بعد هذا الإعتراف، ثمّ أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم ثالثاً بما يلق به ضلال هؤلآء الضّالّين وما يتهدّدون به من أوهام وأباطيل... وبأن يعلن أنّ الله جلّ وعلا هو حسبه وكافيه من كلّ خير يرجوه وهو وحده جدير بأن يتوكلّ عليه المتوكّلون.

فهل تلك الآلهة المزعومة الّتي يتهدّدون بها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تملك ضرّاً أونفعاً؟ هل لها إرادة مع إرادة الله جل وعلا؟ هل إذا أراد الله بالنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم ضرّاً هل يمكن أن تردّه عنه؟ وإذا أراد الله بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خيراً ورحمة هل تستطيع تلك الآلهة أن تمسّك هذه الرّحمة والخير عنه؟ إن يكن ذلك ممّا يقولون، فكيف يتّفق هذا مع تسليمهم بأن الله تعالى وحده خالق السّموات والأرض؟ وهل يكون خالق السّموات والأرض مقهوراً من تلك الدُّمي الّتي يعبدونها؟ أيتّفق هذا مع ذاك ؟

فقوله تعالى: «ولئن سئلتهم ـ ليقولنّ الله» مقدّمة تبتني عليها الحجّة وهي مسلّمة عند الخصم بأن خالق السّموات والأرض هو الله تعالى وحده.

وقوله تعالى: «قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله» حجّة عليهم بانياً لها على هذه المقدّمة المسلّمة عندهم أنّ الله عزّوجل هو خالق كلّ شيء، أي قل مفرّعاً عليه: أخبروني عمّا تدعون من دون الله تعالى ... والتّعبير عن آلهتهم بلفظة «ما» دون «من» ونحوه يفيد تعميم البيان للأصنام وأربابها جميعاً، فإنّ الخواصّ منهم وإن قصروا العبادة على الأرباب من الملائكة وغيرهم واتّخذوا الأصنام ذريعة إلى التّوجّه إلى أربابها ولكن عامّتهم ربّما أخذوا الأصنام نفسها أرباباً وآلهة يعبدونها، ونتيجة الحجّة عامّة تشمل الجميع.

وقوله تعالى: «إن أرادني بضرّ ـ أو أرادني برحمة» قد خصّ الضّرّ والرّحمة برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع عموم الحجّة له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولغيره لكونه صلّى الله عليه وآله وسلّم المخاصم الأصيل لهؤلآء المشركين، وقد خوّفوه بآلهتهم من دون الله تعالى.

وقوله عزّوجلّ: «هل هنّ كاشفات ضرّه ـ هل هنّ ممسكات رحمته» في الحديث عن الآلهة بضمير المؤنّث: «هنّ» بعد التّذكير في قوله تعالى: «يخوّفونك بالّذين من دونه» زيادة تضعيف لآلهتهم، وزيادة تعجيز لها عمّا طالبهم به من كشف الضرّ وإمساك الرّحمة لأنّ الانوثة من باب اللّين والرّخاوة كما أنّ الذّكورة من باب الشّدّة والصّلابة، فكأنّه قال: الإناث اللاّتي هنّ: اللات والعزّى ومنات وما إليهنّ من الآلهة الموهومة هنّ كلهنّ أضعف ممّا تدعونه لهنّ وأعجز، مع أنّ في تأنيث آلهة المشركين تشنيعاً لهم وتسخيف لعقولهم السّقيمة الّتي تتّخذ من هذه الدُّمى آلهة تعبد من دون الله، ثمّ تقيم منها ـ بهذا الخيال السقيم ـ كائنات عاقلة فيخاطبونها ويلقون إليها بآمالهم وآلامهم، وهي ـ بين أيديهم ـ صمّآء لا تسمع، خرسآء لا تجيب!.

وإضافة الضرّ والرّحمة إلى ضميره تعالى في «كاشفات ضرّه ـ ممسكات رحمته» لحفظ النّسبة لأنّ المانع من كشف الضّرّ وإمساك الرّحمة هو نسبتها إليه جلّ وعلا.

وقوله جلّ وعزّ: «قل حسبي الله» أمر ربّاني للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالتّوكّل عليه تعالى كما يدّل عليه قوله بعده: «عليه يتوكّل المتوكّلون» وهو موضع نتيجة الحجّة، كأنّه قيل له صلّى الله عليه وآله وسلّم: قل لهم: إنّي اتخذت الله جلّ وعلا وكيلاً لأنّ أمر تدبيري إليه كما أنّ أمر خلقي إليه، فهو في معنى قولنا: فقد دلّت على تفرّده بالخالقية لكلّ شيء، وعدم خلق تلك الآلهة شيئاً، وصدّقتُ ذلك عملاً باتخاذه وكيلاً في اموري كلّها... وإنّ الجملة وإن كانت موجّهة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن تلقينها عام مستمرّ المدى لكلّ مسلم في كلّ ظرف، يستمدّ منه القوّة والطّمأنينة، وعدم الخوف من غير الله، وعدم الإعتماد والتّوكل على غير الله تعالى، كما يدلّ عليه.

قوله تعالى: «عليه يتوكل المتوكلون» حيث ينطوي معالجة روحية وتلقينات جليلة مستمرّة المدى من حيث إنّ التّوكّل على الله جلّ وعلا يبعث في المؤمنين طمأنينة إلى رحمة الله تعالى وعدله وفضله وأملاً ورجآءً وسكينة قلب ويقلل من الفزع والقلق من المستقبل، ومايخبئه من مفاجآت ويمدّه بالعزم على الإقدام على مايعتزمه من أعمال

وشئون مهما كانت النّتائج...

وقدّم الظّرف: «عليه» على متعلّقه: «يتوكّل» للدّلالة على الحصر أي عليه وحده يتوكّل المتوكّلون، وإسناد الفعل إلى الوصف: «المتوكلون» من مادته للدّلالة على كون المراد المتوكّلون بحقيقة معنى التّوكل، وأنّهم متلبّسون بالتّوكل في كلّ حال وظرف، وفي الجملة ثناء على الله جلّ وعلا بأنّه وحده هو الأهل للتّوكل، عليه يتوكّل أهل البصيرة في التّوكّل، فلا لوم عليّ إن توكّلت عليه وقلت: حسبي الله.

وقد يكون هناك شبهة يمكن أن تتبادر إلى الأذهان بأنّ التّوكّل يضعف الهمّة للعمل ويؤدّي إلى الكسل، وبأنّ ما عليه المسلمون من ذلك أثر من آثار هذا التلقين وهذا خطأ فادح، يُدفع بآيات التّوكل، حيث ينطوي فيها تلقين كون التّوكّل متلازماً في نفس الوقت مع العمل، ومع إعداد العدّة له من مختلف نواحيه، ثمّ يبعث الطّمأنينة والسّكينة بالنّسبة لنتآئجه...

وأنّ الآية الكريمة قوية نافذة في سئوالها وتحدّيها، وفي احتجاجها على تفرّد الله جلّ وعلا بالخالقيّة لكلّ شيء، وعلى توحّده في الرّبوبيّة، وأنّه لا يصلح لهما شركاؤهم، وفي تلقينها وتشجيعها... فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٣٩ ـ (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون)

أمر ربّاني للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلان مصير هؤلآء المشركين الباطل، وطريقه صلّى الله عليه وآله وسلّم الحقّ تهديداً لهم على ما هم فيه من الشّرك والطّغيان، والبغي وعصيان، وبراءة منهم وآلهتهم وضلالهم وجهالتهم، أي فاستمرّوا أيّها المشركون على جهلكم وضلالكم لإصراركم على ذلك، وأنا مستمرّ على ما أنا عليه من الحقّ لا ريب فيه ولن أخضع لدى الباطل ولا أُجامل أهله قطّ. وفي الآية الكريمة غاية التّهديد والوعيد الشّديد، والإيذان بأنّ حاله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تقف، بل تزداد كلّ يوم قوّة وشدّة وصلابة لأنّ الله جلّ وعلا ناصره ومعينه، ومظهره على الدّين كلّه، وفيها تطمين وتقوية وتثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من ناحية، وإشعار بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في موقف المستعلي

عليهم المتّحدي لهم الواثق بأنّ عذاب الله وخزيه إنّما سوف يحلاّن فيهم واحداً بعد واحد.

وفيها للدّعاة والمصلحين درس له غاية الأهمّيّة

٤٠ ـ (مَن يأتيه عذاب يخزيه ويَحلُّ عليه عذاب مقيم)

إخبار ـ على طريق الوعيد بعذاب الخزي في الدّنيا، والتّهديد بعذاب النّار في الآخرة لهؤلآء المشركين ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف ـ بكونهم مغلوبين في الدّارين إخبار بما يقع عليهم من الخذلان يوم يرون بأعينهم نصر الله جلّ وعلا للمؤمنين وخذلانه للكافرين، وتحطيم آلهتهم الموهومة و وطأها بالأقدام... وقد أخزاهم الله تعالى يوم بدر، وأنّ خزي الأعدآء دليل الغلبة عليهم، و ورائه عذاب دائم لهم في النّار وخلودهم فيها. وذلك غاية التّخويف والتّهديد لهم، وتسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٤١ ـ (إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل)

مستأنف سيق لبيان أنّ الهداية التّشريعة ـ كهداية تكوينية ـ من الله تعالى وعلى الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم الإبلاغ والإرشاد، وعلى النّاس، الإهتدآء بإختيارهم من دون إكراه ولا اجبار، فالله عزّوجلّ قد أنزل على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم الكتاب لإنذار النّاس ودعوتهم إلى الحقّ والهدىٰ، فعليه صلّى الله عليه وآله وسلّم بيانها لهم، ثمّ هم وشأنهم فمن اهتدى فانّما يهتدي لنفسه، ويفعُها وينقذها، ومن ضلّ فإنّما يضرّ نفسه ويهلكها، وليس الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وكيلاً عليهم ولا مسئولاً عن إهتدآئهم.

وفي تعدية الفعل: «أنزلنا» بحرف «على» إشارة إلى علوّ المنزل الّذي نزل منه القرآن الكريم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنّه من الله ربّ العالمين، القآئم بسلطانه على هذه الوجوه...

وقوله تعالى: «للنّاس» إشارة إلى أنّ هذا القرآن المجيد هو خير مسوق من الله جلّ

وعلا للنّاس جميعاً، ورحمة منزلة منه تعالى إليهم أجمعين، وإنّه إذا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الّذي تلقّى هذه الرحمة من ربّه الكريم فانّ النّاس كلّهم شركآء فيها ولكلّ واحد منهم نصيبه منها بشرط الإنتفاع والإهتداء كالإستضاءة من نور الشّمس، وفي هذا مايفتح الطّريق لهؤلآء المعاندين المستكبرين إلى كتاب الله جلّ وعلا، فكثير منهم كانوا يأنفون أن يتفضّل عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا القرآن الّذي بين يديه، وفي حسابهم أنّه قرآنه، يعطي منه من يشآء ويمنع من يشآء.

وفي قوله عزّوجلّ: «للناس» مايعزل عن القرآن الكريم هذه المشاعر الّتي تحول بين المشركين وبين الإتصال به، إنّه ليس قرآن «محمّد» وليس ملك «محمّد» وإنّما هو كلام الله تعالى إلى عبادالله ورحمةالله لخلق الله جلّ وعلا وأن محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم هو نفسه رحمة كنفس القرآن الكريم: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين» الأنبيآء:١٠٧) كالشّمس بالنّسبة إلى الخلق أجمعين.

فمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مع كونه رحمة للعالمين حامل لهذه الرّحمة وداع النّاس إليها، ولكلّ إنسان حظّه الّذي يستطيع أن تطوله يده منها.

وقوله تعالى: «فمن اهتدى...» تفريع على هذا الإنزال.

وقوله عزّوجلّ: «وما أنت عليهم بوكيل» مستأنف سيق لبيان مهمّه النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّك لست عليهم بوكيل في إهتدائهم، لأنّ ماعلى الرّسل إلاّ البلاغ، وأمّا الإهتداء فليس الرّسول بمسئول عنه فيجبرهم على الهدى.

وإنّ الآية الكريمة من التّعبيرات الحاسمة والمحكمة المقرّرة لقابليّة النّاس للإختيار بين الهدى والضّلال، بين الكفر والإيمان، وتحمّل مسئولية إختيارهم، وتصّح أن تكون الآية الكريمة ضابطة من الضّوابط القرآنيّة في مداها، ومرجعاً لإزالة ماقديبدو في بعض الآيات من إشكالات ظاهرة.

٤٢ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الاخرىٰ إلى أجل مسمّىً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

مستأنف سيق لبيان نوعين من الوفاة: **أحدهما**ـ الموت بتاتاً وهو الّذي يترك

الجسم جثّة جامدة، وقد أشار إليه بقوله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» أي يقبض الرّوح حين يأتي الأجل، ثمّ بيّن ذلك بقوله: «فيمسك الّتي قضى عليها الموت» فلا يُرَدّ الرّوح إلى الجسم. ثانيها- النوم الّذي يسلب الإدراك واليقظة فقط، وقد أشار إليه بقوله جلّ وعلا: «والّتي لم تمت في منامها» أي ويقبض هذه أيضاً حين النّوم، ثمّ بيّن ذلك بقوله: «ويرسل الاخرىٰ إلى أجل مسمّى» أي يردّ الرّوح إلى الجسم إلى أمد معيّن.

فالتّوفّي ليس هوالموت إطلاقاً، وإنّما هو إنقطاع ضوء الحياة عن بدن الإنسان وهو على قسمين: **أحدهما-** إنقطاعه عن ظاهر البدن وبقآئه على باطنه، وبه تبقى نَفْس الحياة الّتي بها النَفَس وعمل القوى البدنية في الباطن، ويفنى ما به التّميز والعقل وهذا هو النّوم. **ثانيها-** إنقطاعه تماماً عن البدن فهو الموت بتاتاً، ولذلك يتوفّى المرء كلّ يوم ولا يموت، إذ تتكرّر عمليّة الوفاة والبعث كلّ يوم في ذات الإنسان، ومع هذا ينكر الضّآلون المضلّون البعث بعد الموت، وهم يرون هذه الحقيقة في أنفسهم كلّ يوم.

في تلخيص البيان للسيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه قال: «وفي هذا الكلام إستعارة خفيّة، وذلك أنّ قوله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» أي يقبضها والّتي لم تمت في منامها منسوق عليه، وظاهر الخطاب أنّه سبحانه يتوفّى الأنفس الّتي لم تمت في منامها أيضاً، ونحن نجد أمارة بقاء نفس النّآئم في جسده بأشيآءٍ كثيرة منها ظهور التّنفّس والحركة وحذف لسانه بالكلمة بعد الكلمة، وغير ذلك ممّا يجري مجراه، فيكون معنى توفّي النّفس النّائمة ههنا إقتطاعها عن الأفعال التّمييزية والحركات الإرادية كالعزوم والقصود وترتيب القيام والقعود إلى غير ذلك ممّا في معناه وقال بعضهم: الفرق بين قبض النّوم وقبض الموت أنّ قبض النّوم يضادّ اليقظه، وقبض الموت يضادّ الحياة، وقبض النّوم تكون الرّوح معه في البدن، وقبض الموت تخرج الرّوح معه من البدن» إنتهى كلامه ورفع مقامه.

وقوله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس» قدّم المسند إليه على المسند للحصر.

إن تسئل: كيف قال الله تعالى هنا: «الله يتوفّى الأنفس» وقد قال: «توفته

رسلنا» الأنعام: ٦١) وقال: «يتوفاكم ملك الموت الّذي وُكل بكم» السّجدة: ١١) وقال: «توفّتهم الملائكة» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٢٧) وهل هذا إلّا تناقض واضح؟ فاوجه الجمع بينها؟

نجيب عنه: إنّ الّذي يتولّى قبض الأرواح هو ملك الموت بأمر الله تعالى ومعه رسل وأعوان فلذلك قال: «توفّته رسلنا» فالآيات الكريمة تفيد معنى الأصالة والتّبعيّة أي إنّه جلّ وعلا هو المتوفّي بالحقيقة، وملك الموت والملآئكة الّذين هم أعوانه أسباب متوسّطون يعملون بأمره.

ويستفاد من الآية الكريمة أمران: **أحدهما**ـ أنّ النّفس موجود مغاير للجسم بحيث تفارقه وتستقلّ عنه وتبقى بحياها إلى يوم البعث. **ثانيها**ـ أنّ الموت والنّوم كلاهما توفّ وإن افترقا في أنّ الموت توفّ لا إرسال بعده، والنّوم توفّ ربّما كان بعده إرسال إلى أمد معلوم.

وقوله تعالى: «إلى أجل مسمّىً» غاية للإرسال تنبيهاً على أنّ المراد من الإرسال جنسه بمعنى أنّه تعالى يرسل الأنفس إرسالاً واحداً، وبعضها إرسالاً بعده إرسال حتّى ينتهى إلى الأجل المسمّىٰ.

وقوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون» لفت نظر إلى بعض مشاهد آيات الله جلّ وعلا في أنفس النّاس، ودعوة لهم إلى التّفكير فيها، والتّذكير في أحوالها، وإن كان الإعتبار لمن اعتبر، وحثّ لهم على إستعمال عقولهم وبخاصّة الطّبقة الّتي ترغب في الحقّ والحقيقة، ولاتصمم على العناد والمكابرة، وقد إستهدفت الجملة المؤكّدة، الإهابة بالسّامعين ليرجعوا إلى ضمآئرهم وأنفسهم ليتدبّروا مافيها من حقّ وقوّة.

وإنّ أُسلوب الآية الكريمة أُسلوب تمثيلي وتقريبي بسبيل التّدليل على شمول حكم الله جلّ وعلا وتصرّفه في كونه ومخلوقاته تصرّفاً مطلقاً في كلّ حال، وهو مستمدّ على مايبدو ممّا كان السّامعون يشاهدونه ويعتقدونه في حالات النّوم واليقظة والموت، وفيها تنبيه على عظيم قدرته وحكمته، وعلى علمه وتدبيره وعلى تفرّده

بالألوهية والرّبوبيّة، وأنّه يفعل مايشآء ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه.

٤٣ ـ (أم اتّخذوا من دون الله شفعآء قل أو لوكانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان ضلالة من ضلالات المشركين بعد إقرارهم بأنّ الله تعالى هو الّذي خلق السّموات والأرض، فهم مع إقرارهم هذا يتّخذون من الأصنام شفعآء يرجون بها الشّفاعة عنده ويقولون لمن يحاجّهم فيها: «ومانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزّمر: ٣).

وقوله تعالى: «قل أو لو كانوا...» أمر ربّانيّ للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينكر عليهم في اتخاذهم الأصنام شفعآء لهم بالمناقشة في إطلاق كلا مهم: إنّما نعبد تلك الأصنام لأنّها تماثيل أشخاص كانوا عند الله مقرّبين، فنحن نرجو شفاعتهم لنا عنده، فأنكر عليهم على طريق السّئوال ينطوي على التّقريع والتّسفيه عن حقيقة الشّفعآء الّذين اتخذهم المشركون من دون الله وأشركوهم معه في العبادة، وينطوي على التّحدي والتّنديد عمّا إذا كان يجوز في عقل ومنطق أن يشركوهم مع الله ولو لم يكن لهم من أمر الكون شيء، ولو لم يعقلوا شيئاً ممّا يوجّه إليهم من دعآء وعبادة، وينطوي على أن يتهكّم بالمشركين ويحمّقهم على مايفعلون، ومَنْ أحمق ممّن أسلم نفسه ـ وهو يدّعي لنفسه العقل ـ لمن لا يعقل من حجر أو خشب وما إليهما...

وفي الآية الكريمة عود على بدءٍ في صدد محاججة الكفّار وحكاية عقائدهم وتسفيههم عليها، وهي من هذه النّاحية ليست منقطعة الصّلة بالآيات السّابقة سياقاً وموضوعاً، ولعلّها من ناحية ما إستمرار لما احتوته الآية ومايليها من حجج مفحمة بسبيل توكيد عجز شفعآئهم وشركائهم عجزاً تاماً في جميع الحالات... فأنكر عليهم بوجهين.

أحدهما ـ أنّهم لوطمعوا في شفاعة تلك التّماثيل، فإنّها جمادات لا تملك شيئاً ولا تعقل، ومن البديهي أنّ الشّفاعة تتوقف على علم في الشّفيع يعلم ما يريد؟

وممّن يريد؟ ولمن يريد؟؟؟ فلا معنى لشفاعة الجماد الّذي لا شعور له، ولا يملك تحوّلاً من حال إلى حال، أو من مكان إلى مكان.

ثانيها ـ أنّهم إن طمعوا في شفاعة من هذه التّماثيل تماثيلهم، فهذه مستحيلة لأنّ يوم القيامة لايشفع أحد إلّا بإذن الله تعالى وهو المراد بقوله عزّوجلّ:

٤٤ ـ (قل لِلّه الشّفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون)

وقد أقام البرهان على ذلك بقوله تعالى: «له ملك السّموات والأرض...» فالشّفاعة تتوقّف على أن يملك الشّفيع الشّفاعة، ويكون له حقّ أن يشفع، ولا ملك لغير الله إلّا أن يملكه الله تعالى شيئاً ويأذن له في التصرّف فيه، فقولهم بشفاعة أوليآئهم مطلقاً الشامل لمالا يملكونه ولا علم لهم باذنه تعالى لهم فيها تخرّص باطل.

وفي الآية الكريمة وماقبلها إبطال الشّفاعة لمن ادّعيت له الشّفاعة من الآلهة الموهومة، وتعليل وتقرير بأنّ الشّفاعة جميعاً هي لله وحده الّذي له ملك السّموات والأرض، وإليه مرجع الجميع في النّهاية، فكلّ شفاعة هي مملوكة لله عزّوجلّ فإنّه المالك لكلّ شيء إلّا أن يأذن لأحد في شيء منها فيملكه إيّاها، فلايستقل أحد بملك الشّفاعة مطلقاً كما يقول هؤلآء المشركون.

وقوله عزّوجلّ: «لِلّه الشّفاعة» تعبير أُسلوبيّ على مايتبادر لمقابلة تعبير «الشّفعآء» مايرتجى منهم من الشّفاعة، والمقصد منه تقرير كون دفع الضّرّ وجلب الخير للّذين يتوسّل بالشّفعآء لدى الله لنيلهما هما في يد الله وحده وأنّه هو وحده المرجّى.

وقوله تعالى: «ثمّ إليه ترجعون» في الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب دعوة لهم أن يرجعوا إلى الله جلّ وعلا وأن يسلموا أمرهم إليه وحده يوم الحساب والجزآء، وإتمام حجّة عليهم، مع مافيه تعليل آخر لكونه تعالى وحده مالك الشّفاعة جميعاً الدّال على الحصر، وفيه تهديد لهم بأنّهم سوف يعلمون أن شفعآئهم لايشفعون لهم، فيخيب سعيهم في عبادتهم لهم.

إن تسئل: كيف قال الله عزّوجلّ: «قل لله الشّفاعة جميعاً» وقد جآء في الرّوايات الصّحيحة أنّ للأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والمقرّبين، والصّلحآء والمتّقين، والعلمآء العاملين، والشّهداء والأطفال شفاعة يوم القيامة؟

تجيب عنه: أنّ معنى الآية حصر مالكيّة الشّفاعة في الله تعالى، وهذا لاينفي الشّفاعة عن الشّفعاء الصّلحاء الّذين هو الله عزّوجلّ يملكهم إيّاها، وبأذن ويرضاها لهم يوم القيامة إذ قال تعالى: «لا يملكون الشّفاعة إلّا من اتّخذ عند الرّحمن عهداً» مريم: ٨٧) وقال: «من ذا الّذين يشفع عنده إلّا بإذنه» البقرة: ٢٥٥) وقال: «ولا تنفع الشّفاعة عنده إلّا لمن أذن له» سبأ: ٢٣) وقال: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى» الأنبيآء: ٢٨).

٤٥ ـ (وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان صورة من صور مواقف المشركين، وهفوة من هفواتهم الّتي تصدر منهم، ولتقرير ضلالة هي منشأ كلّ ضلالاتهم وقبائح أفعالهم وسوء إعتقادهم وشدّة عنادهم وفساد قلوبهم وخبث سريرتهم...

وقوله تعالى: «الّذين لا يؤمنون بالآخرة» كوصف للمشركين ينطوي على توكيد كون موقفهم ناشئاً عن عدم إيمانهم بالاخرة لأنّه هو الأصل في إشمئزازهم، إذ لو كانوا مؤمنين بالآخرة وجزآئها لما رغبوا عن ذكر الله جلّ وعلا، فعدم الخوف من العواقب بعد الموت هو منشأ كلّ ضلالة وإنحراف وبغي واستكبار... وينطوى فيه حكمة من حكم الله عزّوجلّ في الحياة الاخروية والإنذار القرآني المستمرّ بها لأنّ الخوف منها يجعل الإنسان يرعوى عن مواقف الإثم والطّغيان، والظّلم والعدوان، والكفر والعصيان...

وقوله عزّوجلّ: «إذاهم يستبشرون» فيه مبالغة في بيان أحوالهم القبيحة... وفيه دلالة على غفلة عظيمة وتناقض بين الإعراف بالألوهية والإنكار، وفيه تبكيت على سخف المشركين وضلالهم في موقفهم بعد أن لزمتهم الحجّة الّتي كان من مظاهرها إظهار عجز الشّركآء عجزاً مطلقاً في كلّ شيء.

وفي الآية الكريمة طباق ومقابلة لأنّ الإستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتّى يظهر أثره في بشرته، والإشمئزاز أن يمتلئ غمّاً وغيظاً حتّى يظهر الإنقباض في أديم وجهه،

وفي الآيـة تثبيت للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وإشعـار بالوثوق والإستعلاء في موقفه من المشركين.

٤٦ ـ (قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

مستـأنف بيانيّ مسوق لتقرير وصفه تعالى بالقدرة الكاملة والعلم الشّامل و الحكمة البالغـة، وقد قدّم وصفه عـزّوجلّ بالقدرة على وصـفه بالعلـم لأنّ العلم بكونه قـادراً متـقدّم على العلـم بكـونه عالماً كما قرّر في اصـول الـدّيـن. واللاّم في «الغيب والشّهـادة» للإستغراق أي كلّ غائب عـنّا وكلّ مشاهد لـنا. الأمـر ربّانيّ لـلنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإتجاه إلى الله عـزّوجـلّ تجاه هذا الموقف البـاطل السّخيف قائـلاً: «اللّهمّ فاطـر السّموات والأرض...» أنت تعلم عنادهم ولجاجهم وتـعلم شدّة شكيـمتهـم وأنت الّذي تقضي بين عبـادك فـيماهم فيه مخـتلفون فتؤيّد الحقّ وأهله، وتزهق الباطل وحزبه وتجزي كلاً منهم بما يستحقّه.

وهذه دعوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعلن الـنّاس بهذه الحقيقة وهي أنّ الله تـعـالى هو فاطر السّموات والأرض... وأن يـقـولوا هم ذلك. والخطاب وإن كان لـرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المراد بـه جميع المكلّفين أن يدعوه بهذا الدّعآء. وقد جآء هذا الخبر بصورة الـدّعآء والنّـدآء لبيان أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد بلّغ رسالة ربّه كما أمره به، وأنّه أفرغ جهده كلّه في الدّعوة إلى الله تعالى ولم يبق بعد هذا إلاّ الحساب والجزآء.

وفي الآية الكريمة بشارة للـمؤمـنين بالنّصر والغـلبة على المشركين لأنّ الله عزّوجلّ أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يحاكـمهم إليه تعالى ليفعل بهم مايستحقّونه فقال له: أُدع بهذا الدّعآء فيستجاب له لا محالة.

وقوله تعالى: «أنت تحكـم» في تقديم المسند إليه على المسند دلالة على الحصر أي أنت وحدك تحكم بين العباد فيما إستمرّ إختلافهم فيه حكماً يسلمه كلّ مكابر معاند ويخضع له كلّ عاتٍ مارد.

۴۷ ـ (ولو أنّ للّذين ظلموا مافي الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة و بداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)

مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الّذي إستدعاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وغاية شدّته وفظاعته، وفي الآية الكريمة إقناط للمشركين ومن انسلك، مسالكهم من خلاصهم من عذاب لا يحتسبونه، وفيها وعيد شديد لهم على مذهبهم الباطل وتهديد لا يحاط بكنهه، والآية في الوعيدوفي وصف أهل النّار نظير قوله تعالى: «فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرّة أعين» السّجدة: ۱۷) في الوعد وفي وصف نعيم أهل الجنّة. وأيضاً مقتضى السّياق أنّ البدوّ المذكور من قبيل الظّهور بعد الخفآء والإنكشاف بعد الإستتار كما يشير إليه قوله عزّوجلّ: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ۲۲) إخبار على وجه المبالغة في وقوع عقاب الكافرين وعظمه، وإشارة إلى هول ماسوف يلقونه لأنفسهم يوم القيامة حيث يعرضون لعذاب يكون من الشدّة مايهون عليهم معه أن يفتدوا منه بملك الدّنيا وما فيها، ومثله معه لو كانوا يملكونه وحيث يرون من نكال الله تعالى وغضبه مالم يكن يخطر لهم ببال ولا حساب.

وقوله تعالى: «وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون» وعيد شديد لهم وتهديد بالغ غاية لا غاية ورآئها، وإشارة إلى ماينكشف للكافرين في هذا اليوم ممّا لم يكن يقع في حسبانهم فإنّهم يرون في هذا اليوم أنّ ما كانوا يعبدون من دون الله هو كفر في كفر، ضلال في ضلال، إنحراف في انحراف، وهو إنحطاط في انحطاط... ويرون أعمالهم الّتي زيّنها لهم الشّيطان وجوهاً منكرة تطلع عليهم بالويلات والحسرات، وأكثر من هذا فإنّهم يرون هذا الهول الّذي يلقاهم من جهنّم ممّا لم يقع في خيال ولم يخطر على بال ولا هم قدروا أنّهم يصيرون إليه.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ الشّرّ إذا جآء من حيث لا يحتسب كان أشرّ كما أنّ الخير إذا جآء من حيث لا يحتسب كان أسرّ فكيف إذا جآء الشّرّ من حيث يحتسب الخير، ولذلك كانت الصّاعقة من العذاب المسفطع [illegible] من حيث

يتوقّع الغيث.

وعن **محمّد بن المنكدر**: أنّه جزع عند موته جزعاً شديداً، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: أخشى (أخذتني خ) آية من كتاب الله تعالى وتلا: «وبدالهم من الله...» ثمّ قال: أخشى (أخذتني خ) أن يبدو لي من الله مالم أكن أحتسب.

٤٨ - (وبدالهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

عطف على قوله تعالى: «وبدالهم من الله...» من عطف الخاص على العام، فمّا يبدو للظّالمين - ممّالم يكونوا يحتسبونه - هو سيّئات ما كسبوا حيث يبدو كسبهم الّذي كسبوه، وعملهم الّذي عملوه في الدّنيا ضلالاً في ضلال، وإثماً على إثم، وسوءاً إلى سوء، وخسراناً إلى خسران... فهم يعاينون سوء آثار آثامهم الّتي ارتكبوها وحيث يحيق بهم ما كانوا يستخفون ويستهزؤن به.

فالآية الكريمة تصريح بما أُبهم، وتنطوي صورة لما كان عليه المشركون من شدة عناد ولجاج ومكابرة، وما كان يبدو منهم من استخفاف واستهتار وهزء بالدعوة النبوية والنذر الآخروية.

٤٩ - (فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون)

إخبار عن نوع آخر من قبيح أفعالهم، وشدّة تقلّب الإنسان من حال إلى حال إذا مسّه أدنى مرض أو مصيبة أو بلاء... وفي لفظة «مسّ» إشعار بالقلّة كما أن في تنكير «ضرّ» إفادة - في المقام التّوبيخي والتّقريعي - القصد إلى اليسير من الضّرّ، وإلى النّاس المستحقّين أن يلحقهم كلّ ضرر، وللتّنبيه على أنّ مساس قدر يسير من الضّرّ لأمثال هؤلآء حقّه أن يكون في حكم المقطوع به، وفي لفظ «إذا» و«مسّ» تخويف لهم، وإخبار بأنّهم لا بدّ أن يمسّهم شيء من العذاب.

فالفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتّعكيس على مامرّ من حالتيهم القبيحتين وما بينهما إعتراض مؤكّد للإنكار عليهم على طريق الإطلاق، إشارة إلى خُلْق في النّاس بأنّه إذا نزل في إنسان ضرّ ما وضيق وعسر دعا الله تعالى لكشفه، فإذا

استجاب له وأزاله عنه وبدّله نعمة ويُسراً جحد المنعم فضلاً عن النّعمة، وزعم أنّ مانالها إنّما ناله بسعيه وعلمه وبراعته، وقداحتوت الآية الكريمة ردّاً على هذا الجحود حيث تقرّر أنّ مايُمنحه النّاس من نعم ومايصابون به من مصآئب وآلام... هو من قبيل الإمتحان الرّباني ولكن أكثر النّاس يغفلون عن هذه الحقيقة.

وقوله تعالى: «نعمة منّا» فيْ تقييد «نعمة» بقوله: «منّا» دلالة على كون وصف النّعمة محفوظاً لها.

وقوله عزّوجلّ: «بل هي فتنة» ردّ لقوله حكاية عن الإنسان: «إنّما اوتيته على علم».

إن تسئل: كيف جآء ضمير المذكّر في «اوتيته» وهو راجع إلى «نعمة» ولماذا جآء ضمير المؤنّث في «بل هي فتنة» بعد أن أتي بالضّمير للمفرد المذكّر؟

تجيب عنه: أنّ الضمير في «اوتيته» راجع إلى «ما» فى «إنّما» وهو إسم موصول كأنه قال: إنّ الّذي أوتيته على علم منّي. وجآء التّأنيث في «بل هي فتنة» لأنّ «هي» تعود إلى «نعمة» وهي مؤنّث، حفظاً لوصف النّعمة من الله تعالى. ولا يبعد أن يعود ضمير «اوتيته» إلى «نعمة» بما أنّه شيء أو مال، والعناية في ذلك بالإشارة إلى أنّ هذا الإنسان الكفور لايعترف بكونها نعمة من الله جلّ وعلا بل يقطعها عن الله تعالى فيسمّيها شيئاً أو مالاً ونحوه تحقيراً وكفراناً، ولا يسمّيها نعمة حتّى يضطرّه ذلك إلى الإعتراف بمنعمها، والإشارة إليه كما قال: «اوتيته» فصفح عن الفاعل لذلك، والتّعبيران: «نعمة منّا» و«إنّما اوتيته» من لطيف تعبير القرآن الكريم.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ مايتبادر من خصوصية هذه الآية الزّمنية أنّها تصحّ أن تكون موعظة من مواعظ القرآن المجيد وتلقيناته الشّاملة المستمرّة في صدد تنبيه النّاس أوّلاً: إلى ما في جحود نعم الله تعالى، وما في ذكره حال الشدّة، ونسيانه حال الرّخآء من تناقض وإثم. وثانياً: إلى كون مايمنحه النّاس من نعمة ويُسر بدءاً أو بعد شدّة وضرّ هو إختيار ربّاني، وليس خطوة منه وإختصاصاً. وثالثاً: إلى مايجب على أمثال هؤلآء النّاس من ذكر الله تعالى وشكره والقيام بواجباتهم نحوه

ونحو النّاس، وعدم الإستشعار بالبطر والزّهو والإعتداد بالنّفس في حالة اليسر والصّبر في حالة العسر.

٥٠ ـ (قد قالها الّذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

بيان لكون مثل هذا الجحود وتلك الدّعوى الباطلة ما كانت وليدة أفكارهم السّخيفة بل سبقهم بها كثير من الامم السّابقة كقارون وقومه فإنّه قال: «إنّما اوتيته على علم عندي» القصص: ٧٨) ورضي به قومه، فلم ينفعهم ما نالوه، فالآية الكريمة ردّ لمقالتهم الفاسدة، وإثبات لكون النّعمة هي فتنة يمتحنون بها، بأنّهم لو اوتوها على علم منهم واكتسبوها بحولهم وقوّتهم لأغنى عنهم كسبهم.

٥١ ـ (فأصابهم سيّئات ما كسبوا والّذين ظلموا من هؤلآء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)

إخبار عن حال هؤلآء الكفّار المكذّبين من الامم الماضية إذ أصابهم عقاب سيّئاتهم وطغيانهم، جزآء بغيهم وعصيانهم، و وبال شركهم وعدوانهم...

وقوله تعالى: «والّذين ظلموا من هؤلآء...» وعيد وتهديد لمشركي مكّة على ما سيصيبهم من قتل صناديدهم يوم بدر وغيره وأُسِرَ منهم العدد الكثير، وحُبِس عنهم الرّزق، وغير ذلك من عقاب الله بدورهم، وليس الله جلّ وعلا عاجزاً عنهم ولن يستطيعوا الإفلات منه. وفي الإشارة إلى المشركين بـ «هؤلآء» بدلاً من أن يقال: «من قومك» أو «من المشركين» ونحوهما دلالة على أنّ الظالمين معروفون لكلّ من ينظر إليهم، أنّهم بحيث يشار إليهم باليد واحداً واحداً، وإنّ الشرك لظلم عظيم.

٥٢ ـ (أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

سئوال إستنكاري موجّه لهؤلآء السّامعين الظّالمين ولكلّ من انسلك مسالكهم في كلّ ظرف ـ على وجه التّنبيه لهم على معرفته وعظيم قدرته وبديع حكمته ـ عمّا إذا كانوا لا يعلمون أنّ بسط الرّزق وقبضه هما بيد الله جلّ وعلا يبسطه لمن يشآء ويضيقه على مَن يشآء وفقاً لمقتضيات حكمته، والمعنى: ألم يكن لهؤلآء الظّالمين الضّالّين نظر في تصريف الله جلّ وعلا وتدبيره؟ إنّهم لو نظروا نظراً عاقلاً، نظراً

مستهدياً ونظر إعتبار لعلموا أنّ الله عزّوجلّ: «يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر» بحكمة الحكيم وتدبير العليم...!

وإنّ صيغة السئوال وروح الآية الكريمة معاً تلهمان أنّ السّامعين يعلمون ماقررّته الآية الكريمة، ولهذا فإنّ التّنديد جآء قوياً محكماً، وفيها تقريع للمشركين على مواقف عنادهم وجحودهم على مختلف صورها...

وقوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات...» تقرير لكون هذا ينطوى على آيات ربّانيّة لينتفع بتدبّرها المؤمنون، وفيه تلقين جليل خاص، وهو تقرير أثر الإيمان في رضاء النّفس وطمأنينتها، حيث يساعد صاحبه على لمس يدالله تعالى وقدرته في جميع الامور...

فيشكره في حالة اليسر ويتحمّل صابراً راضي النّفس مطمئنّ القلب في حالة الشدّة والعسر، وقد خصّ المؤمنين بالذّكر لأنّهم المتدبّرون في حقائق الكون ونواميس الوجود، المنتفعون بالآيات التّكوينية والتّدوينية، الآفاقية والأنفسية والمتفكّرون فيها، كما أنّ في هذا التّفاوت بين النّاس في الرّزق، والإختلاف في حظوظهم منه آيات وشواهد للمؤمنين بالله جلّ وعلا يشهدون منها حكمة الخالق وعلمه، وقدرته وتدبيره وسلطانه...

وقال بعض المعاصرين: قوله تعالى: «أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر» الخ جواب آخر عن قول القائل منهم: «إنّما اوتيته على علم» وقد كان الجواب الأوّل: «قد قالها الّذين من قبلهم...» جواباً من طريق النّقض، وهذا جواب من طريق المعارضة بالإشارة إلى دلالة الدّليل على أنّ الله سبحانه هو الّذي يبسط الرّزق ويقدر.

بيان ذلك أنّ سعي الإنسان عن علم وإرادة لتحصيل الرّزق ليس سبباً تامّاً موجباً لحصول الرّزق وإلّا لم يتخلّف، ومن البيّن خلافه، فكم من طالب رجع آيساً وساعٍ خاب سعيه. فهناك علل وشرائط زمانيّة ومكانيّة وموانع مختلفة بإختلاف الظّروف خارجة عن حدّ الإحصآء إذا اجتمعت وتوافقت أنتج ذلك حصول الرّزق،

وليس اجتماع هذه العلل والشّرآئط على مافيها من الإختلاف والتّشتّت والتّفرّق من مادّة وزمان ومكان ومقتضيات أُخر مرتبطة بها مقارنة أو متقدّمة، وعلل العلل ومقدّماتها الذّاهبة إلى مالايُحصىٰ، إجتماعاً وتوافقاً على سبيل الإتّفاق، فإنّ الإتّفاق لايكون دائميّاً ولا أكثرياً، وقانون إرتزاق المرتزقين الشّامل للموجودات الحيّة بل المنبسط على أقطار العالم المشهود وأرجآئه ثابت محفوظ في نظام جارٍ على مافيه من السّعة والإنبساط ولو انقطع لهلكت الأشيآء لأوّل لحظة ومن فورها.

وهذا النّظام الجاري بوحدته وتناسب أجزائه وتلاؤمها يكشف عن وحدانيّة ناظمه وفردانيّة مدبّره ومديره الخارج عن أجزآء العالم المحفوظة بنفس النّظام الباقية به وهوعزّإسمه، على أنّ النّظام من التّدبير، والتّدبيرمن الخلق كمامرّمراراً، فخالق العالم مدبّره، ومدبّره رازقه وهوالله تعالى شأنه، ويشيرإلى هذا البرهان في الآية قوله: «لمن يشآء» فإنّه إذا كان بسط الرّزق وقدره بمشيّته تعالى لم يكن بمشيّة الإنسان الّذي يتبجّح بعلمه وسعيه ولا بمشيّة شيء من العلل والأسباب وايجابه كما هوظاهروليس من قبيل الإتفاق، بل هوعلى نظام جار فهوبمشيّة جاعل النّظام ومجريه وهوالله سبحانه. إنتهى كلامه.

٥٣ ـ (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير كمال رحمته ومغفرته، وأنّ باب التّوبة مفتوح على مصراعيه لكلّ مذنب مهما عظم الذّنب وقبح، فلا يكون لأحد من عذر، تمهيداً أن يدعو النّاس إلى التّوبة وإلى دين الإسلام وصالح الأعمال... أمر ربّاني للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يهتف بعباد الله أن لا يقنطوا من رحمته مهما أسرفوا على أنفسهم، وأن لا يظنّوا أنّ باب التّوبة قد سدّ في وجههم بسبب ذلك، فالله جلّ وعلا يغفر كلّ مذنب مهما عظم وهو المتّصف بالغفران والرّحمة إذا تاب المذنب وأناب إلى الله عزّوجلّ.

وقوله تعالى: «إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» في الإلتفات من التّكلّم إلى الغيبة لتوافق العلّة في قوله تعالى: «إنّه هو الغفور الرّحيم» وإن كان قوله تعالى: «إنّ الله

يغفر..»تعليل للنّهي عن القنوط وإعلام بأنّ الذّنوب جميعها قابلة للمغفرة ولكن بامور ثلاثة: **أوّلها** ـ الإنابة والتّوبة إلى الله تعالى. **ثانيها**ـ الإسلام. **ثالثها**ـ العمل الصّالح. فانظر إلى التّرتيب من تقديم الإنابة على الإسلام، ثمّ الإسلام على صالح الأعمال، فلن يغفر الله تعالى جزافاً أحداً فإنّ المغفرة تحتاج إلى سبب مخصّص والامور الثّلاثة هي سببها.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر مافي الآية الكريمة من أنواع حسن المعاني والبيان والمؤكّدات:

١ ـ إقباله تعالى بواسطة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على المذنبين ونداءهم: «يا عبادي» لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم واسطة إيصال الفيض الإلهي إلى عباده جلّ وعلا وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وسيلة النّجاة.

٢ ـ تسميته جلّ وعزّ المذنب عبداً، والعبوديّة تشعر بالإختصاص مع الحاجة، واللآئق بالكريم الرّحيم إفاضة الجود والرّحمة على المساكين.

٣ ـ إضافتهم إلى ضميره التّكلّم وحده بكلمة العبد إضافة تشريف وتكريم.

٤ ـ وصفهم بقوله تعالى: «الّذين أسرفوا على أنفسهم» كأنّه قال: يكفيهم من تلك الذّنوب الّتي كانت تعود مضرّتها عليهم لاعليّ.

٥ ـ الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: «لا تقنطوا» ونهيهم عن القنوط وأنّ الكريم إذا أمر بالرّجآء فلايليق به إلّا الكرم.

٦ ـ الإلتفات من التّكلّم إلى الغيبة في قوله: «من رحمة الله» مع إمكان الإقتصار على الضّمير بأن يقول: «من رحمتي» فايراد أشرف الأسمآء: «الله» في هذا المقام يدلّ على أعظم أنواع الكرم واللّطف.

٧ـ إضافة الرّحمة إلى إسمه الجلالة: «الله».

٨ ـ إعادة الظّاهر موضع الإضمار: «إنّ الله» مع تصدير الجملة بحرف التّوكيد: «إنّ» ومع ايراد صيغة المضارع المنبئة عن الإستمرار والتّجدّد، ومع تأكيد غفران الذّنوب بقوله: «جميعاً».

٩ ـ الإلتفات من التّكلّم إلى الغيبة إذ قال: «إنّ الله يغفر...» ولم يقل: «إنّي أغفر...» تنبيهاً على أنّه الله الّذي له الأسمآء الحسنىٰ ومنها أنّه غفور رحيم كأنّه قال: لاتقنطوا من رحمتي فإنّي أنا الله أغفر الذّنوب جميعاً لمن تاب وآمن وعمل صالحاً لأنّ الله هو الغفور الرّحيم.

١٠ ـ ايراد الجملة ثانياً: «إنّه هو الغفور الرّحيم» معللاً ومع مافي الآية الكريمة من اللّطائف والنّكات والمؤكّدات الأُخر... فتأمل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل، فإنّ كلام الخالق العليم خير من أن تتدبّر فيه من كلام المخلوق الجهول.

٥٤ ـ ﴿وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون﴾

أمر مستأنف من الله جلّ وعلا حثّاً لعباده على سرعة الإنابة والرّجوع إلى الله تعالى والتّوبة من معاصيهم، وعلى الإستجابة إلى دعوة الإسلام، وإسلام النّفس له تعالى، والتّرغيب في ذلك، وهم في متّسع من الوقت، كيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التّوبة والإسلام إتكالاً على الرّحمة والمغفرة اللاّتي سبق ذكرهما في الآية السّابقة، والتّحذير من إضاعة الفرصة بالإهمال والتّباطؤ، فعليهم التّوبة والإسلام قبل أن يأتيهم عذاب الله تعالى، فلايكون لهم منه مخلص ولا محيص ولا نصير.

فقوله تعالى: «وأنيبوا إلى ربّكم...» دعوة إلى رحاب الله جلّ وعلا بعد أن فتحت الأبواب، ومدّت موائد رحمته... فلم يتبق إلاّ أن يمدّ المدعوّون أيديهم إلى هذه الموآئد، وأن ينالوا منها مايشتهون... ومن عظيم لطف الله تعالى بعباده وسابغ نعمه عليهم، وسعة رحمته لهم أن لقيهم، وهم على طريق الضّلال، وبين مراعي الإثم والمعصية، وأراهم منه تعالى مابين يديه من رحمة ومغفرة، وأنّهم مع ما هم فيه من محاربة له، وعصيان لأمره واعتدآء على حرماته ـ لا يزالون من عباده الّذين لا تغلق دونهم أبوابه، ولا تحجب عنهم رحمته ـ ذلك كلّه قبل أن يطلب جلّ وعلا إليهم أن يرجعوا إليه، وأن يلقوا الأسلحة الّتي يحاربونها بها... إنّهم على ما هم عليه عباده وأبوابه لن تغلق دونهم، ورحمته لن تحجب عنهم ولكن لا إلى آخر العمر، بل عليهم الإنابة إلى الله تعالى في لحظة من لحظات الحياة.

وقوله تعالى: «إلى ربّكم» من وضع الظّاهر موضع المضمر، وكان مقتضى الظّاهر أن يقال: «وأنيبوا إليه» إشارة إلى التّعليل، فإنّ الملاك في الإنابة إلى الله تعالى صفة ربوبيّته. إنّ الله تعالى حثّ عباده المذنبين بهذه الآية الكريمة على التّوبة لكيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التّوبة إتكالاً على الآية المتقدّمة.

۵۵ ـ (واتّبعوا أحسن ما انزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون)

أمر ربّانيّ وهتاف سماوي للناس أجمعين بأن يجعلوا هذا القرآن الكريم ميزاناً لعقائدهم ومقياساً لأقوالهم، محوراً لأعمالهم من الطّاعات وصالح الأعمال، ومرجعاً لتكاليفهم من الأوامر والنّواهي والحلال والحرام، وأن يجعلوا هذا الوحي السّماوي مُتُوداً لدعوة الحقّ والهدى والخير والصّواب، فإنّ هذا الكتاب هو الميزان العدل الّذي يقيم العقائد والأقوال والأعمال على طريق الحقّ، وبغير هذا الميزان تتحوّل العقائد والأقوال والأعمال... فتفسد على النّاس وجودهم وتحرمهم الإنسانيّة، فصاروا كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

إنّ الله تعالى قد بيّن طريق الحقّ والهدى، طريق الخير والصّلاح، وطريق الصّواب والكمال، وبيّن سبيل الباطل والضّلال، سبيل الشّرّ والخطأ، وسبيل الفساد والإنحطاط في كتابه هذا فالنّاس كلّهم مدعوّون بهذا الوحي السّماوي إلى الحقّ والرشاد، ومحذّرون عن الباطل والضّلال.

ولا يخفى على طيّب الولادة أنّ لسان هذا الميزان هو أهل بيت الوحى المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين. وأن إضافة «أحسن» إلى ما بعده ليست من إضافة المفضل على المفضّل عليه كما توهّم أكثرهم، وإنّما المراد هو الميزان والمقياس لكلّ قول حسن كما مرّ آنفاً.

وقوله تعالى: «من قبل أن يأتيكم العذاب...» تأكيد لمبادرتهم بأن يجعلوا كلام الله المجيد ميزاناً لدينهم ودنياهم، فإنّه رحمة إلهية وفسحة لطريق نجاتهم بالعودة إلى الله جلّ وعلا والمصالحة معه بكلماته في أيّة لحظة من لحظات حياتهم، وهم في متّسع

من الوقت وفسحة من العمر والعافية، وتأكيد للتخلّي الفوري عن مشاعر الإمهال والتّسويف من يوم إلى يوم، وفيه من الوعيد والتّهديد لهم بالتّأخير عن العودة به إلى الله تعالى مالا يخفى.

٥٦ ـ (أن تقول نفس يا حسرتىٰ على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين)

تعليل لتخويف السّامعين في كلّ ظرف بالعذاب مالم يعتصموا بحبل الله تعالى، وتحذير لهم من إضاعة الفرصة المواتية للرّجوع إلى القرآن الكريم حتّى لايندموا على مافرط منهم من هجرهم الوحي السّماوي، ومن مواقف ساخرة مستهترة به.

وقوله تعالى: «في جنب الله» كناية عن التّقصير في حقّ كتاب الله وأهله مبالغة، حيث إنّ التّقصير في حقّ كلام الله جلّ وعلا هو نفس التّقصير في حقّ الله عزّوجلّ. والمعنى: فبادروا أيّها النّاس عامّة، والعلماء خاصّة إلى كتاب الله تعالى وأهله قبل أن تقول كلّ نفس شاردة: يا حسرتى على مافرّطت في حقّ الله بترك كتابه وأهله، وأهملت ماينبغى أن يقدّم، وإنّي كنت بعملي هذا لمن السّاخرين بكتاب الله وأهله المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٥٧ ـ (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين)

حكاية مقالة ثانية باطلة، وإعتذار ثان خاطئ عن نفس شاردة عن كلام الله المجيد عند إضافة الفرصة، يقول هذه المقالة تحيّراً في أمره وتعلّلاً بما لا يجدي عليه. إنّ الآية الكريمة تنطوي على تقرير محكم حاسم يضاف إلى التّقريرات المحكمة الحاسمة الكثيرة بأهليّة الإنسان للكسب والإختيار بين الكفر والإيمان، بين الحقّ والباطل، بين الخير والشّرّ، وبين الهدى والضّلال، وبمسئوليته عن كسبه واختياره... والآية قوّية جديرة بالتّنويه في هذا الباب حيث تندد بالّذي يقول: لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين، وقد ردّت عليه الآية فقرّرت أنّ الله جلّ وعلا قد أراه طريق الهدى بآياته الّتي أنزلها على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّه كذّب واستكبر وهجره، وقدّم كلام المخلوق الخاطئ على كلام الخالق العليم، فكان من الشّاردين، فاستحقّ عذاب الله جلّ وعلا، إذ أعرض عن كلام الله واشتغل بالأباطيل والموهومات توهم

أنّ الله تعالى لم يهده.

۵۸ ـ (أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين)

مقالة ثالثة خاطئة ممّن أعرض عن الوحي وأهل بيته في الحياة الدّنيا، يقولها عند رؤية العذاب يوم القيامة، عذر أسوأ من الذّنب، فلا وجه لإعتذاراته الثّلاث.

۵۹ ـ (بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

ردّ على المعرض عن القرآن الكريم وأهله ببيان سبب تفريطه في حقّ الوحي وأهل بيته، قد عبّر عنه بالتّفريط في جنب الله جلّ وعلا تعظيماً وتكريماً، حيث أنّ التّفريط في كلام أحد، هو تفريط في ذاته، ولأنّ هذا التّفريط من أكبر كبآئر الذّنوب ... وببيان علل تلك المقالات الخاطئة والإعتذارات غير الوجيهة وهي التّكذيب بالقرآن الكريم وأهله والإستكبار والكفر.

وقد جآء ضمير المذكّر للنّفس لأنّها تقع على المذكّر والمؤنّث أو المراد بها هنا الإنسان.

۶۰ ـ (ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوىً للمتكبّرين)

إخبار عن حال المعرضين عن الوحي وأهل بيته، بيان لمصيرهم ببيان بعض أنواع العذاب لهم يوم القيامة، و وصف الكذب على الله جلّ وعلا عام لِلاصول الإعتقاديّة والفروع العملية، فكلّ حكم فرعيّ لايبتني على الوحي وأهل بيته فهو كذب على الله تعالى، وحاكمه مسودّ وجهه، ومنزله جهنّم لا محالة.

ولا يبعد أن يكون إسوداد الوجوه كناية عن الكرب العظيم الّذي يحيط بهؤلآء المعرضين إذ كانت الوجوه هي الصّفحة التّي يبدو عليها مايجرى في كيان الإنسان من مشاعر وعواطف وأحاسيس، سوآء أكان في حال نعيم ومسرّة ورضوان أم كان في حال بلآءٍ ونكدو شقآء.

قوله تعالى: «أليس في جهنّم مثوىً للمتكبّرين» الإستفهام تقريري يراد به الخبر على جهة التّوكيد والتّعليل لما قبله، والمعنى: لما كذبوا على الله تعالى اسودّت وجوههم

لأنّ في جهنّم مثواهم ومقامهم لا محالة. وفي تعليق وصف التّكبّر على الحكم مشعراًبعلّيّة الوصف في الحكم مالا يخفىٰ، ففي جهنّم مأوىٰ كلّ متكبّر يوجب الإعراض عن الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وإنّ الآية الكريمة تستهدف تدعيم الإنذار والتّحذير والتّخويف للّذين يهملون إغتنام الفرصة، في الرّجوع إلى كلام الله تعالى، ورفض الأباطيل... وهم في فسحة من العمر والوقت.

٦١ ـ (وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لايمسّهم السّوء ولا هم يحزنون)

حكاية عن حال المتّقين الّذين يعتصمون بحبل الله تعالى، وبيان مصيرهم يوم القيامة بالمقابلة جرياً على الاسلوب القرآني حيث ينجّيهم الله لأنّهم فازوابرضآئه بسبب تقواهم. فقوله تعالى: «لا يمسّهم السّوء...» بيان لتنجيتهم.

ولا يبعد أن يكون بياناً لـ «مفازتهم» كقوله تعالى: «فنبذوه ورآء ظهورهم ـ فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب» آل عمران: ١٨٧-١٨٨) فالمفازة: الطّريق المخوف الّذي يجتازه المنتقل من مكان إلى مكان، والمفازة هي الصّحرآء المهلكة. وقد سميّت مفازة تفاؤلاً كما قالوا ـ لمعوج الرِجْلَيْن ـ: أحنف، وللحبشي: أبوالبيضآء وللمدوغ: السّليم.

والنّفي في «لايمسّهم...» عام لسآئر أنواع العذاب، والعموم في قوله: «ولا هم يحزنون» تأكيد له، لئلاّ يظنّ ظانّ أنّه لمّا لم يمسّهم العذاب جاز أن يمسّهم بعض الغمّ، ففي ذلك تفصيل واضح يزيل الشّبهة.

وفي الآية الكريمة ـ كالسّابقة ـ من تعليق حكم النّجاة على وصف التّقوىٰ مشعراً بعليّة الوصف في الحكم مالا يخفى على الأديب الأريب، فالنّجاة من كلّ سوءٍ وحزن ـ فضلاً عن جهنّم وعذابها ـ يوم القيامة لكلّ من اتّصف بصفة التّقوى.

وفيها تنويه وتطمين لأهل التّقوى واليقين.

٦٢ ـ (الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل)

مستأنف بيانيّ سيق للإشارة إلى تفرّده تعالى على الخالقيّة والالوهيّة، وإلى توحّده في الرّبوبيّة والمالكيّة المطلقة. ولا يبعد أن يكون قوله تعالى: «الله خالق كلّ شيء» تمهيداً لما يذكر بعده من كون التّدبير مستنداً إليه تعالى، وذلك انّ الخلق لا ينفكّ عن التّدبير، فانتقل في المقام من إستناد الخلق إليه تعالى إلى اختصاص الملك به وهو قوله عزّوجلّ: «له مقاليد السّموات والأرض» ومن اختصاص الملك به إلى كونه هو الوكيل على كلّ شيء القائم مقامه في تدبير أمره.

٦٣ ـ (له مقاليد السّموات والأرض والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون)

تأكيد وتعليل لماقبله، ولذا جيئ به مفصولاً من دون عطف أي الله تعالى هو وحده مالك أمر السّموات والأرض وحافظها، وهو من باب الكناية لأنّ حافظ الخزآئن هو الّذي يملك مقاليدها ويتصرّف فيها كما يشآء.

وفي تلخيص البيان: قال: «وهذه إستعارة ـ والمراد بمقاليد السّموات والأرض ههنا والله أعلم أى مفاتح خيراتها ومعادن بركاتها من إدرار الأمطار وإيراق الأشجار وسآئر وجوه المنافع وعوائد المصالح، وقد وصف تعالى السّمآء في عدّة مواضع بأنّ لها خزآئن وأبواباً، فحسن على مقتضى الكلام أن توصف بأنّ لها مقاليد وأغلاقاً قال تعالى: «لا تفتح لهم أبواب السّمآء» وقال تعالى: «ففتحنا أبواب السّمآء بمآء منهمر» وقال عزّمن قائل: «ولله خزائن السّموات والأرض» وقالوا: خزآئن السّموات: الأمطار وخزآئن الأرض: النّبات. وقد يجوز أن يكون معنى «له مقاليد السّموات والأرض» أي طاعة السّموات والأرض ومن فيهنّ كما يقال: القى فلان إلى فلان مقاليده أي أطاعه وفوّض أمره إليه وعلى ذلك قول الأعشى:

فتى لو ينادى الشّمس ألقت قناعها أو القمر السّاري لألقى المقالدا

أي لسلّم العلو إليه واعترف له به. وقال بعض العلمآء: ليس قول الشّاعر ههنا ينادى الشّمس من النّدآء الّذي هو رفع الصّوت، وإنّما هو من المجالسة تقول: ناديت

فلاناً: إذا جالسته في النّادى، فكأنّه قال: «لو يجالس الشّمس لألقت قناعها شغفاً به وتبرّجاً له وهذا من غريب القول»».

٦٤ ـ (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون)

أمر ربّاني للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بتوجيه سؤال إستنكاري فيه معنى التّقريع والتّوبيخ والتّسفيه للكفّار عمّا إذا كانوا يريدونه أن يعبد غير الله تعالى كما يفعلون بجهلهم، وفي توجيه الخطاب لهم عود على بدء في صدد محاججتهم والتّنديد بهم.

الإستفهام إنكاري، والأمر: «تأمرونّي» ليس أمراً على حقيقته، وإنّما هو دعوة من دعوات المشركين للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبادة غير الله، أو بإنكارهم عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعبد الله جلّ وعلا، ومفهوم المخالفة لهذا الإنكار هو أن يعبد غير الله.

وقوله تعالى: «غير الله» مفعول «أعبد» قدّم عليه لتعلّق العناية به.

وقوله تعالى: «أيّها الجاهلون» توبيخ لهؤلآء الدّاعين إلى عبادة غير الله وفضح للدّآء الّذي أوقعهم فيما هم فيه من ضلال وهو الجهل المطلق، فلو أنّهم كانوا على شيء من العلم والمعرفة لما ركبوا هذا الطّريق المظلم، وبين أيديهم طريق مستقيم مضيء، فخطابهم بصفة الجهل: «الجاهلون» للإشارة إلى أنّ دعوتهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبادة غير الله واقتراحهم بذلك مع ظهور آيات وحدته في الألوهية والرّبوبية، وتفرّده على الخالقية والمالكيّة المطلقة، مع أنّ محمّداً هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعوهم إلى التّوحيد، وهم يدعونه إلى الشّرك ليس هذا إلّا جهلاً مطلقاً منهم.

وفي الآية الكريمة إعلان لهؤلآء المشركين ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، على تفرّده تعالى في المعبوديّة، فلا معبود سواه، على طريق التّوبيخ والتّسفيه بهم، بأنّي أدعوكم إلى الإيمان بالله وعبادته وحده بالحجّة والبرهان، وأنتم تدعونني إلى الكفر وإلى عبادة غيره جهلاً وحمقاً، فلا تخجلون، أخطأتم القصد أيّها الجاهلون، أنا

أدعوكم إلى عبادة الخالق، وأنتم تدعونني إلى عبادة المخلوق! أنتم لا تؤمنون بالإنسان رسولاً لكم من الله تعالى والرّسول هو أشرف الخلائق، في حين أنكم تتّخذون الأصنام والأوثان ـ أخسّ الأشيآء ـ آلهة لكم تعبدونها!!! إن لم يكن هذا منكم جهلاً فما كان للجهل مفهوم في العالَم! إنّ الآية درس لدعاة النّاس ومصلحي المجتمع البشري كيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو صناديد قريش ـ مع عَدَدهم وعُدَدهم ـ وليس له صلّى الله عليه وآله وسلّم عدد ولا عدد؟!.

٦٥ ـ (ولقد اُوحيَ إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير نهاية قبح الشّرك، وهو منهيّ عنه بلسان جميع الأنبيآء، وأنّه تعالى حذّر وأنذر عباده من الشّرك بلسان جميع المرسلين، على طريق القسم والتّوكيد مرّة بعد مرّة... تشنيعاً على الشّرك وعلى ما يحيق بالمشركين من غضب الله تعالى ونقمته وأنّ الشّرك أمر إن وقع فيه أحد فلا شفاعة له عندالله ـ حتّى ولو فُرِضَ محالاً ـ إن كان الّذي يشرك بالله سبحانه من أقرب المقرّبين إلى الله جلّ وعلا وهم الأنبيآء أو كان من أشرف الخلق وسيّد المرسلين وأكرم خلق الله على الله جلّ وعلا وهو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقوله تعالى: «ولقدأوحي إليك ...» كلام سيق على سبيل الفرض والتّقدير والمراد به تهييج المخاطب المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم وإقناط الكفرة من شركهم، وإيذان بشناعة الشّرك وقبحه، حتّى لينهى عنه من لايكاد يفعله، فكيف بغيره، واشعار على حكم الامّة بأنّ إشراك أشرف الخلق وسيّد الأنبيآء والمرسلين إذا كان يحبط عمله فما بالك بأعمالهم، وأنّهم بسبب إشراكهم لا يستحقّون الخطاب لكونهم في حكم البهائم والوحوش...

وإفراد الخطاب بإعتبار كلّ واحد من الأمم أو الأُمّة، وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصآئصهم لأنّ شركهم أقبح، وأن يكون على التّقييد بالموت، فالحكم بحبط عمل المشرك في الآخرة مقيّد بما إذا مات وهو مشرك كما صرّح به في قوله

تعالى: «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة» البقرة:٢١٧).

وعطف الخسران: «ولتكونَّن من الخاسرين» على الإحباط: «ليحبطنّ عملك» من عطف المسبّب على السّبب.

وقوله تعالى: «لئن أشركت...» في إيثار صيغة الماضي إفادة تعريض، وهو أن يخاطب واحد، ويراد غيره، بأن ينسب الفعل إلى أحد حقيقةً أو مجازاً والمراد منه فهم الغير بالقرآئن... فقد ابرز الإشراك المقطوع بعدم حصوله، لأنّ المخاطب هو النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعلوم أنّه منتف عنه بتاتاً ـ ماضياً وحالاً ومآلاً ـ والفعل إذا رتب عليه وعيد في حال نسبته فرضاً وتقديراً لذي شرف يستحقّ به توقيراً وهو لم يحصل منه، فهم منه المخاطبون أنّ الوعيد واقع بهم من باب أحرى إن صدر منهم ذلك الفعل، كما إذا شتمك إنسان فتقول: والله إن شتمني الأمير لأضربنّه.

وأمّا مناسبة التّعريض للفظ الماضي فإنّ المخاطب إذا علم من نفسه أنّه ليس بذلك الوصف ووجد الفعل ماضياً علم أنّه تعريض لغيره ممّن وقع منه في الماضي.

لا يقال: المقصود التّعريض بمن يقع منه الشّرك ماضياً أو مستقبلاً.

لأنّا نقول: تحذير مَن وقع في الشّرك هو أشدّ عناية لإزالة المفسدة الحاضرة.

إن تسئل: ما الّذي صرف هذا الخطاب عن أن يراد به النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم؟.

تجيب عنه: إنّ الأصل في حرف «إن» دخولها على الممكن، والشّرك في حقّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مستحيل شرعاً فجعلناه خارجاً عن الأصل تنزيلاً للإستحالة الشّرعية منزلة الإستحالة العقلية، ولا سيّما والفعل بصيغة المضيّ الّتي لا تستعمل غالباً إلاّ في المتوقّع.

فلا يضرّ دخول «إن» كون الفعل معلوم الإنتفآء لأنّ «إن» تدخل على معلوم الإنتفآء إذا فرض المحال لغرض من الأغراض، وإنّما اختصّ التّعريض بمن حصل

منهم الإشراك وبالتّعبير بالماضي لأنّ من لم يصدر منه إشراك، ولا ظهر منه إهتمام به لا يناسب تهديده وتوعّده بطريق التّعريض إذ ليس أهلاً لذلك، والتّعبير بالمستقبل جارٍ على أصله مع «إن» فلا يطلب وجه في دخول «إن» عليه حتّى يكون تعريضاً أو غيره، بخلاف الماضيَ معها، فلعدم كونه هو الأصل معها يطلب له وجه، فيوجد التّعريض مناسباً، فيقدر فيه ويكون مفيداً له معها.

إن تسئل: إنّ قولكم: المراد به غيره صلّى الله عليه وآله وسلّم هل تعنون به أنّ ضمير المخاطب المفرد استعمل في الغآئب مجازاً فلا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم مخاطباً إلّا في الصورة لا في المعنى؟

تجيب عنه: لا، بل النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم خوطب لفظاً ومعنًى، ولكن اريد بخطابه إفادة لازمة، وهو أنّ غيره إذا اشرك حبط عمله، فهو من نوع الكناية كقولك: زيد طويل النّجاد. فالنّبيّ المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم مراد في الآية إستعمالاً وغير مراد إفادة، وقد بيّن تحقيق هذا المعنى في باب الكناية.

إن تسئل: فعلى هذا يلزم من كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم مراداً بالضمير أن يكون الشّرك بالنّسبة إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم هو المراد؟

تجيب عنه: هذا نوع من الكناية التّمثيلية كقولك: زيد كثير الرّماد كنايةً عن كرمه وكثرة جوده وإن لم يكن له رماد ولا طبخ، فتسمّى هذه كناية تمثيلية.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ الشّرك هنا عام لأنحآئه: من الشّرك في الوجود والإيجاد والتّدبير والعبادة والرّيآء، وفي الآية الكريمة تهديد لِلامّة على الشّرك بأنحآئه فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

فلا يبعد أن يكون قوله عزّوجلّ: «ولقد أُوحي إليك ...» دليلاً على حبط العمل إذا عمله الإنسان لغير الله وإن اعتقد بوحدانيته لقوله تعالى بعد ذلك:

٦٦ - (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين)

إضراب عن النّهي المفهوم من سابق الكلام ردّاً على هؤلآء المشركين لما دعوه صلّى الله عليه وآله وسلّم من إستسلام بعض آلهتهم الموهومة، وردّه صلّى الله عليه وآله وسلّم

إلى ماهو الحقّ الثّابت في نفس الأمر وهو تخصيص الله تعالى بالعبادة، وتقديم إسم الجلالة للدّلالة على الحصر، ولولا دلالة التّقديم على الإختصاص لم يكن كذلك ، فهم دعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبادة أخسّ المخلوقات، والله عزّوجلّ دعاه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبادة الخالق المتعال وحده كأنّه قال: لا تعبد مادعوك إلى عبادته بل الله وحده فاعبده. والكلام تأمين على ماقرّرته الآية السّابقة. وهذه ثالث مرّة يتكرّر فيها مثل هذا. الأمر للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه السّورة.

وقوله تعالى: «وكن من الشّاكرين» فيه إشارة إلى موجب الإختصاص، وفي الجمع بين العبادة والشّكر إشارة إلى أنّ هذه العبادة ليست عبادة قسر وقهر، بل هي عبادة حمد وشكر، وعبادة ولآءٍ وحبّ لِله جلّ وعلا.

٦٧ ـ (وماقدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون)

مستأنف بيانـي سيق لتقرير جهل المشركين وتأكيد لحمقهم، وإشارة تعنيفية إليهم على عدم إدراكهم حقّ الادراك ، وعدم تقديرهم حقّ التّقدير مدى عظمة الله تعالى وقدرته وشأنه وإستحقاقه وحده للخضوع والعبادة، وتنزّهه وتعاليه عن الشّركآء واستطراد إلى ذكرما يكون يوم القيامة من دلائل عظمته وقدرته وشمول تصرّفه حيث تكون الأرض في قبضته والسّموات مطويّات بيمينه.

ولذلك الجهل والحمق جعلوا تلك الأشيآء الخسيسة شركآء لله سبحانه فعبدوها ودعوارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعبادتها و وصفوه جلّ وعلا بما لا يليق به.

وقوله تعالى: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» قد خصّ يوم القيامة بالذّكر وإن كانت قدرته شاملة لكلّ شي ء أيضاً لأنّ الدّعاوي تنقطع ذلك اليوم كقوله تعالى: «والأمر يومئذٍ لِله» الإنفطار: ١٩) وقال: «مالك يوم الدّين» الفاتحة:٣) وأنّ معنى إنحصار الملك والأمر والحكم والسّلطان وما إليها يوم القيامة فيه تعالى هو ظهور ذلك لأهل الجميع يومئذ وإلاّ فهي لِله تعالى دآئماً.

وقوله عزّوجلّ: «والسّموات مطويّات بيمينه» فيه إيهام وهو أن يكون للفظ

الظّاهر تأويل، فيسبق إلى فهم السّامع الظّاهر مع أنّ المراد هو التّأويل، فذكر اليمين للمبالغة في الإقتدار والتّحقيق للملك، وفيه تصوير لجلالته وعظمة شأنه، وكمال علمه وتدبيره وحكمته وقدرته، وحقارة كلّ فعل عظيم بالنّسبة إلى قدرته، وللدّلالة على أنّ تخريب العالم أهون.شيء عليه على طريقة التّمثيل من غير إعتبار للقبضة واليمين.

في **تلخيص البيان** للسّيّد الشّريف الرّضي رضوان الله تعالى عليه: «وهاتان إستعارتان ومعنى «قبضته» ههنا أي ملك له خالص قدار تفعت عنه أيدي المالكين من بريته والمتصرّفين فيه من خليقته، وقد ورث تعالى عباده ما كان ملكهم في دار الدّنيا من ذلك، فلم يبق ملك إلّا إنتقل ولا مالك إلّا بطل. وقيل أيضاً: معنى ذلك أنّ الأرض في مقدوره كالّذي يقبض عليه القابض ويستولي عليه كفّه،ويحوزه ملكه ولا يشاركه فيه غيره ومعنى قوله: «والسّموات مطويّات بيمينه» أي مجموعات في ملكه ومضمونات بقدرته، واليمين ههنا بمعنى الملك يقول القآئل: هذا ملك يميني، وليس يريد اليمين الّتي هي الجارحة وقد يعبّرون عن القوّة أيضاً باليمين، فيجوز على هذا التّأويل أن يكون معنى قوله تعالى: «مطويات بيمينه» أي يجمع أقطارها ويطوى إنتشارها بقوته كما قال سبحانه: «يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب».

وقيل: لليمين ههنا وجه آخر وهو أن يكون بمعنى القسم لأنّه تعالى لمّا قال في سورة الأنبيآء: «يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ لِلكتب كما بد أنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» كان إلتزامه تعالى فعل ما أوجبه على نفسه بهذا الوعد كأنّه قسمٌ اقسم به ليفعلن ذلك فأخبر سبحانه في هذا الموضع من السّورة الاخرى: «إنّ السّموات مطويّات بيمينه» أي بذلك الوعد الّذي ألزمه نفسه تعالى، وجرى مجرى القسم الّذي لا بدّ أن يقع الوفآء به والخروج منه، والإعتماد على القولين المتقدّمين أولى» إنتهى كلامه.

٦٨ ـ (ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شآء الله ثمّ نفخ فيه أُخرىٰ فإذاهم قيام ينظرون)

إخبار عن مشاهد القيامة وأهوالها وإرهاصاتها...

وقوله تعالى: «إلّا من شآء الله» إستثنآء من أهل السّموات والأرض على اختلاف الأقوال فيهم، سيأتي بيانه في «تحقيق الأقوال» إن شآء الله تعالى فانتظر.

وقوله عزّوجلّ: «فإذاهم قيام ينظرون» إخبار عن سرعة إيجادهم وعن حالهم بعد إحيآءهم، وإشارة إلى أنّ البعث يقع في لحظة واحدة، حيث يولدون جميعاً ميلاداً على صورة كاملة يجد فيها كلّ إنسان حواسّه ومدركاته ووجوده كلّه.

وذلك إنّ الله عزّوجلّ إذا نفخ النّفخة الثّانية أعادهم عقيب ذلك، فيقومون جميعاً مندهشين من قبورهم فينتظرون مصآئرهم، وما يفعل بهم، وما يؤمرون به، أو يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا فاجأه خطب.

ولا ينافي ما في هذه الآية الكريمة من كونهم بعد النّفخ قياماً ينظرون ما في قوله تعالى: «ونفخ في الصّور فإذاهم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون» يس: ٥١) أي يسرعون وقوله عزّوجلّ: «يوم ينفخ في الصّور فتأتون أفواجاً» النبأ: ١٨) وقوله جلّ وعلا: «ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّموات ومن في الأرض» النمل: ٨٧) فإنّ فزعهم بالنّفخ وإسراعهم في المشي إلى عرصة المحشر وإتيانهم إليها أفواجاً كقيامهم ينظرون حوادث متقارنة لا يدفع بعضها بعضاً.

٦٩ ـ (وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيٓ بالنّبيّين والشّهدآء وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون)

توصيف لأرض القيامة وأهلها، وقال البيانيّون: إنّ صدر الآية الكريمة بصدد بيان ظهور العدل الإلهي يومئذ بين النّاس كما يدلّ عليه قوله تعالى: «و وضع الكتاب...» وذيلها بصدد نفي الظّلم يومئذ. كما يقال للملك العادل كسليمان بن داود عليهما السّلام: أشرقت الآفاق بنور عدلك وأضآئت الدّنيا بقسطك فلايظلم أحد أحداً ويقال في ضدّه كفرعون: أظلمت الدّنيا بجورك، ولا يوجد عدل في عهدك

قط.

وقوله تعالى: «بنور ربّها» النّور إستعارة عن ظهور العدل الإلهي يوم القيامة لإضافة النّور إلى إسمه تعالى: «ربّ» اضيف إلى ضمير الأرض، فالله تعالى يزيّنها حيث ينشر فيها عدله، وينصب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحقّ بين أهلها، ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه، وأنّ العدل من شئون الرّبوبيّة، وقد استعار النّور للحقّ والقرآن والبرهان بمواضع عديدة من القرآن الكريم، وإنّ الحقّ والعدل مفهومان متلازمان إذ لا يكون حقّ إلّا وهو ملازم للعدل، والعكس بالعكس، فترديد بعض المعاصرين غير وجيه جدّاً فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

والمعنى: وأشرقت أرض القيامة بما يقيمه فيها الرّب جلّ وعلا من العدل ويحكم بين النّاس بالحقّ، ويبسط القسط في الحساب و وزن الأعمال: خيرها وشرّها، صالحها وفاسدها... فالآية الكريمة تتضمّن الحكم والقضآء.

۷۰ - (ووفّيت كلّ نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون)

بيان لإجرآء الحكم الإلهي إجمالاً بعد محاسبة النّاس على أعمالهم، كما أنّ الآيات التّالية تفصيل لإجرآء الحكم والقضآء.

وقوله تعالى: «وهو أعلم بما يفعلون» ردّ عن إمكان توهّم الجهل والحاجة إلى وضع الكتاب والجيئ بالنّبيّين... أي ليس حكمه تعالى بين النّاس يوم القيامة بهذا النّمط من وضع الكتاب... عن جهل منه سبحانه أو حاجة إلى هذه الصّورة لتشكف عن أعمال النّاس، بل لأن يجرى حكمه على القسط والعدل فهو أعلم بما كانوا يفعلون، لا يخفى عليه جلّ وعلا منهم خافية، ولأن يرى النّاس بأعينهم ما كان منهم، وليحاكموا أنفسهم، وليشهدوا عدل الله المطلق فيما أجرى عليهم من أحكام...

۷۱ - (وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جآؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين)

تفصيل لإجرآء الحكم الإلهي وبيان لتوفية كلّ نفس عملها يوم القيامة، وقدّم

أحوال أهل النّار ومايؤل إليه أمرهم من باب تقديم الخوف على الرّجآء، فذكر مايحلّ بهم من الأهوال وما يلقونه من التّأنيب والتّوبيخ من خزنة جهنّم عند دخولهم فيها، على طريق السّئوال والجواب التّهكمي، وهو أشدّ وقعاً على الأبيّ العيوف الّذي تأبى نفسه الهوان والإحتقار.

قوله تعالى: «وسيق الّذين كفروا...» السّوق هو الحثّ على السّير بعنف وإزعاج، علامة على الإهانة والإحتقار، والسّوق هو أن يقتضي الرّاعي الماشية وغيرها حاثاً لها على السّير، ومنه السّوق أي النّزع كأنّ روح الإنسان تساق للخروج من بدنه.

وقد جيئ بالماضي لقصد المبالغة في الطّلب، حتّى كأنّ المخاطب فعل ماتطلبه وصار ماضياً ثمّ أنت تخبر عنه، وجيئ مبنياً للمفعول تهويلاً.

إن تسئل: كيف عبّر بلفظ السّوق عن الذّهاب بأهل النّار إليها، وبأهل الجنّة إليها وفي السّوق إطلاقاً نوع إهانة وإحتقار؟

تجيب عنه: إنّ المراد بسوق أهل النّار طردهم إليها بالعنف والهوان كمايفعل بالاسارى والخارجين على السّلطان، إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنّة سوق مراكبهم حثاً وإسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرّضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السّلطان، فشتّان مابين السّوقين.

فيكون السّوق في إحدى الآيتين حقيقياً، وفي الاخرى مجازاً بالحذف إذلا يذهب بأهل الجنّة إليها إلّا راكبين معزّزين.

وقوله عزّوجلّ: «زمراً» جمع زمرة كناية عن الأفواج أو الجماعات بعض إثر بعض على تفاوت أقدامهم في الشّرك والضّلالة، في البغي والشّرارة، وفي الظّلم والجناية...

وقوله جلّ وعلا: «حتّى إذا جآؤها فتحت أبوابها» إشارة إلى أنّ أبواب جهنّم مغلقة على من فيها، وأنّها لا تفتح إلّا عند ورود فوج من الأفواج المساقين إليها، وكلّما دخل فوج، غلقت عليهم أبوابها، فإذا جآء فوج جديد، فتحت لهم، ثمّ اغلقت

عليهم وهكذا... إنّها سجن مطبق على مَن بداخله.

وقوله سبحانه: «وقال لهم خزنتها...» على وجه التّهجين لفعلهم، والإنكار عليهم، والتّقريع والتّوبيخ لهم.

وقوله تعالى: «قالوا بلى» إعتراف منهم بقيام الحجّة عليهم، فلم يجدوا إلاّ أن يقولوا في حسرة وندم وذلّة ،فأجابوهم معترفين، ولم يقدروا على الجدل الّذي كانوا يتعللّون به في الدّنيا لوضوح السّبيل أمامهم، ولا سبيل لهم حينئذ إلى الإنكار والجحود أو السّكوت.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين» في إقامة الظّاهر مقام الإضمار ـ بدلاً عن أن يقولوا: ولكن حقت علينا كلمة العذاب ـ إشارة إلى أنّهم قد شهدوا على أنفسهم بالكفر بعد أن رأوا بأعينهم صحآئف أعمالهم ... وفي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى، والآية تحتوى صورة رائعة من شأنها أن تثير في الكفّار والمجرمين، والفجّار والمنافقين والفسّاق والظّالمين شعور الخوف والرّهبة.

٧٢ ـ (قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

تقريع لعذاب روحي ورآء عذاب جسمي على طريق الإخبار بما يقرع بشدّة الغمّ على وجه التّوبيخ والذّمّ، مع التّنبيه إلى ما استحقوا به هذا العذاب، وفي حذف القائل وإيثار الفعل مبنياً للمفعول من التّهويل، وإيثار صيغة الماضي لتسجيل الأمر مالا يخفى. ولآية الكريمة تعقيب على جواب الكافرين سئوال خزنة جهنّم لهم هذا السّوال: «ألم يأتكم...» فكان جوابهم: «بلى» وكان التّعقيب على هذا الجواب: «ادخلوا أبواب جهنّم» بدلاً من أن يقال: «ادخلوا جهنّم» تنبيهاً على الأبواب قطعة من جهنّم، وأنّ الّذي يدخلها إنّما هو داخل في جهنّم نفسها.

وقوله تعالى: «فبئس مثوى المتكبّرين» بيان للدّآء الّذي كان منه كفرهم وطغيانهم، شركهم وعصيانهم، وبغيهم وعدوانهم وهو الإستكبار والإستعلاء عن أن ينقادوا للحقّ ويؤمنوا بالله جلّ وعلا. الفآء للتّعقيب الذّكرى ،فتفيد هنا كون

المذكور بعد الجملة كلاماً مرتباً في الذّكر على ماقبلها من غير قصد على أنّ مضمونها عقيب مضمون ماقبلها في الزّمان، والمخصوص بالذّمّ محذوف وهو جهنّم. وفي الجملة إشعار بأنّ كون مثواهم جهنّم لتكبّرهم عن الحقّ، واستحقاقهم جهنّم بإختيارهم.

٧٣ ـ (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

تقرير لأحوال المتّقين يوم القيامة، ومايقوله خزنة الجنّة تكريماً لهم عند دخولهم فيها، وما يلاقونه فيها من النّعيم، فهم يساقون راكبين إلى دارالكرامة والرّضوان جماعة إثر جماعة حسب تفاوت مراتبهم في الإيمان والتّقوى وصالح الأعمال...

وقوله تعالى: «حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها» حذف جواب الشّرط ليدلّ على أنّه شيء لا يحيط به الوصف، ولا يقدّر بقدر أو ليذهب نفس السّامع في تقديره كلّ مذهب ممكن، فيحصل الغرض من كمال التّرغيب، فلا يتصوّر مطلوباً إلّا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه بخلاف مالو اقتصر على ذكر شيء، فربّما خفّ أمره عنده.

وقوله عزّوجلّ: «فادخلوها» في الفآء دلالة على أنّ طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم في الجنّة.

وفي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى كما أنّها تحتوى رائعة من شأنها أن تثير في المتّقين شعور السّكينة والغبطة.

٧٤ ـ (وقالوا الحمد لِله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين)

حكاية عن إعتراف المتّقين بنعم الله تعالى عليهم في الجنّة وحمدهم لِله جلّ وعلا عليها.

وقوله تعالى: «نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء» بيان لإيراثهم الأرض، وتبديل ضمير الأرض بالجنّة للإشارة إلى أنّها المراد بالأرض، وقد أطلق للمتّقين التّصرف في نعيم الجنّة تشبيهاً بحال الوارث، وتصرّفه فيما يشآء ممّا يرثه مع الإشارة إلى كثرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم فيها، وإلى كثرة حورها وأنهارها وثمارها وأمنها وأمانها...

لأنّ لكلّ متّق جنّة لا توصف سعتها ونعيمها، فيتبوّأ من جنّته كما يريد من دون منازع.

وقوله تعالى: «فنعم أجر العاملين» تعقيب على ما لهج به أصحاب الجنّة من حمد الله عزّوجلّ، ومن التحدّث بما أفاض عليهم من النّعم...

٧٥ ـ (وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقضي بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين)

توصيف لمآب الملآئكة المقرّبين بعد بعثهم، خطاباً للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم تكريماً وتشريفاً له صلّى الله عليه وآله وسلّم. وقال بعض أهل البيان: إنّ الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدّنيا وذلك أنّ السّلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضآء بين الخلق قعد على سريره وأقام حشمه وجنده قدّامه وحوله تعظيماً لأمره، فلذلك عظم الله جلّ وعلا أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملآئكة حول معظمين له عزّوجلّ مسبّحين، وإن لم يكن الله سبحانه على العرش، لأنّ ذلك يستحيل عليه لكونه غير جسم، والجلوس على العرش من صفات الأجسام.

وقوله تعالى: «الحمد لله ربّ العالمين» إخبار من الله عزّوجلّ أنّ جميع المؤمنين على درجاتهم في الإيمان والعمل يقولون عند ذلك معترفين بأنّ المستحقّ للحمد والشّكر الّذي لا يساويه حمد ولا شكر.

﴿الإعجاز﴾

وقد سبق منّا كراراً أنّ لِكلّ آية من آيات القرآن الكريم وجوهاً من الإعجاز والأسرار والحِكم - فضلاً عن مجموعه - ككلّ عضو من أعضآء الإنسان وقواه الظّاهرة والباطنة، أو ككلّ فرد مخلوق من مجموع نظام الكون ونواميس الوجود، ولا نستطيع بذكر جميع وجوه إعجاز آية منها فضلاً عن وجوه إعجاز جميعها، كما أنّ العلم الحديث ما استطاع بعد إلاّ بإدراك بعض أسرار عضو من أعضآء الإنسان وقواه... فضلاً عن مجموعه، وإنّ الإعجاز والحِكم والأسرار في نظام التّكوين ونظام التّدوين سوآء بسوآءٍ.

ومن السّور القرآنيّة الكريمة هذه السّورة: «الزّمر» نشير إلى بعض وجوه بعض آياتها إجمالاً روماً للإختصار:

منها: قوله تعالى: «خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل»: ٥).

وفي الآية الكريمة إشارة إلى امور:

الأوّل: التّكوير هو اللّفّ واللّيّ، يقال: كار العمامة على رأسه وكوّرها أي لفّها على رأسه حتّى صارت مثل الكرة، والمراد هنا هو الحجب والتّغطية من الأعلى للأسفل بتعاقب اللّيل والنّهار دائماً من ذهاب اللّيل ومجيئ النّهار وإيابه والعكس بالعكس، فكلّ واحد منها يغيب الآخر إذا طرأ عليه، فيغشي كلاً منهما الآخر، فشبّه في تغييبه إيّاه بشيئ ظاهر لفّ عليه ماغيبه عن مطامح الأنظار والأبصار

كأكوار العمامة الّتي يتبع بعضها بعضاً وعلى اثر بعض.

الثّاني: أنّ هذه الصّورة من التّكوير تشير إلى كروية الأرض، وإلى أنّ اللّيل والنّهار يتحرّكان فوق كرة أشبه بالعمامة الّتي تعلو الرّأس، فالأرض كالرّأس والظّلام والضّيآء يتتابعان تبتابع أكوار العمامة، ويلقفان متتابعين حولها، فتدور الأرض حول نفسها، وهو مكوّرة فأخذ النّهار النّاشئ من مقابلتها للشّمس يسير من الشّرق إلى الغرب يلفّ حولها، طاوياً اللّيل، واللّيل من الجهة الاخرى يلتفّ حولها طاوياً النّهار، فجانبها الّذي يحاذي الشّمس حين دورانها يكون نهاراً، وغير المحاذي يكون ليلاً.

الثّالث: أنّ اللّيل والنّهار يكوّر كلّ منهما على الآخر في حركة رائبة حيث لا يكون نهار إلّا كوّر عليه اللّيل، ولا يكون ليل إلّا كوّر عليه النّهار.

الرّابع: أنّ لفظ «يكوّر» يشير إلى أنّ الأرض متحرّكة، وأنّ هذا التّكوير الّذي يجري على الكرة، إنّما يقع حالاً بعد حال، و وقتاً بعدوقت...

الخامس: تقديم تكوير اللّيل على النّهار إشارة إلى اتّجاه حركة الأرض بعد الإشارة إلى شكلها الكروي وإلى حركتها، فإنّ هذه الحركة من الغرب إلى الشرق، حيث يكون النّهار أوّلاً ثمّ يتلوه اللّيل، فيتكوّر عليه ثمّ يعقبه النّهار، فيعلوه متكوراً عليه كذلك ... وهكذا...

وهذا التّعبير من أعجب مايعلم به، أنّ القرآن يرشدنا إلى كرويّة الأرض أوّلاً ويرمز إلى دورانها حول نفسها ثانياً، وذلك لأنّ اللّيل والنّهار ليسا من خواصّ الشّمس، فلا ليل ولا نهار هناك ، وإنّما هما في الأرض، يوجدان بدورانها حولها، فتكوير الأرض ظاهر الآية، ودورانها أتى تابعاً بالرّمز والإشارة.

وفي المقام سؤال عميق لم أجد بعد لأحد من علمآء الفن جواباً صحيحاً له وهو: انّه لو كانت للأرض حركة من الغرب إلى الشّرق على ما زعموه لما احتاجت الطيّارات إلى حركة في الفضآء في سفرها إلى خلاف حركة الأرض، وخاصّة إذا خرجت عن مدار القوّة الجاذبة. فعلى هذا لا يبعد أن يكون تقديم تكوير اللّيل على النّهار إشارة

إلى سكون الأرض كالرّأس بالنّسبة إلى أكوار العمامة، وإلى أنّ التّكوير يوجد من الشّرق إلى الغرب كأكوار العمامة نفسها، ففي الآية الكريمة ترسيم الشّكل وتحديد الوضع، وتعيين نوع طبيعة الأرض على أدقّ تعبير وأحسن تفسير والله جلّ وعلا هو أعلم.

ومنها: قوله عزّوجلّ: «يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون»: ٦).

في الوقت الّذي تتعرّض فيه الخلايا المضغية لأطوارها يكون هناك ما يسمّى بالخلايا المغذية الّتي تأخذ على عاتقها تأمين الغذآء والهوآء لحصول الحمل، ثمّ يتشكّل منها ملحقات الجنين والّتي منها هذه الأغشية الثّلاثة الّتي تحيط ببعضها وهي من الدّاخل إلى الخارج:

١ ـ الغشآء الأمنيوسي Amniotic membrane : وهو يحيط بالجوف الأمنيوسي المملؤ بالسّائل الأمنيوسي الّذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.

٢ ـ الغشآء الكوريوني Chorionec membrane الّذي تصدر عنه الزّغابات الكوريونية الّتي تنغرس في مخاطية الرّحم.

٣ ـ الغشآء السّاقط Disidua memb وهو عبارة عن مخاطية الرّحم السّطحية بعد عملية التّعشيش ونموّ محصول الحمل، وسمّي بالسّاقط لأنّه يسقط مع الجنين عند الولادة.

وبالنّظر إلى الآية الكريمة: «يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث» واستناداً إلى المعطيات العملية الّتي ذكرت في محلّها حول الأغشية الثّلاثة نجد أنفسنا مرّة اخرى أمام إعجاز قرآني جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثّلاثة بتصوير واقعي لجوّ الظّلمة المحيطة بالجنين، فما أسميناه بالغشاء أسماه القرآن بالظّلمة: ظلمة الغشآء الأمنيوسي، وظلمة الغشآء الكوريوني، وظلمة الغشآء السّاقط، وشيء آخر في الآية الكريمة هو تبيانها أنّ عملية الخلق تتمّ على أطوار متلاحقة داخل هذه الظّلمات الثّلاث: «خلقاً من بعد خلق في ظلمات

ثلاث».

والجدير بالذكر أنّ هذه الأغشية لا تظهر إلّا بالتّشريح الدّقيق وتظهر كأنّها غشآء واحد بالعين المجرّدة».

ومنها: قوله جلّ وعلا: «ولقد ضربنا لِلنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون» الزّمر: ۲۷).

وذلك إنّ الاداة المفضلة في أُسلوب القرآن والقاعدة الأولى فيه للبيان هو التّصوير الرّآئع، وإنّ القرآن الكريم يعبّر بالصّورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذّهني، والحالة النّفسية وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور وعن النّموذج الإنسانى والطّبيعة البشرية، ثمّ يرتقي بالصّورة الّتي يرسمها، فيمنحها الحياة الشّاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذّهني هيئة أو حركة، وإذاً الحالة النّفسية لوحة أو مشهد، وإذاً النّموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذاً الطّبيعة البشرية مجسّمة مرئيّة...

فإذا ذكرنا أنّ الأداة الّتي تصور المعنى الذّهني، والحالة النّفسية، وتشخص النّموذج الإنساني أو الحادث المروي، وإنّما هي ألفاظ جامدة لا ألوان تصور ولا شخوص تعبر أدركنا سرّ الإعجاز في تعبير القرآن الكريم. والأمثلة على هذا الّذي نقول هي القرآن كلّه، حيثما تعرض لغرض مِن الأغراض الّتي ذكرناها... فالتّصوير الفنّي في القرآن ليس حلية أسلوب ولا فلتة تقع حيثما اتّفق، إنّما هو مذهب مقرّر وخطّة موحدة، وطريقة معينة يفتن في استخدامها بطرآئق شتّى...

منها: ضرب الأمثال، وذلك أنّ من خصائص أُسلوب القرآن الكريم ضرب الأمثال للتّذكير والوعظ، والإعتبار والتّقرير وتقريب المراد للعقل في تصويره بصورة المحسوس، لأنّ ذلك أثبت في الأذهان وأسرع إلى إقناع الوجدان.

ومن الآيات: قوله سبحانه: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» الزّمر: ۳۳).

ومن البداهة أنّ القرآن الكريم هو كلام الله جلّ وعلا، وكلامه صفة من صفاته، وبهذه الصّفة الكريمة تجلّى على رسول الصّادق المصدّق صلّى الله عليه وآله وسلّم فكانت تلك الآيات الّتي ضُمّ عليها القرآن المجيد... وهي آيات تتجلّى آثارها فيما تشيع في

النّفس من روعة، وفيما تسوق إلى الرُّوح من رَوْح، وفيما تؤدّى إلى القلب من طمأنينة ورضىً... أمّا طبيعة هذا التّجلّي و وَحَداتُه وعناصره وصوره وألوانه وحدوده ومعالمه... فلن تنكشف لأحد، ولن تتمثلّ في وهم أو خاطر، وغاية مايمكن أن نظفر به في هذا الشأن هو مايقع في النّفس من آثار القرآن الكريم فيها، حين تكون بمشهد منه وبحضور معه.

فإنّ الحالات الّتي تعرو النّفس حينذاك ، والأحاسيس الّتي تطرقها، والرؤى الّتي تبدولها، هي الوصف الكاشف للإعجاز والأثر الواضح لأسراره... وعلى هذا فإنّنا إذا رصدنا أحوال النّفس الإنسانيّة، وهي بمشهد من القرآن الكريم، وبمحضر من عظمته وجلاله، فإنّنا نجد في القرآن المجيد أموراً كثيرة إنفرد بها عن كلام البشر، فخلصت له دون غيره من الكلام... ومن هذه الامور:

الصّدق المطلق المصفّى الّذي لا تعلق به ذرّة من شك ولا إرتياب، وهذا الصّدق هو الّذي يجعل لكلماته هذا الأثر القوي على النّفوس، وهذا السّلطان المتمكّن من القلوب، ومن الضّمآئر ومن العقول... وذلك انّ الكلمة الصادقة من الصّادق المطلق للرّسول الصادق صلّى الله عليه وآله وسلّم قوّة منطلقة لا يقف في سبيلها شيء حتّى تبلغ غايتها الّتي تريد... من ضمير الإنسان ومن وجدانه.

وإنّ الّذي يحدّث النّاس بلسانه دون قلبه، ويصوّر لهم عالماً لُحْمَتُه الكذب، وسداه الزّور والبهتان، لا يمكن أن يقع كلامه موقعاً من عقل أو قلب، ولو أخرجه في أجمل الألفاظ وأبرع العبارات... إنّ الزّور من الكلام أشبه بالدّود الّذي يتخلّق من الرّمم... تدبّ فيه الحياة لحظة، ثمّ لا يلبث أن يسقط ليأخذ مكانه من الرّمة الّتي تخلّق منها.

ولله درّ «شوقي» إذيصف هذه الحياة الميتة في كيان الدّود:

لم يَخْلُ من صور الحياة وانّما أخطاه عنصرها فمات وليداً

كذلك قول الزّور... لا عمر له ولاحياة فيه، إلّا تلك الحياة الميتة الّتي تتردد في أصدآءِ كلماته كماتر تعش الحياة في ديدان الرّمم!

فالصّدق الّذي جآءبه القرآن الكريم هوالحقّ المطلق الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الّذي يجعل لكلمات القرآن المجيد هذه الحياة القوية المتمكّنة المتجدّدة الخالدة الّتي لا تنال منها الأيّام، ولا تنقص ذرّة من كيانها الّدهور... ولهذا كان القرآن الكريم شباباً دائماً، غضّاً أبداً، كلّما دَنَوْتَ منه طلع علبك عبيره كما تطلع أفاويح الزّهر النّديّ في مطلع الرّبيع.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته ـ فيما خاطب به أهل البصرة على جهة إقتصاص الملاحم ـ: «وعليكم بكتاب الله، فإنّه الحبل المتين، والنّور المبين، والشّفآء النّافع، والرّيّ النّاقع، والعصمة للمتمسّك، والنّجاة للمتعلّق، لا يَعْوَجُّ فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تُخْلِقُه كثرة الرّدّ، وَوُلُوج السّمع، من قال به صدق ومن عمل به سبق».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام «ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لايخبو توقّده، وبحراً لا يُدرك قعره، ومنهاجاً لا يضلّ نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفآء لا تخشى أسقامه، وعزّاً لا تهزم أنصاره وحقّاً لا تخذل أعوانه...».

والصّدق الّذي جاء به القرآن الكريم صدق مطلق يتناول الحقائق كلّها من جميع جهاتها... الحقآئق الكونية، والحقآئق الدّينية والحقآئق الدّنيوية، والحقآئق الاخروية... جميعها. فكلّ مقرّرات القرآن الكريم عن السّنن الكونية، وعن الوجود الإنساني، وصلته بالوجود كلّه، وعن الفطرة الإنسانيّة ومايصلحها أو يفسدها... كلّ هذه المقرّرات قائمة على الصّدق المطلق الّذي لا يتغيّر ولا يتبدّل.

وليس كذلك الحقآئق الّتي يتصورّها النّاس، فإنّها لن تخلو من شوآئب الضّعف الإنساني ولن تصفو أبداً من كدر الطبيعة البشرية، ولن تسلم ممّا يعلق بهذه الطّبيعة من الهوى الشّخصي، والنّوازع الذّاتية... حتّى ولو جهد النّاس جهدهم في تحرّي الصّدق والحقّ وأخلصوا له النّيّة، عقدوا عليه العزم... فكيف إذا مالت النّفس مع

الهوى، وجنحت إلى الكذب والباطل، وركبت مراكب الزّور؟ أيكون للكلام الّذي يصدر عن هذه النّفس صدىً في الحياة، وثمرة في الوجود؟... وكلاّ.. فما لهذا القول من أثر ولا ثمر! إذ لا يخرج من الموات إلاّ الموات، ولا يجيءُ من الزّور غير الزّور!

وقد سمع بعض النّاس واعظاً يعظ، فوقف يستمع إليه... ثمّ لمّا لم يجد لكلماته صدىً في نفسه ولا أثراً في كيانه، إنصرف عنه قائلاً: «يا هذا... إنّ بقلبك لشرّاً أو بقلبي!!» وإنّك لتجد مصداق هذا في كثير من «الدّعايات» الّتي تذيعها الصّحف، ودور الإذاعات، وفيما يكتب المأجورون من الكتّاب، والمنافقون من أرباب الأقلام... حين يراد لهم أن يقيموا للباطل وجوداً، وأن يعرّفوا الكذب صدقاً، وأن يرفعوا من الزور بنياناً... إنّك تسمع هذه الكلمات الكاذبة أو تقرؤها، فتشمّ منها ريحاً خبيثة باردة خانقة، تشيع في نفسك تقززاً، وتبعث في وجدانك وحشة ونفرة، وتحملك حملاً إلى مسافات بعيدة عن هذا الأمر الّذي تزينه لك وتدعوك إليه، حتّى لو كنت أنت من دعاة هذا الكذب والباطل وشهدآء هذا الزّور!

الصّدق ولا شيء غيره هو الّذي يجمع القلوب، ويملك النّفوس، ويحمل العدوّ على أن يحترمك ويذعن لمشيئتك، وينقاد لكلمتك! وإن تأبىّ وعاند وكابر، فانّه لابدّ له من رجعة إلى الصّدق وفيئة إلى ظلاله، طال به الأمدأم قصر... وهذا ماكان من أمر القرآن الكريم مع أشدّ النّاس عداوة له، وخلافاً عليه، وتحرشاً به، إنّهم كانوا دآئماً مشدودين إليه بإحساس خفيّ، يخادعونه بالكذب الّذي ران على قلوبهم، ويدفعونه بالكبر والعناد واللّجاج الّذي تسلّط على عقولهم وأنكارهم... ولكن هيهات هيهات!

وقد روى عن الطّفيل أبي عمرو الدوسيّ قال: قدمت مكّة ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بها، فمشى إليه رجال من قريش ـ وكان الطّفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ـ فقالوا له: يا طفيل إنّك قدمت بلادنا، وهذا الرّجل الّذي بين أظهُرنا قدأعضل بنا ـ أي أعيننا الحيل في أمره ـ وقد فرّق جماعتنا وشتّت أمرنا وإنّما قوله

كالسّحر يفرق بين الرّجل وبين أبيه، وبين أخيه وبين زوجه وإنّما نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا، فلاتكلّمه. ولا تسمع منه شيئاً! قال: فوالله مازالوابي حتّى أجمعت ألاّ أسمع منه شيئاً، ولا أكلّمه، حتّى أنّني جعلت في أُذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً ـ أي قطناً ـ فَرَقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أُريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذاً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قآئم يصلّي عند الكعبة، فقمت منه قريباً فأبى الله إلاّ أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وثكُلَ امّي! والله إنّي لرجل لبيب شاعر، مايخفى عليّ الحسن من القبيح، فمايمنعني من أن أسمع من هذا الرّجل مايقول؟ فإن كان الّذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته؟ فسكت حتّى إنصرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى بيته فاتّبعته حتّى دخلتُ عليه، فقلت: يا محمّد! إنّ قومك قالوا لي: كذاوكذا فو الله مابرحوا يخوّفونني أمرك حتّى سددتُ اذني بكرسُفٍ لئلاّ أسمع قولك، ثمّ أبى الله إلاّ أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرِضْ عَلَيَّ أمرك ؟

قال: فعرض عَلَيَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الإسلام وتلا عَلَيَّ القرآن، فلا والله ماسمعت قولاً قطّ أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ».

فالصّدق الّذي بنى عليه القرآن الكريم كلّه: حرفاً حرفاً، كلمة كلمة، جملة جملة، وآية آية... وعلوّ الجهة الّتي جآئت منها هذه الألفاظ والآيات محملةً بالصّدق، هذا الصّدق وعلوّ جهته قد جآئت في أروع صورة من صور الأدآء، وفي أكمل وضع من أوضاع نظم الكلام، على وجه لم تعرفه العرب، ولم تتعامل به شعراً أو نثراً...

فالقرآن الكريم قدجآء منفرداً بنظمه بهذا الأسلوب الفريد العجيب من النّظم... إذ كانت العرب تعرف الشّعر الموزون المقفّى، وتعرف النّثر المرسَل، كما تعرف النّثر المسجوع ـ طبعاً لا تكلّفا ـ في خطب الخطبآء ومحاورة الحكمآء أو متكلّفاً

في سجع العرّافين والكهّان... ولكنها لم تعرف هذا الأُسلوب الّذي يأخذ فيه الكلام هذه الصّورة الّتي يقيم منه آيات تختتم فيه كلّ آية بفاصلة ذات نغم ورنين، فيجد الصدر لذلك راحة عند الوقوف على الفاصلة، كما تجد النّفس إسترواحاً لهذا النّغم المرجّع منها.

وقد نزل القرآن الكريم من علوّ الجهة، ليست فوقهاجهة، وجآء بالصّدق المطلق، وعرض بحسن الأداء وجهه وصوّر فيه حقآئقه... كلّ هذه الوجوه الثّلاثة مجتمعة في القرآن الكريم.

وقد كان علوّ الجهة الّتي نزل منها القرآن المجيد علوّاً شامخاً، بعيداً لاينال، ثابتاً لا يتغيّر، راسخاً لايهتزّ، قوياً لايضعف... إنّه الكبير المتعال لايسامي ولا يداني وكان القرآن الكريم الصّدق المطلق ظاهراً وباطناً: «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» فصّلت: ٤٢).

وكان النّظم الّذي جآء عليه القرآن المجيد لآلئ فريدة نظمتها يدالحكمة، وكان بنآء شامخاً راسخاً أقامته يد القدرة، وكان لحناً علوياً خالداً ألّفت بين أنغامه وألحانه يد اللّطيف الخبير... وكلّ واحدة من الوجوه الثّلاثة: علوّ الجهة، والصّدق المطلق وحسن الآرآء لوجآء القرآن على صفتها وحدها لكان معجزاً مفحماً، تخرس الألسنة لبلاغته وتعنو الجباه لجلاله وعظمته! فكيف بالثّلاثة إذا اجتمعن جميعاً في كلام، وصرن وجوهاً من وجوه محاسنه وآية من آيات إعجازه؟

إنّه إعجاز يجتمع إلى إعجاز يلتقي بإعجاز. هذا فيما تكشف لعيوننا... و ورآء ذلك كثير من وجوه الحسن، وكلّها رائع معجب، بل ما خفي منها أروع وأعجب!

ومنها: قوله تعالى: «أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ـ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه» الزّمر: ٣٦ـ٤٠) ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هو الإخبار بما يأتي، وقدو عدالله تعالى رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالنّصرة وكفاية من يعاديه من مشركي مكّة الّذين كانوا يخوّفونه صلّى الله عليه وآله وسلّم بآلهتهم الموهومة، فصرف الله جلّ وعلا عنه صلّى الله عليه

وآله وسلّم شرّهم وحفظه من كلّ سوء اريد به، فنصره يوم بدر وغيره عليهم وحطّم آلهتهم . . .

ومنها: قوله تعالى: «قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون» الزّمر: ٦٤) ولعمري لو لم تكن في القرآن الكريم آية نستدلّ بها على إعجازه لكفانا في إعجازه هذه الآية الكريمة بأن محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من دون عِدّة ولا عُدّة كيف كان يستطيع أن يخاطب هكذا صناديد قريش مع كثرة العِدّة والعُدّة مع تصمّمهم على قتله وإمحآء آثاره صلّى الله عليه وآله وسلّم فتدبّر ولا تغفل.

وما ذكرنا من بعض وجوه إعجاز بعض آيات هذه السّورة: «الزّمر» فهو أقلّ قليل منها جدّاً، فعلى الباحثين الخبرآء ببيان مايستطيعونه في كلّ ظرف.

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول إثنى عشر أمراً:

أحدها ـ سورتان من سور قرآنية يشتمل كلّ واحد منها على (٧٥) آية:

الأولى: سورة «الأنفال» والثّانية سورة «الزّمر».

ثانيها ـ إنّه تكرّر بمواضع من القرآن الكريم قوله تعالى: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب»: ٢) تارة بحرف «إلى» وأُخرى بحرف «على» كما عبّر في ابتدآء هذه السّورة بلفظ «إلى» وفي وسطها بـ «على»: «إنّا أنزلنا عليك الكتاب لِلنّاس بالحقّ»: ٤١) فيمكن أن يقال في وجه ذلك: إنّ كلّ موضع خوطب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإنزال والتّنزيل والنّزول فإن تعدّى الفعل بحرف «إلى» ففيه تكليف له صلّى الله عليه وآله وسلّم كما كلّفه الإخلاص في العبادة في الاولى: «فاعبد الله مخلصاً له الدّين»: ٢) وإن عدّي بحرف «على» ففيه تخفيف عنه وتكليف على النّاس كما ختمت الآية الثّانية بقوله: «وما أنت عليهم بوكيل»: ٤١) أي لست بمسئول عنهم، فخفّف عنه ذلك. ولا يقال: إنّ قوله تعالى: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب»: ٢) تكرار لقوله: «تنزيل الكتاب»: ١) لوجهين:

أحدهما ـ أنّ التّنزيل للتّدريج والإنزال دفعيّ.

ثانيها ـ أنّ الأوّل كعنوان الكتاب والثّاني تقرير لما في الكتاب.

ثالثها ـ أنّ الله عزّوجلّ قال في هذه السّورة: «خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها»: ٦) وقال في سورتي النّسآء: ١) والأعراف: ١٨٨): «خلقكم من نفس

واحدة وجعل منها زوجها» بالعطف بحرف الواو فما وجه ذلك؟

فنقول: إنّ العطف بـ«ثمّ» لاينا في العطف بالواو لأنّه لما كان الواو لمطلق الجمع يجتمع مع التّراخي والمهلة، ولا يخفى أنّه يفهم من العطف بـ«ثمّ» أنّ هناك مهلة بين خلق آدم وخلق حوّاء منه، ويفهم من العطف بالواو في سورتي النّسآء والأعراف أنّه بصدد بيان أصل الخلق فقط. فتأمل جيّداً.

رابعها ـ قوله تعالى: «قل إني أُمرت أن أعبدالله مخلصاً له الدّين ـ وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين» الزّمر: ۱۱-۱۲) ليس بتكرار لأنّ اللاّم للعلّة والمأمور به محذوف يدل عليه ماقبله. والمعنى: أُمِرتُ بإخلاص الدّين وأُمرت أن أعبد الله وحده لأجل أن أكون أوّل المسلمين أي مقدّمهم وسابقهم في الدّارين، فاكتفى بالأوّل. وفي ذكر التّعليل نوع تأكيد. وقيل: إنّ الإخلاص إشارة إلى عمل القلب والإسلام إلى عمل الجوارح حيث إنّ للعبادة ركنين: عمل القلب وعمل الجوارح...

ولا يبعد أن يكون تكرّر أمر الله تعالى في السّورة للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بعبادة الله تعالى وحده مخلصاً له الدّين أنّ أمر الله جلّ وعلا لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلان ما أمر بإعلانه هو لأجل قطع أيّ أمل لدى المشركين في تساهله والمجاملة معهم في صدد آلهتهم وشركآئهم، وتراجعه عمّا كان المشركون يبذلون جهدهم في سبيل تحقيقه على ماحكته آيات في سور اخرى سبق نزولها على هذه السّورة كسورتي القلم والأسرآء.

ويُلحَظ أنّ مثل هذا الأمر ورد في مطلع السّورة، وقد تكرّر هذا الثّالث مرّة في موضع آخر من أواخر السّورة أيضاً: «بل الله فاعبد»: ٦٦) حيث يمكن أن يدلّ على أنّ المشركين قد جددوا جهودهم واقتراحاتهم في ظروف نزول السّورة.

قال بعض المتأخرين: إنّ سُئِلَ ـ أوّلاً ـ: ماوجه أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعبادة؟ وثانياً: لماذا عدّى «امرت» باللاّم في الآية الثّانية دون الاولى؟ وثالثاً ـ تقدّم في الآية: ۷۲) من سورة يونس قوله تعالى: «وأُمرت أن أكون من المسلمين» من دون اللاّم؟ ورابعاً: كيف أمر صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون أوّل المسلمين

وقبله مسلمون كثيرون؟

جوابه: أمّا عن الأول فالمراد به جميع المكلّفين. وأمّا عن الثّاني فليفيد أنّ للرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فضل السّبق وثوابه. وأمّا عن الثّالث فلم تلحظ هذه الجهة في آية «يونس» وأمّا عن الرّابع فلانّ المراد به أوّل المسلمين من هذه الأمّة. والله جلّ وعلا هو أعلم.

خامسها ـ أنّ قوله تعالى: «قل الله أعبد مخلصاً له ديني»: ١٤) بالإضافة ليس بتكرار لما قبله لأنّ الأوّل: «أن اعبد الله مخلصا له الدّين»: ١١) بدون الإضافة للإخبار بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم مأمور من جهة الله تعالى بالعبادة الخالصة عن الشّرك الجلّي والخفيّ، والثّاني إخبار بأنّ الّذي أمر به، فإنّه قد أتى به أكمل الوجوه إذ خصّ الله جلّ وعلا بعبادته مخلصاً له دينه، ولذلك قدّم المعبود على فعل العبادة في الثّاني، وأخّره في الأوّل، فالكلام أوّلاً في الفعل نفسه، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله، ولهذا أخّر الفعل، وضمّ إلى مضمونه التّهديد بقوله: «فاعبدوا ماشئتم من دونه»: ١٥).

وأمّا الإضافة فلأنّ قوله: «أعبد» إخبار صدر عن المتكلّم، فاقتضى الإضافة إلى المتكلّم وقوله: «أمرت أن اعبد الله» ليس بإخبار عن المتكلّم، وإنّما الإخبار ومابعده فضله ومفعول.

سادسها ـ إنّ الله عزّوجلّ قال: «ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً» الزمر: ٢١) وقال: «ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً» الحديد: ٢٠).

وذلك لأنّ الفعل الواقع قبل قوله تعالى: «ثمّ يهيج» في سورة الزّمر مسند إلى الله جلّ وعلا وهو قوله تعالى: «ثمّ يخرج به زرعاً» فكذلك الفعل بعده: «ثمّ يجعله» وأمّا الفعل قبله في سورة الحديد فمسند إلى النّبات وهو: «أعجب الكفّار نباته» فكذلك مابعده وهو: «ثمّ يكون» ليوافق في السّورتين ماقبله ومابعده.

سابعها ـ قال الله تعالى: «ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون» الزّمر: ٣٥) وقال: «وليجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون»

النّحل: ٩٦) وكان حقّه أن يذكر هناك .

خصّت هذه السّورة بـ «الّذي» ليوافق ما قبله، وهو: «أسوأ الّذي عملوا» : ٣٥) وخصّت النّحل بـ «ما» للموافقة أيضاً وهو قوله عزّوجلّ: «ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ» : ٩٦) فتلائم اللفظان في السّورتين.

ثامنها ـ قال الله عزّوجلّ: «فمن اهتدى فلنفسه» الزّمر: ٤١) وقال: «فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه» يونس: ١٠٨) والاسرآء: ١٥) والنّمل: ٩٢) لأنّ سورة الزّمر متأخرة عن تلك السور نزولاً فاكتفى بذكر «إنّما يهتدي» فيها عن ذكره فيها.

تاسعها ـ قال الله جلّ وعلا: «وبدالهم سيّئات ما كسبوا» الزّمر: ٤٨) وقال: «وبدالهم سيّئات ما عملوا» الجاثية: ٣٣) وذلك أنّ «ما كسبوا» في هذه السّورة وقع بين ألفاظ الكسب وهو قوله تعالى: «ذوقوا ما كنتم تكسبون» الزّمر: ٢٤) وقوله عزّوجلّ: «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» الزّمر: ٥٠) وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو: «تجزون ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٨) فخصّت كلّ سورة بما إقتضاه.

عاشرها ـ قال تعالى: «فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا» الزّمر: ٤٩) جآء إستعمال الماضي مع «إذا» في السّيّئة منكّراً. وقال: «وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض» فصلت: ٥١) كالسّابق معرّفاً. وذلك انّ الأوّل ناظر إلى لفظ المسّ المنبئ عن معنى القلّة وإلى تنكير «ضرّ» المفيد للتّقليل، وإلى الإنسان المستحق أن يلحقه كلّ ضرر لبعده عن الحقّ، وإرتكاب الضّلالات فنبّه بلفظ «إذا» والماضي على أنّ مساس قدر يسير من الضّرّ لمثله حقّه أن يكون في حكم المقطوع به، وأمّا الثّاني فلأنّ الضّمير في «مسّه» للإنسان المعرض المتكبّر المدلول عليه بقوله: «وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه» فنبّه بلفظ «إذا» والماضي على أنّ إبتلاء مثل هذا الإنسان بالشّرّ يجب أن يكون مقطوعاً به.

الحاديعشر: قال الله جلّ وعلا في صفة أهل النّار: «فتحت أبوابها» الزّمر: ٧١) من دون واو، وقال في صفة أهل الجنّة: «وفتحت أبوابها» الزّمر: ٧٣) فما وجه ذلك ؟ **أقول:** لوجوه.

أحدها ـ الواو عاطفة على جملة، والجواب محذوف أي سعدوا وفتحت... وحقّ موقعه ما بعد «خالدين» أي كان ما كان من أصناف السّعادات وأنواع الكرامات... وحذف الجواب بليغ في كلام العرب. أو على إضمار الجملة بعد ذلك أي وقال لهم خزنتها كذا وكذا صدقوا وعدهم وطابت نفوسهم.

ثانيها ـ الواو زائدة جيئت تنبيهاً على أنّ أبواب الجنّة مفتوحة لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى. والتّقدير: حتّى إذا جآؤها وأبوابها مفتحة لقوله تعالى: «جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب» ص: ٥٠) وحذفت الواو في قصّة أهل النّار لأنّهم وقفوا على النّار وفتحت بعد وقوفهم تذليلاً وترويعاً لهم.

ثالثها ـ الواو للحال أي جاؤها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النّار فإنّها إنّما تفتح عند مجيئهم أو بعد مجيئهم وتوقفهم عندها. ولعلّ الحكمة في ذلك امور:

الأوّل: أن يستعجل أهل الجنّة الفرح والسّرور إذا رأوا أبواب الجنّة مفتّحة لهم، وأهل النّار يأتونها وأبوابها مغلقة ليكون أشدّ لحرّها.

الثّاني: أنّ الوقوف على الباب المغلق نوع ذلّ وهو ان، فصين عنه أهل الجنّة لا أهل النّار.

الثّالث: أنّ الكريم يعجل المثوبة ويؤخّر العقوبة، فلو وجد أهل الجنّة بابها مغلقاً لأثر انتظار فتحه في كمال الكريم بخلاف أهل النّار.

رابعها ـ أنّها واو الثّمانية، وذلك أنّ من عادة قريش أنّهم يعدّون من الواحد فيقولون: خمسة، ستّة، سبعة وثمانية، فإذا بلغوا السبعة قالوا: وثمانية. واستُدِلّ بها على أنّ أبواب الجنّة ثمانية. فالواو هنا للإيذان بأنّ أبواب النّار سبعة وأبواب الجنّة ثمانية.

خامسها ـ الواو بمعنى «مع» أي حتّى إذا جاؤها فتح أبوابها إكراماً لهم عن أن يقفوا حتّى تفتح لهم.

سادسها ـ أنّ المعنى واحد، فَتُحْذَفُ تارة وتجيئ اخرىٰ تصرّفاً في الكلام.

سابعها ـ الواو ههنا واو التّكرار معناه: حتّى إذا جاؤها جاؤا وفتحت أبوابها.

الثّاني عشر: أن نشير في المقام إلى صيغ عشر لغات ـ أوردنا معانيها اللّغوية على سبيل الإستقصآء في بحث اللّغة ـ الصّيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنية:

١ ـ جآء كلمة «الخلوص» على صيغها في القرآن الكريم: ٣١ مرّة.

٢ ـ جآء كلمة «الخول» على صيغها في القرآن الكريم: ثمان مرّات:

١و٢ ـ سورة الزّمر: ٨و٤٩) ٣و٤ـ سورة النّور: ٦١) ٥و٦ـ سورة الأحزاب: ٥٠) ٧ـ سورة الأنعام: ٩٤) ٨ـ سورة النّسآء: ٢٣)

٣ ـ جآء كلمة «الغرفة» على صيغها في القرآن الكريم: سبع مرّات:

١ و ٢ ـ سورة الزّمر: ٢٠) ٣ و ٤ ـ سورة البقرة: ٢٤٩) ٥ـ سورة الفرقان: ٧٥) ٦ـ سورة العنكبوت: ٥٨) ٧ـ سورة سبأ: ٣٧).

٤ ـ جآء كلمة «النّبع» على صيغها في القرآن الكريم: مرّتين: أحدهما ـ سورة الزمر: ٢١) ثانيها ـ سورة الإسراء: ٩٠).

٥ ـ جآء كلمة «الهيج» على صيغها في القرآن الكريم: مرّتين: احدهما ـ سورة الزمر: ٢١) ثانيها ـ سورة الحديد: ٢٠).

٦ ـ جآء كلمة «الإقشعرار» مرّة واحدة وهي في سورة الزّمر: ٢٣).

٧ ـ جآء كلمة «الشّكس» مرّة واحدة وهي في سورة الزّمر: ٢٩).

٨ ـ جآء كلمة «الموت» على صيغها في القرآن المجيد نحو: ١٦٥ مرّة.

٩ ـ جآء كلمة «الإشمئزاز» مرّة واحدة وهي في سورة الزّمر: ٤٥).

١٠ ـ جآء كلمة «الزّمر» مرّتين: وهما في سورة الزّمر: ٧١ و ٧٣).

﴿التّناسب﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها:

أمّا الاولى: فإنّ هذه السّورة نزلت بعد سورة «سبأ» فالتّناسب بينهما ظاهر لمن تدبّر في غرضيهما على أنّ هذه تاكيد لما جآء فيها، فعلى القاري الخبير التّدبّر جيّداً فإنّ هذا أحسن طريق لدرك مفاهيم القرآن الكريم وتفسيره، فعلى كلّ مفسّر يريد أن يفسّر سورة من السّور القرآنية تفسيراً صحيحاً أن يتدبّر طرفي هذه السّورة نزولاً ومصحفاً.

وأمّا الثّانية: فالتّناسب بين هذه السّورة وماقبلها مصحفاً فبامور:

أحدها ـ أنّ الله تعالى لـمّا وصف القرآن الكريم في آخر سورة «ص» بقوله: «إن هو إلّا ذكر للعالمين» وصفه في سورة «الزّمر» بقوله: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» فكأنّه قيل: هذا الذّكر ما هو؟ قيل: هو تنزيل الكتاب...

فسورة «ص» ختمت بما بدئت سورة «الزّمر» به من تنويه بشأن القرآن المجيد، وما فيه من هدى وصواب، من خير ورشاد، من رحمة وصلاح، ومن صدق وكمال... وكانت السّورة كلّها معرضاً لمواقع الحقّ والهدى، والصّدق والفلاح من النّاس على مختلف منازلهم من رسل أخلصهم الله تعالى بخالصة الرّسالة، وأنبيآء جمع

الله عزّوجلّ لهم بين النّبوّة والملك، ومؤمنين اقتبسوا من هدى النّبوّة وكافرين ضلّوا عن سوآء السّبيل، فكفروا به.

وهنا تبدأ سورة «الزّمر» بذكر القرآن الكريم، والمتنزّل العالي الكريم، تنزّل منه ثمّ بدعوة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الأخذ بهذا الكتاب الّذي نزل عليه، وبإخلاص العبودية لله عزّوجل لا يشغله عن ذلك مايسوق إليه المشركون من كيد وأذىً.

ثانيها ـ أنّ الله عزّوجلّ لمّا ختم سورة «ص» بقوله: «ولتعلمنّ نبأه بعد حين» أي خبر حقيقة القرآن وما أدعو إليه بعد حين هو الموت لأنّ النّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، بدء سورة «الزّمر» بقوله: «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» وفيه إبطال مايقوله مشركو مكّة من أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ساحر كذّاب ومايقوله هو من تلقآء نفسه!

ثالثها ـ أنّ الله جلّ وعلا لمّا ذكر في سورة «ص» أحوال الخلق من المبدإ إلى المعاد، ذكر في سورة «الزّمر» مثله إلى نحو ذلك من وجوه للربط تظهر بالتدبّر فيهما معاً.

رابعها ـ أنّه يظهر من أوائل آيات سورة «ص» أنّ مشركي مكّة كانوا بصدد إنصراف النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن النّبوّة وعن نزول الوحي إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يظهر من خلال آيات سورة «الزّمر» أنّ مشركي مكّة سئلوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينصرف عمّا هو عليه من التّوحيد والإخلاص، والدّعوة إليه، ومن التعرّض لآلهتهم وقد كانوا يخوّفونه صلّى الله عليه وآله وسلّم بآلهتهم، فنزلت لأنّ يؤكّد أمر النّبوّة والوحي، وأن يخلص دينه لله تعالى ولا يعبأ بآلهتهم وأن يعلمهم أنّه رسول الله وأنزل إليه الوحي السّماوي وأنّه مأمور بالتّوحيد وإخلاص الدّين ودعوة النّاس إلى ما انزل إليه، وهذه مهمّته، والله جلّ وعلا كافيه في أمره وأمّا الإهتدآء فليس هو صلّى الله عليه وآله وسلّم بمسئول عنه. فسورة «الزّمر» قرينة سورة «ص» بوجوه...

وغيرها من التّناسب بينهما كثيراً تركناها روماً للإختصار فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وأمّا الثّالثة: فقد جاءت سورة «الزّمر» باسلوب نظمي خاص يجعله خصوصيّة من خصوصيّات السّورة، وفصولها مترابطة تسوغ القول: إنّها نزلت متتابعة بحيث زعم بعض المفسّرين أنّها نزلت دفعة واحدة.

إنّ الله عزّوجلّ لـمّا أشار إلى شأن المنزّل، وأنّه من عند الله تعالى، وإلى نزوله تدريجاً وإلى عنوان الكتاب بقوله: «تنزيل الكتاب...» : ١) أخذ بذكر ما عليه الكتاب من الحقّ: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ...» : ٢) فعليه أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعبادة لله وحده مع الإخلاص له الدّين على سبيل التأكيد: «ألا له الدّين الخالص» : ٣) لأنّ التّوحيد والإخلاص معاً مقدّم على غيره من الأصول والفروع كلّها... وفي الآية الثّانية وصدر الثّالثة من الولاية لله جلّ وعلا منطوقاً، ومن البرآءة عمّا سواه من الآلهة المزعومة مفهوماً ما لا يخفى. فالنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم هو أوّل المخلصين العابدين لله تعالى وأوّل الرّافضين للطّواغيت... ولمّا حثّ تعالى على التّوحيد والدّين الخالص ورفض الطّواغيت أخذ بذكر الشّرك وذمّ طريقته والتقليد فيه، مع التّهديد والتّوبيخ لأهل الشّرك ، والتّسجيل عليهم بالخزي والحرمان، والذّلة والخذلان بقوله: «والّذين اتّخذوا...» : ٣) ثمّ إحتجّ على بطلان معتقدهم بقوله: «لو أراد أن يتّخذ ولداً...» : ٤) على طريق البرهان القاطع سبق تقريره في البحث البياني فراجع.

إنّ الله تعالى لمّا أبطل إلهيّة الآلهة الموهومة، وأبان أنّه منزّه عن الولد بكونه إلهاً واحداً قهّاراً أقام الدّلائل الآفاقية من خلق السّموات والأرض وتكوير كلّ واحد من الملوين على الآخر، ومن تسخير النيّرين وجريهما لأجل مسمّى، على وحدانيّته وقهّاريته بقوله: «خلق السّموات والأرض بالحقّ...» فمن كان قادراً على ذلك فهو منزّه عن اتخاذ الولد والشّريك ، فإنّ ذلك من صفات المحتاجين وهو جلّ وعلا غنيّ مطلق: «ألا هو العزيز الغفار» أنّه القهّار الّذي يخضع كلّ موجود لسلطانه، وأنّ

المخلوقات كلّها في قبضته وسلطانه.

ثمّ أقام الدّلائل الأنفسيّة من خلق الإنسان، وبثّ النّاس على كثرتهم من نفس واحدة وخلق الأنعام... على وحدانيته وربوبيته، وكمال قدرته وتدبيره بقوله: «خلقكم من نفس واحدة...»: ٦) مع دعوة النّاس كلّهم إلى التّوحيد بقوله: «ذلكم الله ربّكم...» ثمّ بيّن أنّه تعالى غنيّ عن طاعات المطيعين، وبيّن إختيارتهم فيها، وأنّها لا تفيد إلّا أنفسهم، وهو جلّ وعلا عالم بذات الصّدور، خطاباً لهم: «إن تكفروا...»: ٧) فلمّا ذكر النّعم الّتي أنعم بها على عباده وبيّن لهم من بديع صنعه وعجيب فعله، مايوجب على كلّ عاقل أن يؤمن به، أردف ذلك بقوله: «إن تكفروا...» ثمّ بيّن أوّلاً مالا يرضى عنه بقوله: «ولا يرضى لعباده الكفر» ثمّ بيّن ثانياً مايرضاه عنه بقوله: «وإن تشكروا يرضه لكم» ثمّ أشار إلى مآل الأمرين ثمّ حكى نهاية ضعف الإنسان وتناقض آرآئه... بقوله: «وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه...»: ٨).

ثمّ أخذ بذكر أحوال المحقّين الّذين لا رجوع لهم إلّا إلى الله تعالى، ولا إعتماد لهم إلّا على فضله، مع الإشارة إلى عدم الإستوآء بين المحقّين والمبطلين بإعتبار القوّة العملية، والقوّة العلمية على وجه أبلغ بقوله: «أمّن هو قانت...»: ٩).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن نفي الإستوآء بين العلمآء العاملين والجهّال إطلاقاً، حيث إنّ العلمآء غير العاملين في زمرة الجهّال بلا ريب، أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعظ المؤمنين ويحملهم على استمرار الطّاعة والتّقوى بإجتناب معاصيه واتباع أوامره، فإذا تعذّرت طاعته في بلد تحوّلوا عنه إلى بلد يتمكّنون فيه من الإشتغال والطّاعة كما فعل كثير من الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمتقين، ولهم كفاء ذلك أجر بغير حساب فلا يقدّر بمكيال ولا ميزان بقوله تعالى: «قل يا عباد الّذين آمنوا...»: ١٠).

إنّ الله تعالى لمّا أمر المؤمنين بالتّقوىٰ وهي الإجتناب عمّا لا ينبغي أمر عقيبه بتحصيل ماينبغي بقوله: «قل إني أمِرتُ...»: ١١) وهذا نوع رجوع إلى مفتتح

السّورة.

وذلك أنّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن في أوّل السّورة بأنّه أنزل القرآن بالحقّ، وعليه أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعبادة لله وحده وإخلاص الدّين له، وأقام الأدلّة الأفاقية والأنفسية على تفرّده في اُلوهيته وربوبيته، وبين قابليّة الإنسان الإختياريّة للإيمان والكفر ودعا النّاس كلّهم إلى التّوحيد والإيمان، وحذّرهم عن الشّرك والطّغيان، وأشار إلى أنّ النّاس في هذه الدّعوة على فريقين، ونفي الإستوآء بينهما أعاد كلامه إلى ما بدء به فأمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يبلّغهم أنّ الّذي يدعوهم إليه من التّوحيد وإخلاص الدّين لله تعالى هو صلّى الله عليه وآله وسلّم مأمور من الله عزّوجلّ بما يأمر الله تعالى وعباده جميعاً: «قل إنّي امرت...»: ١١) ثمّ أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم ثانياً بأن يكون سابقاً ليقتدي به غيره: «وأُمرت لأن أكون ...»: ١٢).

ثمّ أمره صلى الله عليه وآله وسلّم ثالثاً أن يردّ قومه المشركين الّذين كانوا يدعونه صلى الله عليه وآله وسلّم إلى الشّرك وترك التّوحيد أن يقول لهم: «قل إنّي أخاف...»: ١٣) ليكون ذلك إخافة لأمّته إذا حادوا عن الصّراط لأيّ داع، ثمّ أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يعلن موضعه الحقّ: «قل الله أعبد...»: ١٤) وموضعهم الشّرك : «فاعبدوا ماشئتم من دونه...»: ١٥) ثمّ أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يذكّر لهم مصيرهم وأسوأ أحوالهم يوم القيامة: «قل إنّ الخاسرين...» :١٥) ثمّ فصّل ذلك الخسران، وبيّنه بعد إبهامه تهويلاً وتعظيماً لأمره: «لهم من فوقهم ظلل...»: ١٦) ثمّ أمرهم بالتّقوى وحذّرهم من المعاصي إتماماً للحجّة عليم: «يا عباد فاتّقون»: ١٦).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أسوأ أحوال المشركين وما أعدّه لهم من أنواع العقاب، أخذ بذكر أحسن أحوال المتّقين، وما أعدّه لهم من الثّواب: «والّذين اجتنبوا الطّاغوت...»: ١٧) من باب ذكر الوعد للمتّقين بعد ذكر الوعيد للكافرين ليكون الوعد مقترناً بالوعيد، ويحصل بذلك كمال التّرهيب والتّرغيب. ثمّ مدح المتّقين

بأنّهم نقّاد في معتقداتهم وليسوا مقلّدين بسطآء، وبذلك هم يميّزون بين التّوحيد والشّرك ، بين الإيمان والكفر، بين الحقّ والباطل، بين الهدى والضّلالة، وبين الفضيلة والرذيلة... مع بشارتهم بتسجيل هدايتهم وأنّهم ذو وا العقول السّليمة: «فبشّر عباد الّذين يستمعون القول...» : ١٨).

ثمّ أشار إلى أضداد المتّقين وحرمانهم من الخير و السّعادة لكفرهم والضّلالة: «أفمن حقّ عليه كلمة العذاب...» : ١٩) ثمّ أعاد جزآء المتّقين عناية بأمرهم بعد ذكر أضدادهم: «لكن الّذين اتقوا ربّهم» : ٢٠) ولمّا بيّن أنّ لِلكفّار ظللاً من النّار من فوقهم ومن تحتهم، بيّن أنّ للمتّقين غرفاً فوقها غرف، مع تأكيد مالهم في الجنّة من النّعيم: «وَعدالله لا يخلف الله الميعاد» : ٢٠).

إنّ الله تعالى لمّا وصف الآخرة بصفات توجب الرّغبة فيها، أراد أن يصف الدّنيا بما يقتضي النّفرة عنها، والإغترار بها، فإنّ كلّ مايبدو فيها بهيجاً عاقبته إلى الجفاف والدّمار، فقدّم لذلك مقدّمة يستدل بها عَلى حقّيّة الصّانع وتوحّده في ربوبيته، وتفرّده على الوهيته، وعلى قدرة الله تعالى على البعث وإعادة النّاس ثانية للحساب والجزآء أيضاً فقال: «ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء ماءً...» : ٢١) فمن تفكّر في أدلّة التّوحيد والبعث شرح الله تعالى صدره وهو على نور من ربّه، ومن تغافل عنها قسي قلبه وضلّ: «أفمن شرح الله صدره...» : ٢٢) ثمّ بيّن أنّه نزّل القرآن، وفيه أدلّة التّوحيد والبعث... فمن تدبّره انشرح صدره واطمأنّت نفسه إلى ثلج اليقين، ومن أعرض عنه يقع في ضلالة وعذاب أليم: «الله نزّل أحسن الحديث...» : ٢٣).

إنّ الله تعالى ذكر الجلود وحدها أوّلاً بقوله: «تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم» ثمّ قرنت بها القلوب ثانياً بقوله: «وقلوبهم إلى ذكر الله» لأنّ محلّ الخشية هو القلب، فكان ذكرها يتضمّن ذكر القلوب. ولا يبعد أنّه إذا ذكرت الخشية الّتي محلّها القلوب اقشعرّت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أوّل الأمر، وإذا ذكر الله تعالى ـ ومبني أمره جلّ وعزّ على الرّأفة والرّحمة ـ استبدلوا بالخشية رجآءً في قلوبهم

وبالقشعرير ليناً في جلودهم.

ثمّ أشار إلى سوء حال المعرضين: «أفمن يتّقي بوجهه...»: ٢٤) ثمّ ذكر أن هؤلآء المشركين ومن ينسلك مسالكهم ليسوا بدعاً في الأمم... «كذب الّذين من قبلهم...»: ٢٤) ثمّ أخبر عمّا فعله بالأمم المكذّبة بقوله تعالى: «فأذاقهم الله الخزي...»: ٢٦) ثمّ أقسم جلّ وعلا بأنّه ضرب في هذا القرآن أمثالاً كثيرة يهتدى بها المهتدون: «ولقد ضربنا للنّاس...»: ٢٧) ثمّ ضرب مثلاً ينكشف به الطّريق إلى الحقّ، ويميّز به الحقّ من المبطل: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه...»: ٢٨) ولمّا تمّ الكلام قال: «الحمد لله...»: ٢٩) ثمّ بيّن المقام الّذي يتبيّن فيه الحقّ والمبطل فقال: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون...»: ٣٠) و ٣١) وأمّا وجه النّظم فكأنّه تعالى قال: إنّ هؤلآء الأقوام إن لم يلتفتوا إلى هذه الدّلائل القاطعة والبراهين الواضحة بسبب الكفر والضّلال واستيلاء الحرص والحسد عليهم في الدّنيا، فلاتبال يا أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا فإنّك ستموت وهم أيضاً يؤلون إلى الموت، فلو أنّهم يتربّصون بك الموت فإنّ الموت يعمّ الكلّ فلامعنى لشماتة المرء بعد وفاة صاحبه.

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ضرب لعبدة الأصنام مثلاً وأنذرهم بالموت المقضيّ به على النّاس جميعاً في الحياةالدّنيا،و أنذرهم بالحساب المحكوم به على النّاس جميعاً في الدّار الآخرة أشار إلى نوع آخر من قبآئح أقوالهم، وهو أنّهم يضمّون على شركهم بالله سبحانه، الكذب على الله تعالى، وتكذيب كتابه، مع الإشارة إلى ماينتهي إليه أمر إختصامهم يوم القيامة والتّلويح إلى ماهو نتيجة القضآء بينهم وهو مصير مشئوم حيث تكون نار جهنّم هي مثواهم بقوله: «فمن أظلم ممّن كذب على الله...»: ٣٢).

إنّ الله تعالى لمّا بين وعيد الكافرين ومآل أمرهم، أردفه بوعد المؤمنين المصّدقين وما أعدّلهم سن الجنّة ونعيمها فقال: «والّذي جآء بالصّدق ـ كانوا يعملون»: ٣٣ـ٣٥)

إنّ الله جلّ وعلا لمّا أشار إلى أحوال الفريقين ومآل أمرهم، أردف ذلك بأنّه تعالى يكفي رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّ كانت الأعداء تقصده وتؤذيه: «أليس الله بكاف عبده...»: ٣٦) إنّ الله تعالى لمّا أقام الدّلآئل الآفاقية والأنفسية على

توحّده في ألوهيته، وتفرّده على ربوبيّته، أخذ بذكر ما يعترف به المشركون من التّوحيد: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله» وهم مع ذلك يعبدون غيره، ثمّ بيّن تضادّهم في الأفكار والمعتقدات والأقوال: «قل أفرأيتم...»: ٣٨) ثمّ أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يهدّدهم على تلك المضادة: «قل يا قوم اعملوا ـ عذاب مقيم»: ٣٩ـ٤٠).

إنّ الله تعالى لمّا أشار إلى موقف جدل المشركين، وإصرارهم على الشّرك والطّغيان، وجّه الخطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّه تعالى أنزل عليه الكتاب لإنذار النّاس ودعوتهم إلى الحقّ والهدى وهذه هي مهمّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ هم وشأنهم: «إنّا أنزلنا عليك الكتاب...»: ٤١) ثمّ أشار إلى ما كان السّامعون يشاهدونه ويعتقدونه في حالات النّوم واليقظة والموت، تدليلاً على شمول حكم الله جلّ وعلا وقدرته البالغة، وتصرّفه في كونه ومخلوقاته تصرّفاً مطلقاً في كلّ حال: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها...» ثمّ بيّن الفرق بين الحالين بقوله تعالى: «فيمسك الّتي قضى عليها الموت...»: ٤٢) ولمّا لا يمكن صدور هذا التّدبير العجيب إلّا من القدير الخبير الّذي لا شريك له في ملكه ولا نظير ختم الآية بقوله: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون».

ثمّ كان لمشرك أن يقول: إنما نعبد الأصنام لأنّها تماثيل أشخاص كانوا عند الله مقرّبين، فنحن نرجو شفاعتهم، فأنكر تعالى عليهم اتّخاذهم الأصنام شفعآءلهم من دون أن يرضي الله تعالى ولا يأذن لها الشّفاعة لأحد بقوله: «أم اتّخذوا من دون الله...»: ٤٣) ثمّ أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقرّر لهم أنّ الشّفاعة هي جميعاً لله تعالى، يعطيها من كان يليقاً لمقامها: «قل لله الشّفاعة جميعاً...»: ٤٤) ثمّ صوّر صورة من صور مواقف المشركين، وذكر نوعاً آخر من قبائح أفعالهم، وفضح لحال من أحوالهم، وكشف لضلالة من ضلالاتهم... فقال: «وإذا ذكر الله وحده...»: ٤٥).

لمّا بلغ الكلام مبلغاً لا يرجى معه فيهم خير لنسيانهم أمر الآخرة، وإنكارهم الرّجوع إلى الله تعالى بحيث كانوا يشمئزّون من ذكره تعالى وحده أمر نبيّه صلّى الله

عليه وآله وسلّم بالإتجاه إلى الله جلّ وعلا تجاه هذا الموقف الباطل السخيف، وأن يذكره عزّوجلّ وحده ويذكّرهم حكمه بين عباده فيما اختلفوا فيه على ما فيه من الإقرار بالبعث: «قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض...» : ٤٦) ثمّ أشار إلى هول ماسوف يلقاه المشركون الظّالمون لأنفسهم، وماينكشف لهم ممّا لم يكن يقع في جناياتهم يوم القيامة: «ولو أنّ للّذين ظلموا...» : ٤٧-٤٨). فكأنّهما بيان استجابة لدعآء الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

إنّ الله تعالى لمّا بيّن حال المشركين السّخيفة المنحطّة: أنّهم كانوا يعرضون عن كلّ آية دالّة على الحقّ والهدى، ولا يصغون إلى الحجج المقامة عليهم ولا يسمعون موعظة ولا يعتدّون بعبرة، بل كانوا يستبشرون ويسرّون إذا ذكرت آلهتهم الموهومة، ولذلك كانوا يجحدون ربوبيّة الخالق المتعال، وينكرون البعث والحساب والجزآء، بيّن أنّ ذلك ممّا يستدعيه طبع الإنسان المآئل إلى اتباع هوى نفسه، والإغترار بما زيّن له من نعم الدّنيا والأسباب الظّاهريّة الحافّة بها: «فإذا مسّ الإنسان ضرّ...» : ٤٩). ومن تناقض أفكارهم وعجيب أحوالهم: أنّهم يشمئزّون عن ذكر الله تعالى عند الرّاحة ويستبشرون بذكر آلهتهم المنحوتة، ويلتجاؤن إلى الله تعالى وحده عند الإبتلاء والشّدة!

ثمّ بيّن أنّ مثل هذا الجحود وتلك الدّعوىٰ واتباع الهوىٰ ليست ببدع منهم، ولا وليدة من أفكارهم... بل قالها قبلهم كثير من الامم الماضية، فلم ينفعهم مانالوه وكسبوه ولم يلبثوا أن وقعوا في شرّ جحودهم وأصابهم مااستحقّوا من عقاب الله عليه: «قد قالها الّذين من قبلهم ـ وماهم بمعجزين» : ٥٠-٥١) ثمّ سئل سؤالاً توبيخياً موجّهاً لهؤلآء السّامعين عمّا إذا كانوا لا يعلمون أنّ بسط الرّزق وقبضه بيد الله جلّ وعلا: «أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرزق...» : ٥٢) ثمّ بيّن أنّ هذا ينطوي على آيات ربانيّة وعظيم قدرته وبديع حكمته لينتفع بتدبّرها المؤمنون: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» : ٥٢).

إنّ الله تعالى لمّا أطنب في وعيد المشركين الظّالمين أردفه ببيان كمال رحمته

ومغفرته، وفضله وإحسانه، فأمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يبشّر عباده تعالى بها، تمهيداً لدعوتهم إلى الحقّ والهدى: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا...» ثمّ أخبرهم بما يدفع القنوط واليأس، ويجعل الرّجآء مكان القنوط بقوله: «إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» ثمّ علّل ذلك بقوله: «إنّه هو الغفور الرّحيم» : ۵۳).

ولا يخفى عليك أنّ هذه الآية الكريمة أرجأ آية في القرآن الكريم لإشتما لها على أعظم البشارة فإنّه تعالى أضاف العباد إلى نفسه أوّلاً لقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم كقولك لإبنك: «إبني» ولأخيك: «أخي» متعطّفاً ومترحّماً، ثمّ وصفهم بالإسراف في المعاصي والإستكثار من الذّنوب ثانياً بقوله: «اسرفوا» ثمّ عقبه بالنّهي عن القنوط من الرّحمة ثالثاً بقوله: «لا تقنطوا» ثمّ جآء بما لا يبقى بعده شكّ ولا يتخالج القلب عند سماعه ظنّ رابعاً بقوله: «إنّ الله يغفر الذّنوب» ثمّ أكّده خامساً بقوله: «جميعاً» فهو في قوّة أنّ الله تعالى يغفر كلّ ذنب كائناً ما كان إلّا ما أخرجه النّص القرآني وهو الشّرك، والكفر مرّتين بعد الإيمان مرّتين: «إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن شاء» النّساء: ٤٨) «إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفرلهم» النّساء: ۱۳۷) ثمّ علّل ذلك سادساً بقوله تعالى: «إنّه هو الغفور الرّحيم» ۵۳).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا وعد عباده بالمغفرة أمرهم بثلاثة أمور وهي سبب المغفرة: **الأوّل:** التّوبة من المعصية إطلاقاً والإنابة إلى الله تعالى. **الثّاني:** الإسلام وهو التّسليم قلباً ولساناً. **الثّالث:** العمل بالقرآن الكريم: «وأنيبوا إلى ربّكم ـ واتّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم» : ٥٤-٥٥) مع تخويفهم بالعذاب في الحياة الدّنيا على سبيل التاكيد. ثمّ خوّفهم بثلاثة أمور مالم يأتمروا بما امروا به، وهي الحسرة والإعتذار الخاطئ المردود والعذاب في الدّار الآخرة: «أن تقول نفس يا حسرتى ـ فأكون من المحسنين» : ٥٦-٥٨) مقالات ثلاث يقولها الكافر الضّالّ في مرحلة من مراحل الآخرة: من الموت ـ إلى ـ الجزآء.

إنّ الله تعالى لما نقل الأقوال الثّلاثة على ما بينها من التّرتيب أخذ بالجواب، ولو

أُخّر القول المجاب عنه حتّى يتّصل بالجواب أو قدّم الجواب حتّى يتّصل به لإختلّ النّظم، وقد أنكر على النّفس القائلة مقالتها الثّانية: «بلى قد جائتك آياتي...»٥٩) وقد خصّ القول الثّاني بالجواب وأمسك عن الأوّل والثّاني لأنّ في الأوّل حديث الإستهزآء بالحقّ وأهله، وفي الثّالث التّمنّي للرّجوع إلى الدّنيا، والله جلّ وعلا يزجر النّفس الظّالمة يوم القيامة ويمنعها أن تكلّمه ولا يجيب عن كلامها.

ثمّ صرّح ببعض أنواع العذاب للنّفوس الظّالمة فقال: «ويوم القيامة ترى ...»: ٦٠) ثمّ بيّن مصير المتّقين، وأحوالهم ونجاتهم يوم القيامة بالمقابلة جرياً على الأسلوب القرآني: «وينجّي الله الّذين اتّقوا ...»: ٦١).

إنّ الله تعالى لما ذكر الوعيد للكافرين، والوعد للمتّقين أعاد كلامه بذكر أدلّة تفرّده على الخالقيّة والألوهيّة، وتوحّده في الرّبوبيّة والمالكيّة المطلقة، وكمال القدرة على كلّ شيء: «الله خالق كلّ شيء...»: ٦٢-٦٣) مع الإشارة إلى خسران الكافرين ثمّ انتقل إلى النّعي على الكافرين في دعوتهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبادة آلهتهم الموهومة، فأمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يوبّخهم على دعوتهم، وأن يعلن لهم أن المعبود الحقّ هو الله جلّ وعلا لا معبود سواه: «قُل أفغير الله تأمرونّي...»: ٦٤).

ثمّ هدّد النّاس على الشّرك ببيان مصير الأنبيآء كلّهم في التّوحيد ورفضهم الآلهة الموهومة كلّها، وأنّ التّوحيد ورفض الشّرك دعوة جميع الأنبيآء عليهم السّلام حيث إنّ الشّرك يوجب حبط العمل، وخسران الدّارين ولو كان ـ على فرض المحال من النّبيّ المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم مخاطباً له صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ولقد أوحي إليك ...»: ٦٥).

ثمّ أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالعبادة لله تعالى وحده، والشّكر له على نعمة التّوحيد: «بل الله فاعبد...»: ٦٦) ثمّ أخبر تعالى عن أحوال المشركين وجهالتهم بعظمة الله تعالى وكمال قدرته على الأرض والسّموات، وعن تنزيه نفسه عن شركهم: «وما قدروا الله حقّ قدره...»: ٦٧) ثمّ ذكر سآئر أهوال القيامة وأحوال

أهلها: «ونفخ في الصّور...»: ٦٨) ثمّ وصف أرض القيامة: «واشرقت الأرض بنور ربّها...»: ٦٩).

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر أحوال أهل القيامة على سبيل الإجمال: «و وفيّت كلّ نفس...»: ٧٠) أخذ بذكر تفصيل ذلك، وإنّ النّاس يومئذ بعد فصل القضآء على فريقين: فريق الأشقياء، وفريق السّعدآء، وقدّم أحوال الأشقيآء بقوله تعالى: «وسيق الّذين كفروا...»: ٧١) مع الإشارة إلى سئوال الخزنة لهم على طريق التّوبيخ والإهانة: «وقال لهم خزنتها...» ٧١) ولمّا اعترفوا بالشّرك والطّغيان: «قيل ادخلوها...»: ٧٢) ثمّ أخبر عن أحسن أحوال أهل الجنّة بعد الإخبار عن أسوإ أحوال أهل النّار: «وسيق الّذين اتّقوا ربّهم...»: ٧٣).

ثمّ ذكر قول المتّقين عند دخولهم في الجنّة، معترفين بنعم الله تعالى عليهم: «وقالوا الحمد لله...»: ٧٤) ثمّ وصف مآب الملائكة المقرّبين بعد بعثهم: «وترى الملآئكة حافّين...»: ٧٥) وتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

وقد زعم بعض النّاس من العامّة كابن حزم أنّ في هذه السّورة: «الزّمر» منسوخة، ولكنّ التّحقيق والصّواب عند أصحابنا المحقّقين أنّها غير منسوخة:

١ ـ قال إبن حزم: قوله سبحانه: «إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون»: ٣) منسوخ بآية السّيف: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...» التّوبة: ٥).

أقول: إنّ الإذن في قتال المشركين هو حكم الله جلّ وعلا سوف يحكم الله تعالى به، وإنّ آية «الزّمر» وعيد بعذاب فهي غير منسوخة.

٢ ـ وقال: قوله تعالى: «قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم»: ١٣) منسوخ بقوله جلّ وعلا: «ليغفر لك الله» الفتح: ٢).

أقول: إنّ آية «الزّمر» تعريض بالمشركين وتأنيب لموقفهم العاتي، فليس المقصود إحتمال تحقق المعصية من النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولو مشروطاً، وأمّا الذّنب المغفور له صلى الله عليه وآله وسلّم في سورة «الفتح» فإنّما هو الذّنب في أعين المشركين، وهو خروج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على تقاليدهم السّخيفة ورفض آلهتهم الموهومة، فلمّا فتح الله تعالى عليه وأظفره على أعدائه صار ذنبه مغفوراً بظهوره عليهم. فآية «الزمر» محكمة، وقد سبق منّا كلام في مثلها في سورتي الأنعام ويونس: ١٥) فراجع. وماورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عن الثّمالي وإبن المسيّب فغير ثابت عندنا.

٣ ـ وقال: قوله عزّوجلّ: «فاعبدوا ماشئتم من دونه»: ١٥) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ الأمر هنا أمر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله تعالى: «إعملوا ماشئتم» فصلت: ٤٠) وليس ترخيصاً فلانسخ.

٤ ـ وقال: قوله تعالى: «ومن يضلل الله فماله من هاد» ٢٣) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ الجملة بصدد بيان لحال القاسية قلوبهم في الحياة الدّنيا وهي الضّلال العام، وهو معنى ثابت، وتيئيس عن ثئوب الغواة الفجرة والعتاة الكفرة.

٥ ـ وقال: قوله سبحانه: «قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ـ ويحلّ عليه عذاب مقيم» : ٣٩و٤٠) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ الآية الاولى أمر ربّاني لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإعلان مصير هؤلآء المشركين الباطل، وطريقه صلّى الله عليه وآله وسلّم الحقّ تهديداً لهم على ماهم فيه من الشّرك والضّلالة، والآية الثّانية إخبار بكونهم مغلوبين في الدّارين، فأين النّسخ؟!

٦ ـ وقال: قوله عزّوجل: «وما أنت عليهم بوكيل» ٤١) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ آية «الزّمر» بصدد تحديد مسئوولية النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ومهمّته فلانسخ.

٧ ـ وقال: قوله تعالى: «أنت تحكم بين عبادك » : ٤٦) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ آية «الزّمر» تهديد غير مباشر، فلانسخ.

٨ ـ قيل: قوله تعالى: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا ...» : ٥٣) منسوخ بقوله تعالى: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك » النّسآء: ١١٦).

أقول: إنّ كلّ واحد من وعد آية «الزّمر» ووعيد آية «النّسآء» ثابت في كلّ ظرف فلانسخ هنا، وذلك إنّ الله عزّوجلّ يعد المسرف بالمغفرة إذا تاب وأسلم وعمل صالحاً، ويخوّف المشرك بحرمانها إذا أصرّ وبقى على شركه حتّى مات أو مضى عليه وقت التّوبة.

وفي التّبيان: في قوله تعالى: «أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم» الزّمر: ٥٤) : «وقال قوم: يريد به النّاسخ دون المنسوخ» ثمّ قال الشّيخ قدّس سرّه: «وهذا خطأ

لأنّ المنسوخ لا يجوز العمل به بعد النّسخ وهو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح» إنتهى كلامه.

أقول: وقد سبق منّا كلام في الآية الكريمة في البحث البياني فراجع، وسيأتي تفسيرها إن شآء الله تعالى فانتظر.

فليس في هذه السّورة: «الزّمر» ناسخ ولا منسوخ ولا متشابه، فآياتها محكمات والله جلّ وعلا هو أعلم.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

٢ ـ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين)

في قوله تعالى: «بالحقّ» أقوال: ١ ـ قيل: أي بالعدل، فيجب إتباعه والعمل به. ٢ـ قيل: أي الثّابت غير شآئب بالباطل ولا هزل، وليس بدون غرض. ٣ـ قيل: أي بالأمر الحقّ وهو الدّين الصّحيح. ٤ ـ قيل: أي بالصّدق، فكلّ ما أو دع الله عزّوجلّ في هذا الكتاب من إثبات التّوحيد والعدل والنّبوّة والولاية لأهل بيتها والمعاد من الاصول الإعتقادية، ومن إثبات أنواع التّكاليف والفروع العملية فهو صدق وحقّ مؤيّد بالبرهان العقلي وهو مطابقته للعقول السّليمة، وبالدّليل الحسّي، وهو إنّ الفصحآء والبلغآء والحكمآء... عجزوا عن معارضته.

أقول: والثّاني هو الأنسب بمعناه اللّغوي، والباقي من لوازم معناه تضمّناً والتزاماً فتدبّر جيّداً.

وفي قوله تعالى: «الدّين» أقوال: ١ـ قيل: الدّين هنا: الخضوع والإنقياد والإتّجاه والعبادة لله وحده كما قال صلّى الله عليه وآله وسلّم في دعآئه: «يا من دانت له الرّقاب» أي خضعت، فالدّين الخالص لله أي الخضوع والخشوع له وحده لا لغيره، وإنّما يكون كذلك إذا كان واحداً في إلهيته، إذ لو كان له شريك لما بقي له الخضوع الكامل. ٢ـ قيل: الدّين هو سنّة الحياة وهي الطّريقة المسلوكة في الحياة في المجتمع البشريّ، ويراد بالعبادة تمثيل العبودية بسلوك الطّريق الّتي شرعها الله جلّ وعلا. والمعنى: فأظهر العبوديّة لله تعالى وحده في جميع شئون حياتك باتباع ما شرعه

لك فيها، والحال أنّك مخلص له دينك لا تتّبع غير ما شرعه لك. ٣ـ قيل: الدّين: الطّاعة.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ فتأملّ جيّداً ولا تغفل.

٣ ـ (ألا لله الدّين الخالص والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفىٰ إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفّار)

في قوله تعالى: «ألا لله الدّين الخالص» أقوال: ١ـ قيل: أي الإعتقاد الخالص أن يكون كلّه لِله تعالى وحده. ٢ـ عن قتادة: الدّين الخالص هو شهادة أن لا إله إلّا الله. ٣ـ قيل: أي إنّ الّذي أوحيناه إليك من إخلاص الدّين لله تعالى واجب على كلّ من سمع هذا النّدآء، وإنّا لا نقبل العبادة ممّن لا يعبدني وحده سوآء عبدني وغيري أو عبد غيري وحده. ٤ـ عن الحسن: الدّين الخالص هو الإسلام ٥ـ قيل: أي ألا لله تعالى وحده الطّاعة والعبادة الّتي يستحقّ بها الجزآء فهذا لِله وحده لا يجوز أن يكون لغيره لأنّه المتفرّد بصفات الألوهيّة والإطلاع على الأسرار والضّمآئر، فلا شريك له فيها لأنّ كلّ ما دونه فهو ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه.

٦ـ قيل: الدّين الخالص هو الإعتقاد الواجب في التّوحيد والعدل والنّبوّة والولاية لأهل بيت الولاية المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والمعاد من الاصول الخمسة الإعتقاديّة، وفي الشّرائع والتّكاليف والفروع العمليّة والإقرار بها والعمل بموجبها والبراءة من كلّ دين سواها. ٧ـ قيل: أي لله التّوحيد في طاعة العباد الّتي يستحق بها الجزآء فهذا لِله وحده لا يجوز أن يكون لغيره لإستحالة أن يملك هذا الأمر سواه.

أقول: والسّادس هو الأنسب بإطلاق الدّين عندنا على مجموع الأصول الإعتقاديّة والفروع العمليّة، وخلوصه أن يكون كلّه لله تعالى وحده بأن يكون الدّاعي إليه هو أهليّة الله جلّ وعلا واستحقاقه له وهو دين الفطرة. وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعض، معنىً.

في قوله تعالى: «والّذين» قولان: أحدهما ـ قيل: أُريد بالّذين المشركون كلّهم. ثانيهما ـ أُريد بالّذين بعض المشركين، لأنّهم على طوائف مختلفة في الشّرك والإلحاد،

فمنهم من ينكر الخالق بتاتاً ويقولون: «ما هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحييٰ وما يهلكنا إلّا الدّهر» الجاثية:٢٤). ومنهم من يشرك بالله في أصل الوجود،ويعتقدُون بتعدد الآلهة عرضاً، ومنهم بتعدّدها طولاً، ومنهم من يشرك بالله حقّ إيجاد الكون، ومنهم من يشرك بالله في تدبير الكون ونواميس الوجود، ومنهم من يشرك بالله في العبادة، ومنهم من يعبد غير الله تقرّباً منه إلى الله.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، واختلافهم في معتقداتهم...

وفي قوله عزّوجلّ: «أوليآء» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: هم الملائكة وعيسىٰ و عُزَير وغيرهم من الأصنام والأوثان من اللاّت والعزّى ومناة... فإنّ المشركين كانوا يرجون شفاعتهم لهم عندالله وتقريبهم إليه، أمّا الملائكة وعيسىٰ وعُزَير فظاهر، وأمّا الأصنام... فكانوا يعبدونها لأنّهم جعلوها تماثيل للكواكب والأرواح السّماوية والأنبيآء والصّالحين الّذين مضوا، وعبدوها بإعتبار أنّها رمز إليها، ويقولون: إنّ الله الأعظم أجلّ من أن يعبده البشر مباشرة، فنحن نعبد هذه الآلهة، وهي تعبد الإله الأعظم، وهذهشبهة تمسّك بها المشركون في قديم الدّهر وحديثه.

٢ـ عن مجاهد: كانت قريش يقولون للأوثان: مانعبدهم إلّا ليقرّبونا... ومن كان قبلهم يقولون ذلك للملائكة ولعيسىٰ بن مريم ولعُزَير... وقد جآئت الرّسل مفندة لها، ماحية لها من الأذهان العالقة بها، موجّهة العقول إلى إفراد الله وحده بالعبادة كما قال الله تعالى: «ولقد بعثنا في كلّ أُمّة رسولاً أن اعبُدوا الله واجتنبوا الطّاغوت» النّحل:٣٦) وقال: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء:٢٥).

٣ـ قيل: إنّ المشركين كانوا يزعمون أنّ لهم من دونه مالكاً يملكهم، فيعبدونه لذلك، وذلك أنّهم كانوا يعتقدون أنّ الله تعالى أجلّ من أن يحيط به الإدراك الإنساني من عقل أو وهم أو حسّ، فيتنزّه جلّ وعلا عن أن يقع عليه توجّه عباديّ من البشر، فمن الواجب علينا أن نتقرّب إليه بالتّقرّب إلى مقرّبيه من خلقه، وهم الّذين فوّض إليهم تدبير الكون وشئون نواميس الوجود، وهم مالكونا ومدبّرو أمورنا،

فنتخذهم أرباباً من دون الله ثمّ آلهة نعبدهم ونتقرّب إليهم ليشفعوا لنا عنده في حوآئجنا ويقرّبونا إليه منزلة، وهؤلآء هم الملائكة والجنّ وقدّ يسوا البشر، وهؤلآء هم الأرباب والآلهة بالحقيقة.

أمّا الأصنام المصنوعة المنصوبة في الهيا كل والمعابد، فإنّما هي تماثيل لِلأرباب والآلهة وليست في نفسها أرباباً ولا آلهة غير أنّ الجهلة من عامّتهم ربّما لم يفرّقوا بين الأصنام وأرباب الأصنام، فعبدوا الأصنام كما يعبدون الأرباب والآلهة، وكذلك كانت عرب الجاهلية،وكذلك الجهلة من عامّة الصّابئين ربّما لم يفرّقوا بين أصنام الكواكب، وبين الكواكب الّتي هي أيضاً أصنام لأرواحها الموكّلة عليها وبين أرواحها الّتي هي الأرباب والآلهة بالحقيقة عند خاصّتهم، وكيف كان فالأرباب والآلهة هم المعبُودون عندهم وهم موجودات ممكنة مخلوقة لله، مقرّبة عنده مفوّضة إليهم تدبير أمر الكون ونواميس الوجود، فهم مالكوهم ومدبرو أمورهم، لكلّ بحسب منزلته، وأمّا الله تعالى فليس له إلاّ الخلق والإيجاد وهو ربّ الأرباب وإله الآلهة...

فالمراد بإتّخاذهم تلك الآلهة أوليآء إتّخاذهم أرباباً يدبّرون أمورهم بأن يسندوا الرّبوبيّة وأمر الكون وشئون التّدبير إليهم لا إلى الله جلّ وعلا، بنآء على أنّ الولاية والرّبوبية قريبا المعنى، فالرّبّ هو المالك المدبّر والولي هو مالك التّدبير أو متصدي التّدبير، فهم المدبّرون لِلأمر عندهم، يتفرّع عليه أن يخضع لهم ويعبدوها لأنّ العبادة هي إمّا لجلب النّفع، وإمّا لدفع الضّرّ، أو لشكر النّعم، وكلّ ذلك إليهم لتصدّيهم أمر التّدبير دون الله جلّ وعلا، ولذلك عقّب إتّخاذ الأوليآء بذكر العبادة: «مانعبدهم إلاّ ليقرّبونا» فالمراد بهم المشركون القائلون بربوبيّة الشّركآء والوهيّتهم دون الله إلاّ ماذهب إليه عامتهم الجهلة من كونه شريكاً لهم في المعبودية.

فالمعنى: إنّ المشركين كانوا يقولون: مانعبد هؤلآء الآلهة إلاّ ليقرّبونا بسبب عبادتنا لهم إلى الله تقريباً، فهم عادلون منه تعالى إلى غيره، وقد سمّوا مشركين لأنّهم يشركون به سبحانه غيره حيث يقولون بكونهم أرباباً وآلهة للعالم وكونه تعالى ربّاً وإلهاً لأولئك الأرباب والآلهة...

٤ـ عن إبن عبّاس أيضاً وإبن زيد: إنّ بعض مشركي العرب كانوا يتّخذون اللاّت والعزّى ومناة أرباباً لهم ويقولون: مانعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله قربىٰ في المنزلة والشّفاعة وعن السّدي: الزّلفىٰ: المنزلة أي ليقرّبونا عند الله منزلة ويشفعوا له عنده في حوآئجنا... وذلك إن الشّرك كان على أنحآء مختلفة بين مشركي العرب، كما كان على أنحآءٍ بين غيرهم من المشركين إطلاقاً حتّى اليوم.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق، وما ورد في طوآئف المشركين في شركهم فتدبّر جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون» أقوال: ١ـ قيل: أي إنّ الله يحكم بين أهل الأديان يوم القيامة فيما كانوا يختلفون من أمور دينهم، فيعاقب كلاً بما يستحقّه وأمّا في الحياة الدّنيا فهم يعيشون بسلام بدون إراقة دمآءٍ ولا سلب ولا نهب. ٢ـ عن إبن عبّاس: أي يحكم بين المسلمين يوم القيامة فيما كانوا هم يخالفون في الدّين، فيدخل المؤمنين الجنّة والكافرين والمنافقين النّار. ٣ـ قيل: إنّ الضّمير راجع إلى المشركين وآلهتهم أي إلي العابدين والمعبودين، فإنّ المشركين كانوا يرجون شفاعة أوليآءهم من دون الله وهم يومئذ يلعنونهم بدل الشّفاعة. ومعنى حكم الله تعالى بينهم أنّه يدخل الملائكة وعيسى وعزير الجنّة، ويدخل المشركين والأصنام النّار، واختلافهم أنّ الملائكة وعيسىٰ وعُزَير موحّدون، وهم مشركون، والأصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم لهم يومئذ.

٤ـ قيل: إنّ الضّمير راجع إلى طوآئف المشركين لانّهم كانوا مختلفين في أنحآء الشّرك وقد سبق ذكرها آنفاً ٥ـ قيل: إنّ الضّمير راجع إلى المشركين وخصومهم وهم الموحّدون فيما اختلفوا فيه من التّوحيد والشّرك، فيجازي كلاً بما هو أهله، فيدخل المخلصين الموحّدين الجنّة ويدخل المشركين النّار. ٦ـ قيل: إنّ الضّمير راجع إلى طائفة من مشركي مكّة، وتضادّ أفكارهم وتناقض آرآئهم كما يشير إليه قوله تعالى: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ـ فإذا مسّ الإنسان ضرّدعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم»

الزّمر: ٣٨-٤٩).

أقول: والأخير هو المؤيد بما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وللرّابع وجه.

وفي قوله جلّ وعلا: «إنّ الله لا يهدي» أقوال: ١- قيل: أي لا يهدي إلى طريق الجنّة. ٢- قيل: أي لا يحكم بهدايته إلى الحق. ٣- عن إبن عبّاس: أي لا يرشد إلى دينه ولا يوفق له ولا يسعد. ٤- قيل: إنّ الهداية من الله تعالى لعبده أو من الوالد لولده أو من الدّعاة لعامّة النّاس لا تكون ولا تتحقّق إلّا لنفس ترضى بالهداية تمام الرّضا، وعلى هذا يكون معنى الجملة: أنّ الله تعالى لا يلجئ إلى الهداية من يصرّ على الكفر والضّلال، على الكذب والنّفاق، وعلى الشّرك والعناد... حيث لا هداية مع الجبر والإكراه. ٥- قيل: إنّ المراد بمنع الهداية هو منع اللّطف تسجيلاً عليهم بأن لا لطف لهم، وإنّهم في علم الله تعالى من الهالكين، ولم يرد به الهداية إلى الإيمان لقوله تعالى: «وأمّا ثمود فهديناهم» فصّلت:١٧).

أقول: ولكلّ وجهٌ والمعاني متقارب.

وفي قوله عزّوجلّ: «كاذب كفّار» أقوال: ١- قيل: إنّ كذبهم هو زعمهم شفاعة الأصنام وكفرانهم أنّهم تركوا عبادة المنعم الحقّ، وأقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً، كلّ ذلك لفساد خلقهم وسوء سريرتهم، وعدم رغبتهم في الحقّ والهدى، فمن كان كذلك ولم يراجع نفسه فإنّ الله تعالى سيخلي بينه وبين الضّلال الّذي هو فيه، فلن يهتدى أبداً. ٢- قيل: أي هم كاذبون في قولهم: إنّ الأصنام تشفع، وكفّار بإتّخاذ الآلهة. ٣- قيل: أي كاذب على الله سبحانه في أنّه أمره بإتّخاذ الأصنام، كافر بما أنعم الله عليه، جاحد لإخلاص العبادة. ٤- قيل: كذبهم هو قولهم: إنّ الملائكة بنات الله، فلذلك نعبد صورها، ولذلك عقبه بقوله: «لو أراد الله أن يتّخذ ولداً» وهم كافرون بما أنعم الله تعالى عليهم. ٥- عن إبن عبّاس: أي من هو كاذب على الله سبحانه، مفترى عليه بأن له ولداً وأنّ له نِدّاً، وأنّ الأوثان تشفع لديه، وكاذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بنسبة الجنون والكذب والكهانة

والسّحر إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم وكافر بالله تعالى وهم اليهود والنّصارى والمجوس وبنو مليح ومشركو العرب.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٤ ـ (لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشآء سبحانه هو الله الواحد القهّار)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي لو أراد الله أن يتّخذ ولداً كمازعم المشركون إذ نسبوا إليه سبحانه الملائكة، ونسبت اليهود إليه عزيراً، ونسبت النّصارىٰ إليه المسيح عليه السّلام لاختار الولد من أحسن مايخلق مايشآء من خلقه. ٢ ـ قيل: أي ما كان الله تعالى أن يتّخذ الولد بإختيار المشركين حتّى يضيفوا إليه مَن شآؤوا بل كان يختصّ من خلقه مَن يشآء لذلك كقوله تعالى: «لو أردنا أن نتّخذ لهواً لاتّخذناه من لدنّا إن كنّا فاعلين» الأنبيآء: ١٧).

٣ ـ قيل: أي لو أراد أن يسمّي أحداً من خلقه بهذا ما جعله إليهم. ٤ ـ عن إبن عبّاس: أي لو أراد الله أن يتّخذ ولداً من الملائكة والآدميّين كما قال اليهود والنّصارى وبنو مليح من المشركين لإختار ممّا يخلق عنده في الجنّة مايشآء ويقال من الملائكة ٥ ـ قيل: أي لو أراد سبحانه اتّخاذ الولد لإمتنعت تلك الإرادة لتعلّقها بالممتنع أعني الإتّخاذ لكن لايجوز للباري إرادة ممتنعة لأنّها ترجّح بعض الممكنات على بعض.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٥ ـ (خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجلّ مسمّى ألاهو العزيز الغفّار)

وفي قوله تعالى: «يكوّر اللّيل على النّهار...» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس ومجاهد وقتادة والسّدى وإبن زيد: أى إنّ اللّيل والنّهار متعاقبان إذا غشي أحدهما مكان الآخر، فكأنّما ألبسه ولفّ عليه، وهذا معنى قوله تعالى: «يغشي اللّيل النّهار يطلبه حثيثاً» الأعراف: ٥٤) فالمعنى: يغشى هذا على هذا، وهذا على هذا كقوله تعالى: «يولج اللّيل في النّهار ويولج النّهار في اللّيل» فاطر: ١٣) فيحمل اللّيل على النّهار

ويدهوره فيجيئ بالنّهار ويذهب باللّيل والعكس بالعكس. ٢ـ قيل: أى إذا غيب كلّ منهما صاحبه بشيئ ظاهر لفّ عليه ماغيبه عن الأبصار... فإنّ جانب الأرض الّذي يحاذي الشّمس حين دورانها يكون نهاراً، وغير المحاذي يكون ليلاً.

٣ـ قيل: أى يكرّ كلّ منهما على الآخر كروراً متتابعاً كتتابع أكوار العمامة، وذلك أنّ الأرض تدور حول نفسها وهي مكوّرة فأخذ النّهار النّاشئ من مقابلتها للشّمس يسير من الشّرق إلى الغرب يلفّ حولها طاوياً اللّيل، واللّيل من الجهة الأُخرىٰ يلتفّ حولها طاوياً النّهار، فالأرض كالرأس والظّلام والضيآء يتتابعان تتابع أكوار العمامة، ويلتفان متتابعين حولها. ٤ـ عن إبن عبّاس أيضاً والحسن: أي يزيد في كلّ واحد منهما بقدر ماينقص من الآخر من قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» أي من الإدبار بعد الإقبال. والمعنى: يدخل كلّ واحد منهما على صاحبه بالزّيادة والنّقصان، فما يزيد في أحدهما ينقص من الآخر.

٥ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي يدور اللّيل على النّهار، فيكون النّهار أطول من اللّيل ويدور النّهار على اللّيل فيكون اللّيل أطول من النّهار. ٦ـ عن الضحّاك : أي يلقى هذا على هذا، وهذا على هذا لأنّ التّكوير ـ في الأصل ـ بمعنى طرح الشّيئ بعضه على بعض، يقال: كوّر المتاع أي ألقى بعضه على بعض. والمراد إستمرار توالي اللّيل والنّهار بظهور هذا على ذاك ، ثمّ ذاك على هذا وهكذا وهو من التّدبير الإلهي.

أقول: والمعاني متقارب على سبيل التّلازم فتدبّر جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «كلّ يجرى لأجل مسمّىً» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي يجري كلّ واحد من اللّيل والنّهار والشّمس والقمر إلىٰ وقت معلوم. ٢ـ قيل اي كلّ واحد من الشّمس والقمر يجري في فلكه إلى قيام الساعة لأنّ جريها لاينقطع إلّا وقتئذٍ، حين تنفطر السّماء وتنتشر الكواكب وتنكدر النّجوم. ٣ـ عن الكلبي: اى لكلّ واحد منهما منازل لا تعدوه ولا تقصر دونه، فيسيران إلى أقصى منازلهما ثمّ يرجعان إلى أدنى منازلهما لايجاوزانه، فيجريان على وتيرة واحدة بلا تخلّف.

٤ـ قيل: أي إلى وقت معلوم للشّمس وهو آخر السّنة، وإلى وقت معلوم للقمر

وهو آخر الشّهر، فينتهي سير الشّمس في دوره والقمر إلى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها.

٥ـ قيل: أي كلّ يجري إلى منقطع حركته. ٦ـ قيل: أي إلى مدّة قدّرها الله تعالى لهما أن يجريا إليها. ٧ـ قيل: أي لوقت معلوم في الشّتآء والصّيف وهو المطلع والمغرب لكلّ واحد منهما.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٦ ـ (خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون)

في قوله تعالى: «ثمّ جعل منها زوجها» أقوال: ١ـ قيل: لـمّا أخرج تعالى ذرّية آدم من ظهره كالذّرّ جعل من نفس آدم زوجها حوّآء أي من فضل طينته. والمعنى: خلقكم من نفس واحدة أوجدها وحدها ثمّ جعل من طينته زوجها حوّآء. ٢ـ عن قتادة: أي ثمّ خلق من بعد ذلك حوّآء من ضلع من أضلاعه. وذلك أنّ الله عزّوجلّ لمّا خلق آدم مسح ظهره فأخرج كلّ نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة ثمّ أسكنه بعد ذلك الجنّة، وخلق بعد ذلك حوّآء من ضلع من أضلاعه. ٣ـ قيل: أي خلق الله تعالى نفس آدم وجعل منها حوّآء وجعل منهما سآئر النّاس. ٤ـ قيل: أي خلقكم من نفس واحدة ثمّ شفّعها الله بزوج منها. ٥ـ قيل: أي ثمّ جعل من جنس هذه النّفس الواحدة زوجها وهي حوّاء. ٦ـ قيل: إنّ المراد بقوله تعالى: «زوجها» غير حوّآء، بل يريد المزدوج من نسل آدم من الذّكور والأناث، فكأنّه قال تعالى: «هو الّذي خلقكم من نفس واحدة» وهي آدم عليه السّلام ثمّ جعل المزدوج من نسل هذه النّفس.

أقول: وعلى الثّالث جمهور المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «وأنزل لكم من الأنعام» أقوال: ١ـ قيل: أخبر عن الأزواج بالنّزول لأنّها تكوّنت بالنّبات، والنّبات بالمآء المنزل من السّمآء، وهذا يسمّى

التّدريج. فالإنزال بمعنى الإحداث والإنشآء أي أحدث لكم بأسباب نازلة من السّمآء كالأمطار وأشعة الكواكب... ومثله قوله تعالى: «يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً» الأعراف:٢٦) ولم ينزل اللّباس بل أنزل المآء الّذي هو سبب القطن والصّوف، ويكون منهما اللّباس. فالحيوان لا يعيش إلّا بالنّبات، والنّبات لا ينبت إلّا بالمآء، وقد أنزل المآء فكأنّه أنزلها ثمانية أزواج.

٢ـ عن الحسن: أنزل بمعنى جعل أي جعلها نزلاً ورزقاً لكم أي جعل لكم منها رزقاً. ٣ـ عن إبن عبّاس وسعيدبن جبير: أي خلق لكم من البهآئم ثمانية أصناف ذكر وانثى. ٤ـ عن الجبآئي: إنّ الله تعالى خلق هذه الأنعام الثّمانية في الجنّة ثمّ أنزلها إلى الأرض فانّها اصول الحيوانات الأهلية والوحشيّة كلّها، كما قيل في قوله تعالى: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» الحديد:٢٥) فإنّ آدم لمّا هبط إلى الأرض أنزل معه الحديد. وفي الخبر: «الشّاة من دواب الجنّة والإبل من دواب الجنّة»

٥ـ قيل: أي أعطاكم من الأنعام.

٦ـ قيل: أي جعل الخلق إنزالاً لأنّ الخلق إنّما يكون بأمر ينزل من السّمآء فالمعنى خلق لكم كذا بأمره النّازل. ٧ـ قيل: أي قضى وقسم لكم لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنّزول من السّمآء حيث كتب في اللّوح المحفوظ كلّ كائن يكون ومن هناك ينزل. ٨ـ قيل: إنّ هذه الأزواج الثّمانيّة نزلت من السّمآء كسآئر النّازل من السمآء كالملائكة لا من الجنّة.

أقول: والثّالث هو المرويّ عن أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله جلّ وعلا: «يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة والسّدي وعكرمة: أي نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظماً ثمّ يكسو العظام لحماً، ثمّ ينشئ خلقاً آخر بنفخ الرّوح فيه،ثمّ ينبت الشّعر أطواراً. ٢ـ عن إبن زيد: «خلقاً من بعد خلق» أي خلقاً في بطون امّهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم عليه السّلام وهذا هو الخلق من بعد الخلق فالمعنى: يخلقكم في بطون أُمّهاتكم من بعد خلقه إيّاكُمَ في ظهر آدم عليه السّلام في عالم الذّرّ، وذلك أنّ الله تعالى لمّا خلق

آدم عليه السّلام مسح ظهره فأخرج نسله من ظهره كالذرّ. ٣ـ عن إبن زيد أيضاً: أي يخلقكم في ظهر الأب خلقاً، ثم خلقاً في بطن الأمّ ثمّ خلقاً بعد الوضع.

٤ـ عن إبن عبّاس: أي علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً. ٥ـ عن إبن عبّاس ايضاً: أي حالاً من بعد حال، نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً. والمعنى: خلقاً من بعد خلق أي خلق مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوّة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة، من بعد علقة ومن بعد نطفة. ٦ـ قيل: أي خلقاً من الأولاد من بعد خلق الآبآء. ٧ـ قيل: أي خلقاً من أمّة من بعد خلق أمّة ماضية. ٨ـ قيل: أي خلقاً من قبيلة من بعد خلق قبيلة سابقة.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «في ظلمات ثلاث» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضّحاك وأبي مالك والسّدي وإبن زيد: أي ظلمة البطن، وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة. وذلك إنّ ظلمة المشيمة هي ظلمة الكيس الّذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم الّذي يستقرّ فيه هذا الكيس، وظلمة البطن الّذي يستقرّ فيه الرّحم. ٢ـ قيل: أي ظلمة صلب الاب، وظلمة ترائب الام، وظلمة البطن قال الله تعالى: «يخرج من بين الصّلب والترآئب» الطارق:٧) ٢ـ عن سعيد بن جبير: أي ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة اللّيل.

٣ـ قيل: أي ظلمة صلب الرّجل، وظلمة بطن المرأة وظلمة الرّحم، وذلك إنّ النّطفة تكون أوّلاً في ظلمة صلب الرّجل، ثمّ ظلمة رحم المرأة حيث تنمو النطفة، ثم ظلمة المشيمة الّتي تلف الجنين في الرّحم. ٤ـ قيل: أي ظلمة البطن وظلمة الرّحم وظلمة الغشآء الأمنيوسى. ٥ـ قيل: أي في ظلمات أغشية ثلاثة، جعلها الله تعالى وقاية للولد وحفظاً من التعفّن، وهذه الأغشية الثّلاثة سمّاها القرآن الكريم ظلمات: هي الغشآء المنبارى والخربون والغشآء اللّفانى وهي لا تظهر إلّا بالتّشريح الدّقيق وتظهر كأنّها غشآء واحد بالعين المجردة. ٦ـ قيل: أي ظلمة الخصية وظلمة المبيض وظلمة الرّحم.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت النّبوّة عليهم السّلام من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

٧ ـ (إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم ولا يرضىٰ لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصّدور)

في قوله تعالى: «ولا يرضى لعباده الكفر» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بالعباد عام فيشمل الخطاب لجميع المكلفين في كلّ ظرف. ٢ـ قيل: اريد بالعباد المؤمنون خاصّة، وإن كان الخطاب للمشركين أو للجميع. ٣ـ قيل: اريد بالعباد المشركون كما أنّ الخطاب لهم خاصّة.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين وهو المؤيّد بنفس السّياق، وخطابات الآية السّابقة، وبموقف التّناقض الّذي يقضه الإنسان من الله جلّ وعلا في حالتي الشّدة والرّخآء اشير إليه في الآية التّالية، وبكثير من الآيات القرآنيّة، فلا وجه لما تذبذب وتقوّله بعضهم كالزّمخشري والرّازي ومَن إليهما من البسطآء...

٨ ـ (وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نَسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار)

في «الإنسان» أقوال: ١ـ قيل: هو الكافر الّذي سبق ذكره: «من هو كاذب كفّار» ٢ـ قيل: اريد بالإنسان طائفة من المشركين «الّذين اتّخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» ٣ـ قيل: هذا الإنسان هو أبوجهل وأصحابه. ٤ـ قيل: أُريد بالإنسان جميع أفراد، لأنّ الآية الكريمة بصدد بيان طبيعة الإنسان بما أنّه إنسان، مؤمناً كان أم كافراً، موحّداً كان أم مشركاً، ومخلصاً كان أو منافقاً... وذلك أنّ الإنسان كفور بالطّبع، مع أنّه يعرف ربّه بالفطرة ولا يلبث عند الإضطرار دون أن يرجع إليه، فيسئله كشف ضرّه كما قال: «وكان الإنسان كفوراً» الاسرآء: ٦٧) وقال: «إنّ الإنسان لظلوم كفّار» إبراهيم: ٣٤).

٥- قيل: أُريد بالإنسـان هنا أقوام معنيّون كعتبة بن ربيعة وأضرابه. ٦- قيل: إنّ المراد بالإنسان هو أبـوبكر بن أبي قحـافة، وهو الّذي عبّر عنه بأبي الفصيل في الرّواية ٧- قيل: الإنسـان ههنا بـعض المؤمنين إذ فيهم من لايشكر الله ولا يـؤدّي مالنعم الله تعالى عليـه من واجب الشّكر لـلمنعم، وفيهم من لايذكر الله تعالى، وهو في حال من الـنّعمة والعافـيـة والرّخآء... ولكن إذا أصابه ضـرّ، رجـع إلى الله عزّوجلّ متضرّعاً لكشـف الضّـرّ عـنه، فإذا اسـتـجاب الله تعـالى له وكشف مـابـه من ضرّ نَسـي هذا الضّرّ ونَسـي ربّـه ونَسي إحسانـه، وهـذا الإيمان على صورته تـلـك - هو ضرب من النّفاق كما قـال الله عزّوجلّ: «ومـن النّاس من يعبد الله على حـرف فإن اصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة إنقلب على وجهه» الحج: ١١).

٨- قيل: هذا بيان لطبيعة أكثر النّاس، وأمّا المؤمنون حقّاً فليسوا كذلك.

أقـول: والسّادس هـو المروي عـن أهل بـيت الوحـي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وقـد سبـق في بحث النّـزول فراجـع، وإن كان أبـوالفصيـل مورد الآيـة ولكنّه شامل لكلّ من انسلك مسلكه في كلّ ظرف فتأمّل جيّداً ولاتغفل.

وفي قوله تـعالى: «نَسِي ما كـان يدعوا إلـيه من قبـل» أقوال: ١- قيـل: أي نَسِي الضّـرّ الّـذي كان هذا الإنسان المتلوّن يـدعوا الله تعالى إلى كشفه مـن قبل نيله بهذه النعمة. ٢- قيل: أي نسـي ربّه الّذي كان يتضرّع إليه لكشف الضّـرّ عنه. فـ«ما» بمعنى «من» كقوله تعالى: «وما خلق الّذكر والانثى».

٣- عن الزّجاج: أي نَسِي الدّعآء الّـذي كـان يتضرّع به إلى الله تعالى من قـبل ٤- قيل: أي نَسِي أن لامفزع ولاإلهَ لَـهُ سوى الله تعالى، فعـاد إلى اتّخـاذ الأنداد مع الله سبـحانـه كما كان من قـبل. ٥- قـيل: أي نَسِي التّوبـة إلى الله تعـالى ممّا كان يقول في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّه ساحر.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيـت الوحي عليهم صلوات الله وبـنآءً على عدم تخصيص المورد فالمعنى عام يشمل لكلّ من انسلك مسلك هذا الإنسان المتلوّن.

وفي قـوله تعالى: «وجـعـل لله أنداداً» أقوال: ١- قيـل: أي وجـعل هذا الإنسان

المتلوّن لله سبحانه أوثاناً وأصناماً، فأطاع الشّيطان في عبادة الأوثان. ٢- عن السّدى: أي أنداداً من الرّجلّ يعتمدون عليهم في جميع امورهم، فيطيعونهم في معاصي الله.

٣- قيل: أي وجعل لِله أشكالاً وأعدالاً وأمثالاً في توجيه عبادته إليها. والمعنى: واتخذ هذا الإنسان المتلوّن بعد مانال بالنّعمة من الله تعالى لِله أمثالاً يشاركونه في الرّبوبيّة والأُلوهيّة على مزعمته لينتهي به ذلك إلى إضلال النّاس عن سبيل الله لأنّ النّاس مطبوعون على التّقليد يتشبّه بعضهم ببعض، وفي الفعل دعوة كالقول. ٤- قيل: اريد بالأنداد مطلق الأسباب الّتي يعتمد عليها الإنسان ويطمئنّ إليها، ومن جملتها أرباب الأصنام عند الوثني، وذلك لأنّ الآية الكريمة تصف الإنسان المتلوّن، وهو أعمّ من المشرك وإن كان مورد الآية هو الكافر حقّاً وإن تظاهر بالإسلام.

أقول: ولكلٍ وجهٌ، والتّعميم هو الأوجه، فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «ليضلّ عن سبيله» أقوال: ١- عن إبن عبّاس: أي ليردّ النّاس ويضلّهم بعمله ذلك عن دين الله تعالى وطاعته لإقتداء النّاس به في ذلك. ٢- قيل: أي ليزيل من أراد أن يوحّدّ الله ويؤمّن به عن توحيده والإقرار به والدّخول في الإسلام. فالمعنى: أنّه جعل لله شركآء بعد مانال بنعمة من الله تعالى ليضلّ النّاس ويمنعهم من توحيده والإقرار به والدّخول في الإسلام. ٣- قيل: أي ليضلّ هو عن الدّين أي كانت نتيجة نسيانه ربّه بعد مانال بالنّعمة من الله تعالى، الضّلال عن سبيل الحقّ وا[illegible]ى. واللاّم للعاقبة بأنّه لم يفعل مافعله، وغرضه ذلك، ولكن كانت نتيجته ذلك، وإنّ النّتيجة قدتكون غرضاً في الفعل، وقدلاتكون غرضاً فيه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، والثّاني غير بعيد من غير تنافٍ بينهما.

٩ - (أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا لألباب)

في معنى «قانت» أقوال: ١- عن إبن عبّاس وإبن مسعود والسّدي: أي مطيع لله تعالى وحده. قالَ النّحاس: أصل هذا أن القنوت الطّاعة. فكلّ ماقيل فيه فهو طاعة

لله عزّوجلّ. والقانت هو الدآئم على طاعة الله تعالى. ٢ـ عن إبن شهاب: أي خاشع في صلاته. ٣ـ عن يحيى بن سلام: أي قآئم في صلاته بأنّه يصلّي قآئماً. ٤ـ قيل: القانت هو الداعي أي داعٍ لربّه. ٥ـ قيل: القنوت هو طول القيام وقراءة القرآن: وقيل: القنوت: القيام على الطّاعة كقراءة القرآن وطول القيام، وكلّ من قام بعمل يجب عليه. ٦ـ عن مجاهد: من القنوت طول الرّكوع وغضّ البصر. ٧ـ قيل: القنوت هو السّكوت.

٨ـ قيل: أريد بالقنوت، القنوت في الوتر وهو دعآء المصلّي قائماً. وفي الحديث: «أفضل الصّلاة طول القنوت» ٩ـ قيل: القانت هو الّذي كان على قراءة القرآن الكريم. ١٠ـ قيل: الّذي كان على قيام اللّيل. ١١ـ قيل: الّذي كان على صلاة اللّيل. ١٢ـ قيل: القنوت الدّعآء في الصّلاة والقيام بما يجب عليه من الطّاعة.

أقول: والحاديعشر هو المرويّ من غير تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

وفي الجملة الإستفهاميّة أقوال: عن إبن عبّاس والسّدي: إنّ التّقدير: أهذا الإنسان الكافر الّذي سبق ذكره أفضل أم من هو قانت. ٢ـ قيل: أهذا الإنسان المتلوّن الّذي ذكرناه سابقاً لايرجع إلى الله تعالى إلّا وقت الشّدّة، ويعبد الأوثان حين الرّخآء كمن هو دآئم على طاعة الله تعالى وحده ويذكره في الشّدة والرّخآء جميعاً. ٣ـ قيل: أي أمّن هو قانت كغيره وإن كان مؤمناً ولكنّه غير قانت. ٤ـ قيل: أي أمّن هو قانت كمن هو عاصٍ. ٥ـ قيل أي لا يستوى القانت وغير القانت كما لا يستوي العلمآء العاملون والجاهلون، سواء كان الجاهلون عالمين غير عاملين أو جهّالاً محضاً. فالجملة الثّانية: «هل يستوي الّذين...» تقرير لِلاولى: «أمّن هو قانت...» على سبيل التّشبيه أي كما لايستوي العالمون والجاهلون لايستوي القانتون وغيرهم.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخَر.

وفي قوله تعالى: «آنآء اللّيل» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدي

والحسن: أي ساعات اللّيل وهي أوّله وأوسطه وآخره. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي جوف اللّيل. وقال: من أحبّ أن يهوّن الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله تعالى في ظلمة اللّيل ساجداً وقآئماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه. ٣ـ قيل: هي ما بين المغرب والعشآء. ٤ـ قيل: أي يسجد تارة للصّلاة ويقوم اخرى، يريد صلاة اللّيل والقنوت في الوتر وهو دعآء المصلّي قآئماً. ٥ـ قيل: أي أوقات اللّيل والنّهار كلّها، وإنّ ذكر اللّيل من باب ذكر الأشقّ والأفضل، حيث إنّ من كان مطيعاً لله تعالى في آنآء الليل فهو مطيع له جلّ وعلا في النّهار بلامرآءٍ.

أقول: والخامس هو الأنسب بما ورد في بحث النّزول فراجع.

وفي قوله تعالى: «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون» أقوال: ١ـ عن الزّجّاج: أي كما لايستوى الّذين يعلمون والّذين لايعلمون كذلك لايستوى المطيع والعاصي، وإنّ المراد بالّذين يعلمون الّذين سبق ذكرهم وهم القانتون، فكأنّه تعالى جعل مَن لايعمل غير عالم. ٢ـ قيل: الّذين يعلمون هم الّذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، غير القانتين، وأمّا مَن لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم، فالمراد بالّذين يعلمون، العاملون من علمآء الدّين، فمن لايعمل بعلمه فهو غير عالم، وهو والجاهل على شرع سوآء. ٣ـ عن إبن عبّاس: أي هل يستوى في الثّواب والطّاعة الّذين يعلمون توحيد الله تعالى وأوامره ونواهيه، والّذين لايعلمون توحيد الله ولاأوامره ونواهيه كأبي جهل وأضرابه... والمراد بالعلم هنا علم الدّين.

٤ـ قيل: أي لايستوى الّذين يعلمون ماوعدالله من الثّواب والعقاب والّذين لايعلمون ذلك. ٥ـ قيل: إنّ المراد بالعلم هنا مطلق العلم، فيشمل لجميع العلوم الثلاثة:

أحدها ـ علوم لاتتوقّف على عمل كالعلم بالله تعالى وملائكته وكالعلوم الحكميّة...

ثانيها ـ علوم يستتبعها عمل كعلم الفقه.

ثالثها ـ علوم قوامها العمل كجميع الصّناعات والحرف، وهذه الأقسام الثلاثة

كـلّها فيها علم ولو قـلّ. فالنـجّار والبـنّاء والخيّاط والنعّال... كـلّ هؤلآء صناع، والعـمل في صنـاعتهم أكثر مـن العلـم، بل لا نسبة بين علـومهم وأعماهـم والمهندس وعالم الفلك عـلمهم أغلـب من أعمالهم... وعـلم الفقه مسـاوٍ للعمل، وإنّ الـفضل تابع للعـلم مع العمل وعلى مقدار معارف الإنسان وعمله بعلمه يكون فضله. ٦ـ قيل إنّ المراد بالّذين يـعلمون هم أهـل بيت الوحي المـعصومون عليهم صلوات الله والّذين لا يعلمون هم أعداؤهم.

أقول: والأخير هو المرويّ عن طريق الفريقين فانتظر.

وفي قوله تعالى: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي يتفكّر في عدم إسـتواء الّذيـن يعلمون والّـذين لا يعلمـون ذو وا العقول من الـنّاس. ٢ـ قيل: أي يـتدبّر في عدم هذا الإستـواء بين الـفريقين المتعاكسين أهـل الـعقول من المؤمنين وهم شيعة مـولى الموحدّين إمام المـتّقين أمير المؤمنين علي بن أبـيطالب عليه السّلام. ٣ـ قيل أي يعتبر حـجج الله تعالى فيتعظ بها أهل العقول والحجى لا أهل الجهل والنّقص العقول.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

١٠ ـ (قل يا عباد الّـذين آمنوا اتّقـوا ربّكم للّذيـن أحسنوا في هذه الدّنـيا حسنة وأرض الـلّه واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب)

في قـولـه تـعالى: «اتّقوا ربّـكـم لـلّذين أحسنوا...» أقـوال: ١ـ قـيـل المتّقون هم المحسنون لأنّ التّقوى والإحسان مـتلازمان كما أنّ التّقوى والصّبر كذلك لقوله تعالى: «إنّ الله مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون» النّمل: ١٢٨) وقوله جلّ وعلا: «إنّه من يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين» يوسف: ٩٠).

٢ـ قيل: إنّ المأمورين بالتّقوى غير المحسنين بأنّ بعض المتّقين يحسنون، ومنهم من لا يقدر على الإحسان تـمـام الإحسـان. ٣ـ عـن إبن عبّاس: أي اطـيعـوا ربّـكم في الصّغير من الأمور وكبيرها للذّيـن وحدوا من هؤلآء المتّقين في هذه الدّنيا، لهم حسنة يوم القيامة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجلّ: «للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة» أقوال: ١ـ قيل: أي الّذين أحسنوا إلى غيرهم حسنة في هذه الدّنيا، لهم أيّة حسنة لايصل العقل إلى كنهها في الآخرة وهي الجنّة ونعيمها. فالظّرف: «في هذه الدّنيا» متعلّق بـ«أحسنوا» ٢ـ قيل: أي الّذين أحسنوا، فلهم في هذه الدّنيا حسنة، يكون ذلك زيادة على ثواب الآخرة. فالظّرف: «في هذه الدّنيا» متعلّق بـ«حسنة» وبيان لمكان الحسنة.

٣ـ قيل: إنّ المراد بالإحسان هو صالح الأعمال من الطّاعات والعبادات... فالمعنى: للّذين أطاعوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حسنة في هذه الدّنيا مضافاً إلى حسنة الآخرة من الثّواب الكثير.

٤ـ قيل: اريد بالإحسان كلّ مايطلق عليه الإحسان من الإيمان والتّقوى والعبادة وصالح الأعمال... في هذه الدّنيا. ٥ـ قيل: أمّا الحسنة فهي الصّحّة والعافية. ٦ـ قيل: هي الأمن والكفاية. ٧ـ قيل: هي الرّزق الواسع. ٨ـ قيل: هي حسن الثّنآء وجميل الذّكر والمدح والشّكر. ٩ـ قيل: هي الظّفر والغنيمة. ١٠ـ قيل: هي نورالقلب وبهاء الوجه. ١١ـ قيل: هي حبّ النّاس بهم في الدّنيا، والجنّة والخلود فيها في الآخرة. ١٢ـ قيل: هي طيب النّفس وسلامة الرّوح وصون النّفوس عمّا يتقلّب فيه الكفّار من تشوّش البال وتقسّم القلب وغلّ الصّدر والخضوع لِلأسباب الظّاهرة، وفقد من يرجى في كلّ نائبة وينصر عند طروق الطّارقة ويطمأنّ إليه في كلّ نازلة، وفي الآخرة حياة طيّبة وجنّة عالية وسعادة دآئمة ونعيم مقيم.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، فيشمل الإحسان كلّما هو حسن في ذاته عقيدة كانت أو قولاً أو عملاً، وتشمل الحسنة، حسنة الدّارين،فكلّ محسن، حسنة فيهما على قدر إحسانه.

وفي قوله جلّ وعلا: «وأرض الله واسعة» أقوال: ١ـ عن أبي مسلم ومقاتل: هي أرض الجنّة. وذلك أنّ الله تعالى لمّا بيّن أنّ للمتّقي جنّة وصف أرضها بالسّعة،

وعلى قدرسعتها نعيمها، ترغيباً فيها كما قال عزّوجلّ: «وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء» الزّمر:٧٤) والجنّة قدتسمّى أرضاً. فالمعنى: أرض الجنّة هي واسعة لاتزاحم فيها فاطلبوها بالإحسان في الحياة وهو الإيمان والتّقوى والطّاعة والعبادة وصالح الأعمال... ٢ـ عن مجاهد: أي تهاجروا من أرض الشّرك والطّغيان إلى دارالإسلام والإيمان، واعتزلوا الأوثان. فمن تعسّر عليه الإستقامة والتّوفّر على الإحسان في بلد فليرحل إلى غيرها حيث تمكّن منه، فليهاجر من البلد الّتي فيها شرك ومعصية إلى بلد لاشرك ولا معصية فيها، فلاعذر لأحد في ترك الإيمان، وترك طاعة الله تعالى وفي ترك الإحسان، فإن لم‌يتمكّن منها في أرض فليتحوّل إلى اخرى يتمكّن منها فيها كقوله تعالى: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» النّسآء:٩٧).

فالمعنى عام يشمل جميع المكلّفين في كلّ ظرف، فلاعذر للمفرّطين في الإحسان حتّى إن اعتلّوا بأنّهم لايتمسّكون منه في أوطانهم، فأرض الله تعالى واسعة وبلاده كثيرة فتحوّلوا إلى بلاد أُخر، واقتدوا بالأنبيآء والمرسلين والأوصيآء وخيار المؤمنين في مهاجرتهم من بلادهم إلى بلاد أُخر ليزدادوا إحساناً إلى إحسانهم.

٣ـ عن إبن عبّاس: أرض الله هي أرض المدينة الّتي كانت آمنة من العدوّ قبل الهجرة، وهذا حثّ وترغيب للمؤمنين في الهجرة من مكّة إذ كان التّوقّف فيها صعباً عليهم بالنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد كان المشركون يزيد كلّ يوم في التّشديد عليهم وفتنتهم وفي هذا دعوة للمؤمنين الّذين كانوا يعيشون في مكّة المكرّمة قبل الهجرة، محاصرين من المشركين، لا يستطيعون أن يعطوا إيمانهم حقه، ولا أن يفجروا ينابيع الخير منه، فدعوا إلى أن يتحوّلوا عن هذا الموقع من الأرض... إلى أرض أُخرى، حيث تطيب فيها مغارسهم، وحيث يرفعون مصابيح الهدى الّتي بين أيديهم، فتملأ الدّنيا من حولهم هدى ونوراً، وقد كان فهاجر المؤمنون إلى المدينة المنوّرة، وفي هذا المكان الطيّب من الأرض سطع نور الإسلام، ودخل النّاس في دين الله أفواجاً... ٤ـ عن إبن عبّاس أيضاً: اريد جعفر بن أبيطالب والّذين معه

إلى الحبشة. فالمراد بأرض الله واسعة هي أرض الحبشة. والمعنى: فهاجروا فيها ولاتقيموا مع المشركين الّذين يعملون فيها بالمعاصي، فارحلوا من مكّة إلى حيث تأمنوا وهي أرض الحبشة.

٥ـ قيل: أي من ضاق عليه بلده وعجز عن القيام فيه بواجبه الدّيني أو الدّنيوي، فليهاجر إلى غيره.

٦ـ قيل: أريد بسعة الأرض، سعة الرّزق لأنّ الله تعالى يرزقهم من الأرض، فيكون معناه: ورزق الله واسع وهو أشبه لأنّه أخرج سعتها مخرج الإمتنان، فتكون الآية دليلاً على الإنتقال من الأرض الغالية إلى الأرض الرّاخية كما قيل: كن في موضع تملأ فيه جرابك خبزاً بدرهم.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله جلّ وعلا: «الصّابرون» أقوال: ١ـ قيل: أي الصّابرون على مفارقة الأوطان وتجرّع القصص واحتمال البلايا في طاعة الله وتكاليفه... ٢ـ قيل: أي على مشاق الطّاعات وما يبتلون به. ٣ـ قيل: أي ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدآئد الدّنيا. ٤ـ قيل: أي الّذين صبروا على الجهاد والكفاح لنصرة الحقّ وطلب الرّزق الحلال للأهل والعيال. ٥ـ قيل: الصّابرون هنا الصّآئمون لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مخبراً عن الله تعالى: «الصّوم لي وأنا أجزي به» وقد قيل: كلّ أجر يكال كيلاً ويوزن وزناً إلّا الصّوم فانه يُحثى حَثْواً ويُغرَف غَرْفاً». ٦ـ قيل: أي الصّبر على فجائع الدّنيا وأحزانها ولا ريب أنّ كلّ من سلّم فيما أصابه وترك ما نهي عنه فلامقدار لأجره. ٧ـ عن النّحاس: إنّ لفظ «صبر» يمدح به، وإنّما هو لمن صبر عن المعاصي وإذا أردت أنّه صبر على المعصية قلت: صابر على كذا. ٨ـ قيل: أي الصّبر عن المعصية وعند المصيبة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله سبحانه: «أجرهم بغير حساب» أقوال: ١ـ قيل: أي الصّابرون لايحاسبون. ٢ـ عن قتادة والسّدي: أي بغير حصر من دون مكيال ولا ميزان في

الجنّة، فلايقدر قدره. ٣ـ قيل: أي أجراً لايهتدي إليه حساب الحاسب لايمكن عدّه وحسابه. ٤ـ عن إبن جريج: أي أنّهم يعطون من العطايا والنّعم في الجنّة زيادة على مايستحقّونه على سبيل التّفضّل، فكان ذلك بغير حساب أي بغير استحقاق، ولا مجازاة بل تفضّلاً من الله تعالى. ٥ـ عن إبن عبّاس: أي بدون منّة. ٦ـ قيل: أي بغير تقدير. ٧ـ قيل: أي يزاد على الثّواب لأنّه لو اعطى بقدر ماعمل لكان بحساب. ٨ـ قيل: أي بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعم الدّنيا.

أقول: وفي معنى القول الثّاني روايات عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولاتغفل.

١٥ ـ (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألاذلك هو الخسران المبين)

في قوله تعالى: «إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة ومجاهد: هم الكفّار الّذين زالت عنهم الدّنيا وحرمت عليهم الجنّة، وأهليهم من أهل الجنّة كانوا أُعِدُّوا لهم لنالوابهم لو عملوا بطاعة الله، فغبنوهم بذهاب الدّنيا والآخرة معاً. ٢ـ عن مجاهد أيضاً: إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم يخسرونها، فيتحسّرون في النّار أحياء ويخسرون أهليهم فلايكون لهم يرجعون إليهم. ٣ـ عن مجاهد وقتادة أيضاً: الّذين خسروا أنفسهم بأن قذفوها في الجحيم، وخسروا أهليهم يوم القيامة أي ليس أحد إلّا قد أعدّ الله تعالى له أهلاً في الجنّة إن أطاعه. وعن الحسن: أي خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم، وخسروا أهليهم الّذين أُعِدّوا لهم في جنّة النّعيم.

٤ـ عن إبن عبّاس: وأهليهم أي خدمهم ومنازلهم في الجنّة، فلوكان المشركون آمنوا واتّقوا وأحسنوا لنالوا بها فيها. فالمعنى: الّذين غبنوا أنفسهم بذهاب الدّنيا والآخرة وغبنواخدمهم ومنازلهم في الجنّة يوم القيامة. ٥ـ قيل: أي خسروا أنفسهم لأنّها إلى جهنّم وبئس المصير، وخسروا أهليهم يوم القيامة لأنّهم إن كانوا من أهل

النّار فالخسارة مشتركة، وإن كانوا من أهل الجنّة ينقطع كلّ الصّلات والعلائق... ٦ـ عن مجاهد أيضاً وإبن زيد: أي لا ينتفعون بأنفسهم ولا يجدون في النّار أهلاً كما كان لهم في الدّنيا أهل، فقد فاتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم. ٧ـ عن إبن عبّاس أيضاً: إنّ الله تعالى جعل لكلّ إنسان في الجنّة منزلاً وزوجة وأهلاً فمن عمل بطاعته كان له ذلك، ومن عصاه صار إلى النّار ودفع منزله وزوجته وأهله إلى مَن أطاعه فذلك قوله: «اولئك هم الوارثون».

٨ـ قيل: أي إنّ الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه هم الّذين خسروا أنفسهم بالضّلال لوقوعها في هلكة الإخلاد بعذابها في النّار، وخسروا أنفسهم بالإضلال يوم القيامة حين يدخلون النّار. وقيل: إن كان أهلهم وأولادهم في النّار فلافائدة لهم منهم لأنّهم محجوبون عنهم أو لأنّ كلاً منهم مشغول بهمّه، وإن كانوا من أهل الجنّة فما أبعد ما بينهم. ٩ـ قيل: إنّ الخسرو الخسران ذهاب رأس المال إمّا كلاً أو بعضاً، والخسران هو أبلغ من الخسر، وخسران النّفس هو ايرادها مورد الهلكة والشّقآء بحيث يبطل منها استعداد الخير والكمال والصّلاح والفلاح، فيفوتها السّعادة بحيث لا يطمع فيها، وكذا خسارة الأهل.

١٠ـ قيل: أهلوهم الحور العين في الجنّة لو آمنوا. ١١ـ قيل: أي إنّ الهالكين الّذين غبنوا أنفسهم وهلك بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النّار فيها أهل، وقد كان لهم في الدّنيا أهلون. ١٢ـ قيل: خسروا أنفسهم لأنّهم إلى جهنّم وبئس المصير، وخسروا أهليهم لأنّ المشرك منهم هالك، والمؤمن منهم عدوّ لمن أشرك في الدّنيا والآخرة. ١٣ـ قيل: إنّ العبرة في الرّبح أو الخسارة هي في الحساب الختامي الّذي يسوّى فيه حساب الإنسان... أمّا هذا الحساب اليومي في هذه الدّنيا فإنّه لا يكشف عن المركز الصحيح لِلإنسان...

هكذا يعرف النّاس شئونهم في الحياة الدّنيا، أنّهم يقيمون موازين حياتهم لا على لحظة عابرة، ولا على يوم يعيشون فيه، وإنّما ينظرون إلى الغد وما بعده، وحياتهم الدّنيويّة هذه ـ لو عقلوا ـ لحظة من لحظات حياتهم الممتدّ ة إلى ورآء هذه الحياة،

وأنّها ليست إلّا يوماً أو بعض يوم، وإنّه لضلال مبين أن يقيم المرء حسابه كلّه على ميزان يوم أو بعض يوم، حتّى إذا طلع عليه صبح يوم جديد، ولم يكن قد عمل له حساباً وجد نفسه ولا شيء معه، وهنا يكون النّدم والخسران المبين، لأنّ الخسران المتعلّق بالدّنيا ـ وهو الخسران في مال أوجاه ـ سريع الزّوال، منقطع الآخر، يمكن أن يخلفه مثله أو خير منه بعد مدّة قليلة بخلاف خسران النّفس إذا خسرت في الدّار الآخرة لأنّه خسران دآئم خالد لا زوال له ولا انقطاع.

فالخاسرون حقّاً، هم اولئك الّذين أقاموا ميزانهم على هذه الحياة الدّنيا، ولم يجعلوا للآخرة حساباً، إنّهم يجيئون إلى الحياة الآخرة، وقد صَفِرَتْ أيديهم من كلّ خير يجدونه في هذا اليوم، بل سيجدون ديوناً كثيرة هم مطالبون بها، ولا يقدرون على أدآء شيء منها إلّا الحبس في جهنّم وفآء لهذه الدّيون. ١٤ـ قيل: الأهل هيهناهم الّذين يعيش هؤلآء المشركون والضّالون والظالمون فيهم وبينهم كما يقال: فلان أهل قرية كذا ومملكة كذا...

أقول: وعلى الثّامن أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل فانّ المقام مزلّة الأقدام...

١٦ ـ (لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتّقون)

في قوله تعالى: «لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل» أقوال: ١ـ قيل: سميّت النّار ظلّة بغلظتها وكثافتها، فصارت محيطة بهم من جهات السّتّ، وجميع الجوانب، حائلة من النّظر إلى شيء آخر، وذلك إذا كانوا هم في كرة النّار. ونظيره في الأحوال النّفسانيّة إحاطة نار الجهل والحرص، ونار سآئر الأخلاق الذّميمة بالإنسان. قيل: «ومن تحتهم ظلل» أي فرش ومهد. وقدسمّي ماتحتهم من النّار ظللاً لأنّها ظلل لمن تحتهم، فإنّ النّار أدراك وهم بين أطباقها. ٢ـ قيل: الظّلّة ماعلا الإنسان، فسمّي ماتحتهم بالظّلّة إطلاقاً لأحد الضّدّين على الآخر أو لأنّ التّحتانيّة مشابهة للفوقانيّة في الحرارة والإحراق. والظّلل: جمع الظّلّة وهي مايخيم فوق الرّأس

ويحيط فوق الشّيء.

٣ ـ وقيل: أي لهم أطباق وسرادقات ودخانها من فوقهم، وفراش ومهاد من تحتهم، وهي من جهة أُخرىٰ ظلل لمن هم تحتهم في النّار، فهي ظلل بالنّسبة لمن تحتهم فراش ومهاد بالنّسبة لهم. الظّلّة: ما أظلّك، والمراد منها طبقات من النّار يعتبر كلّ منها كأنّه ظلّة لمن تحته.

وقيل: قد اجرى إسم الظّلل على قطع النّار على سبيل التوسّع والمجاز لأنّها مقابلة مالأهل الجنّة من الظلل. والمراد أنّ النّار تحيط بجوانبهم. فالظلّة هي السّترة العالية أي أطباق من النّار، ومن تحتهم اطباق، وهي ظلل لِلآخرين لأنّ النار دركات فهم بين أطباقها، فما هو تحت هؤلآء ظلل لمن دونهم. ٤ ـ قيل: أي ينزل العذاب من فوقهم إلى أسفلهم، ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم. ٥ ـ عن مجاهد: «لهم من فوقهم ظلل» أي غواش «ومن تحتهم ظلل» أي مهاد. ٦ ـ عن سويد بن غفلة قال: إذا أراد الله أن يعذّب أهل النّار جعل لكلّ إنسان منهم تابوتاً من نار قدره ثمّ أقفل عليه بأقفال من نار فلا يعرف منه عرق إلّا وفيه مسمار ثمّ جعل ذلك التّابوت في تابوت آخر من نار ثمّ يقفل بأقفال من نار ثمّ يضرم بينهما نار فلا يرىٰ أحد منهم أنّ في النّار غيره، فذلك قوله تعالى: «لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل» ٧ ـ قيل: يجوز أن يكون المراد «من تحتهم» مثل تلك الظّلل لأنّ الظّلّة لاتسمّى كذلك إلّا إذا كانت عالية فوق من هي ظلّة له.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله جلّ وعلا: «يخوّف الله به عباده» أقوال: ١ ـ عن إبن عبّاس: العبادهم أولياء الله والمتّقون. والمعنى: يخوّف الله به أوليآئه، يا أوليآئي فخافوني. ٢ ـ قيل: هو عامّ في المؤمن والكافر. ٣ ـ قيل: خاصّ بالكفّار والمجرمين.

أقول: إنّ المراد بالعباد عامّ فيشمل الخطاب لجميع المكلّفين في كلّ ظرف، وإطلاق العباد على الجميع فكثير في القرآن الكريم، فلا وجه لما تقوّله بعض العامّة فتأمّل جيّداً.

۱۷ ـ (والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرىٰ فبشّر عباد)

في قوله تعالى: «اجتنبو الطّاغوت» أقوال: ۱ـ عن إبن عبّاس والضحّاك والسّدي: الطّاغوت أي الأوثان والأصنام. ۲ـ عن السّدي أيضاً ومجاهد وابن زيد: أي الشّيطان. والمراد به الجمع أي الشّياطين لأنّ الطّاغوت مصدر بمعنى الطّغيان أي البالغ غاية الطّغيان، وإنّ الطّاغوت مصدر يطلق على الواحد والجمع، ويطلق على رأس الضّلال. ۳ـ قيل: الطّاغوت كلّ مَن دعا النّاس إلى عبادة غير الله تعالى، وإنّما أنّث للجماعة. والمعنى: والّذين اجتنبوا عن كلّ مَن يدعوا النّاس إلى عبادة غير الله من الطّواغيت... ٤ـ قيل: الطّاغوت هو الكاهن وهو إسم أعجميّ مثل طالوت وجالوت وهارون وماروت. أي تباعدوا عن الكاهن وكانوا منه على جانب فلم يعبدوه. ٥ـ قيل: الطّاغوت هو كلّ ماعبد من دون الله من الشّيطان والأوثان والأصنام وماإليها من الآلهة المزعومة، وكلّ متعدّ ومتجاوز عن الحدّ.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «لهم البُشرىٰ» أقوال: ۱ـ قيل: أي النّجاة لمن رفض الشّرك والطّغيان وآمن واتقى وأحسن. ۲ـ عن إبن عبّاس: أي لهم البُشرىٰ في الحياة الدّنيا بالجنّة في العقبىٰ. وقيل: عند الموت، والكرامة عند باب الجنّة. والبشارة هي الإعلام بما يظهر به السّرور في بشرة وجوههم جزآء على الإيمان وصالح الأعمال... ۳ـ قيل: أي لهم البُشرىٰ في الدّنيا بالثّنآء عليهم بصالح الأعمال، وعند نزول القبر، وعند الخروج من القبر، وعند الوقوف للحساب، وعند جواز الصّراط، وعند دخول الجنّة وفي الجنّة ففي هذه المواطن السّبعة يبشّرون بالسّعادة والنّجاة والفلاح والرّضوان، وبالرّوح والرّيحان.

٤ـ قيل: البشرى هي البشارة المطلقة وهي الخبر الأوّل الصّدق الموجب للسّرور بزوال المكاره وحصول الأماني و وقتها زمن الموت لقوله تعالى: «الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم» النّمل: ۳۲) وعند دخول الجنّة لقوله جلّ وعلا: «والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار»

الرّعد: ٢٣-٢٤) وعند لقآء ثواب الله تعالى: «تحيّتهم يوم يلقونه سلام» الأحزاب: ٤٤) وسماع هذه البشارات في الدّنيا على ألسنة الرّسل لايخرجها عن كونها بشارة في هذه الأوقات لأنّها في الأوّل عامّة للمكلّفين مبهمة فيهم، ولا تتعيّن إلاّ في تلك الأحوال...

٥- قيل: هذه أنواع أُخر من السّعادات فوق ماعرفوها أو سمعوها. ٦- قيل: أي لهم البشرى بالثّواب العظيم من الله تعالى على ألسنة رسله حين الموت وحين يحشرون من قبورهم للحساب.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتدبّر جيّداً.

١٨ - (الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب)

في قوله تعالى: «القول- و- أحسنه» أقوال: ١- قيل: القول هو «لا إله إلاّ الله» وهو أحسن القول. ٢- قيل: أي يستمعون من النّفس الأمّارة بالسّوء، الدّعوة إلى الشّهوات، ومن الشّيطان قول الباطل والغرور، ومن الملك الإلهامات ومن الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم الدّعاء إلى دار السّلام، فيقبلون كلام الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والخواطر الحسنة دون غيرها. ٣- عن إبن عبّاس والكلبي: أي الرّجل إذا جلس مع قوم ويستمع منهم أحاديث، فيها محاسن ومساوئ، فيحدّث بأحسن ماسمع ويكفّ عمّا سواه فلا يتحدّث به.

٤- عن قتادة والسّدي: أي الّذين يستمعون القول من القائلين، فيتّبعون أرشده في إصابة الحقّ وأهداه إليه وأنصحه للإنسان، وأدلّه على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ماسوى ذلك من القول الّذي لايدلّ على رشاد ولا يهدي إلى سداد. وذلك انّ الإنسان إذا كان ممّن يحبّ الحسن وينجذب إلى الجمال كان كلّما زاد الحسن زاد إنجذاباً، فإذا وجد قبيحاً وحسناً مال إلى الحسن، وإذا وجد حسناً وأحسن قصد ماهو أحسن، وأمّا لو لم يمل إلى الأحسن وانجمد على الحسن كشف ذلك عن أنّه لاينجذب إليه من حيث حسنه، وإلاّ زاد الإنجذاب بزيادة الحسن.

فتوصيفهم بإتباع أحسن القول معناه أنّهم مطبوعون على طلب الحقّ وإرادة

الرّشد وإصابة الواقع، فكلّما دار الأمر بين الحقّ والباطل، بين الكمال والإنحطاط، بين الخير والشرّ وبين الرّشد والغيّ، اتبعوا الحقّ... وتركوا الباطل... وكلّما دار الأمر بين الحقّ والأحق وبين الرّشد وما هو أكثر رشداً أخذوا بالأحقّ الأرشد، فالحقّ والرّشد هو مطلوبهم، ولذلك يستمعون القول ولا يردّون قولاً بمجرّد ماقرع سمعهم اتباعاً لهوى أنفسهم من غير أن يتدبّروا فيه، ويفقهوه فهم طالبوا الحقّ والرّشد، يستمعون القول رجآء أن يجدوا فيه حقّاً، وخوفاً أن يفوتهم شيء منه.

٥ـ عن الزّجاج: أي يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن لأنّ كلّه حسن، والقرآن كلّه متّبع، ٦ـ قيل: اريد بالقول القرآن الكريم كلّه، والمراد بالأحسن المحكمات، مع جواز رجوع الضّمير: «أحسنه» إلى المصدر المذكور ضمناً أي يتبعون القرآن أحسن إتباع. ٧ـ قيل: اريد بالقول مطلق المواعظ... فيتّبعون أحسنه أي إذا ردّدوا بين أمرين منها لايمكن الجمع بينهما يختارون أحسنهما. ٨ـ قيل: أريد بالقول مطلق الكلام إذ مامن قول حقّ إلّا وله ضدّ باطل، فإذا سمعها اختار الحقّ منها. ٩ـ قيل: إنّ المراد بالقول هو القرآن ولكن في القرآن خبر وأمر بالحسن والأحسن، واتباع القول هو العمل بمقتضاه، ومقتضاه فيه حسن وأحسن، اذليس كلّه أحسن وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث، ففرق بين حسن الكلام بالنّسبة إلى غيره من الكلام، وبين حسنه بالنّسبة إلى مقتضاه المأمور والمخبر عنه. مع أنّ القرآن تضمّن خبراً وأمراً، فالخبر عن الأبرار والمقرّبين، وعن الفجّار والمجرمين، فلا ريب أنّ إتباع الأبرار حسن، واتباع المقرّبين أحسن، والأمر يتضمّن الأمر بالواجبات والمستحبّات، ولا ريب أنّ الإقتصار على فعل الواجبات حسن وفعل المستحبّات معها أحسن، ومن اتّبع الأحسن فاقتدى بالمقرّبين، وتقرّب إلى الله تعالى بالنّوافل بعد الفرآئض كان أحقّ بالبُشرىٰ.

وعلى هذا فقوله تعالى: «واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربّكم» الزّمر: ٥٥) هو أيضاً أمر بذلك، لكنّ الأمر يعمّ أمر الإيجاب والإستحباب، فهم مأمورون بما في ذلك من واجب أمر إيجاب، وبما فيه من مستحبّ أمر استحباب كماهم مأمورون

مثل ذلك في قوله تعالى: «إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربىٰ» النّحل: ٩٠) وقوله عزّوجلّ: «يأمرهم بالمعروف» الأعراف: ١٥٧) والمعروف يتناول القسمين، وقوله جلّ وعلا: «وافعلوا الخير» الحج: ٧٧) وهو يعمّ القسمين، وقوله سبحانه: «اركعوا واسجدوا» الحج: ٧٧) ونحوها من الآيات الكريمة.

١٠ ـ إنّ المراد من القول القرآن الكريم كلّه، والمراد من الأحسن هو نفس القول، من غير مقايسة بعض القرآن ببعض منه، فإنّ كلّه معيار لحسن غيره، ولا مقايسة بين القرآن وغيره إذ لا يقاس قول من كلام المخلوق بالقرآن الّذي هو كلام الخالق، فليس المقام من باب المقايسة بين القولين: قول الخالق وقول المخلوق، وإنّما القرآن المجيد هو مقياس وميزان ومعيار لحسن غيره من الأقوال ولو كانت من الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أقول: وقد سبق منّا كلام دقيق لطيف في البحث البياني فراجع وتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

١١ـ قيل: أي يستمعون قول الله تعالى وقول الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيتّبعون أحسنه أي محكمه فيعملون به. وقيل: يستمعون ما في القرآن والسنّة من الطّاعات والمباحات فيتبعون الطّاعة الّتي هي أحسن إذ يستحقّ الثّواب عليه أكثر وهو أن يأخذ بأفضل الأمرين كما أنّ القصاص حقّ والعفو أفضل، فيأخذون بالعفو، وكابدآء الصّدقات وإخفآئها فيتّبعون الإخفآء. ١٢ـ قيل: القول: العزآئم والرُّخص، فيستمعون عزماً وترخيصاً، فيأخذون بالعزم دون التّرخيص. ١٣ـ قيل: إنّ أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحّد الله تعالى قبل الإسلام: «لا إله إلّا الله» وهم سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري وزيدبن عمرو بن نفيل، فانّهم الّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها في جاهليتّهم واتّبعوا أحسن ما صار من القول إليهم.

١٤ـ قيل: أي يستمعون القول في الدّين وغيره، فيتّبعون أحسنه بحيث يكونون نقّادين، وهم يستضيئون بنور الله تعالى ويتدبّرون ما يقع لأسماعهم من كلمات... فيميّزون الخبيث من الطّيب، والضّلال من الهدى، والحقّ من

الباطل... ثمّ يؤدّيهم هذا إلى أن يستجيبوا لكلّ ما هو طيب وهدى وحقّ، وأن يتبعوا كلّ ماهو هدى ورشاد، فأنّهم إن فعلوا ذلك كانوا من عباد الله المهتدين الّذين إذا سمعوا اللّغو أعرضوا عنه، وأخذوا طريقهم المستقيم، السالك بهم إلى جنّات النّعيم، كما أنّهم يميّزون بين الحسن والأحسن وبين الفاضل والأفضل، فيقدّمون الواجب على المندوب في الدّين، والمندوب على المباح، ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها وأقواها.

١٥ ـ قيل: أي أولاه بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحقّ. ١٦ ـ عن السّدي: أي فيتبعون أحسن مايؤمرون به ويعملون به. ١٧ ـ عن ابن عبّاس: أي يستمعون الحديث فيتبعون أحكمه وأبينه، يعملون به ويريدونه. ١٨ـ عن قتادة والضّحّاك: أحسن القول طاعة الله وهي الّتي أمر الله رسله بها. ١٩ـ قيل: أحسن القول هومافيه صلاح دين الإنسان ودنياه. ٢٠ـ قيل: أحسن القول هو الذي يسمع الحديث فيحدّث به كماسمعه لايزيد فيه ولاينقص منه. ٢١ـ قيل: هم المسلّمون لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جآؤا به كما سمعوه.

٢٢ـ قيل: أي يصغون إلى تلاوة القرآن والأقوال الدّالّة على توحيده فيتّبعون أحسنه، وقد قال: «أحسنه» ولم يقل: «حسنه» لأنّه أراد ما يستحقّ به المدح والثّواب، وليس كلّ حسن يستحقّ به ذلك، لأنّ المباح حسن ولا يستحقّ به مدح ولا ثواب، والأحسن الأولى بالفعل في العقل والشّرع. ٢٣ـ قيل: أي يستمعون كلّ قول، بإعتبار كون القول جنساً، فيعمّ الأقوال، بأنّهم إذا سمعوا أقوالاً يتدبّرون فيها، فيتّبعون أحسنها.

أقول: والعاشر هو الصّواب، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «هداهم الله» أقوال: ١ـ قيل: أي إلى الجنّة وثوابها وحكم بأنّهم مهتدون إلى الحقّ. ٢ـ قيل: أي هداهم الله الخير والهدى. ٣ـ قيل: أي وفقهم الله

تعالى للرّشاد وإصابة الحقّ، فإنّ الله تعالى علم فيهم خيراً فأسمعهم وهداهم فإنّ من اختار لنفسه الهدىٰ شمله بعنايته تعالى، كما أنّ من أراد الضّلال تخلّى عنه بعد البيان والإنذار. ٤ـ قيل: أي هداهم الله لدينه. ٥ـ قيل: هذه الهداية أعني طلب الحقّ والتّهيّأ التّام لاتباع الحقّ أينما وجد هي الهداية الإجمالية، وإليها تنتهي كلّ هداية تفصيليّة إلى المعارف الإلهية. ٦ـ قيل: أي هداهم الله للصّدق والصّواب. ٧ـ قيل: أي لمحاسن الامور. ٨ـ قيل: أي لما يرضاه.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

١٩ ـ (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النّار)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: أي أفمن حقّ عليه كلمة العذاب بكفره ينجو منه. ٢ـ قيل: تقديره: أفأنت يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم تنقذ من هو في النّار مَن حقّ عليه كلمة العذاب؟ فأنت تنقذه؟ فاستغنى بقوله: «تنقذ من في النّار» عن هذا. ٣ـ قيل: أي أفأنت تنقذ من في النّار من حقّت عليه كلمة العذاب ومثله من غير الإستفهام قوله تعالى: «أيعدكم أنكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون» المؤمنون: ٣٥) ومثله قوله تعالى: «لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب» آل عمران: ١٨٨).

٤ـ قيل: أي أفأنت تهدي يا محمّد مَن قد سبق له في علم الله أنّه من أهل النّار إلى الإيمان، فتنقذه من النّار بالإيمان لستَ بقادر على ذلك. ٥ـ قيل: أي أأنت مالك شئون النّاس ومصرّف أمورهم حقّ كلمة العذاب فأنت تنقذه فليس لك أمرهم فالمعنى: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب فأنت تخلّصه وتنجيه وتخرجه أفأنت تنقذ من قدرت عليه النّار. ٦ـ عن الفرّآء: أي أفأنت تنقذ من حقّت عليه كلمة العذاب. ٧ـ قيل: أفمن حقّ عليه كلمة العذاب ينجو أو يتخلّص منه. وما بعده مستأنف. والمراد بالكلمة: القول أي قول العذاب. ٨ـ عن الزّجّاج والأخفش: معناه: أفمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب أفأنت تخلّصه من النّار. فاكتفى بذكر «من في النّار» عن الضّمير العآئد إلى المبتدآء. ٩ـ قيل: تقديره: أفأنت تنقذ من في النّار

منهم. وقد أتى بالإستفهام مرّتين للتّوكيد، تنبيهاً على المعنى.

۱۰ ـ عن إبن الأنباري: إنّ الوقف على «كلمة العذاب» والتقدير: أفهو كمن وجبت له الجنّة؟ ثمّ ابتدئ: أفأنت تنقذ. وأراد بكلمة العذاب قوله تعالى: «لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص:۸۵) وقد قال ذلك للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لحرصه على اسلام المشركين. والمعنى: إنّك لا تقدر على إدخال الإسلام في قلوبهم قسراً لهم، فلاعليك إذا لم يؤمنوا، فإنّما أتوا ذلك من قبل نفوسهم وهذا كقوله: «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم» الكهف:٦) فلاتقدر على هدايته فتنقذه من النّار. ۱۱ـ قيل: أي أفمن حقّ عليه كلمة العذاب كمن أنجاه الله منه أفأنت يا محمّد تنقذ من في النّار؟ كلاّ لاخلاص له منها إلاّ بالإيمان وصالح الأعمال...

۱۲ـ قيل: تقديره: أفمن حقّت عليه كلمة العذاب خير أم مَن وجبت عليه الجنّة

۱۳ـ قيل: أي أفمن وجب عليه الوعيد بالعقاب جزآءً على كفره كمن وجب له الوعد بالثّواب جزآءً على إيمانه. وقد حذف لدلالة الكلام عليه تنبيهاً على أنّهما لايستويان. ثمّ قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أفأنت تنقذ من في النّار. وتقديره: أفأنت تنقذه لايمكنك ذلك لأنّ العقاب وجب له بكفره وأخبر تعالى أنّه لايغفر له.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها في بعض.

۲۰ ـ (لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعدالله لايخلف الله الميعاد)

في قوله تعالى: «غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار» أقوال: ۱ـ قيل: أي علالي من فوقها علالي أُخر، مشيّدة مرفوعة في الهوآء تجري من تحت أشجارها ومساكنها أنهار الخمر والمآء والعسل واللّبن. ۲ـ عن إبن عبّاس: أي قصور عالية مشرفة من زبرجد ودرّ وياقوت، في الجنّة من فوقها قصور مبنيّة. وذلك أنّ للمتّقين في الجنّة منازل رفيعة، بعضها فوق بعض ـ وقيل: وفوقها منازل أرفع منها ـ وذلك أنّ النّظر من الغرف إلى الخضر والمياه أشهى وألذّ، تحت من تحت الغرف أنهار..

٣ـ قيل: إنّ غرف الجنّة بنيت بنآء المنازل الّتي على الأرض، وسوّيت تسويتها، وجعلت متساوية في أسباب النّزاهة من الأشجار والأنهار ولكنّها لامثل أبنية الدّنيا، فإنّ الفوقاني منها يكون أضعف من التّحتاني وأخفّ، والتّحتاني قد يجري من تحتها الأنهار، وأمّا الفوقاني فلايمكن فيها ذلك، بخلاف منازل الآخرة، فإنّ الفوقاني كالتّحتاني في القوّة والإستحكام وجري الأنهار تحتها، فتجري تحت الغرف الفوقانية الأنهار كالتحتانية. ٤ـ قيل: الغرف المبنيّة بعضها فوق بعض هي العلوم المكتسبة المبنيّة على الفطريات، وأنّها تكون في المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «لا يخلف الله الميعاد» قولان: **أحدهما**ـ قيل: أي لا يخلف الله ماوعد المتّقين به. **ثانيها**ـ قيل: أي لا يخلف الله ما وعد الفريقين به: للكفّار ظلل من النّار من فوقهم ومن تحتهم ظلل لأنّها تنقلب عليهم: «النّار وعدها الله الّذين كفروا وبئس المصير» الحج: ٧٢) وللمتّقين غرف، فوقها غرف.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، والثّاني أنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

٢١ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عباس: إنّ هذا مثل ضربه الله للدّنيا أي كما أنّ النّبت الأخضر يتغيّر فيصفرّ كذلك الدّنيا بعد بهجتها تفنى ولا تبقى. فما أشبه حال الدّنيا بحالها، فهي سريعة التّقضّي وشيكة الزّوال، فليعتبر بذلك أولو الحِجىٰ والعقول السّليمة أنّ الدّنيا كسوق قام ثمّ أنفض، ولا يغترّوا ببهجتها ولا يفتنوا بزخرفها كقوله تعالى: «واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا كمآءٍ أنزلناه من السّمآء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح وكان الله على كلّ شيء مقتدراً» الكهف: ٤٥) ففيها تمثيل لمظاهر الحياة تحذيراً من الإغترار بها، فكلّ ما يبدو فيها

بهيجاً عاقبته إلى الجفاف والدّمار.

٢ـ قيل: أي إنّ الله تعالى لايخلف الميعاد في إحيآء الخلق والتّميز بين الموحّد والمشرك، بين المؤمن والكافر، وبين المصلح والمفسد... وهو قادر على ذلك كما أنّه قادر على إنزال المآء من السّمآء، فمن كان قادراً على هذا فهو قادر على الإعادة للحساب والجزآء. فالآية الكريمة متّصلة بسابقاتها، وقدجآئت بمثابة إستطراد وتعقيب عليها، تنبيهاً على انّه لابدّ أن يكون للكون صانع مدبّر، وتدليلاً على قدرة الله جلّ وعلا على بعث النّاس وإعادتهم ثانية وعلى أنّ من كان قادراً على إنزال المآء من السّمآء وإجرائه في ينابيع الأرض فهو قادر على إجراء الأنهار من تحت الغرف.

٣ـ قيل: إنّ هذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن الكريم، ولصدور من في الأرض أي أنزل من السّمآء قرآناً، فأدخله في قلوب المؤمنين، ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه أي ديناً مختلفاً بعضه أفضل من بعض، فأمّا المؤمن فيزداد إيماناً ويقيناً، وأمّا الّذي في قلبه مرض، فإنّه يهيج كما يهيج الزّرع. ٤ـ قيل: إنّ هذا مثل لحياة الإنسان من ولادته إلى وفاته، حيث إنّ الإنسان وإن طال عمره فلابدّله من الإنتهآء إلى حالة إصفرار اللّون وتحطّم الأجزآء والأعضآء بل إلى الموت والفنآء.

وذلك أنّ هذا المآء ينزل من السّمآء بقدرة القادر، ثمّ يأخذ مسالكه في ظاهر الأرض وباطنها، فيكون على ظهر الأرض جداول وأنهاراً، ويكون في باطنها شرايين، تتجمّع ثمّ تتفجّر منها العيون، ومن مآء الأنهار والعيون، يخرج الزّرع مختلف الألوان والثّمار.. هذا الزّرع يأخذ دورة في الحياة كدورة الكائن الحيّ، ينتقل من طور الطفولية إلى الشّباب، فالكهولة، فالشّيخوخة فالموت... وهيجان النّبات: فَوَرانه، وبلوغ أشدّه... أشبه بفَوَران الشّباب وهيجانه...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تنافٍ بينها، فالتّعميم غير بعيد.

وقوله تعالى: «ينابيع» جمع ينبوع وهو خروج المآء من العيون. وقيل: المكان الّذي ينبع منه المآء.

وفي قوله عزّوجلّ: «زرعاًمختلفاً ألوانه» أقوال: ١ـ قيل: أي صنوفه من الحنطة

والشّعير والارزو الذّرة ونحوها ... يقال: هذا لون من الطّعام أي صنف. ٢ـ قيل: أي مختلف الألوان من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر وأزرق ... ٣ـ قيل: أي خواصّه وهيئاته وطعْمه.

أقول: والثّاني هو الأنسب بمعناه اللّغوي، ولكن التّعميم غير بعيد فتأمّل جيّداً.

٢٢ ـ (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي إنّ الله تعالى إذا علم من عبده الإخلاص وصدق النيّة في طلب الحقّ والصّواب والهداية، هداه إلى الخير والصّلاح والكمال وأخذ بيده إلى بغيته، فهو كالرّاكب على نور من ربّه أي على بيّنة من دينه وإيمانه، أفهو كالقاسي قلبه وهو المعاند المتمرّد على الحقّ، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله فقلوبهم كالصّخور القاسية والأنعام السّائمة، فليس المشروح صدره كالقاسية قلوبهم الّذين أعرضوا عن معرفة الله تعالى وعن أدلة وحدانيّته.

٢ـ عن إبن عبّاس: أي أفمن وسع صدره للإسلام حتّى تمكّن وثبت فيه بيسر بأن كان الشّرح قبل الإسلام، فشرح الله تعالى صدره للإسلام، فأشرقت نفسه بنور الحقّ واستبان له الطّريق إلى الله جلّ وعلا. وقيل يكون شرح الصّدر بثلاثة أُمور:

الأوّل: بقوّة الأدلّة الّتي نصبها الله عزّوجلّ وهذا يختصّ به العلمآء.

والثّاني: بالألطاف الّتي تتجدّد له حالاً بعد حال كما قال تعالى: «والّذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٧).

والثّالث: بتوكيد الأدلّة وحلّ الشّبهة وإلقآء الخواطر...

٣ـ عن السّدي: أي أفمن وسع صدره للإسلام للفرح به والطّمأنينة إليه فكان هذا الشّرح بعد الإسلام.

٤ـ قيل: أي مَن فسح صدره ووسّع قلبه لقبول الإسلام والثّبات عليه بقوّة أدلّته فهو على هداية ودليل من توفيق ربّه كمن ضاق قلبه بسوء إختياره بالكفر والضّلالة والجرم والغواية، والإثم والجناية.

٥ـ قيل: أي أفمن عرف الله أنّه من أهل اللّطف، فلطف به، حتّى آمن ووحّده وصدّق نبيّه وانشرح صدره للإسلام وقبله كمن لالطف به فهو حرج الصّدر، قاسي القلب وإنّ الآية الكريمة كقوله تعالى: «أمّن هو قانت» في حذف الخبر. و«من ذكر الله» أي من أجل ذكر الله. فالمعنى: إذا ذكر الله وآياته عندهم اشمأزّت وازداد قلوبهم قسوة.

أقول: والثّاني هو الأنسب بماورد في البحث النّزولي فراجع.

وفي قوله تعالى: «فهو على نور من ربّه» أقوال: ١ـ عن الجبائي والسّدي: أي على دلالة وهدى من ربّه، فشبّه الأدلّة بالنّور لأنّ بها يعرف الحقّ والصّواب كما أنّ بالنّور تعرف أمور الدّنيا. ٢ـ عن قتادة: النّور هو كتاب الله، فبه نأخذ وإليه ننتهى.

٣ـ قيل: أي على دين صحيح. ٤ـ قيل: نور الله هو لطفه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

٢٣ ـ (الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشآء ومن يضلل الله فماله من هادٍ)

في قوله تعالى: «أحسن الحديث» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي أحسن الكلام وهو القرآن. وذلك إنّ الله عزّوجلّ سمّى القرآن حديثاً لأنّه كلامه، والكلام يسمّى حديثاً كما سمّي كلام رسول الله وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين حديثاً.

٢ـ قيل: سمّي القرآن حديثاً لأنّه حديث التّنزيل بعد ماتقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبيآء عليهم السّلام. ٣ـ قيل: سمّي القرآن حديثاً لفرط فصاحته ولإعجازه وإشتماله على جميع مايحتاج إليه البشر في كلّ ظرف ومكان من التّنبيه على أدلّة الأصول الإعتقاديّة الخمسة من التّوحيد والعدل والنّبوّة والإمامة والمعاد، وعلى الفروع العمليّة وبيان الأحكام والفرائض والحدود...

وعلى المواعظ والقصص والتّرغيب والتّرهيب، والوعد والوعيد والبشارة والإنذار...

٤ـ قيل: أي حديث في عقيدته وشريعته، في مواعظه وحكمه، في أسراره ومعارفه، وفي جميع تعاليمه ومبادئه... ٥ـ قيل: الحديث ما يحدّث به المحدّث، وقد سمّي القرآن حديثاً لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يحدّث به أصحابه وقومه ٦ـ قيل: الحديث هو القول كما في قوله تعالى: «فليأتوا بحديث مثله» الطور: ٣٤) فالقرآن هو أحسن القول لإشتماله على محض الحقّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو كلامه المجيد. ٧ـ قيل: إنّ الحديث من الحدوث، فيدلّ على أنّ كلامه مُحدَث. ٨ـ قيل: إنّ الحديث يرجع إلى التّلاوة لا إلى المتلو، وهو كالذّكر مع المذكور إذا ذكرنا أسماء الرّب تعالى.

٩ـ قيل: الحديث هو الجديد من الكلام، فالقرآن الكريم كلام جديد جآء به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ما جآء قبله مثله، وهو كلام جديد من جهة اللّفظ حيث إنّه من أفصح الكلام وأجزله وأبلغه، فليس من جنس شعر ولا من جنس خطب، وإنّما هو نوع يخالف الكلّ في أسلوبه ونظمه، ومن جهة المعنى بأنّه كتاب منزّهٌ عن التّناقض والإختلاف، ومشتمل على أخبار الماضين وقصص الأوّلين، وعلى أخبار الغيوب الكثيرة والعلوم الغريبة لم تكشف بعد، وعلى الوعد والوعيد والجنّة والنّار... فهو كتاب متناسق لا اختلاف في طبيعته ولا في إتجاهاته، ولا في روحه ولا في خصائصه...

١٠ـ قيل: إنّ القرآن هو أحسن كلام الله الّذي هو مقياس وميزان لحسن كلّ كلام إذ جآء في حسن التّساوق والإنسجام، وتنوّع أساليب الإنذار والتّبشير والقصص، والعقيدة والشّريعة والمواعظ والمعارف والأسرار والحكم والرّوحانيّة وصفات الله العليا وأسمآئه الحسنى ومشاهد قدرته وعظمته، وجميع مبادئه وتمام تعاليمه ما لا يقاس به حديث آخر، كيف يقاس كلام المخلوق بكلام خالقه؟ وذلك إنّ أفعل التّفضيل إذا أضيف كان للمقياس والميزان لا للمقايسة والموازنة والمفاضلة بين الشّيئين. ١١ـ قيل: إنّ هذا القرآن هو حديث الله تعالى إلى عباده وكلماته إليهم، فأيّ حديث أحسن من حديث الله؟ وأيّ كلام أكرم وأطيب من كلامه

وهذا من باب المقايسة والمفاضلة لا المقياس والميزان.

أقول: والعاشر هو أدقّ المعنى وألطفه فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «متشابهاً» أقوال: ١ـ عن سعيد بن جبير وقتادة والسّدي وابن عبّاس: أي الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف، فيشبه بعض أجزآء القرآن بعضاً في الآي والحروف، ويصدّق بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض ويردّ بعضه إلى بعض. ٢ـ قيل: أي يشبه بعضه بعضاً في الإعجاز اللّفظي والمعنوي، في حسن النّظم الأنيق وجزالة اللّفظ وجودة المعاني، في الأسلوب العجيب والإشتمال على الغيوب، وعلى الأصول كلّها، ويشبه بعضه بعضاً في الصّدق والبيان، والوعظ والحكمة، وفي صحّة المعنى والدّلالة على المنافع العامّة والخواص...

٣ـ قيل: هو من قوله تعالى: «واخر متشابهات» فيكون «متشابهاً» صفة لبعض القرآن ٤ـ قيل: يشبه اللّفظ اللّفظ، والمعنى مختلف. ٥ـ قيل: أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والبيان والحكمة، ويصدّق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا إختلاف. ٦ـ قيل: أي يشبه الكتب السّماويّة المتقدّمة النّازلة على أنبيآء الله عليهم السّلام لما يتضمّنه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، وإن كان القرآن الكريم أعجز وأنفع وأجمع وأعمّ من تلك الكتب. ٧ـ قيل: هو مطلق في تشابه بعضه بعضاً، فيتناول تشابه معانيه في الصّحة والإحكام ومنفعة الأنام، وتشابه ألفاظه في التّناسب والتّناصف في التّخيّر والإصابة، وتجاوب النظم والتّأليف في الإعجاز. ٨ـ قيل: أي متشابه مبنى ومحتوى لا تهافت ولا تنافر بين معانيه ومبانيه لأنّها من لدن حكيم خبير. ٩ـ عن إبن عبّاس: أي تشبه آيات الوعد والرّحمة والنّصرة والمغفرة والعفو بعضها بعضاً وتشبه آيات الوعيد والعذاب والزّجر والتّخويف بعضها بعضاً. ١٠ـ قيل: أي هو كتاب متشابه في جلالة قدره وعلوّ منزلته وسموّ معانيه... إنّه الحقّ في آياته وكلماته، فهو على درجة واحدة في كماله وجلاله، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النّسآء: ٨٢) وقال إبن عبّاس أيضاً: متشابه حلاله وحرامه لا يختلف شيء منه. ١١ـ قيل: أي هذا الكتاب متشابه لأنّ القصص

المتكررة فيه لاتكون إلّا متشابهة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «مثاني» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة وعكرمة والحسن: أي تثنّي في القرآن الأنبآؤ الأخبار والقضآء والأحكام والفرآئض والحجج والحدود والمواعظ والأوامر والنّواهي والوعد والوعيد... وذلك أنّ الله تعالى ثنى في القرآن الكريم القضآء... فتكون في سورة فيها آية وفي سورة أُخرىٰ آية تشبهها بتصريفها في ضروب البيان... وفآئدة التّكرير والتّثنيه أنّ النّفوس تنفر على النّصيحة والمواعظ... فالم يكرّر عليها عوداً بعد بدءلم يرسخ فيها. وقال إبن عبّاس والسّدي: «مثاني» أي في القرآن الأمر مراراً. وثنى في مكان وذلك أنّ «مثاني» جمع مثنى وهو بمعنى مكرّر، فقد تكرّر فيه الأوامر. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: انّ القرآن كلّه مثاني أي مثنى مثنى: آية الرّحمة والعذاب، آية الثّواب والعقاب، آية الوعد والوعيد، آية الأمر والنّهي، آية البشارة والإنذار، وآية النّاسخ والمنسوخ... فتثنى أحكامه ومواعظه، فيجمع بين الأمر والنّهي، بين الحقّ والباطل، بين الإيمان الكفر، بين الوعد والوعيد، بين السّعادة والشّقاء، وبين الجنّة والنّار... وأنّ القرآن الكريم في الحالين هو على مستواه العالي من الكمال والجمال... فالحديث عن الكفر والضّلالة مثلاً، معجز إعجاز الحديث عن الإيمان والهُدىٰ لأنّ هذا وذاك من كلام الله جلّ وعلا.

٣ـ عن إبن زيد: أي مردّد، إذ ردّد نوح وآدم وموسى وصالح وإبراهيم وهود وعيسى وغيرهم من الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام في كثير من مواضع القرآن الكريم، فتثنى فيه بعض القصص... ٤ـ قيل: أي إذا يثنى فيه التّلاوة فلايورث ملالاً لحسن مسموعه كقوله: «ولا يخلق على كثرة الرّدّ» فكلّما تكرر أزداد بهآئه وحلاوته، وهذا واضح لمن تذوقه وعرفه وتدبّر آياته... ٥ـ قيل: المثاني لآي القرآن كالقوا في للشّعر. ٦ـ قيل: المثاني هو نزول القرآن دفّتين: مرّة دفعة واحدة في كلّ عام في ليلة القدر، ومرّة اخرى تدريجاً على القضايا والحوادث والوقآئع في ثلاث وعشرين سنة كما أنّ

قوله تعالى: «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» الحجر:۸۷) يشير إلى نزول سورة الفاتحة مرّتين: مرّة بعد نزول خمس آيات من أوائل سورة العلق بمكّة المكرمة في بدء البعثة النّبوية، ومرّة اخرى عند تحوّل القبلة بالمدينة المنوّرة.

۷ـ قيل: إنّ القرآن مثاني في المراد والغرض كما في الآيات المتكررة... ۸ـ قيل: إنّ المثاني يشير إلى أنّ المتشابهات ذووجهين: أي لها تفسير، وتأويل، ولها ظاهر وباطن فلاينبغي أن يكتفى بظاهرها ويترك باطنها. ۹ـ قيل: أريد بالمثاني أنّ كلّ شيء ماسوى الله فهو زوج، وأن كلّ شيء مبتلى بضدّه ونقيضه. وأنّ الفرد الأحد الواحد الصّمد هو الله وحده. ۱۰ـ قيل: أي يوضح طريق الحقّ والهدىٰ، ويبيّن سبيل الباطل والضّلالة. ۱۱ـ قيل: أي تكرّر مقاطعه وقصصه وتوجيهاته ومشاهده... ولكنّها لاتختلف ولاتتعارض، إنّما تعاد في مواضع متعدّدة وفق حكمة تتحقّق في الإعادة والتّكرارفي تناسق واستقرار على أصول ثابتة متشابهة لاتعارض فيها ولا اصطدام.

۱۲ـ عن مجاهد: أي من ثنآء الله إلى عبده يعني ما احتواه القرآن من صفات الله وأسمآئه ومشاهد قدرته وعظمته وعلمه وتدبيره وحكمته وتقرير إستحقاقه للثّنآء والحمد. ۱۳ـ عن سعيدبن جبير: أي يفسّر بعضه بعضاً ويدلّ بعضه على بعض.

قيل: وذلك أنّ المثاني جمع المثنية بمعنى المعطوفة لإنعطاف بعض آياته على بعض ورجوعه إليه بتبيّن بعضها ببعض وتفسير بعضها لبعض من دون اختلاف فيها، بحيث يدفع بعضه بعضاً، ويناقضه كما قال الله عزّوجلّ: «أفلايتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النّسآء: ۸۲).

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم» أقوال: ۱ـ عن قتادة وإبن جريح والزّجاج: أراد أنّهم عند سماع آيات العذاب يخافون فترتعد جلودهم عند ذكر وعيده وتضطرب وتتحرّك بالخوف وتبكي

أعينهم، وعند سماع آيات الرّحمة والإحسان والمغفرة أو تذكرهم لرأفة الله تعالى وأنّ رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم وقلوبهم، فسكنت واطمأنّت فيخاف المؤمنون حين يسمعون وعيد الله تعالى وتهديده بالجحيم فيه كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام في وصف المتّقين: «وهم والنّار كمن قدرآها فهم فيها معذّبون» ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فيطمئنّ قلوبهم إذا ذكر الله عليهم وعده وبشارته عليهم بالنّعيم كما قال الإمام عليه السّلام: «وهم والجنّة كمن قدرآها فهم فيها منعمون».

وقيل: تلين إلى العمل بكتاب الله والتّصديق به. ٢ـ قيل: أي إنّهم إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا، وإن راح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا. ٣ـ قيل: إذ اعتبرت عقولهم موجوداً لا أوّل له ولا آخر، ولا حين ولا جهة وقعوا في بادية التّحيّر والهيبة، فتقشعرّ جلودهم، وإذا عتبرت عقولهم الدّلائل القاطعة على وجود موجود واجب لذاته واحد في صفاته وأفعاله، تطمئنّ إليه قلوبهم وتلين.

٤ـ إنّ القرآن لمّا كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته إقشعرّت جلودهم منه إعظاماً له وتعجباً من حسن ترصيعه وتهيباً لما فيه وهو كقوله تعالى: «لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله» الحشر: ٢١) فالتّصدّع قريب من الإقشعرار والخشوع قريب من قوله تعالى: «ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرالله» ومعنى لين القلب: رقّته وطمأنينته وسكونه. ٥ـ قيل: أي تقبّض الجلد تقبّضاً شديداً لخشية عارضة عن إستماع أمرهآئل أو رؤيته وليس ذلك إلّا لأنّهم على تبصّر من موقف نفوسهم قبال عظمة ربّهم، فإذا سمعوا كلامه توجّهوا إلى ساحة العظمة والكبريآء، فغشيت قلوبهم الخشية، وأخذت جلودهم في الإقشعرار، ثمّ تسكن وتطمئنّ جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ليّنة تقبله أو تلين له ساكنة إليه، ولم يذكر القلوب عند ذكر الإقشعرار لأنّ المراد بالقلوب النّفوس، ولا اقشعرار لها، وإنّما لها الخشية.

٦ـ قيل: أي يتقونه ويعيشون في حذر وخشية، وفي تطلّع ورجآء يتلقّون هذا القرآن الكريم في وجل وارتعاش، وفي تأثر شديد تقشعرّ منه الجلود، ثمّ تهدأ نفوسهم

وتأنس قلوبهم بهذا الذكر، فتلين جلودهم وقلوبهم وتطمئنّ إلى ذكر الله.

٧ـ قيل: أي إنّ المؤمنين في أوّل لقآئهم مع آيات الله وفي مفتتح كلّ استماع إليها تقع في قلوبهم رهبة ويغشاهم حال من الخوف، فتقشعرّ لذلك جلودهم، ثمّ إذاهم أطالوا النّظر في آيات الله وامتدّ جلوسهم في حضرتها، أخذ الخوف والرّهبة يزايلانهم شيئاً شيئاً، حيث تعلوهم السّكينة وتظللهم الطّمأنينة، ويغشاهم الأنس، فتسكن قلوبهم الواجفة، وتهدأ أوصالهم الرّاجفة، وإذا جلودهم الّتي علتها أمواج القشعريرة، وشدّتها رعدة الخوف قد استرخت ولانت فتميل قلوبهم وتهفوا إلى مواصلة الحياة مع كتاب الله تعالى.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «إلى ذكر الله» أقوال: ١ـ قيل: ذكر الله هنا هو الإسلام. ٢ـ قيل: أريد به القرآن الكريم. ٣ـ قيل: أي إلى ذكر الله وعده لهم بالجنّة والثّواب. فحذف مفعول الذّكر للعلم به. ٤ـ قيل: الذّكر هنا بمعنى خلاف النّسيان، فذكر الله هو ذكر الله تعالى.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق ولكن التّعميم هو الأوجه.

وفي قوله جلّ وعلا: «ذلک هدى الله يهدي به من يشآء» أقوال: ١ ـ قيل: أي هذا الّذي يصيب هؤلآء القوم الّذي وصفت صفتهم عند سماع القرآن من إقشعرار جلودهم ثمّ لينها، ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك هدى يعني توفيق الله إيّاهم وفقهم له يهدي بالقرآن من يشآء من عباده إلى دينه، إذ لم يشغل بالموانع عنه من الإصرار على الفسق والكفر والظّلم، ومن العناد واللّجاج، فالّذي وهبه الله لهؤلآء من خشية عقابه ورجآء ثوابه هذا هو هدى الله تعالى. وهذا تعريف آخر للهداية بلازمها. ٢ـ عن الجبائي: أي هذا القرآن هو بيان الله يهدي به من يشآء، يوفق لِلإيمان به من يشآء من عباده حتّى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرّجآء وهذا خصّ به امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كقوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين» البقرة: ٢) بما نصب فيه من الأدلّة، وهم الّذين آتاهم القرآن من

امّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم.

٣ـ قيل: أي يهدي به من يشآء من الّذين اهتدوا به، إنّما خصّهم بذلك لأنّهم المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بأنّه هداه الله إذ ليس معه هداية. ٤ـ قيل: أي ذلك الكآئن من الخشية والرّجآء أثر هدى الله وهو لطفه، فسمّاه هدى لأنّه حاصل بالهدى يهدي بهذا الأثر مَن يشآء من عباده يعني من صحب اولئك ورآءهم خائفين وراجين اقتدى بسيرهم.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه القول الثّالث.

وفي قوله سبحانه: «ومن يظلل الله فماله من هاد» أقوال: ١ـ قيل: أي من يخذله عن الإيمان بهذا القرآن والتّصديق بما فيه، فيضلّه عنه فماله من هاد يخرجه من الضّلالة إلى الحقّ وماله من موفق، ولا مسدّد يسدّده في اتباعه. ٢ـ عن الجبائي: أي من يضلل الله عن طريق الجنّة فلايقدر أحد على هدايته. ٣ـ عن أبي مسلم: أي من ضلّ عن الله تعالى ورحمته، فلاهادي له. يقال: أضللت بعيري إذا ضلّ.

٤ـ قيل: أي من يضلله عن زيادة الهدىٰ والألطاف لأنّ الكافر لا لطف له.

٥ـ قيل: أي من لم يؤثر فيه لطف الله لقسوة قلبه، فماله من مؤثر فيه. ٦ـ قيل: إنّ الله يدع الإنسان ومايختار حيث لادين ولا ايمان مع الجبر والإكراه، فإن اختار لنفسه الهدى شمله بعنايته، ومن أراد الضّلال تخلّى عنه بعد البيان والإنذار.

٧ـ قيل: أي من يضلل الله عن دينه، فماله من مرشد لدينه. ٨ـ قيل: أي هذا من حكم الله بأنّه ضالّ لايقدر أحد أن يحكم بأنّه هاد.

أقول: والسّادس هو المؤيّد بالآيات القرآنيّة والرّوايات الصّحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢٤ ـ (أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظّالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)

في قوله تعالى: «أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة» أقوال: ١ـ عن مجاهدومقاتل: أي أفمن يلق بوجهه أشدّ العذاب بأن يلق في نار جهنّم مغلولة يداه إلى عنقه من حديد، وعن مقاتل: وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت،

فتشتعل النّار في الحجر وهو معلّق في عنقه، فحرّها و وهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال... كمن آمن منه بدخول الجنّة كقوله تعالى: «أفمن يلقى في النّار خير أمّن يأتي آمناً يوم القيامة» فحذف الخبر.

٢ـ عن إبن عبّاس وإبن زيد: أي يجرّ ويخرّ على وجهه، وينطلق به إلى النّار مكتوفاً، ثمّ يرمي فيها، فأوّل شيء تمسّه النّار وجهه. ٣ـ قيل: إنّ الإنسان يتّقي الضّرر بيده ولكن الّذي في النّار مغلول اليدين،فيضطرّأن يتّقي النّاربوجهه. والمعنى انّ الإنسان إذا لقى مخوفاً إستقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لأنّه أعزّ أعضآئه عليه، والّذي يلقى في النّار مغلولاً يداه إلى عنقه لا يتهيّؤ له أن يتقى النّار إلّا بوجهه الّذي كان يتّقي المخاوف بغيره وقاية له.

٤ـ قيل: أُريد بالوجه الجملة والكلّيّة والحال. والمعنى: أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة أي بجملته وكلّيته كحال من يأتي آمناً لا تمسّه النّار. وقد قال: بوجهه لأنّ الوجه أعزّ أعضآء الإنسان. ٥ـ عن عطآء: أي أمّن يلقى في النّار منكوساً فأوّل عضو منه مسّته النّار وجهه. ومعنى يتّقي: يتوقّى. ٦ـ قيل: إنّ اتقآء العذاب بوجهه كناية عن عجزه عن الاتّقاء وذلك انّ الإنسان إذا وقع في نوع من العذاب فإنّه يجعل يديه وقاية لوجهه الّذي هو أشرف الأعضآء، فكانّه قيل: إنّه لا يقدر على الإتقآء إلّا بالوجه، والإتقآء بالوجه غير ممكن، فلا اتقآء أصلاً. ٧ـ قيل: أي أفمن يتقي سوء العذاب الّذي يوم القيامة في الحياة الدّنيا بتقوى الله كالمصرّ على كفره وطغيانه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «وقيل للظّالمين...» أقوال: ١ـ قيل: أي تقول خزنة النّار لكفّار مكّة عند دخولهم فيها: ذوقوا جزآء ما كنتم تكسبون في الحياة الدّنيا. ٢ـ قيل: أي يقول الله عزّوجلّ لكلّ من تلبّس بالظّلم من مشركي مكّة وغيرهم في الحياة الدّنيا حين دخولهم في النّار: ذوقوا... ٣ـ قيل: ينادي منادٍ للظّالمين حينما يذوقون طعم ذلك العذاب في جهنّم.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين.

٢٦ ـ (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

في قوله تعالى: «الخزي في الحياة الدّنيا» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي عذاب الدّنيا. ٢ـ قيل: أي الذّلّ والهوان من المسخ والقتل والغرق. ٣ـ قيل: أي الخسف والصّيحة والرّجفة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٢٧ ـ (ولقد ضربنا لِلنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي من كلّ نوع من الأمثال شيئاً يحتاجون إليه كقوله تعالى: «مافرّطنافي الكتاب من شيء» الأنعام:٣٨) ٢ـ قيل: أي ماذكرنا من إهلاك الأمم السّالفة مثل لهؤلآء المشركين. والمراد بالنّاس هؤلآء المشركون. ٣ـ عن إبن عبّاس: أي بيّنّا للنّاس فيه من كلّ وجه كما قال: «وتبيّن لكم كيف فعلنابهم وضربنا لكم الأمثال» إبراهيم:٤٥) والمراد بالنّاس عامّ يشملهم في كلّ ظرف. والمعنى: إنّا وصفنا وبيّنّا للنّاس إلى آخر الدّهر في هذا القرآن كلّما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم. ٤ـ قيل أي بيّنّا معاني القرآن ومعارفه وأسراره وحكمه وأصوله وفروعه بآيات واضحات، وزيادة في التّوضيح ضربنالها العديد من الأمثال... ٥ـ قيل: أي جعلنا لِلناس في هذا القرآن من كلّ مثل لكى يتّعظوا به.
أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٢٨ ـ (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون)

في قوله تعالى: «غير ذي عوج» أقوال: ١ـ عن إبن عباس والضحّاك: أي غير مختلف فيه بوجه من الوجوه. ٢ـ قيل: أي غير متضاد ولا اختلاف فيه كقوله تعالى: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النسآء:٨٢) ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً والسّدي: أي غير مخلوق. ٤ـ عن مجاهد: أي غير ذي لبس. ٥ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي غير مخالف للتّوراة والإنجيل والزّبور وسآئر الكتب السّماوية بالتّوحيد

وبعض الأحكام والحدود... ٦ـ قيل: أي مستقيماً بكلّ ما في هذه الكلمة من معنى، وبكلّ مافيه من حقآئق وأسرار ومعارف وحكم وتوجيهات ومعلومات.

٧ـ قيل: أي مستقيماً بريئاً من التّناقص والإختلاف، والعوج مخصوص بالمعاني دون الأعيان... ٨ـ قيل: أي أنزلناه قرآناً عربياً غير ذي ميل عن الحقّ، ولا منحرف ولا منعطف عن جهة الصّواب، بل هو مستقيم موصل إلى الحقّ. ٩ـ قيل: أي غير ذي لحن. ١٠ـ عن السّدي أيضاً: أي غير ذي شكّ. ١١ـ قيل: أي ليس من سجع الكهان ولا من رطانة الرّهبان. ١٢ـ قيل: أي لا إغراب ولا تعقيد فيه، وقد جعله الله تعالى كذلك حتى يفهمه السّامعون مافيه من مواعظ، ويعتبروا بما فيه من حكم، بسهولة وتبعث فيهم أمثاله شعور تقوى الله.

أقول: ولكلٍّ وجه، والأوجه هو التّعميم فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

۲۹ ـ (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآءُ متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

في قوله تعالى: «شركآء متشاكسون» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: هذا مثل لأقوام وقبائل مختلفة يعبدون آلهة شتّى، فكلّ قوم يعبدون إلهاً يرضونه، ويكفرون بما سواه من الآلهة، فضرب الله هذا المثل لجميعهم، وضرب لنفسه مثلاً وهو رجل سلم لرجلٍ أي الموحّدون يعبدون إلهاً واحداً لا يختلفون فيه.

٢ـ عن إبن زيد: أي أرأيت الرّجل الّذي فيه شركآء متشاكسون كلّهم سيّىء الخُلق في استخدامه لأنفسهم، إذ ليس منهم واحد إلّا تلقّاه آخذاً بطرف من مال لاستخدامه أسوأهم، وهذا مثل ضربه الله تعالى لهؤلآء الّذين يعبدون الآلهة المتعدّده، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقاً... عن المبّرد: المتشاكسون أي المتعاسرون المتشاجرون، هذا يأمره بفعل، وذاك ينهاه عنه، وثالث يريده لفعل آخر في نفس الوقت، فيريد كلّ واحد منهم أن ينفرده بالخدمة، ثمّ يكل كلّ منهم أمره إلى الآخر، ويكلّ الآخر إلى ثالث، وهكذا، فيبقى هو خالياً عن المنافع، وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآرآء والأهوآء...

وعن الفرّآء: شركآء متشاكسون أي مختلفون متنازعون في عبد واحد لهم فيأمره هذا بشيء، وينهاه الآخر عن ذلك الشيء بعينه. والشّكاسة: سوء الخلق والإختلاف. وقد ضرب الله هذا المثل لسآئر المشركين، ولكنّه ذكر رجلاً واحداً وصفه بصفة موجودة في سآئر المشركين، فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم جميعاً ويعني بقوله: «رجلاً فيه شركآء» أي يعبد آلهة مختلفة وأصناماً كثيرة. وعن مجاهد: هذا مثل إله الحقّ وإله الباطل. وعن عكرمة: الشّركآء: الأصنام.

٣ـ قيل: الشّركآء المتشاكسون: تجاذب شغل الدّنيا وشغل العيال وغير ذلك من الأشغال، فأين ذلك الرّجل ممّن ليس له في الدّنيا نصيب، ولا في الخلق نسيب، وهو في الآخرة غريب وإلى الله قريب.

٤ـ عن قتادة: أي الشّياطين تتنازعون في المشرك، وكلّ يتجاذبه إلى نفسه، ولا يعرفه بعضهم لبعض وهوحآئر في أمره إذا هو أرضى أحدهم أغضب الباقين، وإذا احتاج إليهم في مهمّ ردّه كلّ منهم إلى الآخرين، فهو في عذاب دائم وتعب مقيم، وأمّا المؤمن فالله تعالى وحده يدعوه إليه وحده، فالعبد يعبده مخلصاً وهو يعينه على مهمّاته ويقضي له حوآئجه...

فالمعنى: رجلاً مملوكاً قد اشترك فيه شركآء، بينهم اختلاف وتنازع، كلّ واحد منهم يدّعي أنّه عبده، فيتعاودونه في خدمتهم، ورجلاً آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له، فهو معتمد عليه فيما يصاحه، فهمّه واحد. فأيّ هذين العبدين أحسن حالاً وأصلح أمر. والمراد بذلك تمثيل حال من يثبت آلهة شتّى وما يلزمه على قضيّة مذهبه من أن يدّعي كلّ واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا ويبقى العبد المملوك متحيّراً ضايعاً لا يدري أيّهم يعبد، وعلى أيّهم يعتمد، وحال من يثبت إلّا إلهاً واحداً فهو قائم بما كلّفه، عارف بما أرضاه وأسخطه.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين وإن كان غيره لا يخلو من وجه.

وفي قوله تعالى: «ورجلاً سلماً لرجل» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي خالصاً لسيّد واحد بدون منازع، ليس معه شريك فيه، فهو خالص من الشّرك والتّنازع،

٢-عن إبن عبّاس أيضاً: أي رجلاً أسلم دينه وعبادته وعمله لله تعالى. ٣- قيل: أي ذاسلامة وخلوص له من الشّركة، سالماً يعبد مالكاً واحداً لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه، ومن كان بهذه الصّفة نال ثمرة خدمته لاسيّما إذا كان المخدوم حكيماً قادراً كريماً.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

وفي قوله تعالى: «الحمد لله» أقوال: ١- قيل: أي احمدوا الله المستحقّ للثّنآء والشّكر على هذا المثل الّذي علّمكموه فأزال به الشّبه عنكم وأوضح لكم الدّلالة. ٢- قيل: أي احمدوا الله حيث لطف بكم حتّى عبدتموه وحده وأخلصتم له الايمان والتّوحيد فهي النّعمة السّابقة، فيجب أن يكون الحمد كلّه موجّهاً إلى الله الّذي لاشريك له وحده دون كلّ معبود سواه لأنّه المنعم بالذّات. ٣- قيل: أي الحمد لله الّذي هدى المؤمنين به إلى أدلّة التّوحيد. ٤- قيل: أي الشّكر والوحدانية لله تعالى. ٥- قيل: أي بعد أن بطل القول بإثبات الشّركآء والأنداد، وثبت أن لا إله إلّا هو، ثبت أنّ الحمد لله تعالى لالغيره. ٦- قيل: هذا ثنآء لله تعالى بما أنّ عبوديته خير من عبودية من سواه. ٧- قيل: أي الحمد على إقامة الحجّة على المشركين فلاعذر لهم بعدها.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، من غير تناف بينه وبين سآئر الأقوال فتدبر جيّداً.

وفي قوله تعالى: «بل أكثرهم لا يعلمون» أقوال: ١- قيل: أي بل أكثر هؤلآء المشركين بالله سبحانه لا يعلمون أنّ هذين الرّجلين لا يستويان، فهم لفرط جهلهم بذلك يعبدون آلهة شتّى من دون الله الّذين ضررهم أكثر من نفعهم. ٢- قيل: أي لا يعلمون الحقّ لعنادهم ولجاجهم فيتبعونه. ٣- قيل: أي لا يعلمون حقيقة لطف الله بالمؤمنين، إذ لطف بهم حتّى عبدوه وحده وأخلصوا له الإيمان والعمل. ٤- قيل: أي بل أكثرهم لا يعلمون أمثال القرآن. ٥ - قيل: أي لا يعلمون مزيّة عبادة الله تعالى وحده على عبادة غيره على ماله من الظّهور التّام لمن له أدنى بصيرة وتأمّل. ٦- قيل:

أي بل أكثرهم لا يعلمون مايصيرون إليه من العذاب فيشركون به ٧ـ قيل: أي بل أكثرهم لا يعلمون أنّ الحمد كلّه لله تعالى لا لغيره.

أقول: والثّاني هو الأنسب بماورد في المقام من الرّوايات عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فانتظر.

٣٠ ـ (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)

في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: قال: وهو خطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبره بموته وموتهم، فاحتمل خمسة أوجه: **أحدها**ـ أن يكون ذلك تحذيراً من الآخرة. **الثّاني:** أن يذكره حثّاً على العمل. **الثّالث:** أن يذكره توطئة للموت. **الرّابع:** لئلاّ يختلفوا في موته صلّى الله عليه وآله وسلّم كما أختلفت الأمم في غيره حتى أنّ عمرـ بن الخطاب ـ لمّا أنكر موته صلّى الله عليه وآله وسلّم احتجّ أبوبكرـ بن أبي قحافة ـ بهذه الآية فأمسك. **الخامس:** ليعلمه أنّ الله تعالى قدسوّى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثّر فيه السّلوة ونقل فيه الحسرة» إنتهى كلامه.

أقول: والرّابع هوالمرويّ.

٣١ ـ (ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي إنّك تحتجّ يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على المكذّبين والمخالفين من امتّك بأنّك قدبلّغت ما أُنزل إليك من ربّك وهم يعتذرون بمالاطائل تحته. ٢ـ قيل: أي يخاصم الكفّار بعضهم بعضاً يوم القيامة، حتّى يقال لهم: لا تختصموا لديّ. ٣ـ عن أبي العالية: يقع الإختصام بين أهل القبلة من هذه الأمّة المسلمة في الدّمآء والمظالم التّي بينهم. ٤ـ عن إبن عباس وإبن زيد: أي تخاصم الموحّد والمشرك ، المؤمن والكافر، المهتدي والمضلّ، الصّادق والكاذب، المحقّ والمبطل، والمظلوم والظّالم... فالكلّ إلى ربّهم منقلبون، ويحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون من التّوحيد والشّرك ... وتخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفي من حسنات الظّالم بقدر مظلمته، ويردّها في حسنات من وجبت له، وهذا عام في جميع المظالم، ويقول الأتباع للرّؤسآءَ: أطعناكم فأضللتمونا وتقول

السّادة: أغوانا الشّياطين وآبآؤنا الأوّلون.

٥- قيل: إنّ الخصومة تبلغ يوم القيامة إلى أن يحاجّ الروح الجسد. ٦- قيل: أي ثمّ إنكم أيّها النّاس فيما بينكم من المظالم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون. ٧- قيل: إنّ الخطاب عامّ للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمشركين بأنّهم سيقفون يوم القيامة أمام الله تعالى موقف الخصومة والتقاضي. ٨- قيل: إنّ أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام يخاصم من غصب حقه ومَن ظلم أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ومن ظلم شيعته عليه السّلام ويخاصم عليه السّلام مردة هؤلآء الغاصبين الظّلمة والآثمين الفجرة، والمجرمين الفسقة... إلى يوم القيامة.

٩- قيل: أي كلّ طائفة منكم أيّها النّاس ترد على صاحبتها يوم القيامة، وتخاصمها، فالإختصام ردّ كلّ واحد من الإثنين ما أتى به الآخر على وجه الإنكار عليه، وقد يكون أحدهما- محقّاً والآخر مبطلاً كالموحّد والملحد، وقد يكونان جميعاً مبطلين كاختصام اليهودي والنّصراني، وقد يكونان جميعاً محقّين إذا قطع كلّ واحد منهما على صواب اعتقاده دون غيره، ويكون اختصامهم في الآخرة بذمّ رؤسآء الضّلالة فيما دعوهم إليه ودفع اولئك عن أنفسهم فيقول الأوّلون: «لولا أنتم لكنّا مؤمنين» ويقول الرّؤسآء: ما كان لنا عليكم من سلطان إلّا أن دعوناكم فاستجبتم لنا وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بموارد من ظاهر السّياق، وخاصّة بالآيات السّت التّالية، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٣٢ - (فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوىً للكافرين)

في قوله تعالى: «فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذجآءه» أقوال:

١- عن إبن عباس وقتادة: أي فمن أعظم فرية على الله بنسبة الولد والشّريك والصّاحبة إليه سبحانه وكذب بالقرآن إذ جآءه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. ٢- قيل: أي لا أحد أظلم ممّن إبتدع أحكاماً أو حرّم حلالاً، وأحلّ حراماً ونسبها إلى

الله سبحانه، والمراد بالصّدق، الصّادق من النّبأ وهو الدّين الإلهي الّذي جآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقوله تعالى: «إذ جآءه». ٣ـ قيل: أي ليس أحد أظلم ممّن جمع بين هذين المنكرين وهما الكذب على الله تعالى بنسبة الولد إليه سبحانه أو اتباع الطّاغوت ثمّ التّكذيب بالصّدق وهو القرآن الّذي أنزله الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخالفوه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً. وقيل: يعني بما جاء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحقّ و ولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

أقول: والأخير هو المرويّ وهو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله تعالى: «لِلكافرين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي لأبي جهل وأتباعه ٢ـ قيل: للكافرين عام يشمل أباجهل وأصحابه وغيرهم من الكفرة الفجرة...

٣ ـ قيل: إنّ الآية خاصّة بمشركي عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بمشركي امّته بحسب السّياق، وعامّة لكلّ من ابتدع بدعة وترك سنّة من سنن الدّين. ٤ـ قيل: اريد بالكافرين الّذين خالفوا الثّقلين اللّذين تركهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في امّته، فنبذوهما ورآء ظهورهم واشتروا بهما ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون، وصدّوا النّاس عن سبيل الله فانحطّ المسلمون حتّى اليوم.

أقول: والرّابع هو المروي والأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه الثّاني فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٣٣ ـ (والّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد: «الّذي جآء بالصّدق» هو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم و«صدّق به» هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ٢ـ عن السّدي: «الّذي جآء بالصّدق» هو جبرئيل عليه السّلام جآء بالقرآن «وصدّق به» هو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تلقّاه بالقبول. ٣ـ عن إبن زيد وقتادة ومقاتل: «الّذي جآء بالصّدق» النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء بالقرآن «وصدّق به» المؤمنون فهو حجّتهم في الدّنيا والآخرة. ٤ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «والّذي جآء

بالصّدق» هو قول لا إله إلّا الله و محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصدّق به هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً و بلّغه إلى الخلق. ٥ـ قيل: «والّذي جآء بالصّدق» ملائكة الوحي «وصدّق به» الأنبيآء والمرسلون.

٦ـ عن مجاهد أيضاً والنّخعي: «الّذي جآء بالصّدق وصدّق به» المؤمنون الّذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة، فيقولون: هذا الّذي أعطيتمونا قد اتبعنا مافيه فيكون «الّذي» على هذا للجنس بمعنى «الّذين» كما تكون «من» بمعنى جمع. فالّذي جآء بالصّدق: المؤمنون، والصّدق: القرآن وهم المصدّقون به. ٧ـ عن إبن عبّاس أيضاً وعطآء والرّبيع: «الّذي جآء بالصّدق» عام لكلّ من دعا إلى التّوحيد والإيمان وصالح الأعمال. والمعنى: الّذي جآء بالصّدق الأنبيآء والّذي صدّق به المؤمنون. وعلى هذا فيكون «الّذي» للجنس. ٨ـ قيل: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء بالحقّ وآمن به، وأراد به إيّاه ومن تبعه كما أراد بموسى إيّاه ومن تبعه في قوله تعالى: «ولقد آتينا موسى الكتاب لعلّهم يهتدون» المؤمنون: ٤٩) ولذلك قال: «اولئك هم المهتدون» إلّا أنّ هذا في الصّفة وذاك في الإسم.

٩ـ قيل: «والّذي جآء بالصدّق وصدّق به» كلّ مَن دعا إلى توحيد الله وتصديق رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والعمل بما ابتعث به رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بين رُسُل الله عليهم السّلام وأتباعه والمؤمنين به. والصّدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلّا الله. والمصدّق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كآئناً من كان من نبيّ الله وأتباعه. **أقول:** والأوّل هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجعين في متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب السَرْويّ المازندراني قال في قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدق به»: «قدثبت أنّه إنّما أسلم بعد عليّ عليه السّلام وخديجة وجعفر وزيد وأبي ذر وعمربن عنبسة وخالدبن سعد إلى تمام خمسين رجلاً ذكره الطّبري بإسناده عن سعد بن أبي وقّاص فهذه الآية تليق بهم. ثمّ الصّواب أن يكون لكلّ مصدّق تقديم لقوله: «اولئك هم المتّقون» ثمّ إنّ المفسّرين

إختلفوا فقالوا: المراد به النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام إنتهى كلامه.

وفي كتاب الصّراط المستقيم للعلاّمة زين الدّين العاملي رضوان الله تعالى عليه قال: «واسند أيضاً في روايات من كتابه إلى الباقر والصّادق والكاظم والرّضا عليه السّلام وزيد بن عليّ: أنّ قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

وفيه: قال: ومنها: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» روى إبن المغازلي عن مجاهد أنّ الّذي صدّق به عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ورواه غير واحد.

٣٥ ـ (ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون)

في قوله تعالى: «ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا» أقوال: ١ـ قيل: أي يستره عليهم بالمغفرة، فيسقط الله عنهم عقاب الشّرك والمعاصي الّتي فعلوها قبل ذلك بتوبتهم ورجوعهم إلى الله تعالى وإيمانهم وتقواهم وإحسانهم، فإنّ الإسلام يجبّ ماقبله، وأنّ مَن تاب من الذّنب كمن لاذنب له ولو كان من المشركين. قيل: هذا حسن من جهتين: **أحدهما**ـ من جهة تعميم الأعمال السّيّئة. **ثانيها**ـ من جهة تقييد التّكفير بكونه قبل ذلك بالتّوبة والإيمان والتّقوى والإحسان... فإنّ الآية الكريمة تبيّن أثر تصديق الصّدق الّذي أتاهم وهو تكفير السّيّئات بالتّصديق والجزآء الحسن في الآخرة. فالمراد هو أقبح أعمالهم وهو الشّرك، فإذا كفّر الله تعالى عنهم سيّئة الشّرك، فكيف غيرها؟.

٢ـ قيل: الأسوأ ههنا بمعنى السّيّئ. ٣ـ قيل: إنّ صيغة التّفضيل ههنا: «أسوأ» مستعملة في الزّيادة المطلقة من دون نظر إلى مفضّل عليه، فإنّ معصية الله جلّ وعلا كلّها أسوأ. ٣ـ قيل: أي إنّ جزآءهم وإكرامهم ذلك لأجل أن يكفّر... فقوله تعالى: «ليكفّر» متعلّق بـ«يشآؤن». ٤ـ قيل: إنّ الأسوأ ههنا ليس للتفضيل لأنّ أفعل التّفضيل إذا اضيف كان للمقياس والميزان لا المقايسة والمؤازنة والمفاضلة، وإنّما هو كقولك: معاوية بن أبي سفيان أخبث النّاس. أي هو ميزان ومقياس لكلّ

خيانة وجناية وظلم وقساوة. فالأسوأ ههنا هو الشّرك السّابق الّذي يمحوه التّوحيد.
٥ـ قيل: إنّ فائدة الأسوأ ههنا هي استعظامهم المعصية حتّى إنّ الصّغآئر عندهم أسوأ أعمالهم لشدّة خوفهم من الله تعالى ولأنّ حسنات الأبرار سيئآت المقرّبين.

٦ـ قيل: أي جزاهم ربّهم بإحسانهم كي يكفر عنهم أسوأ الّذي عملوا في الدّنيا من الأعمال فيما بينهم وبين ربّهم بما كان منهم فيها من توبة وإنابة ممّا اجترحوا من السّيّئات فيها، وهذا أعظم ماكانوا يرجونه من دفع الضّرّ عنهم، فإنّ النّفس إذا علمت زوال المكروه عنها كان لها في سرور ولذّة تعدل السّرور واللّذّة بجلب المنافع لها. ٧ـ قيل: أي ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا كالشّرك والكبآئر... فضلاً عن غيره. ومن المعلوم أنّه إذا كفّر عنهم أسوأ أعمالهم كفّر مادون ذلك.

أقول: والأخير هو الأنسب بسياق الإمتنان.

وفي قوله عزّوجلّ: «ويَجْزِيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون» أقوال: ١ـ قيل: أي يجزيهم بمحاسن أعمالهم ولا يجزيهم بمساويها. ٢ـ قيل: أي يجعل لهم ويعدّ محاسن أعمالهم مثل أحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها. ٣ـ قيل: أي إنّ الله تعالى ينظر إلى أعمالهم فيجازيهم في أحسنها جزآءه اللآئق به، وفي غير الأحسن يجازيهم جزآء الأحسن. فالباء للمقابلة نحو بعت هذا بهذا. ٤ـ قيل: أي ويجزيهم ثوابهم بالفرآئض والنّوافل فهي أحسن أعمالهم لأنّ المباح وإن كان حسناً فلا يستحقّ به ثواب ولا مدح، وإنّ الثّواب والمدح إنّما يستحقّ على الطّاعات. وقيل: إنّ المباح يُوصف بالحسن أيضاً.

٥ـ قيل: إنّ المراد أنّ الله عزّوجلّ ينظر إلى أرفع أعمال المحسنين درجة، فيترفّع درجتهم بحسبه، فلا يضيع شيئ ممّا هو آخر مابلغه عملهم من الكمال. ٦ـ قيل: إنّ الأحسن ههنا بمعنى الحسن الّذي كانوا يعملون، ولكنّه الأحسن عند الله تعالى لحسن إخلاصهم فيه. ٧ـ قيل: إنّ صيغة الأفضل في الآية: «أحسن» مستعملة في الزّيادة المطلقة من غير نظر إلى مفضّل عليه، فإنّ طاعة الله تعالى كلها أحسن. ٨ـ قيل: أي يثيبهم ثوابهم بأحسن الّذي كانوا في الدّنيا يعملون ممّا يرضي الله تعالى عنهم دون

أسوءها.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٣٦ - (أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد)

في قوله تعالى: «عبده» أقوال: ١ـ عن قتادة وإبن زيد والسّدي: هو محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمعنى: أليس الله يكفيك ويعصمك من النّاس، ويدفع عنك الآفات ويحفظك من وعيدات المعاندين... بلى والله ليكفينّك الله جلّ وعلا ويذلّهم ويعزّك ويخذهم. ٢ـ قيل: أريد بالعبد الجنس من الأنبيآء والمرسلين لأنّ أمّة كلّ نبيّ خاطبوا نبيّهم بمثل ذلك كقوله تعالى حكاية عن قوم هود: «إن نقول إلّا اعتراك بعض آلهتنا بسوء» هود: ٥٤) وقال: «كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً من المجرمين وكفى بربّك هادياً ونصيراً» الفرقان: ٣١).

والمعنى: أليس الله بكاف عبده: محمّداً وأنبيآئه من قبله ماخوّفتهم اممهم من أن تنالهم آلهتهم أو المجرمون منهم بسوء وأذىً. وقيل هذا بنآءً على قراءة «عباده» بالجمع. ٣ـ قيل: أريد بالعبد: الجنس من أعدآء الله تعالى فيشمل الجميع كقوله تعالى: «إنّ الإنسان لفي خسر» العصر: ٢) لأنّ المشركين كانوا يخوّفون النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين برفض آلهتهم وتحقيرها أن تقتلهم أو تخبلهم وتقتصّ منهم لامحالة. ٤ـ عن الجرجاني: أي إنّ الله كاف عبده المؤمن بالثّواب، وعبده الكافر بالعقاب، كاف عبده الموحّد بالجنّة ونعيمها، وعبده المشرك بجهنّم وحميمها.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله تعالى: «ويخوّفونك بالّذين من دونه» قولان: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدي وإبن زيد: أي يخوّفك هؤلآء المشركون يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بتلك الأصنام والأوثان والآلهة الّتي يعبدونها من اللاّت والعزّى ومناة وماإليها أن تصيبك بسوء ببرائتك منها، وعيبك لها... إذ يقولون لك: يا محمّد لاتشتم آلهتنا ولاتعبها فإنّا نخاف أن تهلكك أو تخبلك... ولكنّ الله تعالى كافيك ذلك فسينصرك ويهلك أعدآءك. فالمراد بالضّلال هنا الهلاك كما أنّ المراد بالهدى النّصر. ٢ـ قيل: إنّ

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لـمّا نصب عليّاً عليه السّلام يوم الإنذار وغيره للولاية والإمارة بأمر الله تعالى قال المعاندون والمنافقون: أعفنا يا محمّد من عليّ، ويخوفونه صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّهم يلحقون بالكفّار ومشركي مكّة.

أقول: ولكلٍ وجه فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «ومن يضلل الله فماله من هاد» أقوال: ۱ـ قيل: أي من أضلّه الله عن طريق الجنّة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه إليها. ۲ـ قيل: أي من حكم الله بضلالته و وصفه بأنّه ضال إذا ضلّ هو بسوء إختياره عن طريق الحقّ فليس له من يحكم بهدايته ويصفه هادياً. ۳ـ قيل: أي من يحرمه الله من زيادة الهدى فليس له زائد. ٤ـ قيل: أي ومن يضلل الله حتّى غفل عن كفاية الله له وخوفه ممّا لاينفع ولا يضرّ فماله من هاد يهديه إلى الرشاد ٥ـ قيل: أي هذا ضلال من ضلال المعاندين إذ يحسبون أنّهم يقدرون أن يضرّوك ، فقد أضلّهم الله وطمس على عقولهم، فلم يروا إلّا ظلاماً وضلالاً.

أقول: والثّاني هو الصّواب، وفي معناه ـ على سبيل التّلازم ـ بعض الأقوال الأخر فتدبّر جيّداً واغتنم ولا تغفل.

۳۷ ـ (ومن يهدالله فماله من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام)

في قوله تعالى: «ومن يهدالله فماله من مضلّ» أقوال: ۱ـ قيل: أي من يهده الله إلى طريق الجنّة فلاأحد يضلّه عنها. ۲ـ قيل: أي مَن يهده الله فاهتدى فلا يقدر أحد على صرفه عنه. ۳ـ قيل: أي مَن بلغ إستحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس. ٤ـ قيل: أي ومن ينصره الله فماله من غالب يغلبه. ٥ـ قيل: أي ومن يهدالله لدينه وتقواه وإحسانه فماله من مضلّ عن دينه وتقواه وإحسانه.

٦ـ قيل: أي ومن يوفقه الله لِلإيمان به والعمل بكتابه، ويهديه إلى أسباب السّعادة بتزكية نفسه وتحبيبها إلى صالح الأعمال... فماله من مضلّ يصرفه عن مقصده ولا مزيغ يزيغه عن الحقّ الّذي هو عليه إلى الإرتداد إلى الكفر، ولاموذٍ يصيبه بسوء يغيّر سلوكه إذ لاراد لفعله ولا معارض لإرادته. ۷ـ قيل: أي من يحكم

بهدايته ويصفه هادياً فلا أحد يمكنه أن يحكم بضلالته على الحقيقة. ٨ـ قيل: أي ومن اهتدى بهدى الله تعالى هداه الله تعالى إلى سوآء السّبيل، فإذاً لا يقدر أحد أن يضلّه عنه.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحقّقين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر على سبيل التّلازم.

٣٩ ـ (قل يا قومِ اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي إعملوا على دينكم وفي منازلكم بهلاكي، إنّي عامل بهلاككم. ٢ـ قيل: أي إعملوا على حالتكم الّتي أنتم عليها وعلى جهتكم من العداوة الّتي تمكّنتم منها، إنّي عامل على حالتي وجهتي الّتي تمكّنت منها. وذلك إنّ المكانة هي المنزلة والقدر وهي في المعقولات كالمكان في المحسوسات، فأمرهم بأنْ يعملوا على مكانتهم. معناه: أمرهم أن يستمرّوا على الحالة الّتي كانوهم عليها من الكفر والضّلال، والصّدّ عن سبيل الله والعناد، ومن معتقد فاسد مع آلهتهم تلك. فالمكانة هي المنزلة والحالة الّتي يكون عليها الإنسان.

٣ـ قيل: أي إعلموا على تمكّنكم من العمل الّذي تعملون ومنازلكم، وأنا أعمل على ما أنا عليه من إيماني بالله وعبادتي له وحده. ٤ـ عن مجاهد: أي إعملوا على ناحيتكم إنّي عامل كذلك على تؤدة على عمل مَن سلف من أنبيآء الله قبلي، فسوف تعلمون إذا جآءكم بأس الله مَنِ المحقّ منّا من المبطل، والرّشيد من الغويّ. ٥ـ قيل: أي إعملوا على منهجكم وطريقتكم، إنّي عامل بما أنا عليه مدى حياتي، ولن أحيد عنه ولو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في يساري، فسوف تعلمون إلى أي خزي تنتهون، وبأيّة عقوبة تؤخذون.

٦ـ قيل: أي إعملوا على قدر جهدكم وطاقتكم في إهلاكي وتضعيف أمري، إنّي عامل على قدر جهدي وطاقتي في أمري فسوف تعلمون من هو الغالب في أمره أنتم أم أنا. ٧ـ قيل: أي إعملوا على ما أنتم تعتقدون في أنفسكم من القوّة والشّدّة، واجتهدوا في أنواع مكركم وأنحآء كيدكم في أمري، إنّي عامل فيما أمرت به، ومستمرّ

على ما أنا عليه من إقامة الدّين وتبليغ ما أنزل إليّ من ربّي والسّعي في نشره بين النّاس. ٨- قيل: أي إعملوا على جهتكم الّتي إخترتموها وتمكّنتم في العمل بها، إنّي عامل بما أدعوكم إليه، فسوف تعلمون عاقبة أعمالكم و وخامة كفركم وضلالكم.

أقول: والسّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

٤٠ - (من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي ستعلمون أيّها المشركين مَنِ المغلوب في الدّارين، كان عذاب الخزي بيوم بدر، قد أخزاهم الله تعالى ببدر، وأنّ خزي أعدآئه دليل غلبته، والعذاب المقيم هوعذاب النّار الدّائم في الآخرة. ٢- قيل: أي من يهينه ويذلّه في الدّنيا وذلك بالجوع والسّيف. ٣- قيل: عذاب الخزي هو مايقع على المشركين والمعاندين في الدّنيا يوم يرون بأعينهم نصر الله تعالى المؤمنين، وخذلانه للكافرين وتحطيم أصنامهم، ووطأها بالأقدام... ويوم يرون عذاب يوم القيامة الّذي يخلد فيه أهل الكفر والعناد ٤- قيل: أي من يأتيه عذاب استئصال يخزيه ويهلكه في الدّنيا، ومن ينزل عليه عذاب دآئم لايفارقه في الآخرة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٤١ - (إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل)

في قوله تعالى: «بالحقّ» أقوال: ١- قيل: أي بأنّه الحقّ. ٢- قيل: أي متلبساً بالحقّ. ٣- قيل: أي أنزلناه على أنّه الحقّ الّذي يجب النّظر في موجبه ومقتضاه فما صحّحه وجب تصحيحه والإيمان به، وما أفسده وجب إفساده والإجتناب عنه، وما رغّب فيه وجب العمل به، وما حذّر منه وجب إجتنابه، وما دعا إليه فهو الرّشد وماصرف عنه فهو الغيّ. ٤- عن إبن عبّاس: أي بتبيان الحقّ والباطل لِلنّاس.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ.

٤٢ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الأخرىٰ إلى أجل مسمّىً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

في قوله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها...» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس أنّه قال: إنّ في إبن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشّمس، فالنّفس هي الّتي بها العقل والتّمييز، والرّوح هي الّتي بها النّفَس والتّحريك، فيتوفيان عند الموت، وتتوفّى النّفس وحدها حين النّوم. فالمعنى: أنّ الله تعالى يقبض النّفس والرّوح معاً عند إنقضآء أجل الإنسان، وأمّا النّفس الّتي لم تمت أبدانها في منامها، فيقبضها عن التّصرف مع بقآء أرواحها في أجسادها ثمّ يطلقها بالتّصرّف إلى أجل موتها. فعلى هذا أنّ النّفس غير الرّوح.

٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: إنّ أرواح الأحيآء والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ماشآء الله منها، فإذا أراد جميعها الرّجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحيآء إلى أجسادها.

فالمراد بالأنفس الأرواح المتعلّقة بالأبدان لا لمجموع الأرواح والأبدان لأنّ المجموع غير مقبوض عند الموت، وإنّما المقبوض هو الرّوح يقبض من البدن بمعنى قطع تعلّقه بالبدن تعلّق التّصرّف والتّدبير، والمراد بموتها موت أبدانها إمّا بتقدير المضاف أو بنحو المجاز العقلي، وكذا المراد بمنامها نوم أبدانها.

٣ـ قيل: نحن لا نعلم أنّ النّفس والرّوح هل هما شي واحد أو شيئان مختلفان.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤٥ ـ (وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون)

في قوله تعالى: «إشمأزّت» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد ومقاتل والمبرّد: أي انقبضت عن التّوحيد. ٢ـ عن قتادة: أي كفرت واستكبرت. ٣ـ عن السّدي والضّحاك والجبائي: أي نفرت وتعصت. وذلك إنّ المشركين كانوا إذا قيل لهم: لا إله إلّا الله نفروا من هذا وكفروا ويقولون: الأصنام آلهتنا نعبدهم. والإشمئزار ـ في

الأصل-: النّفور والإزورار.

وقال أبوزيد: إشمأزّ الرّجل: ذعر من الفزع وهو المذعور. فالمعنى: جزعت وهلعت لأنّ فيه نفياً لآلهتهم. ٤ـ قيل: أي انكرت. ٥ـ قيل: الإشمئزاز هو أن يمتلئ القلب غمّاً وغيظاً حتّى يظهر الإنقباض في الوجه. ٦ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي قست ونفرت قلوب هؤلآء الأربعة الّذين لا يؤمنون بالآخرة وهم أبوجهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وأبيّ بن خلف.

أقول: والأوّل هو الأنسب بمعناه اللّغوي، وفي معناه الأقوال الأُخر على سبيل التّلازم فتدبّر جيّداً.

وقوله تعالى: «وإذا ذكر الّذين من دونه» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي الأوثان وذلك حين ألقى الشّيطان في أمنيّة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم عند قرائته سورة «النّجم» عند باب الكعبة: تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهم ترجى. فاستبشر المشركون عندئذو سجدوا. ٢ـ عن قتادة: أي وإذا ذكر مع الله آلهتهم. ٣ـ عن إبن عبّاس: أي إذا ذكر اللاّت والعزّى ومناة عند هؤلآء الأربعة فإذا هم يستبشرون. ٤ـ قيل: أي وإذا ذكر الّذين من دونه سواء ذكر الله معهم أم لم يذكر.

أقوال: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، وإن كان الثّاني غير بعيد عن ظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «إذاهم يستبشرون» أقوال: ١ـ قيل: أي يسرّون حتّى يظهر السّرور والبشر في وجوههم. ٢ـ قيل: أي يفرحون بذكر آلهتهم بأن يظهر في وجوههم البشر وهو أثر السّرور لفرط افتتانهم بالأصنام ونسيانهم الحقّ. والإستبشار أن يمتلئ القلب حتّى ينبسط له بشرة الوجه فيتهلل.

٣ـ قيل: أي فاجأ وقت ذكر آلهتهم وقت استبشارهم. وفي الآية الكريمة طباق ومقابلة لأنّ الإستبشار أن يمتلئ قلبه سروراً حتّى يظهر أثر في بشرته والإشمئزاز أن يمتلئ غمّاً وغيظاً حتّى يظهر الإنقباض في أديم وجهه، وذلك لإحتباس الرّوح الحيواني في القلب.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تناف بينها.

٤٦ ـ (قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

في قوله تعالى: «عالم الغيب والشّهادة» **أقوال:** ١ـ قيل: عالم الغيب ماغاب علمه عن جميع الخلائق فهو تعالى يعلمه، وعالم الشّهادة ماعمله العباد وهو جلّ وعلا يعلمه. ٢ـ قيل: عالم الغيب ماغاب، وعالم الشّهادة ماشوهِدَ. ٣ـ عن السّدي: عالم الغيب: ماغاب عن العباد، وعالم الشّهادة ماعرف العباد وشهدوا. ٤ـ قيل: عالم الغيب هو عالم السّرّ والخفيّ، وعالم الشّهادة هو عالم الظّاهر والعلانية. ٥ـ قيل: عالم الغيب هو العالم المستقبل، وعالم الشّهادة هو العالم الحاضر. ٦ـ قيل: أي المطلع على الغائب والحاضر. ٧ـ قيل: عالم الغيب عالم الآخرة، وعالم الشّهادة عالم الدّنيا. ٨ـ قيل: عالم الغيب مالم يكن، وعالم الشّهادة ما كان. ٩ـ قيل: عالم الغيب ما كان، وعالم الشهادة ما يكون.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «أنت تحكم بين عبادك ...» **أقوال:** ١ـ قيل: أي تحكم بينهم في هذه الحياة الدّنيا، فيما كانوا فيه يختلفون في أمردينك، فتؤيّد الحقّ وأهله، وتزهق الباطل وتذلّ حزبه في الدّنيا. ٢ـ قيل: أي تحكم بينهم في الدّار الآخرة فيما كانوا فيه يختلفون في الدّنيا من القول فيك وفي عظمتك وسلطانك. ٣ـ قيل: أي تحكم بينهم في الدّارين، فتعزّ المتّقين وتنصرهم، وتذلّ الفاجرين في الدّنيا، وتنعم المؤمنين بالجنّة ونعيمها، وتعذّب الكافرين بجهنّم ونارها في الآخرة.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

٤٧ ـ (ولو أنّ لِلّذين ظلموا مافي الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)

في قوله تعالى: «وبدالهم من الله ...» **أقوال:** ١ـ عن مجاهد والسّدي: عملوا أعمالاً توهّموا أنّها حسنات فإذاً هي سيئات... لقوله تعالى: «قل هل ننبّئكم

بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الّدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٣-١٠٥).

٢- قيل: أي عملوا أعمالاً توهموا أنّهم يتوبون منها قبل الموت، فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا، وقد كانوا يظنّون أنّهم ينجون بالتّوبة فماتوا قبلها. ٣- قيل: أي كانوا يزعمون أنّ الله سبحانه يغفر لهم من غير توبة فبدالهم من الله مالم يكونوا يحستبون من دخول النّار وخلودها. ٤- قيل: أي أنّ كلّ من تلبّس بالظّلم على أنحآئه وأعظمها الشّرك بالله سبحانه ومات عليه سيواجه يوم القيامة اموراً على صفة هي فوق ماكان يتصوّره، وأعظم وأهول ممّا كان يخطر بباله في الحياة الدّنيا لا أنّه يشاهد اموراً ماكان يعتقدها ويذعن بها، فهؤلآء المشركون من الظّالمين كانوا يسمعون أنّ لله جلّ وعلا حساباً وقضآءً وجزآءً وناراً وألواناً من العذاب، فيقيسون ماسمعوه - مع إنكارهم له - على ماعهدوه من هذه الامور في الدّنيا، فلمّا شاهدوها إذ ظهرت لهم وجدوها أعظم ممّا كان يخطر ببالهم من صفتها.

٥ - قيل: أي وينكشف للمشركين الظّالمين يوم القيامة مايرون أنّ ماكانوا يعبدون من دون الله هو ضلال في ضلال، ويرون أعمالهم الّتي زيّنها لهم الشّيطان وجوهاً منكرة، تطلع عليهم بالويلات والحسرات، وأنّ ماكانوا يرجون شفاعته من آلهتهم الموهومة هم معهم يساقون في نار جهنّم: «انّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم أنتم لها واردون لوكان هؤلآء آلهة ماوردوها وكلّ فيها خالدون» الأنبيآء: ٩٨-٩٩) فيطلبون الشّفعآء فلايجدون شفيعاً، ويستصرخون فلاصريخ لهم إلّا زبانية جهنّم يدعونهم إلى النّار دعّاً.

٦- قيل: أي وظهر لهم من الله يوم القيامة مالم يكونوا يحتسبون إذ يرون يومئذ اناساً كانوا يسخرون منهم ويستهزؤن بهم قد لبسوا حلل النّعيم، ونزلوا منازل الرّحمة والرّضوان، على حين يشهدون سادتهم وكبرآئهم ممّن كانوا ينزلونهم منازل الآلهة، وقد قطعت لهم ثياب من نار، يُصبّ من فوق رؤسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم

والجلود، ولهم مقاطع من حديد، كلّما أرادوا أن يخرجوامنها من غمّ اعيدوا فيها.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأملّ جيّداً.

٤٨ـ(وبدالهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: أي ظهرت لهم سيئات أعمالهم الّتي اكتسبوها في الدّنيا عند عرض الصّحآئف عليهم يوم القيامة، فتؤتى كتبهم بشمائلهم، و وجب عليهم حينئذ ولزمهم عذاب الله الّذي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الدّنيا يعدهم على شركهم بالله سبحانه وكفرهم بما جآءهم به رسول الله وتكذيبهم البعث والحساب والجزآء، فكانوا يسخرون به إنكاراً إن يصيبهم ذلك أو ينالهم تكذيباً منهم به وأحاط ذلك بهم.

وقد كانت خافية عليهم كقوله تعالى: «يوم تجد كلّ نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء» آل عمران: ٣٠) فـ «ما» موصولة. ٢ـ قيل: أي ظهرت سيّئات كسبهم في المواقف وقد نسوها فأحصاها لله تعالى لهم كقوله عزّوجلّ: «يوم يبعثهم الله جميعاً فينبّئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كلّ شيء شهيد» المجادلة: ٦) فـ «ما» مصدرية. فعندئذ علموا أنّهم مجازون على النّقير والقطمير.

٣ـ عن إبن عبّاس: أي ظهرلهم يوم القيامة أقبح أعمالهم الّتي كسبوها في الدّنيا، ونزل بهم عذاب ما كانوا به يستهزؤن بالأنبيآء والمرسلين وبالكتب السّماوية...

٤ـ قيل: أي ظهر لهم جزآء أفعالهم من أنواع عذاب ما كانوا يستهزؤن به في الدّنيا من قول الله و وعده و وعيده، ظهرلهم عند دخولهم في نار جهنّم. فالمراد بالسيّئات هي جزآء أفعالهم من أنواع العذاب سمّاها سيئات كقوله تعالى: «وجزآء سيّئة سيّئة مثلها» الشورى: ٤٠).

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

۴۹ ـ (فإذا مسّ الإنسان ضرّدعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما أوتيتُه على علم بل هي فتنة ولكن أكثر النّاس لايعلمون)

في «الإنسان» أقوال: ۱ـ قيل: اريد به الكفّار والمجرمين والفجّار والمنافقين وأمّا الأبرار والمؤمنون فليسوا كذلك. ۲ـ قيل: اريد الجنس بإعتبار بعض أفراد أو غالبها. ۳ـ قيل: اريد به الجنس بأنّ طبيعة كلّ إنسان من المؤمن والكافر، من المخلص والمنافق ومن الذّكر والأنثىٰ... كذلك. ۴ـ قيل: اريد به الجميع ثمّ يخرج المؤمن كقوله تعالى: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر إلاّ الّذين آمنوا...» العصر: ۱-۳) فالإنسان بطبعه كذلك، وأمّا المؤمن فيمنعه الإيمان من ذلك.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه الأوّل والثّاني.

وقوله تعالى: «قال إنّما أوتيته على علم» أقوال: ۱ـ عن قتادة: أي على علم عندي بوجوه المكاسب كما قال قارون : «إنّما أوتيته على علم عندي» القصص: ۷۸) ۲ـ عن قتادة أيضاً ومقاتل: أي على علمٍ من الله بخير عندي. ۳ـ قيل: أي على علم من الله بفضلي. ۴ـ عن الحسن: أي بعلم علّمني الله إيّاه. ۵ـ قيل: أي علمت أنّي إذا اوتيت هذا في الدّنيا أنّ لي عند الله منزلة. ۶ـ قيل: أي لأنّي أستحقّه. والمعنى: على علم منّي بأنّي أعطيته لما فيّ من الفضل والإستحقاق، أو على علم من الله بإستحقاقي، فلذلك أتاني ما أتاني، وقد صار هذا سبباً لهذه المزية ككسب وصنعة ونحو ذلك.

۷ـ عن الحسن أيضاً والجبائي: أي إنّما اوتيته بعلمي وجلدي وحولي وحيلتي وعملي. فيكون هذا إشارة إلى جهله بمواضع المنافع والمضارّ. ۸ـ قيل: أي على علم منّي برضاه تعالى عنّي، فلذلك أعطاني ما أولاني من النّعم. ۹ـ عن مجاهد: أي على شرف أعطانيه ورضاه بعملي. ۱۰ـ عن إبن عبّاس: أي على صلاح منّي. ۱۱ـ قيل: أي على علم من الله بأنّي أهلي. ۱۲ـ قيل: معناه على علم بأن تسببت به للعافية وكشف البليّة، وإنّه لم ينلها من قبل ربّه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين وفي معناه السّابع والثّاني عشر.

وفي قوله عزّوجلّ: «بل هي فتنة» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي بل هي مكر منا لهم. ٢ـ قيل: أي هذه المقالة الّتي قالوها فتنة لهم لأنّهم يعاقبون عليها. ٣ـ عن قتادة: أي هي بليّة واختبار يبتليه الله بها يتميّز بها الشّاكر عن الكافر، فيظهر كيف شكره أو صبره في مقابلتها فتجازيه بحسبها لأنّه وإن كان عالماً بحاله لم يجز أن يجازيه على علمه، وإنّما يجازيه على فعله، فكما يبتلي الله تعالى الإنسان بالشّر يبتلي كذلك بالخير لقوله تعالى: «ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة» الأنبيآء: ٣٥) ٤ـ قيل: أي هذه النّعمة فتنة أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم كما أنّ الإملاء عذاب لهم كقوله تعالى: «ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً» آل عمران: ١٧٨).

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله جلّ وعلا: «ولكن أكثرهم لا يعلمون» أقوال: ١ـ قيل: أي لا يعلمون البلوى من النّعمى. ٢ـ قيل: أي لا يعلمون أنّ النّعم كلّها من الله تعالى وإن حصلت بأسباب من جهة العبد. ٣ـ قيل: أي لا يعلمون أنّ التّخويل إستدراج وإمتحان. ٤ـ قيل: أي لا يعلمون لأيّ سبب اعطوا ذلك، ولذلك يقولون ما يقولون، ويدّعون من الدّعاوي مالا يفقهون. ٥ـ قيل: أي لا يعلمون صحّة ما قلناه من أنّ ذلك محنة وإختبار لقلّة معرفتهم بالله تعالى وصفاته...

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٥٠ ـ (قد قالها الّذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

في قوله تعالى: «قد قالها الّذين من قبلهم» أقوال: ١ـ قيل: أي قد قال قارون: «إنّما اوتيته على علم عندي» وقومه راضون بها، فكأنّهم قالوها. ٢ـ قيل: أي قد قال مثل هذه المقالة الامم الماضية لرسلهم تكذيباً منهم لهم وإستهزآءً بهم. ٣ـ قيل: أي قد ادّعى هذه الدّعوى بأنّ نعمته من علمه لا من فضل الله كلّ متكبّر جبّار من الماضين الّذين سلكوا مسلك قارون. ٤ـ قيل: أي قد قال مثل هذه المقالة الضالّة

الآثمة أقوام كثيرون قبل هؤلآء المشركين قدقالها نمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه: «انا احيي واميت» البقرة:۲۵۸) وقال فرعون: «يا أيّها الملأ ماعلمت لكم من إله غيري» القصص:۳۸) وقال قارون: «إنّما اوتيته على علم عندي» القصص:۷۸).

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين ولكن غيره لا يخلو من وجه فتدبّر جيّداً.

وفي قوله تعالى: «فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» أقوال: ۱ـ قيل: أي فما أغنى عن هؤلآء الخاطئين ما كانوا يكسبون من الأموال والزّخارف والأولاد من عذاب الله شيئاً، فلم يكن ورآء هذا الضّلال في الرّأي إلّا الخيبة والخسران، إذ أهلك الله تعالى هؤلآء الضالّين والمضلّين، وأخذهم البلاء من حيث لا يشعرون فلوكان ما اوتوه على علم منهم، واكتسبوها بحولهم وقوّتهم لأغنى عنهم كسبهم ولم يغن عنهم شيئاً من الهلاك والوبال... ۲ـ قيل: أي فلم يغن عنهم ما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية، ومن الظّلم والجناية...

۳ـ عن إبن عبّاس: أي فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من مقالتهم الخاطئة ولا أعمالهم السيّئة، ولا عبادتهم لغيرالله، ولا ما كانوا يجمعون من الأموال والذّخآئر والأمتعة... ٤ـ قيل: أى فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزآئهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان، فلم تنفعهم خدمتهم آلهتهم، فلم تشفع لهم عند الله حينئذ، ولكنّها أسلمتهم وتبرّأت منهم.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وإن كان الرّابع غير بعيد.

۵۳ـ (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم)

في الآية الكريمة أقوال: ۱ـ عن إبن عبّاس وإبن مسعود وزيد بن أسلم، وقتادة ومجاهد وعطاء بن يسار وإبن زيد والسّدي: اريد بالآية طآئفة من مشركي مكّة فإنّهم لمّا دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ورفض الآلهة الموهومة، وإلى صالح الأعمال... قالوا: كيف نؤمن بالله وقد أشركنا به وزنينا وقتلنا النّفس الّتي حرّم الله تعالى وهو يعد فاعل ذلك النّار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منّا الإيمان، فنزلت

الآية. فلاتعمّ جميع المشركين. ٢ـ قيل: اريد بها المسلمون الّذين صدّهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم، فتركوا دينهم بعذاب عذّبوهم به، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة بعد ذلك فلمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم المدينة أنزل الله فيهم الآية تعدهم بالمغفرة إذا تابوا وأسلموا.

٣ـ قيل: هي للنّاس أجمعين ممّن أسرف على نفسه من أهل الإسلام، وأهل الشّرك إن تابوا إلى الله تعالى من معاصيهم وشركهم وآمنوا بالله تعالى وأخلصوا له الدّين وعملوا صالحاً لأنّ الله عزّوجلّ عمّ بقوله: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم» جميع المسرفين، فلم يخصّص به مسرفاً دون مسرفٍ وأنّ العباد عام، وأنّ الإسراف على النّفس يعمّ الشّرك . وماورد في كلامه جلّ وعزّ من لفظ «عبادي» والمراد به المؤمنون بضعة عشر مورداً جميعها محفوفة بالقرينة، وليس بحيث ينصرف عند الإطلاق إلى المؤمنين، كما أنّ الموارد الّتي أطلق فيها وأريد به الأعمّ من المشركين والمؤمنين في كلامه تعالى كذلك. وأنّ عدم اليأس من الرّحمة يكون مشروطاً بالتّوبة والإيمان، فالمشرك يغفر إذا تاب وآمن بالله تعالى وعمل صالحاً، فلايعاقب على شركه السّابق بعد توبته، وأنّ الله لا يغفر لمشرك إذا مات على شركه.

٤ـ قيل: اريد بالآية الكريمة قوم كانوا يرون أهل الكبآئر والفواحش من أهل النّار، فأعلمهم الله تعالى بذلك أنّه يغفر الذّنوب جميعاً. وذلك أنّ العباد إذا اضيف في عرف القرآن الكريم كان مختصاً بالمؤمنين، فالمغفرة لأهل الكبائر من المؤمنين مشروطة بالتّوبة. فالمعنى: يا عبادي المؤمنون المذنبون الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر لذنوبكم إذا تبتم إلى الله. ٥ـ قيل: اريد بها جميع الكفّار والمشركين في كلّ ظرف، فإنّ الله عزّوجلّ يدعوهم إلى التّوبة والإيمان والتّوحيد وصالح الأعمال، فإذا أنابوا إلى الله تعالى ورفضوا الشّرك وآمنوا بالله تعالى غفرالله تعالى لهم، فإذا كان يغفر الله عزّوجلّ لذنوبهم بالإنابة والإسلام فبا لأولى يغفر لكبآئر المسلمين إذا تابوا.

٦ـ قيل: اريد بها شيعة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّهم إذا ماتوا ولم يتوبوا

على ما أسرفوا أنفسهم من الصّغآئر والكبآئر ارتكبوها عن جهالة يغفر الله تعالى لهم بالشّفاعة.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق، والسّادس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينهما فتأمّل جيّداً فلا تغفل.

٥٤ ـ (وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لاتنصرون)

في قوله تعالى: «من قبل أن يأتيكم العذاب» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بالعذاب عذاب الدّنيا كما كان لِلأمم السّابقة. ٢ـ قيل: أريد به الموت لأنّه أوّل أهوال الآخرة. ٣ـ قيل: اريد به عذاب الآخرة. ٤ـ قيل: اريد به مطلق العذاب الّذي لاتقبل معه التّوبة ومنه عذاب الإستئصال.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

٥٥ ـ (واتّبعوا أحسن ما انزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون)

في قوله تعالى: «أحسن ما انزل إليكم من ربّكم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: من أتى بالمأمور به وترك المنهيّ عنه فقد اتبع الأحسن. وعنه أيضاً: أي اتبعوا القرآن فأحلّوا حلاله وحرّموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه. ٢ـ قيل: ما علّم الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وليس بقرآن فهو حسن، وما أوحي إليه من القرآن فهو الأحسن. ٣ـ قيل: أي أحسن ما انزل إليكم من أخبار الامم الماضية... ٤ـ عن الحسن: هو القرآن وكلّه حسن. والمعنى: إلتزموا طاعته واجتنبوا معصيته. ٥ـ قيل إتّباع الأحسن في العزآئم وهي الواجبات والمحرّمات... ٦ـ قيل: إتباع الأحسن هو اتّباع الأحكام من الحلال والحرام دون القصص... ٧ـ عن السّدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه. ٨ـ عن إبن زيد: اتباع الأحسن يعنى المحكمات وكِلوا علم المتشابهات إلى الله تعالى وإلى الرّاسخين في العلم. ٩ـ عن إبن زيد أيضاً: إنّ الله تعالى أنزل كتباً: التّوراة والإنجيل والزّبور ثمّ أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز فالمقايسة ههنا بين القرآن الكريم وغيره من الكتب السّماوية فأحسنها هو القرآن.

۱۰ـ قيل: أي إتبعوا أحسن وحي. ١١ـ قيل: أي اتبعوا أحسن كتاب وهو القرآن ١٢ـ قيل: أي اتبعوا أحسن الآيات... فالمقايسة بين نفس آيات القرآن.

١٣ـ قيل: أي هذا أحسن لأنّه ناسخ قاضٍ على جميع الكتب، وجميع الكتب منسوخة. ١٤ـ قيل: أي اتبعوا العفو دون الإنتقام بما يحق فيه الإنتقام لأنّ الله تعالى خيّر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بين العفو والقصاص. ١٥ـ قيل: اريد بالأحسن الواجبات والنّوافل الّتي هي الطّاعات واجتناب الحرام والمكروه دون المباحات... ١٦ـ عن الجبائى: أراد بالأحسن النّاسخ دون المنسوخ. قال عليّ بن عيسى: وهذا خطأ لأنّ النّاسخ لا يجوز العمل به، فلا يكون حسناً بل هو قبيح، ولا يكون الحسن أحسن من قبيح. وقد اجيب عن هذا بأنّ المنسوخ يجوز أن يكون حسناً إلّا أنّ العمل بالنّاسخ يكون أصلح وأحسن.

١٧ـ قيل: إنّ المراد من أحسن ما انزِلَ، الخطابات الّتي تشير إلى طريق استعمال حقّ العبوديّة في امتثال الخطابات الإلهيّة الإعتقاديّة والعمليّة، وذلك كالخطابات الدّاعية إلى ذكر الله تعالى بالإستغراق وإلى حبّه وإلى تقواه حقّ تقاته، وإلى إخلاص الدّين له، فإنّ اتباع هِذه الخطابات يحيى الإنسان حياة طيّبة، وينفخ فيه روح الإيمان ويصلح أعماله ويدخله في ولاية الله جلّ وعلا وهي الكرامة ليست فوقها كرامة.

١٨ـ قيل: لما كان الكلام مع المشركين الضّالّين، وكانت الآيات نزلت فيهم، كلها ذمّ ونهي وتهديد، كان أحسنها بالنّسبة إليهم آيات التّوبة والبشارة بقبولها، وإلّا فلا شيء ممّا أنزل الله أحسن من شيء بالنّسبة إليه تعالى. ١٩ـ قيل: أي اتبعوا أحسن ما أنزل الله إليكم من الدّعوة إلى الحقّ والهدى والخير والصّلاح... ٢٠ـ قيل: يصرف تعبير «أحسن» إلى الخير والهدى والحثّ عليهما بالنسبة لما حذر منه القرآن من الشّرّ والآثام وذلك أنّ الله تعالى قد بيّن طريق الخير وحقيقته وأنواعه ودعا إليه، وبيّن طريق الشّرّ وحقيقته وأنواعه وحذر منه، وأحسن ما أنزل هو الأوّل، والنّاس مدعوون إلى أتباعه دون الثّاني وجميع المأمورات الإيمانية والأخلاقية تدخل في شمول

الأوّل.

أقول: إنّ صيغة «أفعل» إذا اضيفت إلى ما بعدها لا تكون للمقايسة والمؤازنة ولا المفاضلة بين الشّيئين، إنّما هي للمقياس والميزان والمعيارلشيء آخر فالمعنى: اتبعوا هذا القرآن الكريم الّذي هو أحسن شيء لايمكن أن يقاس به شيء من الكتُب السّماوية فضلاً عن غيرها من كلام المخلوق، فهو ميزان لِحُسن كلّ شيء حسن، وقد سبق منّا كلام علميّ دقيق لطيف في البحث البيانيّ فراجع ولا تغفل.

٥٦ ـ (أن تقول نفس يا حسرتىٰ على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين)

في «نفس» أقوال: ١ ـ قيل: نكّرت «نفس» لأنّ المراد بها بعض النّفس وهي نفس الكافر. ٢ـ قيل: اريد بها كلّ نفس أنابت إلى الله تعالى وأسلمت ولكنّها ما اتبعت القرآن الكريم وأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٣ـ قيل: جآئت «نفس» نكرة لأنّ المراد بها نوع الأنفس متميّزة بلجاج في الكفر شديد أو بعذاب عظيم. ٤ ـ قيل: إنّ تنكير النّفس لأجل التّكثير كقوله: رُبَّ وَفْدٍ أكرمته.

وقال الأعشى: ورُبّ بقيع لو هتفتُ بجوّه ـ أتاني كريم ينفض الرّاس مُغْضَباً وهو يريد أفواجاً من الكرام ينصرونه لا كريماً واحداً.

اقول: والثّاني هو الأنسب بما ورد في المقام عن أهل بيت النّبوّة عليهم صلوات الله.

وفي قوله تعالى: «يا حسرتىٰ» أقوال: ١ـ قيل: موطن هذا القول حين الموت، إذ يرى المعاندون حينئذ مصيرهم المشئوم الّذين صاروا إليه، فيعرف الضّال والمضلّ والمعاند منهم أنّهم كانوا من أمرهم على ضلال وعناد، وعلى لجاج وفساد... فيقول: «يا حسرتا...» التحسّر: الإغتمام ممّا فات وقته لإنحساره عنه بما لا يمكن استدراكه. ٢ـ قيل: موطنه عالم البرزخ. والمعنى: ياندما لأنّ الحسرة هي النّدامة والمعنى إنّا أنذرناكم العذاب المذكور كراهة أن تقول نفس: ياندما. ٣ـ قيل: موطنه حين ترى النّفس النّافرة عذاب الإستئصال. ٤ ـ قيل: موطنه يوم القيامة عند المواقف للحساب والجزآء. ٥ ـ قيل: موطنه عند دخول النّار.

أقول: والأوّل هو الأنسب بما ورد كالسّابق.

وفي قوله عزّوجلّ: «على مافرّطت في جنب الله» أقوال: ١ـ عن مجاهد والسّدي: أي على ماضيّعت من العمل بما أمرني الله به وقصّرت في الدّنيا في طاعة الله.٢ـ قيل: أي قصّرت في اتباع الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والتّفريط: إهمال ماينبغي أن يقدّم. ومثله التّقصير. وقد أهمل المعاندون في اتباع الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. وقد كان يجب أن يقدّما معاً وكانا إمامين للامّة المسلمة لأنّهما ثقلان تركهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في أمّته صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد أهملوا فيهما جدّاً فانحطّوا ماانحطّوا حتّى اليوم. وجنب الله تعالى مايرجع إلى الله عزّوجلّ ممّا يجب على العبد أن يعامله، ومصداقه الكامل أن يتبع القرآن الكريم والعمل به مع اتباع أهل بيت رسول الله المعصومين عليهم السّلام. فمن اتبع أحد الثّقلين وترك الآخر فهو يقول عند موته: «يا حسرتىٰ على مافرّطت في جنب الله».

٣ـ عن إبن عبّاس وأبي عبيدة: أي على ماضيّعت من ثواب الله. ٤ـ عن مجاهد أيضاً والضّحاك: أي على ماضيّعت من ذكر الله. ٥ـ عن الحسن: أي ضيّعت في طاعة الله. ٦ـ عن سعيد بن جبير: أي في حقّ الله. فالجنب كناية عن حقّ الله تعالى مبالغة! ٧ـ قيل: أي في أمر الله تعالى إلاّ أنّه ذكر الجنب على مجرى العادة في قولهم: هذا الأمر صغير في ذلك الأمر أي في جهته لأنّه إذا عبّر عنه بهذه العبارة دلّ على إختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته. ٨ـ عن الفرّآء: الجنب: القرب أي على مافرّطت في قرب الله وجواره من الجنّة. يقال: فلان يعيش في جنب فلان أي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى: «والصّاحب بالجنب» البقرة:٣٦).

٩ـ عن سعيد بن جبير أيضاً: أي في جانب هدىٰ الله تعالى لأنّ الطّريق متشعّب إلى الهدىٰ والضّلال، فكلّ واحد جانب وجنب. وهذا إخبار عمّا يقوله المعاندون قبل أن يقولوه، وإخبار بعملهم قبل أن يعملوه «ولا ينبّئك مثل خبير» فاطر:١٤).

١٠ـ قيل: أي في سبيل الله أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته بالأوصل إلى

طاعاته ولمّا كان الأمر كلّه يتشعّب إلى طريقين: إحداهما ـ هدى ورشاد والاخرىٰ غيّ وضلال وكلّ واحد منهما مجانب لصاحبه أي هو في جانب والآخر في جانب، وكان الجنب والجانب بمعنى واحد حسنت العبارة ههنا عن سبيل الله بجنب الله على النّحو الّذي ذكر. ١١ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي تركت من طاعة الله. ١٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي فرّطت في ذات الله إذ أشركت بالله سبحانه. ١٣ـ عن الزّجاج: أي فرّطت في الطّريق الّذي هو طريق الله الّذي دعاني إليه، فيكون الجنب بمعنى الجانب أي قصّرت في الجانب الّذي يؤدّي إلى رضا الله تعالى. والعرب تسمّي السّبب والطّريق المؤدّي إلى الشّيء جنباً. تقول: تجرّعت في جنبك غصصاً. أي لأجلك وسببك ولأجل مرضاتك. ١٤ـ عن الضّحّاك: أي على ماضيّعت في القرآن والعمل به.

أقول: والثّاني هو الأنسب بماورد فانتظر وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله جلّ وعلا: «وإن كنت لمن السّاخرين» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدي: أي وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين به في الدّنيا. بأنّه لم يكفه ماضيّع من أمر الله حتّى سخر من المصدّقين به. ٢ـ قيل: أي بدينه وكتابه. ٣ـ قيل: أي باتباع الوحي وأهل بيته عليهم السّلام وبمن كان يقدّمهما على غيرهما. ٤ـ عن إبن عبّاس: أي وقد كنت من المستهزئين بالكتاب والرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ٥ـ قيل: أي من السّاخرين ممّن يدعوني إلى الإيمان. ٦ـ قيل: أي وماكنت إلّا في سخرية ولعب وباطل، فما كان سعيي إلّا في عبادة غير الله وقد كنت أحتسب أنّي على طاعة الله إذ بُصّرتُ فلم أبصر وماستبصرت، وجآءني الهدى فلم أهتد، وقد اهتدى النّاس وضللت، وقد ربح المؤمنون، وقد خسرت...

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد فتدبّر جيّداً.

٥٧ ـ (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن قتادة: هذا قول طائفة اخرىٰ من الكافرين

المذنبين فتقول نفس منهم: لو أنّ الله هداني إلى طريق التّوحيد والإيمان لكنت من المتّقين من الشّرك بالله وعذابه. وهذا قريب من احتجاج المشركين فيما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: «سيقول الّذين أشركوا لوشآء الله ما أشركنا» الأنعام: ١٤٨) وهكذا المهمل الفاشل يلقي التّبعة على الله سبحانه أو الحظّ أو الزّمن أو على النّاس والمجتمع.

٢ـ قيل: هذا مقالة طائفة من الّذين يدّعون الإسلام ويتظاهرون عليه وليسوا بمسلمين، تقول: لو أراد الله هدايتي لكنت ممّن يتّقي معاصيه، ومخالفة أمر الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم خوفاً من عقابه. قيل: هذا القول قول صدق، كلمة حقّ يراد بها باطل كما قال الإمام عليّ عليه السّلام لـمّا قال قائل من الخوارج: «لا حكم إلّا لله» تقول عند ما يبعثون من قبورهم ويساقون إلى مواقف يوم القيامة حيث يأخذون مكاناً ضيّقاً بين الكافرين على حين ترى المؤمنين في سعة في موكب كريم تحفّ به البشريات من كلّ جانب. ٣ـ قيل: تقول نفس مرّة هذا ومرّة هذا فالمقالات الثّلاث من نفس واحدة.

٤ـ عن الجبآئي: هذه مقالة الضّالّين تقول هذا تحيّراً في أمرها وتعلّلاً بما لا يجدي عليها كما حكى الله تعالى عنهم تعلّلهم بإغوآء الرّؤسآء والشّياطين... فهم يضطرّون يوم القيامة إلى العلم بأنّ الله تعالى قد هداهم بطريقي العقل والوحي، وقد ضلّوا بسوء إختيارهم! ٥ـ قيل: معناه: لو أنّ الله هداني إلى النّجاة بأن يردّني إلى حال التّكليف لكنت ممّن يتّقي المعاصي... ٦ـ قيل: هذا مقالة الكافرين الّذين لم يؤمنوا بالله، ومقالة المعاندين الّذين أنابوا وأسلموا ولم يعملوا بما أمروا به وذلك أنّهم لـمّا لم ينظروا في الأدلّة وأعرضوا عن القرآن وعن إتباع أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين واشتغلوا بالدّنيا والأباطيل توهّموا أنّ الله تعالى لم يهدهم، فقالوا: ذلك بالظّنّ. ولهذا ردّ الله عليهم بقوله: «بلى قد جائتك آياتي...».

أقول: والسّادس هو المرويّ من غير تناف بينه وبعض الأقوال الأخر.

٥٨ - (أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّةً فأكون من المحسنين)

إنّ الكلام في هذا القآئل هو الكلام في القآئلين السّابقين هل يكونون طآئفة واحدة أو من أصناف ثلاثة...

٥٩ - (بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: ردّ لأقوالها الثّلاثة على ترتيب الايات الثّلاث المتقدّمة والجمل الثّلاث في هذه الآية الكريمة. ٢- جواب لخصوص قولها الثّاني: «لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين» وقد فصّل بين قولها وجوابه بقوله تعالى: «أو تقول حين ترى العذاب...» وماأجاب إلّا عن قولها: «لو أنّ الله هداني...».

وذلك أنّ الأقوال الثّلاثة المنقولة عن النّفس مرتبة على ترتيب صدورها عن السّاخرين، يوم القيامة، فإذا قامت القيامة ورآى السّاخرون المفرّطون، أنّ اليوم يوم الحساب والجزآء بالأعمال والعقآئد... وقد فرّطوا فيها وفاتهم وقتها تحسّروا على مافرّطوا ونادوا بالحسرة على تفريطهم: «يا حسرتا على مافرّطت» قال عزّوجلّ: «حتّى إذا جآئتهم السّاعة بغتة قالوا يا حسرتنا على مافرّطنا فيها» الأنعام: ٣١).

ثمّ إذا حوسبوا وأمِرَ أصحاب الجنّة بدخولها وقيل: «وامتازوا اليوم أيّها المجرمون» يس: ٥٩) تعلّلوا بقولهم: «لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين».

ثمّ إذا أمروا بدخول النّار فاوقفوا عليها ثمّ أدخِلوا فيها تمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليحسنوا فيها فيسعدوا «أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّةً» قال الله تعالى جلّ وعلا: «ولو ترى إذوُقفوا على النّار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين» الأنعام:٢٧) وقال حاكياً عنهم: «ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون» المؤمنون:١٠٧) ثمّ لمّا نقل الأقوال على ما بينها من التّرتيب أُخذ في الجواب، ولو أُخّر القول المجاب عنه حتّى يتّصل بالجواب أو قدّم الجواب حتّى يتّصل به لاختلّ النّظم. وقد خصّ قولها الثّاني: «لو أنّ الله هداني...» بالجواب، وأمسك عن جواب قولها الأوّل والثّالث لأنّ في الأوّل حديث سخريتهم من الحقّ وأهله، وفي الثّالث تمنّيهم للرّجوع إلى الدّنيا، والله عزّوجلّ يزجرهم يوم القيامة ويمنعهم أن

يكلّموه ولا يجيب عن كلامهم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضآلّين ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلّمون إنّه كان فريق من عبادي يقولون ربّنا آمنّا فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الرّاحمين فاتّخذتموهم سخريّاً حتّى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إنّي جزيتهم اليوم بما صبروا أنّهم هم الفآئزون» المؤمنون:١٠٦-١١١).

٣- قيل: ردّ وجواب لقولها الثّاني والثّالث.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

وإنّ الكلام في موطن الجواب هو الكلام في موطن القول، سبق ذكره فراجع.

وفي قوله تعالى: «آياتي» أقوال: ١- قيل: أي القرآن الكريم. ٢- قيل: اريد بها المعجزات النّبويّة الّتي جرت بيدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لإثبات النّبوّة. ٣- قيل: أريد بها القرآن الكريم وهو المعجزة الخالدة، وماجآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من المعجزات لاثبات رسالته غير القرآن. والمعنى: قدجائتك حججي ودلالاتي فأنفت من إتباعها، واستكبرت عن قبولها، وكنت من الكافرين بها.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، وإن كان غيره لا يخلو من وجه.

٦٠ - (ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين)

في قوله تعالى: «الّذين كذبوا على الله» أقوال: ١- قيل: اريد بالكذب على الله تعالى التّكذيب المشار إليه في قوله عزّوجلّ: «فكذّبت بها» فتكذيب آياته هو الكذب على الله جلّ وعلا. ٢- قيل: الكذب على الله هو إتّخاذ الشّريك لله سبحانه على أنحآء الشّرك، وإتّخاذ الولد، ونسبته إلى العجز عن الإعادة ونسبة القرآن إلى كونه مختلفاً. ٣- قيل: من وصف الله سبحانه بما لا يجوز عليه، وينسب فعل القبآئح إلى الله سبحانه، ويثبت معه قُدَ مآء فقد كذب على الله جلّ وعلا، فأواه جهنّم. ٤- قيل: من قال: هؤلآء الآلهة الموهومة شفعآؤنا عند الله ولو شآء الرّحمن ماعبدناهم، والله أمرنا بهذا فقد كذب على الله تعالى.

٥ـ قيل: اريد بالكذب على الله تعالى كلّ ما لا يكون له دليل من الوحي السّماوي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من الأصول الإعتقاديّة والفروع العمليّة فيشمل المسائل الإجتهاديّة الّتي يختلف فيها الفرق الإسلاميّة... فكلّ حكم لا يبتني على القرآن الكريم وأهل بيت الوحي عليهم السّلام فهو كذب على الله تعالى وأمّا الآرآء المتضاربة لا وزن لها.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام ـ في ذمّ إختلاف العلمآء في الفُتيا ـ: «أفأمرهم الله تعالى بالإختلاف فأطاعوه؟ أم نهاهم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركآء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تبليغه وأدآئه؟ والله سبحانه يقول: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» وقال: «فيه تبيان كلّ شيء».

وفيه: قال الامام علي عليه السّلام: «فياعجباً ومالي لا أعجب من خطاء هذه الفِرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصيٍّ، ولا يؤمنون بغيب ولا يعفّون عن عيب، يعملون في الشّبهات، ويسيرون في الشّهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المبهمات على آرآئهم، كأنّ كلّ إمرئ منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب محكمات».

وفيه: قال الامام علي عليه السّلام: «ويعطف الرّأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرّأي» ٦ ـ قيل: من انتحل بإمامة وليست إمامته من الله فقد كذّب على الله تعالى، من حلّل حراماً أو حرّم حراماً أو ابتدع في الدّين أو تولّى منصباً بلا أهليّة وكفاءة أو أدّعى العلم بدين الله من غير حقّ فقد كذب على الله جلّ وعلا بلا شك، وجهنّم مقامه ومأواه. ٧ـ قيل: أي من قال: إنّ الأشيآء إلينا، فإن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل فقد كذب على الله سبحانه.

أقول: والسّادس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم

أجمعين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل فإنّ المقام مزلّ الأقدام...

وفي قوله تعالى: «وجوههم مسودّة» **أقوال:** ١ـ قيل: اريد بالوجه الصّورة الظّاهرة فتسودّ يوم القيامة. ٢ـ قيل: سواد الوجه يوم القيامة كسآئر أوصاف أهل النّار من زرقة العيون وغيرها... ٣ـ قيل: إنّ المراد بسواد الوجه الخجل وشدّة الحيآء ونحو ذلك. ٤ـ قيل: أريد بسواد الوجه تجسّم الأخلاق الذّميمة الّتي كلّها ظلمات، كما أنّ الأخلاق الفاضلة الّتي كلّها أنوار تتجسّم يوم القيامة، فإنّ يومئذٍ تظهر حقيقة كلّ شيء على المكلّف: «هنالك تبلوا كلّ نفس ما أسلفت» يونس: ٣٠).

٥ـ قيل: سواد الوجوه كناية عن إحاطة غضب الله تعالى ونقمته بهم. ٦ـ قيل: سواد الوجوه ظهور علائم الذّلّة والهوان والحسرة منها، وإحاطة الكآبة والخزي الّذي علاها والغمّ الّذي لحقها.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من غير تناف بينها.

٦١ ـ (وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لايمسّهم السّوء ولا هم يحزنون)

في قوله تعالى: «بمفازتهم» **أقوال:** ١ـ عن إبن عبّاس وإبن زيد: أي بسبب منجاتهم وهو اعمل الصّالح. ويجوز أن يسمّى العمل الصّالح في نفسه مفازة لأنّه سببها من باب إطلاق المسبّب على السّبب. والمعنى: بما يوجب فوزهم و وصولهم إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في الآخرة. ٢ـ قيل: أي بمنجاتهم من النّار. وأصل المفازة المنجاة وهي الغريق المخوف الّذي يجتازه المنتقل من مكان إلى مكان. وبذلك سمّيت المفازة على وجه التّفاؤل بالنّجاة منها كما يسمّى الملدوغ سليماً تفاؤلاً. ٣ـ قيل: أي بسبب فلاحهم في طاعة الله ورضوانه لأنّ الطّاعة سبب الفلاح وهو دخول الجنّة.

٤ـ قيل: أي بالطّرق الّتي تؤدّيهم إلى الفوز والنّجاة. ٥ـ قيل: أى بمكان فوزهم من الجنّة بأن يجعلوا فيه لايمسّهم فيها السّوء ولا هم فيها يحزنون.

٦ـ قيل: قوله تعالى: «لايمسّهم السّوء ولا هم يحزنون» تفسير لـ «بمفازتهم» فكأنّه

قيل: ومامفازتهم؟ فقيل: لايمسّهم السّوء في أبدانهم، ولا يتألّمون قلباً على مافات.

۷ـ قيل: المفازة هـهنا البريـة أي بما سلكوا مـفازة الطّاعات الشّاقّـة... والمعنى: وينـجي الله الّـذين اتّقـوا الله وهم مـتلبّسون بهذه المـفازة، سآئـرون في هذا الطّـريق المحفوف بالمخاطر لايمسّهم السّوء حيث تحرسهم عناية الله وتحفّ بهم ألطافه... فاليآء للملابسة.

۸ـ عن السّـدي: أي بـفضآئـلـهـم... ۹ـ قـيل: أي ويـنـجـى الله الّـذيـن اتّـقوا لايمسّهم السّوء وهم بمفازتهم الّتي يجتازونها إلى موقف الحساب والجزآء. فالمفازة بمنزلة السّعادة والنّجاة كقوله تعالى: «فلاتحسبنّهم بمفازة من العذاب» آل عـمـران: ۱۸۸).

۱۰ ـ قيـل: أي بمنجاتهم من النّار بطاعاتهم الّتي أطاعـوا الله بها. ۱۱ـ قيل: أي بما فازوا به من رضاء الله بسبب تقواهم. ۱۲ـ قيـل: إنّ الفوز هو الظّفـر بالمراد فالفـوز الّذي قضى الله تعالى للمتّقين يوم القيامة هو سبب لنجاتهم من أهوال القيامة وعذابها.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر.

۶۲ ـ (الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل)

وفي قوله تعالى: «وهوعلى كلّ شيء وكيل» أقوال: ۱ـ قيل: إنّ الجملة تشير إلى أنّ كلّ شيء حدوثاً وبقآءً محتاج إلى الله جلّ وعلا. ۲ـ قيل: إنّها تشير إلى تفرّده تعالى على الرّبوبيّة، وإلى كون التّدبير مستنداً إليه تعالى إذ كان كلّ شيء من الأشيآء لايملك لنفسه شيـئاً، كان الله عزّوجلّ وكـيلاً عليه، قآئماً مقامه، مدبّراً لأمره وإنّ الأسباب والمسبّبات في ذلك سوآء، فالله تعالى هو وحده ربّ كلّ شيء، وإنّ إنتهآء خلق كلّ شيء و وجـوده إليه يقتضـي أن يـكـون جلّ وعلا هو المالـك لكلّ شيء، فلايملك شيء من الأشيآء لانفسه ولا شيـئاً ممّا يترشّح من نفسه إلّا بتمليك من الله تعالى، فكلّ شيء لفقره مطلقاً لايملك تدبيراً، والله تعالى وحده هو المالك لتدبيره.

وأمّا تمليـكه جلّ وعلا له نـفسه وعمله فـهو أيضاً نوع من تـدبيره عزّوجلّ مـؤكّد لملكه، غير ناف له ولا منـاف، حتّى أنّ توكيله المـلائـكة على شيء من الأمر من شئون وكالته سبحانه عليهم لاتفويض للأمر ولا إبطال للوكالة.

٣ـ قيل: إنّها تشير إلى أنّ الله تعالى هو الغنيّ المطلق، وأنّ المنافع والمضارّ راجعة إلى العباد.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من غير تناف بينها على سبيل التّلازم فتدبّر جيّداً.

٦٣ ـ (له مقاليد السّموات والأرض والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون)

في قوله تعالى: «له مقاليد السّموات والأرض» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والحسن وإبن زيد ومجاهد وقتادة: أي لِلّه مفاتيح السّموات والأرض بالرّزق والرّحمة كقوله تعالى: «وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلّا هو» الأنعام: ٥٩) ٢ـ عن السّدي والضّحّاك: أى له خزآئن السّموات والأرض يفتح الرّزق لمن يشآء، ويغلقه على من يشآء. وعن إبن عبّاس أيضاً: خزآئن السّموات هي المطر، وخزائن الأرض هي النّبات. وقيل: المطرو النّبات وغيرهما... ٣ـ قيل: المقاليد هي الطّاعة. يقال ألقى إلى فلان بالمقاليد أي أطاعه فيما يأمره به. فالمعنى: لله عزّوجلّ طاعة من في السّموات ومن في الأرض. ٤ـ قيل: أي هو تعالى مالك أمرهما وحافظهما، وهو من باب الكناية لأنّ حافظ الخزآئن هو الّذي يملك مقاليدها، فبيده خزآئن الكون ومفاتيحها.

فلك مفاتيحها كناية عن ملك خزائنها الّتي منها وجودات الأشيآء وأرزاقها وأعمارها وآجالها، وسآئر مايواجهها في مسيرها من حين تبتدئ منه جلّ وعلا إلى حين ترجع إليه.

٥ـ قيل: أي مفاتيح خيرات السّموات والأرض. ٦ـ قيل: أي بيده مفاتيح خزائن اللّطف والقهر، فيفتح على مَن يشآء أبواب خزآئن لطفه في قلبه، فتخرج ينابيع الحكمة وجواهر الأخلاق الحسنة وللآخر بالضّد. ٧ـ قيل: أي أزمّتها الّتي تقاد منها كما يقاد الحيوان من عنقه، وهو موضع القلادة، وهذا تشبيه وتمثيل يراد به خضوع السّموات والأرض لله وانقيادهما لقدرته. ٨ـ قيل: أي لايملك أمرهما ولايتمكّن من التّصرّف فيهما غيره وهو كناية عن قدرته تعالى وحفظه لهما. فالمقاليد هنا بمعنى امور وشئون وحكم... فالله جلّ وعلا هو حافظ الخزائن ومدبّرها ومالك

مفاتيحها، فله التّصرّف في كلّ شيء مخزون فيها، وهو القادر عليها والحافظ لها.

أقول: وعلى الثّامن أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

٦٥ ـ (ولقد اوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

في قوله تعالى: «ولقد اوحي إليك وإلى الّذين من قبلك» أقوال: ١ـ عن مقاتل: أي اوحي إليك وإلى الأنبيآء قبلك بالتّوحيد. ٢ـ قيل: هو على بابه. والمعنى: ولقد اوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك، وكذلك اوحي إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك. ٣ـ قيل: إنّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، تقديره: لقد اوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك، اوحي إلى الّذين من قبلك لئن أشركوا ليحبطنّ عملهم.

أقول: والثّاني هو المستفاد من الرّوايات الواردة في المقام فانتظر.

في قوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» أقوال: ١ـ قيل: هذا خطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم خاصّة. بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إن أشرك أحد بولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم ليحبطنّ أمر رسالته مدّة ثلاث وعشرين سنة لقوله تعالى: «يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٦٧).

٢ـ قيل: هو خطاب له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكنّ المراد به امتّه صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّ الله تعالى علم أنّه لا يشرك ولا يقع منه صلى الله عليه وآله وسلّم إشراك بالله سبحانه. قال إبن عبّاس: هذا أدب عن الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وتهديد لغيره لأنّ الله عزّوجلّ قد عصمه من الشّرك ومداهنة الكفّار كقوله تعالى: «ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً» الاسراء: ٧٤) عنى به غيره. فالآية الكريمة وأمثالها من باب «إيّاك أعني واسمعي يا جاره» خوطب به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد به أمّته صلّى الله عليه وآله وسلّم فالنّهي صوريّ.

٣ـ قيل: إنّ هذا الكلام أتى على سبيل الفرض والتّقدير، فإنّ رسل الله منزّهون

عن الشّرك بالله سبحانه، وإنّ المحال يصحّ فرضه لغرض، فكيف مادونه. والمعنى: ولقد أوحي إليك لئن أشركت بالله شيئاً ليبطلنّ عملك، ولاتنال به ثواباً، ولا تدرك به جزآء إلّا جزآء من أشرك بالله، وقد أوحي إلى كلّ نبيّ من الأنبيآء قبلك لئن أشركت بالله ليبطلنّ عملك فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك. وهذا من المؤخّر الّذي معناه التّقديم.

٤ ـ قيل: هذا تشنيع على الشّرك، وعلى يحيق مابالمشركين من غضب الله ونقمته، وأنّه أمر إن وقع فيه أحد فلاشفاعة له عند الله ـ حتّى ولو فرض وهو مستحيل ـ إن كان الّذي يشرك بالله من أقرب المقرّبين إلى الله، وهم أنبيآء الله أو كان من أكرم خلق الله عند الله تعالى وهو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فكيف بغيره؟ ٥ ـ قيل: إنّ الخطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وسآئر الأنبيآء عليهم صلوات الله بالنّهي عن الشّرك بالله وإنذارهم بحبط العمل، والدّخول في زمرة الخاسرين خطاب وإنذار على حقيقة معناهما، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مأمور كسآئر النّاس بالإيمان بما يدعو المشركين إلى الإيمان به، مكلّف بما يكلّفهم، ولا يسعه أن يجيبهم إلى مايقترحون به عليه من عبادة آلهتهم... وأمّا كون الأنبيآء عليهم السّلام معصومين بعصمة إلهيّة يمتنع معها صدور المعصية عنهم، فلايوجب ذلك سقوط التّكليف عنهم وعدم صحّة توجّهه إليهم، ولو كان كذلك لم تتصوّر في حقّهم معصية كسآئر من لاتكليف عليه فلم يكن معنى لعصمتهم.

على أنّ العصمة ـ وهي قوّة يمتنع معها صدور المعصية ـ من شئون مقام العلم ـ لا تنافي ثبوت الإختيار الّذي هو من شئون مقام العمل، وصحّة صدور الفعل والتّرك عن الجوارح، فمنع العلم القطعيّ بمفسدة شيء منعاً قطعيّاً عن صدوره عن العالم به كمنع العلم بأثر السّمّ عن شربه لا ينافي كون العالم بذلك مختاراً في فعله لصحّة صدوره ولا صدوره عن جوارحه فالعصمة لاتنافي بوجه التّكليف.

اقول: والأوّل والثّاني هما مرويّان من دون تنافٍ بينهما فتأمّل جيّداً واغتنم فلاتغفل فإنّ المقام مزلّ الأقدام... عصمنا الله بعصمة محمّد وأهل بيته المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين.

٦٦ ـ (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي فوحّد وكن من الشّاكرين بما أنعم الله عليك من النّبوّة والكتاب والإسلام، ومن الهداية لعبادته والبرآءة من عبادة الأصنام، ورفض الأوثان، وبما اختصّك به من الرّسالة والدّعآء إلى دينه.

٢ـقيل: أي أيّها الإنسان فاعبد الله وحده وكن من الشّاكرين لنعمه المادّيّة والمعنويّة، والدّنيويّة والاخرويّة عليك ولا تكن من الكافرين لنعمه عليك. فالخطاب وإن كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ظاهراً ولكن المراد به النّاس كلّهم لأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إليهم جميعاً. وقيل: اريد به امّته.

٣ـ قيل: أي بل الله فأطع أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما أمرتك من تبليغ الولاية، وكن من الشّاكرين لنعمه عليك إذ عضدتك بأخيك وإبن عمّك عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

٤ـ عن الزّجّاج: أي قد تبينت فاعبد الله. فالفآء للمجازاة. وقيل: تقديره: لاتعبد ما امروك به من عبادة آلهتهم إن كنت قد تثبّت فاعبد الله. وقيل: تقديره: بل إن كنت عابداً أو عاقلاً فاعبد الله. فحذف الشّرط وجعل تقديم المفعول عوضاً عنه. ٥ـ قيل: أي ردّ أيّها الرّسول صلى الله عليه وآله وسلّم لما أمروه به من استسلام بعض آلهتهم، وكن من الشاكرين إنعامه عليك. والمعنى: فلاتعبد غير الله بل الله وحده فاعبد. ٦ـ قيل: أي وجّه عبادتك إلى الله تعالى وحده دون الأصنام، وكن من الشاكرين الّذين يشكرون الله على نعمه، ويخلصون له العبادة.

اقول: والثّاني والثّالث هما المرويّان من دون تناف بينهما فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٦٧ ـ (وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون)

في قوله تعالى: «وما قدروا الله حقّ قدره» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والسّدي والمبرّد والحسن: أي وماعظم الله حقّ عظمته هؤلآء المشركون بالله الّذين يأمرونك

إلى عبادة آلهتهم المزعومة، فمن لم يؤمن بقدرة الله عليه فما عظّمه حقّ عظمته، فيدعوا غيره إلى عبادة المخلوق والمصنوع والمنحوت والموهوم... ٢ـ عن الحسن أيضاً: أي وماعظموه حقّ عظمته إذ عبدوه معه غيره وهو خالق الأشيآء ومالكها. وقال المبرّد: أصله من قولك: فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته، والقدر إختصاص الشّيء بعظم أو صغر أو مساواة. فلمّا كان العظيم من الأشيآء إذا عرفه الإنسان حقّ معرفته، وقدّر في نفسه حقّ تقديره عظّمه كنه تعظيمه. فالمعنى: وماقدّروا عظمته في أنفسهم حقّ تعظيمه إذ جعلوا لله سبحانه شريكاً يعبدونه، ووصفوه بما لا يليق به.

٣ـ قيل: أي ماعرفوه حقّ معرفته، بل ولم يعرفوا بعض كمالاته وصفاته إذ قالوا: «يدالله مغلولة» المآئدة: ٦٤) وقالوا: «إنّ لله فقير ونحن أغنيآء» آل عمران: ١٨١) فهو محتاج يطلب منّا القرض. ٤ـ قيل: أي وما وصفوا الله حقّ وصفه إذ جحدوا البعث والحساب والجزآء، فوصفوه بأنّه خلق الخلق عبثاً وأنّه عاجز عن الإعادة والبعث، حالكون الأرض في قبضته يوم القيامة، فأنّى لهم مهرب من حسابه وعقابه؟!

فقوله تعالى: «وماقدروا الله حقّ قدره» تمثيل اريد به عدم معرفتهم بالله تعالى واجب المعرفة إذ لم يعرفوه من حيث المعاد ورجوع الأشيآء إليه كما يدلّ عليه تعقيب الجملة بقوله: «والأرض جميعاً يوم القيامة» إلى آخر السّورة حيث ذكر فيه انقطاع كلّ سبب دونه يوم القيامه، وقبضه الأرض وطيّه السّموات ونفخ الصّور لإماتة الكلّ، ثمّ لإحيآئهم وإشراق الأرض بنور ربّها، ووضع الكتاب، والجيئ بالنّبيّين والشّهدآء والقضآء وتوفية كلّ نفس ماعملت وسوق المجرمين إلى النّار والمتّقين إلى الجنّة، فمن كان شأنه في الملك والتّصرّف هذا الشّأن وعرف بذلك أوجبت هذه المعرفة الإقبال إليه بعبادته وحده والإعراض عن غيره بالكلّيّة، لكنّ المشركين لمّا لم يؤمنوا بالمعاد والحساب والجزآء ولم يقدروه حقّ قدره ولم يعرفوه واجب معرفته أعرضوا عن عبادته إلى عبادة مَن سواه.

٥ـ قيل: أي ماأطاعوه وماشكروه كما يجب، ولانزّهوه عمّالا يليق، إذ صوّره بعضهم في صورة الملائكة، وبعضهم في شكل إنسان، وبعضهم في هيئة كوكب...

وما إليها من الأشكال والصور والخرافات... ٦ـ عن محمّد بن كعب القرظي: أي ماعلموا كيف حقّ الله عليهم من المكانة والمنزلة والشأن... وذلك أنّ قدر الشيء هو مقداره وكميّته من حجم أو عدد أو وزن وما إليها... ثمّ استعير للمعنويّات من المكانة ومن المنزلة والشأن...

اقول: والأوّل هو المرويّ وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتدبّر جيّداً.

وفي قوله عزّوجلّ: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس ومجاهد والحسن وقتادة والضّحاك: أي ليست الأرضون السّبع، ولا السّموات السّبع في يدالله إلاّ كخردلة في يد أحدكم أو كأنّها جوزة بقضها وقضيضها. ويستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنّما الأرض والسّموات كلّها بيمينه وليس في شماله شيء.

قيل: إنّ المراد بالأرض: الأرضون السّبع لوجهين: **الأوّل:** لقوله تعالى: «جميعاً» فإنّه يجعله في معنى الجمع كقوله تعالى: «كلّ الطّعام» آل عمران: ٩٣) وقوله: «والنّخل باسقات» ق: ١٠) **والثّاني:** لقوله تعالى: «والسّموات».

إن تسئل: ومن البديهيّ أنّ كلّ ما هو ذو أجزآء حِسّاً أو حكماً فإنّه يصحّ تأكيده بالجميع وأما عطف «السّموات» على «الأرض» فكثير في القرآن الكريم فلا وجه للوجهين؟

نجيب عنه: إنّ المقام مقام تعظيم، وموضع تفخيم، وهو مقتضي للمبالغة وليس ببعيد. وإنّ القبضة ـ بالفتح ـ: المرّة من القبض. والمعنى: الأرضون جميعاً مع عظمهنّ لايبلغن إلاّ قبضة واحدة من قبضاته، فهنّ ذوات قبضته. فالأرض كلّها تحت قدرته تعالى وملكه يوم القيامة يتصرّف فيها كيف يشآء، ولا يتصرّف فيها غيره والسّموات مطويات في السّجلّ للكتب بقدرته الّتي لايتعاصي معها شيء، وفي هذا رمز إلى أنّ مايشركونه معه في الأرض أو في السّمآء مقهور تحت سلطانه وقدرته. ومنه يقال: هذا في قبضتي أي هان عليّ التّصرّف فيه.

٢ـ قيل: أي بل السّموات في يمينه والأرضون في شماله. ٣ـ قيل: أريد بهذا

الكلام التّنبيه على عظمته على سبيل التّجييل والتّصوير لعظمته تعالى والتّوقيف على كنه جلاله من دون ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة حقيقةً أو إلى جهة مجازاً لأنّ لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح، وقد قامت الدّلائل العقلية القاطعة والبراهين النّقليّة الواضحة على امتناع الأعضآء والجوارح لله سبحانه، فالمراد بذلك كون السّموات والأرض تحت تدبيره تعالى وتسخيره كما يقال: فلان في قبضة فلان وقال تعالى: «وملكت أيمانكم» والنّسآء: ٣٦) يريد به الملك. ويقال: هذه الدّار في يد فلان وبيمينه، وفلان صاحب اليد. واليمين في كلام العرب قدتكون بمعنى القدرة والملك كقوله تعالى: «لأخذنامنه باليمين» الحاقة: ٤٥) أي بالقوّة والقدرة والمعنى: لأخذ ناقوّته وقدرته.

قال الفرّاء والمبرّد: اليمين:القدرة والقوّة، والقبضة في الأصل: ماقبضت عليه بجميع كفّك. وقد أخبر الله عزّوجلّ عن كمال قدرته، فذكر أنّ الأرض كلّها مع عظمها في مقدوره كالشّيئ الّذي يقبض عليه القابض بكفّه، فيكون في قبضته، وهذا تفهيم لنا على عادة التّخاطب فيما بيننا إذ نقول: هذا في قبضة فلان، وفي يد فلان إذا هان عليه التّصرّف فيه، وإن لم يقبض عليه، وكذا قوله تعالى: «والسّموات مطويات بيمينه» أي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منّا الشّيء المدور له طيّه بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الإقتدار والتّحقيق للملك كقوله تعالى: «أو ماملكت أيمانكم» أي ما كان تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختصّ باليمين دون الشّمال وسآئر الجسد.

فالمعنى: حالكون الأرضين مجتمعات مع عظمتهنّ لا يبلغن إلّا قبضة واحدة من قبضاته يوم القيامة، كأنّها يقبضها قبضة بكفّ واحد والسّموات مطويات بقدرته. فالغرض هو التّنبيه على عظمته وكمال قدرته، وعلى حقارة كلّ شيء عظيم، وفعل كبير بالنّسبة إلى قدرته، والدّلالة على أنّ تخريب العالم أهون شيء عليه، سبحانه وتعالى عمّا يشركون، ما أبعد وما أعلى مَن هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم.

٤ـ قيل: اريد بهذا الكلام تصرّفه تعالى يوم القيامة في الأرض بتبديلها بغيرها

لقوله عزّوجلّ: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض» إبراهيم:٤٨) وقوله سبحانه: «والسّموات مطويات بيمينه» كقوله تعالى: «يوم نطوى السّمآء كطيّ السّجل لِلكتُب» الأنبيآء:١٠٤) ٥ـ قيل: إنّ كلتي يدي الله سبحانه يمين، ومعنى مطويات، كونها مستولى عليها إستيلاءك على الشّيء المطويّ بيدك. ٦ـ قيل: معنى مطويات: كونها مستولي عليها بيمينه أي بقسمه لأنّ الله تعالى حلف أن يطويها ويفنيها في الآخرة كما يطوى الواحد منّا الشّيء المقدر له فيه بيمينه. في الآية الكريمة إشارة إلى كمال إستغنآئه، وأنّه إذا حال تخريب الأرض والسّموات وتبديلها، وذلك يوم القيامة سهل عليه تعالى كلّ السّهولة، ولذلك نزّه نفسه عن الشّركآء بقوله تعالى: «سبحانه وتعالى عمّا يشركون».

٧ـ قيل: إنّ قبض الله الأرض كناية عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: مافلان إلّا في قبضتي أي مافلان إلّا في قدرتي، والنّاس يقولون: الأشيآء في قبضته يريدون في ملكه وقدرته. ٨ـ قيل: أي والأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة، فإنّ القبض والطّيّ بمعنى إفنآء الشّيء وإذهابه. ويقال: قد انطوى عنّا ماكنّا فيه وجآءنا غيره وانطوى عنّادهر: مضى وذهب. فمعنى: «مطويات بيمينه» منفيّات بقسمه. ٩ـ قيل: أي محفوظات مصونات بقدرته وقوّته، واليمين: القدرة والقوّة كما في قول الشّاعر:

إذا ما راية رُفِعَتْ لمجد تلقّاها عرابة باليمين

١٠ـ قيل: قبضته ملكه بلامنازع، وبيمينه بقدرته. ١١ـ قيل: إنّ المقصود من هذا هو مجرّد تعظيم الذّات القدسيّة وصفاتها، وأنّها فوق التصوّر والأوهام، وأنّها لاتعرف إلّا بالآثار البارزة للعيان... ١٢ـ قيل: طيّ السّمآء بيمينه هو إستجابتها لقدرته، وخضوعها لسلطانه يطويها وينشرها كما شآء. ١٣ـ قيل: إنّ الله تعالى يقبض الأرض يوم القيامة بعد أن بسطها في الدّنيا إذ قال: «ألم نجعل الأرض مهاداً» النّبأ:٦) وقال: «والأرض بعد ذلك دحاها» النّازعات:٣٠).

أقول: والأوّل هو المستفاد من الرّوايات الواردة في المقام فانتظر.

٦٨ ـ (ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومَن في الأرض إلّا مَن شآء الله ثمّ نفخ فيه اخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون)

في قوله تعالى: «ونفخ في الصّور» أقوال: ١ـ عن عبدالله بن مسعود: الصّور كهيئة قرن ينفخ فيه إسرافيل. قيل: إنّ وجه الحكمة في ذلك أنّ النّفخة هي علامة جعلها الله تعالى ليعلم بها العقلآء آخر أمرهم في دار التّكليف، ثمّ تجديد الخلق، فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرّحيل والنّزول الّذي ينفخ فيه، أو كنذير بإعلان حرب أو وقوع غارة وما إليها... وأصل الصّور من الصّوار وهو قرن الحيوان، وقد كان البوق يتّخذ عادة من قرن ثور أو وَعَل أو نحوهما... والصّوار أعلى الشّيء. ولا تتصوّره النّفوس بأحسن من هذه الطّريقة. وإنّ النّفخ في الصّور من قِبَل الله عزّوجلّ هو الأمر الّذي يصدر منه تعالى إلى مايشآء من عالم الخلق، فيستجيب له من وقع عليه الأمر بلاتردد ولا مَهَلٍ، ولهذا شبّه الأمر بالنّفخ في الصّور، حيث يفزع كلّ من سمع النّفخة، فيخفّ مسرعاً، متخلّياً عن كلّ شيء، ليتوقى هذا الخطر الدّاهم...

٢ـ عن قتادة: الصّور جمع صورة فكأنّه نفخ في صورة الخلق. والنّافخ هو إسرافيل ومَن يكون معه جبرئيل. ٣ـ قيل: النّفخة الأولىٰ كناية عن سبب الموت الشّامل لكلّ مخلوق حيّ، والنّفخة الثّانية كناية عن قيام القيامة حيث يحيىٔ سبحانه الأموات وهي رميم، فتنظر زلزال هذا اليوم وأهواله... وعن عكرمة: النّفخة الأولىٰ من الدّنيا، والأخيرة من الآخرة. ٤ـ قيل: هناك ثلاث نفخات: الاولى للفزع لقوله تعالى: «ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّموات ومن في الأرض» النمل:٨٧) والثّانية للموت وهو معنى الصّعقة والثّالثة للإعادة. قيل: إنّ الفزع يتقدّم الصّعق، ولا يلزم منه إثبات نفختين. وقيل: إنّ النّفخات ثلاث: نفخة للفزع والصّعق، ونفخة للإماتة، ونفخة للإحيآء والبعث.

أقول: والأوّل هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي مابين النّفختين أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس والحسن وقتادة والسّدي: إنّ

مـا بيـنهما أربـعون سنة تـمطـر السّـمآء مطراً يقال له: مطـر الحـيـاة كنطف الرّجال، فبالنّفخة الاولى يميت الله تعالى بها كلّ حيّ، وبـالثّانية يحيي الله بها كلّ ميّت.
۲ـقيل: إنّ الله عزّوجلّ يفنى الأجسام كلّها بـعد الصّعق وموت الخلق ثمّ يعيـدها من دون أن يـعلم غيره تعـالى مـا بينهما من الزّمن. ۳ـ قيـل: إنّ مـا بينهما أربعون يـومـاً.
٤ـقيل: أربعون شهراً. ٥ـقيل: أربعمأة سنة.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أهل بيت الوحي عليهم صلوات الله.

وفي قـولـه تـعـالى: «فصعق مـن في السّـمـوات ومـن في الأرض» أقوال: ۱ـ قيل: الصعقة بزوال العقـل دون زوال الحياة، كما أنّ الإفاقة تكون عـن غشية وزوال عقل لاعـن موت بردّ الحـياة. ۲ـ عن السّـدى: الصّعقة تـكون بالموت. والمعنى: فمات من شـدّة تلك الصّـيحـة الّتي تخرج مـن الصّور جميع مَن في السّمـوات والأرض ومـنه الصّواعـق الّتي تـأتي عنـد شـدّة الـرّعد، وصعـق فلان إذا مات بحـ ل هـائلة شـبيهة بالصّيـحـة الشّـديدة. وإنّ الصّعـق: حـال مـن الفزع تـعـترى الكائن الحـيّ، فـتشلّ حركته، وتهدّ كيانـه، أشبه بما يكون من صـعقة الصّاعقة ومسّة الـكهربآء في النّفخة الأولـىٰ يموت كـلّ من في السّـموات والأرض مـن عـالم الأحـيآء... ۳ـ قـيل: أي بالصّعقة تكون الموت والحياة.

أقول: والثّاني هو المروي.

وفي قوله تعالى: «إلّا من شآء الله» أقـوال: ۱ـ عـن سعيد بن جبير وإبـن عـبّاس وعطاء: هم الشّهدآء الّذين قتلوا في سبيل الله، وهم متقلّدون أسيافهم حول العرش.
۲ـ عـن السّدي: هـم الملائـكـة الأربعـة وهم سـادة الملائكـة: جبـرئيل ومـيكـائيل وإسرافيل وعـزرائـيل ملك الموت، فـإنّهم لايموتون بـالنّفخة الأولـىٰ ولكن يموتون بـعد ذلك. ۳ـ قيل: هم بعض الملائكة كجبرئيل. ٤ـ قيـل: هم الملائكة الأربعة وحملة العرش ونحوهم. ٥ـ قيل: هم عقارب أهل النّار وحياتهم.
٦ـ عن الضّحّاك: هم رضوان الحور ومالك والزّبانـية. ۷ـ عن الحسن: هو الله الواحد القهّار، فإنّ الله تعالى لايدع أحداً من أهل السّمآء والأرض إلّا أذاقه الموت،

فأريد بمن شآء الله هو الله تعالى.

٨ـ عن قتادة: أي مايبقى أحد إلّا مات وقداستثنى والله أعلم بثنياه. ٩ـ قيل: إنّ الإستثنآء راجع إلى مَن مات قبل النّفخة الاولىٰ أي فيموت مَن في السّموات والأرض إلّا مَن سبق موته لأنّهم كانوا قد ماتوا. ١٠ـ قيل: هم موسى بن عمران عليه السّلام والشّهدآء فهؤلآء قد ماتوا غير أنّهم أحيآء عند الله. ١١ـ عن إبن عبّاس أيضاً: هم أهل الجنّة والنّار. ١٢ـ قيل: هم الحور والولدان وغيرهما. ١٣ـ قيل: هو إستثنآء لمن لايقع عليهم هذا الصّعقة أي الّذين لايقضي بموتهم فيها أو الّذين لاتمسّهم زلزلة منها. وذلك أنّ لله عزّوجلّ خلقاً ورآء السّموات والأرض، فجاز إستثنآؤهم من أهلها استثنآء منقطعاً. ١٤ـ قيل: إنّ الموت يلحق الأجساد بانقطاع تعلّق الأرواح بها، وأمّا الأرواح فإنّها لاتموت فالأرواح هم المستثنون استثنآء متّصلاً.

إن تسئل: هل يكون العالم العلوي مشتركاً مع العالم الإنساني في هذا الّذي يجرى على النّاس من موت وبعث وحساب وجزآء؟ وإذا لم يكن مشتركاً مع العالم البشري فكيف يصعق مَن في السّموات؟ وماتأويل قوله تعالى: «فصعق من في السّموات ومن في الأرض؟».

تجيب عنه: إنّ القيامة وأهوالها، وما فيها من حساب وجنّة ونار هي ممّا يقع على أبنآء آدم وحدهم على تلك الصّورة الّتي جآءت بها الكتب السّماوية، وأنذر بها رسل الله أقوامهم الّذين ارسلوا إليهم... وقد تكون هناك أحوال للعوالم الاخرىٰ ولكن ليس من شأننا أن نبحث عنها أو نشغل بها، إذ كان لايعنينا من أمرها شيء، سوآء أوَقَعَتْ ألم تقع، وسوآء أوَقَعَتْ على تلك الصّورة أم غيرها وإذن، فإنّ كلّ ماتحدث به القرآن الكريم ممّا يتّصل بالموت والبعث والحساب والجزآء هو ممّا يتّصل بعالمنا نحن، لايتجاوزه إلى العوالم الأُخرىٰ... وعلى هذا يكون قوله تعالى: «ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا مَن شآء الله» مقصوراً في أبنآء آدم، ومايتّصل بهم في عالمهم الأرضيّ...

وقد تحدث القرآن الكريم عن أنّ لأبنآء آدم صلة بالسّمآء، وأنّ النّفس الإنسانية هي من العالم العلويّ، وأنّها حين تفارق الجسد لاتموت بموته، بل تلحق بعالمها العلوي، وتاخذ مكانها فيه... فالموتى من بني آدم إذ تكون أجسامهم في عالم التّراب، تكون نفوسهم في السّمآء أو العالم العلوي... وإنّه حين ينفخ في الصّور نفخة الموت العالم لأبنآء آدم، يفزع ويصعق مَن في السّموات ومن في الأرض، أمّا من في السّموات فهم النّاس في أرواحهم ونفوسهم تلك الّتي سبقت إلى العالم العلوى وأمّا مَن في الأرض، فهم الّذين كانوا لايزالون في عالم الأحيآء لم يموتوا بعد، فتدركهم النّفخة، فيصعقون ويموتون، وأمّا الصّعقة الّتي تقع على الأرواح والنّفوس فهي صعقة فزع وخوف من لِقآء هذا الوعد يوم الحساب والجزآء الّذي كانت هذه الصّعقة إرهاصاً بقرب موعده.

ويكون قوله تعالى: «إلّا مَن شاء الله» إستثنآء واقعاً على نفوس الأخيار المصطفين من عباد الله عزّوجلّ وأوّلهم رسله وأنبيآؤه وأوليآؤه حيث لايمسّهم السّوء ولا هم يحزنون.

أقول: والسّابع هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، من دون تنافٍ بينه وبين أمن نفوس الأخيار والمقرّبين من فزع يومئذ، فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «فإذاهم قيام ينظرون» أقوال: ١ـ قيل: أي يقلّبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا عراه وفاجأه خطب، فينظرون حين يبعثون. ٢ـ قيل: أي ينتظرون مايفعل بهم. فالنّظر ههنا بمعنى الإنتظار. ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجهود في مكان لتحيّرهم. ٣ـ قيل: أي فإذاً الأموات من أهل السّمآء والأرض أحيآء بُعِثوا من قبورهم وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون مايؤمرون. وقيل: أي ينتظرون مايؤمرون به. ٤ـ قيل: أي قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الّذي وعدوابه. ٥ـ عن إبن عبّاس: أي ينظرون مايقال لهم حين يقومون من قبورهم.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون خلافٍ بينها فالتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٦٩ ـ (وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيّين والشّهداء وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون)

في قوله تعالى: «وأشرقت الأرض بنور ربّها» أقوال: ١ـ عن السّدي وقتادة والحسن: أي وأضآئت الأرض بعدل ربّها. يقال: أشرقت الشّمس إذا صفت وأضآئت، وشرقت إذا طلعت. والمعنى: أنارت الأرض وأضآئت يوم القيامة بعدل الله تعالى وقضآئه بالحقّ بين عباده. والظّلم ظلمات والعدل نور، وقد إستعار تعالى النّور للحقّ والقرآن والبرهان والإيمان... في مواضع من كتابه المجيد وهذا من ذلك بعناية أنّ كلاً منها يظهر للمتلبّس به ما خفي عليه لولاه.

فتشرق أرض المحشر بما يقيمه فيها من الحقّ والعدل لأنّ نور الأرض بالعدل كما أنّ نور العلم بالعمل. فأرض القيامة مشرقة بالحقّ والعدل وطاهرة مطهّرة من الظّلم والجور كما يقال للملك العادل: أشرقت الآفاق بنور عدلك وأضآئت الدّنيا بقسطك، وفي ضدّه يقال: أظلمت الدّنيا بجوره وظلمه.

٢ـ قيل: إنّ الله تعالى يخلق في ذلك اليوم لِلأرض نوراً مخصوصاً يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به. وقال إبن عبّاس: النّور المذكور ههنا ليس من نور الشّمس ولا من نور القمر، بل هو نور يخلقه الله، فيضيئ به الأرض بلا واسطه أجسام مضيئة كالشّمس والقمرو النّجوم... وروي: أنّ الأرض يومئذ من فضّة تشرق بنور الله تعالى حين يأتي لفصل القضآء. والمعنى: أنّها أشرقت بنور خلقه الله تعالى، فأضاف النّور إليه على حدّ إضافة الملك إلى المالك من قبيل «روحي» و«ناقة الله»...

٣ـ قيل: اريد بالأرض أرض الجنّة، والمراد بالنّور نفسه وهو النّور الحسّيّ. ٤ـ قيل: النّور هو الله تعالىٰ كما قال: «الله نور السّموات والأرض» النور: ٣٥) فالمعنىٰ أي منوّر السّموات والأرض، فإنّ النّور جسم والله تعالى ليس بجسم بل هو خالق الأجسام كلّها... وإنّ وجه استعارة النّور لذاته المقدّسة أنّ النّور ظاهر بنفسه ومظهر

لغيره ولا يظهر شيء في المحسوس إلّا بأشعاعه عليه، وكذلك الله جلّ وعلا هو ذاته بنفسه ولنفسه وموجد لغيره.

٥ـ قيل: اريد به تجلّي الله سبحانه لفصل القضآء بين عباده فما يضارون في نوره كما لايضارون في الشّمس في اليوم الصّحو لادخن فيه فتمتلئ الأرض إشراقاً بنوره كما تجلّى عزّوجلّ لموسى صلّى الله عليه وآله وسلّم: «فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسى صعقاً» الأعراف: ١٤٣).

٦ـ عن الضّحّاك : أي أشرقت الأرض بحكم ربّها. ٧ـ قيل: إنّه اليوم الّذي يقضي فيه بين خلقه لأنّه نهار لاليل معه حيث يُعرض النّاس على ربّهم للحساب والجزآء. ٨ـ قيل: أي وأشرقت أرض الآخرة الّتي هي من الأعيان الثّابتة المنوّرة بنور الوجود الفائض عليها من ذات الله جلّ وعلا، والمراد بها ذات النّفس الكلّيّة المنوّرة بنور العقل الكلّي المتّحدة به الصّائرة إيّاه بحسب الإستكمال الذّاتي، ومن حيث التّفصيل نسبتها إليه نسبة القابل إلى المقبول، ونسبة ما بالقوّة إلى ما بالفعل.

٩ـ قيل: اريد بأرض الآخرة جملة النّفوس الإنسانيّة لفَيَضان النّور العقليّ الإلهيّ على ذواتها وعقولها الهيولانيّة أو النّفوس الحيوانيّة الخياليّة من الإنسان القابلة للأنوار الحسّيّة الّتي يتمثّل بها عند النّفس، الأشباح الأخرويّة والصّور الشّخصيّة المثاليّة.

١٠ـ قيل: اريد من إشراق الأرض وإضآئتها بنور ربّها ماهو خاصّة يوم القيامة من إنكشاف الغطآء وظهور الأشيآء بحقآئقها، وبدوّ الأعمال من خير أو شرّ، من حقّ أو باطل، من طاعة أو معصية، ومن صالح وفاسد... للنّاظرين: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطآءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٢) وإشراق الشّيء هو ظهوره بالنّور ولاريب أنّ مظهرها يومئذ هو الله جلّ وعلا، فإنّ الأسباب ساقطة دونه، فالأشيآء مشرقة بنور مكتسب من الله جلّ وعلا، وهذا الإشراق وإنّ كان عاماً لكلّ شيء يسعه النّور لكن لمّا كان الغرض بيان ما للأرض وأهله يومئذ من الشّأن خصّها بالبيان، فقال: «وأشرقت الأرض بنور

ربّها» وفي ذكره عزّوجلّ بعنوان ربوبيّة الأرض تعريضاً للمشركين لربوبيته تعالى للأرض وما فيها. والمراد بالأرض مع ذلك الأرض وما فيها وما يتعلّق بها كما أنّ المراد بالأرض في قوله تعالى: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» ذلك.

١١ـ قيل: أي وأشرقت هذه الأرض: أرض الدّنيا الّتي نعيش فيها يوماً بنور ربّها بما أقام منها من العدل بيدوليّه الأعظم إمام العصر الحجّة بن الحسن المهدى الإمام الثّاني عشر الّذي إنتهت الإمامة الإلهيّة الحقّة إليه عجّل الله فرجه الشّريف سمّاه نوراً لأنّه تعالى يزيّن به البقاع ويظهر الحقوق كلّها، ويظهر به دين الحقّ على الدّين كلّه، ويذهب به الظّلمة كلّها من وجه الأرض.

في تفسير ابن العربي: قال في قوله تعالى: «وأشرقت الأرض بنور ربّها» : أي إتصفت الأرض بالعدالة الّتي هي ظلّ شمس الوحدة، والأرض كلّها في زمن المهدى عليه السّلام بنور العدل والحقّ».

أقول: والحاديعشر هو المرويّ عن أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «ووضع الكتاب» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدي: أي كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم عليها. فالمراد بالكتاب، صُحف الأعمال نفسها إكتفاءً بإسم الجنس. والصُّحف ـ جمع الصّحيفة ـ هي الّتي فيها أعمال بني آدم، فيوضع كتاب أعمال كل إنسان يوم القيامة إمّا في يمينه أو في شماله. ٢ـ عن إبن عبّاس: اريد بالكتاب اللوح المحفوظ يقابل به صحف الأعمال، ففي اللّوح المحفوظ جميع أعمال الخلق من البدو إلى الختم. لقوله تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٩).

٣ـ قيل: أي عرض كتب الأعمال على أهلها ليقرأ كل واحد، صحيفته الّتي هي نفسه المنتقشة فيها صور أعماله المنطبع منها تلك الصّور في بدنه: «يعرف المجرمون بسيماهم» الرّحمن: ٤١) «ولو نشآء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣٠) «يعرفون كلاًّ بسيماهم» الأعراف: ٤٦) فيظهر ما انطبع في

نفوسهم ٤ـ قيل: الكتاب هنا هو الّذي أنزل على كلّ امّة تعمل به.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهرالسّياق، وعليه جمهور المحقّقين.

وفي قوله تعالى: «وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء» أقوال: ١ـ قيل: الشّهدآءهم امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يستشهدهم ربّهم على الرّسل عليهم السّلام فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله الّتي أرسلهم بها ربّهم إلى امها إذ جحدت اممهم أن يكونوا أبلغوا رسالة الله كقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهدآء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣) فجيئ بالنّبيّين ليكونوا شهدآء على اممهم، وجيئ بأمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ليكونوا شهدآء للأنبيآء عليهم السّلام على اممهم فيشهدون للأنبيآء بتبليغ الرّسالة، وتكذيب اممهم. ٢ـ قيل: الشّهدآءهم الّذين قتلوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذبّ عن دين الله. ٣ـ عن السّدي: هم الّذين استشهدوا في طاعة الله. ٤ـ قيل: الشّهدآء هم الّذين يشهدون لِلامم وعليهم من الحفظة والأخيار ومن الجوارح والمكان والزمان...

٥ـ قيل: الشّهدآء محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وامّته يشهدون للرّسل بالبلاغ. ٦ـ قيل: أي وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء فيشهدون لمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على امّته بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قد بلّغ رسالة ربّه، وما قصّر فيها، ولكنّ امّته صلّى الله عليه وآله وسلّم اتّخذوا القرآن وأهل بيته عليهم السّلام مهجوراً لقوله تعالى: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠) ٧ـ عن إبن زيد: أي وجيئ بالنّبيّين لأنّهم يسئلون عن أدآء رسالتهم لقوله تعالى: «فلنسئلنّ الّذين أُرسِلَ إليهم ولنسئلنّ المرسلين» الأعراف: ٦) وجيئ بالشّهدآء وهم الحفظة الّذين يكتبون أعمال النّاس خيرها وشرّها، ويشهدون عليهم بأعمالهم ويؤدّون ماتحمّلوه من الشّهادة قال الله تعالى: «وجآءت كلّ نفس معها سآئق وشهيد» ق: ٢١) فالسّآئق يسوقها إلى الحساب، والشّهيد يشهد عليه وهو الملك الموكّل بالإنسان.

٨ـ قيل: هم الملائكة والمؤمنون الّذين يشهدون لِلامم وعليهم. ٩ـ قيل: هم

نوّاب الأنبيآء عليهم السّلام في البيان والتّبليغ، فيشهد النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على نائبه أنّه أخذ العلم منه ليعمل به أوّلاً، ويبلغه إلى النّاس ثانياً، ثمّ يشهد العالم النّآئب بدوره عليهم أنّه علم وبلغ، فيقضي الله بين العباد بالحقّ والعدل. ١٠ـ عن إبن عبّاس وسعيد بن جبير: الشّهدآء هم الّذين يشهدون لِلأنبيآء على الامم بأنّهم قد أبلغوا رسالات ربّهم، وأنّ الامم قد كذّبوا بهم. ١١ـ عن الجبآئي وأبي مسلم: الشّهدآء هم عدول الآخرة يشهدون على الامم بما شاهدوا. وهذا كما جرت العادة بأنّ القضآء يكون بمشهد الشّهدآء والعدول.

١٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «وجيئ بالنّبيّين» الّذين ليسوا بمرسلين و«الشّهدآء» هم المرسلون. ١٣ـ قيل: أي وجيئ بالنّبيّين والمرسلين والشّهدآء، شهدآء المرسلين على قومهم، وقضي بين النّبيّين بالعدل وهم لايظلمون من حسناتهم ولايزاد على سيّئاتهم. ١٤ـ قيل: الشّهدآء هم الأئمّة الإثنى عشر من أهل بيت النّبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لقوله تعالى: «ليكون الرّسول شهيداً عليكم وتكونوا شهدآء على النّاس» الحجّ: ٧٨) فيكون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهيداً عليكم، وتكونوا أنتم يا معشر الأئمّة شهدآء على النّاس.

١٥ـ قيل: الشّهدآء هم الّذين يشهدون على النّاس من الأنبيآء والمرسلين والملائكة والعلمآء العاملين، وهداة النّاس ودعاتهم الصّالحين إلى الله تعالى وكذلك ما في كيان كلّ إنسان من أعضآء تشهد عليه كما قال الله عزّوجلّ: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النّور: ٢٤) وقال: «إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشّمال قعيد مايلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد ـ وجآئت كلّ نفس معها سآئق وشهيد» ق: ١٧ـ٢١) والصّورة تمثل محكمة عليا تقضي بين النّاس وتحدد لكلّ إنسان مصيره الّذي هو صآئر إليه... والقآئم على هذه المحكمة هو أحكم الحاكمين ربّ العالمين، والكتاب هو صحيفة الدّعوى، والأنبيآء والشّهدآء هم الشّهود والمحامون هم الحاكمون والمحاسبون: «يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها وتوفّى كلّ نفس ماعملت وهم لايظلمون» النّحل: ١١١).

أقول: والرّابع عشر هو المؤيّد بما ورد في المقام فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٧١ - (وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جآؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين)

في قوله تعالى: «زمراً» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي جماعة جماعة وحزباً حزباً. والزّمر جمع زمرة أي الأفواج المتفرّقة. وذلك أنّ الله تعالى يحشر امّة بعد امّة مع إمامها إلى الجنّة أو إلى النّار إذ قال: «يوم ندعوا كلّ اناس بإمامهم» الأسرآء: ٧١). ٢ـ قيل: أي يساق بعض الكافرين إلى جهنّم قبل الحساب، وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطّبقات... ٣ـ قيل: أي امماً بعد امم، الأوّل فالأوّل. ٤ـ قيل: أي فوجاً بعد فوج بعضهم على إثر بعض، كلّ امّة على حدّة، فوجاً ورآء فوج. ٥ـ قيل: إنّ الكفّار وأهل النّار كلّهم يوم القيامة من الأوّلين والآخرين على سبع طبقات وطوآئف حسب عدد أبواب جهنّم السّبعة، فكلّ طآئفة منهم يدخلونها باب خاص بهم.

أقول: والخامس هو المستفاد من الآيات القرآنيّة.

وفي قوله عزّوجلّ: «لقآء يومكم هذا» أقوال: ١ـ قيل: أي وينذرونكم ما تلقون في يومكم هذا. ٢ـ قيل: أي وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. ٣ـ قيل: أي وينذرونكم وقتكم هذا وهو وقت دخولكم النّار. ٤ـ قيل: ويخوّفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه. ٥ـ قيل: أي يخوّفونكم لقآء عذاب يومكم هذا.

أقول: ولكلٍ وجه والتّعميم غير بعيد من غير تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

٧٣ - (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

في قوله تعالى: «سلام عليكم» أقوال: ١ـ قيل: أي سلامة من الله تعالى عليكم يحيّونهم بالسّلامة ليزدادوا بذلك سروراً. ٢ـ قيل: هذا دعآء لهم بالسّلامة والخلود أي سلمتم من الآفات... ٣ـ قيل: معنى تسليم الخزنة الإكرام والتّهنئة بأنّهم سلموا

من أحوال الدّنيا وأهوال القيامة. ٤ـ قيل: أي أنتم في سلام مطلق لا يلقاكم إلّا ماترضون. ٥ـ قيل: أي عليكم أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد ذلك مكروه أو أذىً. ٦ـ قيل: السّلام بمعنى التّحيّة.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق ومعناه اللّغوي، من غير تناف بينه وغيره على سبيل معنى التّضمّن والإلتزام، فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله عزّوجلّ: «طبتم» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي طاب لكم المقام. ٢ـ قيل: أي طابت مواليدكم لأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيّب المولد. ٣ـ قيل: أي طبتم بالإيمان والتّقوى وصالح الأعمال... ٤ـ قيل: أي فزتم ونجوتم وطهرتم وصلحتم. ٥ـ قيل: هذا إخبارهم عن كون المتّقين طيّبين في الدّنيا بالأفعال الصّالحة والأخلاق الفاضلة... ٦ـ قيل: أي طبتم نفساً بما نلتم من الجنّة ونعيمها. ٧ـ عن مقاتل وقتادة: إذا قطعوا جسر جهنمّ حُبِسوا على قنطرة بين الجنّة والنّار، فيقصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدّنيا، حتّى إذا هُذّبوا وطيّبوا قبل دخول الجنّة بالمغفرة قال لهم رضوان وأصحابه: «سلام عليكم طبتم...».

٨ـ قيل: أي طبتم نفساً بما نلتم من الجنّة. ٩ـ قيل: إنّ أهل الجنّة إذا انتهوا إلى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة، فيتطهّرون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النّعيم فلن تتغيّر أبشارهم بعدها أبداً، ويشربون من الأخرىٰ، فيذهب ما في بطونهم من أذى وقذى فيقول لهم الخزنة عندئذ: طبتم. ١٠ـ عن مجاهد: أي كنتم طيّبين في طاعة الله.

١١ـ قيل: أي طبتم من دنس المعاصي وطهّرتم من خبث الخطايا، فلم تدنسوا أنفسكم بالشّرك والآثام، فطاب سعيكم وطاب جزآؤكم، ولهذا عقبه بقوله: «فادخلوها خالدين» ليعلم أنّ الطّهارة عن المعاصي هي السّبب في دخول الجنّة والخلود فيها لأنّها دار طهّرها الله جلّ وعلا من كلّ دنس، فلا يدخلها إلّا من هو موصوف بصفتها. ١٢ـ قيل: أي طابت أعمالكم من الطّاعات في الدّنيا، وزكّت، فطاب اليوم مثواكم، فدخول الجنّة مسبّب عن الطّيّب والزّكاة لأنّها دار الطيّبين

طهّرها الله من كلّ دنسٍ فإنّما يدخلها من اتّصف بصفتها.

أقول: ولكلٍ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٧٤ ـ (وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين)

في قوله تعالى: «صدقنا وعده» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بالوعد ماتكرّر في كلامه جلّ وعلا وفيما أوحىٰ إلى سآئر الأنبيآء والمرسلين من وعد المتّقين بالجنّة كما دعوا بذلك في الحياة الدّنيا، وقالوا: «ربّنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لاتخلف الميعاد» آل عمران: ١٩٤) «وقالوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جآئت رسل ربّنا بالحقّ ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٣).

٢ـ قيل: اريد بالوعد، الوعد بالبعث والحساب والجزآء. ٣ـ قيل: إنّ المراد بالوعد الوعد بإيراث الجنّة كما في قوله عزّوجلّ: «اولئك هم الوارثون الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» المؤمنون: ١٠-١١) ويكون قوله تعالى: «وأورثنا الأرض» عطفاً تفسيرياً على قوله عزّوجلّ: «صدقنا وعده».

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «وأورثنا الأرض» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدي وأبي العالية وأبي صالح: إنّ المتّقين ورثوا الجنّة الّتي كانت لأهل النّار لو كانوا مؤمنين بالله تعالى مطيعين له في الدّنيا، فكانت الجنّة باقية لهم بعد ما كانت في معرض أن يشاركها غيرهم أو يملكهادونهم لكنّهم زالوا عنها فانتقلت إليهم. ٢ـ قيل: أي أنزلنا أرض الجنّة. وذلك أنّ الجنّة لمّا صارت عاقبة أمر المتّقين، عبّر عن ذلك بلفظ الميراث والإيراث بأنّهم أورثهم. ٣ـ قيل: أي ملكناها ومكننا ممّا استقررنا عليه وجعلنا ملوكها، واطلق لنا التصرّف فيها تشبيهاً بحال الوارث، وتصرّفه فيما يشآء ممّا يرثه فنتصرّف فيه تصرّف الوارثين فيما ورثوه.

٤ـ قيل: إنّها أرض الدّنيا على التّقديم والتّأخير، وميراثها هو التّمكين منها

والإنتفاع بها، والمتّقون أيّاً كان حظّهم من هذه الدّنيا هم الوارثون لهذه الدّنيا لأنّهم قطفوا أطيب ثمراتها وهو الإيمان بالله تعالى وصالح الأعمال، أمّا ما أخذه غيرهم من أهل الكفر والضّلال ومن أهل البغي والفساد... فهو وإن كثر لا وزن له ولا نفع لهم منه، فالمتّقون هم ورثة هذه الأرض وخلفآء الله عليها، وأمّا غيرهم فَهَمَلٌ لا حساب له.

وفي قوله جلّ وعلا: «نتبوّأ من الجنّة» أقوال: ١ـ عن السّدي: أي ننزل كلّ منّا في أيّ مقام أراده من جنّته الواسعة. ٢ـ عن إبن زيد: أي نتّخذ من الجنّة مقرّاً ومأوىً. ٣ـ قيل: أي نلتزم من الجنّة لا نفارقها قطّ.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ فتدبّر جيّداً.

وفي قوله سبحانه: «فنعم أجر العاملين» أقوال: ١ـ قيل: هذا من قول المتّقين في الجنّة. أي نعم الثّواب هذا، ونعم الأجر أجرنا على أعمالنا، وثوابنا الّذي أعطانا الله تعالى من الكرامة والمقام في الجنّة والتّنعّم فيها. ٢ـ قيل: هذا من قول الله تعالى أي نعم ثواب المحسنين هذا الّذي أعطيتهم. ٣ـ قيل: هذا كلام خزنة الجنّة للمتّقين، فتقول لهم: فنعم الأجر أجركم أيّها المتّقون.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٧٥ ـ (وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقُضِيَ بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين)

في قوله تعالى: «وترى الملائكة» أقوال: ١ـ قيل: خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يرى الملائكة يوم القيامة. ٢ـ قيل: خطاب لكل إنسان فإنّهم يرون الملائكة في الآخرة. ٣ـ قيل: خطاب لكلّ متّق في الجنّة، فإنّ المتّقين يرون الملائكة في الجنّة. ٤ـ قيل: إنّ الخطاب للنبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلاً ثمّ لكلّ من يشهد موقف القيامة، فإنّ النّاس كلّهم يرون الملائكة يوم القيامة، وقد حفّوا بعرش الرّحمن يسبّحون بحمد ربّهم، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية» الحاقة: ١٧) وقوله عزّوجلّ: «وجآء ربّك

والملك صفاً صفّاً» الفجر: ۲۲).

وهذه حال لايمكن لنا أن نتصوّرها في عالمنا الحسّي، وعلينا أن نصدّق بوقوعها على أيّة صورة تقع دون أن نطلب الصّورة الّتي تقع عليها، فهذا مالا يمكن أن تبلغه مدركاتنا أو تتمثّله خواطرنا... ٥ـ قيل: إنّ رؤية الملائكة على تلك الحال كناية عن ظهور ذلك وقد طويت السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب. والمعنى: وترى الملائكة حالكونهم محدقين بالعرش، مطيفين به لإجرآء الأمر الصّادر منه، وهم مسبّحون بحمد ربّهم.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «حافين» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدي: أي محدقين به. الحافّون: أخذ ماحافات الشّيء ونواحيه. والحفّ: الإحداق والإحاطة بالشّيء. ٢ـ قيل: أي ملازمين، غير مفارقين من حول العرش. ٣ـ عن عطآء: أي مديرين حول العرش. ٤ـ عن السّدي أيضاً: أي يطوفون حوله.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينه وبين سآئر الأقوال بالتّلازم فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «من حول العرش» أقوال: ١ـ عن السّدي: اريد بالعرش السّرير. ٢ـ قيل: إنّ المراد من العرش أنّ الأمر كلّه بيد الله تعالى. ٣ـ قيل: إنّ الوجه في ذلك تشبيه حال الآخرة بحال الدّنيا، فإنّ السّلطان الأعظم إذا أراد الجلوس للمظالم والقضآء بين الخلق قعد على سريره وأقام جنده قدّامه وحوله تعظيماً لأمره فلذلك عظّم الله تعالى أمر القضآء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظّمين له جلّ وعلا مسبّحين، وإن استحال كونه عزّوجلّ على العرش إذ ليس بصفة الجواهر والأجسام والجلوس على العرش من صفات الأجسام... ٤ـ قيل: إنّ العرش هو المقام الّذي يصدر منه الفرامين والأوامر الإلهيّة الّتي يدبّر بها العالم، والملائكة هم المجرون لمشيّته العاملون بأمره. ٥ـ قيل: إنّ العرش هو عالم محيط بالدار الآخرة.

أقول: والأخير هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله سبحانه: «يسبّحون بحمد ربّهم» أقوال: ١ـ قيل: أي يسبّحون حول عرش الله تعالى شكراً لربّهم، تلذّذاً وتنعّماً لا تعبّداً إذ لا تكليف هناك . وكان جوانب العرش دار ثواب الملائكة، وأنّها ملا صقة لجوانب الجنّة. والمعنى: إنّ الملائكة يذكرون الله تعالى بوصفي الجلال والإكرام، وذلك للدّلالة على أنّ اقصى درجات السّعادات هو الإستغراق في صفات الحقّ. ٢ـ قيل: إنّ الملائكة يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنّة. ٣ـ عن إبن عبّاس: أي يسبّحون بأمر ربّهم. ٤ـ قيل: أي يقدّسونه تعالى وينزّهونه عن الظّلم والجور، وعن كلّ مالا يليق بساحة قدسه، ويذكرونه بصفاته الّتي هو عليها. ٥ـ قيل: إنّ الملائكة يسبّحون بحمد ربّهم حول العرش المحيط بالجنّة ويُبْذلون ثواب تسبيحهم لأهلها الّذين هم يتنعّمون بنعيمها وهم شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

أقول: والخامس هو المروي المؤيد بالآيات القرآنية...

وفي قوله تعالى: «وقضي بينهم بالحقّ» أقوال: ١ـ قيل: أي وقضى الله تعالى بين النّبيّين الّذين جيئ بهم، والشّهدآء وأممهم بالعدل، فأسكن تعالى أهل الإيمان والطّاعة وأهل التّقوى واليقين الجنّة، وأهل الكفر والمعصية، وأهل الفجور والعناد النّار. ٢ـ قيل: أي وقضى بين أهل الجنّة والنّار، حيث حلّ كلّ فريق منهما المكان اللآئق به والصّالح له. وذلك لقرآئن ذكر القيامة فإنّ إدخال بعضهم الجنّة، وبعضهم النّار لايكون إلّا قضآء بينهم بالحقّ والعدل. ٣ـ قيل: إنّ هذا تكرار لقوله تعالى: «وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء وقضي بينهم» إلّا أنّ القضآء كما يطلق على نفس حكم الحاكم يصحّ إطلاقه على مجموع الحكم ومقدّماته وتبعاته من حضور المتخاصمين، وطرح الدّعوى وشهادة الشّهود، وحكم الحاكم وإيفاء المحقّ حقّه، فمن الممكن أن يكون المراد بالقضآء المذكور أوّلاً نفس الحكم الإلهيّ، وبهذا القضآء المذكور ثانياً هو مجموع ما يجري عليهم من حين يبعثون إلى زمن دخول أهل النّار

النّار، وأصحاب الجنّة الجنّة، واستقرارهم فيها، وبذلك يندفع إشكال التّكرار من غير موجب.

٤ـ قيل: هو حال، و «قد» مقدّرة معه أي يسبّحون بحمد ربّهم، وقد قضي بينهم يعنى بين الملائكة على أنّ ثوابهم ليس على سنن واحد، إذ لكلٍ مقام معلوم فقضي بين الملائكة بالحقّ باقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم... فالقول بأنّ القضآء بين جماعة هو الحكم لبعضهم على بعض لوجود اختلاف مّا بينهم، ولا تحقق للإختلاف بين الملائكة غيرو جيه، إذ فيهم إختلاف، حسب درجاتهم ومراتبهم، فيقضي بينهم لذلك. ٥ـ قيل: أي وقضي بين الإنسان والملائكة جميعاً، والقضآء بينهم هو إنزال البشر مقامهم إمّا الجنّة وإمّا النّار، وإنزال الملائكة حول العرش.

٦ـ قيل: أي وفضي بين الإنسان والملائكة والجنّ والحيوان، والخلائق أجمعين ٧ـ قيل: أي وقضي بين المؤمنين، فيقيمون منازلهم على مراتب إيمانهم وصالح أعمالهم... فيرضون عمّا قضي بينهم من مراتب اجورهم...

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «وقيل الحمد لله» أقوال: ١ـ قيل: القآئل المقضيّ بينهم وهم جميع العباد كقوله تعالى: «وآخر دعواهم أن الحمد لله» يونس: ١٠) ٢ـ قيل: أي جميع الملائكة حمدوا الله على إنزال كلّ منزلته، فختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة، فيكون حمدهم لله تعالى علىٰ عدله وقضآئه، ولم ينسب إليهم صريحاً تعظيماً لأمرهم. ٣ـ قيل: أي يقول المؤمنون: الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه، ونصرنا على مَن ظلمنا، وعلى قضآئه بيننا بالحقّ.

وقال إبن عبّاس: وقيل لهم بعد الفراغ من الحساب: قولوا: الحمد لله والمنّة له تعالى ربّ العالمين سيّد الجنّ والإنس على مافرّق بيننا وبين أعدآئنا، وهو منزل حسم.

فهذا كلام أهل الجنّة يقولون ذلك شاكراً له على نعمه التّامّة. وهذا إخبار من الله تعالى بأنّ جميع المؤمنين يقولون عند ذلك، معترفين بأنّ المستحقّ للحمد والشّكر

الّذي لايساويه حمد ولاشكر هو الله الّذي خلق الكون ونواميس الوجود ودبّرها، فكان حمدهم الأوّل على دخولهم الجنّة، والثّاني للقضآء بينهم وبين غيرهم بالحقّ والعدل.

٤ـ قيل: إنّ الكون بأكمله من أعلى ملكوت السّموات إلى منتهى الثّرىٰ يحمد الله تعالى على عدلهِ الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى، فهذا لسان حال الوجود كلّه، ومعهم أهل المحشر من أصحاب الجنّة وأهل النّار، إذ كان القضآء قضآء عادلاً عدلاً مطلقاً، فلم يؤخذ أحد بجريرة لم يقترفها، ولم يُدَن أحد بشهادة زور.

٥ـ قيل: إنّه من كلام الله تعالى، فقال في إبتدآء الخلق: «الحمد لله الّذي خلق السّموات والأرض» الأنعام: ١) وقال بعد إفنآء الخلق، ثمّ بعد بعثهم وإستقرار أهل الجنّة في الجنّة: «الحمد لله ربّ العالمين» أوّلاً وآخراً تعليماً لخلقه، فوجب على كلّ مكلّف أن يأخذ بأدبه تعالى في إبتدآء كلّ أمر بالحمد وختمه بالحمد. ٦ـ قيل: القآئلون هم المؤمنون والملائكة جميعاً يحمدون الله تعالى على ماقضي بينهم بالحقّ. ٧ـ قيل: إنّ المتّقين لمّا دخلوا الجنّة واستقرّوا فيها حسب درجات إيمانهم وتقواهم وأعمالهم... فكلّهم يظهرون بالحمد لله ربّ العالمين رضايتهم عمّا نالوا به في الجنّة.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق فتأمّل جيّدا واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿التّفسير والتّأويل﴾

١ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)

هذا القرآن منزّل نجوماً على الأحداث من عند الله عزّوجلّ بلا ريب، بالرّوح الأمين على قلب النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فليس من كلام بشرأيّاً كان: شاعراً أم كاهناً، حكيماً كان أو عالماً... ولا من غيره، فلامرية فيه، فلا يكوننّ أحد في شكّ من ذلك.

قال الله تعالى: «وقرآناً فرقناه لتقرأه على النّاس على مكثٍ ونزّلناه تنزيلاً» الأسراء: ١٠٦) وقال: «كتاب احكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير» هود: ١).

وقال: «إنّا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً» الإنسان: ٢٣).

وقال: «وإنّه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشّعراء: ١٩٢-١٩٥).

وقال: «وإنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النّمل: ٦).

وقال: «وإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١-٤٢).

وقال: «إنّه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون تنزيل من ربّ العالمين» الحاقة: ٤٠-٤٣)

وقال: «تنزيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين» السّجدة: ٢).

وقوله تعالى: «العزيز» الّذي عظمت قدرته وعزّجانبه، وهو المتعال عن المثل

والشّبه، وهو القادر الّذي لايقهر ولا يمنع ولا يغلب فيما أراد من تنزيل كلماته وإعلائها، وهو العزيز في ملكه، وفي انتقامه من أعدائه ومكذّبي كتابه.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ ربّك هو القويّ العزيز ـ إنّ ربّك فعّال لما يريد» هود: ٦٦و١٠٧).

وقال: «وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم» التوبة: ٤٠).

وقال: «أليس الله بعزيز ذي انتقام» الزّمر: ٣٧).

وقوله جلّ وعلا: «الحكيم» في تنزيل كتابه وتشريعه، وفي أمره وقضآئه، كما أنّه حكيم في صنعه وتكوينه، وتدبيره في أمر خلقه، فلايفعل ـ تكويناً ولاتشريعاً ـ إلّا بحكمة مطلقة واتقان، ولا يخرج شيء عن علمه وحكمته فهو حكيم في أفعاله وأقواله...

قال الله جلّ وعزّ: «صنع الله الّذي أتقن كلّ شيءٍ» النّمل: ٨٨).

وبحكمته يحفظ هذا الكتاب حتّى يصل إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم على وجهه، ويحفظه بعده صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى يوم القيامة من غير تغيير ولا تبديل لموضع جهته ولا شيئ منه. فعلى النّاس في كلّ ظرف، القيام بما فيه، واتباع أوامره ونواهيه...

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر أنّ الحكمة من صفات ذاته تعالى من جهة، ومن صفات فعله من جهة اخرىٰ، وذلك أنّ الله عزّوجل عليم بما تدعو إليه الحكمة وماتصرف عنه، فعلى هذا تكون من صفات ذاته، فيكون جلّ وعلا موصوفاً فيما لم يزل بأنّه حكيم: «وكان الله عزيزاً حكيماً» النّسآء: ١٦٥) وأنّ أفعاله كلّها حكمة وصواب ليس فيها وجه من وجوه القبيح، فتكون من صفات الفعل، فلايوصف بالحكمة إلّا بعد الفعل: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمران: ٦).

٢ ـ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين)

إنّا بعزّتنا وحكمتنا أنزلنا إليك أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا القرآن دفعة

واحدة ـ كما نزّلناه عليك نجوماً ـ متلبّساً بالحقّ الّذي لا يعلق به باطل، فهو حقّ، نزل من عند الحقّ المتعال إلى النّبيّ الحقّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله عزّوجلّ: «فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال ـ لقد جاءك الحقّ من ربّك ـ قل يا ايّها النّاس قد جآءكم الحقّ من ربّكم» يونس: ۳۲و۹٤و۱۰۸).

وقال: «فتوكّل على الله إنّك على الحقّ المبين» النّمل: ۷۹).

وقال: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ» الجاثية: ۲۹).

فهو يحمل إليك الحقّ خالصاً من كلّ شائبة، فكلّ مافيه على طبق الحقّ والواقع فمن نظر في آياته وتدبّر كلماته عرف طريق الحقّ واضحاً مشرقاً.

وإذ كان ذلك هو ما عرفت من آيات الله جلّ وعلا وكلماته من حقّ، فاعبد الله تعالى على هذه المعرفة وتصفية السّرّ، عبادة خالصة، تملأ القلب، وتملك المشاعر وتستولي الوجدان... فاعبد الله عزّوجل موحّداً لا تشرك به شيئاً في الوجود والإيجاد والتّدبير، ممحّضاً له العبادة من شوآئب الشّرك والرّيآء والسّمعة، وبحسب ما أنزل في تضاعيف كتابه على لسان أنبيآئه من تخصيصه وحده بالعبادة، وأنّه لا ندّ له ولا شريك من الأوثان والأصنام وما إليها من الآلهة المزعومة...

قال الله تعالى: «وأخلصوا دينهم لله» النّسآء: ۱٤٦) وهو الإسلام فحسب لقوله عزّوجلّ: «إنّ الدّين عند الله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ۱۹ـ۸۵).

۳ ـ (ألا لله الدّين الخالص والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار)

إعلموا أيّها النّاس في كلّ ظرف ومكان أنّ لله تعالى وحده الدّين الخالص وهو دين الإسلام من الأصول الإعتقادية والفروع العمليه على ما جآء به محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من عند الله تعالى وبيّن بلسان أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وهذا هو دين الفطرة ودين الحق، غير مشوب بشيء من الأهوآء

والأغراض النّفسيّة، وليس لأحد من البشر فيه وضع ولا تشريع.

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون» البقرة: ١٣٢).

وقال: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون» التوبة: ٣٣).

وقال: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم» الرّوم: ٣٠).

وقال: «شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدّين ولا تتفرّقوا فيه» الشّورى: ١٣).

وقال: «قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم ما في السّموات وما في الأرض والله بكلّ شيء عليم» الحجرات: ١٦).

ولا يخفى انّ الخالص ـ في الأصل ـ: مالا يشوبه شيء غيره ومنه خلاصة السّمن لأنّه تخلصه والإخلاص على وجهين: أحدهما ـ إخلاص في الدّين وهو الإعتقاد الرّاسخ بأنّ مجموع الاصول الإعتقاديّة والتّكاليف كلّها من عند الله جلّ وعلا فحسب. ثانيها ـ إخلاص في العمل بأن يقصد العبد بطاعته وعمله وجه الله عزّوجل، ولا يقصد غيره على نحو من أنحآء الشّرك الظّاهر، ولا الخفي من الرّيآء والسّمعة، ولا وجهاً من وجوه الدّنيا والأغراض والأهواء...

قال الله تعالى: «فمن كان يرجوا لقآء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» الكهف: ١١٠).

وقوله تعالى: «والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء» ومن طوائف المشركين طائفة اتّخذوا من دون الله لهم أوليآء على أنحآئها وأشكالها وصورها... فإذا قيل لهم: مَن خالقكم؟ مَن ربّكم؟ من خلق السّموات والأرض؟ ومَن أنزل من السّمآء مآء؟؟؟ قالوا: الله، فيقال لهم: مامعنى عبادتكم الأصنام والأوثان والآلهة المزعومة من الجنّ والإنس؟ قالوا: مانعبد تلك الآلهة إلاّ ليقرّبونا إلى الله قربى ومنزلة

فيشفعوا لنا عنده.

قال الله تعالى: «ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلآء شفعآؤنا عندالله قل أتنبّئون الله بما لايعلم في السّموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون» يونس: ۱۸).

وقال: «أم اتّخذوا من دون الله شفعآء قل أولو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشّفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون» الزّمر: ٤٣-٤٤).

وقال: «لا يملكون الشّفاعة إلّا من اتّخذ عند الرّحمن عهداً» مريم: ۸۷).

وقال: «يومئذ لاتنفع الشّفاعة إلّا من أذن له الرّحمن ورضي له قولاً» طه: ۱۰۹).

وقال: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى» الأنبيآء: ۲۸).

وقال: «ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلّا من شهد بالحقّ وهم يعلمون» الزّخرف: ۸٦).

وقوله تعالى: «إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون» إنّ الله عزّوجلّ هو يحكم يوم القيامة بين المشركين ومَن انسلك مسالكهم فيما كانوا هم في الحياة الدّنيا يختلفون فيه من تكذيبهم النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بما يخبرهم بالعقائد الحقّة وبمقتضيات الفطرة السّليمة البشرية.

قال الله جلّ وعلا: «وما كان النّاس إلّا امّة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربّك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون» يونس: ۱۹).

وقال: «ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» النّحل: ۱۲۳).

وقال: «وادع إلى ربّك إنّك لعلى هدى مستقيم وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون» الحج: ٦٧-٦٩).

وقوله سبحانه: «إنّ الله لايهدي من هو كاذب كفّار» إنّ الله تعالى لا يوفّق إلى الحقّ والصّواب، ولايهدي إلى الرّشد والفلاح من هو كاذب على الله تعالى ورسوله

صلّى الله عليه وآله وسلّم ويصرّ على كذبه وكفره، فإنّ الكذب والكفر يفقدان البصيرة عن الإنسان فلا يهتدى إلى الخير والصّلاح...

قال الله تعالى: «أفأنت تسمع الصّمّ أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين» الزّخرف: ٤٠).

وقال: «وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً» الكهف: ٥٧).

وقال: «والله لايهدي القوم الظّالمين ـ والله لايهدي القوم الفاسقين ـ والله لا يهدي القوم الكافرين» التوبة: ١٩ـ٢٤و٣٧) الّذين يصرّون على الظّلم والفسق والكفر كأنّها صارت طبيعة لهم.

٤ ـ (لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشآء سبحانه هو الله الواحد القهّار)

لو أراد الله سبحانه أن يتّخذ له ولداً كما زعمت طائفة من المشركين: «وقالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السّموات والأرض كلّ له قانتون» البقرة: ١١٦) لاختاره هو سبحانه ولخلقه على مايشآء ولا صطفى أحسن مايخلق، ولو أراد أن يتّخذه من الإنسان لما رضي إلّا بأكمل الأولاد وهم الأبنآء لا الأنقص وهنّ البنات كما اختارهنّ له سبحانه هؤلآء المشركون ونسبوهنّ إليه كقوله تعالى: «ويجعلون لِلّه البنات» النّحل: ٥٧) وقوله: «أفأصفاكم ربّكم بالبنين واتّخذ من الملائكة إناثاً» الاسراء: ٤٠) وقوله: «وقالوا اتّخذ الرّحمٰن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» الأنبيآء: ٢٦) «وقالت اليهود: عُزَير إبن الله وقالت النّصارىٰ المسيح إبن الله» التوبة: ٣٠) «وخرقوا له بنين وبنات بغير علم» الأنعام: ١٠٠).

لو أراد الله سبحانه أن يتّخذ له ولداً لإختار ممّا يخلق من جملة مايخلقه أو من جنس مايخلقه مايشآء أن يتّخذه إذ لا موجود سواه إلّا وهو مخلوق له جلّ وعلا لامتناع تعدد الواجب، و وجود إستناد جميع ماسواه إليه تعالى: «ومايـنبغي للرّحمٰن أن يتّخذ ولداً إن كلّ من في السّموات والأرض إلّا آتي الرّحمٰن عبداً» مريم: ٩٢ـ٩٣).

ومن البيّن أنّ اتّخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المُتّخِذ والمُتَّخَذ، وأنّ المخلوق لايماثل خالقه حتّى يمكن اتّخاذه ولداً، فما فرضناه اتّخاذ ولد لم يكن اتّخاذ ولد بل

اصطفاه عبداً وإليه أشار حيث وضع الإصطفاء له موضع الإتخاذ الّذي تقتضيه الشّرطية تنبيهاً على إستحالة مقدّمها لاستلزام غرض وقوعه، بل غرض إرادة وقوعه إنتفآئه.

وقوله تعالى: «سبحانه هو الله الواحد»

تنزيه لله جلّ وعلا وتقدّس عن أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة، فإنّه الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذي لاشريك له من أنحآء الشّرك، والولد شريك للوالد وكلّ ماسواه مفتقر إليه، والله هو الغنيّ عمّا سواه لا نظير له، ولاينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، فالوجه في منعه واستحالته أنّ اتخاذ الولد يستدعي الإفتقار إليه، والله غنيّ عن كلّ شيء.

قال الله عزّوجلّ: «قالوا اتّخذ الله ولداً سبحانه هو الغنيّ له ما في السّموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالاتعلمون» يونس: ٦٨).

وقوله تعالى: «القهّار» القاهر لجميع خلقه بذاته وصفاته، القويّ الّذي لايُغلب، وقد قهر الأشيآء كلّها فدانت له، وقد تسلط على المخلوقات بقدرته فذلّت له، فلايستقلّ قبال ذاته و وجوده شيء في ذاته و وجوده، ولا يستغني عنه شيء في وجوده وصفاته، فالكلّ أذلآء داخرون بالنّسبة إليه تعالى مملوكون له فقرآء إليه جلّ وعلا، فمن هذه صفته كيف ينبغي أن يتّخذ له ولداً إذ ليس به إلى الولد حاجة ممّا يبغيه الوالدون من الأولاد فتعالى الله عمّا يقولون الظّٰلمون علوّاً كبيراً.

قال الله تعالى: «وهو القاهر فوق عباده» الأنعام: ١٨).

وقال: «أم جعلوا لله شركآء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كلّ شيء وهو الواحد القهّار» الرّعد: ١٦).

٥ - (خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر الّليل على النّهار ويكوّر النّهار على الّليل وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّىً ألا هو العزيز الغفّار)

خلق الله السّموات وما فيها من شموس وأقمار، من نجوم وكواكب، من أجرام وشهاب، وممّا لانعلمه وهو أكثر وأكثر ممّا نعلمه... وخلق الأرض وما فيها من

إنسان وحيوان، من نبات وجماد، من برّ وبحر، من سهل وجبل، ومن معادن وكنوز... وما نعلمه فهو شيء ضئيل ممّا لانعلمه جداً كلّ ذلك متلبّساً بالغاية الصّحيحة والغرض الحكمي ومصالح العباد... وأقامهما وما فيهما على نظام محكم ومستقرّ، فلم يخلقهما ولا شيئاً منهما عبثاً باطلاً بدون غرض ولا فائدة.

قال الله تعالى: «وما خلقنا السّمآء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا» ص: ٢٧) وأمّا المؤمنون فهم: «الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك» آل عمران: ١٩١).

وقوله عزّوجلّ: «يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل» ومن نظام هذا الكون ونواميس الوجود، وتدبير الخالق المتعال أنّه جلّ وعلا يلقي اللّيل على النّهار، ويلقي النّهار على اللّيل في كلّ آن بحسب الآفاق المختلفة والقطبين، فيجئ بالنّهار ويذهب باللّيل، ويجيئ باللّيل ويذهب بالنّهار في كلّ آن بحسب الآفاق والقطبين. قال الله عزّوجلّ: «يقلّب الله اللّيل والنّهار إنّ في ذلك لعبرة لاولي الأبصار» النّور: ٤٤).

وقوله تعالى: «وسخّرالشّمس والقمر» ومن التّدبير الإلهي في نظام الكون ونواميس الوجود أنّ الله جلّ وعلا سخر لِلإنسان الشّمس والقمر بالطّلوع والغروب في كلّ آن حسب اختلاف الآفاق والقطبين على وتيرة واحدة وتقدير معلوم لمنافع عباده ومصالح معاشهم ومعادهم... فهل يقبل منطق العقل أن يجريا بلامحرّك ولا مدبّر بمثل هذا النّظام الدّقيق الّذي لايختلّ شعرة في ملايين السّنين قال الله عزّوجلّ: «لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلّ في فلك يسبحون» يس: ٤٠).

وقال: «وسخّر لكم الشّمس والقمر دائبين» إبراهيم: ٣٣).

وقال: «والشّمس والقمرو النّجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤).

وقال: «هو الّذي جعل الشّمس ضيآءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السّنين والحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ يفصّل الآيات لقوم يعلمون» يونس: ٥).

وقوله جلّ وعلا: «كلّ يجري لأجل مسمّى» كلّ من الشّمس والقمر يجري في فلكهما وفقاً للنّظام الّذي رتبه لهما إلى زمن معلوم عند الله تعالى وهو حين تكوّر الشّمس، وجمع الشّمس والقمر، حين إنفطار السّمآء وانتثار الكواكب، وحين انكدار النّجوم وتبدّل الأرض، غير الأرض.

قال الله تعالى: «وسخّر الشمس والقمر كلّ يجري لأجلٍ مسمّىً ذلكم الله ربّكم له الملك» فاطر: ١٣).

وقال: «يوم نطوى السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب» الأنبيآء: ١٠٤).

وقال: «إذا الشّمس كوّرت وإذا النّجوم انكدرت» التّكوير: ١-٢).

وقال: «إذا السّمآء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت» الإنفطار: ١-٢).

وقال: «فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشّمس والقمر» القيامة: ٧-٩).

وقال: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض» إبراهيم: ٤٨).

فمن قدر على خلق السّموات والأرض، على تكوير اللّيل في النّهار والعكس، وعلى تسخير الشّمس والقمر إلى زمن معلوم عنده فهو منزّه عن إتّخاذ الولد والشّريك، فإنّ ذلك من صفة المفتقرين، والله جلّ وعلا هو وحده غنيّ عن العالمين.

وقوله سبحانه: «ألا هو العزيز» تنبّهوا أيّها النّاس في كلّ ظرف ومكان فإنّي أنا الغالب على كلّ شيءٍ، والقادر على أمري، والمنتقم من أعدآئي فاعذّب الكاذب الكفّار، فله العزّة وله القدرة وله القوّة فاحذروا عن مخالفة أمره.

قوله عزّوجلّ: «الغفّار» هو مع عزّته وقوّته وقهره فهو كثير المغفرة لمعاصي عباده، فلا يعاجل بالعقوبة، وهو السّاتر لذنوب خلقه برحمته إذا تابوا وأقلعوا عن الكذب والطّغيان وعن الشّرك والعصيان، فيغفر لمن تاب من الكفر وآمن بالله تعالى فالطّريق مفتوح أمامهم فلكلّ مذنب أن يرجع إلى العزيز الغفّار.

قال الله جلّ وعلا: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

رحمةالله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» الزّمر: ٥٣).

وقال: «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى» طه: ٨٢).

٦ ـ (خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون)

إنّ الله تعالى هو الّذي خلقكم أيّها النّاس ـ على اختلاف ألسنتكم وألوانكم ـ من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السّلام بعد أن جعل من هذه النّفس الواحدة زوجها حوّآء إذ خلقها من ضلع من أضلاعه القصرى، فجعل منهما سآئر النّاس...

قال الله عزّوجلّ: «يا أيّها النّاس اتّقوا ربّكم الّذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونسآءً» النّسآء: ١).

وقوله جلّ وعلا: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» وخلق الله تعالى لكم من الأنعام الأهليّة والوحشيّة الّتي أحلّ لكم لحومها ثمانية أزواج: من الإبل إثنين: ذكر وانثى، ومن البقر إثنين: ذكر وانثى. ومن الضّأن إثنين: ذكر وانثى، ومن المعز إثنين: ذكر وانثى.

قال الله سبحانه: «ثمانية أزواج من الضّأن إثنين ومن المعز إثنين ـ ومن الإبل إثنين ومن البقر إثنين» الأنعام: ١٤٢-١٤٣).

وقال: «جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً» الشّورى: ١١).

وقال: «احلّت لكم بهيمة الأنعام إلّا مايتلى عليكم» المآئدة: ١).

وقوله سبحانه: «يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث» يبتدى خلقكم أيّها النّاس في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق، فيكون أحدكم نطفة، ثمّ يكون علقة، ثمّ يكون مضغة، ثمّ يكون لحماً وعظماً وعصباً في ظلمات ثلاث وهي ظلمة البطن وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة، وينفخ فيه الرّوح هناك ، فيصير خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال الله تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في

قرار مكين ثمّ خلقنا النّطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» المؤمنون: ١٢-١٤).

إنّ هذا التّوالد هو خلق جديد لكلّ كائن يولد، وليس عملاً آنيّاً يتمّ بغير حساب ولا تقدير، بل إنّه ليس خلقاً واحداً، وإنّما هو خلق بعد خلق، وأطوار بعد أطوار يلبسها الكائن إلى آخر مرحلة الخلق، حتّى يستوى خلقه، ويصبح على الصّورة الّتي قدّر الله تعالى إخراجه عليها، وهذا الخلق يقع في عالم خفيّ محجّب بحجب ثلاثة، تلفّه في كيانها واحداً بعد واحد هي البطن فالرّحم فالمشيمة الّتي يُغلَف فيها الجنين داخل الرّحم!! في هذا الظّرف الضّيق المظلم تجري عمليّات الخلق والتّكوين والتّصوير بيد المبدع الخلاّق العليم.

قال الله تعالى: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء» آل عمران: ٦).

وقال: «وصوّركم فأحسن صوركم» غافر: ٦٤).

وقوله سبحانه: «ذلكم الله ربّكم» ذلكم الله الحقّ الّذي خلقكم وخلق كلّ شيء هو ربّكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها فتبارك الله ربّ العالمين.

قال الله عزّوجلّ: «فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال» يونس: ٣٢).

وقال: «ذلكم الله ربّكم لا إله إلاّ هو خالق كلّ شيء فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢).

وقال: «ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين» غافر: ٦٤).

وقوله عزّوجلّ: «له الملك لا إله إلاّ هو» لِلّه جلّ وعلا وحده الملك الدّائم لا يزول ملكه في الدّنيا والآخرة، ويملك التّصرّف فيكم، ولا يشاركه في الأمر والخلق أحد، إذ لا خالق ولا مصوّر إلاّ هو فلا شريك له في ملكه ولا في خلقه وتدبيره بوجه من الوجوه فلا موصوف بهذه الصّفات إلاّ هو، فلا تنبغي العبادة إلاّ له وحده.

قال الله تعالى: «قل ادعوا الّذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير» سبأ: ٢٢).

وقال: «ذلكم الله ربّكم له الملك والّذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير»

فاطر: ١٣).

وقال: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤).

وقال: «فتعالى الله الملك الحقّ لا إله إلّا هو ربّ العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له» المؤمنون: ١١٦-١١٧).

وقوله تعالى: «فأنّى تصرفون» أيّها المشركون عن طريق الحقّ بعد هذا البيان؟ إلى أين تولّون وجوهكم وتصرفونها عن الله جلّ وعلا؟ أين تذهب أفكاركم وتنصرف عقولكم؟ من أين تكذبون على الله سبحانه فتجعلون له شريكاً؟ كيف تنقلبون عن عبادة الخالق المتعال إلى عبادة المخلوق الضّعيف الجهول؟ وأنّى تتحوّلون عن عبادة الله تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها، وانتفآء الصّارف عنها بالكلّيّة إلى عبادة غيره من غير داعٍ إليها مع كثرة الصّوارف عنها في عمق ذاتكم؟؟؟!!! فإنّ الله عزّوجلّ غنيّ عنكم وعن إيمانكم وأنتم المحتاجون إليه تعالى في أصل وجودكم وبقاءكم، في حياتكم ومماتكم، وفي كلّ آنٍ من آنات دنياكم وآخركم.

٧ ـ (إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولاتزروازرة وزراخرىٰ ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصّدور)

إن تكفروا أيّها النّاس بالله جلّ وعلا، وتجحدوا نعمته بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمآئه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة لِلإيمان بالله عزّوجلّ والشّكر له، فإنّ الله تعالى غنيّ عن إيمانكم به وعن عبادتكم وشكركم له، وغير محتاج إلى وجوداتكم، فإنّه عزّوجلّ هو الغنيّ المطلق لذاته عمّا سواه من المخلوقات، وأنتم محتاجون إليه حدوثاً وبقآءً.

قال الله تعالى: «ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين» آل عمران. ٩٧).

وقال: «إن تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فإنّ الله لغنيّ حميد» إبراهيم: ٨).

وقال: «يا أيّها النّاس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد» فاطر: ١٥).

فلا ينفعه سبحانه إيمان مؤمن، ولا يضرّه كفر كافر، ولا ينتفع من وجود شيء

من الأشيآء، ولايتضرّر، فإنّ النّفع والضّرر إنّما يتحقّقان في مكان الإمكان والحاجة، وأمّا الله جلّ وعلا هو الغنيّ بذاته، فلايتصوّر في حقه نفع ولا ضرر.

قال الله تعالى: «ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ـ ولا يحزنك الّذين يسارعون في الكفر إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً ـ إنّ الّذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرّوا الله شيئاً» آل عمران: ١٤٤و١٧٦-١٧٧).

وقوله تعالى: «ولا يرضى لعباده الكفر».

ولا يرضى الله عزّوجل لأحدٍ من عباده الكفر لأنّ الكفر هو سبب الذّلّ والهوان، سبب الخزي والخسران، سبب الإنحطاط والحرمان، سبب الهلاك والدّمار، وسبب العذاب والنّار، ومانع من إرتقآء النّفوس البشرية بجعلها ذليلة خاضعة للأرباب المتعدّدة المزعومة، وللمعبودات الحقيرة الموهومة مِن الخشب والنّصب... كيف يرضى الله سبحانه لعباده الكفر وقد خلقهم على فطرة التّوحيد، خلقهم للعبادة والطّاعة، خلقهم للرّحمة والإحسان، خلقهم للخير والسّعادة خلقهم للفلاح والكمال وأمرهم بذلك؟

قال الله تعالى: «فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم» الرّوم: ٣٠).

وقال: «يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم» البقرة: ٢١).

وقال: «وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون» الذّاريات: ٥٦).

وقال: «ذلكم الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢).

أيرضى الله سبحانه لعباده ماينهاهم عنه؟! أيأمرهم بما لايرضاه لهم؟! هذا زعم المشركين ومن انسلك مسالكهم كالزّمخشري والرّازي وأذنابهما البسطآء وأهل الجمود الحمقآء والمجبّرة البلهاء الخارجين عن طريق الهدىٰ.

قال الله عزّوجلّ: «وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفآء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥).

وقال: «إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربى وينهى عن الفحشآء

والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون» النّحل: ٩٠).

وقال: «ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنّبيّين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون» آل عمران: ٨٠) على فطرة التّوحيد.

وقال: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآئنا والله أمَرَنا بها قل إنّ الله لايأمر بالفحشآء أتقولون على الله مالا تعلمون» الأعراف: ٢٨).

وقال: «ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين إنّما يأمركم بالسّوء والفحشآء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ـ الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشآء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً» البقرة: ١٦٩و٢٦٨).

وكيف يرضى لعباده مايعاقبهم عليه؟ أو ليس هذا ظلماً وما هو بظلاّم للعبيد؟!

قال الله تعالى: «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسآء فعليها وما ربّك بظلاّم للعبيد» فصّلت: ٤٦).

وقال: «وما الله يريد ظلماً للعباد» غافر: ٣١).

وأمّا إطلاق العباد على النّاس كلّهم من المؤمنين والكافرين، من الموحّدين والمشركين ومن المخلصين والمنافقين... فكثير في القرآن الكريم، حتّى وقد أطلق على الآلهة وعلى كلّ شيء.

قال الله تعالى عزّوجلّ: «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون» الزّمر: ٤٦).

وقال: «يا حسرة على العباد مايأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن» يس: ٣٠).

وقال: «وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً لعنه الله وقال لأتّخذن من عبادك نصيباً مفروضاً» النّسآء: ١١٧-١١٨).

وقال: «وهو القاهر فوق عباده» الأنعام: ١٨).

وقال: «إنّ الّذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم» الأعراف: ١٩٤).

وقال: «إن كلّ من في السّموات والأرض إلاّ آتي الرّحمٰن عبداً» مريم: ٩٣).

وقوله تعالى: «وإن تشكروا يرضه لكم» وإن تؤمنوا بالله وتطيعوه وتشكروا له على

ما أنعم عليكم بالجري على مقتضى الفطرة والعبودية وسننه القويم والصّراط العادل المستقيم يرض الشّكر لكم ويزدكم من فضله.

قال الله عزّوجلّ: «أن اشكر لله ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنيّ حميد» لقمان: ١٢).

وقال: «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد» إبراهيم: ٧).

وقوله جلّ وعلا: «ولا تزر وازرة وزر اخرىٰ» ولا يؤخذ أحد بذنب الآخر، ولا تحمل حاملة ثقل أُخرى، ولا تجزي نفس عن نفس شيئاً، فلايؤاخذ بالمعصية إلاّ من ارتكبها وفعلها، ولا يؤاخذ بالسّيئة غير فاعلها، وذلك نهاية العدل.

قال الله عزّوجلّ: «وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذاقربى» فاطر: ١٨) وقال: «لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً» لقمان: ٣٣).

وقال: «اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم» غافر: ١٧).

وقال: «كلّ نفس بما كسبت رهينة» المدّثر: ٣٨).

وقوله سبحانه: «ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون» هذا في الحياة الدّنيا من شكراً وكفر، ثمّ إلى ربّكم أيّها النّاس مرجعكم يوم القيامة، إذ يبعثكم، فيظهر لكم حقيقة أعمالكم وما خفي في قلوبكم، فيخبركم بما في صدوركم، وبما عملتموه ويحاسبكم ويجازيكم به قال الله تعالى: «ويوم يرجعون إليه فينبّئهم بما عملوا والله بكلّ شيء عليم» النور: ٦٤).

وقال: «وقال الّذين كفروا تأتينا السّاعة قل بلى وربّي لتأتينّكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين» سبأ: ٣).

وقال: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٢٨٤).

وقوله جلّ وعلا: «إنّه عليم بذات الصّدور» إنّ الله تعالى عليم بذات الصّدور فيخبركم بما فيها من إيمان أو كفر، من هدى أو ضلالة، من خير أو شرّ، ومن

إخلاص أو نفاق... إذ لا يخفى عليه خافيه في الأرض ولا في السّمآء.

قال الله تعالى: «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصّدور» غافر: ١٦و١٩).

وقال: «وإنّ ربّك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون» النمل: ٧٤).

وقال: «وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السّمآء» إبراهيم: ٣٨).

٨ ـ (وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار)

ومن طبيعة الإنسان المتلوّن أنّه إذا أصابه بلاء أو مرض أو وجع في جسده أو عاهة أو قحط أو شدّة في معيشته، أو خوف أو جهد أو ضيق في حياته دعا ربّه متضرّعاً، مخبتاً مطيعاً مخلصاً له مقبلاً إليه بالدّعآء، راجعاً إلى الله تعالى وحده لا يرجو سواه، تآئباً إليه ممّا كان من قبل عليه من الكفر والطّغيان، من الشّرك والعصيان ومن الظّلم والعدوان... فيعترف عندئذٍ بربوبيّة الله تعالى وأُلوهيّته، وتوحّده وتفرّده جلّ وعلا، معرضاً عمّا سواه، مستغيثاً به في إزالة الضرّ وكشفه عنه، يتضرّع لديه في ساعة العسرة، ويستغيث به في زمن الشدّة ويعبده وحده مادام في البلآء في كلّ حال...

قال الله عزّوجلّ: «وإذا مسّه الشّرّ فذو دعآء عريض» فصّلت: ٥١).

وقال: «وإذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إيّاه» الإسرآء: ٦٧).

وقال: «إذا مسّكم الضّرّ فإليه تجأرون» النّحل: ٥٣).

وقال: «وإذا مسّ الإنسان الضّرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قآئماً» يونس: ١٢).

وقوله تعالى: «ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله» ثمّ إذا بدّل الله تعالى عسرة هذا الإنسان المتلوّن يسرة، وبدّل مرضه عافية، وسقمه صحة، وشدّته رخآء، وبدّل الضّرآء بالسّرآء، وأعطاه وملكه إنعاماً من الله عزّوجلّ اشتغل به مستغرقاً، ونسي ربّه وترك ما كان يدعوا الله

تعالى وحده من قبل ساعة اليسرة والرّخآء في كشف الضّرّ عنه، ونسي ما كان يتضرّع إلى الله جلّ وعلا قبل هذا الإعطآء والإنعام، وقبل تبديل الضّرآء بالسّرآء، وجعل الله سبحانه شركآء من الآلهة الموهومة ليضلّ النّاس بعمله هذا عن سبيل الحقّ والهدى بإقتدآء الجهال والسّفلة، والفسّاق والفجرة به.

فهذا الإنسان المتلوّن الرّذل يعرف الله جلّ وعلا ويؤمن به عند الشّدّة والضّرآء، وينكره ويكفر به ساعة اليسر والرّخآء، وهو في الشّدّة يطرق بابه تعالى، وفي الرّخآء لا يعرف وجهه جلّ وعلا.

قال الله تعالى: «فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّكأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه ـ وإذا أذقنا النّاس رحمة من بعد ضرّآء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا» يونس: ١٢و٢١).

وقال: «ثمّ إذا كشف الضّرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم» النّحل: ٥٤ـ٥٥).

وقال: «فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفوراً» الإسرآء: ٦٧).

وقال: «ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون» الزّمر: ٤٩).

وقال: «ولئن أذقناه رحمة منّا من بعد ضرّآء مسّته ليقولنّ هذا لِي وما أظنّ السّاعة قآئمة ولئن رُجعتُ إلى ربّي إنّ لي عنده للحسنى» فصّلت: ٥٠).

وقوله تعالى: «قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار» قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بلسان الوحي الخالد في كلّ ظرف لمثل هذا الإنسان المتلوّن: تمتّع بكفرك وعش كسآئر البهآئم بما أنت فيه من زخرف الدّنيا وشهواتها، وحطامها ولذّاتها تمتّعاً قليلاً إلى أن تستوفي أجلك وتأتيك منيتك، ثمّ إنّك بعد ذلك من أصحاب النّار المخلّدين فيها، فتعذّب أنت معهم فيها أبداً، فهي مثواكم دآئماً قال الله عزّوجلّ: «والّذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثوى لهم» محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم: ١٢).

وقال: «فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتّعوا

فسوف يعلمون» العنكبوت: ٦٥-٦٦).

وقال: «ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون» الحجر: ٣).

وقال: «قل تمتّعوا فإنّ مصيركم إلى النّار» إبراهيم: ٣٠).

وقال: «متاع قليل ثمّ مأواهم جهنّم وبئس المهاد» آل عمران: ١٩٧).

وقال: «ومن كفر فامتّعه قليلاً ثمّ أضطرّه إلى عذاب النّار وبئس المصير» البقرة: ١٢٦).

إنّ التّمتّع بالكفر والنّفاق هو الحياة معه على الوجه الّذي يزين فيه الكفر لأهله كلّ منكر، فلايتقيّد صاحبه بأيّ قيد ولا يرتبط بأيّ إلتزام أدبي أو خلقي أو إنساني قبل الله تعالى أو قبل النّاس.

وإنّ حقيقة الإيمان وصدقه أن يعرف الإنسان ربّه في الرّخآء، ويسبّح بحمده ويشكر له، ويذكر نعمه تعالى عليه، ويطرق باب فضله وإحسانه، وإن أصابه خير حمد وشكر، وإن أصابه ضرّ رضي وصبر. وفي الأثر: «من عرف الله في الرّخآء عرفه الله في الشّدّة».

قال الله تعالى: «ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثّمرات وبشّر الصّابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئک هم المهتدون» البقرة: ١٥٥-١٥٧).

٩ - (أمّن هو قانت آنآء الّيل ساجداً وقآئماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذن يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب)

أمّن هو متلبّس بطاعة الله جلّ وعلا في كلّ حال، دائب على وظائف العبوديّة في ولآء وخشوع وخضوع لربّه، ويذكر الله تعالى في الشّدّة والرّخآء معاً ويقطع أوقات اللّيل فضلاً عن أطراف النّهار، ساجداً في صلاته تارة وقائماً فيها أُخرى، وهو في كلّ حال بين خوف من عذاب الله تعالى ورجآء رحمته، وقد بلغ هو معارج الخير والهدى، ومعارج الكمال والفلاح وكان مظهراً لِلكمال الإنساني أهو كهذا الإنسان المتلوّن الّذي سبق ذكره إذ كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر، لايذكر ربّه إلّا وقت

الشدّة، وهو يرجع إلى الآلهة الموهومة حين الرّخآء والخفآء، ويدرج في دركات الشرّ والضّلال، والإنحطاط والنّار؟! أهذا الموحّد الحامد الشّاكر الذّاكر لله تعالى في السّرّآء والضّرّآء كهذا المشرك الجاحد المنحط؟! ولا ريب أنّ هذا لا يحتاج إلى بيان جواب.

وقوله تعالى: «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس في كلّ ظرف: لا يستوي الّذين يعلمون الّذين أدركوا حقآئق الامور، فاتّبعوا طريق الهدىٰ، بل هم نفس الهدىٰ ومظهر الكمال، والّذين لا يعلمون الّذين عميت أبصارهم عن حقائق الامور واتبعوا طريق الضّلال، وكانوا مظهراً للإنحطاط والخسران...

وقوله عزّوجلّ: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب» إنّما يتذكّر أصحاب العقول السّليمة فقط وهم المؤمنون حقّاً بعدم جواز المقايسة بين الإنسان الكامل الّذي هو المظهر للكمال الإنساني، وبين الإنسان المنحطّ الّذي هو المظهر للإنحطاط الجوامع البشرية، لفقد شرطي باب المقايسة بين الشّيئين وهما السّنخية والعرضيّة بينهما، كيف وأحدهما كان مظهراً للكمال، والآخر مظهراً للإنحطاط البشري حتّى اليوم.

وقد وردت روايات كثيرة عن الفريقين: أنّ المراد بالإنسان المتلوّن المنحط هو أبوبكربن أبي قحافة الّذي كان هو مبدأ فساد وإنحطاط في الدّين الإسلامي حتّى اليوم والمراد بالقانت هو مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام والمراد بالّذين يعلمون هم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين وبالّذين لا يعلمون أعدآءهم، والمراد باولى الألباب هم فرقة ناجية: الشّيعة الإماميّة الإثنى عشريّة الحقّة.

في نهج البلاغة: قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: في أبي بكر واتباعه «زرعوا الفجور وسقوا الغرور وحصدوا الثّبور لا يقاس بآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدّين وعماد اليقين، إليهم يفيئ الغالي وبهم يلحق التّالي، ولهم خصآئص حقّ

الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة».

وفيه: قال عليه السّلام: «وإنّي لعلى بيّنة من ربّي ومنهاج من نبييّ، وإنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لَقْطاً، انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردىً فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا».

وفيه: قال عليه السّلام: «فيا عجباً للدّهر إذ صرتُ يُقرن بي مَن لم يَسْعَ بقدمي، ولم تكن له كسابقتي، الّتي لا يدلي أحد بمثلها إلّا أن يدّعي مدّع مالا أعرفه، ولا أظنّ الله يعرفه والحمد لله على كلّ حال».

وفيه: قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته في شيعته ـ لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وَدِدْتُ أنّ أخي فلاناً كان شاهد نا ليرى ما نصرك الله به على أعداءك ؟ فقال عليه السّلام: أهَوىٰ أخيك معنا؟ فقال: نعم، قال: فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرّجال وأرحام النّسآء سيرعف بهم الزّمان ويقوى بهم الإيمان».

١٠ ـ (قل يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبادى الّذين آمنوا بالله تعالى وصدّقوا برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اتقوا ربّكم بلزوم طاعته واجتناب معصيته، للّذين أحسنوا منكم في هذا الدّنيا بالإيمان والتّقوى وصالح الأعمال حسنة في هذه الحياة الدّنيا من حياة طيّبة تجدونها في راحة الضّمير وصفآء النّفس، وإن لمن تجدوها فيما يحصّلون من متاع مادّى وشهوات عاجلة لاتلبث أن تخمد، فلايجد المرء لها أثراً، وهذه قليلة قليلة بالإضافة إلى حسنة تجزون بها في الدّار الآخرة من الجنّة ونعيمها لايقدّر وصفها بقدر إذلم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر، ولم يسمعها أذن، بحيث لاتطمحون إلى غيرها ولاتطلبون الفرح بماعداها.

قال الله عزّوجلّ: «فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزآء بما كانوا

يعلمون» السّجدة: ١٧).

وقوله تعالى: «وأرض الله واسعة» وقل لهؤلآء المؤمنين المتّقين المحسنين في كلّ ظرف: إن لم تتمكّنوا من التّوفّر على الإيمان والتّقوى وصالح الأعمال في بلدكم الّذي أنتم فيه، فهاجروا إلى بلد آخر فإنّ أرض الله جلّ وعلا واسعة تستطيعون فيها ذلك، واجعلوا أسوتكم الأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وخيار الصّلحآء والمؤمنين إذ فعل كثير منهم ذلك، فلاعذر لأحد من المكلّفين في ترك الإيمان والتّقوى وصالح الأعمال...

قال الله تعالى: «إنّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله» البقرة: ٢١٨).

وقال: «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثمّ يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» النّسآء: ١٠٠).

وقال: «الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفآئزون يبشّرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم» التّوبة: ٢٠-٢١).

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والّذين آو وا ونصروا اولئك بعضهم أوليآء بعض والّذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتّى يهاجروا» الأنفال: ٧٢).

وقال: «إنّ الّذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنّم وسآءت مصيراً» النّسآء: ٩٧).

وقوله عزّوجلّ: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» لايعطى الصّابرون على المهاجرة ومفارقة الأوطان، والأقربآء والإخوان، وعلى تجرّع الغصص وإحتمال البلآء في طاعة الله تعالى وتكاليفه، وفي نصرة الحقّ وأهله... أجرهم إلّا إعطآءً بغير حساب إذ لايهتدي إليه حساب الحاسب، ولا يمكن عدّه ولا حسابه كما أنّهم

لا يحاسبون على أعمالهم ولا ينشر لهم ديوان، ولايقدّر أجرهم بزنة عملهم.

قال الله تعالى: «والّذين هاجروا في الله من بعد ماظلموا النبوّئنّهم في الدّنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الّذين صبروا وعلى ربّهم يتوكّلون» النّحل: ٤١).

١١ ـ (قل إنّي أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدّين)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لجميع النّاس عامّة، ولمشركي مكّة خاصّة ـ إذ كانوا يقولون له: إرجع إلى دين آبآئنا ـ: إنّي أُمرت ـ عن الطّريق الوحي السّماويّ النّازل عَلَيَّ ـ أن أعبد الله جلّ وعلا وحده مخلصاً له الدّين من أنحآء الشّرك والمعاصي... دون كلّ ماتدعون من دونه من الآلهة الموهومة والأصنام المصنوعة... وهذا هو حقيقة الدّين الإسلامي لابدّ وأن يكون النّاس كلّهم على مستوى واحد في التّوحيد والعبودية لِلّه عزّوجلّ ووجوب الإخلاص له والعمل بأمره ونهيه.

قال الله تعالى: «قل إنّما أُمرت أن أعبد الله ولا أُشرك به إليه أدعوا وإليه مآب» الرّعد: ٣٦).

وقال: «قل أفغير الله تامرونّي أعبد أيّها الجاهلون» الزّمر: ٦٤).

وقال: «وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفآء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥).

١٢ ـ (وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين)

وأُمرت لأجل أن أكون أنا أوّل المسلمين من هذه الامّة ومقدّمهم وسابقهم في الدّارين، وأن أكون أوّل مَن دعا نفسه إلى مادعا إليه غيره ليصحّ الإقتدآء بي في قولي وعملي، فالخطاب قد توجّه إليّ قبلكم.

قال الله تعالى: «قل إنّي أُمرت أن أكون أوّل من أسلم ـ قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لِلّه ربّ العالمين لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا اوّل

المسلمين» الأنعام: ١٤و١٦١-١٦٣).

وقال: «قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا جآئني البيّنات من ربّي وأُمرت أن أسلم لربّ العالمين» غافر: ٦٦).

١٣ـ (قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: إنّي أخاف إن عصيت أمر ربّي في إخلاص الدّين لله تعالى ورفض أنحآء الشّرك، وفي إبلاغ ما يوحىٰ إليّ إليكم... أخاف عذاب يوم عظيم أهواله وآلامه... يوم ينفخ في الصّور ففزع من في السّموات ومَن في الأرض إلّا من شآء الله، يوم عبوس قمطرير، يوم تكون السّمآء كالمهل وتكون الجبال كالعهن، يوم يكون النّاس كالفراش المبثوت وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تشخّص فيه الأبصار وتتقلّب فيه القلوب، يوم تذهل فيه كلّ مرضعة عمّا أرضعت، وتضع كلّ ذات حمل حملها، يوم ترى النّاس سكارى وماهم بسكارى، يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السّجود فلا يستطيعون، يوم يفرّ المرء من أخيه وامّه وأبيه وصاحبته وبنيه، ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم.

١٤ـ (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لمشركي مكّة وكلّ من انسلك مسالكهم: الله تعالى وحده أعبده مخلصاً مفرداً له طاعتي وعبادتي لا أجعل أحداً له شريكاً لا إستقلالاً ولا إشتراكاً فافرده بالالوهيّة وأبرأ ممّا سواه من الآلهة المزعومة كما هداني ربّي وأمرني به.

قال الله تعالى: «بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين» الزّمر: ٦٦).

وقال: «قل يا أيّها النّاس إن كنتم في شكّ من ديني فلا أعبد الّذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الّذي يتوفّاكم وأُمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدّين حنيفاً ولا تكوننّ من المشركين» يونس: ١٠٤-١٠٥).

١٥ - (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)

إن لم تؤمنوا بوحدنية الله جلّ وعلا ولم تعبدوه وحده مخلصين له الدّين، فاعبدوا أيّها المشركون ماشئتم من دون الله من تلك الآلهة الموهومة والأصنام المنحوتة... ولكنّي بريئ ممّا تعملون كما أنكم بريئون ممّا أعمل وما الله بغافل عمّا تعملون.

قال الله تعالى: «وقل للذين لايؤمنون إعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون» هود: ١٢١-١٢٢).

وقال: «قل يا قوم إعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون» الزّمر: ٣٩).

وقال: «إعملوا ماشئتم إنّه بما تعملون بصير» فصّلت: ٤٠).

وقال: «وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا بريئ ممّا تعملون» يونس: ٤١).

وقال: «وما الله بغافل عمّا تعملون» البقرة: ٨٥).

وقوله تعالى: «قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» قل يا أيها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: فأيّا ماعبدتم فإنكم تخسرون أنفسكم بإيرادها بالكفروالضّلالة مورد الإنحطاط والهلكة في الدّنيا والآخرة، وتخسرون أهليكم وهم خاصّتكم بحملكم أيّاهم على الشّرك والجناية وهى الخسران بالحقيقة، فإنّ الخسران الّذي لاخسران بعده هو خسران النّفس وإضاعتها بالكفر والضّلال، خسران الأتباع الّذين أضلّوهم وأوقعوهم في العذاب السّرمدي يوم القيامة إذ أوقعوهم في هلكة مابعدها هلكة غير منقطعة وتخليد الأنفس والأهل في النّار، مضافاً إلى عدم نيلهم بالجنّة ونعيمها لو آمنوا واتّقوا وأحسنوا.

قال الله عزّوجلّ: «والّذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون» العنكبوت: ٥٢).

وقال: «وترى الظّالمين لمّارأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّلّ ينظرون من طرف خفيّ وقال الّذين آمنوا إنّ

الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم» الشّورىٰ: ٤٤-٤٥).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها النّاس والحجارة» التّحريم: ٦).

وقال: «من يشرك بالله فقد حرّم عليه الجنّة ومأواه النّار وما للظّالمين من أنصار» المآئدة: ٧٢).

وقوله عزّوجلّ: «ألا ذلك هو الخسران المبين» تنبّهوا أيّها النّاس واعلمو أنّ ذلك هو الخسران البيّن بذهاب الدّنيا والآخرة، فإنّ من كان خاسراً يوم القيامة فهو الخاسر لكلّ شيء، ولا يخفي ذلك على مَن أدرك وتدبّر.

قال الله تعالى: «خسر الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله مالا يضرّه ومالا ينفعه ذلك هو الضّلال البعيد» الحجّ: ١١-١٢).

١٦ - (لهم من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتّقون)

لهؤلآء الخاسرين يوم القيامة أطباق متراكمة من نار جهنّم، بعضها فوق بعض كأنّها ظلل ومن تحتهم مثلها، وذلك كهيئة الظّلل المبنيّة من النّار، فمن فوقهم ظلل منها، ومن تحتهم ظلل منها، مايعلوهم حتّى مايصير مايعلوهم منها من تحتهم ظللاً فأطباق من النّار من ظلل الآخرين، فإنّ لجهنّم دركات كما أن للجنّة درجات، والمراد أنّ النّار محيطة بالكافرين من كلّ جانب.

قال الله تعالى: «لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظّالمين» الأعراف: ٤١).

وقال: «إنّا أعتدنا للظّالمين ناراً أحاط بهم سرادقها» الكهف: ٢٩).

وقال: «وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم و يقول ذوقوا ما كنتم تعملون» العنكبوت: ٥٤-٥٥).

فالنّار المسلّطة على أهلها لاتتّقى هناك إلّا بنار من النّار إذا استصرخ أهلها،

كان الصّريخ لهم بعضاً منها، وقطعاً من شواظها، وفي هذا بلاء إلى بلاءٍ، وعذاب فوق عذاب... حيث تتضاعف البلوى بهذا الطّارق الجديد الّذي كان موضع أمل ورجآء، فالظّلل الّتي من تحت أهل النّار هي نار، يمشون على شواظها، فلا ينتقلون إلّا من نار إلى نار، فحيثما وضعوا أرجلهم كانت النّار تحتها، فلا ظلّ يمشون عليه إلّا هذه النّار الجاحمة الّتي يضعون أقدامهم عليها.

وقوله تعالى: «ذلك يخوّف الله به عباده» ذلك العذاب المعدّ للمشركين والكفرة، للمستكبرين والفجرة، وللظّالمين والفسقة يخوّف الله تعالى به عباده كافّة، ويعلن نقمته على الكافرين ليكفّوا عمّاهم فيه من الشّرك والطّغيان، والكفر والعصيان والظّلم والعدوان، وليؤمنوا بالله جلّ وعلا ويتّقوه ويعملوا صالحاً، وليجتنب غيرهم مايوقعهم فيه بإمتثال أوامره وترك نواهيه، وليزدجروا عن المحارم والآثام... ولهذا جآء:

قوله عزّوجلّ: «يا عباد فاتّقون» تعقيباً على هذا التّحذير، وإلفاتاً إلى طريق السّلامة والنّجاة من هذا البلآء الرّاصد، ندآء من ربّ كريم إلى جميع عباده ليأخذوا طريقهم إلى الله جلّ وعلا حيث الأمن والسّلامة والنّعيم والرّضوان، وذلك بتقوى الله تعالى، فالتّقوى هي مركب النّجاة من هذا الطّوفان الجهنّميّ الّذي يحتوي بأمواجه المتلاطمة كلّ من لم يكن في هذا المركب.

فالمعنى: يا عبادي بالغوا في الخوف والحذر والتّقوى، فأطيعوني فيما أمرتكم به، وانتهوا عمّا نهيتكم عنه، ولا تتعرّضوا لما يوجب سخطي، فقد أنذرتكم وألزمتكم الحجّة فلاعذر لكم بعدها.

قال الله تعالى: «وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً ثمّ ننجّي الّذين اتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّاً» مريم: ٧١-٧٢).

وقال: «وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولا هم يحزنون» الزّمر: ٦١).

وقال: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فاولئك هم الفآئزون» النّور: ٥٢).

١٧ - (والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشّر عباد)

والّذين اجتنبوا الأوثان وابتعدوا عن الأصنام المنحوتة، ورفضوا الآلهة الموهومة أن يعبدوها، ورجعوا بشر اشرهم عمّا سوى الله، وأقبلوا إلى الله جلّ وعلا بالتّوبة والإيمان، والتّقوى وإخلاص الدّين والطّاعة لله تعالى وحده وصالح الأعمال والهجرة والجهاد في سبيله بالأموال والأنفس والولاية لأهل بيت الوحي المصومين صلوات الله عليهم أجمعين لهم البشرىٰ في الحياة الدّنيا وعند الموت ويوم الحساب وفي الجنّة بالأمن والسّلامة، بالنّجاة والسّعادة وبالجنّة والكرامة عند الله عزّوجلّ، فبشّر يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بتلك النّعم والكرامات عبادي:

قال الله تعالى: «الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولـئك هم الفآئزون يبشّرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجر عظيم» التّوبة: ٢٠-٢٢).

وقال: «الّذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» يونس: ٦٣-٦٤).

وقال: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات في روضات الجنّات لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك الفضل الكبير ذلك الّذي يبشّر الله عباده الّذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لاأسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ» الشّورى: ٢٢-٢٣).

١٨ - (الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب)

الّذين اجتنبوا الطّاغوت وأنابوا بشر اشرهم إلى الله تعالى هم الّذين يستمعون القول الّذي هو قول رسول كريم وهو القرآن المجيد، وهم يعتصمون به، فيتبعونه أحسن إتباع، ويجعلونه معياراً لحسن قول الآخرين كما جآء في باب تعارض الرّوايات وعرضها على الكتاب.

قال الله تعالى: «إنّه لقول رسول كريم - تنزيل من ربّ العالمين» الحاقة: ٤٠-٤٣).

وقال: «إنّه لقول رسول كريم- إن هو إلّا ذكر للعالمين» التّكوير: ١٩-٢٧).

وقال: «أفلم يدّبّروا القول» المؤمنون: ٦٨).

وقال: «ولقد وصّلنا لهم القول لعلّهم يتذكّرون» القصص: ٥١).

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأتمّ تحياته: «يعطف الرّأى على القرآن».

وفيه: قال عليه السّلام: «كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض، ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله».

وفيه: قال عليه السّلام: «واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنىً».

وفيه: قال عليه السّلام: «وإنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم وما للقلب جلاء غيره».

وقوله تعالى: «اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب» هؤلآء الّذين هذه صفتهم هم الّذين هداهم الله تعالى إلى الحقّ والرّشاد، إلى الخير والصّواب وإلى الصّدق والصّلاح، فاهتدواهم بهذا القرآن الكريم فنالوا بالفلاح والكمال... واولئك هم اولوا العقول السّليمة عن منازعة الوهم والعادة حقّاً، فإنّهم انتفعوا بعقولهم من حيث اتّبعوا مايجب إتباعه فهم أهل عقل وفهم، وأمّا الكفّار والمجرمون، والفجّار والمستكبرون، والفسّاق والظّالمون وإن كان لهم عقول فكأنّهم لاعقول لهم من حيث أنّهم أعرضوا عن سماع الحقّ وطريق النّجاة، ولم ينتفعوا بما دعوا إليه وعبدوا مالا يضرّ ولا ينفع، فهم ليسوا بأهل عقل ولا فهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً كماهم يعترفون بذلك عند دخول جهنّم.

قال الله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الرّوم: ٢٤-٢٨).

قال الله عزّوجلّ: «ومثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعآءً ونـدآءً صمّ بكم عميٌ فهم لا يعقلون» البقرة: ۱۷۱).

وقال: «لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ۱۷۹).

وقال: «أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً» الفرقان: ٤٤).

وقال: «فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحجّ: ٤٦).

وقال: «وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السّعير» الملك: ۱۰).

۱۹ ـ (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النّار)

أفمن ثبت ولزم عليه كلمة العذاب بسوء إختياره الكفر والطّغيان، والشّرك والعصيان، والظّلم والعدوان... تريد أن تنقذه وهو كآئن في النّار لا ينجيه أحد منها، لأنّه فيها خالد كقوله تعالى: «لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ۱۸۸).

ثبوت كلمة العذاب، هو وجوب دخول أتباع الشّيطان في النّار وخلودهم فيها بالكفر والضّلالة، والظّلم والجناية إذ قال الله تعالى للشيطان عند إخراجه من الملاء الأعلى: «فاخرج منها فإنّك رجيم ـ قال فالحقّ والحقّ أقول لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ۷۷ـ۸۵).

وإذقال لآدم عليه السّلام عند إهباطه إلى الأرض: «والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون» البقرة: ۳۹).

وقال: «فمن يجير الكافرين من عذاب أليم» الملك: ۲۸).

وقال: «يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته الّتي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثمّ ينجيه كلاّ» المعارج: ۱۱ـ۱۵).

وقال: «ولو أنّ للّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ـ ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين» الزّمر: ٤۷ـ۷۱).

إنّما عليك يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم البلاغ وعلينا الحساب، فلست بمسئول عن إيمانهم ولا عن كفرهم.

٢٠ ـ (لكن الّذين اتقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعدالله لايخلف الله الميعاد)

لكن الّذين اتّقوا ربّهم وأطاعوه لهم غرف طباق، غرف من فوقها غرف مبنيّة محكمات، رضيعة مشرفة تجري من تحتها الأنهار من العسل واللّبن والخمر والمآء، تلك الغرف والمنازل والمناظر والأنهار الجارية هي جامعة لأسباب النّزهة، وعدالله تعالى المتّقين وعداً حقّاً يوفيهم بوعده لأنّ الله جلّ وعلا لا يخلف وعده قطّ.

قال الله تعالى: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لنبوّئنّهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين» العنكبوت: ٥٨).

وقال: «من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزآء الضّعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون» سبأ: ٣٧).

وقال: «مثل الجنّة الّتي وُعد المتّقون فيها أنهار من مآء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشّاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كلّ الثّمرات ومغفرة من ربّهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٥).

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم جنّات النّعيم خالدين فيها وعدالله حقّاً» لقمان: ٩).

٢١ ـ (ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآء فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لأولى الألباب)

ألم تر أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأولم تعلموا أيّها النّاس أنّ الله عزّوجلّ أنزل من السّمآء مآء فأدخله في الأرض وأسكنه فيها: «وأنزلنا من السّمآء مآء بقدر فأسكنّاه في الأرض» المؤمنون: ١٨) فأجراه عيوناً وآباراً وقنى وركايا وأنهاراً كباراً وصغاراً في الأرض ـ كالدّمّ في عروق الأجساد تنقل ما تحمله من جانب إلى جانب ـ ثمّ ينبت بهذا المآء ويخرج به زرعاً من الأرض مختلفاً ألوانه من خضرة وحمرة

وصفرة وزرقة وبياض... على أصنافه وأنواعه المختلفة من الحنطة والشّعير والأرز والذّرة والدّخن ونحو ذلك على خواصّها وطعمها وخواصّها المختلفة...

قال الله عزّوجلّ: «وهو الّذي أنزل من السّمآء مآء فأخرجنا به نبات كلّ شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكباً» الأنعام: ٩٩).

وقال: «وأنزل من السّمآء مآء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لاولى النّهى» طه: ٥٣-٥٤).

وقال: «أولم يروا أنّا نسوق المآء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا تبصرون» السّجدة: ٢٧).

وقال: «وهو الّذي أنشأ جنّات معروشات وغير معروشات والنّخل والزّرع مختلفاً أُكله» الأنعام: ١٤١).

وقوله تعالى: «ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً» ثمّ يهيج الزّرع ويثور عن منبته بالجفاف، فيذهب شبابه ونضارته، فيجفّ ويبلغ نهايته في اليبوسة من بعد خضرته وحسنه، فترى أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وترون أيّها النّاس الزّرع من بعد نضارته ورطوبته قد تغيّر، فصار أصفر، ثمّ يجعل الله تعالى الزّرع بعد ماصار يابساً، فتاتاً متكسّراً: «فأصبح هشيماً تذروه الرّياح» الكهف: ٤٥).

وقوله عزّوجلّ: «إنّ في ذلك لذكرى لاولى الألباب» إنّ في فعل الله تعالى ذلك من إنزال المآء وإخراج الزّرع بسببه، ومن إخراج الزّرع مختلف الألوان والحبوب، مختلف الأصنام والطّعوم، ومختلف الأنواع والخواص...

بمآء واحد تذكيراً وتنبيهاً لأهل العقول السّليمة على وجود الصّانع الحكيم، وعلى علمه وتدبيره، وقدرته وعظمته... وأنّ أهل النّهى يتذكّرون به، وأنّهم يعلمون أنّ مَن فعل ذلك فلن يتعذّر عليه إحداث ماشآء من الأشيآء، وإنشآء ما أراد من الأجسام والأعراض، وأنّ ذلك كآئن عن تقدير وتدبير لا عن إهمال وتعطيل، وغيرهم لا يتذكّرون به.

٢٢ ـ (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين)

أفمن وسع صدره للإسلام لما يرى من تلك البدائع والعجآئب المهيئة للحكمة الممهّدة لقبول الحقّ والموصلة إلى الرّشاد فاهتدى بها، وعلم الله تعالى صدقه في طلب الحقّ والصّواب، فشرح صدره للإسلام، ودخل نوره في قلبه، ففسحه لمعرفته والإقرار بوحدانيته والإذعان لربوبيّته والخضوع لطاعته، فهو على نور من ربّه، فيبصر به، ويقبل به الحقّ، وليس قبوله من دون دراية وكيفما كان، وإنّما هو على بيان وبصيرة ويقين، وهو لذلك لأمر الله تعالى متّبع، عمّا نهاه عنه منتهٍ، وفي قلبه لين لا يعصى عن قبول ما يلقى إليه من أحسن القول، فمن هذه صفته فهو كأنّه راكب نور يسير معه، ويبصر ما يمرّ به في ساحة صدره الرّحب الوسيع من الحقّ فيبصره ويميّزه من الباطل كمن شرح صدره للكفر، وضاق قلبه وأقساه بسوء إختياره إذ لم يقبل ما ساق الله تعالى إليه من نور، فضلّ سوآء السّبيل، فأخلاه عن ذكر الله جلّ وعلا وضيّقه عن استماع الحقّ واتباع الهدى والعمل بالصّواب، فطمع على قلبه لغفلته وجهالته، وكفره وضلالته، وعناده وغوايته... قاسي القلب الّذي لا في صدره شرح فيسع الحقّ، ولا هو راكب نور من ربّه فيبصر الحقّ ويميّزه؟!

قال الله عزّوجلّ: «أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها» الأنعام: ١٢٢).

وقال: «من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله» النّحل: ١٠٦).

وقال: «أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زيّن له سوء عمله واتّبعوا أهوآءهم ـ والّذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٤-١٧).

وقوله تعالى: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» فالويل أشدّ الويل للّذين قست قلوبهم عن قبول القرآن الكريم والإهتدآء به، بسوء إختيارهم الكفر والضّلالة فإذا ذكر الله عزّوجلّ وذكرت دلائل علمه وحكمته، وبدائع صنعه وتدبيره، وبراهين قدرته وعظمته عندهم إشمأزّت ونفرت قلوبهم، وزادها قسوة وتصلّبت حتّى لا ينجع

فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب، فلا تخشع ولاتلين عند ذكر الله الّذي من حقّه أن تلين وترقّ منه القلوب.

قال الله تعالى فيهم: «وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزمر: ٤٥).

وقال: «ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ما كانوا يعملون» الأنعام: ٤٣).

وقال: «وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقرو من بيننا وبينك حجاب» فصّلت: ٥) وقال: «فإنّها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحج: ٤٦).

وقوله جلّ وعلا: «اولئك في ضلال مبين» اولئك القساة القلوب الّذين عمت بصيرتهم، هم في عدول عن الحقّ والهدى، وفي غواية ظاهرة وضلالة واضحة لكلّ مَن له أدنى تأمّل في أحوالهم، فلايحتاج إلى عنآءٍ في تفهّم حقيقتها ومعرفة كنهها.

٢٣ ـ (الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشآء ومن يضلل الله فماله من هاد)

الله جلّ وعلا نزّل أحسن الحديث كتاباً وهو القرآن الكريم الّذي هو مقياس وميزان لحسن كلّ كلام لايقاس به حديث آخر، إذ لايقاس كلام المخلوق بكلام خالقه كما أن لايقاس مصنوع المخلوق بصنع خالقه، وقد سمّي القرآن المجيد حديثاً لأنّه كلام جديد لفظاً ومعنىً، جآء به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ماجآء بمثله نبيّ قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله عزّوجلّ: «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً» الكهف: ٦).

وقال: «فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين» الطّور: ٣٤).

وقال: «فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث» القلم: ٤٤)

وقوله تعالى: «كتاباً متشابهاً» يشبه بعض أجزآء القرآن الكريم بعضاً، ويصدّق

بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض، ويردّ بعضه إلى بعض لا اختلاف فيه ولا تناقض.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات وأتمّ تحياته: «والله سبحانه يقول: «مافرّطنا في الكتاب من شيء» وقال: «فيه تبيان كلّ شيء» وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضاً، وأنّه لا إختلاف فيه، فقال سبحانه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» وإنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجآئبه ولا تنقضي غرآئبه ولا تكشف الظّلمات إلّا به».

وفيه: قال الإمام عليه السّلام: «كتاب الله تبصرون به تنطقون به وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله».

وقوله جلّ وعلا: «مثاني» لما فيه من بيان أمور وأضدادها، وتقرير حسن آثارها ونتائجها، ووخامة عواقبها وتبعاتها من التّوحيد والشّرك من الإيمان والكفر، من الحقّ والباطل، من الهدى والضّلال، من الخير والشّرّ، من الكمال والإنحطاط، من الصّلاح والفساد، من الفلاح والخسران، من التّقوى والطّغيان، من الوعد والوعيد، من التّرغيب والتّرهيب، من السّعادة والشّقآء، من الحسنات والسّيّئات ومن الجنّة والنّار... مع نزوله دفّتين، ولكلّ آية من آياته تفسير وتأويل، وظاهر وباطن، وتفسير بعضه بعضاً من دون تعارض وتناقض فيه.

وقوله سبحانه: «تقشّعر منه جلود الّذين يخشون ربّهم» ترتعد من سماع القرآن الكريم جلود المؤمنين الّذين يخافون عذاب ربّهم لـمّا يسمعون فيه من الوعيد والعذاب، ومن الإنذار والعقاب، فتتقبّض وتتغيّر لونهم عند ذكر غضب الجبّار والنّار، فهم والنّار كمن قدرآها فهم فيها معذّبون.

قال الله تعالى: «وممّن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرّحمن خرّوا سجّداً وبكيّاً» مريم: ٥٨).

وقال: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتآء الزّكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار» النور: ٣٧).

وقوله عزّوجلّ: «ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» ثمّ تلين جلود هؤلآء المهتدين المؤمنين حقّاً عند سماع آيات الرّحمة والإحسان، والرّأفة والغفران، وتسكن قلوبهم وتطمئن إلى ذكر الله جلّ وعلا، وهم والجنّة كمن قدرآها فهم فيها منعمون. ليّنة غير متقبّضة، راجية غير خآئفة.

قال الله تعالى: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً» الأنفال: ٢).

وقال: «الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب» الرّعد: ٢٨-٢٩).

وقوله تعالى: «ذلك هدى الله يهدي به من يشآء» هذا القرآن الكريم هو بيان الله جلّ وعلا للنّاس، يهدي به من يشآء من عباده الّذين استمعوه واهتدوا به، فيوفقهم للإيمان والعمل به، فيخشون تلك الخشية ويرجون ذلك الرّجآء.

قال الله تعالى: «هذا بيان للنّاس وهدى وموعظة للمتّقين» آل عمران: ١٣٨).

وقال: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب» الزّمر: ١٨).

وقال: «ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم» آل عمران: ١٠١).

وقال: «قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه وسبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة: ١٥-١٦).

وقال: «والّذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٧).

وقال: «وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فانّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين» النّمل: ٩٢).

وقوله سبحانه: «ومن يضلل الله فماله من هاد» من اختار الكفر والضّلالة وأصرّ على الشّرك والطّغيان، على الظّلم والعصيان، وعلى الفسق والعدوان بعد الإنذار والبيان، يذره الله في كفره وضلاله... وذلك أنّ الضّلالة هي نتيجة من نتآئج سوء اختيار الإنسان في العقيدة وعمل قبيح وزيغ وفساد وإعراض عن ذكر الله تعالى، ويجوز إسناد الضّلالة إلى الله عزّوجلّ من حيث إنّه تعالى وضع نظام الأسباب والمسبّبات، فإذا تمّت المقدّمات حصلت النّتيجة بمقتضي إرادة الله سبحانه لا بمعنى أنّه سبحاه أجبر الإنسان على الضّلالة كما لا يجبره على الهداية والإيمان، وهذا هو الّذي ينسجم مع العدل الإلهيّ.

قال الله تعالى: «إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل» الزّمر: ٤١).

وقال: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن اتبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدي القوم الظّالمين» القصص: ٥٠).

وقال: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل فهم لا يهتدون» النّمل: ٢٤).

وقال: «قد جآءكم بصآئر من ربّكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ» الأنعام: ١٠٤).

وقال: «فبأيّ حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون» الأعراف: ١٨٥-١٨٦).

٢٤ ـ (أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظّالمين ذوقوا ماكنتم تكسبون)

أفمن يلقى يوم القيامة في نار جهنّم بسبب شركه وطغيانه، وكفره وعصيانه، في الدّنيا ويذوق أشدّ عذاب النّار بوجهه كمن عافاه الله تعالى من هذا البلآء يومئذ بسبب إيمانه وتقواه وصالح أعماله في الحياة الدّنيا فهو آمنٌ من هذا العذاب لا يصيبه مكروه وهو يدخل الجنّة؟!

قال الله تعالى: «أفمن يلقى في النّار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة» فصلت: ٤٠).

وقال: «ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنّم ملوماً مدحوراً» الأسراء: ٣٩).

وقال: «وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولا هم يحزنون» الزمر: ٦١).

ولا يخفى أنّ الإنسان يتّقي المخاوف بيديه صيانة لوجهه، وأمّا هؤلآء الظّلمة الفجرة الّذين جنوا على أنفسهم بالكفر والضّلال، والشّرك والإنحراف عن طريق الحقّ والهدى فغلّت أيديهم إلى أعناقهم فهم لا يتقون النّار إلّا بوجوههم.

قال الله تعالى: «لو يعلم الّذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النّار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون» الأنبيآء: ٣٩).

وقوله عزّوجلّ: «وقيل للظّالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون» يقول الله جلّ وعلا للظّالمين تهكماً واستهزاءً: حينما يذوقون طعم عذاب نار جهنّم: ذوقوا اليوم جزآء ما كنتم تكسبون في الحياة الدّنيا من الشّرك والعصيان، والكفر والعدوان إذ كما زرعتم تحصدون.

قال الله تعالى: «ونقول للّذين ظلموا ذوقوا عذاب النّار الّتي كنتم بها تكذّبون» سبأ: ٤٢).

وقال: «إنّ المجرمين في ضلال وسُعرُ يوم يسحبون في النّار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر» القمر: ٤٧-٤٨).

٢٥ - (كذّب الّذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

فليس هؤلآء الظّالمون المستكبرون بدعاً في الكفر والضّلالة، بل كذّب الّذين من قبل هؤلآء الفجرة، من الامم الخالية رسلهم، وجحدوا بآيات الله كقوم نوح وهود وصالح وشعيب عليه السّلام، وقوم فرعون فأتاهم عذاب الله فأصابهم من الهلاك بغتة، جزآءً لهم على فعلهم وعقوبة عاجلة من جهة لا يشعرون بمجيء من هذه الجهة الّتي لا يحتسبون، ولا يخطر ببالهم أنّ العذاب يأتيهم منها، وقد كانوا آمنين غافلين، فقد اخذوا وهو أشدّ الأخذ، فتلك هي عاقبة المكذّبين ولن يفلت الظّالمون من هذه العاقبة.

قال الله عزّوجل: «كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّى ذاقوا بأسنا» الأنعام: ١٤٨) وقال: «قد مكر الّذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون ـ ولقد جآءهم رسول منهم فكذّبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون» النحل: ٢٦و١١٣).

٢٦ ـ (فأذاقهم الله الخزي فى الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

فعجّل الله جلّ وعلا لهؤلآء الامم المكذّبة الماضية أنواع العذاب فى الحياة الدّنيا من الخزي والهوان والذّلّ والصّغار، وما أصابهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم من الجوع والخوف، من السّبي والإجلآء، من القتل والغرق، من الخسف والمسخ، من الصّيحة والرّجفة ومن الهلاك والدّمار وما إليها من أنواع عذاب الدّنيا، فذاقوا وبال أمرهم فيها قبل عذاب الآخرة، ولعذاب الآخرة أكبرو أشدّ من عذاب الدّنيا لو كان هؤلآء الظّالمون الكفرة من هذه الامّة يعلمون وهم لايريدون أن يعلموا ذلك، فإنّهم لو كانوا يعلمون عواقب تكذيب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وتبعات جحود آيات الله تعالى لاعتبروا وآمنوا بالله واجتنبوا الطّاغوت...

قال الله تعالى: «ألم يأتكم نبؤا الّذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم» التّغابن: ٥).

وقال: «وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً» الطّلاق: ٨-٩).

وقال: «كمثل الّذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» الحشر: ١٥).

وقال: «لنذيقنّهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أخزىٰ وهم لاينصرون» فصّلت: ١٦).

وقال: «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى» طه: ١٢٧).

وقال: «فما جزآء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدّنيا ويوم القيامة

يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون» البقرة: ٨٥).

٢٧ ـ (ولقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون)

واقسم بعزّتي وجلالي، وبعظمتي وقدرتي انّا ضربنا للنّاس عامّة في كلّ ظرف، من كلّ مثل يحتاج إليه الإنسان في أمر دينه ودنياه شيئاً من أمثال القرون الماضية وغيرها من الأمثال المتنوّعة تحذيراً منا لهم، حملاً لهم على التّدبّر والتّذكّر لعلّهم يتدبّرون ويتّعظون ويعتبرون بتذكّر ما تتضمّنه، فينزجروا عمّا كان الّذين قبلهم عليه من الفكر والظّلال، من الظّلم والفساد، ومن البغي والإنحطاط لئلاّ يحلّ بهم ما حلّ بمن قبلهم.

قال الله تعالى: «ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات ومثلاً من الّذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتّقين» النور: ٣٤).

وقال: «فهل ينتظرون إلاّ مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم» يونس: ١٠٢).

وقال: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم» الرّوم: ٢٨).

وقال: «فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقنا هم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين» الزّخرف: ٥٥-٥٦).

وقال: «ذلك بأنّ الّذين كفروا اتّبعوا الباطل، وأنّ الّذين آمنوا اتبعوا الحقّ من ربّهم كذلك يضرب الله للنّاس أمثالهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣).

وقال: «ولقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى اكثرالنّاس إلاّ كفوراً» الأسراء: ٨٩).

وقال: «وتلك الأمثال نضربها للنّاس ومايعقلها إلاّ العالمون» العنكبوت: ٤٣).

٢٨ ـ (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون)

هذا القرآن الّذي ضربنا فيه الأمثال المتنوّعة لهداية النّاس أجمعين في كلّ ظرف هوقرآن عربيّ في ألفاظه وأسلوبه، إنسانيّ في معانيه ومبانيه، في أصوله وفروعه، في حكمه وأسراره، وفي حقآئقه ومعارفه... فليس القرآن الكريم لقوم دون قوم، أولسان دون لسان، أو لقرن دون قرن كما توهم بعض المتحجّرين البسطآء إذ تقوّل: إنّ القرآن لمن خوطب به!

ولو كان القرآن الكريم لمن خوطب به للزم أن تكون رسالة النّبيّ الكريم صلّى الله

عليه وآله وسلّم إلى المخاطبين به فقط، فالغائبون غير مكلّفين بها، إذ لا كتاب لهم، ولو كان فهمه مختصاً بالمخاطبين، لكان الكتاب غير المفهوم للغائبين كالمعدوم! وقد كان القرآن هداية للنّاس أجمعين في كلّ ظرف قال الله عزّوجلّ: «شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان» البقرة: ١٨٥).

وقال: «يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف: ١٥٨).

وقال: «واوحي إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» الأنعام: ١٩).

وقال: «وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس بشيراً ونذيراً» سبأ: ٢٨).

وقال: «إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون - إن هو إلّا ذكر للعالمين» يوسف: ٢و١٠٤).

وقال: «نزل به الرّوح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين - ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين» الشّعراء: ١٩٣-١٩٩).

وقال: «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجميّ وعربيّ» فصّلت: ٤٤).

وقوله تعالى: «غير ذي عوج» لا إغراب فيه ولاتعقيد، ولا إختلاف فيه ولا تضادّ، فصّلت آياته، وحيد كتاب خالد لهداية النّاس في كلّ ظرف إلى يوم القيامة، لايأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن اهتدى به فهو موصله إلى الحقّ والصّواب قال الله عزّوجلّ: «فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به» الجن: ١-٢).

وقال: «إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم» الإسراء: ٩).

وقال: «وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصّلت: ٤١-٤٢).

وقوله جلّ وعلا: «لعلّهم يتّقون» هكذا جعلنا هذا القرآن لكى يتّقي به النّاس عمّا نهيناهم عنه من الكفر والمعاصي، ويتّقوا ما حذّرناهم فيه من بأسنا وسطوتنا، فيوحّدوا الله جلّ وعلا ويعبدوه وحده ويجتنبوا الطّواغيت...

قال الله تعالى: «وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلّهم يتقون» طه: ١١٣).

٢٩ـ(ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون و رجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمدلله بل أكثرهم لايعلمون)

هذا مثل ضربه الله تعالى للعابد المشرك بالله سبحانه، والآلهة المعبودين له، بعبد مملوك إشترك فيه شركآء سيّئة أخلاقهم، متبانية نيّاتهم، مختلفة أهوآؤهم، متشتتة آرآؤهم، متنازعين في هذا العبد المملوك الضئيل الّذي يخدمهم بشرا شرهم، فإنّ كلّ واحد من الشّركآء المتنازعين يدّعى أنّه عبده، فلايلقاه رجل منهم إلّا جرّه إلى نفسه واستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، فكلّ يناديه في وقت واحد إلى نفسه ويستخدمونه في مهن شتّى... فواحد يأمره بفعل، والآخر ينهاه عنه، والثّالث يريده لفعل آخر وهكذا... والعبد بين الأمر والنّهى حآئر في أمره، وهو يلقى منهم العنآء والنّصب والتّعب العظيم، لايستطيع أن يرضى واحداً منهم بخدمته، فهو بين أيدي هؤلآء المالكين المتنازعين الّذين لايتفقون على رأيٍ، متحيّر لايدري مَن يجيبه؟ لايدري أيّهم يرضى بخدمته؟ لايدري على أيّهم يعتمد في حوآئجه؟ لايدري مَن هم يرزقه؟ ولا يدري مَن هم يداويه ويشفيه؟؟؟ فهو على كلّ حال في حيرة فيمن يخدمه منهم!

ومثل ضربه الله جلّ وعلا للموحّد المؤمن الّذي لايعبد إلّا الله تعالى، ولا يدين لشيء سواه بالرّبوبيّة والالوهيّة، بعبد له سيّد واحد، لما لك واحد، لإرادة واحدة وندآء واحد، فيخدم واحداً خبيراً حكيماً فيما يأمره وينهاه لاينازعه فيه أحد، فإذا أطاعه وحده عرف موضع طاعته له وأكرمه، وإن أخطأ صفح عن خطأه، فهمّه واحد وقلبه مجتمع لا مفرّق.

وقوله تعالى: «هل يستويان مثلاً» فأيّ هذين العبدين أحسن حالاً وأروح جسماً وأقلّ تعباً ونصباً؟ مَن اختلفوا فيه خير؟ أم من لم يختلف فيه أحد؟ أيّهما على صلاح وفلاح، على خيروكمال، وعلى هدى مستقيم؟ وأيّهما على فساد وخسران، على

شرّ وانحطاط، وعلى ضلال مبين؟

هل يستويان صفة وشبهاً في حسن العاقبة وحصول المنفعة؟ كلاّ! لأنّ الخالص لمالك واحد يستحقّ من معونته وحياطته مالايستحقّه صاحب الشّركآء المتغالبين المتنازعين في أمره، فلايستوي هذا وذاك، كما لايستوي من يعبد الواحد الأحد، ومَن يعبد آلهة أشكالاً وألواناً...

قال الله عزّوجلّ: «مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسّميع هل يستويان مثلاً أفلاتذكّرون» هود: ٢٤).

وماورد فى المقام من الرّوايات عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فمن باب التّاويل وهو اللّبّ فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل، فإنّ المقام مزلّ الأقدام...

وقوله تعالى: «الحمدلله بل أكثرهم لايعلمون» الحمد كلّه لله جلّ وعلا على ظهور الحجّة الداخلة من فطرة التّوحيد والولاية، وعلى الأدلّة القاطعة الخارجة عليهم عليهما، ولكن أكثرهم لايعلمون فيما يقعون فيه من التّناقض، حيث إنّهم يعترفون بالإيمان والولاية ثمّ يكفرون بهما جهلاً وحمقاً، يقفون من الدّعوة إليهما موقفهم العنيد إتباعاً لأهوآئهم...

٣٠ - (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)

إنّك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ستموت، وإنّ هؤلآء المكذّبين ومن انسلك مسالكهم والمؤمنين كلّهم يموتون، فإنّ الإنسان بما أنّه إنسان، نبيّاً كان أو امّة، عالماً كان أو جاهلاً، ذكراً كان أو انثى... عاقبته الموت والفنآء من هذه الدّنيا وارتحال منها إلى الدّار الآخرة الّتي هى دار البقآء، وإنّ الدّنيا دارفنآء فيفنى كلّ من عليها والآخرة دار بقآء، فيبقى كلّ من فيها.

قال الله عزّوجلّ: «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» آل عمران: ١٤٤).

وقال: «وما جعلنا لبشرمن قبلك الخلد أفإن مِتَّ فهم الخالدون كلّ نفس ذائقة

الموت ونبلوكم بالشّرّ والخير فتنة وإلينا ترجعون» الأنبيآء: ٣٤-٣٥).

وقال: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين - فتبارك الله أحسن الخالقين ثمّ إنكم بعد ذلك لميّتون ثمّ إنكم يوم القيامة تبعثون» المؤمنون: ١٢-١٦).

وقال: «كلّ من عليها فانٍ» الرّحمٰن: ٢٦).

وقال: «نحن قدّرنا بينكم الموت» الواقعة: ٦٠).

وقال: «وما هذه الحياة الدّنيا إلاّ لهو ولعب وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤) وقد أنشد أبوعمرو:

وتسئلني تفسير ميّت وميّتٍ ... فدونك قد فسرتُ إن كنت تعقل

فمن كان ذا روح فذلك ميّت ... وما الميّت إلاّ من إلى القبر يُحمل

٣١ - (ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون)

فليس الموت نهاية المطاف إنّما هو حلقة بعدها حلقات النّشأة المقدّرة المدبّرة الّتي ليس شيء منها عبثاً ولا سدىً، حتّى يبعثك الله جلّ وعلا يوم القيامة، فتحتجّ عند ربّك على المخالفين من امّتك بأنّك بلّغتهم رسالتك بما أنزِلَ إليك من ربّك وتركت فيهم الثّقلين: كتاب الله عزّوجلّ وعترتك المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فخالفوهما فنبذوهما ورآء ظهورهم، واشتروا بهما ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون، وهم يومئذ يعتذرون بما لا ينفعهم.

قال الله تعالى: «ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئني وكان الشّيطان للإنسان خذولاً وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٢٧-٣٠).

٣٢ - (فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوى للكافرين)

ليس أحد أظلم ممّن كذب على الله تعالى بأن اتبع هواه وابتدع أحكاماً، وحرّم حلالاً وأحلّ حراماً ونسبها إلى الله سبحانه، وكذّب بالقرآن الكريم إذجآءه رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم فعصى الله تعالى وخالف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من دون رعاية طريقة أهل الإنصاف والتّدبّر، أليس في نار جهنّم مأوى ومسكن كلّ من تعدّ حدود الله وخالف رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما جآءهم وامتنعوا من اتباعه على مايدعوهم إليه ممّا آتاه به من عند الله عزّوجلّ من التّوحيد والولاية وحكم القرآن؟ بلى كلّ من تلبّس بالمخالفة والتّكذيب ومات عليها فالنّار مأواه وهو فيها خالد.

قال الله عزّوجلّ: «ويوم القيامة ترى الّذين كذّبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين» الزّمر: ٦٠).

وقال: «ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين» النّسآء: ١٤).

وقال: «فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» النّور: ٦٣).

٣٣ ـ (والّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون)

والّذي جآء بالصّدق هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء برسالة الله تعالى وقرآنه، والّذي صدّق به هو مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وهو أوّل من صدّق برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و بما جآءه وأوّل من آمن بالله تعالى على فطرة التّوحيد، وشيعته اولئك هم المتّقون الّذين نهجوا نهجه وساروا على طريقه، اجتنبوا الطّاغوت والفواحش... وهم على الدّين الحقّ على بصيرة وغيرهم على مزلّة الباطل بدون ريبة قال الله عزّوجلّ: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يوسف: ١٠٨).

في نهج البلاغة: قال الإمام أمير االمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «والله لأنا أوّل من صدّقه».

وفيه: قال عليه السّلام: «فانّي وُلدتُ على الفطرة وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة».

وفيه: قال عليه السّلام: «فأنا أوّل من آمن به».

وفيه: قال عليه السّلام: «أللّهمّ إنّي أوّل مَن أناب وسمع وأجاب لم يسبقني إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّلاة».

وفيه: قال عليه السّلام: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي لم أردّ على الله ولا على رسوله ساعةً قطّ ـ إلى أن قال ـ فو الّذي لا إله إلاّ هو إنّي لعلى جادّة الحقّ وإنّهم لعلى مزلّة الباطل».

٣٤ ـ (لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك جزآء المحسنين)

لهؤلآء المتّقين الّذين اتّبعوا أوّل مَن صدّق برسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآمن بالله تعالى على فطرة التّوحيد، لهم عند ربّهم في الجنّة ماتشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم وزيادة على ذلك بلا عدّو حدّ ينالون من جهته جلّ وعلا من الثّواب والنّعيم من الكرامة والرّزق الكريم، ومن الفضل والإحسان والمقام الرّفيع... كلّ ذلك إنّ الله جلّ وعلا قد أحسن جزاء من أحسن ديناً فأسلم وجهه الله تعالى واستمسك بالعروة الوثقى وأحسن قولاً وفعلاً، فهؤلآء المتّقون هم المحسنون في عقآئدهم وأقوالهم وأعمالهم، فإنّهم المصدّقون بما جآء النّبيّ الكريم لإ تباعهم أوّل مَن صدّق به صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله تعالى: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الامور» لقمان: ٢٢).

وقال: «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً» النّسآء: ١٢٥).

وقال: «الّذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم القرح للّذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم» آل عمران: ١٧٢).

وقال: «وقيل للّذين اتّقوا ماذا أنزل ربّكم قالوا خيراً للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتّقين جنّات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها مايشآؤن كذلك يجزي الله المتّقين الّذين تتوفّاهم الملآئكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون» النّحل: ٣٠-٣٢).

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات إنّا لانضيع أجر من أحسن عملاً اولئك لهم جنّات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متّكئين فيها على الأرائك نعم الثّواب وحسنت مرتفقاً» الكهف: ٣٠-٣١).

وقال: «الأخلآء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين ـ وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنّة الّتي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون» الزّخرف: ٦٧-٧٣).

وقال: «وأزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد ـ لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣١-٣٥).

وقال: «إنّ المتّقين في ظلال وعيون وفواكه ممّا يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين» المرسلات: ٤١-٤٤).

٣٥ ـ (ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون)

بهذا الجزآء المضاعف للمحسنين، جزآء إستجابتهم لله جلّ وعلا، وتصديقهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإتباعهم وليّ الله الّذي لاخطأ ولا زلل ولا سهو فيه، يمحو الله تعالى عنهم أسوأ ما في صحف أعمالهم من السّيّئات الّتي تقع منهم، فيحطّها ويبدّلها حسنات وهم على طريق الإحسان حتّى تصبح صحفهم كلّها حسنات وإحسان، فيكون جزآؤهم الإحسان بهذا الإحسان.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون ـ اولئك الّذين نتقبّل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيّئاتهم في أصحاب الجنّة وعد الصّدق الّذي كانوا يوعدون» الأحقاف: ١٣-١٦).

وقال: «ولنجزينّ الّذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» النّحل: ٩٦-٩٧).

وقال: «ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشآء بغير

حساب» النور: ۳۸).

وقال: «ومن يتّق الله يكفّر عنه سيّـئاته ويعظم له أجراً» الطلاق: ٥).

وقال: «من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات» الفرقان: ۷۰).

وقـال: «والّذين آمـنوا وعمـلوا الصّالحات لـنكفّـرنّ عنهم سيّـئاتهـم ولنجـزينّهم أحسن الّذي كانوا يعملون» العنكبوت: ۷).

كما أنّ الله جلّ وعلا يجزي الكافرين أسوأ الّذي كانوا يعملون.

قـال الله: «فلنـذيقنّ الّـذين كفروا عـذاباً شديـداً ولنجزيـنّهم أسـوأ الّذي كانوا يعملون ذلك جزآء أعداء الله النّار لهم فيها دار الخلد جزآء بما كانوا بآياتنا يجحدون» فصّلت: ۲۷-۲۸).

٣٦ ـ (أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد)

ألـيس الله جلّ وعلا بكاف عبـده محـمّداً رسوله صلّى الله عـليه وآله وسلّم؟ بلى وهو كافٍ عبده إذا اتّخـذ العبد مقـام العبوديّة، وقـام بحقّ هذا المقام، فـلن يعتريـه شكّ حينئذ أنّه عزّوجلّ يكفيه لأنّه القويّ القاهر فوق عباده فلا يخاف من غيره لأنّه تعالى معه: «الّذيـن استجـابوا لله والرّسول مـن بعد مـا أصابهم القـرح للّذيـن أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم الّذيـن قال لهم النّاس إنّ الـنّاس قد جمعوا لـكم فاخشوهم فـزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» آل عمران: ۱۷۲-۱۷۳).

فضلاً عـن سيّد الأنبيآء والمرسلين وأشرف الخلق أجمعين، ويخوّفـك يا محمّد صلّى الله عليـه وآله وسلّم هـؤلآء المشركون بآلهتهـم المنحوتـة، والمعانـدون والمنافقـون بالحاقـهم بـالـكفّار والمشركين... فإنّ الله جلّ وعـلا يـكفيك عداوة مـن يـعاديك ويناوئك، يكفلك ويحفظك من كلّ سوء يرادبك، ويعصمك من النّاس فلايقدرون أن يلحقوا بك من سوء...

قال الله تعالى: «فـاصدع بما تـؤمرو أعرض عـن المشركين إنّا كفـيناك المستهزئين الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون» الحجر: ٩٤-٩٦).

وقال: «فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم» البقرة: ١٣٧).

وقال: «والله يعصمك من النّاس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين» المآئدة: ٦٧).

وقوله تعالى: «ومن يضلل الله فماله من هاد» ومن اتّخذ طريق الكفر والضّلال، وسبيل الشّرّ والفساد، وأعرض عن الحقّ والهدى وعن الطّاعة والرّشاد بسوء إختياره وخلّى تعالى سبيله وذره في عصيانه، فماله عندئذ من هاد يوفقه للإيمان وتصديق رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والعمل بطاعته.

قال الله تعالى: «ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» الأحزاب: ٣٦).

وقال: «ومن أضلّ ممّن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون» الأحقاف: ٥).

وقال: «أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون» الجاثية: ٢٣).

وقال: «بل اتبع الّذين ظلموا أهوآءهم بغير علم فمن يهدي مَن أضلّ الله وما لهم من ناصرين» الرّوم: ٢٩).

وقال: «من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون» الأعراف: ١٨٦).

٣٧ - (ومن يهد الله فماله من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام)

ومن أناب إلى الله تعالى واهتدى بهداه واعتصم به وجاهد في سبيله واتبع رضوانه هداه الله جلّ وعلا إلى سوآء السّبيل، فإذاً هو المهتدي الّذي لا يقدر أحد أن يضلّه عن سبيله إذ لا رادّ لفعله.

قال الله تعالى: «قل يا أيّها النّاس قد جآءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه» يونس: ١٠٨).

وقال: «ومن يعتصم بالله فقد هُديَ إلى صراط مستقيم» آل عمران: ١٠١).

وقال: «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا وإنّ الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩).

وقال: «قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم»

آل عمران: ١٥-١٦).

وقال: «ومن يهدي الله فهو المهتدي» الأعراف: ١٧٨).

وقال: «الله يجتبي إليه من يشآء ويهدي إليه من ينيب» الشورىٰ: ١٣).

وقوله تعالى: «أليس الله بعزيز ذي انتقام» أليس الله جلّ وعلا بغالب لكلّ شيء؟ بقادر على أمره، منيع لاينازع، وقاهر في ملكه وسلطانه لايقدر أحد على مغالبته فينتقم من أعدائه...؟ بلى إنّ الله عزّوجلّ عزيز ينتقم ممّن كفر به وعاداه، ينتقم ممّن كذّب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآذاه، ينتقم ممّن غصب حقّ أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وأجفاهم، وينتقم ممّن ظلم شيعة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وعاندهم، فيحمي بعزّته أوليآئه، فلن يفوته الإنتقام من أعدآئه الّذين هم أعدآء النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأعدآء أهل بيته عليهم صلوات الله وأعدآء شيعتهم، سوآء أكانت الأعداء من الكفّار والمشركين أم الفجّار والمنافقين أو الفسّاق والمعاندين في كلّ ظرف، ينتقم منهم في الدّنيا بالخزي والهوان، وبالذّلّ والإنحطاط وفي الآخرة بسوط العذاب والنّار.

قال الله تعالى: «فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذوانتقام» إبراهيم: ٤٧).

وقال: «إنّ الّذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام» آل عمران: ٤).

وقال: «ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذوانتقام» المائدة: ٩٥).

وقال: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجآؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٤٧).

وقال: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السّجدة: ٢٢).

٣٨ ـ (ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون)

ولئن سئلت يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين بالله سبحانه الّذين يعبدون الآلهة المزعومة: مَن خلق السّموات والأرض ليقولنّ: الله تعالى هو الّذي خلقهنّ بدون مرآء: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم» الزّخرف: ٩).

وذلك أنّهم لوأحالوا على غيره لبان كذبهم وإفترآؤهم لأنّه لا يقدر على ذلك إلّا القادر لنفسه الّذي لا يعجزه شيْ، فإذا اعترفوا بوحدانية الخالق العزيز العليم لوضوح ذلك بالبرهان لا يمكن إنكاره ولا التّشكيك فيه، ومع ذلك يعبدون سواه، ولا بدع فإنّ الجاهل بجهله يدين بالتّنافر والتّناقض... فقل لهم: أفرأيتم أيّها المشركون ـ بعد أن تبيّن لكم أنّ الله عزّوجلّ وحده هو خالق العالم ـ هذا الّذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة المزعومة... إن أرادني الله بضرّ من فقر أو شدّة في معيشتي أو من بلآءٍ أو مرض في جسدي: هل تلك الآلهة كاشفات عنّي ما يصيبني به ربّي من الضّرّ؟ أو أرادني ربّي برحمة رخآءٍ وسعة في معيشتي ومن خيروعافية في بدني، هل تمسّك تلك الآلهة عنّي ما أراد أن يصيبني ربّي به من تلك الرّحمة والسّعة، حتّى تأمروني بعبادتها؟

فمن يعجز عن النّفع والضّرّ ويعجز عن كشف السّوء والشّرّ عمّن يتقرّب إليه كيف يحسن منه عبادته؟ وإن تلك الآلهة الموهومة ليست بشيء، وإنّما يحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك، ولا يلحقه العجز والمنع وهو الله تعالى وحده.

قال الله تعالى: «قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرّحمن آمنّا به وعليه توكّلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين قل أرأيتم إن أصبح مآؤكم غوراً فمن يأتيكم بمآءٍ معين» الملك: ٢٨-٣٠).

وقال: «فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً أو أراد بكم نفعاً» الفتح: ١١).

وقال: «قل من ذا الّذي يعصمكم من الله إنّ أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة

ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيراً» الأحزاب: ١٧).

وقال: «وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّله ومالهم من دونه من وال» الرّعد: ١١).

وقوله تعالى: «قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون» قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين والمعاندين الّذين يخوّ فونك بالّذين من دون الله: حسبي الله جلّ وعلا في جميع اموري من جلب النّفع وإيصال الخير، ومن دفع الضّرّ وإمناع الشّرّ، فلا أخاف شيئاً ممّا تخوّفوني به، فإنّ الله عزّوجلّ حسبي مما سواه من الأشيآء كلّها، فإيّاه أعبد وإليه أفزع في اموري كلّها، دون كلّ شيء سواه، فإنّه الكافي وبيده الضّرّ والنّفع لا غيره.

على الله تعالى يتوكّل كلّ من هو متوكّل عليه جلّ وعلا، وبه وحده يثق لا بغيره لعلمهم بأنّ الكلّ منه تعالى، فمن توكلّ على غير الله توكلّ على غير كافٍ، بل على عاجز، وذلك أنّ التوكّل هو ردّ التّدبير إلى من يقدر على الإحسان فيه. فلمّا كان لا يقدر على الإحسان في جميع التّدبير الّذي يصلح الإنسانَ إلاّ الله تعالى وجب على كلّ عاقل التّوكّل عليه بما هو حسبه منه.

قال الله تعالى: «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره» الطّلاق: ٣).

وقال: «إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون» الأنفال: ٢).

٣٩ ـ (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوفَ تعلمون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مخاطباً لقريش: يا قوم! إسعوا في الإضرار عَلَيَّ وتضعيف أمري، والإخلال في رسالتي، واجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم في إبطال أمري وإهلاكي مع أنكم على ما تعتقدون من مكانتكم الّتي تمكّنت عندكم من القوّة والشّوكة والعِدّة والعُدّة والعداوة... إنّي أيضاً عامل فيما أمرت به من إقامة الدّين، وساع في تبليغ ما أنزل إليّ من ربّي، وفي إنذار النّاس وإعلآء كلمة التّوحيد وتقرير أحكام الإسلام ومعارف القرآن، وإبطال الشّرك وإدحاض الباطل مدى حياتي ولن أحيد عنه، مع ما أنا عليه من مكانتي من قلّة النّاصر وعدم المال، فسوف

تعلمون من ينصره الله جلّ وعلا ويغلبه.

قال الله تعالى: «وقل للّذين لايؤمنون اعلموا على مكانتكم إنّا عاملون وانتظروا إنّا منتظرون» هود: ١٢١-١٢٢).

وقال: «إعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير» فصّلت: ٤٠).

٤٠ ـ (من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم)

ستعلمون أيّها المشركون والمعاندون مَن يأتيه مِن قِبَلِ الله عزّوجلّ عذاب يذلّه ويهينه في الحياة الدّنيا بيوم بدر وغيره، ويفضح ما كان عليه من كفر وضلال، من شرك وفساد ومن ظلم وعناد... ومَن يحلّ عليه وراء هذا، عذاب دائم لايفارقه في الدّار الآخرة، فيعيش فيه أبداً.

قال الله تعالى: «بل زُيّن للّذين كفروا مكرهم وصدّوا عن السّبيل ومن يضلّل الله فماله من هادلهم عذاب في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أشّق وما لهم من الله من واقٍ» الرّعد: ٣٣-٣٤).

وقال: «قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين» التوبة: ١٤).

وقال: «إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظّالمين في عذاب مقيم» الشّورى: ٤٥).

٤١ ـ (إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل)

إنّا أنزلنا عليك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا القرآن الكريم متلبّساً بالحقّ لايشوبه باطل قطّ لأجل إنذار جميع النّاس عن الإنحطاط والعذاب، وهدايتهم إلى الكمال والثّواب، ثمّ هم وشأنهم، فإنّهم على نقطة الخطّين المتعاكسين: خطّ الحقّ والهدى، خطّ الخير والصّلاح، خطّ الرّشد والكمال... وخطّ الباطل والضّلال،خطّ الشّرّ والفساد، خطّ الغيّ والإنحطاط... فمن اهتدى بحسن اختياره بما في هذا القرآن من الأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة إلى الحقّ والكمال فإنّما يعود نفع

إهتدآئه إلى نفسه من العزّة والسّعادة في الدّنيا، ومن الجنّة والكرامة عند الله في الدّار الآخرة، ومن ضلّ بسوء إختياره فأعرض عن القرآن وكذّب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم واتّبع هواه فإنّما وزر الضّلال و وبالها على نفسه من الخزي والهوان في الدّنيا، والعذاب والنّار في جهنّم والهاوية...

فهذا القرآن هو الحقّ في طبيعته ومنهجه، هو الحقّ في أحكامه وشريعته، وهو الحقّ الّذي تقوم عليه السّموات والأرض، ويلتقي عليه نظام الكون ونظام البشرية ومصالحهم في هذا الكتاب في تناسق هذا الحقّ الّذي نزل ليهتدي به النّاس كلّهم ويعيشوا معه ويقوموا عليه، وأنت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مبلّغ، وأنّ النّاس في خيار من الهدى والضّلال، من التّقوى والفجور من الفلاح والخسران، ومن النّعيم والعذاب «فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها».

وقوله تعالى: «وما أنت عليهم بوكيل» وما أنت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على أحد من النّاس برقيب في إيصال الحقّ إلى قلوبهم، وحفظه عليهم حتّى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه، ولا أنت أن تجبرهم على الهدى، ولا تكرههم على الإسلام إذ لست أنت بكفيل عليهم يلزمك إيمانهم، ولا أنت بحفيظ تحفظ أعمالهم وترقب أفعالهم، فلا تسئل عن كفرهم ولا تؤاخذ بأعمالهم، وما أنت بمسيطر عليهم ولا بمسئول عنهم وإنّما أُمِرتَ بالبلاغ وقد بلّغت الرّسالة على أبلغ وجه، إنّما الوكيل عليهم هو الله تعالى وهم في قبضته في صحوهم ونومهم وفي كلّ حالة من حالاتهم، ويتصرّف بهم كيف يشآء ممّا يستحقّونه من الثّواب والعقاب.

قال الله تعالى: «قل يا أيّها النّاس قد جآءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل» يونس: ۱۰۸).

وقال: «وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنّما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فقل إنّما أنا من المنذرين» النّمل: ۹۲).

وقال: «قل أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول فإن تولّوا فإنّما عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرّسول إلّا البلاغ المبين» النّور: ٥٤).

وقال: «وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل ـ وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل» الأنعام: ٦٦و١٠٧).

وقال: «فذكّر إنّما أنت مذكّر لست عليهم بمصيطر» الغاشية: ٢١-٢٢).

وقال: «إنّا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم» البقرة: ١١٩).

٤٢ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

الله جلّ وعلا هو الّذي يقبض الأنفس ويردّها إليه حين إنقضآء آجال أبدانها بالموت، فيقطع تعلّقها بالأجساد بتاتاً وهى الأنفس الّتي إذا زالت، زالت معها الأنفاس فإذاً يكون الإنسان ميّتاً، ويقبض الأنفس الّتي لم يحضر آجالها، فيقبضها عن التّصرّف في الأجساد مع بقآء الأرواح متّصلة بها، فإذاً يكون الإنسان نائماً.

وذلك إنّ الله تعالى يمسك الأنفس الّتي قضى على أبدانها الموت، فلا يردّها إلى أجسادها، فإذاً تخرج الأرواح منها، فيموت الإنسان بإمساك النّفس، وخروج الرّوح، ويرسل الأنفس الاخرىٰ إلى أجسادها الّتي لم يقض على موتها، وهى نفس النّائم إلى وقت الموت.

قال الله تعالى: «وهو الّذي يتوفّاكم باللّيل ويعلم ما جرحتم بالنّهار ثمّ يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمّى ثمّ إليه مرجعكم ثمّ ينبّئكم بما كنتم تعملون» الأنعام: ٦٠).

فبا لنّفس يدرك الإنسان ويعقّل، وبالرّوح يتنفّس، ويكون حيّاً، فإذا قبضت النّفس وبقيت الرّوح كان الإنسان نآئماً، فإذا قبضت النّفس وخرجت الرّوح كان ميّتاً.

فالله جلّ وعلا يتوفّى الأنفس مرّتين: مرّة عند موتها، فيمسكها، فتخرج الأرواح عندئذ من الأجساد، فتترك جثثاً هامدة، ومرّة عند نومها، فيسلب الإدراك واليقظة، وتبقى الأرواح مع أجسادها، وبها يتنفّس الإنسان النّائم، فيرسل الله تعالى الأنفس إلى أجسادها إلى إنقضآء آجالها.

فالفرق بين قبض النّوم وقبض الموت أنّ قبض النّوم يضادّ اليقظة، وقبض الموت يضـاد الحياة، وقبض النّوم تكون الرّوح معه في البدن، وقبض الموت تخرج الرّوح معه من البدن، فتقبض النّفس عن البدن، وتقطع صلتها به ظاهراً وباطناً عند الموت، وتقطع صلتها به ظاهراً فقط عند النّوم.

إنّ الله عزّوجلّ يردّ الأنفس إليه حين الموت وحين النّوم إلاّ أنّه في حال الموت يمسكها عنده إلى يوم البعث، وأمّا في حال النّوم، فإن كانت النّفس قد استوفت أجلها في الدّنيا فأمسكها عنده، وإن لم تكن قد استوفت أجلها أرسلها لتعود إلى جسدها، حتّى ينتهي أجلها في الدّنيا، ومن هذا يرى الإنسان أنّه يموت كلّ يوم، وأنّ نفسه الّتي تلبسه تردّ إلى الله عند النّوم ثمّ يبعث من جديد في اليقظة حين تعود إليه نفسه الّتي فارقت بدنه، وهكذا تتكرّر عمليّة الموت والبعث كلّ يوم في ذات الإنسان، ومع هذا ينكر الضّالّون البعث بعد الموت، وهم يرون هذه الحقيقة في أنفسهم كلّ يوم.

قال الله تعالى: «وكانوا يصرّون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أ إذامتنا وكنّا تراباً وعظاماً أ إنّا لمبعوثون» الواقعة: ٤٦-٤٧).

وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله مَن يموت» النّحل: ٣٨).

وقوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يتكفّرونَ» إنّ في هذا التّوفّي والإمساك والإرسال لعلامات وعبراً لمن يتفكّر فيها، بأنّ مثل هذا التّدبير العجيب لايمكن صدوره إلاّ من القدير الخبير الّذي لاشريك له في ملكه ولا نظير، إذ لا يقدر على قبض النّفوس تارة بالنّوم وتارة اخرى بالموت غير الله تعالى، ويتفكّر في تسوية النّفس للتّقوى والفجور، وفي تزكيتها وتدسيتها، يتفكّر فيما يعتريها من الفلاح والسّعادة، ومن الخيبة والشّقاوة، ويتفكّر في كيفيّة تعلّقها بالأبدان وتوفّيها عنها بالكلّيّة حين الموت وإمساكها باقية لاتفنى بفنآء الأجساد، وكيف تتوفّى ظاهراً حيناً بعد حين إلى إنقضآء الآجال...

٤٣ ـ (أم اتخذوا من دون الله شفعآء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)

بل اتخذ المشركون بالله سبحانه من دونه آلهة من الأصنام والأوثان وغيرها شفعآء لهم فعبدوها لتقرّبهم إلى الله زلفى، قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم: أتتّخذون تلك الآلهة المزعومة شفعآء لكم وتعبدونها، ولو كانت آلهتكم هذه لا يملكون من أنفسهم شيئاً كالملائكة، ولا يعقلون شيئاً كالأصنام لأنّها جمادات تنحتونها بأيديكم إنكم تعبدونها وترجون شفاعتها لكم؟! فإنّه سفه.

قال الله تعالى: «والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزّمر: ٣).

وقال: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلآء شفعآءنا عند الله» يونس: ١٨).

٤٤ ـ (قل لِلّه الشّفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: إن تكونوا تعبدون الآلهة لذلك كما تزعمون فاخلصوا عبادتكم لله تعالى وأفردوه بالالوهيّة، فإنّ الله جلّ وعلا هو مالك الشّفاعة جميعاً لا يشفع أحد لأحد عند الله عزّوجلّ إلّا بإذنه ورضاه، فشفاعة الأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والمقرّبين، والصّلحآء والمتّقين وشفاعة أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بإذن الله تعالى ورضاه على أنّ الشّفاعة هي وساطة الأعزآء بين الله المشفوع له ـ الّذي لا يكون مستحقّاً لعذاب جهنّم بالشّرك والطّغيان، بالظّلم والعدوان والكفر والعصيان ـ لإصلاح حاله كتوسّط الرّحمة والمغفرة بين الله تعالى وبين عبده المذنب لإنجآئه من وبال الذّنب وتخليصه من العذاب.

قال الله تعالى: «لا يملكون الشّفاعة إلّا من اتّخذ عند الرّحمن عهداً» مريم: ٨٧).

وقال: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون» الأنبيآء: ٢٨).

وقال: «يومئذ لا تنفع الشّفاعة إلّا من أذن له الرّحمن ورضي له قولاً» طه: ١٠٩).

وقوله تعالى: «له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون» إنّ الشّفاعة جميعاً مملوكة لله عزّوجلّ إذ له ملك السّموات والأرض وهو المالك لكلّ شيء، فاعبدوا

أيّها المشركون الملك المطلق القادر على كلّ شيء لا المملوك العاجز الّذي لا يملك لنفسه شيئاً، ثمّ إنكم إلى الله تعالى ترجعون فيعاقبكم على الشّرك والضّلالة، على الكفر والعداوة، وعلى الظّلم والجناية ليس لكم من شفيع.

قال الله جلّ وعلا: «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يدبّر الأمر ما من شفيع إلّا من بعد إذنه ذلكم الله ربّكم فاعبدوه أفلا تذكّرون» يونس: ٣).

وقال: «وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ـ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» الشّعراء: ٩٢-١٠١).

وقال: «ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» غافر: ١٨).

٤٥ ـ (وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون)

وإذا أُفِردَ الله جلّ وعلا بالذّكر وُحِّدَدون آلهتهم انقبضت ونفرت منه وأنكرت قلوب الّذين لا يؤمنون بالبعث والحساب والجزآء، وإذا ذكر آلهتهم الموهومة من دون الله تعالى، فعندئذٍ هم يستبشرون بذكر آلهتهم ويظهرون البشر والفرح والسّرور، فيأخذ الباطل مأخذه.

قال الله تعالى: «ذلكم بأنّه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا» غافر: ١٢).

وقال: «وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً» الأسراء: ٤٦).

وقال: «إلهكم إله واحد فالّذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون» النّحل: ٢٢).

وقال: «وإذا قيل لهم اسجدوا للرّحمن قالوا وما الرّحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً» الفرقان: ٦٠).

وقال: «فما لهم عن التّذكرة معرضين كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة»

المدثر: ٤٩-٥١).

وما ورد في المقام فمن باب التّأويل وهو اللّبّ بأنّه إذا ذُكِرَ أوليآء الله المعصومون من أهل بيت الوحي عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحياته إشمأزّت قلوب أعدآء الله المخطؤون كما في تفسير الآلوسي والمراغي وغيرهما من العامّة فتأمّل جيّداً ولا تغفل فإنّ المقام مزلّ الأقدام...

٤٦ - (قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

يا أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ نفرة هؤلآء المشركين والمعاندين عن التّوحيد، وسرورهم بالشّرك والضّلال والكفر والعناد أمر معلوم الفساد ببديهة العقل، فلا حيلةِ في إزالته إلّا بإستعانة القدير المتعال، فقل: يا الله! يا خالق السّموات والأرض ومخرجهما من كتم العدم إلى ساحة الوجود ومبدعهما من غير مثال سابق: «فاطر السّموات والأرض أنت وليّ في الدّنيا والآخرة» يوسف: ١٠١) يا عالم الغيب الّذي لا تراه الأبصار ولا تحسّه العيون: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول» الجن: ٢٦-٢٧) ويا عالم الشّهادة الّذي تشهده أبصار خلقك وتراه أعينهم، فلا يخفى عليك شيء من الأشيآء: «إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّمآء» آل عمران: ٥).

أنت وحدك تقدر على أن تحكم بين عبادك ، فتفصل بينهم بالحقّ في الحقوق والمظالم يوم تجمعهم لفصل القضآء بينهم فيما كانوا فيه في الحياة الدّنيا يختلفون من القول فِيك: في علمك وحلمتك، في عظمتك وقدرتك، وفي سلطانك وتدبيرك وغير ذلك من اختلافهم بينهم في أمر دينهم ودنياهم، فتقضي بيننا وبينهم بالحقّ يوم القيامة.

قال الله تعالى: «وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون» الحجّ ٦٨-٦٩).

٤٧ ـ (ولو أنّ للّذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)

فاستجبت لدعوتك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فحكمت بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فهاهوذا يوم الفصل، وهاهم هؤلآء الظّالمون الّذين هم وآلهتهم المزعومة يساقون إلى نار جهنّم: «هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون احشروا الّذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم» الصّافّات: ٢١-٢٣).

ولو أنّ لِلّذين ظلموا وأشركوا بالله سبحانه وكذّبوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جآءهم به وأنكروا البعث والحساب والجزآء لوكان لهم ما في الأرض جميعاً من الأموال والأمتعة والأملاك والذّخآئر والكنوز... لويملكونه وضعفه معه على سبيل الفرض لافتدوا به وبذلوه عوضاً من أنفسهم ليتخلّصوا من سوء عذاب يوم القيامة، وشديد عقابه، فلن يقبل منهم، وما تخلّصوا عنه ولا يخفف عنهم العذاب ولو ساعة.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين كفروا لو أنّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبّل منهم ولهم عذاب أليم» المآئدة: ٣٦) فلا يفادي أسير جهنّم إطلاقاً.

وقوله تعالى: «وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون» وظهر لهم من صنوف الخزي والعذاب، حيث يرون من نكال الله وغضبه مالم يكن يخطر ببالهم، وما كانوا ينتظرونه ولا يظنّونه واصلاً إليهم، فيعاينون سوء آثار آثامهم الّتي ارتكبوها ويحيق بهم ما كانوا يستخفّون به، ويستهزؤن منه...

قال الله عزّوجلّ: «واقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين» الأنبيآء: ٩٧).

وقال: «ومن أضلّ ممّن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون وإذا حشر النّاس كانوا لهم أعدآء وكانوا بعبادتهم كافرين» الأحقاف: ٥-٦).

٤٨ ـ (وبداهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

وظهر للمشركين والظّالمين يوم القيامة، سيّئات ما كسبوا في الحياة الدّنيا من الشّرك والعدوان، من البغي والعصيان ومن الظّلم والآثام... الّتي كانوا يخفونها أو خفيت عليهم فنسوها.

قال الله تعالى: «ولو ترى إذ وقفوا على النّار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بداهم ماكانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٧-٢٨).

وقال: «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً» الكهف: ٤٩).

وقال: «أم حسب الّذين يعملون السّيّئات أن يسبقونا سآء ما يحكمون» العنكبوت: ٤).

وقال: «إذا زلزلت الأرض زلزالها ـ ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره» الزّلزال: ١-٨).

وقوله تعالى: «وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» وأحاط بهم جزآء ما كانوا به يستهزؤن من أنواع العذاب.

قال الله تعالى: «إنّا أعتدنا للظّالمين ناراً أحاط بهم سرادقها» الكهف: ٢٩).

٤٩ ـ (فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لايعلمون)

ومن طبع الإنسان الظّالم التّابع لهواه الكافر المغترّ بما زُيّن له من حطام الدّنيا ومتاعها إذا أصابه ضُرٌّ من مرض أو شدّة، من بؤس أو مصيبة، ومن عُسرٍ أو فقر أقبل إلينا، فدعانا واستغاث بنا ليلاً ونهاراً، قائماً وقاعداً، مسلماً مخلصاً، وخاضعاً متضرّعاً في كشف الضّرّ عنه، علماً بأنّه لايقدر غيرنا عليه، فخصّنا بالدّعاء وانقطع عن غيرنا ثمّ إذا بدّلنا الضّر وأعطيناه نعمة تفضّلاً محضاً منّا عليه لاعن جزآءٍ، من صحّة وعافية في الجسم، ومن رخآءٍ ويُسر وسعة في الرّزق، وغير ذلك من النعم...

إدّعى إنّما أوتيت شيئاً من متاع الدّنيا أو قسماً منها على علم منّي بوجوه

المكـاسب وبسعيي وبـراعتي وخبرتي بطرق كسب المعاش وإقـتنآء الثّروة وجمع المال كما أنّ قارون بعـد أن نال بحطـام الدّنيا وكنـوزها كان يتقـوّل بهذه المقالة الـفاحشة الخاطئة.

قال الله تعالى: «وإذا مسّ الإنسـان الضّـرّدعـانـا لجنبه أو قاعداً أو قآئمـاً فـلـمّا كشـفنـا عنـه ضـرّه مرّ كـأن لم يدعـنا إلى ضرّ مسّـه كذلـك زُيّن للـمسرفين مـا كانوا يعملون» يونس: ١٢).

وقـال: «وإذا أنـعـمـنا على الإنسان أعـرض ونـأبجانـبه وإذا مسّه الشّرّ فذودعآء عريض» فصّلت: ٥١).

وقـال: «وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه منـيـباً إليه ثمّ إذا خوّلـه نـعمة منه نسي ماكان يدعوا إليه من قبل» الزّمر: ٨) فينكر نعمتنا عليه ويقطعها عنّا فيسمّيها شيئاً أو متاعاً من حطـام الدّنيـا، ولا يسميهـا نعمة حتّـى يضطرّه ذلك إلى الإعتراف بـنعم والإشارة إليه.

ليس الأمر على مايـتقوّلـه الإنسان المغترّ التّابع لهوى نـفسه، بل النّعمة الـدّنيوية كلّها ظاهـرها وباطنها إبتلاء واختبار يختبر بهـا الإنسان: أيشكر أم يكفر؟ أيطيع أم يعص ؟؟؟ لـتظـهـر مقاصـده وأفـعـاله الّتي يستحـقّ علـيها المدح أو الذّمّ، الـعـقاب والثّواب، فكيف يدّعي أنّه اوتيها على علم وخبرة منه.

قال الله تعالى: «وأعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة» الأنفال: ٢٨).

وقال: «ولاتمدّنّ عينيـك إلى مامتّعنا به أزواجـاً منهم زهرة الحياة الدّنيا لنفتنهم فيه» طه: ١٣١).

وقوله سبحـانه: «ولكـنّ أكثر النّـاس لايعلمون» ولـكن أكثر النّاس لايعـلمون أنّ إعطآء المال والنّعمـة إطلاقاً إمتحـان لهم وإختبار لأحـوالهم ... هذا هو الغـرور واللّغو والجهل والغفلة عن الخالق القدير والرّازق الحكيم! أبداً ما من شيء جليل أو حقير إلّا ولله جلّ وعلا فـيه قـدرة فاعلة ونعـمة ظاهرة من الإبـرة إلى سفينة الـفضآء، ومن عود الثّقاب إلى العـقل الإلكتروني، وهـل في مقدور قادر من الـنّاس بالغاً مـابلغ من العلم

أن يوجد شيئاً من لا شيء مستغنياً عن الله جلّ وعلا وخلقه؟! ولو سلّمنا ـ جدلاً ـ أنّه قادر ولن يقدر على ذلك فهل أوجد هو نفسه بنفسه؟!

٥٠ ـ (قد قالها الّذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

ما هذه الكلمة الضّالّة الآثمة، وما تلك المقالة الخاطئة الّتي صدرت عن هؤلآء المشركين الضّالّين، والمستكبرين الباغين، والمجرمين الظّالمين، ومن انسلك مسالكهم ببدع منهم، ولا من وليدة أفكارهم، بل سبقهم بها وتقوّلها كثير قبلهم من الامم الماضية وجبابرتهم كنمرود وفرعون وقارونْ وشدّاد ومن إليهم... فلم يغن عنهم شيئاً ما كانوا يجمعون من حطام الدّنيا وزخارفها من الأموال والأولاد والعِدّة والعُدّة... على تكذيب الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمقرّبين، وإستهزآئهم بهم، بل صارت وبالاً عليهم، فكان مآلهم إلى الهلاك والدّمار، وإلى العذاب والنّار، وهم أكثر أموالاً وأشدّ قوة وآثاراً.

قال الله عزّوجلّ: «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن» غافر: ٨٢ـ٨٣).

وقال: «أفرأيت إن متّعناهم سنين ثمّ جآءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون» الشّعرآء: ٢٠٥ـ٢٠٧).

وقال: «إنّ الّذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النّار كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كذّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب» آل عمران: ١٠ـ١١).

وقال: «ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتّخذوا من دون الله أوليآء ولهم عذاب عظيم» الجاثية: ١٠).

۵۱ ـ (فأصابهم سيّئات ما كسبوا والّذين ظلموا من هؤلآء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)

فأصاب الّذين قالوا هذه المقالة الآثمة من الامم الخالية، وبال سيّئات ما كسبوا من العقائدة الباطلة والأقوال الكاذبة والأعمال الفاسدة... وقد يسمّى جزآء السّيّئة سيّئة لوقوعها في مقابلة سيّئاتهم على سبيل المشاكلة كقوله تعالى: «جزآء سيّئة سيّئة مثلها» الشّورى: ٤٠) فعوجلوا بالخزي والنّكال في الحياة الدّنيا كقارون الّذي قال حين وُعِظَ: «إنّما اوتيته على علم عندي ـ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين» القصص: ۷۸-۸۱).

وقوله تعالى: «والّذين ظلموا من هؤلآء...» والّذين ظلموا من كفّار مكّة إذ أشركوا بالله سبحانه، وانحرفوا عن الهَدى والهُدىٰ، وقالوا: هذه الكلمة الخاطئة سيصيبهم أيضاً وبال سِيّئات ما كسبوا كما أصاب الّذين من قبلهم بقيلهموه: «سنّة الله الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً» الأحزاب: ٦٢).

قال الله عزّوجلّ: «ولا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم حتّى يأتي وعدالله» الرّعد: ۳۱).

ففعل الله جلّ وعلا بمشركي مكّة فأحلّ بهم خزيه في عاجل الدّنيا، فقتلهم بالسّيف يوم بدر وغيره، وبالجوع إذ حبس عنهم الرّزق فقحطوا سبع سنين متوالية وأُسِرَ منهم العدد الكثير...

وقوله عزّوجلّ: «وما هم بمعجزين» ثمّ مرجعهم إلى الله تعالى يوم القيامة، فيعاقبهم فيها على ما كسبوا في هذه الحياة الدّنيا، وما هم بفاتنين من عذاب الله جلّ وعلا ولا سابقيه، ولاهم يعجزون الله بالخروج من قدرته.

قال الله تعالى: «واعلموا أنكم غير معجزي الله وأنّ الله مخزي الكافرين» التوبة ۲).

وقال: «إنّ ماتوعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين» الأنعام: ١٣٤).

وقال: «يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية» الحاقة: ١٨).

وقال: «ترى الظّالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم ـ وما أنتم معجزين في

الأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير» الشّورىٰ: ٢٢و٣١).

٥٢ ـ (أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم! أولم يعلم هؤلآء المشركون الضّالّون، هؤلآء المستكبرون الظّالمون، وهؤلآء المجرمون الباغون الّذين كشفنا عنهم الضّرّوبدّلناه نعمة منّا تفضّلاً عليهم، فقالوا: إنّما أوتيناه على علم عندنا أنّ الشّدّة والرّخآء، والسّعة والبلآء، والفقر والغنى بيدالله جلّ وعلا دون ماسواه، فإنّه تعالى وحده يبسط الرّزق لمن يشآء فيوسعه عليه إمتحاناً، ويقدره على من يشآء من عباده فيضيقه إبتلآء كلّ ذلك لمصالحهم...

قال الله تعالى: «والله فضّل بعضكم على بعض في الرّزق» النّحل: ٧١).

وقال: «إنّ ربّك يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً» الأسرآء: ٣٠).

وقال: «له مقاليد السّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّه بكلّ شيء عليم ـ ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر مايشآء إنّه بعباده خبير بصير» الشّورى ١٢و٢٧).

وقوله تعالى: «إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» إنّ في بسط الرّزق وتقتيره لحجج الله تعالى على عباده ليعتبروا به ويتذكّروا ويعلموا أنّ الرّغبة إليه والرّهبة منه دون الآلهة المزعومة والأصنام المنحوتة... ولعبراً ودلالات على تفرّده تعالى بالالوهيّة، وتوحّده على الرّبوبيّة لقوم يتدبّرون آياته ويتفكّرون فيها وينتفعون بها، فيؤمنون بالحقّ، ويعلمون أنّ الّذي يبسط الرّزق ويقدر هو الله جلّ وعلا دون ماسواه، ويعلمون أنّ البسط قد يكون إستدراجاً كما أنّه يكون إختباراً، وأنّ القبض قد يكون رفعة وإعظاماً كما أنّه يكون إبتلاءً فليس البسط لعلم الكاسب بوجوه المكاسب ولا القبض لجهله عنها، فإنّ كثيراً مايكون العاقل المتدبّر القادر ضعيف الرّزق ويكون الجاهل العاجز ذاسعة وبسطة في المال، ويعلمون أنّ الرّازق هو الله تعالى وحده وبيده رزق كلّ دابّة ومنها هذا الإنسان.

قال الله عزّوجلّ: «يا أيّها النّاس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السّمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون» فاطر:۳).

وقال: «أمّن هذا الّذي يرزقكم إن أمسك رزقه» الملك: ۲۱).

وقال: «وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلّا عندنا خزآئنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ۲۰-۲۱).

وقال: «وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين» هود:٦).

وقال: «وكأيّن من دابّة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السّميع العليم» العنكبوت: ٦٠).

٥٣ - (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لكلّ مَن أسرف على نفسه في كلّ ظرف من المشرك بالله سبحانه والمكذّب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وآياته، ومن المستكبر والسّاحر بالحقّ والكافر بالبعث والحساب والجزآء... ونادِهِم عن قلبي بلفظة: يا عبادي الّذين تجاوزوا عن حدّ فطرتهم بالشّرك والطّغيان، وبالإفراط في المعاصي والآثام... لاتيأسوا من رحمة الله تعالى ومغفرته لأنّ الله عزّوجلّ يغفر لذنوب عباده من الكفر والكبآئر جميعها بالإنابة إلى الله جلّ وعلا وبإخلاص الدّين لله تعالى وصالح الأعمال قبل إضاعة الفرصة للتّوبة، قبل حلول يوم الحسرة والنّدامة على الضّلالة، فإنّ الله جلّ وعلا هو الغفور يغفر لجميع ذنوب عباده إذا أنابوا إليه، هو الرّحيم يرحم بهم إذا أسلموا واتّقوه.

قال الله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروا واقعدوا لهم كلّ مرصد فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم فإن تابوا وأقاموا الصّلاة فإخوانكم فى الدّين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون» التّوبة: ٥و١١).

وقال: «وإذا جآءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرّحمة أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثمّ تاب من بعده وأصلح فانّه غفور رحيم» الأنعام: ٥٤).

وقال: «والّذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً» الفرقان: ٦٨-٧٠).

وقال: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفوا عن السيّئات» الشورى: ٢٥).

وقال: «وإنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم» الرّعد: ٦).

وفي وسط هذا الظّلام المتراكم من الشّرك والطّغيان، ومن خلال هذا الدّخان المتصاعد من معاقل الشّرك والعصيان، تشرق الأرض بنور ربّها، وفي سنا هذا النّور القدسي ينادي مناد الحقّ داعياً هؤلآء الغرقى في بحار الكفر والعدوان:

«يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...»

إنّ الغرقىٰ إذ يسمعون هذا النّدآء الكريم سيرون بأعينهم رأى العين مراكب النّجاة تخف إليهم من كلّ جانب، وليس عليهم إلّا أن يتعلّقوا بها ويشدّوا أيديهم عليها ويعتصموا بحبل الله جلّ وعلا لتحملهم إلى شاطئ النّجاة والسّلامة، ولكن ما أكثر الّذين يرون الخير ولا يتجهون إليه، ويشهدون النّور ولا يستضيئون به، يُدعون إلى سفينة النّجاة ولا يعتصمون بحبلها، ويسمعون النّدآء ولا يفتحون أعينهم على المنادي...

وفي إبن نوح عليه السّلام مثل يشهد على ذلك إذ كان يرى بعينيه الطّوفان يهجم عليه، ويكاد يبتلعه فيمن ابتلغ من الكافرين الفجرة والغاوين الفسقة... وأبوه يناديه: «يا بنيّ اركب معنا ولا تكن من الكافرين» هود: ٤٢) فيأبىٰ إلّا أن يركب رأسه ويُلقىٰ بيده إلى التّهكلة!

إنّ المشركين الكفرة والمستكبرين الفجرة في كلّ ظرف هم من أبنآء نوح عليه

السّلام ينـاديهم ربّ العزّة هذا النّدآء الرّحيم بلسان رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا عبادي» ويضيفهم الله جلّ وعلا إليه إضافة رحمة وإحسان، ورعاية وإكرام، تعلو على إضافة الأبنآء إلى الآبآء... حناناً ورأفة وإشفاقاً...

هؤلآء الّذين ينادون من ربّهم هذا النّدآء الرّحيم الكريم، ويضافون إلى عزّته وجلاله إضافة الرّحمة والإكرام... هم الطّغاة الكفرة والعصاة الظّلمة، الخارجون على حدود الله جلّ وعلا، المعتدون على حرماته، الجاحدون لنعمه... إنّهم الّذين أسرفوا على أنفسهم، وجاروا عليها بهذه الأوزار الّتي حمّلوها إيّاها... فيالطف الله جلّ وعلا ويالسعة كرمه، وعظيم مننه، وجليل إحسانه!!!

وقوله عزّوجلّ: «لاتقنطوا من رحمة الله» هو اليد البرّة الرّحيمة الحانيّة الّتي يَرْبتُ الله تعالى بها على هؤلآء العصاة المجرمين، بمجرّد أن يلتفتوا إلى هذا النّداء الرّحيم اللّطيف: «لاتقنطوا من رحمة الله» إنّها قريبة منكم، دانية لأيديكم، فهيا أقبلوا عليها، واستظلّوا بظلّها، واقطفوا ماتشآؤن من ثمارها...

وفي قوله جلّ وعلا: «إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» شحنة من النّور تضيئ ظلام هذه النّفوس الّتي تنظر إلى الله تعالى من خلال هذا الضّباب المنعقد من اليأس، وهي تذكر بشاعة جرائمها، وشناعة آثامها، وتحسب ـ جهلاً وضلالاً ـ أنّ ذنوبها أكثر من أن تغفر وأنّ جرآئمها أكبر من أن يتجاوز لها عنها... وكلاّ... فإن ذلك ظنّ سيئ بالله سبحانه: «إنّه هو الغفور الرّحيم» فما أعظم مغفرته، وما أوسع رحمته؟؟؟

فأيّ عذر لمذنب بعد هذا البلاغ المبين، إذا هو لم يَسْعَ إلى الله عزّوجلّ، ولم يغتسل في بحر رحمته من أدرانه، ولم يتطهّر من ذنوبه؟؟؟

وأيّ عذر لمجرم بعد هذا النّدآء الكريم الرّحيم إذا هو لم يمدّيده إلى ربّه ليقيل عثرته ويحمل عنه وزره؟؟؟

وأيّ عذر لعاصٍ بعد هذه الدّعوة إلى رحمة الله تعالى وغفرانه بالإعتصام بحبل الله جلّ وعلا وركوب سفينة نجاته؟؟؟

«يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم»

«لا تقنطوا من رحمة الله»

«إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً»

«إنّه هو الغفور الرّحيم»

إنّها ضيافة كريمة في ساحة ربّ كريم.

وإنّها نُزُل مهيّأة بكلّ أسباب الهناءة والرّضوان، يستقبل فيها على طريق الحياة، اولئك الّذين أضناهم السّفر الطّويل، وأكلت وجوههم لوافح الهجير... فيجدون حيث ينزلون ظلاً ظليلاً وطعاماً هنيئاً وشراباً بارداً.

فقل لمن يرى هذا المنزل الكريم ويعدل عنه: ألا ما أعظم غباءك ؟ وما أشأم حظك ؟ وما أولاك بالذّئاب تفترسك وبالحيات تنهشك ؟ فلا يرحم بك راحم، ولا يبكي لحالك باك ... من قريب أو صديق؟!

وما ورد في المقام فمن باب التّأويل فهو اللّبّ فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٥٤ ـ (وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون)

واقبلوا أيّها المشركون المستكبرون، أيّها الكافرون المذنبون، وأيّها المجرمون الآثمون... في كلّ ظرف، اقبلوا إلى ربّكم الرّحيم بالتّوبة والنّزوع عمّا تكونون عليه من الشّرك والضّلال، واستجيبوا لِله جلّ وعلا إلى ما يدعوكم الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إليه من الإيمان بالله تعالى والإخلاص له، وارجعوا إليه بالطّاعة له، وبصالح الأعمال... فاجعلوا أنفسكم خالصة لله عزّوجلّ من قبل أن يأتيكم العذاب بكفركم وضلالكم، وبظلمكم وفسادكم... ثمّ لا تنصرون إذا أتاكم العذاب إن لم تتوبوا قبل إتيانه فلا معين لكم عندئذ، فينقذكم من عذابه النّازل بكم أو يمنعه منه، فالتّوبة هي الدّرع الواقية من غضب الله تعالى، فتدرّعوا قبل حلوله عليكم.

قال الله تعالى: «منيبين إليه واتّقوه وأقيموا الصّلاة ولا تكونوا من المشركين» الرّوم: ٣١).

وقال: «فإلهكم إله واحد فله أسلموا» الحجّ: ٣٤).

وقال: «إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجاء يومئذ ومالكم من نكير» الشّورى: ٤٧).

٥٥ ـ (واتّبعوا أحسن ماأنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون)

فإذا سمعتم أيّها المشركون المذنبون و المستكبرون المجرمون رحمة الله تعالى ومغفرته لذنوب عباده، فلايحملنّكم ذلك على الإتّكال عليهما من دون الإنابة والإسلام لله جلّ وعلا، وإذا تبتم وأسلمتم له، فلاتتكلوا عليهما من غير عمل بما يجب عليكم العمل به، فلاتتهاونوا فيه، وأمّا معيار العمل فهذا هو القرآن الكريم فاتّبعوه لأنّه الّذي أُنزلَ اليكم من ربّكم وهو معيار لحسن كلّ شيء حسن، وأنّه الميزان العدل الّذي يقيم حُسن كلّ حَسَن، وبغير هذا الميزان يتحوّل حسن كلّ حسن إلى قبيح لاوزن له فبادروا بالعمل عليه من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة في وقت لاتتوقعونه، ولا تعرفون وقت نزوله بكم، ولا تشعرون بمجيئه ولا بمقدّماته فتتداركون به.

قال الله تعالى: «اتّبعوا ماأنزل إليكم من ربّكم ولا تتّبعوا من دونه أوليآء قليلاً ماتذكّرون» الأعراف: ٣).

وقال: «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتّبعون أهوآءهم» القصص: ٥٠).

وقال: «ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجلٌ مسمّى لجآءهم العذاب وليأتينّهم بغتة وهم لايشعرون» العنكبوت: ٥٣).

٥٦ ـ (أن تقول نفس يا حسرتىٰ على مافرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين)

فبادروا أيّها الكافرون بالتّوبة والإسلام والعمل، وبادروا أيّها المعاندون ـ بعد التّوبة والإسلام ـ بإتباع هذا الوحي السّماوي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم معاً قبل أن تقول أنفسكم حين الموت وفي القبر والبرزخ، ومواقف يوم القيامة وحين دخول النّار وعذابها: يا حسرتا على ماقصّرت في جنب الله تعالى وأمره إذ أهملت في تقديم ماكان يجب عليّ أن أُقدّمه على غيره حتّى فات وقته وجآء الأجل، فلم ينفعني النّدم، وإنّي مع ذلك كنت لمن السّاخرين باتباع الوحي وأهل بيته معاً،

وبمن كان يتبعهما معاً من أوليآء الله جلّ وعلا والمؤمنين الّذين هم شيعة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال الله تعالى: «حتّى إذا جآء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت كلاّ إنّها كلمة هو قآئلها ومن ورآءهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون: ٩٩-١٠٠) وقال: «ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون» السّجدة: ١٢) وقال: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفله وهم لا يؤمنون» مريم: ٣٩).

وقال: «إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنبترّأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار» البقرة: ١٦٦-١٦٧).

وقال: «ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جآئني وكان الشّيطان للإنسان خذولاً وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٢٧-٣٠).

٥٧ - (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين)

فبادروا أيّها الكافرون والمعاندون بالإنابة إلى الله تعالى والإسلام له، واتباع الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمين معاً، فإنّهما متّحدان لا يفترقان، فاتّبعو هما قبل أن تقول نفس - عن ضلالة وجهالة تبعاً عن قادتهم -: لو أنّ الله أرشدني إلى الحقّ ووفّقني للرّشاد في الحياة الدّنيا لكنت اليوم من زمرة المتّقين الّذين اتّقوا الله بطاعته واتباع رضاه.

قال الله تعالى: «وبرزوا لله جميعاً فقال الضّعفآء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهدينا كم سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» إبراهيم: ٢١).

۵۸ ـ (أوتقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين)

فبادروا بالتّوبة والإسلام والإستبصار واتباع الثّقلين قبل أن تقول نفس ـ عن غفلة وسفاهة ـ حين ترى العذاب يوم القيامة: لوأنّ لي رجعة إلى الدّنيا فأكون من المحسنين في العقيدة والعمل الّذين أنابوا إلى الله تعالى وأسلموا له واتّبعوا الوحي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وائتمروا بما أمروابه وانتهوا عمّا نهوا عنه.

فيفزع أهل النّار إلى هذه الأمانيّ الباطلة قآئلين:

«وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل» فاطر: ۳۷).

وقال: «فكبكبوا فيها هم والغاون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون ـ فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين» الشّعرآء: ۹٤-۱۰۲).

۵۹ ـ (بلى قد جائتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

ليس القول كما تقول وتنكر هدايتي إيّاك ! ألم يأتك رسولي؟ ألم يسمعك الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كلامي؟ ألم يتل عليك آياتي؟؟؟ بلى هديتك، ولكنّك ما اهتديت، إذجآئتك آياتي في الحياة الدّنيا على لسان رسولي الّذي أرسلته إليك، وفي كتابي الّذي كان يتلوه عليك وفيما جرى بيدي رسولي صلّى الله عليه وآله وسلّم من المعجزات لإثبات رسالته، فكان يدعوك إلى الإنابة إلى الله تعالى ورفض الطّاغوت، وإلى الإسلام له جلّ وعلا، وإلى اتباع الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

فوضح الدّليل ولكنّك أنكرته، وكذّبت به واستكبرت عن قبوله، فكنت من زمرة الكافرين إذ كنت تعمل عملهم، وتستنّ بسنّتهم، وتتّبع منها جهم، فما لك أن تطلب العودة إلى الدّنيا مرّة أُخرىٰ؟! هل تكون في هذه المرّة على حال غير حالك الأولىٰ؟ إنّك لاتريد الإهتدآء، ولا تريد الإئتمار بما أُمرتَ به، ولا تريد الإنتهآء عمّا نُهيتَ عنه. فإذاً تعترف بالهداية من الله تعالى، وبعدم الإهتداء لسوء إختيارها، كما يعترف بها أصحاب الجنّة ويحمدون لله تعالى عليها.

قال الله تعالى: «أو لم نعمّركم مايتذكّر فيه من تذكّر وجآءكم النّذير» فاطر: ۳۷).

وقال: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون» المؤمنون: ١٠٥).

وقال: «بلىٰ قد جآئنا نذير فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ماكنّا في أصحاب السّعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير» ٩-١١).

وقال: «بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردّوا لعادوا لمانهوا عنه وإنّهم لكاذبون» الأنعام: ٢٨).

وقال حكاية عن أصحاب الجنّة المعترفين بالهداية: «الحمدلله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جآئت رسل ربّنا بالحقّ ونودوا أن تلكم الجنّة أو رثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٣).

٦٠ ـ (ويوم القيامة ترى الّذين كذّبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين)

ويوم القيامة ترى أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء الّذين كذبوا على الله تعالى، وجوههم مسودّة وذلك أنّ مَن وصف الله جلّ وعلا بما لا يجوز، من انتحل بامامة وليست إمامته من الله تعالى، مَن أفتى بغير كتاب الله عزّوجلّ وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم مَن أحلّ حراماً أو حرّم حلالاً، مَن ابتدع في الدّين، ومَن تولّى منصباً لا يليق به ومَن ادّعى العلم بدين الله تعالى من غير حقّ... فقد كذّب على الله سبحانه بلاشك وجوههم مسودّة يوم القيامة.

أليس في وسط جهنّم مأوى دآئم ومسكن ثابت لكلّ من تكبّر في كلّ ظرف، عن كلام الله جلّ وعلا، وتكبّر عن كلام رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم واهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فامتنع من الإنابة إلى الله تعالى ومن الإسلام له عزّوجلّ، ومن اتباع الوحي وأهل بيته المعصومين عليهم صلوات الله؟ بلى وسط جهنّم مستقرّهم أبداً من دون ريبة.

وقال الله تعالى: «فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوى للكافرين ـ قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى

المتكبّرين» الزّمر: ٣٢و٧٢).

وقال: «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلآء الّذين كذّبوا على ربّهم ألالعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون» هود: ١٨-١٩).

وقال: «والّذين كسبوا السّيّئات جزآء سيّئة بمثلها وترهقهم ذلّة ماهم من الله من عاصم كأنّما أغشيت وجوههم قطعاً من الّيل مُظلماً اولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون ـ قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آالله أذن لكم أم على الله تفترون وماظنّ الّذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة» يونس: ٢٧و٥٩ـ٦٠).

وقال: «ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إنّ الّذين يفترون على الله الكذب لايفلحون» النّحل: ١١٦).

وقال: «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال أوحِيَ إليّ ولم يوح إليه شيء» الأنعام: ٩٣).

وقال: «ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجآءهم البيّنات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه فأمّا الّذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم» آل عمران: ١٠٥-١٠٦).

وقال: «يوم تقلّب وجوهم في النّار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرّسولا» الأحزاب: ٦٦).

٦١ ـ (وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لايمسّهم السّوء ولاهم يحزنون)

وينجّي الله عزّوجلّ من عذاب الدّنيا وغمّها، من شدّة غمرات الموت وهمّها، من ضيق القبرو وحشته، من بلآء البرزخ وصعابه، من أهوال الحشر وفزعه، من هوان المواقف وعثراتها، وذلّ الحساب وطول زمانه، ومن عذاب النّار وخلودها الّذين اتّقوا الله جلّ وعلا بالإنابة إليه تعالى والإسلام له، واتباع الوحي وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لايصيبهم مكروه عند الموت، ولاضيق في القبر، ولا

بلاء في البرزخ، ولا فزع يوم الحشر ولا أذى عند الحساب أصلاً، ولا هم يحزنون في الدنيا على مافاتهم من حطامها ولا يغتمون على وجه الآخرة، فهم آمنون من كلّ فزع، و باعدون من كلّ شرّ، وفآئزون بكلّ خير وكرامة عند الله تعالى، ورضوان من الله أكبر وهذا هو الفوز العظيم.

قال الله تعالى: «ونجّينا الّذين آمنوا وكانوا يتّقون ـ إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملآئكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة» فصّلت: ١٨و٣٠-٣١).

وقال: «ألا إنّ أوليآء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الّذين آمنوا وكانوا يتّقون لهم البشرى في الحياة الدّنيا وفي الآخرة لا تبديل لكمات الله ذلك هو الفوز العظيم ـ فهل ينتظرون إلاّ مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين ثمّ ننجّي رسلنا والّذين آمنوا كذلك حقّاً علينا ننج المؤمنين» يونس: ٦٢-٦٤و١٠٢-١٠٣).

وقال: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا وربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم إنّك أنت العزيز الحكيم وقهم السّيّئات ومن تق السّيّئات يؤمئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر: ٧-٩).

وقال: «إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما إشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون» الأنبيآء: ١٠١-١٠٣).

وقال: «من جآء بالحسنة فله خير منها وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون» النّمل: ٨٩).

وقال: «وإن منكم إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضياً ثمّ ننجّي الّذين اتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّاً» مريم: ٧١-٧٢).

وقال: «فمن زُحزح عن النّار وأُدخِلَ الجنّة فقد فاز» آل عمران: ١٨٥).

وقال: «إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا

سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفآئزون» النّور: ٥١-٥٢).

وقال: «إنّ المتقين في جنّات وعيون - لايمسّهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين» الحجر: ٤٥-٤٨).

وقال: «ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التّوبة: ٧٢).

٦٢ - (الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل)

الله جلّ وعلا الّذي له الألوهيّة من كلّ خلقه، الّذي لاتصلح العبادة إلّا له هو محدث كلّ شيء ومبدعه، كان قبل كلّ شيء وكآئن بعد كلّ شيء، فما سواه مخلوق له، وهوعلى كلّ شيء قيّم بالحفظ والكلاءة، وبيده حدوث كلّ شيء وبقائه، هو مدبّر كلّ شيء ومتصرّف فيه كيف يشآء، فلا يخفى عليه ما يستحقّ على الأعمال من الجزآء.

قال الله تعالى: «بديع السّموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كلّ شيءٍ وهو بكلّ شيءٍ عليم ذلكم الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كلّ شيءٍ وكيل» الأنعام: ١٠١-١٠٢).

وقال: «ما اتّخذ الله ولداً وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إلهٍ بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون عالم الغيب والشّهادة فتعالى عمّا يصفون» المؤمنون: ٩١-٩٢).

وقال: «وقال: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ٥٤).

وقال: «هل من خالق غير الله يرزقكم من السّمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنّى تؤفكون» فاطر: ٣).

وقال: «ولله مافي السّموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً» النّسآء: ١٣٢).

٦٣ - (له مقاليد السّموات والأرض والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون)

لله جلّ وعلا وحده مفاتيح خزآئن السّموات والأرض لأنّه تعالى مالكها «ولله خزآئن السّموات والأرض ولكنّ المنافقين لايفقهون» المنافقون: ٧) وخزآئنها غيبها الّذي يظهر منه الأشيآء والنّظام الجاري فيها، فتخرج إلى الشّهادة: «قل لا أقول

لكم عندي خزآئن الله ولا أعلم الغيب ـ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلّا هو» الأنعام: ٥٠و٥٩) «وإن من شيء إلّا عندنا خزآئنه ومانُنزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

فالله عزّوجلّ هو مالك الخزآئن وحافظها ومدبّرها وبيده مفاتيحها، فله التصرّف في كلّ شيءٍ مخزونٍ فيها كيف يشآء.

قال الله تعالى: «أم عندهم خزآئن رحمة ربّك العزيز الوهّاب أم لهم ملك السّموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب» ص: ٩ـ١٠).

وقوله تعالى: «والّذين كفروا...» بالأدلّة الآفاقيّة والأنفسيّة الدّالّة على وحدانيّة الله جلّ وعلا وربوبيّته، على علمه وتدبيره، وعلى عظيم قدرته وبديع حكمته في نظام الكون ونواميس الوجود... وبالقرآن الكريم وأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لأنّهم حجج اللّه على النّاس في أرضه لهدايتهم بهم إلى الحقّ والفلاح، وإلى الخير والكمال... اولئك الكافرون والمعاندون هم الخاسرون الّذين هم عمي في الدّارين: بفقدانهم أشرف المطالب، وبإنحطاطهم وخذلانهم في الدّنيا، وبحرمانهم من الجنّة ونعيمها وبخلودهم في النّار وعقوبتهم بها في الدّار الآخرة وذلك هو الخسران المبين.

قال الله تعالى: «يوم ندعوا كلّ اناس بإمامهم ـ ومن كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضلّ سبيلاً» الأسراء: ٧١ـ٧٢).

وقال: «قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقآئه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف: ١٠٣ـ١٠٥).

وقال: «إنّ الدّين عندالله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» آل عمران: ١٩و٨٥).

وقال: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ماانزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت

رسالته» المآئدة: ۳و٦٧).

وبصراح القرآن الكريم ونطاقه أن الإسلام والرّسالة من دون ولاية أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليس بإسلام، كما أنّ الحصن بغير الحصين ليس بحصن فمبتغيه من الخاسرين بلاريب لمن كان طيّب الولادة وأمّا مَن كان في ولآدته شيء فيتذبذب كتذبذبه في غير الولاية أيضاً من الأصول الإعتقاية والفروع العملية والبديهيّات الأوّليّة... ولانتوقّع منه غير التّذبذب إذ من الإنآء يترشّح مافيها!

٦٤ - (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الكافرين الفجرة، والمعاندين الفسقة بعد هذا البيان: أفغير الله تأمرونّي أعبد من الطّاغوت والآلهة الموهومة؟ أأتّبع أهوآءكم أيّها الجاهلون في رسالتي وتبليغها؟! إنّي أدعوكم إلى الإنابة إلى الله جلّ وعلا وإلى الإسلام له وإلى عبادة الخالق العليم المتعال وحده بالحجّة والبرهان وأنتم تدعونني إلى الكفر والطّغيان، وإلى الإنحطاط والنّار جهلاً وحمقاً إذ تأمرونني أن أعبد مالا يسمع ولا يبصر، ولا ينفع ولا يضرّ، وليس هذا إلّا جهلاً وحماقة منكم، فأخطأتم القصد أيّها الجاهلون، إذ لاجهل أشدّ من جهل مَن نهى عن الإيمان بالخالق العليم القدير المتعال، وعن عبادته، وأمر بالكفر وعبادة المخلوق العاجز المنحط، ولا يليق للعبادة إلّا الخالق الواحد الأحد الصّمد الفرد.

إنّي أدعوكم إلى الإسلام وإلى الجنّة ونعيمها، وأنتم تدعونني إلى الكفر وإلى جهنّم وعذابها فشتّان بين الدّعوتين؟

قال الله تعالى: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين» يوسف: ۱۰۸).

وقال: «قل إنّما أُمرت أن أعبد الله ولا أُشرك به إليه أدعوا وإليه مآب» الرّعد: ٣٦).

وقال: «قل إنّي نُهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله قل لا أتّبع أهوآءكم

الأنعام: ٥٦).

وقال: «إنّ الّذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ـ والّذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ١٩٤-١٩٧).

وقال: «الله رُبّكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير» فاطر: ١٣).

وقال: «اولئك يدعون إلى النّار والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ويبيّن آياته لِلنّاس لعلّهم يتذكّرون» البقرة: ٢٢١).

وقال: «أفحكم الجاهليّة يبغون» المآئدة: ٥٠).

وقال: «لا نبتغي الجاهلين» القصص: ٥٥).

٦٥ـ(ولقد أوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

ولقد أُوحي إليك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في قرآن الكريم وأُوحي إلى الأنبيآء والمرسلين في كتبهم السّماويّة النّازلة عليهم من قبلك: والله جلّ وعلا لئن أشركت أحداً بولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام من بعدك واتّبعت فيها أهوآء المعاندين ليبطلنّ أمر رسالتك تماماً، كأنّك ما بلّغت رسالتك: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٦٧) «وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتّبعت أهوآءهم بعدما جاءك من الله مالك من الله من وليّ ولا واق» الرّعد: ٣٧) كما لو أشركت بالله جلّ وعلا أحداً لتكوننّ من المغبونين في الدّنيا والآخرة.

ولن يرتاب من كان سليم القلب، طيّب الولادة أنّ ولاية مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات وأكمل تحيّاته روح الرّسالة المحمّديّة صلّى الله عليه وآله وسلّم فلولاها كانت الرّسالة جسداً بلا روح وحصناً من دون حصين كما صرّح بذلك في الآية الكريمة (٦٧) من سورة المآئدة، وأنّ الشّرك بالله سبحانه وإشراك أحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بولاية الإمام علي عليه السّلام على حدّ سوآء لما ورد مستفيضاً: «كلمة لا إله إلّا الله حصني فمن

دخل حصني أمن من عذابي» و«ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» فلا يأمن من دخل حصناً إلّا بحصينه، وأنّ الإسلام من دون ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ليس بإسلام كما أنّ الإسلام مع الشّرك بالله سبحانه ليس بإسلام، ولا يرتاب في ذلك إلّا من كان مريض القلب وخبيث الولادة.

الإحباط هو إبطال العمل بالكفر والعصيان، وإفساده بالشّرك والطّغيان، وسقوط حكمه حتّى كأنّه لم يكن، والقضيّة هنا شرطية، وإن كان فعل الشّرك من رسول الله المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم محالاً تماماً، فإنّ الشّرطيّة لاتحتاج في صدقها إلى صدق جزأيها كقوله تعالى: «قل إن كان للرّحمٰن ولد فأنا أوّل العابدين سبحان ربّ السّموات والأرض ربّ العرش عمّا يصفون» الزّخرف: ٨١-٨٢).

٦٦ - (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين)

بل الله جلّ وعلا وحده فاعبد أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم دون غيره، فامض على ما أنت عليه من طاعة الله عزّوجلّ وشكره والدّعوة إليه تعالى، والله يعصمك من النّاس وكن في كلّ حال بعبادتك له من الّذين يشكرونه على نعمه الدّالّة على تفرّده في الالوهيّة، وتوحّده على الرّبوبيّة، ويخلصون له العبادة.

قال الله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥).

وقال: «فاعبده واصطبر لعبادته» مريم: ٦٥).

وماورد في المقام فمن باب التّأويل وهو اللّبّ فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٦٧ - (وماقدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون)

وماعرفوا الله جلّ وعلا حقّ معرفته وماقدّروا حقّ التّقدير مدى عظمته وقدرته وعلمه وحكمته وتدبيره وشأنه واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة وتنزّهه وتعاليه عن الشّركآء... فإنّهم لو عرفوه جلّ وعزّ لما أشركوا بالخالق المتعال، مخلوقه الضّئيل، ولو

عظّموه حقّ تعظيمه لما أمروا نبيّه الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم بعبادة غيره من الآلهة الموهومة...

قال الله تعالى: «وماقدروا الله حقّ قدره إنّ الله لقويّ عزيز» الحجّ: ٧٤).

كيف عرفوه تعالى وهم لايعلمون أنّ الأرض بما فيها من الأجزآء والأسباب الفعّالة بعضها في بعض كلّها ملكه لايملكها معه أحد، كلّها مقبوضة بيده تعالى يوم القيامة يصرّف فيها كيف يشآء، ويظهر ذلك لأهل الجمع يومئذ: «الملك يومئذ لله يحكم بينهم» الحج: ٥٦) وإلّا فهي له تعالى دآئماً: «لِله ملك السّموات والأرض ومافيهنّ وهو على كلّ شيء قدير» المآئدة: ١٢٠).

وقال: «يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسّموات وبرزوا لله الواحد القهّار» إبراهيم: ٤٨).

وقال: «يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار» غافر: ١٦).

والسّموات مجموعات بقدرته وقوّته، فيومئذ تقطّع الإعتبارات الأرضيّة وتسقط الأسباب السّماويّة...

قال الله تعالى: «يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده» الأنبيآء: ١٠٤) فالمراد تيسير تصريف أمر السّموات والأرض على الله جلّ وعلا كما يقال: «هذا الشّيء في خنصري وتحت إصبعي» وقدورد مرسلاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرّحمن يصرّفها كيف يشآء».

وقوله تعالى: «سبحانه وتعالى عمّا يشركون» تنزيهاً وتبرئة لِله عزّوجلّ وعلوّاً وارتفاعاً عمّا يشركون به غيره، ويعبدون من دونه مالاينفعهم ولا يضرّهم، بل ضرّه أقرب من نفعه.

قال الله تعالى: «يدعوا من دون الله مالايضرّه ومالا ينفعه ذلك هو الضّلال البعيد يدعوا لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير» الحجّ: ١٢-١٣).

٦٨ ـ ﴿ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شآء الله ثمّ نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون﴾

واعلم أنّ النّفخة نفختان: نفخة تطفئ النّار، ونفخة تشعلها.

وحين نفخ في الصّور النّفخة الأولى من إسرافيل وهى نفخة الإماتة، فمات من شدّة الصّيحة التّي تخرج من الصّور كلّ مخلوق حيّ بحال هائلة شبيهة بالصّيحة العظيمة من أهل السّموات وأهل الأرض، فخرّوا مغشياً عليهم إلّا الّذين هم من فزع يومئذ آمنون ومَن لايموت، ثمّ نفخ فى الصّور من قِبَل الله جلّ وعلا نفخة أُخرى وهى نفخة البعث والإعادة والإحيآء فإذاً جميع الخلآئق الموتى أحيآء في لحظة واحدة كهيئتهم قبل مماتهم، قآئمون من قبورهم، حيث يولدون ميلاداً كاملاً على صورة كاملة يجد فيها كلّ إنسان حواسّه ومدركاته ووجوده كلّه كما كان في الحياة الدّنيا، ينظرون أمر الله فيهم... وكلّ ينطق بحسب علمه وحاله، فمنهم من يقول: الحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النّشور، ومنهم من يقول: من بعثنا من مرقدنا...

قال الله عزّوجلّ: «فإذا نفخ في الصّور نفخة واحدة وحملت الأرض فدكّتا دكّة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقّت السّمآء فهي يومئذ واهية» الحاقّة:١٣-١٦).

وقال: «وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض...» الزّمر: ٧٤).

وقال: «ونفخ في الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرّحمٰن وصدق المرسلون» يس: ٥١-٥٢).

وقال: «قل نعم وأنتم داخرون فإنّما هي زجرة واحدة فإذاهم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدّين هذا يوم الفصل الّذي كنتم به تكذّبون» الصّافات: ١٨-٢١).

وقال: «وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصّور فجمعناهم جمعاً» الكهف: ٩٨-٩٩).

وقال: «إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ اولئك عنها مبعدون ـ لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين»

الأنبيآء: ١٠١-١٠٤).

وقال: «ويوم ينفخ في الصّور ففزع مَن في السّموات ومن في الأرض إلّا من شآء الله وكلّ أتوه داخرين - من جآء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النّمل: ٨٧-٨٩).

٦٩ - (وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيين والشّهدآء وقُضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون)

وأشرقت أرض القيامة بعد إضائة أرض الدّنيا نهاية بنور ربّها بما أقام فيها من العدل والحقّ وبسط من القسط في الحساب والجزآء ووزن الحسنات والسّيئات...

قال الله تعالى: «ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون» التّوبة: ٣٢).

وقال: «أنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون إنّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين» الأنبيآء: ١٠٥-١٠٦).

وقال: «ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الأنفال: ٧-٨).

وقال: «والوزن يومئذ الحقّ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فاولئك الّذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون» الأعراف: ٨-٩).

وقوله تعالى: «ووضع الكتاب» كتاب كلّ إنسان سجّل فيه أعماله، فيراها فيه ويأخذه إمّا بيمينه وإمّا بشماله.

وقال الله تعالى: «وكلّ إنسان ألزمناه طآئره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» الإسراء: ١٣-١٤).

وقال: «يوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربّك صفّاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرّة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعداً ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً» الكهف: ٤٧-٤٩).

وقال: «وترى كلّ امّة جاثية كلّ امّة تُدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية: ٢٨-٢٩).

وقوله عزّوجلّ: «وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء» وجيئ بكلّ نبيّ من الأنبيآء عليهم السّلام يوم القيامة ليسئلهم ربّهم عن إبلاغ رسالاتهم، وعمّا أجابتهم به أممهم وردّت عليهم في الدّنيا حين أتتهم رسالة الله تعالى، وليحضروا محاسبة أقوامهم... وجيئ يومئذ من كلّ امّة بشهيد وهو مؤمن يشهد على ما كان منهم من إيمان أو كفر، وجيئ بمحمّدٍ وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ليشهدوا على ما كان من الامم ومن هذه الأُمّة المسلمة من طاعة أو طغيان، ومن إخلاص أو نفاق... وجيئ بالمؤمنين من هذه الامّة ليشهدوا على النّاس كلّهم...

قال الله تعالى: «فلنسئلنّ الّذين أُرسل إليهم ولنسئلنّ المرسلين» الأعراف: ٦).

وقال: «وإذ أخذ نامن النّبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسئل الصّادقين عن صدقهم» الأحزاب: ٧-٨).

وقال: «ويوم نبعث في كلّ امّة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنابك شهيداً على هؤلآء» النحل: ٨٩).

وقال: «وكذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهدآء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣).

وقال: «وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدّين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هوسمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرّسول شهيداً عليكم وتكونوا شهدآء على النّاس» الحجّ: ٧٨).

وقال: «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلآء الّذين كذبوا على ربّهم ألالعنة الله على الظّالمين» هود: ١٨).

وقوله جلّ وعلا: «وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون» فإذا شهدا لشهدآء يوم القيامة قضي بين النّبيّين واممهم بالقسط والعدل، وبالصّدق والحقّ ولا هم يظلمون

شيئاً، فلا يعاقب أحد من دون ذنب، ولا يثاب أحد من غير طاعة، ولا يحمل على أحد ذنب غيره ولا ينقص من حسنات أحد، ولا يزاد على سيئات أحد.

قال الله تعالى: «فإلينا مرجعهم ثمّ الله شهيد على ما يفعلون ولكلّ امّة رسول فإذا جآء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون» يونس: ٤٦-٤٧).

وقال: «ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين» الأنبيآء: ٤٧).

٧٠-(ووفّيت كلّ نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون)

وأعطيت وتمّت كلّ نفس عاملة برّة كانت أو فاجرة، مؤمنة كانت أو كافرة، مخلصة كانت أم منافقة، صالحة كانت أم فاسدة، ومطيعة كانت أم عاصية، أُعطيت يوم القيامة جزآء ما عملت في الحياة الدّنيا من خير أو شرّ، ومن حسنة أو سيّئة جزآءً تامّاً من دون إجحاف ولا نقصان، والله جلّ وعلا هو أعلم من كلّ أحد بما يفعلون من صالح الأعمال وفاسدها، ولا يفوته شيء منها، ولا تخفى عليه تعالى منهم خافية، ولم يأمر الملائكة بكتابة الأعمال، ولم يجئ الأنبيآء والشّهدآء عن جهل منه سبحانه ولا لحاجة إلى ذلك، بل إلزاماً للحجّة، ولزيادة تأكيد، وليعلموا أنّه جلّ وعلا يجازي عباده بحسب ما عملوا به، وليروا بأعينهم ما كان منهم وليحاكموا أنفسهم، وليشهدوا عدل الله المطلق فيما أجرى عليهم من أحكام الله تعالى إذ حضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج إليه في فصل الخصومات...، فلا ينقص من ثواب المطيع، ولا يزيد على سيّئات العاصي...

قال الله تعالى: «ولكلّ درجات ممّا عملوا وليوفيّهم أعمالهم وهم لا يظلمون» الأحقاف: ١٩).

وقال: «فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيّت كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون - كلّ نفس ذآئقة الموت وإنّما توفّون اجوركم يوم القيامة» آل عمران: ٢٥-١٨٥).

٧١ - ﴿وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جآؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾

وإذا قُضِيَ بين النّاس بالحقّ والعدل،وعرف كلّ إنسان ماقضى به الله فيه، وامتاز أصحاب النّار من أصحاب الجنّة، عندئذٍ سيق الّذين كفروا بالله تعالى وكذّبوا بآياته وعصوا رسله وطغوا، سيقوا سوقاً بعسفٍ وطرد كالأسير الجاني الّذي يساق إلى الحبس أو القتل والإعدام ونهبوا نهباً بدفع وزجر بصوت كصوت سائق الحمار إلى نار جهنّم الّتي أُعدّت للكافرين.

قال الله تعالى: «يوم يدعّون إلى نار جهنّم دعّاً هذه النّار الّتي كنتم بها تكذّبون» الطور: ١٣-١٤).

وقال: «ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً» مريم: ٨٦).

سيقلوا إليها أفواجاً متفرّقة ليدخلوها من سبعة أبواب متفرّقة لها، فإنّ لكلّ فرقة من أصحاب النّار باب خاصّ بهم يدخلونها ببابهم حسب تفاوت إقدامهم في الكفر والضّلالة، في البغي والشّرارة، وفي الظّلم والجناية، فكلّهم سيقوا إليها حتّى جآء كلّ طائفة منهم بابها الخاص بهم ليدخلوها فبمجرّد وصولهم إليها فتحت أبوابها السّبعة لهم سريعاً لم تكن مفتوحة قبل ذلك لتعجل لهم العقوبة.

قال الله تعالى: «وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم» الحجر: ٤٣-٤٤).

إنّ أبواب جهنّم مغلقة على مَن فيها، وأنّها لاتفتح إلّا عند ورود فوج من الأفواج المساقين إليها، وكلّما دخل فيها فوج غلقت عليهم الباب، فإذا جآء فوج جديد فتح بابهم الخاص، ثمّ أغلق عليهم... هكذا... لأنّها سجن مطبق على مَن بداخله وهذا مايشير إليه قوله تعالى: «إنّها عليهم مؤصدة في عمد ممدّدة» الهمزة: ٨-٩).

وقوله عزّوجلّ: «وقال لهم خزنتها...» وقال خزنة جهنّم وقوّامها عند بابها وهم غلاظ شداد،غلاظ الأخلاق وشديدالقوى قالواتقريعاً وتوهيناً وتحقيراً توبيخاً لأهل النّار: ألم

يأتكم يا معشر الكفّار والمستكبرين، يا معشر الفجّار والمجرمين ويا معشر الفسّاق والمنافقين... من أصحاب النّار: ألم يأتكم رسل الله تعالى من أنفسكم في الحياة الدّنيا يتلون عليكم آيات ربّكم من الكتب السّماوية المنزلة عليهم، ويدلّونكم على معرفة الله تعالى ووجوب عبادته، على التّعاون والإحسان، وعلى الصّلاح والكمال... ويخوّفونكم لقآء يومكم هذا من الأهوال والعذاب؟

ماذا فعلتم بأنفسكم؟ لماذا كفرتم بالله جلّ وعلا واستكبرتم؟ لماذا أعرضتم عن رسل الله وأوليآئه؟ لماذا كذّبتم بآيات الله ويوم حسابه؟ لماذا سعيتم في الأرض فساداً؟ لماذا؟؟؟

فلا يجد الكافرون والفجرة... إلاّ أن يقولوا في حسرة وندم وذلّة: بلى قد أتانا رسل الله تعالى من أنفسنا، وتلوا علينا آيات الله جلّ وعلا وأقاموا علينا الحجج والبراهين على صحّة ما كانوا يدعوننا إليه وأنذرونا لقآئنا هذا اليوم، ولكن وجبت كلمة العذاب على كلّ من تلبّس بالكفر والضّلالة ومات عليها، فاخترنا الكفر والطّغيان، والبغي والعدوان، والظّلم والعصيان... ومتنا عليها، فالعذاب هو من نتاج سوء أعمالنا بسوء إختيارنا! فهم شهدوا عند أبواب جهنّم على أنفسهم بالكفر والضّلالة وبإستحقاق العذاب وأنّهم من أهل النّار.

قال الله تعالى: «وللّذين كفروا بربّهم عذاب جهنّم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميّز من الغيظ كلّما ألقي فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جآءنا نذير فكذّبنا وقلنا مانزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ماكنّا في أصحاب السّعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السّعير» الملك: ٦-١١).

وقال: «يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدّنيا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين» الأنعام: ١٣٠).

وأمّا كلمة العذاب فهى قوله تعالى لإبليس حين تمرّد عن أمره تعالى وأراد إغواء

عباده: «قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين قال فالحقّ والحقّ أقول لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ۸۲-۸۵) وقوله عزّوجلّ لآدم عليه السّلام ومَن معه حين أمرهم بالهبوط: «والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون» البقرة: ۳۹).

وقال: «وكذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار» غافر: ۶).

۷۲ - (قيل: ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فبئس مثوى المتكبّرين)

يقول لأصحاب النّار عند أبواب جهنّم خزنتها وهم الموكّلون بها: ادخلوا يا أهل النّار - كلّ فرقة منكم - جهنّم من باب خاصّ بكم من أبوابها السّبعة على قدر منازلكم، ماكثين فيها أبداً لا آخر لعقابكم فيها، ولا خروج لكم منها، ولا زوال عنها، فبئس مقرّ المشركين بالله سبحانه ومنزل المتكبّرين على الله تعالى أن يوحّدوه ويفردوا له الالوهيّة، بئس مأوى المكذّبين بآيات الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومسكن المتمرّدين على الحقّ والمعاندين لأهله، وبئس موضع إقامة الجبّارين والمجرمين جهنّم.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين - الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يُسحَبُون في الحميم ثمّ في النّار يُسجرون ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين» غافر: ۶۰ و۷۰-۷۶).

وقال: «وإنّ للطّاغين لشرّ مآب جهنّم يصلونها فبئس المهاد» ص: ۵۵-۵۶).

وقال: «إنّ المجرمين في عذاب جهنّم خالدون لا يفتّر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون» الزّخرف: ۷۴-۷۷).

٧٣ - (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

وسيق الّذين اتّقوا ربّهم بالتّوحيد وإخلاص الدّين له، وبأدآء فرآئضه واجتناب معاصيه في الحياة الدّنيا: «إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طآئف من الشّيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون» الأعراف: ٢٠١) «ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكنّ البرّ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنّبيّين وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل والسّآئلين وفي الرّقاب وأقام الصّلاة وآتى الزّكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصّابرين في البأسآء والضّرآء وحين البأس اولئك الّذين صدقوا واولئك هم المتّقون» البقرة: ١٧٧).

سيق هؤلآء المتّقون يوم القيامة راكبين معزّزين مكرمين زمرة زمرة سراعاً بهم إلى أبواب الجنّة الثّمانية لكلّ فوج منهم باب مخصوص منها حسب درجاتهم ومنازلهم، وتفاوت مراتبهم في الشّرف وعلوّ الطّبّقة من الأنبيآء والمرسلين، من الأوصيآء والمقرّبين، من الأوليآء والمتّقين، ومن الأبرار والمؤمنين، سيقوا وفداً إلى الجنّة سوق كرامة وتشريف، وسيقت مراكبهم كالوفود إلى الملوك بصوت كصوت المزامير فإنّهم وفد الله جلّ وعلا: «يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمن وفداً» مريم: ٨٥).

هكذا سيقوا حتّى إذا وصلوا إلى أبواب الجنّة، وقد فتحت لهم الأبواب من قبل كما تفتح الخدم باب المنزل للضّيف العزيز قبل قدومه، وتقف منتظرة حضوره فرحاً بمقدمه: «وأُزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكلّ أوّاب حفيظ من خشي الرّحمن بالغيب وجآء بقلب سليم» ق: ٣١-٣٣).

فهم يجدون «جنّات عدن مفتّحة لهم الأبواب» ص: ٥٠) منتظرة حضور ضيوفها الكرام، كان لهم فيها من أصناف الكرامات والسّعادات مالايحيط به الوصف وكان سوقهم هكذا إلى الجنّة، وفتح أبوابها لهم قبل مجيئهم ودخولهم فيها من دون توقف ولا سؤال عنهم عند أبوابها تكرمة وتعظيماً وتشريفاً لهم، فهم لايقفون عند أبوابها، بل يمضون إلى حيث أراد الله تعالى لهم من نعيمه ورضوانه...

ويلقاهم عند أبوابها خزنتها وحرّاسها وحجّابها رسلاً من الله تعالى لاستقبال ضيوف الرّحمن والتّرحيب بهم، فقالوا لهم على أبواب الجنان: سلام عليكم بالتّحيّة والسّلام يا معشر ضيوف الله عزّوجلّ، سلام عليكم من جميع المكاره والآلام، فلا يعتريكم مكروه بعد ذلك، سلام عليكم من الله تعالى طبتم مولداً ونفساً، وطهرتم من كلّ دنس، فاهنئوا بهذا المقام الطّيّب الّذي لا يحلّ به إلّا طيّب، لكم في الجنّة حياة طيّبة: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة» النّحل:٩٧) «الّذين آمنوا وعلموا الصّالحات طوبىٰ لهم وحسن مآب» الرّعد: ٢٩).

فادخلوا يا معشر المتّقين الجنّة دائمين مقمين فيها أبداً لا زوال ولا فنآء ولا تحوّل عنها، ولا تموتون ولا تخرجون منها، مؤبّدين فيها لا غاية لوقوفكم فيها ولا انقطاع: «ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشآؤن فيها ولدينا مزيد» ق:٣٤-٣٥)فيدخلونها فرحين بما أفآء الله تعالى به عليهم من الجنّة، ونعيمها ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله عزّوجلّ: «جنّات عدن الّتي وعد الرّحمن عباده بالغيب إنّه كان وعده مأتيّاً لا يسمعون فيها لغواً إلّا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّاً» مريم: ٦١-٦٣).

٧٤ - (وقالوا الحمد لِلّه الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجر العاملين)

ولمّا دخل المتّقون الجنّة ورأوها وعاينوا ما فيها من نعم الله تعالى عليهم بهرهم هذا النّعيم الّذي لم يكن يخطر لهم على بالٍ وفرحوا غاية الفرح ونهاية السّرور، وتذكّروا ماقرؤه في الحياة الدّنيا من آيات الجنّة وحورها وقصورها، من أنهارها وأثمارها، ومن أمنها وأمانها، فعاينوا أكثر ممّا سمعوا وقالوا بلسان الحمد والشّكر: الحمد لله والمنّة له وحده الّذي أنجزنا وعده الّذي وعدناه على ألَسنة رسله، وأورثنا الأرض من الجنّة حيث نشتهي ومانريد لكثرة قصورها ومنازلها، وسعة نعمتها أولأنّها كلّها لا يختار فيها مكان على مكان، فيسكن الإنسان منها حيث يحبّ، لأنّ لكلّ متق جنّة لا توصف

سعة فيتبوّأ من جنّته كما يريد من دون منازع له فيها، ولا ضيق عليهم بحدود أو قيود فيها، فنعم ثواب العاملين لله تعالى في الحياة الدّنيا الجنّة والنّعيم فيها.

قال الله تعالى: «مثل الجنّة الّتي وُعدالمتّقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دآئم وظلّها تلك عقبى الّذين اتّقوا» الرّعد: ٣٥).

وقال: «جنّة الخلد الّتي وعد المتّقون كانت لهم جزآءً ومصيراً لهم فيها مايشآؤن خالدين كان على ربّك وعداً مسئولاً» الفرقان: ١٥-١٦).

وقال: «مثل الجنّة الّتي وعد المتّقون فيها أنهار من مآءٍ غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشّاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كلّ الثّمرات ومغفرة من ربّهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٥).

وقال: «ولنعم دار المتّقين جنّات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها مايشآؤن كذلك يجزي الله المتّقين الّذين تتوفّاهم الملآئكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون» النّحل: ٣٠-٣٢).

وقال: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لنبوّئنّهم من الجنّة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الّذين صبروا وعلى ربّهم يتوكّلون» العنكبوت: ٥٨-٥٩).

٧٥ ـ (وترى الملآئكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقضي بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين)

ومن عجآئب امور الآخرة يا معشر المتّقين أنكم ترون ـ بعد دخولكم الجنّة واستقراركم فيها ـ الملآئكة محدقين من حول عرش الرّحمن، مطيفين بجوانب العرش الّذي هو العالم المحيط على عالم الجنّة مع سعتها الّتي عرضها السّموات والأرض، فكيف طولها؟

قال الله تعالى: «وأطيعوا الله والرّسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السّموات والأرض أُعدّت للمتّقين ـ اولئك جزآؤهم مغفرة من ربّهم وجنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين»

آل عمران: ١٣٢-١٣٦).

وذلك أنّه حين انشقّت السّموات السّبع عدلت الملآئكة عن مواضعهم إلى جوانب السّموات وأطرافها إذ كانت مكانهم، ويحمل عرش الرّحمن فوقهم حين انشقاق السّموات ثمانية صفوف من الملآئكة صفّاً صفّاً: سبعاً منها من السّموات السّبع: وصفاً من ملائكة الكرسيّ.

قال الله تعالى: «وانشقت السّمآء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية» الحاقة: ١٦-١٧).

وإن كان ورآء العرش عوالم أُخر من حُجُب وسرادقات... لا يعلمها إلّا الله تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلّا من ارتضى من رسول» الجن: ٢٦-٢٧).

ولنا حول العرش بحث عميق تفصيلاً في تفسير سورة البروج (ج ٥٤ ص١٨٨-٢٣٨) فانتظر.

وقوله تعالى: «يسبّحون بحمد ربّهم» هؤلآء الملآئكة الّذين لا يعلم عددهم إلّا الله جلّ وعلا، هم يسبّحون بحمد ربّهم - من دون وقفة مّا، ولا محدود بزمان ولا انقطاع - حول العرش المحيط بعالم الجنّة، ويبذلون ثواب تسبيحهم لأهل التّقوى واليقين الّذين هم يتنعّمون بنعيم الجنّة، وهم شيعة آل محمّد عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته بعدد ما أحاط به علمه تعالى.

قال الله تعالى: «الّذين يحملون العرش ومن حول يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم» غافر: ٧).

وقوله عزّوجلّ: «وقضي بينهم بالحقّ» وقضى الله جلّ وعلا بين المتّقين بالعدل في تنعّمهم بنعيم الجنّة، حسب درجات تقواهم ومراتب إيمانهم وصالح أعمالهم... فيقيم كلاً منازل، وينعمه قدر سعيه، فيرضي كلّ عمّا ينال به في الجنّة من المنازل والكرامات والنّعم، فلا يتوقّع الدّاني، نعم العالي، وإن كان لكلٍ مزيد في نعمه...

قال الله تعالى: «ولكلٍّ درجات ممّا عملوا وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يظلمون» الأحقاف: ١٩).

وقال: «الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفآئزون» التوبة: ٢٠).

وقال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية» الغاشية: ٨-٩).

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات اولئك هم خير البرية جزآؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه» البيّنة: ٧-٨).

وقال: «رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتآء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله» النور: ٣٧-٣٨).

وقوله جلّ وعلا: «وقيل الحمد لله ربّ العالمين» ويقول المتّقون كلّهم في الجنّة مع اختلاف درجاتهم ومنازلهم فيها ـ بعد حمدهم لله تعالى على دخولهم الجنّة ـ: الحمد لله والنّعمة له تعالى لمّا قضى بيننا بالأجور حسب أعمالنا... وعلى ما أنعم به علينا من تلك النّعم، وهو عزّوجلّ مالك الكون، ومدبّر العالم كلّه، والمتصرّف فيه كيفما يشآء وحيثما يريد، فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

قال الله تعالى: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لانكلّف نفساً إلّا وسعها اولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غلّ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جآئت رسل ربّنا بالحقّ ونودوا أن تلكم الجنّة اورثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٢-٤٣).

وقال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات يهديهم ربّهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنّات النّعيم دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين» يونس: ٩-١٠).

﴿جملة المعاني﴾

٤٠٥٩ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)

هذا القرآن منزّل نجوماً على الأحداث من عند الله العزيز الّذي عظمت قدرته وعزّ جانبه، الحكيم في تنزيل كتابه وتشريعه، وفي جميع أمره.

٤٠٦٠ ـ (إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبد الله مخلصاً له الدّين)

يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّا بعزّتنا ومقتضى حكمتنا أنزلنا إليك هذا القرآن دفعة واحدة كما نزّلنا عليك نجوماً، متلبّساً بالحقّ، فاعبد الله تعالى وحده مخلصاً له الدّين لاتشرك به شيئاً.

٤٠٦١ ـ (ألا لله الدّين الخالص والّذين اتّخذوا من دونه أوليآء مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنّ الله لايهدي من هو كاذب كفّار)

إعلموا أيّها النّاس! أنّ لله تعالى وحده الدّين الخالص وهو الإسلام، والّذين اتّخذوا من دون الله أوليآء يعبدونهم، فإذا قيل لهم: مَن خلقكم؟ مَن رزقكم؟؟؟ قالوا: الله فيقال لهم: لماذا تعبدون غير الله من الأوثان...؟ قالوا: مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله قربىٰ لنا، إنّ الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا هم فيه يختلفون، إنّ الله تعالى لايوفّق إلى الحقّ مَن هو كاذب عَلى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم كفّار يصرّعلى كفره.

٤٠٦٢ ـ (لو أراد الله أن يتّخذ ولداً لاصطفى ممّا يخلق مايشآء سبحانه هو الله الواحد القهّار)

لو أراد الله أن يتّخذ له ولداً لاختاره هو سبحانه ممّا يخلق مايشآء، هو منزّه عن أن يكون له ولد، لأنّه الواحد الأحد الفرد، القاهر لجميع خلقه.

٤٠٦٣ ـ (خلق السّموات والأرض بالحقّ يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمّى ألا هو العزيز الغفّار)

خلق الله السّموات والأرض ومابينهما بالحقّ، يلقي اللّيل على النّهار ويلقي النّهار على اللّيل في كلّ آن بحسب الآفاق المختلفة والقطبين، وسخّر الشّمس والقمر للإنسان، كلّ منهما يجري في فلكهما إلى زمن معلوم عند الله تعالى، تنبّهوا أيّها النّاس! الله تعالى هو الغالب على كلّ شيء، كثير المغفرة.

٤٠٦٤ ـ (خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو فأنّى تصرفون)

إنّ الله تعالى خلقكم أيّها النّاس من نفس واحدة، وهي نفس آدم عليه السّلام بعد أن جعل من هذه النّفس، زوجها حوّآء، وخلق جلّ وعلا لكم من الأنعام الأهليّة والوحشية ثمانية أزواج، يبتدي خلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة، ذلكم الله ربّكم في حدوثكم وبقائكم، له الملك لا إله إلّا هو، فأنّى تصرفون عن سبيل الهدى بعد هذا البيان؟

٤٠٦٥ ـ (إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثمّ إلى ربّكم مرجعكم فينبّئكم بما كنتم تعملون إنّه عليم بذات الصّدور)

إن تكفروا أيّها النّاس بالله تعالى وتجحدوا نعمته بعد مشاهدة ماذكر من فنون نعمآئه، فإنّ الله سبحانه غنيّ عن إيمانكم به، ولا يرضى الله تعالى لأحد من عباده

الكفر، وإن تؤمنوا بالله وتشكروا لـه، يرضه لكم، ولا يؤخذ أحد بذنب الآخر ثمّ إلى ربّكم مرجعكم يوم القيامة، فيومئذ ينبّئكم بما كنتم تعملون في الدّنيا من شكر أو كفر، إنّ الله عليم بما في صدوركم من إيمان أو كفر...

٤٠٦٦ ـ (وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيل الله قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك من أصحاب النّار)

ومن طبيعة الإنسان المتلوّن أنّه إذا أصابه بلاء دعا ربّه متضرّعاً إليه، ثمّ إذا بدّل الله تعالى عسرة هذا الإنسان يُسرة، وشدّته رخآء نسي وترك ما كان يدعو الله تعالى إليه من قبل ذلك، وجعل لله سبحانه شركآء ليضلّ النّاس بعلمه هذا عن سبيل الحقّ والهدى، قل أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بلسان الوحي لمثل هذا الإنسان: تمتّع بكفرك قليلاً إلى أن تستوفي أجلك، إنّك أيّها الإنسان المتلوّن من أصحاب النّار.

٤٠٦٧ ـ (أمّن هو قانت آنآء اللّيل ساجداً وقآئماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب)

أمّن هو متلبّس بطاعة الله جلّ وعلا في كلّ حال، ساجداً في صلاته تارة، وقآئماً فيها أُخرى، وهو في كلّ حال بين خوف من عذاب الله تعالى ورجآء رحمته، قل للنّاس: لا يستوي الّذين أدركوا الحقآئق، فاتّبعوا طريق الهدىٰ، الّذين عميت أبصارهم عن الحقآئق واتّبعوا طريق الضّلال، إنّما يتذكّر ذلك أصحاب العقول السّليمة فقط.

٤٠٦٨ ـ (قل يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب)

قل أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبادي: يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم بلزوم طاعته واجتناب معصيته، للّذين أحسنوا منكم في هذه الدّنيا حسنة، وقل لهم: إنّ لم تتمكّنوا من التّوفّر على الإيمان والتّقوى وصالح الأعمال في بلدكم الّذي أنتم

فيه،فهاجروا إلى بلد آخر، فإنّ أرض الله جلّ وعلا واسعة تستطيعون فيها ذلك، لا يعطى الصّابرون على الهجرة أجرهم إلّا عطآءً بغير حساب.

٤٠٦٩ ـ (قل إنّي امرتُ أن أعبد الله مخلصاً له الدّين)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لِلنّاس كافّة: إنّي أُمرت عن طريق الوحى، أن أعبد الله تعالى وحده مخلصاً له الدّين من أنحآء الشّرك والمعاصي...

٤٠٧٠ ـ (وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين)

وأُمرت لأجل أن أكون أنا أوّل المسلمين ومقدّمهم في الإسلام.

٤٠٧١ ـ (قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم)

قل لهم: إنّي أخاف إن عصيت أمر ربّي في إخلاص الدّين لِلّه تعالى، ورفض أنحآء الشّرك ... عذاب يوم عَظيم أهواله وآلامه...

٤٠٧٢ ـ (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

قل لهم: الله تعالى وحده أعبده مخلصاً له طاعتي، لا أجعل أحداً له شريكاً قطّ.

٤٠٧٣ ـ (فاعبدوا ماشئتم من دونه قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين)

يا أيّها المشركون! إن لم تؤمنوا بوحدانيّة الله تعالى ولم تعبدوه وحده فاعبدوا ماشئتم من دون الله من تلك الآلهة المزعومة، قل لهم: فأيّا ماعبدتم من دون الله، فإنكم تخسرون أنفسكم وأهليكم يوم القيامة، تنبّهوا واعلموا أنّ ذلك هو الخسران البيّن بذهاب الدّنيا والآخرة.

٤٠٧٤ ـ (لهمَ من فوقهم ظلل من النّار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده يا عباد فاتقون)

لهؤلآء الخاسرين يوم القيامة أطباق متراكمة من نار جهنّم، بعضها فوق بعض كأنّها ظلل ومن تحتهم مثلها، فالنّار محيطة بهم من كلّ جانب، يخوّف الله بذلك العذاب عباده ليؤمنوا بالله تعالى ويتّقوه، وليرفضوا الطّواغيت والمعاصي... يا عبادي فاتّقوني واحذروا عن مخالفة أمري.

٤٠٧٥ ـ (والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى، فبشّر عباد)

والّذين اجتنبوا الأوثان، ورفضوا الطّواغيت أن يعبدوها، ورجعوا بتمام وجودهم عمّا سوى الله وأقبلوا إلى الله جلّ وعلا بالتّوبة والإيمان وصالح الأعمال... لهم البشرى بالخير كلّه، والسّعادة تمامها، فبشّر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم بهما عبادي.

٤٠٧٦ ـ (الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب)

هم الّذين يستمعون قول الله تعالى، فيتّبعونه أحسن إتباع، اولئك الّذين هذه صفتهم هداهم الله تعالى إلى الحقّ والكمال، واولئك هم اولوا العقول السّليمة.

٤٠٧٧ ـ (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ مَن في النّار)

أفمن لزم عليه كلمة العذاب بسوء إختياره الكفر والمعصية تر أن تنقذه وهو كآئن في ما لا نجاة له منها.

٤٠٧٨ ـ (لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد)

لكن الّذين اتّقوا ربّهم، لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة محكمات، رفيعة مشرفة تجري من تحتها الأنهار من العسل واللّبن والخمر والمآء، كلّ ذلك وعد الله تعالى لايخلف الله وعده قطّ.

٤٠٧٩ ـ (ألم ترأنّ الله أنزل من السّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاماً إنّ في ذلك لذكرى لاولى الألباب)

أولم تعلم أيّها النّاس! أنّ الله تعالى أنزل من السّمآء مآءً فأدخله في الأرض وأسكنه فيها، فأجراه عيوناً وآباراً... في الأرض ثمّ ينبت بهذا المآء ويخرج به زرعاً من الأرض، مختلفاً ألوانه... ثمّ يهيج الزّرع ويثور عن منبته بالجفاف، فتراه مصفرّاً ثمّ يجعل الله تعالى الزّرع فتاتاً متكسّراً، إنّ في ذلك كلّه لتنبيهاً لأهل العقول السّليمة.

٤٠٨٠ ـ (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين)

أفمن وسع الله تعالى صدره للإسلام ودخل نوره في قلبه، فهو على نور من ربّه كمن شرح صدره للكفر وضاق قلبه وأقساه بسوء إختياره، فأشدّ الويل للّذين قست قلوبهم عن قبول القرآن الكريم والإهتدآء به لسوء إختياره، اولئك في ضلال وإنحراف بيّن لا خفاء لمَن له أدنى تأمّل فيه.

٤٠٨١ ـ (الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشآء ومن يضلل الله فما له من هاد)

الله تعالى نزّل أحسن الحديث كتاب يشبه بعض أجزآئه بعضاً لما فيه من بيان امور وأضدادها الأوامر والنّواهي... ترتعد من سماعه جلود المؤمنين الّذين يخافون عذاب ربّهم، ثمّ تلين جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ذلك الكتاب بيان الله للنّاس يهدي به من يشآء من عباده الّذين يستمعونه ويتبعونه، ومن اختار الكفر والضّلالة يدعه الله في كفره وضلاله، فما له من هاد يهديه بعد ذلك.

٤٠٨٢ ـ (أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظّالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون)

أفمن يلقى بوجهه في نار جهنّم يوم القيامة بسبب كفره ومعصيته كمن عافاه الله تعالى من هذا البلاء يومئذ بسبب إيمانه وطاعته، يقول الله تعالى يوم القيامة لكلّ من تلبّس بالظّلم ومات عليه حينما يذوقون العذاب: ذوقوا اليوم جزآء بما كنتم تكسبون في الحياة الدّنيا.

٤٠٨٣ ـ (كذّب الّذين من قبلهم فأتاهم الله العذاب من حيث لا يشعرون)

ليس هؤلآء الظّالمون بدعاً في الكفر والضّلالة، بل كذّب الّذين من قبلهم اُممٌ رُسُلَهُم فأتاهم عذاب الله تعالى عاجلة من جهة لا يشعرون بمجيئه.

٤٠٨٤ ـ (فأذا قهم الله الخزي في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

فأذاق الله تعالى هؤلآء الامم المكذّبة الخزي في الحياة الدّنيا، ولعذاب الآخرة

أشدّ من عذاب الدّنيا لو كانوا يعلمون ذلك.

٤٠٨٥ ـ (ولقد ضربنا لِلنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون)

والله عزّوجلّ أنّا ضربنا للنّاس كافّة في هذا القرآن من كلّ مثل يحتاج إليه الإنسان في أمر دينه ودنياه لعلّهم يتذكّرون ماتضمّنه.

٤٠٨٦ ـ (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتّقون)

هذا القرآن هو قرآن عربيّ في ألفاظه واسلوبه... لا إغراب فيه ولا تعقيد... لكى يتّقي به النّاس عمّا نهيناهم عنه من الكفر والمعاصي...

٤٠٨٧ ـ (ضَرِبَ الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون)

ضرب الله تعالى مثلاً رجلاً فيه شركآء متنازعون، إذيأمره واحد منهم بفعل، وينهاه عنه الآخر، والثّالث يريده لفعل آخر وهكذا... والعبد بين الأمر والنّهي حآئر في أمره، وضرب رجلاً مملوكاً لواحد، لاينازعه فيه أحد، هل يستوي هذا ن الرّجلان مثلاً؟! الحمد كلّه لِلّه وحده، بل أكثر النّاس لايعلمون ذلك.

٤٠٨٨ ـ (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)

إنّك أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ستموت، وإنّ النّاس كافّة يموتون.

٤٠٨٩ ـ (ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون)

ثمّ إنكم أيّها النّاس عامّة وهذه الامّة خاصّة بعد بعثكم يوم القيامة، عند ربّكم تختصمون.

٤٠٩٠ ـ (فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه أليس في جهنّم مثوى للكافرين)

ليس أحد أظلم ممّن كذب على الله تَعالى بأن اتبع هواه، وكذّب بالقرآن إذ جآئه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أليس في نار جهنّم مأوى لكلّ من تلبّس بالكفرومات عليه.

٤٠٩١ ـ (والّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون)

والّذي جآء بالصّدق وهو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء برسالة من الله تعالى، والّذي صدّق بما جآئه الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو الإمام عليّ عليه السّلام اولئك الإمام عليّ عليه السّلام ومن تبعه من شيعته هم المتّقون.

٤٠٩٢ ـ (لهم مايشآؤن عند ربّهم ذلك جزآء المحسنين)

لهؤلآء المتّقين عند ربّهم في الجنّة ماتشتهيه أنفسهم ذلك جزآء المحسنين.

٤٠٩٣ ـ (ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون)

ليمحوا الله تعالى عن هؤلآء المتّقين أسوأ ما في صحف أعمالهم، فيبدّلها حسنات، ويجزيهم أجرهم بأحسن الّذي كانوا يعملون من الحسنات في الحياة الدّنيا.

٤٠٩٤ ـ (أليس الله بكافٍ عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هادٍ)

أليس الله تعالى بكافٍ عبده محمّداً نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ بلى وهو كافٍ عبده من دون ريب، ومع ذلك يخوّفك هؤلآء المعاندون بالّذين من دون الله من الآلهة الموهومة، وماإليها ومن اتّخذ طريق الكفر والضّلال، فماله عندئذ من هادٍ يوفقه للإيمان وصالح الأعمال...

٤٠٩٥ ـ (ومن يهد الله فماله من مضلّ أليس الله بعزيزذي انتقام)

ومن يهده الله تعالى، فلايقدر أحد أن يضلّه عن سبيله، أليس الله بغالب لكلّ شيء ينتقم ممّن كفر به وسعى في إضلال النّاس.

٤٠٩٦ ـ (ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون)

ولئن سئلت يا أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المشركين: من خلق السّموات والأرض ليقولنّ: الله تعالى هو الّذي خلقهنّ من دون ريب ولامرآء، فإذاً

قل لهم: أفرأيتم ماتدعون من دون الله من تلك الآلهة والطّواغيت... إن أرادني الله بضرّ في جسدي أو في معيشتي هل تقدر تلك الآلهة أن تكشف عنّي مايصيبني به ربّي؟! أو أرادني ربّي برحمة من عافية في بدني أو سعة في معيشتي، هل تستطيع تلك الآلهة أن تمسّك رحمة الله وتمنعها منّي؟! قل لهم: حسبي الله تعالى في جميع اموري، على الله يتوكلّ المتوكلّون.

٤٠٩٧ ـ (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك: يا قومي! إعلموا على ما في قدرتكم على إبطال أمري، إنّي عامل ما في تمكني على تبليغ رسالتي، فسوف تعلمون من هو الغالب ومن هو المغلوب.

٤٠٩٨ ـ (من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم)

ستعلمون أيّها المشركون والمعاندون مَن يأتيه عذاب الله يخزيه في الدّنيا، من يحلّ عليه عذاب دائم في الآخرة.

٤٠٩٩ ـ (إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل)

إنّا أنزلنا عليك هذا القرآن متلبّساً بالحقّ، لهداية النّاس إلى الخير والكمال، فمن اهتدى به بحسن إختياره ما في القرآن، فإنّما يعود نفع إهتدآئه إلى نفسه، ومَن ضلّ بسوء إختياره فأعرض عن القرآن، فإنّما وزر ضلاله على نفسه، وما أنت أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على أحد من النّاس برقيب في إيصال الحقّ إلى قلوبهم.

٤١٠٠ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الأُخرى إلى أجل مسمّىً إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

الله تعالى يقبض الأنفس حين إنقضآء آجال أبدانها بالموت فتبقى الأبدان من دون نفس ولا روح فيصير الإنسان ميّتاً، ويقبضَ الأنفس الّتي لم يحضر آجال أبدانها، عن التّصرّف في الأجساد مع بقآء الأرواح فيها، فيكون الإنسان حينئذ نآئماً، وذلك أنّ الله تعالى يمسك الأنفس الّتي قضى على أبدانها الموت فلا يردّها إلى أجسادها،

فإذاً تخرج الأرواح منها فيموت الإنسان بامساك النّفس وخروج الرّوح من جسده، ويرسل الأنفس الأُخرى إلى أجسادها الّتي لم يقض على موتها مع بقآء الأرواح فيها وهى نفس النّآئم إلى وقت الموت.

إنّ في هذا التوفّي والإمساك والإرسال لعلامات ودلائل لقوم يتفكّرون فيها.

٤١٠١ ـ (أم اتّخذوا من دون الله شفعآء قل أولو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون)

بل اتّخذ المشركون من دون الله آلهة شفعآء لهم، قل لهم: أتتخذون تلك الآلهة شفعآء لكم وتعبدونها، ولو كانوا لايملكون من أنفسهم شيئاً، ولا يعقلون شيئاً؟!

٤١٠٢ ـ (قل لِلّه الشفاعة جميعاً له ملك السّموات والأرض ثمّ إليه ترجعون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء المشركين: إن أردتم شفاعة شفعآء لكم، لله تعالى الشّفاعة جميعاً، إذ لله وحده ملك السّموات والأرض، ثمّ إليه ترجعون يوم القيامة.

٤١٠٣ ـ (وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون)

وإذا أُفرِد الله تعالى بالذّكر انقبضت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذُكِرَتْ آلهتهم المزعومة من دون الله فعندئذٍ هم يستبشرون بذكرها

٤١٠٤ ـ (قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا مبدع السّموات والأرض، يا عالم الغيب والشّهادة أنت وحده تقدر على أن تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من القول فيك.

٤١٠٥ ـ (ولو أنّ للّذين ظلموا مافي الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبداهم من الله مالم يكونوا يحتسبون)

ولو أنّ لِلّذين ظلموا وأشركوا بالله سبحانه كان لهم ما في الأرض جميعاً من الأموال والكنوز... وضعفه معه على سبيل الفرض لافتدوا به عوضاً من أنفسهم

ليتخلّصوا من سوء العذاب يوم القيامة فلن يقبل منهم ولا يخفّف عنهم العذاب، وظهر لهم من صنوف الخزي والعذاب من حيث لا يحتسبون.

٤١٠٦ ـ (وبدالهم سيّئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

وظهر لكلّ من تلبّس الظّلم ومات عليه، سيّئات ما كسبوا في الدّنيا، وأحاط بهم جزآء ما كانوا به يستهزؤن من أنواع العذاب...

٤١٠٧ ـ (فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال إنّما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكنّ أكثرهم لا يعلمون)

فإذا مسّ الإنسان الظّالم ضرّ في جسده أو في معيشته، دعانا ليلاً ونهاراً وانقطع عن غيرنا، ثمّ إذا بدّلنا الضّرّ نعمة منّا عليه، قال: إنّما اوتيت هذه النّعمة على علم منّي بطرق تحصيلها، ليس الأمر كما يتقوّل هذا الإنسان الظّالم المغترّ، بل هذه النّعمة اختبار له، ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون ذلك.

٤١٠٨ ـ (قد قالها الّذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

قد قال هذه المقالة الخاطئة من قبل هؤلآء المعاندين من الامم الماضيّة، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون.

٤١٠٩ ـ (فأصابهم سيّئات ما كسبوا والّذين ظلموا من هؤلآء سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)

فأصاب الّذين قالوا هذا المقالة الآثمة من الامم الماضية، وبال سيّئات ما كسبوا من العقائد الباطلة، والّذين ظلموا من هؤلآء الظّالمين من قومك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم سيصيبهم أيضاً وبال سيّئات ما كسبوا، وما هم بفاتنين من عذاب الله.

٤١١٠ ـ (أولم يعلموا أنّ الله يبسط الرّزق لمن يشآء ويقدر إنّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

أولم يعلم هؤلآء المشركون أنّ الله تعالى يبسط الرّزق لمن يشآء فيوسعه عليه إمتحاناً، ويضيقه على مَن يشآء إبتلآءً، إنّ في بسط الرّزق وضيقه لدلآئل واضحة

على التّوحيد لقوم يؤمنون بالله تعالى.

٤١١١ ـ (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الّذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم)

قل يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من قبلي بلفظة: يا عبادي الّذين تجاوزوا عن حدّ فطرتهم بالشّرك والمعصية لا تيأسوا من رحمة الله تعالى ومغفرته، فتوبوا إليه وآمنوا به وأطيعوه لأنّ الله تعالى هو كثير الغفران لذنوب من أناب إليه، وهو الرّحيم بمن آمن به وعمل صالحاً.

٤١١٢ ـ (وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لاتنصرون)

وأنيبوا أيها المسرفون إلى ربّكم، وأسلموا له وحده من قبل أن يأتيكم العذاب بسبب كفركم، ثمّ لا تنصرون.

٤١١٣ ـ (واتّبعوا أحسن ماانزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون)

واتّبعوا ـ بعد الإنابة والإسلام ـ أحسن ما انزل إليكم من ربّكم وهو القرآن الكريم، من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون بمجيئه.

٤١١٤ ـ (أن تقول نفس يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين)

فبادروا أيّها المسرفون بالإنابة والإسلام والعمل قبل أن تقول أنفسكم: يا حسرتى على ماقصّرت في جنب الله تعالى وأمره، وإنّي مع ذلك كنت لمن السّاخرين.

٤١١٥ ـ (أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين)

أو تقول أنفسكم ـ عن ضلالة وجهالة ـ: لو أنّ الله أرشدني إلى الحقّ لكنت اليوم من زمرة المتّقين.

٤١١٦ ـ (أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين)

أو تقول نفس ـ عن غفلة وسفاهة ـ حين ترى العذاب يوم القيامة أو البرزخ: لو

أنّ لي رجعة إلى الدّنيا فأكون من زمرة المحسنين في العقيدة والعمل.

٤١١٧ ـ (بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

ليس القول كما تقوّلت! بلى قدجآئتك آياتي على لسان رسولي صلّى الله عليه وآله وسلّم فكذّبت بها ،وإستكبرت وكنت من زمرة الكافرين بسوء إختيارك .

٤١١٨ ـ (ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين)

ويوم القيامة ترى أيّها النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء الّذين كذبوا على الله تعالى وجوههم مسودّة، أليس في وسط جهنّم مأوى دآئم لكلّ من تلبّس بالتّكبّر ومات عليه.

٤١١٩ ـ (وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولا هم يحزنون)

وينجّي الله تعالى من أنواع العذاب، كلّ من تلبّس بالتّقوى والإنابة إلى الله تعالى والإسلام له واتباع الوحي، لا يمسّهم السّوء، ولا هم يحزنون.

٤١٢٠ ـ (الله خالق كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل)

الله تعالى وحده مبدع كلّ شيء وهو على كلّ شيء قيّم بالحفظ والكلاءة.

٤١٢١ ـ (له مقاليد السّموات والأرض والّذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون)

لله تعالى وحده مفاتيح خزآئن السّموات والأرض،والّذين كفروا بآيات الله التّكوينيّة والتّدوينيّة... أولئك هم الخاسرون الّذين هم عمي في الدّارين.

٤١٢٢ ـ (قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيّها الجاهلون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لهؤلآء الخاسرين الكفرة: أفغير الله تأمرونّي أعبد من الطّواغيت... أيّها الجاهلون في رسالتي وتبليغها؟

٤١٢٣ ـ (ولقد أوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

ولقد أوحي إليك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم في القرآن الكريم وأوحي إلى الأنبيآء والمرسلين من قبلك: والله لئن أشركت ليبطلنّ أمررسالتك تماماً،

ولتكوننّ من زمرة الخاسرين.

٤١٢٤ ـ (بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين)

بل الله تعالى وحده فاعبد أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وكن من الشّاكرين في أمر رسالتك.

٤١٢٥ ـ (وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون)

وما عرفوا الله تعالى حقّ معرفته، كيف عرفوه وهم لايعلمون أنّ الأرض كلّها مقبوضة بيده تعالى يوم القيامة، والسّموات مجموعات بقدرته، سبحانه وتعالى عمّا يشركون به غيره.

٤١٢٦ ـ (ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شآء الله ثمّ نفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون)

وحين نفخ في الصّور النّفخة الأولى فمات من شدّتها كلّ من في السّموات ومن في الأرض إلّا الّذين هم لايموتون حينئذوهم من فزع يومئذ آمنون، ثمّ نفخ في الصّور نفخة أُخرى، فإذاً جميع الخلائق الموتى أحيآء في لحظة واحدة، قائمون من قبورهم ينظرون أمرالله تعالى فيهم.

٤١٢٧ ـ (وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء وقضي بينهم بالحقّ وهم لايظلمون)

وأشرقتَ أرض القيامة بنور ربّها بما أقام فيها من العدل والحقّ، و وضع كتاب كلّ إنسان سجّل فيه أعماله، وجيئ بكلّ نبيّ من الأنبيآء وبكلّ شهيد من شهدآء الأعمال، وحكم بينهم بالحقّ وهم يومئذ لايظلمون فتيلاً.

٤١٢٨ ـ (ووفّيت كلّ نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون)

وتمّت كلّ نفس عاملة يوم القيامة جزآء ماعملت في الدّنيا، والله تعالى هو أعلم بما كانوا يفعلون في الدّنيا من الخير والشّرّ.

٤١٢٩ ـ (وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جآؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين)

وسيق الّذين كفروا يوم القيامة إلى جهنّم فوجاً فوجاً متفرّقة ليدخلوها من سبعة أبواب متفرّقة لها، حتّى إذا جآء كلّ طائفة منهم بابها الخاص بهم، فتحت أبوابها السّبعة لهم سريعاً، وقال لهم عند أبوابها خزنتها: ألم يأتكم يا معشر الكافرين رسل من أنفسكم في الدّنيا يتلون عليكم آيات ربّكم، ويخوّفونكم لقآء يومكم هذا؟ قالوا: بلى قد أتانا رسل الله تعالى من أنفسنا، ولكن كذّبناهم بسوء إختيارنا فوجبت كلمة العذاب على كلّ من تلبّس بالكفرومات عليه.

٤١٣٠ ـ (قيل ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

تقول خزنة جهنّم عند أبوابها لأصحاب النّار: أدخلوا ـ كلّ فرقة منكم ـ جهنّم من باب خاص بكم، ماكثين فيها أبداً، فبئس مأوى الّذين تكبّروا جهنّم.

٤١٣١ ـ (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

وسيق الّذين اتّقوا ربّهم بالإيمان والإخلاص، وبأدآء فرآئضه وإجتناب معاصيه... هم سيقوا يوم القيامة سوق كرامة وتشريف زمرة زمرة سراعاً بهم إلى أبواب الجنّة الثّمانية، سيدخلوا ـ كلّ فوج منهم ـ بابها المخصوص بهم حسب درجاتهم، حتّى إذا وصلوا إلى أبوابها، وقد فتحت لهم الأبواب من قبل، منتظرة حضور ضيوفها الكرام وقال لهم خزنتها: سلام من الله تعالى عليكم، طبتم مولداً ونفساً، فادخلوا الجنّة خالدين فيها.

٤١٣٢ ـ (وقالوا الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجرالعاملين)

ولـمّا دخل المتّقون الجنّة وعاينوا مافيها من أنواع النّعم والكرامات والسّعادات... وقالوا: الحمد كلّه لله وحده الّذي أنجزنا وعده وأورثنا أرض الجنّة،

نستقرّ منها حيث نشآء لكثرة قصورها ومساكنها، فنعم أجر العاملين الجنّة.

٤١٣٣ ـ (وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم وقضي بينهم بالحقّ وقيل الحمدلله ربّ العالمين)

وترى يا معشر المتّقين الملائكة في الجنّة، محدقين من حول عرش الرّحمن، وهو العالم المحيط بعالم الجنّة مع سعتها، يسبّحون بحمد ربّهم من دون توقّف، ولا محدود بزمان، ويبذلون ثواب تسبيحهم لكم، وقضى الله تعالى بين المتّقين بالعدل في تنعّمهم بنعيم الجنّة حسب درجاتهم، ويقول المتّقون كلّهم في الجنّة مع تفاوت مراتبهم فيها: الحمد كلّه لله تعالى وحده الّذي هو مدبّر العالَم كلّه والمتصرّف فيه كيف يشآء، فرضيَ الله تعالى عنهم ورضوا عنه.

﴿بحث روائي﴾

في الدّر المنثور: عن يزيد الرّقاشي: أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّا نُعطي أموالنا إلتماس الذّكر فهل لنا في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله لا يقبل إلّا مَن أخلص له ثمّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: «ألا لله الدّين الخالص».

وفي رواية: أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إنّي أتصدّق بالشّيء، وأصنع الشّيء اريد به وجه الله وثناء النّاس؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والّذي نفس محمّد بيده لا يقبل الله شيئاً شورك فيه» ثمّ تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألا لله الدّين الخالص».

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «ما نعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» قال: وذلك أنّ قريشاً قالت: «إنّما نعبد الأصنام ليقرّبونا إلى الله زلفى» فإنّا لا نقدر أن نعبد الله حقّ عبادته، فحكى الله قولهم على لفظ الخبر، ومعناه حكاية عنهم.

وفي الإحتجاج: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث طويل ـ: «ثمّ أقبل صلّى الله عليه وآله وسلّم على مشركي العرب، فقال: وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرّب بذلك إلى الله تعالى، فقال: أو هي سامعة مطيعة لربّها، عابدة له حتّى تتقرّبوا بتعظيمها إلى الله؟ قالوا: لا قال: فأنتم الّذين نحتّموها بأيديكم (تنحتونها بأيديكم؟ قالوا: نعم قال خ) فلان تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أحرى من أن تعبدوها إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم

وعواقبكم، والحكيم فيما يكلّفكم».

وفي قرب الإسناد: بإسناده عن مسعدة بن زياد قال: وحدّثني جعفر عن أبيه: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ الله تبارك وتعالى يأتي يوم القيامة بكلّ شيء يعبد من دونه من شمس أو قمر أو غير ذلك، ثمّ يسئل كلّ إنسان عمّا كان يعبده فيقول كلّ من عبد غيره: ربّنا إنّا كنّا نعبدها لتقرّبنا إليك زلفى، قال: فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: إذهبوا بهم (ادعوهم خ) وبما كانوا يعبدون إلى النّار ما خلا من استثنيت فإنّ اولئك عنها مبعدون.

وفي البرهان: عن الزّهري قال: أتى رجل أبا عبدالله عليه السّلام فسئله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرّجل: فإن كنت إبن أبيك فإنّك من أبنآء عبدة الأصنام، فقال له: كذبت إنّ الله أمر إبراهيم أن ينزل اسمعيل بمكّة، ففعل، فقال إبراهيم: «ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن أعبد الأصنام» فلم يعبد أحد من ولد إسمعيل صنماً قطّ، ولكن العرب عبدت الأصنام، وقالت بنوا إسمعيل هؤلآء شفعآؤنا عند الله فكفرت، ولم تعبد الأصنام».

وفي البحارـ في باب ردّ الشمس لِلإمام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام ـ: «وذكر أبوبكر الشّيرازي في كتابه بالإسناد عن شعبة عن قتادة عن الحسن البصرى عن أمّ هانئ هذا الحديث ـ حديث ردّ الشّمس ـ مستوفى ثمّ قال: قال الحسن عقيب هذا الخبر: وأنزل الله عزّوجلّ آيتين في ذلك: قوله تعالى: «وهو الّذي جعل اللّيل والنّهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً» الفرقان: ٦٢) وأنزل أيضاً: «يكوّر اللّيل على النّهار ويكوّر النّهار على اللّيل» الزّمر: ٥).

وفيه: قال العلاّمة المجلسي رحمة الله تعالى عليه: «قال السيّد الدّاماد في بعض زبره: فيما نقله رهط من المفسّرين عن إبن عبّاس مما استفاد عن أمير المؤمنين عليه السّلام في تفسير قوله تعالى: «كلّ يجري لأجلَ مسمّى» أنّ لِلشّمس مأة وثلاثين منزلاً في مأة وثمانين يوماً ثمّ إنّها تعود مرّة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيّام ومجموع تلك الأيّام سنة».

وفيه: عن إسمعيل بن جابر الجعفيّ عن أبى عبدالله عليه السّلام قال: «صنعها في مأة سنة ثمّ أمره أن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين الأزواج الثّمانية الّتي خرج بها آدم عليه السّلام من الجنّة ليكون معيشةً لعقب نوح في الأرض كما عاش عقب آدم، فإنّ الأرض تغرق وما فيها إلّا ما كان معه في السّفينة، قال: فحمل نوح في السّفينة الأزواج الثّمانية الّتي قال الله: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» من الضّأن إثنين ومن المعز إثنين ومن الإبل إثنين ومن البقر إثنين، فكان زوجين من الضّأن زوج يربيّها النّاس ويقومون بأمرها، وزوج من الضّأن الّتي تكون في الجبال الوحشيّة أُحِلّ لهم صيدها، ومن المعزإثنين زوج يربّيها النّاس وزوج من الظّبآء، ومن البقر إثنين زوج يربّيه النّاس وزوج هو البقر الوحشى، ومن الإبل زوجين وهى البخاتيّ والعراب وكلّ طيروحشيّ أوإنسيّ ثمّ غرقت الأرض».

وفي الإحتجاج ـ في باب ردّ التّناقض في القرآن ـ حديث طويل ـ قال الإمام علي عليه السّلام: «أنزل إليكم من الأنعام ثمانية أزواج» وقال: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» فانزاله ذلك خلقه إيّاه...» الحديث.

وفي تفسير النعماني: بإسناده عن الصّادق عليه السّلام قال: سُئلَ أمير المؤمنين عليه السّلام عن مشابه (متشابه خ) الخلق فقال: هوعلى ثلاثة أوجه: فمنه خلق الإختراع كقوله سبحانه: «خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام» وخلق الإستحالة، قوله تعالى: «يخلقكم في بطون امّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث» وقوله: «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة...» الآية وأمّا خلق التّقدير فقوله لعيسىٰ: «وإن تخلق من الطّين...».

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها»: يعنى آدم وزوجته حوّاء «في ظلمات ثلاث» قال: البطن والرّحم والمشيمة».

وفي نهج البلاغة ـ في صفة خلق الإنسان ـ قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بنِ أبيطالب عليه السّلام: «أم هذا الّذي أنشأه في ظلمات الأرحام

وشُغُفِ الأستار نطفةً دهاقاً وعلقة محاقاً وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً...»

وفيه: قال الإمام علي عليه السّلام: «أيّها المخلوق السّويّ والمنشأ المَرْعِيّ في ظلمات الأرحام ومُضاعَفات الأستار، بُدئتَ من سلالة من طين، ووُضِعْتَ في قرار مكين إلى قدر معلوم، وأجل مقسوم، تمور في بطن امّك جنيناً ...»

وفي المجمع: «في ظلمات ثلاث»: ظلمة البطن، وظلمة الرّحم وظلمة المشيمة وهو المرويّ عن أبي جعفر عليه السّلام.

وفي مصباح الزّآئر للسيّد بن طاوس رضوان الله تعالى عليه في دعآء سيّد الشّهدآء سبط المصطفى الحسين بن عليّ صلوات الله عليهم يوم عرفة: «وابتدعت خلقي من منّي يُمنىٰ، ثمّ أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشهر بخلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري، ثمّ أخرجتني إلى الدّنيا تامّاً سوياً».

وفي التّوحيد: ـ في الرّدّ على الدّهرية ـ عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال: «سنبتدئ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبر به الجنين في الرّحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرّحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذآء ولا دفع أذى، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض مايغذوه كما يغذ المآء النّبات، فلايزال ذلك غذآؤه حتّى إذا كمل خلقه، واستحكم بدنه وقوى أديمه على مباشرة الهوآء وبصره على ملاقاة الضّيآء هاج هذا الطلق بامّه فأزعجه أشد إزعاج ذاعنفة حتّى يولد».

وفي تحف العقول ـ في رسالة أبي الحسن الثّالث صلوات الله عليه في الرّدّ على أهل الجبر والتّفويض ـ حديث طويل ـ قال عليه السّلام: «لأنّ المفوّض إليه غير محظور عليه فاستحال التّفويض، أو ليس يجب على هذا السّبب إمّا أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتّباع أمره ونهيه على إرادته لاعلى إرادة العبد، ويملكه من الطّاقة

بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهي عرّفه الثّواب والعقاب عليها وحذّره ورغّبه بصفة ثوابه وعقابه ليعرف العبد قدرة مولاه بما ملكه من الطّاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه، فيكون عدله وإنصافه شاملاً له، وحجّته واضحة عليه للإعذار والإنذار، فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه؟

أو يكون عاجزاً غير قادر ففوّض أمره إليه، أحسن أم أسآء، أطاع أم عصى، عاجز عن عقوبته وردّه إلى اتّباع أمره، وفي إثبات العجز نفى القدرة والتألّه، وإبطال الأمر والنّهى والثّواب والعقاب، ومخالفة الكتاب، إذ يقول: «ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الحديث.

وفي محاسن البرقي: بعض أصحابنا رفعه في قول الله تبارك وتعالى: «ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» قال: الشّكر المعرفة، وفي قوله: «ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» فقال: الكفر ههنا الخلاف والشّكر الولاية والمعرفة».

وفي التّوحيد: بإسناده عن فضيل بن يسار قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: «شآء وأراد ولم يحبّ ولم يرض شآء ألّا يكون شيء إلّا بعلمه وأراد مثل ذلك، ولم يحبّ أن يقال له: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر».

وفي رواية: حديث قدسي - قال الله عزّوجلّ: «يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كان على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»

وفي عدّة الدّاعي - في معاودة الدّعآء والإلحاح فيه -: القسم الثّالث في الآداب المتأخرة عن الدّعآء وهي امور: الأوّل: معاودة الدّعآء وملازمته مع الإجابة وعدمها أمّا مع الإجابة فلانّ ترك الدّعآء مع الإجابة من الجفآء بل ينبغي المقابلة بتكرار المدحة والثّنآء لأنّ الله سبحانه عنف من فعل ذلك في مواضع من القرآن كقوله تعالى: «وإذا مسّ الإنسان ضرّدعا ربّه منيباً إليه ثمّ إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل».

٩ ـ (أمّن هو قانت آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب)

في العلل: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت: «آناء اللّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» قال: يعني صلاة اللّيل.

وفي الدّر المنثور: عن أنس قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على رجل وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك ؟ قال: أرجو وأخاف، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلّا أعطاه الّذي يرجو وأمنه الّذي يخاف».

في بصائر الدّرجات: بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» فقال: نعلم الّذين نعلم، وعدوّنا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الألباب».

وفيه: بإسناده عن عليّ بن أسباط عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السّلام فسئله رجل من أهل هيت، فقال: جعلت فداك قول الله: «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» فقال: نحن الّذين نعلم وعدوّنا الّذين لا يعلمون واولوا الألباب شيعتنا».

وفي تفسير الطّبري: بإسناده عن جابر بن أبي جعفر رضوان الله عليه: «هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» قال: «نحن الّذين يعلمون وعدوّنا الّذين لا يعلمون».

وفي البحار: عن أبي بصير قال: قال الصّادق عليه السّلام ـ في حديث ـ: «لقد ذكركم الله تعالى في كتابه حيث قال: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» فنحن الّذين نعلم، وأعدآؤنا الّذين لا يعلمون، وشيعتناهم اولوا الألباب» الحديث.

وفي بصائر الدّرجات: بإسناده عن أبي الحجاز قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ختم مأة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبيّ، وختمت أنا مأة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ، وكلّفت ماتكلّف الأوصيآء قبلي والله المستعان، وإنّ رسول الله عليه السّلام قال في مرضه: «لستُ أخاف عليك أن تضلّ بعد الهدى ولكن أخاف عليك فسّاق قريش وعاديتهم حسبنا الله ونعم الوكيل» على أنّ ثلثي القرآن فينا وفي شيعتنا، فما كان من خير فلنا ولشيعتنا، وثلث الباقى أشركنا فيه النّاس، فما كان فيه شرّ فلعدوّنا، ثمّ قال: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون» إلى آخر الآية، فنحن أهل البيت وشيعتنا اولوا الألباب، والّذين لايعلمون عدوّنا، وشيعتنا هم المهتدون».

وفي الإختصاص: بإسناده عن أبي بصير عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام ـ في حديث ـ فقال عليه السّلام: «لقد جمعنا الله ووليّنا وعدوّنا في آية من كتابه فقال: قل ـ يا محمّد ـ هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب».

وفي محاسن البرقي: عن أبي عليّ حسّان العجلي قال: سئل رجل أباعبدالله عليه السّلام وأنا جالس عن قول الله عزّوجلّ: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» قال: نحن الّذين يعلمون وعدوّنا الّذين لا يعلمون، وشيعتنا اولوا الألباب».

وفي تفسير النّعماني: عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ في حديث ـ قال عليه السّلام: «واعلموا رحمكم الله أنّما هلكت هذه الامّة وارتدّت على أعقابها بعد نبيّها صلّى الله عليه وآله وسلّم بركوبها طريق مَن خلا من الامم الماضية، والقرون السّالفة آثروا عبادة الأوثان على طاعة أوليآء الله عزّوجلّ وتقديمهم مَن يجهل على مَن يعلم، فعقّبها الله تعالى بقولة: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب».

وفي تحف العقول ـ في وصيّة أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام لهشام ـ قال

عليه السّلام: «يا هشام إنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام كان يقول: «لايجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، يشير بالرّأي الّذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق» وقال الحسن بن عليّ عليهما السّلام إذا طلبتم الحوآئج فاطلبوها من أهلها» قيل: يا إبن رسول الله ومن أهلها؟ قال: «الّذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب» قال: هم اولوا العقول...» الحديث.

وفي البحار: ـ في زيارة الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام يوم الغدير ـ «صدقتَ والله وقلتَ الحقّ، فلعن الله مَن ساواك بمن ناواك والله جلّ إسمه يقول: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون» فلعن الله من عدل بك مَن فرض الله عليه ولايتك...» الزّيارة.

وفي محاسن البرقي: عنه عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ماقسم الله لعباده شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإفطار العاقل أفضل من صوم الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولابعث الله رسولاً ولانبيّاً حتّى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول جميع امّته، ومايضمر النّبيّ في نفسه أفضل من إجتهاد جميع المجتهدين، وماأدّى العقل فرآئض الله حتّى عقل منه، ولابلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم مابلغ العاقل من عقلآئهم هم اولوا الألباب الّذين قال الله عزّوجلّ: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب».

وفي رواية: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «نوم على يقين خير من صلاة في شكّ».

وفيه: بإسناده عن عليّ بن عقبة بن خالد قال: دخلت ومعلّى بن خنيس على أبي عبدالله عليه السّلام فأذن لنا وليس هو في مجلسه، فخرج علينا من جانب من عند نسآئه، وليس عليه جلباب، فلمّا نظر إلينا رحب، وقال: مرحباً بكما وأهلاً ثمّ جلس وقال: أنتم أولوا الألباب في كتاب الله قال الله تبارك وتعالى: «إنّما يتذكّر اولوا الألباب» فابشروا...» الحديث.

وفي مجالس الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن أبي اسحق الهمداني قال: لمّا ولىّ أميرالمؤمنين عليه السّلام محمّد بن أبي بكر مصر وأعمالها كتب له كتاباً وأمره أن يقرأه على أهل مصر، وليعمل بما وصّاه به فيه ـ ومنه ـ: «فمن عمل لله تعالى أعطاه الله أجره في الدّنيا والآخرة، وكفاه المهمّ فيهما، وقد قال الله تعالى: «يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» فما أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم به في الآخرة...» الكتاب.

وفي مكارم الأخلاق ـ في وصيّة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عبدالله بن مسعود ـ قال إبن مسعود: «دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن ذقنامنذ أربعة أشهر إلّا المآء واللّبن و ورق الشّجر، قلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشّديدة؟ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لاتزالون فيها ماعشتم، فأحدثوا لله شكراً، فانّي قرأت كتاب الله الّذي أُنزل عليّ وعلى مَن كان قبلي فما وجدت مَن يدخلون الجنّة إلّا الصّابرون، يا ابن مسعود قال الله تعالى: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب».

وفي البحار: بالإسناد عن عطيّة بن نجيح بن المطهّر الرّازي وإسحق بن عمّار الصّيرفي قالا: إنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السّلام كتب إلى عبدالله بن الحسن حين حُمِل هو وأهل بيته يُعزّيه عمّا صار إليه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم إلى الخلق الصّالح والذّرّيّة الطيّبة من وُلد أخيه وإبن عمّه. أمّا بعد: فلئن كنت قد تفرّدت أنت وأهل بيتك ممّن حُمِل معك بما أصابكم، ما انفردت بالحزن والغيظ والكئآبة وأليم وجع القلب دوني ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل مانالك، ولكن رجعتُ إلى ما أمر الله جلّ وعزّ به المتّقين من الصّبر وحسن العزآء ـ إلى أن قال ـ: وحين يقول: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» الحديث...

وفي اصول الكافي: بإسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من النّاس، فيأتون باب الجنّة فيضربونه، فيقال لهم: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصّبر، فيقال لهم: ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا، أُدخلوهم الجنّة وهو قول الله عزّوجلّ: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب»».

قوله عليه السّلام: «عنق» أي جماعة من النّاس والرّؤسآء.

وفي المجمع: وروى العياشي بالإسناد عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا نشرت الدّواوين ونصب الموازين لم ينصب لأهل البلآء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثمّ تلا هذه الآية: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب»».

وفي مجالس الصّدوق: عن أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام: «إنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثّواب: إمّا لخير فأنّ الله يثيبه بعمله في دنياه ثمّ تلا هذه الآية: «قل يا عباد الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة» ثمّ قال: فمن أعطاهم الله في الدّنيا لم يحاسبهم في الآخرة «وأرض الله واسعة» فمن تعسّر عليه التّوفّر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكّن منه «انّما يوفّى الصّابرون» على مشاق الطّاعة من إحتمال البلآء ومهاجرة الأوطان «أجرهم بغير حساب»».

وفي رواية: عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: «كلّ مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلّا الصّابرون فانّه يحثى لهم حثياً».

وفي كتاب الفتوّة لابن المعمار البغدادي ـ أحد أعلام العامّة ـ مالفظه: «يحكى أنّه كان لأميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام جارية تدخل وتخرج في الحوائج وكان له مؤدّب شاب ينظر إلى الجارية، ويقول لها كلّما دخلت وخرجت: أنا والله أُحبّك، فلمّا طال ذلك عليها أخبرت أميرالمؤمنين عليه السّلام فقال لها: إذا قال لك ذلك، فقولي

له: وأنا أيضاً أُحبّك ففعلت الجارية ذلك، فقال لها الشّابّ: فاصبري حتّى يوفينا اجورنا «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» واصبري حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فأعلمت الجارية أميرالمؤمنين عليه السّلام بقوله، فدعا ربّه، وقال له: يا هذا قد حكم الله بينكما و وهب له الجارية».

وفي البحار: عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ في الجنّة شجرة يقال لها: شجرة البلوىٰ، يؤتى بأهل البلآء يوم القيامة، فلايرفع لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان، يصبّ عليهم الأجر صبّاً، وقرأ: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب»».

وفي تفسير النّيسابوري: عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصّلاة فيوفون اجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحجّ فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصبّ عليهم الأجر صبّاً ثمّ تلا الآية وقال: حتّى يتمنّى أهل العافية في الدّنيا أنّ أجسادهم تقرض بالمقاريض ممّا يذهب به أهل البلآء من الفضل».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وعن الحسين بن علي عليهما السّلام قال: سمعت جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «أدّ الفرآئض تكن من أعبد النّاس وعليك بالقنوع تكن من أغنى النّاس، يا بنيّ إنّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوىٰ يؤتى بأهل البلآء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، يصبّ عليهم الأجر صبّاً ثمّ تلا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب»

وفي تفسير القمّي: وفي رواية أبي الجاورد عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «قل إنّ الخاسرين الّذين خسروا أنفسهم» يعني غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

وفي المجمع: في قوله تعالى: «والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها» وروى أبوبصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: أنتم هم ومن أطاع جباراً فقد عبده»

وفي اصول الكافي: بإسناده عن أبي عبيدة الحذآء قال: سئلت أبا جعفر عليه

السّلام عن الإستطاعة وقول النّاس؟ فقال وتلا هذه الآية: «ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم»: يا أباعبيدة النّاس مختلفون في إصابة القول، وكلّهم هالك قال: قلت: «إلّا من رحم ربّك»؟ قال: هم شيعتنا، ولرحمته خلقهم وهو قوله: «ولذلك خلقهم» يقول: لطاعة الإمام، والرّحمة الّتي يقول: «ورحمتي وسعت كلّ شيء» هو شيعتنا «قال فسأكتبها للّذين يتّقون» يعنى ولاية غير الإمام، ثمّ قال: «يجدونه مكتوباً عندهم في التّوراة والإنجيل» يعني النّبي والوصيّ والقآئم يأمرهم بالمعروف إذا قام، وينها هم عن المنكر، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده «ويحلّ لهم الطيّبات» أخذ العلم من أهله «ويحرم عليهم الخبآئث» قول من خالف «ويضع عنهم إصرهم» وهى الذّنوب الّتي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام «والأغلال» الّتي كانوا يقولون ممّا لم يكونوا أمروا به من ترك فضل الإمام، فلمّا عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم، والإصر الذّنب وهى الإصار ثمّ نسبهم فقال: «الّذين آمنوا ـ بالإمام ـ وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي انزل معه اولئك هم المفلحون» يعني الّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها والطّاغوت فلان وفلان وفلان ـ يعنى أبابكر وعمر وعثمان ـ والعبادة طاعة النّاس لهم ...» الحديث.

أقول: إنّ الطّاغوت من أسمآء هؤلآء الغاصبين الثّلاثة، وإنّ أوليآء الله تعالى هم الّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يطيعوهم في شيء من أمرهم، وهم شيعة الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام يرفضونهم، وينيبون إلى الله تعالى ولهم البشرى وهم عباد الله جلّ وعلا.

وفي تفسير النعماني: بإسناده عن مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام ـ في رواية ـ: «وأمّا ما فرضه على الأذنين فالإستماع لذكر الله والإنصاف إلى مايتلى من كتابه وترك الإصغآء إلى ما يسخطه ـ وقال عزّوجلّ: «فبشّر عبادي الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب».

وفي أصول الكافي: بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام قول

الله جلّ ثناؤه: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه»؟ قال: هو الرّجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لايزيد فيه ولا ينقص منه».

وفيه: بإسناده عن أبي بصير قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» إلى آخر الآية قال: هم المسلّمون لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الّذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه جآؤوا به كما سمعوه».

وفي الإختصاص: بإسناده عن أبي بصير عن أحدهما عليها السّلام في قول الله عزّوجلّ: «فبشّر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» قال: هم المسلّمون لآل محمّد صلّى الله عليه واله وسلّم إذا سمعوا الحديث أدّوه كما سمعوه لايزيدون ولا ينقصون.

وفي تحف العقول: ـ في وصيّة الإمام السّابع موسى بن جعفر عليها السّلام لهشام بن الحكم وصفته للعقل ـ قال عليه السّلام: «يا هشام إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: «بشّر عباد الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب»».

۲۰ ـ (لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار وعدالله لايخلف الله الميعاد)

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن محمّد بن إسحق عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئل عليّ عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن تفسير هذه الآية، فقال: لماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال: يا علي تلك الغرف بني الله لأوليآئه بالدّرّ والياقوت والزّبرجد، سقوفها الذّهب محكوكة بالفضّة، لكلّ غرفة منها ألف باب من ذهب، على كلّ باب منها ملك موكلّ به، وفيها فرش مرفوعة، بعضها فوق بعض من الحرير والدّيباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبرو والكافور، وذلك قول الله: «وفرش مرفوعة» فإذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة، وألبس حلل الذّهب والفضّة والياقوت والدّرّ منظوماً في الإكليل تحت

التّاج، وأُلبس سبعون حلّة بألوان مختلفة منسوجة بالذّهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت الأحمر، وذلك قوله: «يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير».

فإذا جلس المؤمن على سريره إهتزّ سريره فرحاً، فإذا إستقرّت بوليّ الله منازله في الجنّة إستأذن عليه الملك الموكّل بجنّاته ليهنّئه كرامة الله إيّاه، فيقول له خدّام المؤمن و وصفاؤه: مكانك فإنّ وليّ الله قد اتكأ على أرائكه، فزوجته الحوراء العيناء قدهبّت له فاصبر لوليّ الله حتّى يفرغ من شغله، قال: فتخرج زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاؤها يحجبنها، عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللّؤلؤ والزّبرجد صبغن بمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وفي رجليها نعلان من ذهب مكلّلان بالياقوت واللؤلؤ شراكها ياقوت أحمر، فإذا أُدنيت من وليّ الله وهمّ أن يقوم إليها شوقاً تقول له: يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب، فلا تقم، أنا لك وأنت لي، فيعتنقان مقدار خمسمأة عام من أعوام الدّنيا لا يملّها ولا تملّه، قال: فينظر إلى عنقها، فإذا عليها قلادة من قصب ياقوت أحمر، وسطها لوح مكتوب: أنت يا وليّ الله حبيبي، وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي، وإليّ تناهت نفسك.

ثمّ يبعث الله ألف ملك يهنّؤونه بالجنّة ويزوّجونه الحوراء قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب الجنان: إستأذن لنا على وليّ الله فإنّ الله بعثنا مهنّئين، فيقول الملك: حتّى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب، وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهي إلى أوّل الباب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة (الغرفة خ) ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين جاؤوا يهنّؤون وليّ الله وقد سئلوا أن أستأذن لهم عليه، فيقول له الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته، قال:

وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان، فيدخل الحاجب إلى القيّم، فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين يهنّؤون وليّ الله فاستأذن لهم، فيقوم القيّم إلى الخدّام، فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم (ربّ العالمين) يهنّؤون وليّ الله فأعلموه مكانهم، قال: فيعلمون الخدّام، قال: فيؤذن لهم فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة، ولها ألف باب وعلى

كلّ باب من أبوابها ملك موكلّ به، فإذا أُذن للملآئكة بالدّخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابه الّذي قد وكلّ به، فيدخل كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة، فيبلّغونه رسالة الجبّار وذلك قول الله: «والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب» يعني من أبواب الغرفة «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار» وذلك قوله: «وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً» يعنى بذلك وليّ الله وما هو فيها من الكرامة والنّعيم والملك العظيم، وإن الملائكة من رسل الله ليستأذنون عليه، فلا يدخلون عليه إلّا بإذنه، فذلك الملك العظيم والأنهار تجري من تحتها».

أقول: رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي.

قوله عليه السّلام: «محكوكة بالفضّة» أي منقوشة بها، و«قد هبّت» إمّا من المضاعف من هبّ التيس أي هاج لِلسّفاد، والهباب: النّشاط، وإمّا من المعتلّ من هبا يهبو هبواً: إذا مشى مشياً بطيئاً. و«إليك تناهت نفسي» أي بلغ شوقي إليك النّهاية، فضمّن التّناهي معنى الإشتياق.

وفي تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السّلام: في قوله تعالى: «أنزل من السّمآء مآءً» يعني المطر ينزل مع كلّ قطرة ملكاً يضعها في موضعها الّذي يأمره به ربّه عزّوجلّ».

وفي تفسير القمّي: قال: وفي رواية أبي الجاورد عن أبي جعفر عليه السّلام قوله: «ألم تر أنّ الله أنزل من السّمآء مآءً فسلكه ينابيع في الأرض» والينابيع هي العيون والرّكايا ممّا أنزل الله من السّمآء فأسكنه في الأرض ثمّ يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثمّ يهيج بذلك حتّى يصفرّ ثمّ يجعله حطاماً والحطام إذا يبست وتفتت.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن أبي خالد القمّاط عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «قالت بنو إسرآئيل لسليمان عليه السّلام: استخلف علينا إبنك (إستخلفه خ) فقال لهم: إنّه لا يصلح لذلك فألحوّا عليه، فقال: إنّي سآئله عن مسآئل فإن أحسن الجواب فيها إستخلفته، ثمّ سئله فقال: يا بنيّ! ما طعم المآء؟ وطعم الخبز؟ ومن أيّ شيء ضعف الصّوت وشدّته؟ وأين موضع العقل من البدن؟ ومن أيّ شيء

القساوة والرّقّة؟ وممّ تعب (متعب خ) البدن ودعته؟ وممّ تكسّب (مكسبة خ) البدن وحرمانه؟ فلم يجبه بشيء منها.

فقال أبوعبدالله عليه السّلام: طعم المآء الحياة، وطعم الخبز القوّة، وضعف الصّوت وشدّته من شحم الكليتين، وموضع العقل الدّماغ، ألاترى أنت الرّجل إذا كان قليل العقل قيل له: ما أخفّ دماغه! والقسوة والرّقّة من القلب وهو قوله: «فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله» وتعب البدن ودعته من القدمين، إذا تعبا في المشي يتعب البدن، وإذا وُدِعا وُدِع البدن، ومكسب البدن وحرمانه من اليدين إذا عمل بهما ردّتا على البدن، وإذا لم يعمل بهما لم تردّا على البدن شيئاً».

أقول: لايبعد أن يكون المراد من «طعم الماء ـ وطعم الخبز» الفائدة والنّفع، أو أنّ الحياة والقوّة لو كانتا ممّا يطعم لكان طعمهما طعم المآء والخبز. والدّعة: الرّاحة.

وفي البحار: وروى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قرأ «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه» فقال: إنّ النّور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح، قالوا: يا رسول الله فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التّجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإستعداد للموت قبل نزول الموت».

وفي الكافي: بإسناده عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال: أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى! يا موسى لاتفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكري على كلّ حال، فإنّ كثرة المال تنسي الذّنوب، وإنّ ترك ذكري يقسي القلوب».

وفي الجامع لأحكام القرآن: عن عبدالله بن مسعود قال: قلنا: يا رسول الله قوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه» كيف إنشرح صدره؟ قال: «إذا دخل النّور القلب انشرح وانفتح» قلنا: يا رسول الله وماعلامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل نزوله».

فمن انكمش في أعمال البرّ فهو إنابته إلى دار الخلود، ومَن خمد حرصه عن الدّنيا ولها عن طلبها وأقبل على مايغنيه منها واكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور، ومَن أحكم أُموره بالتقوىٰ فكان ناظراً في كلّ أمر، واقفاً متأدّباً منثبتاً حَذِراً يتورّع عمّا

يريبه إلى مالا يريبه فقد استعدّ للموت قبل نزوله.

وفيه: عن أبي سعيد الخدري: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «قال الله تعالى: اطلبوا الحوائج من السّمحآء فانّي جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فانّي جعلت فيهم سخطي».

وفي بصآئر الدّرجات: عن المفضّل عن أبي جعفر عليه السّلام قال عليه السّلام: «إنّ حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد، لا يحتمله ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا عبد إمتحن الله قلبه للإيمان، أمّا الصّعب فهو الّذي لم يركب بعد، وأمّا المستصعب فهو الّذي يهرب منه إذا رأى، وأمّا الذّكوان فهو ذكآء المؤمنين، وأمّا الأجرد فهو الّذي لا يتعلّق به شيء من بين يديه ولا من خلفه، وهو قول الله: «الله نزّل أحسن الحديث» فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمل أحد من الخلائق أمره بكماله حتّى يحدّه لأنّ مَن حدّ شيئاً فهو أكبر منه».

أقول: وقد رواه أعلام الشّيعة في مآخذهم المعتبرة كالكافي والخصال والأمالي ومعاني الأخبار وبصآئر الدّرجات وغيرها بأسانيد شتّى، وطرق عديدة ومتون سديدة متفاوتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأميرالمؤمنين والباقر والصّادق صلوات الله عليهم أجمعين، وقد أشبعنا الكلام في معانيها في هذا التّفسير.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ مَن أحاط بكنه علم رجل وجميع كمالاته فلا محالة يكون هو متّصفاً بجميع ذلك على وجه الكمال، إذ ظاهر أنّ مَن لم يتّصف بكمال على وجه الكمال لا يمكنه معرفة ذلك الكمال على هذا الوجه، ولا بدّ في الإطّلاع على كنه أحوال الغير من مزيّة كما يحكم به الوجدان، حيث إنّ الظّرف لابد أن يكون أوسع وجوداً من المظروف، فلا استبعاد في قصور الملائكة وسآئر الأنبيآء الّذين دون أهل بيت الوحي عليهم السّلام في الكمال عن الإحاطة بكنه كمالاتهم وغرائب حالاتهم... بنآء على أن يكون المراد من حديثهم ماهم عليه من شرافة الذّات ونورانيتها والكمالات الفاضلة والأخلاق الكاملة والإشراقات الّتي

تشرق على عقولهم الملكوتية ونفوسهم اللاّهوتيّة، وقدرتهم على مالا يقدر غيرهم عليه من العلم بالامور الغيبية والأسرار الإلهيّة والأخبار الملكوتية، والأسرار اللاّهوتيّة والأطوار النّاسوتية، والأوضاع الفلكيّة والأوصاف الملكيّة، والوقايع الخالية والبدايع الآتية والحالية والأحكام الغريبة والقضايا العجيبة...

وفي اصول الكافي: بإسناده عن إسحق ابن غالب عن أبي عبدالله عليه السّلام في خطبة له خاصّة يذكر فيها حال النّبيّ والأئمّة عليهم السّلام وصفاتهم: «فلم يمنع ربّنا لحلمه وأناته وعطفه ماكان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحبّ أنبيآئه إليه وأكرمهم عليه محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حومة العزّ مولده، وفي دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه، ولا ممزوج نسبه، ولا مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبيآء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأمّلته الحكماء بوصفها، مهذّب لايداني، هاشميّ لايوازي، أبطحيّ لايسامي، شيمته الحيآء وطبيعته السّخآء، مجبول على أوقار النّبوّة، وأخلاقها إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها، وجرى بأمر الله القضآء فيه إلى نهاياتها.

أدّاه محتوم قضآء الله إلى غاياتها، تبشّر به كلّ امّة من بعدها، ويدفعه كلّ أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح ولم ينجّسه في ولادته نكاح، من لدن آدم إلى أبيه عبدالله، في خير فرقة وأكرم سبط وأمنع رهط، وأكلأ حمل وأودع حجر، اصطفاه الله وارتضاه وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الحكم ينابيعه، إبتعثه رحمة للعباد، وربيعاً للبلاد، وأنزل الله إليه الكتاب فيه البيان والتّبيان: «قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون».

قدبيّنه للنّاس، ونهّجه بعلم قد فصّله، ودين قد أوضحه، وفرآئض قد أوجبها، وحدود حدّها للنّاس وبيّنها، وامور قد كشفها لخلته وأعلنها، فيها دلالة إلى النّجاة ومعالم تدعو إلى هداه، فبلّغ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما أُرسل به، وصدع بما أُمِرَ، وأدّى ما حمّل من أثقال النّبوّة، وصبر لربّه، وجاهد في سبيله ونصح لامّته، ودعاهم إلى النّجاة، وحثّهم على الذّكر، ودلّهم على سبيل الهدى، بمناهج ودواع

أسّس للعباد أساسها ومنار رفع لهم أعلامها، كيلا يضلّوا من بعده وكان بهم رؤوفاً رحيماً».

وفي الجامع لإحكام القرآن للقرطبي: «قال زيدبن أسلم: قرأ أُبيّ ابن كعب عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ومعه أصحابه، فرقّوا فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إغتنموا الدعآء عند الرقّة فانّها رحمة».

وفيه: عن العبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إذا إقشعرّ جلد المؤمن من مخافة الله تحاتّت عنه خطاياه كما يتحاتّ عن الشّجرة البالية ورقها».

وفيه: عن إبن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «ما اقشعرّ جلد عبد من خشية الله إلّا حرّمه الله على النّار».

وفي رواية: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في وصف المتّقين الّذين تقشعرّ من القرآن الكريم جلودهم، وتلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله تعالى: «فهم والجنّة كمن قدرآها فهم فيها منعمون، وهم والنّار كمن قدرآها فهم فيها معذّبون».

وفي الكافي: بإسنادِه عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت: إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حُدِّثوا به صعق أحدهم حتّى يرى أنّ أحدهم لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله ذاك من الشّيطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين والرقّة والدّمعة والوجل».

٢٩ ـ (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

في شواهد التّنزيل للحاكم الحسكاني ـ من أعلام العامّة ـ بإسناده عن عليّ عليه السّلام في قوله تعالى: «ورجلاً سلماً لرجل» قال: أنا ذلك الرّجل السّليم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفيه: بإسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «الرّجل السّالم [كذا] للرّجل عليّ عليه السّلام وشيعته».

وفي المجمع: وروى العيّاشي بإسناده عن أبي خالد عن أبي جعفر عليه السّلام قال: الرّجل السّلم للرجل عليّ عليه السّلام حقّاً وشيعته».

وفي روضة الكافي: بإسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً» قال: أمّا الّذي فيه شركآء متشاكسون فلان الأوّل يجمع المتفرّقون ولايته، وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض، فأمّا رجل سلم لرجل فإنّه الأوّل حقّاً وشيعته».

قوله عليه السّلام: «فلان الأوّل» أي أبوبكر بن أبي قحافة فإنّه لضلالته وطغيانه، ولغوايته وعدم متابعته لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اختلف المشتركون في ولايته على أهوآء مختلفة يلعن بعضهم بعضاً، ومع ذلك تزعم العامّة: أنّ كلّهم على الحقّ وكلّهم من أهل الجنّة وتحسب أنّهم يحسنون صنعاً قال الله عزّوجلّ فيهم وأمثالهم: «إنّهم اتّخذوا الشّياطين أوليآء من دون الله ويحسبون أنّهم مهتدون» الأعراف: ٣٠) وقال: «يحلفون لكم ويحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون» المجادلة: ١٨) وقال: «وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً» الكهف: ١٠٤).

وقوله عليه السّلام: «فإنّه الأوّل حقّاً» يعنى أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وبالرّجل الثّاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فإنّه الإمام الأوّل حقّاً، وهذا يحتمل وجهين: **الأوّل:** أن يكون المراد بالرّجل الأوّل أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام وبالرّجل الثّاني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويؤيّده ماتقدّم من رواية الحسكاني، فالمقابلة بين الرّجلين بإعتبار أنّ التشاكس بين الأتباع إنّما حصل لعدم كون متبوعهم سلماً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولم يأخذ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم مايحتاج إليه أتباعه من العلم، فيكون ذكر الشّيعة هنا إستطرادياً لبيان أنّ شيعته لما كانوا سلماً له عليه السّلام فهم أيضاً سلم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

والثّاني: أن يكون المراد بالرّجل الأوّل كلّ واحد من الشّيعة، وبالرّجل الثّاني أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام. والمعنى: أنّ الشّيعة لكونهم سلماً لإمامهم لامنازعة

بينهم في أصل الدّين، فيكون الأوّل حقّاً بياناً للرّجل الثاني، وشيعته بياناً للرّجل الأوّل، والمقابلة في الآية تكون بين رجل فيه شركآء، وبين الرّجل الثّاني من الرّجلين المذكورين ثانياً، والأوّل أظهر في الخبر، والثّاني أظهر في الآية.

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون»: فإنّه مثل ضربه الله لأميرالمؤمنين عليه السّلام وشركآئه الّذين ظلموه وغصبوه حقّه. قوله: «متشاكسون» أي متباغضون. قوله: «ورجلاً سلماً لرجل» أميرالمؤمنين عليه السّلام سلم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال: «هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون».

وفي تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن أبي الطّفيل عن عليّ عليه السّلام في قوله تعالى: «ورجلاً سلماً لرجل» أميرالمؤمنين سلم للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي البحار: قال العلاّمة المجلسي رحمة الله تعالى عليه بعد نقل رواية العياشي: أقول: الظّاهر أنّ ما في الخبر بيان للمشبّه به، ويحتمل المشبّه، وسلم أميرالمؤمنين صلوات الله عليه للرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وانقياده له في جميع الامور لا يحتاج إلى بيان، وكذا ثبوت نقيض ذلك لشركآئه، فإنّهم كانوا منافقين يظهرون السّلم له صلّى الله عليه وآله وسلّم ظاهراً ويعبدون أصناماً من دون الله، ويطيعون طواغيت من أمثالهم باطناً» إنتهى كلامه.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي لم أردّ على الله ولا على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ساعةً قطّ - إلى أن قال -: فو الّذي لا إله إلّا هو إنّي لعلى جادّة الحقّ وإنّهم لعلى مزلّة الباطل».

أقول: ولعمري أنّ من علامة خبث الولادة والنّفاق هى التّشكيك في الرّواية، وإن بلغ المشكّك من العلم والإشتهار ما بلغ من أيّ فرقة كان، سوآء أ أظهرها أم أخفاها.

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن جابر عن الباقر عليه السّلام عن أميرالمؤمنين عليه

السّلام أنّه قال: ألا وإنّي مخصوص في القرآن بأسمآء احذروا أن تغلبوا عليها، فتضلّوا في دينكم أنا السّلم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول الله عزّوجلّ: «ورجلاً سلماً لرجل» الخبر.

أقول: وأمّا مخالفة هؤلآء الغاصبين الجبّارين، والظّالمين الهتّاكين عن أوامر الله جلّ وعلا و أوامر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته وحين مرض موته وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم وبدعهم في الدّين الإسلامى، وهتك حرمات الله ونواميس الدّين، فلاينكرها مع اعترافهم بها كراراً إلّا من كان مثلهم في الظّلم والجناية، في البغي والقساوة، في النّفاق والضّلالة، وفي الإثم والخباثة والجرم والغواية... بل أشدّ منهم فحشره الله القهّار معهم في نار جهنّم.

وفي المناقب لإبن شهرآشوب السّرويّ المازندراني رضوان الله تعالى عليه: «الحسن بن زيد عن آبآئه: «ورجلاً سلماً» هذا مثلنا أهل البيت».

وفي البرهان: بالإسناد عن إبن حمران قال: سمعت أباجعفر عليه السّلام يقول في قول الله عزّوجلّ: «وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركآء متشاكسون ورجلاً سلماً» هو على عليه السّلام لرجل هو النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وشركآء متشاكسون أي مختلفون وأصحاب عليّ عليه السّلام مجتمعون على ولايته».

وفي تفسير الصّافي: قال الفيض الكاشاني رحمة الله تعالى عليه ـ بعد نقل رواية الكافي ـ: «أقول: أراد عليه السّلام بفلان الأوّل في أوّل ماقال أبابكر، فإنّه كان أوّل الخلفآء باطلاً، وفيما قاله ثانياً أميرالمؤمنين عليه السّلام فإنّه كان أوّل الخلفآء حقّاً، وإنّما قيّد الثّاني بقوله حقّاً ولم يقيّد الأوّل بقوله باطلاً لاحتياج الثّاني إلى تلك القرينة في فهم المراد منه بخلاف الأوّل كما لايخفى، فالوجه في تخالف أصحاب أبي بكر أنّ أبابكر لم يكن سلماً لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا في أمر الإمارة ولا فيما يتبنّى عليها من الأحكام، وكان أصحابه أصحاب أهوآء وآرآء وهى ممّا يجري فيه الإختلاف، بخلاف أميرالمؤمنين عليه السّلام وشيعته فإنّهم كانوا سلماً لله ولرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكانوا أصحاب نصّ من الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا

اختلاف فيه، ولذلك أصحاب أميرالمؤمنين عليه السّلام اعتقدوه مفترض الطّاعة بخلاف أصحاب أبي بكر» إنتهى كلامه.

٣٠ ـ (إنّك ميّت وإنّهم ميّتون)

في تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن نوف البكاليّ عن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: جائت جماعة من قريش إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: يا رسول الله انصب لنا علماً يكن لنا من بعدك، لنهتدي ولا نضلّ كما ضلّت بنو إسرآئيل بعد موسى بن عمران، فقد قال ربّك سبحانه: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون» ولسنا نطمع أن تعمّر فينا ماعمرّ نوح في قومه، وقد عرفت منتهى أجلك، ونريد أن نهتدى ولا نضلّ؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنكم قريبوعهد بالجاهليّة وفي قلوب أقوام أضغان، وعسيت إن فعلت أن لايقبلوا ولكن من كان في منزله اللّيلة آية من غير ضير فهو صاحب الحقّ، قال: فلمّا صلّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم العشآء وانصرف إلى منزله سقط في منزلي نجم أضائت له المدينة وما حولها وانفلق بأربع فلق وانشعب في كلّ شعب فلقة من غير ضير...» الحديث.

قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من غير ضير» من صار الأمر ضيراً: ضرّه ولعل مراده صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ من كان في منزله اللّيلة آية سماوية من دون أن تضرّه هذه الآية بشيْ.

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عن آبآئه عليهم السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا نزلت هذه الآية: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون» قلت: يا ربّ أيموت الخلائق ويبقى الأنبيآء؟ فنزلت: «كلّ نفس ذآئقة الموت ثمّ إلينا ترجعون»».

أقول: ومن المحتمل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل عن ذلك بعد نزول تلك الآية لاحتمال كون الكلام مسوقاً على الإستفهام الإنكاري. أو يكون السّئوال عن الموت بعد الرّجعة أو يكون المراد بالأنبيآء جماعة منهم لم يموتوا بعد كالخضر والياس وادريس وعيسى عليهم السّلام. ومن غير بعيد أن يكون السّئوال عن موت

الأنفس بعد قطع تعلّقها عن الأبدان بالموت الطّبيعيّ، وذلك لأنّه لما نزل قوله عزّوجلّ: «ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا مَن شآء الله» جوّز النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يكون الأنبيآء هم المستثنون فتكون نفوسهم باقية بعد خراب أبدانهم فنزلت الآية الثّانية الدّالة على موت جميع الخلائق، أو يكون المراد بالأنبيآء الرّسل من الملائكة الّذين يأتون بالوحى لِلأنبيآء عليهم السّلام والله جلّ وعلا هو أعلم.

وفي الدّرالمنثور: وأخرج عبدالرّزاق وأحمد وإبن منيع وعبدبن حميد والتّرمذي وصحّحه وإبن أبي حاتم والحاكم وصحّحه وإبن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهق في البعث والنّشور عن الزّبير بن العوام قال: لمّا نزلت: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» قلت: يا رسول الله أينكر علينا مايكون بيننا في الدّنيا مع خواصّ الذّنوب؟ قال: «نعم لينكرن ذلك عليكم حتّى يؤدّى إلى كلّ ذى حقّ حقّه» قال الزّبير: فوالله إنّ الأمر لشديد».

وفيه: وأخرج البزار عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يجآء بالأمير الجائر فتخاصمه الرّعية»».

وفيه: عن إبن عبّاس قال: «يختصم النّاس يوم القيامة حتّى يختصم الرّوح مع الجسد، فيقول الرّوح للجسد: أنت فعلت! ويقول الجسد للرّوح: أنت أمرت وأنت سوّست! فيبعث الله تعالى ملكاً فيقضى بينهما، فيقول لهما: إنّ مثلكما كمثل رجل مقعد بصير وآخر ضرير دخلا بستاناً فقال المقعد للضّرير: إنّي أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصِلُ إليها، فقال له الضّرير: إركبني فتناولها، فركبه فتناولها فأيّهما المعتدي؟ فيقولان: كلاهما، فيقول لهما الملك: فإنكما قد حكمتما على أنفسكما يعنى أنّ الجسد للرّوح كالمطيّة وهو راكبه»».

وفيه: وأخرج إبن جرير عن إبن عبّاس في قوله: «ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» يقول: يخاصم الصّادق الكاذب، والمظلم الظّالم، والمهتدي الضّال، والضّعيف المستكبر»».

أقول: إنّ الآية الكريمة: «ثمّ إنكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون» وأمثالها من الآيات القرآنيّة، وما أوردنا نبذة ممّا ورد في الدّرالمنثور وصحّحها أعلام العامة كلّها تعارض ماورد في أسفار العامة وصحّحها حملتها: أنّ الصّحابة كأبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان وقنفذ وأذنابهم... وكذلك التّابعون كيزيد بن معاوية وابن ملجم وشمر بن ذي الجوشن وابن سعد وحرملة وأضرابهم... كلّهم كانوا مجتهدين فيما فعلوا مافعلوا من مخالفة أوامر الله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته وهتك حرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام والظّلم عليهم وهضم حقوقهم، وقتلهم وإسارتهم، وبدعهم في الدّين وجناياتهم في الإسلام، وبالجملة إنحطاط المسلمين حتّى اليوم بهؤلآء المجتهدين الّذين هم مأجورون إن أصابوا وإن أخطاؤا!!!

ولو كان الأمر كما تزعم العامّة لكان خلق جهنّم عبثاً ولغواً العياذ بالله، فإنّ الإجتهاد لايختصّ بهؤلاء الببغآء السّفلة... بل إنّ كلّ رئيس وغيره يمكن له أن يدّعي الإجتهاد في أفكاره وعقآئده وأقواله وأفعاله... وهو مأجور إن أصاب وإن أخطأ، وكلّ مرؤس وغيره له أن يتبعه فيها فهو مأجور بالإتباع، فليس حينذاك جرم ولا معصية ولا كفر ولا طغيان... فلماذا خلقت جهنّم!!!

قال الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة وأعدّلهم عذاباً مهيناً» الأحزاب:٥٧) أولم تكن مخالفة أبي بكر وعمرو أذنابهما عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في إمارة اسامة، إيذاءً،وكذلك المئآت الأُخر من مخالفاتهم؟ أولم تكن نسبة الهذيان إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في مرض موته إيذآء؟ أولم يكن الهجوم على بيت الوحي وإحراقه وتهديد أهله... إيذاء؟؟؟

قال الله تعالى: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّنّاه للنّاس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون» البقرة: ١٥٩) نحن نلعنهم ونلعن كلّ من لم يلعنهم.

وقال الله تعالى: «لعنة الله على الكاذبين» آل عمران: ٦١) وقال: «ألا لعنة الله على الظّالمين ـ ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار ومالكم من دون الله من أوليآء ثمّ لاتنصرون» هود: ١٨و١١٣).

في كتاب الصراط المستقيم للعلامة المتكلّم الشّيخ زين الدّين العاملي المتوفّى (٨٧٧) ـ في باب الثّاني عشر: ج ٣ ص ١٨) في مطا عن عمر بن الخطّاب ـ قال: ومنها: أنّه بلغ به الجهل إلى إنكار موت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حتّى قال له أبوبكر: «إنّك ميّت وإنّهم ميّتون» «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» فقال: الآن أيقنت بوفاته وكأنّي لم أسمعها.

رواه الطبرى في تاريخه (ج ٣ ص ٢٠٠ ط دارالمعارف) وابن الأثير في (الكامل: ج ٢ ص ٢١٩) وفي (مسند إبن ماجة الحديث رقم ١٦٢٧) وابن أبي الحديد في (شرح النّهج: ج ٢ ص ٤٠ ط دارالمعارف بمصر).

إن قيل: كان ذلك سهواً قلنا: كيف يقع السّهو في الامور المحسوسة وخاصّة في إحترام خاتم النّبوّة، ومتى جاز السّهو في هذه جاز في جميع الأحكام فلايوثّق بها، وغلبة السّهو توجب إنعزال قاضي الامّة فضلاً عن إمام الامّة وقد روى إنكاره لموته صلّى الله عليه وآله وسلّم جميع أهل السّير منهم البخاري والشّعبي والجرجاني والطّبري والزّمخشري حتّى قال العبّاس: إنّما يقوله إبن الخطّاب، فإنّه لا يعجز أن يحثوا عنه خلّوا بيننا وبينه فأنّه يأسن أي يتغيّر، ولا عجب من إنكاره لموته صلّى الله عليه وآله وسلّم وخطائه في أحكامه، وقد اجتهد في حفظ سورة البقرة بسبع سنين، وقيل: إثنتى عشرة ونحر جزوراً وليمة عند مزاغه.

قالوا: إنّما أنكر موته صلّى الله عليه وآله وسلّم إستصلاحاً للرّعية قلنا: هذا يبطله قوله: الآن تيقنّت، وقوله لإبن عبّاس: ماحملني على ذلك إلّا قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهدآء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» فظننت أنّه يبقى بعدنا حتّى يشهد على آخر أعمالنا.

فاعترف عمر بن الخطّاب أنّه كان يعتقد ذلك حتّى قال في إنكاره: لايموت

حتّى يقطع أيدي وأرجل. ذكره الحميدي في الجمع بين الصّحيحين.

فانظر كيف تهجّم بالكذب على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتخرّص على الغيب المستلزم لأعظم العيب» إنتهى كلامه.

٣٢ ـ (فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق إذجآءه أليس في جهنّم مثوى للكافرين)

في أمالي إبن الشّيخ رضوان الله تعالى عليهما عن دعبل الخزاعي عن الرّضا عن آبآئه عن عليّ صلوات الله عليهم في قوله تعالى: «فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه» قال: الصّدق ولايتنا أهل البيت».

أقول: وذلك أنّ القرآن الكريم يصرّح بأنّ كمال الدّين الإسلامي وتمام النّعمة على المسلمين وتبليغ الرّسالة كلّها تدور على ولاية أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، حيث إنّ الولاية هى روح الرّسالة،فلولاها لكانت الرّسالة كالجسم بدون روح.

قال الله عزّوجلّ: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ـ يا أيّها الرّسول بلّغ ماانزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المآئدة: ٣-٦٧).

وفي المناقب لابن شهر آشوب المازندراني رحمة الله تعالى عليه مالفظه: «علمآء أهل البيت: الباقرو الصّادق والكاظم والرّضا عليهم السّلام وزيد بن عليّ في قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون» وقالوا: هوعليّ عليه السّلام».

وروت العامّة عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن السّدّي، عن إبن عبّاس، وروى عبيدة بن حميد، عن منصورعن مجاهد، وروى النّطنزى في الخصآئص عن ليث عن مجاهد، وروى الضّحاك أنّه قال إبن عبّاس: فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جآء بالصّدق، وعليّ عليه السّلام صدّق به.

الرّضا عليه السّلام قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «وكذّب بالصّدق» الصّدق عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

وفي كشف الغمة: وعن إبن مردويه في قوله تعالى: «فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق إذ جآءه» عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال: هو مَن ردّ قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عليّ عليه السّلام.

أقول: روى العلاّمة الحلّي قدّس سرّه في كتابه (كشف الحقّ) من طريق العامّة مثل ما في كشف الغمّة ثمّ قال: وظاهر أنّ ولايته عليه السّلام من أعظم ما أتى الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم به صادقاً عن الله تعالى، والتّكذيب به من أعظم الظّلم، لأنّه عمدة أركان الإيمان، ولايتمّ شيء منها إلّا به، فيحتمل أن تكون الآية نازلة فيه عليه السّلام ثمّ جرى في كلّ من كذّب شيئاً ممّا نزل من عند الله تعالى».

وفي المجمع: «الّذي جآء بالصّدق» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «وصدّق به» عليّ بن أبيطالب عليه السّلام عن مجاهد ورواه الضّحاك عن إبن عبّاس وهو المرويّ عن أئمّة الهدى عليهم السّلام من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم».

وفي الدّرالمنثور: وأخرج إبن مردويه عن أبى هريرة: «والّذي جآء بالصّدق» قال: رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «وصدّق به» قال: عليّ بن أبيطالب عليه السّلام.

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «ويخوّفونك بالّذين من دونه» يعنى يقولون لك: يا محمّد اعفنا من عليّ عليه السّلام ويخوّفونك بأنّهم يلحقون بالكفّار.

أقول: إنّ هذا أشبه سياق بسياق آية التّبليغ إذ قال تعالى: «والله يعصمك من النّاس إنّ الله لايهدي القوم الكافرين» المآئدة: ٦٧).

وفي خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - يوم غديرخم - «معاشر النّاس! ماتقولون؟ فإنّ الله يعلم كلّ صوت، وخافية كلّ نفس «فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضلّ فانّما يضلّ عليها» ومن بايع فإنّما يبايع الله «يدالله فوق أيديهم» معاشر النّاس! فاتّقوا الله وبايعوا عليّاً أميرالمؤمنين صلوات الله عليه والحسن والحسين والأئمّة عليهم السّلام كلمة طيّبة باقية، يهلك الله من غدر ويرحم الله من وفي «فمن نكث فإنّما ينكث» الآية.

وفي اصول الكافي: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئلته عن قول الله عزّوجلّ: «حنفآء لله غير مشركين بـه»؟ قال: الحنيفية من الفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: وسئلته عن قول الله عزّوجلّ: «وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى الآية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّرّ فعرّفهم وأراهم نفسه، ولو لا ذلك لم يعرف أحد ربّه، وقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كلّ مولود يولد على الفطرة يعنى المعرفة بأنّ الله عزّوجلّ خالقه، كذلك قوله: «ولئن سئلتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله».

٤٢ ـ (الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون)

في الإحتجاج ـ في باب ردّ التّناقض في القرآن ـ جآء بعض الزّنادقة إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وقال: لولا ما في القرآن من الإختلاف والتّناقض لدخلت في دينكم، فقال له عليّ عليه السّلام: وماهو؟ أجد الله يقول: «قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكلّ بكم» السّجدة: ١١) و: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» الزّمر: ٤٢) و: «الّذين تتوفّيهم الملآئكة طيّبين» النحل: ٣) وما أشبه ذلك، فمرّة يجعل الفعل لنفسه، ومرّة لملك الموت ومرّة للملآئكة؟

فقال الإمام أميرالمؤمنين عليّ صلوات الله عليه: فأمّا قوله تعالى: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وقوله: «يتوفّاكم ملك الموت» و«توفّته رسلنا» و«تتوفّاهم الملائكة طيّبين» و«الّذين تتوفّاهم الملآئكة ظالمى أنفسهم» فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الّذين قال الله فيهم: «الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النّاس».

فمن كان من أهل الطّاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرّحمة، ومن كان من أهل

المعصية تولّى قبض روحه ملآئكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرّحمة والنّقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، ففعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يدمن يشآء ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب على يدمَن يشآء، وإنّ فعل اُمنآئه فعله، كما قال: «وما تشاؤن إلّا أن يشاء الله».

وفي التّوحيد: ـ في باب الرّدّ على الثّنوية والزّنادقة ـ بإسناده عن أبي معمر السّعداني أنّ رجلاً أتى أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فقال: يا أميرالمؤمنين إنّي قد شككت في كتاب الله المنزل، قال له عليّ عليه السّلام ثكلتك امّك ، وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟ قال: لأنّي وجدت الكتاب يكذّب بعضه بعضاً، فكيف لا أشكّ فيه؟ فقال عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: إنّ كتاب الله ليصدّق بعضه بعضاً، ولا يكذّب بعضه بعضاً، ولكنّك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عزّوجلّ.

قال: وأجد الله تعالى ذكره يقول: «قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكلّ بكم ثمّ إلى ربّكم ترجعون» وقال: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وقال: «توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون» وقال: «الّذين تتوفّاهم الملائكة طيبّين» وقال: «الّذين تتوفّاهم الملآئكة ظالمي أنفسهم» فأنّى ذلك يا أميرالمؤمنين؟ وكيف لا أشكّ فيما تسمع؟ وقد هلكت إن لم ترحمني وتشرح لي صدري فيما عسى أن يجرى ذلك على يديك فإن كان الرّبّ تبارك وتعالى حقّاً والكتاب حقّاً والرّسل حقّاً فقد هلكت وخسرت، وإن تكن الرّسل باطلاً فما عَلَيَّ بأس وقد نجوت.

فقال عليّ عليه السّلام: وأمّا قوله: «قل يتوفّاكم ملك الموت الّذي وكلّ بكم» وقوله: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وقوله: «توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون» وقوله «الّذين تتوفّاهم الملآئكة ظالمي أنفسهم» وقوله: «الّذين تتوفّاهم الملآئكة طيّبين يقولون سلام عليكم» فإنّ الله تبارك وتعالى يدبّر الامور كيف يشآء ويوكّل من خلقه من يشآء بما يشآء.

أمّا ملك الموت فإنّ الله عزّوجلّ يوكّله بخاصّة مَن يشآء من خلقه، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّة بما يشآء من خلقه تبارك وتعالى، والملآئكة الّذين سمّاهم الله عزّوجلّ وكّلهم بخاصّة من يشآء من خلقه تبارك وتعالى، يدبّر الامور كيف يشآء وليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ النّاس لأنّ منهم القويّ والضعيف ولأنّ منه مايطاق حمله ومالا يطاق حمله إلّا أن يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليآئه، وإنّما يكفيك أن تعلم أنّ الله المحيي المميت، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشآء من خلقه من ملائكته وغيرهم، قال: فرّجت عنّي يا أميرالمؤمنين أنفع الله المسلمين بك.

فقال عليّ عليه السّلام للرّجل: لئن كنت قد تشرح الله صدرك بما قد بيّنت لك فأنت والّذي فلق الحبّة وبرء النّسمة من المؤمنين حقّاً، فقال الرّجل: يا أميرالمؤمنين كيف لي بأن أعلم أنّي من المؤمنين حقّاً؟ قال: لايعلم ذلك إلّا مَن أعلمه الله على لسان نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالجنّة أو شرح الله صدره ليعلم ما في الكتب الّتي أنزلها الله عزّوجلّ على رسله وأنبيآئه.

قال: يا أميرالمؤمنين ومَن يطيق ذلك: قال: من شرح الله صدره ووفّقه له، فعليك بالعمل لله في سرّ أمرك وعلا نيتك، فلا شئ يعدل العمل».

وفي إرشاد المفيد رضوان الله تعالى عليه قال: «فأُدخِل عيال الحسين بن عليّ صلوات الله عليها على إبن زياد فدخلت زينب أُخت الحسين عليه السّلام في جملتهم متنكّرة وعليها أرذل ثيابها، ومضت حتّى جلست ناحية، وحفّت بها إماؤها، فقال إبن زياد: من هذه الّتي انحازت، فجلست ناحية ومعها نسآؤها؟ فلم تجبه زينب سلام الله عليها فأعاد القول ثانية وثالثة يسئل عنها، فقالت له بعض إمآئها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأقبل عليها إبن زياد وقال: الحمد لله الّذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت زينب: الحمد لله الّذي أكرمنا بنبيه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وطهّرنا من الرّجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق...».

وفي اللّهوف: قال السيّد وابن نما: ثمّ إلتفت إبن زياد إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقال: مَن هذا؟ فقيل: عليّ بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال عليّ: قد كان لي أخ يسمّى عليّ بن الحسين قتله النّاس، فقال: بل الله قتله، فقال عليّ: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها» فقال إبن زياد: ولك جرأة على جوابي؟ إذهبوا به فاضربوا عنقه، فسمعت عمّته زينب سلام الله عليها، فقالت: يا ابن زياد إنّك لم تبق منّا أحداً فإن عزمت على قتله فاقتلني معه».

وفي المجمع: ما رواه العيّاشي بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت أبي المقدام عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «ما من أحد ينام إلّا عرجت نفسه إلى السّمآء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشّمس، فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الرّوح النّفس وإذا أذن الله في ردّ الرّوح أجابت النّفس الرّوح وهو قوله سبحانه: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها ...» الآية فهما رأت في ملكوت السّموات فهو ممّا له تأويل، وما رأت فيما بين السّمآء والأرض فهو ممّا يخيّله الشّيطان ولا تأويل له».

وفي الدّرالمنثور: عن أبي أيّوب أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين كان نازلاً عليه في بيته حين أراد أن يرقد قال كلاماً لم نفهمه قال: فسئلته عن ذلك، فقال: أللّهمّ أنت تتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها فتمسك الّتي قضى عليها الموت وترسل الاخرى إلى أجل مسمّى أنت خلقتني وأنت تتوفّاني، فإن أنت توفيتني فاغفرلي، وإن أخّرتني فاحفظني».

وفي المناقب: «سُئلَ عليه السّلام عن رجل، فقال: توفّى البارحة، فلمّا رأى جزع السّائل قرأ: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها والّتي لم تمت في منامها».

وفي التّهذيب: بإسناده عن عبدالرّحمن بن أبي عبدالله قال: سئلت أبا عبدالله عليه السّلام «عن الرّجل يواقع أهله أينام على ذلك؟ قال: إنّ الله يتوفّى الأنفس في منامها، ولا يدري ما يطرقه من البليّة إذا فرغ فليغتسل».

وفي الخصال: ـ فيما علم الإمام أميرالمؤمنين عليه السّلام أصحابه من الأربعمأة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه ـ: «لاينام المسلم وهوجنب، لاينام إلّا على طهور، فإن لم يجد المآء فليتيمم بالصّعيد، فأنّ روح المؤمن ترفع إلى الله تعالى فيقبلها ويبارك عليها، فإن كان أجلها قد حضر جعلها في كنوز رحمته، وإن لم يكن أجلها قدحضر بعث بها مع أُمنآئه من ملائكته فيردونها في جسده».

وفي العلل: بإسناده عن السّكوني عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا آوىٰ أحدكم إلىفراشه فليمسحه بطرف إزاره فإنّه لايدري مايحدث عليه ثمّ ليقل: أللّهم إنّي أمسكت نفسي في منامي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصّالحين».

وفي اصول الكافي ـ في حديث طويل ـ عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «لا والله مامات أبوالدّوانيق إلّا أن يكون مات موت النّوم» كان يقول ذلك مخاطباً لمن أخبره أنّه مات.

وفي روضة الكافي: بإسناده عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبدالله عن أبي جعفر عليهما السّلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «والله مامن عبد من شيعتنا ينام إلّا أصعد الله روحه إلى السّمآء فيبارك عليها وإن كان قد أتى عليها أجلها جعلها في كنوز من رحمته، وفي رياض جنّته، وفي ظلّ عرشه، وإن كان أجلها متأخّراً بعث بها مع أمنته من الملائكة ليردّوها إلى الجسد الّذي خرجت منه لتسكن فيه...» الحديث.

وفي كمال الدّين: بإسناده عن داود بن القاسم الجعفري عن محمّد بن عليّ الثّاني عليه السّلام قال: «أقبل أميرالمؤمنين عليه السّلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي وسلمان الفارسي وأميرالمؤمنين عليه السّلام متك على يد سلمان رحمه الله، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللّباس فسلم على أميرالمؤمنين فردّ عليه السّلام، فجلس، ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين أسئلك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهنّ علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضى عليهم، أنّهم ليسوا بمأمونين في دنيا هم

ولا في آخرتهم، وإن تكن الاخرى علمت أنك وهم شرع سوآء.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السّلام: سلني عمّا بدالك، قال: أخبرني عن الرّجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرّجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الولد كيف يشبه الأعمام والأخوال؟ فالتفت أميرالمؤمنين عليه السّلام إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السّلام، فقال: يا أبامحمّد أجبه فقال: أمّا ماسئلت عنه من أمر الإنسان إذانام أين تذهب روحه، فإنّ روحه معلّقة بالرّيح، والرّيح معلّقة بالهوآء إلى وقت مايتحرّك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله عزّوجلّ بردّ تلك الرّوح على صاحبها جذبت تلك الرّوح الرّيح، وجذبت تلك الرّيح الهوآء، فرجعت الرّوح فأسكنت في بدن صاحبها، وإن لم يأذن الله عزّوجلّ بردّ تلك الرّوح على صاحبها جذب الهوآء الرّيح، وجذبت الرّيح الرّوح، فلم تردّ إلى صاحبها إلى وقت مايبعث...» الحديث.

٤٥ ـ (وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوبهم الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون)

في روضة الكافي: بإسناده عن زرارة قال: حدّثني أبوالخطّاب في أحسن مايكون حالاً قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة» فقال: «وإذا ذكر الله وحده» بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين» لم يأمر الله بطاعتهم «إذا هم يستبشرون».

وفي كتاب اللّؤلؤ والمرجان للمحدّث العلاّمة الميرزا حسين النوري المازندراني عن الإمام الجواد محمّدالتقي عن آبآئه صلوات الله عليهم أجمعين عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذكر عليّ بن أبيطالب عليه السّلام عبادة ومن علامات المنافق أن يتنفّر عن ذكره، ويختار إستماع القصص الكاذبة وأساطير المجوس على إستماع فضائله، ثمّ قرّر (قرأخ) الإمام عليه السّلام: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» فسُئلَ صلوات الله عليه عن تفسيرها قال: أماتدرون أنّ رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلّم كان يقول: اذكروا عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في مجالسكم فإنّ ذكره ذكري وذكري ذكر الله فالّذين إشمأزّت قلوبهم عن ذكره واستبشروا من ذكر غيره اولئك الّذين لا يؤمنون بالآخرة ولهم عذاب مهين».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن سليمان بن صالح رفعه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال: إنّ حديثكم هذا لتشمأزّ منه القلوب، قلوب الرّجال، فمن أقرّبه فزيدوه، ومن أنكره فذروه (فردّوه خ) الحديث.

وفي تأويل الآيات الظّاهرة للاسترابادي المازندراني رضوان الله تعالى عليه بالإسناد عن حنان بن سدير عن أبيه قال: سمعت صامتاً بيّاع المرويّ وقد سئل أباجعفر عليه السّلام عن المرجئة فقال: صلّ معهم، واشهد جنآئزهم وعد مرضاهم، وإذا ماتوا فلا تستغفر لهم، فانّا إذا ذكرنا عندهم اشمأزّت قلوبهم، وإذا ذكر الّذين من دوننا إذاهم يستبشرون».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ وهو من أعلام العامّة ـ: «ولمّا بلغ الرّبيع بن خَيْثَم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم قرأ: «قل اللّهمّ فاطر السّموات والأرض عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون»».

وفي تفسير النّيشابوري ـ من أعلام العامّة ـ: «وعن الرّبيع ابن خيثم وكان قليل الكلام أنّه اخبر بقتل الحسين عليه السّلام وقالوا: الآن يتكلّم، فمازاد على أن قال: آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنّه قال على أثر: قُتِلَ مَن كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يجلسه في حجره ويضع فاه في فيه».

وفي روح المعاني للآلوسي البغدادي: «ولله تعالى درّ الرّبيع بن خيثم فإنّه لما سئل عن قتل الحسين عليه السّلام تأوّه وتلا هذه الآية».

وفي كامل الزّيارات: بإسناده عن حمّاد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لما أُسري بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قيل له: إنّ الله مختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك ؟ قال أُسلّم لأمرك يا ربّ ولا قوّة لي على الصّبر إلّا بك فما هنّ؟ ـ وأمّا ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقّها غصباً الّذي تجعله لها، وتضرب وهي حامل،

ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن، ثمّ يمسّها هوان وذلّ ثمّ لا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضّرب وتموت من ذلك الضّرب ـ إلى أن قال الله تعالى لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ وأما إبنتك فإنّي أوقفها عند عرشي، فيقال لها: إنّ الله قد حكّمك في خلقه، فمن ظلمك وظلم ولدك فاحكمي فيه بما أحببت فأنّي أجيز حكومتك فيهم، فتشهد العرصة، فإذا أوقف من ظلمها أمرت به إلى النّار، فيقول الظالم: «واحسرتاه على مافرّطت في جنب الله» ويتمنّى الكرّة «ويعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً» وقال: «حتّى إذا جآء ناقال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» فيقول الظّالم: «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون» أو الحكم لغيرك ؟ فيقال لها: «ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون» الحديث.

٥٣ ـ (قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم)

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وقال عبدالله بن عمر: وهذه أرجى آية في القرآن، فردّ عليهم إبن عبّاس وقال: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: «وإنّ ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم» وقد مضى في «الرّعد».

وفي الدرّالمنثور: وأخرج إبن جرير عن إبن سيرين قال: قال على أيّ آية أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: «من يعمل سوءاً أويظلم نفسه» الآية ونحوها فقال عليّ رضى الله عنه: ما في القرآن أوسع آية من «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم...» الآية.

أقول: وهذا غير ثابت عندنا، وإن رواه الطّبرسي رضوان الله تعالى عليه في المجمع لأنّ مأخذه طريق العامّة.

وفي تفسير فرات الكوفي: بإسناده عن بشر بن شريح البصري قال: قلت لمحمّد بن

عليّ عليهما السّلام: أيّة آية في كتاب الله أرجى؟ قال: مايقول فيها قومك؟ قال: قلت: يقولون: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» قال: لكنّا أهل البيت لانقول ذلك، قال: قلت: فأيّ شيء تقولون فيها؟ قال: نقول: «ولسوف يعطيك ربّك فترضى» الشّفاعة، والله الشّفاعة والله الشّفاعة».

وفي البحار: «ومن كتاب فرج الكرب عن أبي بصير قال: قال الصّادق عليه السّلام: يا أبا محمّد تفرّق النّاس شعباً ورجعتم أنتم إلى أهل بيت نبيّكم، فأردتم ما أراد الله وأحببتم من أحبّ الله، واخترتم من اختاره الله، فابشروا واستبشروا فأنتم والله المرحومون المتقبّل منكم حسناتكم، المتجاوز عن سيئاتكم، فهل سررتك؟ فقلت: نعم. فقال: يا أبا محمّد إنّ الذّنوب تساقط عن ظهور شيعتنا كما تسقط الرّيح الورق من الشّجر - إلى أن قال - قال الله: «ياعبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» والله ماعنى بهذا غيركم ...» الحديث.

أقول: رواه المجلسي قدّس سره عن كتاب الإختصاص أيضاً.

وفي تفسير العيّاشي: عن أبي حمزة الثّمالي قال: سمعت أحدهما عليهما السّلام يقول: إنّ عليّاً عليه السّلام أقبل على النّاس، فقال: أيّة آية في كتاب الله أرجى عندكم؟ فقال بعضهم: «إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشآء» قال: حسنة وليست إيّاها، وقال بعضهم: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه» الآية قال: حسنة وليست إيّاها، فقال بعضهم: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله» قال: حسنة وليست إيّاها، وقال بعضهم: «والّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم» قال: حسنة وليست إياها. قال: ثمّ أحجم النّاس فقال: مالكم يا معشر المسلمين؟ قالوا: لا والله ماعندنا شيء. قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول:

«أرجى آية في كتاب الله: «وأقم الصّلاة طرفي النّهار وزلفاً من اللّيل ...»

وقرأ الآية كلّها، وقال: يا علي والّذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذّنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امّه، فإن أصاب شيئاً بين الصّلاتين كان له مثل ذلك حتّى عدّ الصّلوات الخمس، ثمّ قال: يا علي إنّما منزلة الصّلوات الخمس لامّتي كنهر جار على باب أحدكم، فما ظنّ أحدكم لو كان في جسده درن ثمّ اغتسل في ذلك النّهر خمس مرّات في اليوم أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصّلوات الخمس لامّتي».

وفي البحار: «كان أبوالحسن عليه السّلام إذ اقام إلى محرابه في اللّيل قال: «أللّهمّ إنّك خلقتني سوّياً، وربّيتني صبيّاً، وجعلتني غنيّاً مكفيّاً، أللّهمّ إنّي وجدت فيما أنزلته في كتابك وبشّرت به عبادك أن قلت: «يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لاتنصرون» الدّعآء

أقول: هذا هو الدّعآء الخمسون من أدعية الصّحيفة السّجّادية صلوات الله على مَن ألهمها بأدنى تفاوت.

وفي الدّرّالمنثور: عن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: «إنّ الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنط النّاس من رحمة الله تعالى ولم يرخص لهم في معاصيه، ولم يؤمنهم عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة منه إلى غيره، إنّه لاخير في عبادة لاعلم فيها، ولا علم لا فهم فيه ولا قراءة لاتدبّر فيها».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «عجبت لمن يقنط و معه الإستغفار».

وفيه: قال: الإمام عليّ عليه السّلام: «الفقيه كلّ الفقيه من لم يُقَنِّطِ النّاس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يُؤْمنهم من مكر الله».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن الهيثم بن واقد الجزرى قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: «إنّ الله عزّوجلّ بعث نبياً من أنبيآئه إلى قومه، فأوحى إليه أن قل

لقومك: أنّ رحمتي سبقت غضبي فلاتقنطوا من رحمتي، فإنّه لايتعاظم عندي ذنب أغفره...» الحديث.

وفي معاني الأخبار: بإسناده إلى الحسين بن عليّ عليهما السّلام قال: قيل لأميرالمؤمنين عليه السّلام: صف لنا الموت؟ فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد امور ثلاثة يرد عليها: إمّا بشارة بنعيم أبداً، وإمّا بشارة بعذاب أبداً، وإمّا تخويف وتهويل وأمر مبهم لايدري من أيّ الفريقين هو؟ فأمّا وليّنا المتّبع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأمّا عدوّنا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الّذي لايدرى ماحاله فهو المؤمن المسرف على نفسه، لايدرى مايؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً محزناً، ثمّ لن يسويه الله عزّوجلّ بأعدآئنا لكن يخرجه الله عزّوجلّ من النّار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلّموا ولا تستضعروا عقوبة الله عزّوجلّ، فإنّ المسرفين من لاتلحقه شفاعتنا إلّا بعد عذاب ثلاثمأة ألف سنة».

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ حاكياً عن الله جلّ جلاله ـ: «يابن آدم بمشيّتي كنت أنت الّذي تشآء ـ إلى قوله ـ: وبسوء ظنّك قنطت من رحمتي».

وفي نوادر الرّاوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يبعث الله المقنّطين يوم القيامة مغلبة وجوههم يعنى غلبة السّواد على البياض، فيقال لهم: هؤلآء المقنّطون من رحمة الله».

٥٥ ـ (واتّبعوا أحسن ماانزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون)

في تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «واتّبعوا أحسن ماأُنزل إليكم من ربّكم» من القرآن وولاية أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السّلام، والدّليل على ذلك قول الله عزّوجلّ: «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله» قال: في الإمام لقول الصّادق عليه السّلام: نحن جنب الله».

أقول: لمّا فسّر الإمام الصّادق عليه السّلام جنب الله بالأئمة المعصومين صلوات الله

عليهم أجمعين دلّ ذلك على أنّ ماأمر الله بمتابعته في الآية السّابقة شامل للولاية، كما يدلّ عليها آية التّبليغ فتدبّر جيّداً ولاتغفل.

وفي بصائر الدّرجات: بإسناده عن هاشم بن أبي عمّار قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السّلام يقول: «أنا عين الله وأنا جنب الله وأنا يدالله وأنا باب الله».

وفيه: بإسناده عن مالك الجهنيّ قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: إنّا شجرة من جنب الله، فمن وصلنا وصله الله ثمّ تلا هذه الآية: «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين».

قوله عليه السّلام: «إنّا شجرة» كناية عن نهاية قربهم من جناب الرّبّ جلّ وعلا وأنّ من تمسّك بهم فهو يصل إليه تعالى إذ قال: «وابتغوا إليه الوسيلة» المائدة: ٣٥).

وفيه: بإسناده عن عبدالله بن سليمان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: قول الله عزّوجلّ: «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله» قال: عليّ عليه السّلام جنب الله».

وفي الإحتجاج: في باب ردّ التّناقض في القرآن ـ وممّا سئل الزّنديق عليّاً أميرالمؤمنين عليه السّلام قوله: وأجده يقول: «يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله» مامعنى الجنب؟ فأجابه الإمام عليه السّلام: أنّ جنب الله تعريف للخليقة قربهم منه تعالى، الا ترى أنّك تقول: فلان إلى جنب فلان: إذا أردت أن تصف قربه منه، إنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرّموز الّتي لايعلمها غيره وغير أنبيآئه وحججه في أرضه...» الحديث.

وفي محاسن البرقي: بإسناده عن يزيد الصّائغ عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «يا يزيد أشدّ النّاس حسرة يوم القيامة الّذين وصفوا العدل ثمّ خالفوه وهو قول الله عزّوجلّ: «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله».

«في جنب الله» أي طاعة الله تعالى أو طاعة ولاة أمر الله الّذين هم مقرّبوا جنابه، فكأنّهم بجنبه.

وفي التّوحيد: بإسناده عن بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أميرالمؤمنين

عليه السّلام ـ في خطبة ـ: «أنا الهادي وأنا المهتدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين وزوج الأرامل، وأنا ملجأ كلّ ضعيف ومأمن كلّ خآئف، وأنا قآئد المؤمنين إلى الجنّة، وأنا حبل الله المتين وأنا عروة الله الوثقىٰ وكلمة التّقوى، وأنا عين الله ولسانه الصّادق ويده، وأنا جنب الله الّذي يقول: «أن تقول نفس يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله» وأنا يدالله المبسوطة على عباده بالرّحمة والمغفرة، وأنا باب حطّة، من عرفني وعرف حقّي فقد عرف ربّه لأنّي وصيّ نبيّه في أرضه وحجّته على خلقه، لاينكر هذا إلّا رادّ على الله ورسوله».

قال الصّدوق رضوان الله تعالى عليه: «الجنب: الطّاعة في لغة العرب، يقال: هذا صغير في جنب الله أي في طاعة الله عزّوجلّ، فمعنى قول أميرالمؤمنين عليه السّلام: أنا جنب الله أي أنا الّذي ولايتي طاعة الله، قال الله عزّوجلّ: «أن تقول نفس يا حسرتا على مافرّطت في جنب الله» أي في طاعة الله عزّوجلّ».

وفي البحار: روى عن الباقر عليه السّلام أنّه قال: «معنى جنب الله أنّه ليس شيء أقرب إلى الله من رسوله ولا أقرب إلى رسوله من وصيّه، فهو في القرب كالجنب، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه بقوله: «أن تقول نفس يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله» يعنى في ولآية أوليآئه».

وفي المجمع: وروى العيّاشي بالإسناد عن أبي الجاورد عن أبي جعفر عليه السّلام أنّه قال: «نحن جنب».

وفي الخصال: بإسناده عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم عن أبيعبدالله قال: حدّثني أبي عن جدّي عن آبآئه عليهم السّلام أنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام علّم أصحابه في مجلس واحد أربعمأة باب ممّا يصلح للمؤمن في دينه ودنياه ـ إلى أن قال ـ: «ونحن الخزّان لدين الله ونحن مصابيح العلم، إذا مضى منّا عَلَمٌ بداعَلَمٌ لايضلّ من اتّبعنا، ولا يهتدي من أنكرنا ولا ينجو من أعان علينا عدوّنا، ولا يعان مَن أسلمنا، فلا تتخلّفوا عنّا لطمع دنيا وحطام زآئل عنكم، وأنتم تزولون عنه، فانّ من آثر الدّنيا على الآخرة، واختارها علينا عظمت حسرته غداً، وذلك قول الله عزّوجلّ: «أن تقول

نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين» الحديث.

وفي المناقب لإبن شهرآشوب رحمة الله تعالى عليه: «أبوذرّ في عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أباذرّ يؤتى بجاحد عليّ يوم القيامة أعمى أبكم، يتكبكب في ظلمات يوم القيامة وفي عنقه طوق من النّار ينادي يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله».

وفيه: «الصّادق والباقر والسّجّاد عليهم السّلام في هذه الآية قالوا: «جنب الله» عليّ وهو حجّة الله على الخلق يوم القيامة».

وفيه: الرّضا عليه السّلام: «في جنب الله» قال: في ولاية عليّ عليه السّلام.

وفيه: وقال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «أنا صراط الله أنا جنب الله».

وفي كنزالفوائد: بالإسناد عن إبن تغلب عن الصّادق عن آبآئه عليهم السّلام في قول الله تعالى: «يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله» قال: خلقنا الله جزءاً من جنب الله، وذلك قوله عزّوجلّ: «يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله» يعنى في ولاية عليّ عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: «جزءاً من جنب الله» أي خلقنا الله ولياً من أوليآئه.

وفيه: بإسناده عن سدير قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول وقد سئله رجل عن قول الله عزّوجلّ: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله» فقال أبوعبدالله عليه السّلام: نحن والله خلقنا من نور جنب الله وذلك قول الكافر إذ استقرّت به الدّار: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله» يعنى ولاية محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.

وفيه: بإسناده عن عليّ بن سويد السّائيّ عن أبي الحسن عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله» قال: جنب الله أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وكذلك مَن كان بعده من الأوصيآء بالمكان الرّفيع إلى أن ينتهى إلى الأخير منهم والله أعلم بما هو كائن بعده».

وفي التّوحيد: بإسناده عن عبدالرّحمن بن كثير عن أبي‌عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي ولسان الله

النّاطق، وعين الله النّاظرة وأنا جنب الله وأنا يدالله».

قال الصّدوق رضوان الله تعالى عليه: معنى قوله عليه السّلام: «وأنا قلب الله الواعي»: أنا القلب الّذي جعله الله وعآء لعلمه وقلبه إلى طاعته وهو قلب مخلوق لله عزّوجلّ كما هو عبدالله عزّوجلّ ويقال: قلب الله كما يقال: عبدالله وبيت الله وجنّة الله ونار الله، وأمّا قوله: «عين الله» فإنّه يعنى به الحافظ لدين الله، وقد قال الله عزّوجلّ: «تجري بأعيننا» القمر: ١٤) أي بحفظنا، وكذلك قوله عزّوجلّ: «ولتصنع على عيني» طه: ٣٩) معناه على حفظي.

والمراد أن تتربّي بحيث أرعاك وأراك ، وليس هناك شيء يغيب عن رؤية الله تعالى ولكن هذا الكلام يفيد الإختصاص بشدّة الرّعاية وفرط الحفظ والكلاءة، ولمّا كان الحافظ للشّيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه جآء تعالى باسم العين بدلاً من ذكر الحفظ والحراسة على طريق المجاز والإستعارة، ويقول العربى لغيره: أنت منّي بمر أى ومسمع، يريد بذلك أن متوفّر عليه برعايته ومنصرف إليه بمراعاته، وكذلك قوله تعالى: «تجري بأعيننا» أي تجري ونحن عالمون بجريها غير خاف علينا شيء من تصرّفها، وحسن أن تقوم العين مقام العلم لما كانت العين طريق العلم.

وفي كنزالفوائد: بإسناده عن عطآء الهمداني عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله تعالى: «يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله» قال: قال عليّ عليه السّلام: أنا جنب الله وأنا حسرة النّاس يوم القيامة».

أقول: ومن المتحمل أن يكون المراد بالجنب الجانب أى هو الجانب الّذي من أراد الله يتوجّه إليه أو هو في القرب من الله بمنزلة من كان بجنب آخر كقوله: «والصّاحب بالجنب» أو أنّ من أراد قرب رجل يجلس إلى جنبه، فهو بمنزلة جنبه تعالى في أنّه من أراد القرب منه تعالى يجلس إليه ويتعلّم منه، ويأخذ من آدابه...

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدّس سرّه بإسناده عن إبن عبّاس قال: خطب أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ إلى أن قال ـ: «أيّها النّاس الآن الآن من قبل النّدم، ومن قبل «أن تقول نفس يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله وإن كنت لمن السّاخرين

أو تقول لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين أو تقول حين ترى العذاب لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين» فيردّ الجليل جلّ ثناؤه: «بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين» فوالله ماسئل الرّجوع إلّا ليعمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً».

وفي محاسن البرقي: بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لقّنوا موتاكم لا إله إلّا الله فانّها أُنس للمؤمن حين يمزق قبره قال لى جبرئيل: يا محمّد لو تراهم حين يخرجون من قبورهم، ينفضون التّراب عن رؤوسهم، هذا يقول: «لا إله إلّا الله والحمد لله» بيّض وجهه، وهذا يقول: «يا حسرتاه على مافرّطت في جنب الله».

قوله عليه السّلام: «يمزق قبره» أي يخرق ليخرج منه عند البعث.

وفي المناقب: الباقر عليه السّلام في قوله تعالى: «لو أنّ الله هداني لكنت من المتّقين» قال: لولاية عليّ عليه السّلام فردّ الله عليهم «بلى قد جائتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين».

٦٠ - (ويوم القيامة ترى الّذين كذّبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين)

في اصول الكافي: بإسناده عن سورة بن كليب عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت له: قول الله عزّوجلّ: «ويوم القيامة ترى الّذين كذّبوا على الله وجوههم مسودّة»؟ قال: من قال: إنّي إمام وليس بإمام، قال: قلت: وإن كان علويّاً؟ قال: وإن كان علويّاً، قلت: وإن كان من ولد عليّ ابن أبيطالب عليه السّلام؟ قال: وإن كان».

وفيه: بإسناده عن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله»؟ قال: كلّ من زعم أنّه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطمياً علوياً؟ قال: وإن كان فاطميّاً علويّاً».

وفي تفسير القمّي: قوله: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة» فانّه حدّثني أبي عن إبن أبي عمير عن أبي المعزا عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من ادّعى أنّه إمام وليس هو بإمام، قلت: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ قال: وإن كان علويّاً فاطميّاً».

وفي غيبة النّعماني: بإسناده عن إبن ظبيان قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين» قال: «من زعم أنّه إمام وليس بإمام».

وفي المجمع: وروى العيّاشي بإسناده عن خيثمة قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: «من حدّث عنّا بحديث، فنحن سائلوه عنه يوماً فإن صدق علينا فإنّما يصدق على الله وعلى رسوله، وإن كذب علينا فانّما يكذب على الله وعلى رسوله لأنّا إذا حدّثنا لانقول: قال فلان وقال فلان، إنّما نقول: قال الله وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ هذه الآية: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله» الآية ثمّ أشار خيثمة إلى اذنيه، فقال: صمّتا إن لم أكن سمعته».

وفي البحار: وروى عليّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السّلام قال: «إنّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له: سقر، شكى إلى الله تعالى شدّة حرّه وسئله أن يتنفّس فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذّرّ، يلحقهم الصّغار حتّى يؤتى بهم إلى سجن جهنّم».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ثلاثة لايكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذّاب، وعائل مستكبر» العآئل: الفقير.

وفي تحف العقول ـ من مواعظ الإمام الثّاني الحسن بن عليّ عليها السّلام ـ: «إعلموا أنّ الله لم يخلقكم عبثاً وليس بتارككم سدى، كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم ليعرف كلّ ذى لبّ منزلته، وأنّ ماقدّر له أصابه، وما صرف عنه فلن

يصيبه، قد كفاكم مؤونة الدّنيا، وفرّغكم لعبادته، وحثّكم على الشّكر، وافترض عليكم الذّكر، وأوصاكم بالتّقوى، وجعل التّقوى منتهى رضاه، والتّقوى باب كلّ توبة، ورأس كلّ حكمة، وشرف كلّ عمل، بالتّقوى فاز من فاز من المتّقين، قال الله تبارك وتعالى: «إنّ لِلمتّقين مفازاً» وقال: «وينجّي الله الّذين اتّقوا بمفازتهم لايمسّهم السّوء ولا هم يحزنون» فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنّه من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ويسدّده في أمره ويهيّئ له رشده، ويفلجه بحجّته، ويبيّض وجهه، ويعطيه رغبته مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصّدّيقين والشّهدآء والصّالحين وحسن اولئك رفيقاً».

٦٥ ـ (ولقد أوحي إليك وإلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين)

في عيون الأخبار: بإسناده عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليّ بن موسى عليه السّلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبيآء معصومون؟ قال: بلى ـ إلى أن قال المأمون ـ: فاخبرني عن قول الله عزّوجلّ: «عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم» قال الرّضا عليه السّلام: هذا ممّا نزل بايّاك أعني واسمعي ياجاره، خاطب الله عزّوجلّ بذلك نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وأراد به امّته، فكذلك قوله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننّ من الخاسرين» الحديث.

وفي تفسير القمّي: «ولقد اوحي إليك ـ إلى قوله ـ من الخاسرين» فهذه مخاطبة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمعنى لامّته، والدّليل على ذلك قوله: «بل الله فاعبد وكن من الشّاكرين» وقد علم أنّ نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يعبده ويشكره ولكن استعبد نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالدّعآء إليه تأديباً لامّته.

حدّثنا جعفربن أحمد عن عبدالكريم بن عبدالرّحيم عن محمّد بن عليّ عن محمّد ابن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سئلته عن قول الله لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لئن أشركت ليجطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين» قال:

تفسيرها لئن امرت بولاية أحد مع ولاية عليّ عليه السّلام من بعدك ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين».

وفي كنزالفوآئد: بإسناده عن أبي موسى المشرقانيّ قال: كنت عنده وحضره قوم من الكوفيّين، فسئلوه عن قول الله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» فقال: ليس حيث تذهبون، إنّ الله عزّوجلّ حيث أوصى إلي نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يقيم عليّاً للنّاس علماً اندسّ إليه معاذبن جبل، فقال: أشرك في ولايته الأوّل والثّاني حتّى يسكن النّاس إلى قوله ويصدّقوك، فلمّا أنزل الله عزّوجلّ: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك» شكا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى جبرئيل، فقال: إنّ النّاس يكذّبوني ولا يقبلون منّي فأنزل الله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين».

فني هذا نزلت هذه الآية، ولم يكن الله ليبعث رسولاً إلى العالَم وهوصاحب الشّفاعة في العصاة يخاف أن يشرك بربّه، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوثق عند الله من أن يقول: لئن أشركت بي! وهو جآء بإبطال الشّرك ورفض الأصنام وما عبد مع الله، وإنّما عنى الشّرك من الرّجال في الولاية فهذا معناه»

أقول: إنّ سياق آيات من هذه السّورة، وسياق آية التّبليغ وخاصّة جملة: «والله يعصمك من النّاس» المآئدة:٦٧) تؤيّد ذلك، ولا يشكّ فيه إلّا من كان مريض القلب وخبيث الولادة، ولا نتوقع منه قبوله إلّا أن هداه الله جلّ وعلا إلى صراط مستقيم إن شآء ولا تنافي مدنيّة الآية الكريمة، مكّيّة السّورة مع احتمال كون الآية مكّيّة سيأتى بيانه فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

وقوله: «اندسّ» أي بعث إليه دسيساً وجاسوساً ليستعلم الحال ويخبرهم.

وفي تنزيه الأنبيآء للسيّد المرتضى رضوان الله تعالى عليه قال السيّد: «إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا نصّ على أميرالمؤمنين بالإمامة في إبتداء الأمرجآءه قوم من قريش، وقالوا له صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا رسول الله إنّ النّاس قريبو عهد بالإسلام،

ولا يرضون أن تكون النّبوّة فيك والإمامة في إبن عمّك، فلوعدلت بها إلى حين (إلى غيره خ) لكان أولى! فقال لهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: مافعلت ذلك لرأيي فأتخيّر فيه، ولكنّ الله أمرني به وفرضه عليّ، فقالوا له: فإذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف على ربّك فأشرك معه في الخلافة رجلاً من قريش يسكن إليه النّاس، ليتمّ لك الأمر، ولا تخالف النّاس عليك، فنزل: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولا تكوننّ من الخاسرين».

وفيه: عن عبدالعظيم الحسني عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام في خبر: قال رجل من بني عديّ: «إجتمعت إليّ قريش فأتينا النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالوا: يا رسول الله إنّا تركنا عبادة الأوثان واتّبعناك، فأشركنا في ولاية عليّ عليه السّلام فنكون شركآء، فهبط جبرئيل على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا محمّد «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الآية قال الرّجل: فضاق صدرى فخرجت هارباً لما أصابني من الجهد، فاذاً أنا بفارس قد تلقّاني على فرس أشقر عليه عمامة صفراء يفوح منه رآئحة المسك، فقال: يا رجل لقد عقد محمّد عقدة لا يحلّها إلّا كافر أو منافق، قال: فأتيت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخبرته، فقال: هل عرفت الفارس؟ ذلك جبرئيل عرض عليكم ولاية (ذاك جبرئيل عرض عليكم عقد ولاية خ) إن حللتم العقد أو شككتم كنت خصمكم يوم القيامة».

وفي البرهان: بإسناده عن عبدالله بن بكير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جاره».

وفي التّوحيد: بإسناده عن اليقطيني قال: سئلت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليهما السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه» فقال: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبّهه بخلقه، ألا ترى أنه قال: «وما قدروا الله حقّ قدره» ومعناه إذ قالوا: إنّ الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه كما قال عزّوجلّ: «وما قدروا الله حقّ قدره» إذا قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء ثمّ نزّه عزّوجلّ نفسه عن القبضة واليمين

فقال: «سبحانه وتعالى عما يشركون».

وفي البحار: قال المجلسي رحمة الله تعالى عليه ـ بعد ذكر الحديث ـ: هذا وجه حسن لم يتعرّض له المفسّرون، وقوله تعالى: «وما قدروا الله حقّ قدره» متّصل بقوله: «والأرض جميعاً» فيكون على تأويله عليه السّلام القول مقدّراً أى ماعظّموا الله حقّ تعظيمه، وقد قالوا: إنّ الأرض جميعاً».

أقول: هذا مؤيّد بماورد أنّ يهودياً جآء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وذكر نحواً من ذلك فضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي التّوحيد: بإسناده عن سليمان بن مهران قال: سئلت أباعبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة» فقال: يعنى ملكه لايملكها معه أحد. والقبض من الله تعالى في موضع آخر: المنع، والبسط منه: الإعطآء والتّوسيع كما قال عزّوجلّ: «والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون» يعني يعطي ويوسّع ويمنع ويضيّق، والقبض منه عزّوجلّ في وجه آخر: الأخذ في وجه القبول منه كما قال: «ويأخذ الصّدقات» أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها، قلت: فقوله عزّوجلّ: «والسّموات مطويّات بيمينه» قال: اليمين: اليد، واليد: القدرة والقوّة يقول عزّوجلّ: «والسّموات مطويات بقدرته وقوّته، سبحانه وتعالى عمّا يشركون».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: إنّ الله عزّوجلّ لا يوصف، وكيف يوصف وقال في كتابه: «وما قدروا الله حقّ قدره» فلا يوصف بقدر[ة] إلّا كان أعظم من ذلك».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه أفضل صلوات الله وأكمل تحياته: «وأشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، الأوّل لا شيء قبله، والآخر لاغاية له، لاتقع الأوهام له على صفة، ولا تُعقَد القلوب منه على كيفيّة، ولا تناله التّجزئة والتّبعيض ولا تحيط به الأبصار والقلوب».

وفيه: قال عليه السّلام: «وأنّك أنت الله الّذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبّ

فكرها مكيّفاً، ولا في رويّات خواطرها فتكون محدوداً مُصَرَّفاً».

وفيه: قال عليه السّلام: «فتبارك الله الّذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن».

وفيه: قال: عليه السّلام: «الحمد لله الّذي إنحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته».

وفيه: قال: عليه السّلام: «كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوقٍ مثله».

وفيه: قال: عليه السّلام: هيهات! إنّ من يعجز عن صفات ذى الهيئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز، ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد».

وفي التّوحيد: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام - في خطبة -: «لما شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته، ذى الأقطار والنّواحي المختلفة في طبقاته، وكان عزّوجلّ الموجود بنفسه لا بأداته (لا عباداته خ) إنتفى أن يكون قدروه حقّ قدره فقال تنزيهاً بنفسه عن مشاركة الأنداد وارتفاعها (ارتفاعاً خ) عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفرة العباد: «وماقدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون».

فما دلّك القرآن عليه من صفته فاتّبعه لتوصل (ليتوسّل خ) بينك وبين معرفته وائتمّ (أتمّ خ) به واستضئ بنور هدايته، فانّها نعمة وحكمة او تيتها، فخذ ما اوتيت وكن من الشّاكرين، ومادلّك الشّيطان عليه ممّا ليس في القرآن عليك فرضه ولا في سنّة الرّسول وأئمة الهدى عليهم السّلام أثره فكلّ علمه إلى الله عزّوجلّ، فإنّ ذلك منتهىٰ حقّ الله عليك».

وفي الدّرّالمنثور: عن أبي ذرّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أتدرى ما الكرسي؟ قلت: لا، قال: مافي السّموات وما في الأرض ومافيهنّ في الكرسي إلّا كحلقة ألقاها ملق في الأرض، وما الكرسيّ في العرش إلّا كحلقة ألقاها ملق في الأرض، وما الماء في الرّيح إلّا كحلقة ألقاها ملق في أرض فلاة، وما جميع ذلك في قبضة الله عزّوجلّ إلّا كحبّة وأصغر من الحبّة في كفّ أحدكم، وذلك

قوله: «والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة».

وفي البحار: ـ باب ١٢٨ ماورد عن الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في أصناف آيات القرآن وأنواعها وتفسير بعض آياتها ـ قال عليه السّلام: «وأمّا مالفظه ماضٍ ومعناه مستقبل، فمنه ذكره عزّوجلّ أخبار القيامة والبعث والنّشور والحساب، فلفظ الخبر ماقد كان، ومعناه أنّه سيكون قوله: «ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلّا من شآء الله ـ إلى قوله ـ وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً» فلفظه ماضٍ ومعناه مستقبل...» الحديث.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن ثوير بن أبي فاخته عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سُئلَ عن النّفختين كم بينهما؟ قال: ماشآء الله، قال: فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمّا النّفخة الاولى فإنّ الله عزّوجلّ يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدّنيا ومعه الصّور، وللصّور رأس واحد وطرفان، وبين رأس كلّ طرف منهما إلى الآخر مثل ما بين السّمآء والأرض، قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل قد هبط إلى الدّنيا ومعه الصّور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السّمآء قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدّس ويستقبل (وهو مستقبل خ) الكعبة، فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله عزّوجلّ في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة، فيخرج الصّوت من الطرف الّذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو روح إلّا صعق ومات، ويخرج الصّوت من الطّرف الّذي يلي السّموات فلايبقى في السّموات ذو روح إلّا صعق ومات إلّا إسرافيل.

قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل: مت فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ماشآء الله، ثمّ يأمر السّموات فتمور، ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: «يوم تمور السّمآء موراً وتسير الجبال سيراً» يعني تبسط «وتبدّل الأرض غير الأرض» يعني بأرض لم تكسب عليها الذّنوب بارزة، ليس عليها جبال ولانبات كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على المآء كما كان أوّل مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبّار تبارك وتعالى بصوت من قبله، جهوريّ يسمع أقطار السّموات

والأرضين: «لمن الملك اليوم»؟

فلم يجبه (فلا يجيبه خ) مجيب فعند ذلك يقول الجبّار عزّوجلّ مجيباً لنفسه: «لله الواحد القهّار» وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمّتهم إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي، وأنا خلقت خلقي بيدي، وأنا أمّتهم بمشيّتي، وأنا أجيبهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبّار نفخة أُخرى في الصّور، فيخرج الصّوت من أحد الطّرفين الّذي يلي السّموات، فلا يبقى في السّموات أحد إلّا حيّ وقام كما كان ويعود حملة العرش وتحضر والنّار، ويحشر الخلائق للحساب، قال: فرأيت عليّ بن الحسين عليهما السّلام يبكي عند ذلك بكآءً شديداً».

وفي الإحتجاج: ـ في حديث ـ قال السّائل: أفتتلاشى الروح بعد خروجه عن قالبه أم هو باق؟ قال أبوعبدالله عليه السّلام: «بل هو باقٍ إلى وقت ينفخ في الصّور، فعند ذلك تبطل الأشيآء وتفنى فلا حسّ ولا محسوس، ثمّ اعيدت الأشيآء كما بدأها مدبّرها وذلك أربعمأة سنة تسبت فيها الخلق، وذلك بين النّفختين».

قوله: عليه السّلام: «تسبت» من سبت: إستراح.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السّمآء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال ونبتت اللّحوم، وقال: أتى جبرئيل عليه السّلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فانتهى به إلى قبر، فصوّت بصاحبه فقال: قم بأمر الله فخرج منه رجل أبيض الرّأس واللّحية يمسح التّراب عن رأسه وهو يقول: الحمد لله والله أكبر، فقال جبرئيل عليه السّلام: عد باذن الله تعالى ثمّ انتهى به إلى قبر آخر، فقال: قم بإذن الله، فخرج منه رجل مسودّ الوجه وهو يقول: يا حسرتاه يا ثبوراه ثمّ قال له جبرئيل عليه السّلام: عد إلى ما كنت فيه بإذن الله عزّوجلّ، فقال: يا محمّد هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون هذا القول، وهؤلآء يقولون ماترى».

وفيه: بإسناده عن المفضّل بن عمر أنّه سمع أباعبدالله عليه السّلام يقول في قوله عزّوجلّ: «وأشرقت الأرض بنور ربّها»: ربّ الأرض يعني إمام الأرض، قلت: فاذا

خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني النّاس عن ضوء الشّمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام».

وفي إرشاد المفيد رضوان الله تعالى عليه: وروى المفضّل بن عمر قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: «إذا قآئمنا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد عن ضوء الشّمس وذهبت الظّلمة».

وفي تفسير القمّي: قال: وقوله عزّوجلّ: «وأشرقت الأرض بنور ربّها و وضع الكتاب وجيئ بالنّبيين والشّهدآء» يعنى كلّ نبيّ يجيئ مع امّته، والشّهدآء الأئمة والدّليل على أنّهم الأئمة قوله تعالى في سورة الحجّ: «ليكون الرّسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على النّاس» فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهيد على الأئمة، والأئمة شهداء على النّاس».

وفي البحار: ـ باب جمع من جوامع كلم أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السّلام ـ قال عليه السّلام: «فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر وازدجروا بالنّذر وانتفعوا بالمواعظ فكأنّ قد علقتكم مخاليب المنيّة، وأحاطت بكم البليّة، وضمّكم بيت التّراب، ودهمتكم مفظعات الأمور بنفخة الصّور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر وموقف الحساب في المنشر، وبرز الخلآئق حفاة عراة، وجآئت كلّ نفس معها سائق وشهيد، ونوقش النّاس على القليل والكثير، والفتيل والنّقير «وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء وقضي بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون».

فارتجّت لذلك اليوم البلاد وخشع العباد وناد المناد من مكان قريب، وحشرت الوحوش، وزوّجت النّفوس، مكان مواطن الحشر وبدت الأسرار وهلكت الأشرار، وارتجّت الأفئدة، فنزلت بأهل النّار من الله سطوة مجيحة وعقوبة منيحة وبرّزت الجحيم، لها كلب ولجب، وقصيف رعد، وتغيّظ و وعيد، قدتأجّج جحيمها وغلا حميمها».

قوله عليه السّلام: «النّقير»: النكتة في ظهر النّواة، وهو كناية عن أقلّ القليل، و«ارتجّت»: إضطربت إضطراباً شديداً و«مجيحة»: مهكلة ومستأصلة،

و«منيحة»: شديدة محرقة و«كلب»: شدة و«لجب»: صوت الهياج واضطراب الأمواج، و«قصيف رعد»: شدة صوته، «تأجج»: تلهّب واضطرام.

٧١ - «وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتّى إذا جاؤها فتحت أبوابها ...» الآية

في أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أتى شباباً من الأنصار، فقال: إنّي اريد أن اقرأ عليكم، فمن بكى فله الجنّة، فقرأ آخر الزّمر: «وسيق الّذين كفروا إلى جهنّم زمراً...» إلى آخر السّورة فبكى القوم جميعاً إلّا شاب، فقال: يا رسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني قال: إنّي معيد عليكم فمن تباكى فله الجنّة، قال: فأعاد عليهم، فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنّة جميعاً».

وفي ثواب الأعمال: بإسناده عن أبي سعيد المكاريّ عن رجل عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «أصبح عدوّنا على شفاحفرة من النّار وكأنّ شفاحفرته قد انهارت به في نار جهنّم فتعساً لأهل النّار مثواهم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: «بئس مثوى المتكبّرين» وما من أحد يقصر حبّنا بخير إلاّ جعل الله عنده».

وفي الدّرّالمنثور: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ جهنّم إذا سيق إليها أهلها تلفحهم بعنق منها لفحة لم تدع لحماً على عظم إلّا ألقته على العرقوب».

وفي الخصال: بإسناده عن أبي عبدالله عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: «إنّ للنّار سبعة أبواب، باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفّار ممّن لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب يدخل منه بنو اميّة هو لهم خاصّة، وهو باب لظى وهو باب سقر وهو باب الهاوية يهوى بهم سبعين خريفاً فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً فاربهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثمّ هوى بهم هكذا سبعين خريفاً، فلايزالون هكذا أبداً خالدين مخلّدين، وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وإنّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّاً.

قال محمّد بن الفضل الرّزقي: فقلت لأبي عبدالله عليه السّلام: الباب الّذي ذكرت عن أبيك عن جدّك عليهما السّلام أنّه يدخل منه بنواميّة يدخله مَن مات منهم على

الشّرك أو ممّن أدرك الاسلام منهم؟ فقال: لا امّ لك ألم تسمعه يقول: وباب يدخل منه المشركون والكفّار، فهذا باب يدخل منه كلّ مشرك وكلّ كافر لا يؤمن بيوم الحساب وهذا الباب الآخر يدخل منه بنواميّة لأنّه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصّة يدخلون من ذلك الباب، فتحطمهم النّار فيه حطماً لا يسمع لهم واعية ولا يحيون فيها ولا يموتون».

وفي المجمع: «لها سبعة أبواب» فيه قولان: أحدهما ـ ما روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام: إنّ جهنّم لها سبعة أبواب، أطباق بعضها فوق بعض، و وضع إحدى يديه على الاخرى فقال: هكذا وإنّ الله وضع الجنان على العرض، و وضع النّيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنّم، وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية. وفي رواية الكلبي: أسفلها الهاوية وأعلاها جهنّم.

أقول: إنّ الجمع بينهما: أنّ السّفل بمعنى دون بأنّ جهنّم هي أدنى حرارة، والهاوية أشدّها بالنّسبة إلى الطّبقات والدّركات الأُخر، وأمّا بالنّسبة إلى نفس الدّركات فأعلاها جهنّم وأسفلها الهاوية.

وفي تفسير نور الثّقلين: في تفسير العياشي عن أبي بصير قال: يؤتى بجهنّم لها سبعة أبواب، بابها الأوّل للظّالمين وهو زريق، وبابها الثّاني للحبتر، وبابها الثّالث للثّالث والرّابع لمعاوية والخامس لعبد الملك، والسّادس لعكربن هوسر والسّابع لأبي سلامة فهم أبواب لمن اتّبعهم».

أقول: إنّ المراد بزريق هو أبوبكر بن أبي قحافة، وبالحبتر هو عمر بن الخطّاب، وبالثّالث هو عثمان بن عفان... وفي زيارة عاشورآء: «أللّهمّ خصّ أنت أوّل ظالم باللّعن منّي وابدأ به أوّلاً ثمّ العن الثّاني والثّالث والرّابع أللّهمّ العن يزيد خامساً والعن عبيد الله بن زياد وابن مرجانة وعمربن سعد وشمراً وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلى يوم القيامة».

وفي الخصال: ـ في سؤال بعض اليهود عليّاً عليه السّلام عن الواحد إلى المأة ـ قال له اليهودى: فما السّبعة؟ قال عليه السّلام: سبعة أبواب النّار متطابقات، قال: فما

الثّمانية؟ قال: ثمانية أبواب الجنّة».

وفيه: ـ في بيان مناقب لأميرالمؤمنين عليه السّلام وتعدادها ـ قال عليه السّلام: وأمّا التّاسعة والثّلاثون فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً، لا يجتمع حبّي وحبّه إلاّ في قلب مؤمن، إنّ الله عزّوجلّ جعل أهل حبّي وحبّك يا عليّ في زمرة أوّل السّابقين إلى الجنّة، وجعل أهل بغضي وبغضك في أوّل زمرة الضّالّين من امّتي إلى النّار».

وفي ثواب الأعمال: بإسناده عن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: أخبرني بأوّل من يدخل النّار؟ قال: «إبليس ورجل عن يمينه ورجل عن يساره».

أقول: ولا يخفى على طيّب الولادة وسليم القلب، هذان الرّجلان يدخلان مع إبليس النّار فانّهما كانا مظهر تمرّد إبليس وخباثته في الدّين الإسلامي.

٧٣ ـ (وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا جآؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)

في الإحتجاج ـ باب ردّ التّناقض في القرآن ـ قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام في جواب بعض الزّنادقة المدّعى للتّناقض فيه ـ: «فأمّا قوله: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة» فإنّ ذلك في موضع ينتهي فيه أوليآء الله عزّوجلّ بعد مايفرغ من الحساب إلى نهر يسمّى الحيوان، فيغتسلون فيه ويشربون منه، فتنضر وجوههم إشراقاً، فيذهب عنهم كلّ قذى و وعث، ثمّ يؤمرون بدخول الجنّة، فمن هذا المقام ينظرون إلى ربّهم كيف يثيبهم، ومنه يدخلون الجنّة، فذلك قول الله عزّوجلّ في تسليم الملائكة عليهم: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» فعند ذلك أيقنوا بدخول الجنّة والنّظر إلى ماوعدهم ربّهم، فذلك قوله: «إلى ربّها ناظرة» وإنّما يعنى بالنّظر إليه النّظر إلى ثوابه تبارك وتعالى».

قوله عليه السّلام: «وعث»: شدّة ومشقّة من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشدّ على صاحبه ويشق.

وفي البحار: ـ فيما كتب عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بأمر رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلّم كتاباً إلى الكفّار وإلى النّصارى وإلى اليهود ـ: «فلو أنّ مَن في السّموات والأرض قيام يسمعون ما في الجنّة من سرور وطرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنّة، والملائكة يدخلون عليهم فيقولون كما قال الله عزّوجلّ في محكم كتابه العزيز: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين».

وفي رواية: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «كلّ شيء في الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، وكلّ شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه».

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «سلام عليكم طبتم» أي طابت مواليدكم (موالدكم خ) لأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيّب المولد «فادخلوها خالدين» قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «إنّ فلاناً وفلاناً غصبوا حقّنا واشتروا به الإمآء وتزوّجوا به النّسآء، ألا وإنّا قد جعلنا شيعتنا من ذلك في حلّ لتطيب موالدهم».

وفي الخصال: عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «أحسنوا الظّنّ بالله، واعلموا أنّ للجنّة ثمانية أبواب، عرض كلّ باب منها مسيرة أربعمأة سنة».

وفي المجمع: وعن سهل ابن سعد السّاعدى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ في الجنّة ثمانية أبواب منها باب يسمّى الرّيان لا يدخلها إلّا الصّآئمون».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوّل زمرة يدخلون الجنّة على صورة القمر ليلة البدر والّذين يلونهم على صورة أشد كوكب درّي في السّمآء إضآءة».

وفي رواية: قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «يساق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً حتّى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى احداهما، فشربوا منها فذهب ما في بطونهم من أذى أو قذى وبأس ثمّ عمدوا إلى الاخرى فتطهر وامنها فجرت عليهم نضرة النّعيم، فلن تغير أبشارهم بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنّما دهنوا بالدهان ثمّ انتهوا إلى خزنة الجنّة فقالوا: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» ثمّ تلقاهم الولدان يطوفون بهم كما يطيف أهل الدّنيا بالحميم، فيقولون:

أبشر بما أعدّ الله لك من الكرامة، ثمّ ينطلق غلام من اولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قدجآء فلان بإسمه الّذي يدعى به في الدّنيا، فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته، فيستخفّها الفرح حتّى تقوم على أسكفة بابها فاذا إنتهى إلى منزله نظر شيئاً من أساس بنيانه، فإذاً جندل اللّؤلؤ فوقه أخضر وأصفر وأحمر من كلّ لون، ثمّ رفع رأسه، فنظر إلى سقفه، فإذاً مثل البرق ولولا أنّ الله تعالى قدر أنّه لا ألم لذهب ببصره ثمّ طأ طأبر أسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة، فنظر إلى تلك النّعمة ثمّ اتكأ على أريكة من أريكته، ثمّ قال: الحمد لله الّذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله الآية. ثمّ ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحّون فلا تمرضون أبداً».

وفي رواية: عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «للجنّة ثمانية أبواب، سبعة مغلقة، وباب مفتوح للتوبة حتّى تطلع الشّمس من نحوه».

وفي رواية: عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من حفظ على امّتي أربعين حديثاً ينفعهم الله بها قيل له: ادخل من أيّ باب الجنّة شئت».

وفي أمالي الصّدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ عليه السّلام - في حديث -: «ومن صلّى ثلث ليلة لم يبق ملك إلّا غبطه بمنزلته من الله عزّوجلّ، وقيل له: ادخل من أيّ أبواب الجنّة الثّمانية شئت».

وفي التّهذيب: بإسناده عن وهب عن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «للجنّة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه، فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة تزجر، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، إنّ الله أعزّ امّتي بنابك خيلها ومراكز رماحها».

وفي اصول الكافي: بإسناده عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنّة باباً يقال له: المعروف لا يدخله إلّا من اصطنع المعروف في الحياة الدّنيا...» الحديث.

وفي قرب الإسناد: بإسناده عن الحسين بن علوان عن جعفر عن أبيه عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ للجنّة باباً يقال له: باب المعروف، لا يدخله إلّا أهل المعروف».

وفي الفقية: في خبر بلال عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ قال: قلت لبلال: فما أبوابها يعنى الجنّة؟ قال إنّ أبوابها مختلفة، باب الرّحمة من ياقوتة حمرآء وقال: اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم: أمّا باب الصّبرفباب صغيرمصراع واحدمن ياقوتة حمرآء، وأمّا باب الشّكرفإنّه من ياقوتة بيضآء لها مصراعان مسيرة ما بينهما مسيرة خمسمأة عام له ضجيج وحنين يقول: ألّلهمّ جئنى بأهلي، قال: هل قلت يتكلّم الباب؟ قال: نعم ينطقه الله ذوالجلال والإكرام، وأمّا باب البلاء [فليس باب البلاء] هو باب الصّبر، قال: قلت: فما البلآء؟ قال، المصآئب والأسقام والأمراض والجذام، وهو باب من ياقوتة صفرآء مصراع واحد، ما أقلّ من يدخل فيه، أمّا الباب الأعظم، فيدخل منه العباد الصّالحون وهم أهل الزّهد والورع والرّاغبون إلى الله عزّوجلّ المستأنسون به».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «وسيق الّذين اتّقوا ربّهم إلى الجنّة زمراً» قد أُمِنَ العذاب، وانقطع العتاب، وزُحزحوا عن النّار، واطمأنّت بهم الدّار، ورضوا المثوى والقرار، الّذين كانت أعمالهم في الدّنيا زاكية وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً تخشّعاً وإستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً توحّشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنّة مآباً، والجزآء ثواباً، وكانوا أحقّ بها وأهلها في ملك دائم ونعيم قآئم».

وفي الإحتجاج: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث طويل ـ قدذكر عليّاً وأولاده عليهم السّلام ـ: «ألا إنّ أوليآؤهم الّذين يدخلون الجنّة آمنين، ويتلقّاهم

الملائكة بالتّسليم أن «طبتم فادخلوها خالدين».

وفي تفسير القمّي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض» يعنى أرض الجنّة.

وفي البحار: بالإسناد عن المفضل بن عمر عن الصّادق عليه السّلام - فيما يكون عند ظهور المهدي الحجّة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهما - قال المفضّل: يا سيّدي فمن أين يظهر وكيف يظهر؟ قال: يا مفضّل يظهر وحده، ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجنّ عليه اللّيل وحده، فاذا نامت العيون وغسق اللّيل نزل إليه جبرئيل وميكائيل عليهما السّلام والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرئيل: يا سيّدي قولك مقبول، وأمرك جآئز، فيمسح عليه السّلام يده على وجهه ويقول: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة - حيث نشآء فنعم أجر العاملين» - إلى أن قال - ثمّ يقوم المهديّ سَمِيُّ جدّي رسول الله وعليه قميص رسول الله مضرّجاً بدم رسول الله يوم شجّ جبينه، وكسرت رباعيّته، والملائكة تحفّه حتّى يقف بين يدي جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقول: يا جدّاه وصفتنى ودلّلتَ عَلَيَّ ونسبتني وسميّتني وكنّيتني، فجحدتني الامّة وتمرّدت وقالت: ماوُلِدَ ولا كان، وأين هو؟ ومتى كان؟ وأين يكون؟ وقد مات ولم يعقّب، ولو كان صحيحاً ما أخّره الله تعالى إلى هذا الوقت المعلوم فصبرت محتسباً وقد أذن الله لي فيها باذنه يا جدّاه.

فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجرالعاملين».

وفي كنزالفوآئد: بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى أبي‌عبدالله عليه السّلام قال: «إذا كان يوم القيامة يقبل قوم على نجآئب من نور ينادون بأعلى أصواتهم: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء» قال: فتقول الخلائق: هذه زمرة الأنبيآء فإذا النّدآء من قبل الله عزّوجلّ: هؤلآء شيعة عليّ بن أبيطالب فهم صفوتي من عبادي وخيرتي من بريّتي، فتقول الخلائق: إلهنا وسيّدنا بما نالوا هذه الدّرجة؟ فإذاً النّدآء من الله: بتختّمهم في اليمين، وصلاتهم إحدى وخمسين

وإطعامهم المسكين، وتعفيرهم الجبين، وجهرهم ببسم الله الرّحمن الرّحيم»

أقول: إنّ هذه العلامات هى من شعآئر وعلائم كانت تعرف بها الشّيعة الإمامية الاثنى عشرية في زمن بني أميّة وبني العبّاس، فإنّ التّختّم باليمين كان شعاراً لهم قبال الأمويّين ومن حذاحذوهم من روّاد البهم الّذين يتختّمون باليسار من زمن قصّة التّحكيم إلى بعده من الأزمان، وكان تعفير الجبين شعاراً لهم قبال المتفقّهين الأُجرآء من المذاهب الأربعة الّذين يجوّزون السّجدة على المأكول والملبوس، وكان الجهر بالبسملة من شعارهم لأنّهم يرونها من أكبر آيات القرآن الكريم قبال من لا يعدّها من الكتاب، حتّى أنّ أباجعفر الباقر عليه السّلام كان يقول: «سرقوا أكرم آية من كتاب الله تعالى» فهذه علامات يجهرون بها إظهاراً لمودّتهم واتباعهم لأهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فصارت من علاماتهم الخاصّة بهم.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن اسمعيل بن همام عن أبي الحسن عليه السّلام قال: لمّا حضر عليّ بن الحسين عليه السّلام الوفاة أغمي عليه ثلاث مرّات، فقال في المرّة الأخيرة: «الحمد لله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجرالعاملين» ثمّ مات عليه السّلام.

وفي اصول الكافي: بإسناده عن الحسن بن عليّ بن بنت إلياس عن أبي الحسن عليه السّلام قال: «سمعته يقول: إنّ عليّ بن الحسين عليهما السّلام لمّا حضرته الوفاة اغمي عليه ثمّ فتح عينيه وقرأ: «إذا وقعت الواقعة» و«إنّا فتحنالك فتحاً مبيناً» وقال: «الحمدلله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشآء فنعم أجرالعاملين» ثمّ قبض من ساعته ولم يقبل شيئاً».

وفي اختصاص الشّيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه ـ عن إبن عبّاس فيما سئل عبدالله بن سلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فقال: أخبرني: ما السّتّة عشر؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: فستّة عشر صفّاً من الملائكة حافّين من حول العرش وذلك قوله تعالى: «حافين من حول العرش».

وفي المناقب لابن شهرآشوب السّروي المازندراني رضوان الله تعالى عليه عن أنس

بن مالك في تفسير قوله تعالى: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم» قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لمّا كانت ليلة المعراج نظرت تحت العرش أمامي فاذا أنا بعليّ بن أبيطالب عليه السّلام قآئم أمامي تحت العرش يسبّح الله ويقدّسه، فقلت: يا جبرئيل سبقني عليّ بن أبيطالب إلى ههنا قال: لا ولكنّي اخبرك يا محمّد إنّ الله عزّوجلّ يكثر من الثّنآء والصّلاة على عليّ بن أبيطالب فوق عرشه فاشتاق [حملة] العرش إلى رؤية عليّ فخلف الله هذا الملك على صورة عليّ بن أبي طالب تحت العرش شوقة، وجعل الله سبحانه تسبيح هذا الملك وتقديسه وتمجيده ثواباً لشيعته (لشيعة خ) أهل بيتك يا محمّد».

أقول: وقد وردت روايات كثيرة عن الطّريقين: الخاصّة والعامّة في خلق الله جلّ وعلا ملكين على صورة عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أوردناها في محلّها من هذا التّفسير.

وفي فقه الرّضا عليه السّلام ـ فيما سئل أميرالمؤمنين عليه السّلام عن القضآء والقدر ـ فقال عليه السّلام: «والقضآء على أربعة أوجه في كتاب الله جلّ وعزّ النّاطق على لسان سفيره الصّادق صلّى الله عليه وآله وسلّم: منها قضآء الخلق وهو قوله تعالى: «فقضيهنّ سبع سماوات في يومين» معناه خلقهنّ. والثّاني: قضآء الحكم وهو قوله تعالى: «وقضي بينهم بالحقّ» معناه حكم.

وفي البحار: ـ في باب ماورد في أصناف آيات القرآن ـ قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام: «وأمّا قضآء الحكم فقوله تعالى: «قضي بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين» أي حكم بينهم».

وفي التّوحيد: بإسناده عن الحارث الأعور قال: خطب أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام يوماً خطبة بعد العصر، فعجب النّاس من حسن صفته وماذكر من تعظيم الله جل جلاله ـ إلى أن قال ـ: «ثمّ إنّ الله ـ وله الحمد ـ افتتح الكتاب بالحمد لنفسه، وختم أمر الدّنيا ومجيئ (محلّ خ) الآخرة بالحمد لنفسه فقال: «وقضي بينهم بالحقّ وقيل الحمد لله ربّ العالمين».

الأوّل: واعلم أنّ البحث في المقام يدور على فصول خمسة: يستدلّ بقوله تعالى: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبدالله مخلصاً له الدّين» : ٢) وبقوله: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه...» : ٨) وبقوله: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً...» : ٢٣) و«لقد ضربنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّهم يتذكّرون قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلّهم يتّقون» : ٢٧-٢٨) و«الّذي جآء بالصّدق وصدّق به اولئك هم المتّقون» : ٣٣) و«إنّا أنزلنا عليك القرآن للنّاس بالحقّ...» : ٤١) و«اتبعوا أحسن ما انزل إليكم من ربّكم...» : ٥٥) و«بلى قد جآئتك آياتي فكذّبت بها واستكبرت...» : ٥٩) و«لقد اوحي إليك وإلى الّذين من قبلك...» : ٦٥) وبقوله تعالى: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم...» : ٧١) على حجّيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو النّاسخ... فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

الفصل الثّاني: يستدل بقوله جلّ وعلا: «فاعبد الله مخلصاً له الدّين ألا لله الدّين الخالص» الزّمر: ٢-٣) وبقوله: «قل إنّي امرت أن أعبد الله مخلصاً له الدّين» : ١١) «قل الله أعبد مخلصاً له ديني» : ١٤) و«لئن أشركت ليحبطنّ عملك - بل الله فاعبد» : ٦٥-٦٦) على وجوب الإخلاص في الطّاعات واعتباره في العبادات...

وذلك أنّ المراد من الدّين هو مجموع مايتديّن به المكلّف من الاصول الإعتقاديّة والفروع العمليّة، وخلوصه أن يكون كلّه لله تعالى وحده بأن يكون الدّاعي إليه هو

أهليّة الله جلّ وعلا، واستحقاقه له وهو دين الفطرة، ولا بدّ فيه من القصد، فيجب إخلاص عبادة الله تعالى عن عبادة الأوثان... وطاعته جلّ وعلا عن الرّيآء ونحوه.

وأما عطف الصّلاة والزّكاة بعد ذكر الدّين في قوله تعالى: «وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفآء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة» البيّنة: ٥) فمن عطف الخاص على العام، إهتماماً بشأنها، ويدلّ على ذلك قوله عزّوجلّ: «وذلك دين القيّمة» البيّنة: ٥).

وما تأوّل به الشّيخ الأنصارى تلك الآيات الكريمة ـ تبعاً عن بعض المتقدّمين ـ في باب النّيّة من كتاب الطّهارة وغيره توهّم محض لا وجه له إلّا التوهّم، إذ لم يكن للشّيخ رضوان الله تعالى عليه تدبّر في كلام الخالق المتعال، ماكان له تأمّل في كلام المخلوق غير المعصوم، والأمر واضح لمن له أدنى مسكة ودراية.

فيتوقّف صدق الإمتثال على الإخلاص، فإذا انضمّ إلى نيّة التقرّب في الوضوء ـ مثلاً ـ إرادة التبرّد أو التّسخن أوالتّنظيف ونحوها من الضّمآئم ممّا هو حاصل في الفعل أو مطلقاً وليس برياء ولا من الضّمآئم الرّاجحة لما كانت طهارته مجزية لمنافات الإنضمام الإخلاص، وإن كان المقصد الأصلي إرادة التّعبّد، كما لاتكون مجزية إذا كان كلّ من التّقرب والتبرّد باعثاً تامّاً لايقاع الفعل لعدم وقوع الفعل لله تعالى وحده، حيث يكون الفعل له ولغيره، وكذلك إذا كان المقصد التبرّد أو كانا معاً على سبيل الإشتراك في الباعث بحيث يكون كلّ منها جزءاً.فالقول بصحّة بعض الوجوه المتقدّمة غير وجيه، وأمّا إذا كانت الضّميمة ريآء فإنّها غير مجزية بلا خلاف عند أصحابنا المحقّقين وفي جامع المقاصد: «أنّه لوضمّ الرّياء بطل قولاً واحداً» فيشترط الإخلاص في صحّة العبادات، فانّ فاقد الإخلاص لا أمر بها فلا تكون صحيحة، سوآء كانت اللاّم في قوله تعالى: «ليعبدوا الله» البيّنة: ٥) للتّعليل، أم كانت بمعنى البآء وكون الآية الكريمة خطاباً لأهل الكتاب غير قادح بعد قوله عزّوجل: «وذلك دين القيّمة» لكون المراد به المستمرّة على نهج الصّواب، وإحتمال أن يراد الإخلاص من عبادة الأوثان يدفعه ظهور كون المراد به أعمّ من

ذلك.

وإنّ الآيات المتقدّمة ونحوها المتضمّنة للأمر بالعبادة حال الإخلاص كلّها تدلّ على عدم الأمر بها في غير هذا الحال، فلا تكون العبادة بدون الإخلاص صحيحة، وإنّ التمسّك بإطلاقات الصّلاة والوضوء ونحوهما موقوف على صدق الإسم بعد فقده وإن سلم فالظّاهر ممّا سمعت من الآيات اشتراط صحّة العبادة بالإخلاص كقوله: «صلّ مستتراً أو مستقبلاً أو متوضّئاً» وبه يقيّد سآئر المطلقات على أنّه وإن سلمنا صحّة إسم الوضوء والصّلاة على فاقد الإخلاص لكنّا نمنع إطلاق إسم العبادة عليه، وحيث لا يكون عبادة لا يجتزى به لقوله تعالى: «وما امروا...» البيّنة: ٥).

في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: في قوله تعالى: «فاعبد الله مخلصاً له الدّين» الزّمر: ٢) قال: «الثّانية ـ قال ابن العربي: هذه الآية دليل على وجوب النيّة في كلّ عمل وأعظمه الوضوء الّذي هو شطر الإيمان، خلافاً لأبي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللّذين يقولان: إنّ الوضوء يكفي من غير نيّة، وما كان ليكون من الإيمان شطراً ولا ليخرج الخطايا من بين الأظاهر والشّعر بغير نيّة» إنتهى كلامه.

أقول: إنّ مذهب أبي حنيفة ومالك مدفوع بالعقل والنّقل، وذلك أنّ النّيّة هى إرادة إيجاد الفعل المطلوب شرعاً على وجهه، ويدلّ على وجوبها العقل والنّقل: أمّا العقل فلأن الأفعال متساوية إنّما يمحّضها للطّاعة أو المعصية هى النّيّة، فإنّ لطم اليتيم ظلماً أو تأديباً واحدة، والمميّز بينهما ليس إلّا النّيّة، ولأنّ صدور الفعل لا يوجب الطّاعة لأنّه أعم لوجوده في صورة الرّيآء وغيره، ولادلالة للعام على الخاص، وإنّما يتخصّص بالنّيّة، ولإشتراط الفعل بالإرادة لتساوي القدرة إلى الفعل والتّرك، فلابدّ من مخصّص هو الإرادة، ولبراءة ذمّة المكلّف معها يقيناً لامع عدمها. وأمّا النقل فالآيات القرآنيّة والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كثيرة جداً لايسعها المقام ونحن على جناح الإختصار، ومن الآيات الكريمة ماسبق ذكرها ومن الرّوايات قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّما الأعمال بالنّيّات».

الفصل الثّالث: يستدلّ بقوله جلّ وعلا: «ولا تزر وازرة وزر اخرىٰ الزّمر:٧» على أنّ العبدَ لوجنى في إحرامه بما يلزم فيه الدّم كاللّباس والطيب لزمه دون سيّده، للأصل السّالم عن المعارض المتعضد بظاهر الآية الكريمة، فيبقى الدّم في ذمّته يتبع به بعد العتق، فإن عجز عنه صام.

إن قلت: إن ذلك من الأحكام الشّرعيّة المترتبة عليه من دون مراعاة إذن المولى كقضاء الصّلاة ونحوها؟

قلت: إنّه مادلّ على ملكيّة العبد للسّيّد وأنّه ليس له التصرّف بنفسه إلّا باذنه أرجح ممّا دلّ على الكفّارة من وجوه، فالجمع حينئذ بين الخطا بين القول بمضمون كلّ منهما، وينتج تبعيته به بعد العتق كضمان مايتلفه من مال الغير.

الفصل الرّابع: وقد استدل بعض المحقّقين من الفقهآء بقوله تعالى: «الّذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» الزّمر:١٨) على وجوب تقديم الأعلم على العالم، وتقديم الأفضل على الفاضل في التّقليد، وعلى عدم جواز التّقليد من العالم مع وجود الأعلم الحيّ.

أقول: لا يجوز عندي التّقليد من العالم الفقيه مع وجود الأعلم الأفقه الحيّ، وإنّما المراد من الأعلم الأفقه من كان أعلم وأفقه بكلام الخالق المتعال، وبكلام أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم وأجمعين لا بكلام المخلوق من الفقهآء والاصوليّين، فإنّه نوع تقليد بإسم الإجتهاد كما هو المتعارف بين متأخري المتأخرين وخاصّة في زماننا هذا! وأمّا الآية الكريمة هذا فلا تدلّ على ما استدل بها بعض المحقّقين لما سبق منّا بحث دقيق حول أقسام أفعل تفضيل في البحث البياني من هذه السّورة فإنّ شئت فراجع.

واستدلّ بعض المفسّرين بالآية الكريمة على وجوب النّظر والإستدلال، وأنّه إذا اعترض أمران: أحدهما ـ واجب والآخر ندب، فالأولى إختيار الواجب، وكذا الكلام في المباح والنّدب كالقصاص والعفو، وكلّ ماهو أحوط في الدّين، مثاله في الاصول الإعتقادية: القول بأنّ للعالم صانعاً حيّاً قديماً عليماً قادراً حكيماً متصفاً

بنعوت الجلال والإكرام، وصفات الكمال والتّمام أولى وأحوط من إنكاره، وكذا الإقرار بالبعث والجزآء أحوط من الإنكار، وفي الفروع العمليّة: الصّلاة المشتملة على القراءة والتشهّد والتّسليم وغيرها من الأركان والأبعاض المختلف فيها أجود من الصّلاة الفارغة عنها أو عن بعضها.

أقول: راجع إلى البحث البياني حول أفعل تفضيل واغتنم ولا تَغْفَلْ.

الفصل الخامس: يستدلّ بقوله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الزّمر:٦٥) على أنّ الإسلام والإيمان معاً شرط في صحّة العمل، كاشتراط التّطهير والطّهارة معاً في صحّة الصّلاة، فلاتصحّ عبادة المخالف وإن جآء بها جامعاً للشّرائط عندنا لفقد الطّهارة منه، كما لاتصح من الكافر لفقد هما منه، وإن وجبت عليهما، فإنّ الكافر مكلّف بالفروع كما أنّه مكلّف بالإصول فضلاً عن المسلم، فالقول بصحّة عبادات المخالفين إذا تعقبت بالإستبصار منهم على نحو الشّرط المتأخّر لاوجه له إلّا المجاملة في الدّين وهى مردودة على أهلها.

ويستدلّ بالآية الكريمة على فساد صوم المرتدّ في أثنآء النّهار وإن عاد إلى الإسلام بعده لبطلان جزء منه بفوات إستدامة النّيّة، والصّوم لايتبعّض، ولا دليل على سراية تجديد النّيّة لو جدّدها وكان قبل الزّوال فضلاً عن بعده، ودعوى اشتراط ذلك بالموت على الشّرك منافية لإطلاق الآية، فلاريب حينئذ في كون الإسلام في مجموع النّهار شرطاً لصحّة الصّوم بأنّ إشتراط الإسلام فى صحّة الصّوم يوجب اعتباره في مجموع من أجزآئه بحيث لو انتفى في جزء منه لانتفت الصّحة ولا يصحّ القول بصحّة جزء وبطلان جزء أُخر لأنّ الصّوم لا يتبعّض، وقيام المقام بما أثر النّيّة في أثنآء النّهار قبل الزّوال باطل لأنّه مع الفارق، وإنّما المقام من قبيل ما إذا أبطل صومه قبل الزّوال بمبطل ثمّ أراد تجديد النّيّة قبل الزّوال. فتدبّر جيّداً.

﴿بحث مذهبي﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول ستة عشراً أمراً:

الأوّل: إنّ من طوآئف مشركي مكّة ـ الّذين عُرِفوا بأصحاب الأشخاص ـ إتّخذوا أصناماً أشخاصاً على مثال هياكلّ السّيّارات السّبع: الزّحل والمشتري، والمرّيخ... كلّ شخص في مقابلة هيكل، وراعوا في ذلك جوهر الهيكل أعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره، وصوّروه بصورته على الهيئة الّتي تصدر أفعاله عند، وراعوا في ذلك الزّمان والوقت والسّاعة والدّرجة والدّقيقة، وجميع الإضافات النّجوميّة من إتّصال محمود يؤثر في نجاح المطالب الّتي تستدعي منه، فتقرّبوا إليه في يومه وساعته، تبخروا بالبخور الخاصّ به، وتختموا بخاتمه ولبسوا لباسه، وتضرّعوا بدعآئه، وعزموا بعزآئمه وسئلوا حاجتهم منه، فكانوا يقولون: إنّه كان يقضي حوآئجهم بعد رعاية هذه الإضافات كلّها، وذلك هو الّذي أخبر التّنزيل عنهم أنّهم عبدة الكواكب والأوثان... فكان كلّ صنم معمول على صورة كوكب وشكله هيئته نائب منابه وقائم مقامه.

فأصحاب الهيا كلّ هم عبدة الكواكب إذ قالوا بإلهيّتها، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان الّتي نحتوها بأيديهم من أحجار وأخشاب... إذ سمّوها آلهة في مقابلة الآلهة السّماوية، وكانوا يزعمونها آلهة في الأرض تمثل آلهة السّمآء: «مانعبدهم إلّا ليقرّبونا إلى الله زلفى» الزّمر:٣) وقالوا: «هؤلآء شفعآؤنا عند الله» يونس: ١٨).

فلمّا جآء الإسلام وأمر برفض الآلهة غير الله جلّ وعلا أصبح عنوان التّوحيد ـ هو الإعتراف باله السّمآء ورفض آلهة الأرض ـ كناية عن الإعتقاد بـالله تعالى إلهاً واحداً لا شريك له ولا نظير ولا مثيل، فإذا قال إنسان: إنّي لا أعبد سوى الإله الّذي في السّمآء اعتبر ـ ذلك اليوم ـ موحّداً بالنّظر إلى هذا المعنى أي بالنّظر إلى جانب سلب القضيّة وهو نفي آلهة الأرض المزعومة، لا إثبات كون الإله في السّمآء مكاناً له بالخصوص.

وقد قال الله عزّوجلّ ـ إشارة إلى هذا المعنى ـ: «وهو الله في السّمآء إله وفي الأرض إله» الزخرف: ٨٤) فهو إله الأرض والسّمآء جميعاً: «هو الله الواحد القهّار» الزمر: ٤).

في كتاب التّوحيد: لمحمّد بن إسحق عن عمران بن خالد بن طليق بن محمّد بن عمران بن حصين قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه: «إنّ قريشاً جآئت إلى الحصين وكانت تعظمه، فقالوا له: كلّم لنا هذا الرّجل ـ يعنون محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فإنّه يذكر آلهتنا ويسبّهم فجآؤوا معه حتّى جلسوا قريباً من باب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ودخل الحصين، فلمّا رآه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أو سعوا للشّيخ ـ وعمران وأصحابه متوافدون، فقال الحصين: ما هذا الّذي يبلغنا عنك؟ إنّك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك جفنة وخبزاً ـ يريد بسط جوده وكرمه على قريش ـ فقال: يا حصين كم إلهاً تعبد اليوم؟ قال: سبعة، ستّة في الأرض وإله في السّمآء قال: فإذا أصابك الضّرّ من تدعو؟ قال: الّذي في السّمآء قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الّذي في السّمآء، فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فيستجيب لك وحده وتشركهم معه؟!»

الأمر الثّاني: ما تشبّث الأشاعرة المجبّرة من العامّة بقوله سبحانه: «إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار» الزّمر: ٣) على مذهبهم السّخيف تبعاً عن أبي الحسن الأشعري إمامهم فزعموا أنّ القضآء والقدر هو الحتم والإلجآء، ومن ثمّ اسندوا أفعال العباد وعقآئدهم من الكفر والإيمان من الحقّ والباطل، ومن الخير والشّرّ... كلّها إلى الله

سبحانه، وأنّه الفاعل لها حقيقة، وإن كان المباشر لها في الظّاهر هم العباد أنفسهم، حتّى استسلمت قيادة الأشاعرة ـ بكلّ جرأة وصراحة ـ لهذه العقيدة المنافية للفطرة ولتعاليم الإسلام النّزيهة إذ قال الفخر الرّازي:

في كتاب المباحث المشرقيّة (الفصل الخامس من المجلد الثّاني: ص ٥١٦-٥١٧) مالفظه: «إنّ أفعال العباد بقضاء الله تعالى وقدره وإنّ الإنسان مضطرّ في اختياره وإنّه ليس في الوجود إلّا الجبر» وقد بالغ في ذلك حتّى قال بشأن سورة «الأنعام» إنّ هذه السّورة من أوّلها إلى آخرها تدلّ على صحّة قولنا ومذهبنا (في الجبر) راجع (التّفسير الكبير: ج ١٣ ص ٢٢٧).

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قال في قوله تعالى: «إنّ الله لايهدي من هو كاذب كفّار»: أي من سبق له القضآء بالكفر لم يهتد أي للدّين الّذي ارتضاه وهو دين الإسلام».

أقول: وقد سبق منّا في هذا التّفسير أنّ الهداية على ثلاثة أقسام: هدايةٌ تكوينيّة عامّة وهداية تشريعيّة عامّة، وهداية تكوينيّة خاصّة، عناية خاصّة ربّانيّة خصّ الله تعالى بها بعض عباده ممّن وفقهم وسدّدهم نحو الصّواب وفق إقتضآء حكمته ولطفه.

وبعبارة أخرى: إنّ الهداية على خمسة أنحآء:

الاولى: هداية فطرية مرتكزة في جبلّة الأشيآء أعدّها الله تعالى في طبيعة كلّ شيء وهى تسير بطبعها نحو الكمال، وتهتدي بنفسها إلى طرق الإستكمال، إنساناً كان أم حيواناً، نباتاً كان أو جماداً إذما من موجود في نظام الكون ونواميس الوجود إلّا وهو يهتدي ـ إهتداءً ذاتياً ـ إلى طرق الصّلاح والفساد ممّا يتلآئم طبعه، فيسعى في جلبه أويتنافر طبعه، فيقوم في وجهه بدافع من فطرته الّتي فطره الله جلّ وعلا عليها: «ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى» طه: ٥٠).

الثّانية: هداية خاصّة تكوينيّة فانّ الله تعالى قد أفاض على الإنسان العقل وركب فيه قدرة تفكيرية يستطيع بها التغلّب على قوى الأرض والسّمآء وتسخيرها في سبيل منافعه، كما استخدم ما أمكنه من حيوان ونبات وجماد، وسآئر ما في الوجود من قوى

وطاقات في سبيل تحضره والصّعود على مدارج الكمال الإنساني، وبهذه المقدرة العقليّة يستطيع الإنسان أن يميّز الحقّ من الباطل، الخير من الشرّ. كما ميّز بين المنافع والمضار والصّلاح والفساد مالم يغلبه هواه ولم يستسلم لقيادة النّفس الأمّارة بالسّوء.

قال الله عزّوجلّ: «ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين» البلد: ٨ـ١٠) ومن ثمّ وردت روايات مستفيضة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: إنّ العقل رسول باطنيّ. وإنّما جآء الأنبيآء عليهم السّلام إلى البشرية ليؤيّدوا ما هداهم إليه نور العقل، وهو حجّة الله ودليله المتركّب في صميم الإنسان، ولولاه لم ينفع هدى رسول ولا إرشاد نبيّ.

الثّالثة: هداية تشريعية عامّة وهى نصب الدّلآئل وإرسال الرّسل وإنزال الكتب والشّرائع، وهى هداية خارجيّة تؤيّد تلك الهداية الباطنيّة، هاتان الهدايتان شاملة لكافّة النّاس على مختلف الامم والطّوآئف...

قال الله تعالى: «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً ـ بحسن إختياره الإجابة والعمل ـ أو كفوراً ـ بسوء اختياره الإعراض والطّغيان» الإنسان: ٣).

الرّابعة: توفيق رحمانيّ وتأييد إلهيّ، وتسديد للخطى نحو الصّواب، منحة إلهيّة خاصّة للّذين سعوا في سبيل الهدى: «الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اولئك الّذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب» الزّمر: ١٨) و«الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» العنكبوت: ٦٩) فهذه العناية الخاصّة يختص بها المؤمنون حقاً المتنوّرون بنور العقل، السّآئرون على هدى الرّسل بسلام.

وأمّا المتعاكسون لهدى الفطرة الّذين ما استجابوا لدعوة الله تعالى فقد حرموا على أنفسهم سعادة هذا الإهتداء الرّحماني فعموا وصموا: «إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار» الزّمر: ٣).

والهداية الرّابعة هى الّتي يمنحها الله تعالى من يشآء من عباده الّذين جاهدوا في سبيله، وحاولوا البلوغ إلى كمال الإهتدآء سيراً حثيثاً من مرحلة «علم

اليقين» إلى مرحلة «عين اليقين» ومَن جدّ وجد: «الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى يهدي به من يشآء» الزّمر: ٢٣).

وهذه الهداية هي الّتي يمنعها الله عزّوجلّ عن الّذين أعرضوا عن ذكر الله تعالى: «وإذا ذكر الله وحده اشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزّمر: ٤٥).

وبذلك تفسر مشيئته تعالى المتعلّقة بهداية من يشآء وإضلال من يشآء: «ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضلّ» الزّمر: ٣٦-٣٧) فيخذل من أعرض عن ذكر واصرّ على العناد والإستكبار، ويهدى من سعى إلى ذكر الله تعالى واهتدى بهداه إذ ليست مشيئته عزّوجلّ اعتباطاً متنافياً لمقام حكمته عزّوجلّ «لا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزّمر: ٧).

الخامسة: قدرة إيمانيّة عاصمة عن الخطل والزّلل، وعن الخطاء والإنحراف، هى عصمة ربّانيّة تتحلّي بها نفوس قدسيّة من عباد الله المصطفين الأخيار: «أليس الله بكاف عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه» الزّمر: ٣٦) وهذه العصمة خاصّة بالأنبيآء والمرسلين والأئمة الأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين الّذين جعلهم قادة للنّاس كافّة فعليهم أن يقتدوا بهم: «اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده» الأنعام : ٩٠) وبذلك يظهر فساد مذهب الأشاعرة المجبرة من العامّة.

الأمر الثّالث: إنّ قوله تعالى: «إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزّمر: ٧) يبطل مذهب أهل السّنّة وخاصّة الأشاعرة المجبرة منهم:

في تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: في قوله تعالى: «إن تكفروا فإنّ الله غنيّ عنكم...» الآية قال: «وقيل: لا يرضى الكفر وإن أراده، فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبّه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عزّوجلّ خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرّضا وهذا مذهب أهل

السّـنّة» انتهى كلامه.

وفي تفسير الكبير: قال الفخر الرّازي في الآية الكريمة: «إنّ المراد من العباد المؤمنين بمعنى لا يرضى للمؤمنين الكفر، بل يرضى لهم الايمان، ثمّ قال: إنّا نقول: الكفر بارادة الله ولا نقول: إنّه برضآء الله لأنّ الرّضا عبارة عن المدح عليه والثّنآء بفعله ثمّ قال: يمكن أن يكون الرّضا بمعنى الإرادة إلّا أنّ قوله تعالى: «ولا يرضى لعباده الكفر» عامّ فتخصيصه بالآيات الدّالّة على أنه يريد الكفر من الكافر».

أقول: ولم يذكر الفخر آية من الآيات الدّالّة على زعمه ـ على أنّ الله سبحانه يريد الكفر من الكافر.

وفي تفسير النّيسابورى: قال: «قالت المعتزلة في قوله: «ولا يرضى لعباده الكفر» دليل على أنّ الكفر ليس بقضآئه وإلّا لكان راضياً به. وأجاب الأشاعرة بأنّه قد علم من اصطلاح القرآن العباد المضاف، إلى الله أو إلى ضميره هم المؤمنون قال: «وعباد الرّحمن الّذين يمشون» «عيناً يشرب بها عباد الله» فمعنى الآية: «ولا يرضى لعباده ـ المخلصين ـ الكفر» وهذا ممّا لا نزاع فيه أو نقول: سلمنا أنّ كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى أنّه لا يمدحه عليه ولا يترك اللّوم والإعتراض إلّا أنّا ندعى أنّه بارادته».

أقول: ـ قبل الخوض في ردّ مذهب العامّة السّخيف ـ إنّه ليس من إصطلاح القرآن الكريم أنّ العباد المضاف إلى الله تعالى أو إلى ضميره هم المؤمنون لقوله تعالى: «ويوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلآء أم هم ضلّوا السّبيل ـ وكفى به بذنوب عباده خبيراً» الفرقان: ١٧و٥٨) وقوله تعالى حكاية عن إبليس: «وقال لأتّخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولا ضلّنّهم ولا منيّنّهم...» النّسآء: ١١٨-١١٩) وغيرها من الآيات القرآنيّة...

واعلم أنّ النّقل الصّحيح والعقل السّليم يتّفقان على أنّ الله عزّوجلّ يريد من عباده الطّاعات ويكره منهم المعاصي تشريعاً، وهم مختارون في الفعل والتّرك، وهذا مذهب الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة شيعة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات

الله عليهم أجمعين.

وقد خالفت الأشاعرة المجبرة من العامّة مقتضى العقل والنّقل إذ زعموا أنّ الله سبحانه يريد كلّ مايقع في الوجود سوآء كان طاعة أم معصية، إيماناً أو كفراً، وسوآء أمر به أم نهى عنه، فجعلوا المعاصي كلّها: صغيرها وكبيرها الواقعة في الوجود من الشّرك والطّغيان من الكفر والعصيان، ومن الظّلم والعدوان وما إليها من أنواع الشّرور والآثام مرادة لله سبحانه، وأنّه تعالى راض بها، حتّى ذهبوا إلى أنّ الله سبحانه يحبّ المعاصي، ويكره ولا يريد كلّ الطّاعات الّتي لم تصدر عن الكفّار، وإلى أنّ الله تعالى أمر بما لا يريد، ونهى عمّا لايكره، وإلى أنّ الكافر فعل في كفره ماهو مراد لله تعالى، وترك ماكره الله تعالى من الإيمان والطّاعة منه، وإلى أنّ الله سبحانه مريد لجميع الكآئنات غير مريد لا يكون، فكلّ كآئن سوآء كان طاعة أو معصية مراد لله تعالى، وكلّ ماليس بكآئن طاعة أو إيماناً ليس بمراد، فيستند الكلّ إلى الله تعالى فانّه خالق الأشيآء كلّها، وخالق الشّيء بلا إكراه مريد له بالضرورة، وقالوا: أراد الله من الكافر أن يسبّه ويعصيه وأختار ذلك وكره أن يمدحه، ويحبّ أن يمدح الإنسان الشّيطان ويطيعه، ويحبّ سبحانه وجود الفساد والفواحش، ورضى وجود الكفر والآثام... وذهبوا إلى أن لا فاعل ولا مؤثّر في الوجود إلّا هو، وأنّ ذوات العباد كالآت لأفعال الله، فأفعال العباد هى أفعال الله تعالى من غير فرق إلّا بالآليّة نحوها كالفأس بيد النّجار، والمقراض بيد الخيّاط، والقلم بيد الكاتب... فلم يفهموا المقامات، وخلطوا بين الإطلاق والتّقييد، ومن جهة الإطلاق قال الله تعالى: «قل كلّ من عند الله فمال هؤلآء القوم لايكادون يفقهون حديثاً» النّسآء: ٧٨) ومن جهة التّقييد قال: «وما أصابك من سيئة فمن نفسك» النّسآء: ٧٩).

وهؤلآء السّفهآء من العامّة لم يتميّزوا بين مقام التّشبيه والتّنزيه ولا بين الإطلاق والتّقييد، فهم أبنآء الشّيطان إذ نسب غوايته إلى الله سبحانه: «قال فبما أغويتني» الإعراف: ١٦) وشيعة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين هم بنوآدم

إذ نسب هو وزوجته حوآء فعلهما إلى أنفسهما: «قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين» الأعراف:٢٣).

أقول: وقد أجاب عنه عدّة من محقّقي الشّيعة رضوان الله تعالى عليهم:

في تفسير التّبيان: قال الشّيخ قدّس سرّه في قوله تعالى: «ولا يرضى لعباده الكفر»: «وفي ذلك دلالة على أنّ الكفر ليس من فعل الله، ولا بارادته لأنّه لو كان مريداً له لكان راضياً به، لأنّ الرّضا هو الإرادة إذا وقعت على وجهه».

وفي المجمع: قال في الآية الكريمة: «وفي هذا أوضح دلالة على أنّه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنّه لو أراده لوجب متى وقع أن يكون راضياً به لعبده لأنّ الرّضا بالفعل ليس إلّا ماذكرناه ألاترى أنّه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئاً ويقع منه على مانريده فلانكون راضين به أو أن نرضى شيئاً ولم نرده شيئاً».

أقول: ومن البداهة أنّ الأمور الممكنة إنّما يفعلها القادر المختار أو يتركها بإرادة منه لأنّ الممكن لا يترجّح أحد طرفيه إلّا بمرجّح وهو الإرادة، فيكون العدم على طبع الوجود مقدوراً ومستنداً إلى الإرادة، ولذا اسند الله جلّ وعلا العدم المسبوق بالوجود إلى إرادته إذ قال: «وإذا أردنا أن نهلك قرية» الإسراء:١٦) فإنّ إهلاك القرية عبارة عن إماتة أهلها بسبب العذاب، والموت عدم الحياة، ولا ريب أنّ الإرادة تتوقّف على امور:

منها: تصوّر المراد.

ومنها: الرّضا به سوآء كان وجوداً أو عدماً، وسوآء حكماً كان أم غيره، فانّ من يريد شيئاً لا بدّ أن يرضى به بالضّرورة.

ومنها: الرّضا بمتعلّق المراد على وجه التّعيين له أو التّرجيح له أو التّساوي كما في متعلّق التّكاليف، فإنّ الحاكم إذا كلّف بنحو الوجوب لابدّ أن يرضى بوجود الواجب على وجه التّعيين له بحيث يكون كارهاً لنقيضه، ومثله الحرمة بالنّسبة إلى الرّضا بالتّرك والكراهة لنقيضه، وإذا كلّف بنحو النّدب لزم أن يرضى بالوجود على وجه الرّجحان، ومثله الكراهة بالنّسبة إلى الرّضا بالتّرك ، وإذا حكم على وجه

الإباحة لزم أن يرضى بالوجود والعدم بنحو التّساوي، نعم إذا كان التّكليف امتحانياً فلم تتوقف إرادته إلّا على الرّضا بأصل التّكليف لا بمتعلّقه.

فإذا عرفت هذا فنقول: لمّا كانت أفعال العباد عند الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة غير مخلوقة لله جلّ وعلا لم تكن له إلّا إرادة تشريعيّة أي إرادة للاحكام فلم يكن لله سبحانه رضا بما يريده العبادويفعلونه من الكفر والعصيان، ولا كراهة لما يتركونه من الإيمان والطّاعة، بخلافه على مختار الأشاعرة من أنّ أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه، فإنّه يلزم أن يكون الله تعالى مريداً للكفر والمعاصي الواقعة راضياً بها، ومريداً لعدم الطّاعات المتروكة كارهاً لها، لأنّ فعله للمعاصي يتوقّف على إرادتها المتوقفة على الرّضا بها، وتركه للطّاعات يتوقّف على إرادة التّرك المتوقّفة على الرّضا به وكراهته الفعل كما سبق.

ويلزم أنْ يكون الله سبحانه آمراً بما يريد عدمه، ويكرهه ولا يرضى به، وهو الّذي لم يخلقه من الطّاعات وناهياً عمّا أراده ورضى به وهو الّذي خلقه من المعاصي، بل يلزم اجتماع الضّديّن الرّضا والكراهة فيما أمر به وتركه لأنّ أمره دليل الرّضا وتركه دليل الكراهة، وكذا يجتمعان فيها نهى عنه وفعله لأنّ نهيه مستلزم للكراهة، وفعله مستلزم للرّضا، وهذا الّذي قلناه لا يبتنى على أن تكون الإرادة بمعنى الرّضا كما تخيّله الخصم، بل هو مبنىّ على توقّف الإرادة على الرّضا كما بيّناه.

ومن غير مرآء أنّ الآيات القرآنية تسند الكفر والإيمان، والطّاعة والعصيان إلى الإنسان وإختياره، إن شآء فليؤمن وإن شآء فليكفر، وقد أرجعت تبعات أعماله إلى نفسه بالذات من خير أو شرّ، ومن صلاح أو فساد... فكيف هذا الكلام لو كان الله سبحانه هو خلق فيه الكفر والمعاصي؟

الأمر الرّابع: انّ من أعلام محقّقي الشّيعة الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة إستدلوا بقوله جلّ وعلا: «أمّن هو قانت آنآء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربّه قل هل يستوى الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب» الزّمر: ٩) على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب وخلافته بعد رسول الله صلّى الله عيه

وآله وسلّم من دون فصل، لإتفاق العامّة والخاصّة على نزول الآية الكريمة في الإمام علي عليه السّلام وأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم معيار العلم والعمل، فما كان أحد من كبار الصّحابة كسلمان وأبي ذر والمقداد و عمّار ياسر أن يقاس به فضلاً عن غيرهم.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من هذه الامّة أحد ولا يسوّى بهم مَن جرت نعمتهم عليه أبداً هم أساس الدّين وعماد اليقين إليهم يفيئ الغالي وبهم يلحق التّالي، ولهم خصآئص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة».

وفيه: قال الإمام علي عليه السّلام: «فأين يُتاهُ بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ وأعلام الدّين وألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش».

وفي كتاب متشابه القرآن لابن شهرآشوب السّروي المازندراني رضوان الله تعالى عليه قال في قوله تعالى: «قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون» وقوله: «إنّما يخشى الله من عباده العلمآء»: يدلان على أنّ الإمام لابدّ من كونه أعلم من رعيته بأحكام الشّريعة، وبوجوه السّياسة والتّدبير لكونه إماماً فيها، وقد علمنا قبح تقليد الجاهل مالا يعلمه، وجعله إماماً في شيء يفتقر فيه إلى رعيّته».

الأمر الخامس: إنّ العامّة قد ذهبوا إلى أنّ المعاصي صغيرها وكبيرها لا تضرّ بالإيمان

في تفسير النيشابورى: في قوله تعالى: «قل يا عباد الّذين آمنوا اتقوا ربّكم» الزّمر: ١٠) قال: «قال أهل السّنّة: أمر (الله تعالى) المؤمنين أن يضمّوا إلى الإيمان التّقوى وفيه دلالة على أنّ الإيمان يبقى مع المعصية».

أقول: وفساد هذا المذهب وسخافته ظاهر لمن له طيب الولادة، وأدنى مسكة وتدبّر، وقد ثبت عقلاً ونقلاً: أنّ العمل ـ فعلاً ـ من الفرآئض والطّاعات و ـ تركاً ـ من الكبآئر والمحرّمات داخل في حقيقة الإيمان، وسيأتي البحث تفصيلاً حول الإيمان

إن شآء الله تعالى في تفسير سورة «العصر» فانتظر.

الأمر السّادس: أنّ في قوله عزّوجلّ: «الله نزّل أحسن الحديث...» الزّمر:٢٣) ردّاً على مذهب العامّة إذ ذهبوا إلى أنّ القرآن الكريم قديم.

في نظرية التّكليف للدّكتور عبد الكريم عثمان مالفظه: «كان محصّل كلام إبن حنبل: أنّ القرآن المسموع المقروء المكوّن من ألفاظ وحروف قديم، وهو كلام الله وإلى ذلك يذهب إبن تيميّة، وصرّح إبن كلاب بأنّ القرآن كلام الله وهو قديم» وقالت الأشاعرة بقدم القرآن، وبأنّ الكلام على قسمين: لفظيّ ونفسيّ، وأنّ كلام الله النّفسي قآئم بذاته، وقديم بقدمه وهو إحدى صفاته الذّاتية.

أقول: إنّ الآية الكريمة تردّ هذا المذهب السّخيف، وتدلّ على كون القرآن المجيد حادثاً فإنّ الشّيء إمّا أن يكون حادثاً أو قديماً، وليس مرتبة بين الحادث والقديم، وتدلّ على أنّ القرآن مخلوق محدث معقول لم يكن ثمّ كان، وقد أحدثه الله جلّ وعلا بحسب مصالح عباده وهو قادر على أمثاله، ويوصف بأنّه مخبر به وناقل وآمر وناه من حيث فعله، وأنّ التّكلّم من الصّفات الفعليّة، وينحصر الكلام في اللّفظي.

إن حدوث القرآن الكريم هو مذهب شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

في الإحتجاج: عن صفوان بن يحيى قال: سئلني أبو قرّة المحدث صاحب شبرمة أن أدخله على أبي الحسن الرّضا عليه السّلام فاستأذنه، فأذن له، فدخل فسئله عن أشيآء من الحلال والحرام والفرآئض والأحكام، حتّى بلغ سؤاله إلى التّوحيد فقال له: «أخبرني ـ جعلني الله فداك ـ عن كلام الله لموسى؟ فقال: الله أعلم بأيّ لسان كلّمه بالسّريانية أم بالعبرانية. فأخذ أبو قرة بلسانه، فقال: إنّما أسئلك عن هذا اللسان! فقال أبو الحسن عليه السّلام: سبحان الله عمّا تقول! ومعاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلّم بمثل ما هم به متكلّمون، ولكنّه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، ولا كمثله قآئل ولا فاعل. قال: كيف ذلك؟

قال: كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان

ولكن يقول له: «كن» فكان بمشيّته: ماخاطب به موسى عليه السّلام من الأمر والنّهي من غير تردّد في نفس.

فقال أبو قرة: فما تقول في الكتب؟

فقال أبوالحسن عليه السّلام: التّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، وكلّ كتاب أنزل كان كلام الله، أنزله للعالمين نوراً وهدى، وهي كلّها محدثة، وهي غير الله حيث يقول: «أو يحدث لهم ذكراً» طه:١١٣) وقال: «مايأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلّا استمعوه وهم يلعبون» الأنبيآء: ٢) والله أحدث الكتب كلّها الّتي أنزلها.

فقال أبو قرّة: فهل تغني؟

فقال أبوالحسن: أجمع المسلمون على أنّ ماسوى الله فانٍ، وماسوى الله فعل الله والتّوراة والإنجيل والزّبور والفرقان فعل الله، ألم تسمع النّاس يقولون: «ربّ القرآن» وإنّ القرآن يقول يوم القيامة: «يا ربّ هذا فلان ـ وهو أعرف به منه ـ قد أظمأت نهاره، وأسهرت ليله فشفعني فيه» وكذلك التّوراة والإنجيل والزّبور، وهي كلّها محدثة، مربوبة، أحدثها من ليس كمثله شيء، هدى لقوم يعقلون، فمن زعم أنّهنّ لم يزلن معه فقد أظهر: أنّ الله ليس بأوّل قديم، ولا واحد، وأنّ الكلام لم يزل معه، وليس له بدؤ وليس باله.

قال أبوقرّة: وانا روينا: أنّ الكتب كلّها تجئ يوم القيامة، والنّاس في صعيد واحد، صفوف قيام لربّ العالمين ينظرون حتّى ترجع فيه، لأنّها منه وهى جزء منه، فإليه تصير.

قال أبوالحسن عليه السّلام: فهكذا قالت النّصارى في المسيح: إنّه روحه، جزء منه، ويرجع فيه، وكذلك قالت المجوس ـ في النّار والشّمس ـ: إنّهما جزء منه، ترجع فيه تعالى ربّنا أن يكون متجزّياً أو مختلفاً، وإنّما يختلف ويأتلف المتجزّي لأنّ كلّ متجزي متوهّم، والكثرة والقلّة مخلوقة دالة على خالق خلقها...» الحديث

الأمر السّابع: إنّ الأشاعرة المجبرة من العامّة قد تشبّثوا بقوله سبحانه: «ومن

يضلل الله فماله من هاد» الزمر:٢٣) ونسبوا الإغواء إلى الله سبحانه تبعاً لقائدهم إبليس إذ نسب الإغوآء إلى الله سبحانه: «قال ربّ بما أغويتني لأُزيّننّ لهم في الأرض ولاغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» الحجر:٣٩-٤٠) و«قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم» الأعراف:١٦) فأسندوا كفر الكافر إلى الله سبحانه فلايستطيع الإهتدآء إلى الإسلام، وقالوا: إنّ الله قد أضلّ كثيراً من عباده عن الدّين ولبس عليهم وأغواهم، وقالوا: إنّه يجوز أن يرسل رسولاً إلى قوم، ولا يأمرهم إلّا بسبّه ومدح إبليس، فيكون من سبّ الله تعالى ومدح الشّيطان واعتقد التّثليث والإلحاد وأنواع الشّرك وأنحاء المعاصي والآثام مستحقّاً للثّواب والتّعظيم، ويكون من مدح الله تعالى طول عمره وعبده بمقتضي أو امره وذمّ إبليس دآئماً وخالفه في العذاب المخلّد واللّعن المؤبّد، وجوّزوا أن يكون فيمن سلف من الأنبيآء ممّن لم يبلغنا خبره من لم تكن شريعته إلّا هذا، وقالوا: إنّ خالق كلّ شئ، ولا يجرى في ملكه إلّا ما يشآء.

وهذه الجملة الأخيرةمن كلام أبي إسحق الإسفراني الشّافعي عند مادخل القاضي عبد الجبّار المعتزلي دار الصّاحب بن عبّاد، فرأى أباإسحق جالساً، فقال: سبحان من تنزّه عن الفحشآء تعريضاً بأبي إسحق بأنّه من الأشاعرة الّذين ينسبون الفحشآء إلى الله سبحانه، فقال أبوإسحق: سبحان من لا يجري في ملكه إلّا مايشآء. وحاصله: أنّ كلّ مايجري في ملكه من أنحآء الشّرك والفواحش، والكفر والفجور، وأنواع الإلحاد والكذب، والظّلم والغواية وما إليها كلّها إنّما هو باشآئته ومن فعله! فياليت شعرى كيف يصلح مع هذا الزّعم الباطل أن يسبّحه وينزهه. وقد ذهبت الإماميّة الإثنى عشرية الحقّة شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين عقلاً ونقلاً إلى أنّ الله تعالى ماأضلّ أحداً من عباده عن الدّين ولم يرسل إليهم رسولاً إلّا بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم ينسبون الأفعال الشنيعة والأحوال الفضيعة إلى سوء اختيار العباد، وينزّهون الله جلّ وعلا عنها، وأنّهم إنّما يرون أنّ الله تعالى قد أقدرهم على أفعالهم من دون حاجة منه إليهم، ففعلوها بتمكينه لهم من

دون إكراه ولا إجبار في الفعل والتّرك ، ولا خلق الكفر والضّلالة، ولا الإيمان والهداية فيهم، بل خلقهم مستعدّين للإيمان والكفر وللهداية والضّلالة إذ قال: «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها» الشّمس:٧-١٠) وقال: «إنّا هديناه السّبيل إما شاكراً وإمّا كفوراً» الإنسان: ٣) وقال: «وقل الحقّ من ربّكم فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر» الكهف: ٢٩).

وقد خلق الله تعالى الإنسان مختاراً في عمله، وأمّا المراد بالإضلال في قوله تعالى: «ومن يضلل الله فماله من هاد» الزّمر: ٢٣) فهو الخذلان والحرمان، كما أنّ المراد بالهداية في قوله عزّوجلّ: «ذلك هدى الله يهدي به من يشآء» الزّمر: ٢٣) هو التّوفيق الإلهي والعناية الرّبّانيّة ينعم بها مَن جاهد في سبيله كما قال عليه السّلام: «تطاع بتوفيقك وتجحد بخذ لانك» فإنّ الإنسان إذا سعى في فعل الخير كان محلاً للتّوفيق، وإذا أصرّ على الشّرّ كان أهلاً للخذلان والحرمان، وآل أمره إلى الكفر والنّفاق كما قال تعالى: «وتولّوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم» التّوبة: ٧٦-٧٧).

وقال: «ثمّ كان عاقبة الّذين أسآؤا السّوأىٰ أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن» الرّوم: ١٠).

فلو كان المراد بالإضلال والهداية خلقهما في الإنسان لا استعداده لهما لاستلزم إبطال الثّواب والعقاب، ونفي القسط والعدل، ونفي فائدة الرّسل وإنزال الكتب، ولغو الأوامر والنّواهي ... إذ لا يحسن لمن ينهى عن شيء أن يفعله، ولذا قال شعيب النّبيّ عليه السّلام: «وما اريد أن اخالفكم إلى ما أنهاكم عنه» هود: ٨٨).

وقال الشّاعر:

لا تنه عن خُلق وتأتي مثله عارعليك إذا فعلت عظيم

وقد قال الله تعالى: «إنّ علينا للهدى» اللّيل: ١٢) ومَن عليه الهدى كيف يتركه ويخلق الضّلال؟

وقال: «وأمّا ثمودفهديناهم فاستحبّوا العمىٰ على الهدىٰ» فصّلت: ١٧).

إنّ الآيات القرآنيّة وروايات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في المقام كثيرة جدّاً لا نستطيع باحصآئها ونحن على جناح الإختصار.

وأما تجويزهم أن يرسل الله سبحانه رسولاً إلى قوم، ولا يأمرهم إلّا بسبّه تعالى، ومدح إبليس، وما إلى ذلك من أراجيف العامّة وأباطيلهم فذلك دليل واضح وبرهان قاطع على عدم معرفتهم بالله تعالى وأنّهم ماقدروه حقّ قدره كأسلافهم، ولوجوزت أشباه تلك الأراجيف على أحد منهم لعدّوها من أكبر النّقص عليه والذّنب، فكيف تجوز في حقّ الملك الحقّ المبين الجامع لصفات الكمال والجلال!

الأمر الثّامن: إنّ الله تعالى قد أشار بقوله: «فمن أظلم ممّن كذّب على الله وكذّب بالصّدق» الزّمر: ٣٢) على ما ورد من أعلام العامّة وحملة أسفارهم سبق ذكره في النّزول، وفي البحث روائي إلى ردّ المعاندين الأوّلين قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في إمامة عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وخلافته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من دون فصل، لأنّ الإمامة هى الّتي ردّها من أعظم الظّلم على البشريّة، وفي عرض الكذب على الله جلّ وعلا، فإنّ الرّدّ لسآئر فضله ليس كذلك، على أنّه لواريد فهو دليل أفضليته إذ ليس مثله أحد من الأمّة يكون الرّدّ لفضائله كذلك، والأفضل لاسيّما بهذا الفضل المكشوف عنه بمثل ذلك أعظم الامّة وأحقّها بالإمامة والخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد كان هذا الرّدّ منشأ لانحطاط المسلمين والفرقة بينهم، واستيلاء الكفّار عليهم حتّى اليوم.

الأمر التّاسع: إنّه قد سبق منّا في النّزول والبحث الرّوائي ماورد عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وعن طريق العامّة: أنّ قوله تعالى: «والّذي جآء بالصّدق وصدّق به» الزّمر: ٣٣) هو عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فيكون الجميع متّحداً في المراد، وأنّ المقصود بثاني الوصفين أميرالمؤمنين عليّ عليه السّلام وهذا يدلّ على إمامته عليه السّلام لأنّ ذكره خاصّة بالتّصديق مع كثرة المصدّقين تنبيه على أنّه عليه السّلام محور في التّصديق، وأنّه الصّدّيق الأكبر، ولا ريب أنّ المحور في تصديق

الوحي والرّسالة هو المحور في جميع الفضائل وله حقّ الولاية والإمامة دون غيره.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين علـيّ بن أبيطالب عليه السّلام: «فاذا حُكِمَ بالصّدق في كتاب الله فنحن أحقّ النّاس به، وإن حُكِمَ بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنحن أولاهم به».

ومن البداهة أنّ محور التّصديق هو أرعى لـمّاصدّق به، وأمسّ في حفظ الدّين والحوزة، على أنّ الله جلّ وعلا قد شهد لمن جآء بالصّدق ولمن صدّق به بالتّقوى على الإطلاق إذ قال في ذيل الآية الكريمة: «اولئك هم المتّقون» الزمر: ۳۳) على سبيل التّوكيد بضمير الفصل، وهو يقتضي العصمة، ولا معصوم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم غير عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بالإجماع فيكون هو الإمام لإشتراط العصمة في الإمام.

في نهج البلاغة: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «وإنّ معي لبصيرتي مالبّستُ على نفسي، ولا لُبِّسَ عَلَيَّ».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «أيّها النّاس! إنّي والله ماأحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها».

وفيه: قال الإمام عليّ عليه السّلام: «فو الّذي لا إله إلّا هو إنّي لعلى جادّة الحقّ وإنّهم لعلى مزلّة الباطل».

ولا ينافي دلالة ذيل الآية الكريمة على العصمة قوله تعالى في الآية التّالية: «ليكفّر الله عنهم أسوأ الّذي عملوا...» الزّمر: ۳۵) إذ ليس المراد بأسوإ الّذي عملوا هو المحرّمات والمعاصي لعصمة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قطعاً، بل المراد أسوأه عند قومهم المعاندين، فإنّ الله عزّوجلّ يكفّره أي يغطّيه عنهم بنصرهم على الكافرين، وإحسانهم إليهم وإظهار شرفهم وفضلهم، ولذا قال تعالى في الآية التّاليّة: «أليس الله بكافٍ عبده ويخوّفونك بالّذين من دونه» الزّمر: ۳۶).

ولا ريب لمن له طيب الولادة أنّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام كان أقرب إلى المعرفة والمعرفة من كلّ كبار الصّحابة، بل كان عليه السّلام معياراً لمعرفة الله

تعالى وميزاناً للإيمان والتّقوى، وهو الّذي لم يعبد صنماً قطّ خلافاً لقومه، وقد عبد أبوبكر الأصنام أكثر عمره، وأنّ عليّاً عليه السّلام هو الّذي طهّره الله تعالى من الرّجس، وصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سبع سنين مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين كان أبوبكر يعبد الأوثان...

ولا منافاة بين الصّغر والمعرفة والكمال، ولو كانت لما دعاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الإسلام وهو صبيّ، ولمّا جعله خليفته و وزيره عند ماجمع عشيرته الأقربين في أوّل البعثة، كيف وقد جعل الله تعالى يحيى بن زكريا عليهما السّلام نبيّاً وآتاه الحكم صبياً: «يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبيّاً» مريم: ١٢) وكذلك عيسى بن مريم عليهما السّلام: «قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً قال أنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً» مريم: ٢٩-٣٠).

وقد كان عليّ بن أبيطالب عليه السّلام أخصّ النّاس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأطوعهم له، فشهادة الله تعالى بالتّقوى لمن صدّق بالصّدق تدلّ على عصمته، ولا معصوم غير عليّ عليه السّلام بالإجماع فتتعيّن إرادته عليه السّلام بالآية الكريمة، ولا يرتاب في ذلك ولا يتذبذب إلّا من كان خبيث الولادة، ولا نتوقّع منه غير الإرتياب والوسوسة، هو وشأنه.

الأمر العاشر: أنّ قوله تعالى: «إنّا أنزلنا عليك الكتاب للنّاس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنّما يضلّ عليها» الزّمر: ٤١) دليل قاطع على أنّ إيمان المؤمنين وما ينشأ عنه من الهدى وصالح الأعمال، وأنّ كفر الكافرين وما ينشأ عنه من الضّلال وإقتراف الآثام إنّما هو من مكتسبات الإنسان وقابليّته الإختيارية الّتي شآء الله تعالى أن يودعها فيه، وردّ على الأشاعرة المجبرة من العامّة تبعة إبليس إذ زعموا أنّ الله سبحانه يريد بإنزاله إضلال الكافرين عن الإيمان، لأنّه لو كان كذلك لم يكن منزلاً على أنّه حقّ وجب النّظر في موجبه ومقتضاه فما رغب فيه وجب العمل به، وما حذر منه وجب إجتنابه، وما صحّحه وجب تصحيحه وما أفسده وجب إفساده، وما دعا إليه فهو الرّشد، وماصرف عنه فهو الضّلال.

الحاديعشر: قال بعض المفسّرين: «وفي قوله: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لا يؤمنون بالآخرة» الزّمر: ٤٥) دليل على فساد قول من يقول: المعارف ضرورة».

أقول: إنّ إشمئزار القلوب وتنفّرها عن المعارف لا يخرجها عن كونها ضرورة، وإلّا لما كانت ضرورة أصلاً إذ ليس في العالم ضرورة ولا معارف إلّا ولها منكر، وعنها متنفّر.

الثّاني عشر: قال بعض المفسّرين في قوله تعالى: «إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً» الزّمر: ٥٣): «وفي ذلك دلالة واضحة على أنّه يجوز أن يغفر الله بلا توبة تفضّلاً منه وبشفاعة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه لم يشرط التّوبة بل أطلقها».

أقول: هذا مردود بالآية التّالية: «وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له» الزّمر: ٥٤) إذ أمر الله تعالى فيها بالإنابة وهى التّوبة من المعاصي والرّجوع إلى الله عزّوجلّ، والقول بتمام الكلام على الآية الاولىٰ، وخطاب التّالية للكفّار غير وجيه جدّاً مع ما في كلامه من التّرغيب في المعاصي، وترك التّوبة، رجآء تفضّله تعالى وشفاعة نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم.

نعم: إنّ السّيّئة مهما بلغت حجماً وعدداً فإنّها تسقط بالتّوبة.

في اصول الكافي: بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «سمعته يقول: التآئب من الذّنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذّنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ» فالنّادم على معصية إذا استغفر الله تعالى وقام بشرآئط الإنابة إلى الله وتاب توبة نصوحاً، غفر الله له جميع ذنوبه، وهذا اجماع من الامّة لصراحة الكتاب وروايات أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

نعم: اختلفت كلمات العلمآء في أنّ التّوبة بذاتها تسقط العقاب أم لمزية ثوابها على عقاب المعصية الّتي ارتكبها؟ كما اختلفت ـ أيضاً ـ في أنّ سقوط العقاب بالتّوبة تفضّل أم ذاتيّ واجب؟

الثّالث عشر: إنّ الآيات الثّلاث: «أن تقول نفس يا حسرتى ـ لو أنّ لي كرّة فأكون من المحسنين» الزّمر:٥٦-٥٨) تدلّ بوضوح على بطلان مذهب الأشاعرة المجبّرة من العامّة: في أنّ الكافر لايقدر على الإيمان لأنّه لو كان إذا ردّ يقدر إلّا على الكفر لم يكن لتمنّيه معنىً.

أقول: ولا يبعد أن يقول أحد: إنّ هذه العقيدة الفاسدة لا يعتقدها علمآؤهم، وإنّما هى من عقآئد عوامهم... ولكن حقيقة الأمر أنّ عوامهم لايقلّدون إلّا علمآئهم، وقد ملئت أسفارهم من تلك الأباطيل... لايسع مقام الإختصار بذكر واحد من المأة فضلاً عن جميعها... هذا هو الفخر الرّازي إمام المشكّكين وقآئد المذبذين وهو من أعاظم المجبّرين ومشاهيرهم يذكر في المسئلة الثّالثة والعشرين من كتاب الأربعين الّذي ألفه لولده العزيز عليه: «أنّه لايخرج شيء إلي الوجود إلاّ بقدرة الله» وفي الرّابعة والعشرين: «أنّه مريد لجميع الكآئنات لأنّ كلّما علم وقوعه فهو مراد الوقوع، وكلّما علم عدمه فهو مراد العدم» قال: «فعلى هذا إيمان أبي جهل مأمور به وغير مراد، كفره منهيّ عنه وهو مراد».

ولقآئل أن يقول للرّازي: لو كان كذا للزم أن يقطع أبوجهل وكلّ كافر حجّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأن يقول: إتباع إرادة الله اولى وأوجب من إتباع إرادتك لأنّ الّذي أرسلك إلينا لايريد منّا الإيمان به وبك، فعلام تحاربنا؟ وبم تجادلنا؟ وإن كان الرّازى يزعم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيضاً لا يريد منهم الإيمان قويت بذلك حجّتهم حيث تبعوا الإرادتين.

ولمّا أعجب الرّازي علمه ـ وما كان إلّا جهلاً ـ تحدّى به العلمآء فبلغ ذلك زاهداً فقال: إنّه لايعرف الله، فجآء إليه وقال: من أين عرفت أنّي لا أعرف الله؟ فقال: لوعرفته حقّ معرفته شغلتك خدمته ومراقبته عن الدّنيا الفانية الّتي تعبدها، فانقطع الرّازى. ومن وقف على وصيّته، عرف أنّ ماصنّفه لم يكسب منه ديناً ولا حصّل منه يقيناً، بل كان في سيره ليلاً ونهاراً كالحمار يحمل أسفاراً...

والواحد الآخر هو الغزّالي يذكر في الإحياء ـ وفي الواقع إماتة العلوم ـ وي منهاج

العابدين ـ حقّاً هو مشباك الشّياطين ـ: «أنّه لا يجري في الملك طرفة عين ولفتة خاطر، ولا فلتة ناظر إلّا بقضآء الله وإرادته ومشيئته من الخير والشّرّ والنّفع والضّرّ، والطّاعة والعصيان، والكفر والإيمان...».

قيل لأبي يعقوب الجبري: مَن خلق المعاصي؟ قال: الله، قيل: فلِمَ يعذّب العاصي عليها؟ قال: لا أدري.

أقول: كان الجبر مذهب المشركين قبل الإسلام، وقد بعث الله عزّوجلّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم والعرب مجبرّة لقوله تعالى فيهم: «سيقول الّذين أشركوا لوشآء الله ماأشركنا ولا آبآئنا ولا حرّمنا من شيء» الانعام: ١٤٨) وقوله: «واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبآئنا والله أمرنا بها قل إنّ الله لايأمر بالفحشآء أتقولون على الله مالا تعلمون» الأعراف: ٢٨).

قال شيعيّ لجبريٍّ: أكان قتل الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمؤمنين بقضآء الله؟ قال: نعم، قال: أفترضون به؟ فسكت.

حكى: أنّ شيخاً جبريّاً سنّيّاً رآى رجلاً يفجر بأهله، فضربها، فقالت: القضآء ساقنا، أتركت السّنّة؟ وأخذت مذهب الصّاحب بن عبّاد الشّيعيّ؟ فتنبّه وألقى السّوط، واعتذر إليها وأكرمها.

قال عمروبن عبيد الشّيعيّ لأبي عمرو بن العلى الجبريّ: مامعنى: «يا حسرتى على مافرّطت في جنب الله» الزّمر: ٥٦)؟ فسكت أبوعمرو.

الرّابع عشر: إنّ الأشاعرة المجبّرة من العامّة قد تشبّثت بقوله سبحانه: «الله خالق كلّ شيء» الزّمر: ٦٢) فذهبت إلى سلب إختيار العباد، وأنّ إرادة الله هي مسيطرة على نظام الكون ونواميس الوجود، فلايقع فعل من الأفعال المختلفة، ولا قول من الأقوال المتضادّة، ولا عقيدة من العقائد المتضاربة إلّا بارادة الله، لا مدخل لإختيار العباد وإرادتهم، بل لا إختيار لهم ولا إرادة.

أقول: ومن البداهة ـ عقلاً ونقلاً ـ أنّه جلّ وعلا جرت سنّته في إيجاد مايريد العباد ايجاده، تحقيقاً لمبدإ الإختيار الّذي منحه لعباده وليصحّ تكليفهم واختبارنيّاتهم... وبعبارة أُخرى: أنّه لايوجد شيء إلّا باذن الله تعالى، لكن الله

عزّوجلّ جعل من سنّته أن توجد الأشيآء عند مايريد العباد إيجادها، فالله تعالى هو الموجد لكن عند إرادة العبد أفعاله الإختيارية، وقد جعل إختيار وجودها رهناً بإختيار العباد، إنّ شآؤا وجدت بإذن الله، وإن لم يشأوا لم توجد، حيث ذلك الإرتباط هو من صنع الله الّذي أتقن كلّ شيء.

فلا منافاة بين الأمرين: إستقلال العبد فيما يحدثه من أفعاله الإختيارية، وكونها لاتحدث ولا تتحقق خارجاً إلاّ بإذن الله تعالى وإيجاده تحقيقاً لقاعدة: «لا مؤثّر في الوجود إلّا الله» ولقوله تعالى: «الله خالق كلّ شيء» الزّمر: ٦٢) وبذلك صحّ القول بأنّ العبادهم يحدثون مايريدون فعله ويتركون مايكرهون وجوده من أفعالهم الإختياريّة، وهذا هو معنى: «لاجبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين».

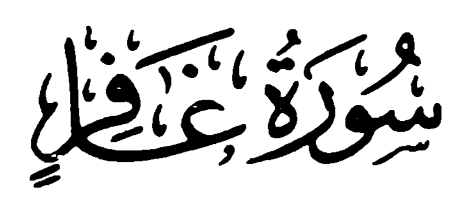
الخامس عشر: انّ بعض المحقّقين قد استدلّ بقوله عزّوجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الزّمر: ٦٥) على صحّة حبط العمل، وهو خروج المؤمن المطيع عن استحقاق المدح والثّواب إلى استحقاق الذّمّ والعقاب بسبب الكفر بعد الإيمان، كما أنّ إبليس لمّا أبى واستكبر ـ بعد أن عبدالله تعالى آلاف سنين ـ حبط عمله وعوقب بكفره وطغيانه من دون إستحقاقه لثواب عبادته السّابقة، وعكس الحبط هو التّكفير، وهو خروج الكافر العاصي عن استحقاق الذّمّ والعقاب إلى استحقاق المدح والثّواب بسبب الإيمان والتّقوى بعد الكفر والطّغيان.

أقول: وما يستفاد من العقل والنّقل: أنّ المؤمن المطيع إذا كفر وطغى زال استحقاق ثوابه، وأنّ الكافر إذا آمن واتّقى زال استحاق عقابه. ثمّ اختلفت الكلمات ـ قديماً وحديثاً ـ في المؤمن إذا فعل مايستحقّ به عقاباً هل يجتمع له استحقاق ثواب واستحقاق عقاب أم لا، فلكلٍ فريق، ولنا في المقام بحث عميق تفصيلاً فراجع.

السّادس عشر: إنّه يستدلّ بقوله عزّوجلّ: «وأشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيئ بالنّبيّين والشّهدآء...» الزّمر: ٦٩) على تجسّم الأعمال يوم القيامة وذلك بنآءً على أنّ المراد من إشراق الأرض بنور ربّها ماهو خاصّة يوم القيامة من إنكشاف الغطآء وظهور الأشيآء بحقآئقها وبدوّ الأعمال من خير أوشر، من طاعة أو

معصية، ومن حقّ أو باطل... للنّاظرين، وإشراق الشّيء هو ظهوره بالنّور ولا ريب أنّ مظهرها يومئذ هو الله جلّ وعلا فإنّ الأسباب ساقطة دونه، فالأشيآء مشرقة بنور مكتسب منه عزّوجلّ، وهذا الإشراق وإن كان عامّاً لكلّ شيء يسعه النّور ولكن لمّا كان الغرض بيان ماللأرض وأهله يومئذ من الشأن خصّها بالبيان فقال: «وأشرقت الأرض بنور ربّها». والله تعالى هو أعلم.

تمّت سورة الزّمر والحمدلله ربّ العالمين
وأفضل صلوات الله وأكمل تحياته على سيّدالأنبيآء والمرسلين
وعلى أهل بيته المعصومين


سورة غافر

سُورَةُ غَافِرٍ

آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ
ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ
إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ
أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ
ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ
ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ
لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾
فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ
عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ

لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ
بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ
بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ
قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ
فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ
عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ
نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ
لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا
فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ
لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ
وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ
مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ

مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ
مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ
أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ
يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ
وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ
وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ
ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ
دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ
وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ
فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾
۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ

لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا
لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾
قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ
بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ

﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ
وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى
ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾
وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ
دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ
فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ
﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ
مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلۡ
إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ
ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ
يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ

شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى
وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا
قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ
مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ
نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ
تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ
مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ
وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ

بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ
لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى
ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ
﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم
مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿فضلها وخواصها﴾

روى **الصّدوق** رحمة الله تعالى عليه في «ثواب الأعمال» بإسناده عن أبي الصّباح عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «من قرأحم المؤمن في كلّ ليلة غفرالله له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر، وألزمه كلمة التّقوىٰ، وجعل الآخرة خيراً له من الدّنيا».

أقول: رواه الطّبرسي في المجمع، وجوامع الجامع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثّقلين، والشّيخ الحرّ العاملي في وسائل الشّيعة، والمجلسي في بحارالأنوار، والدّيلمي في أعلام الدّين، والكفعمي في المصباح، وفي جامع أحاديث الشّيعة ... إلّا أنّ في المجمع: «في كلّ ثلاث» بدل «في كلّ ليلة» وفي الجوامع: «في ليلة ثلاث مرّات» بدل «في كلّ ليلة».

وذلك أنّ من قرأها مؤمناً متدبّراً فيها غفرالله تعالىٰ له وألزمه كلمة التّقوىٰ وجعل الآخرة له خيراً من دنياه من دون ريب وهوجلّ وعلا يقول فيها: «غافر الذّنب وقابل التّوب۔ الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا۔ وذلك هوالفوز العظيم۔ إنّما هذه الحياة الدّنيا وإنّ الآخرة هي دارالقرار۔ ومايستوى الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئ قليلاً ماتتذكّرون» غافر: ٣ و٧ ــ ٩ و٩٣ و٥٨) فاقرأها وتدبّرها واغتنم جدّاً ولاتغفل لتكون آخرتک خيراً من دنياك بدون ترديد.

وفي المجمع: وروى أبوبصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «الحواميم ريحان القرآن، فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها، وإنّ العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج

من فيه أطيب من المسك الأذفرو العنبر، وإنّ الله ليرحم تاليها وقارئها ويرحم جيرانه وأصدقائه ومعارفه، وكلّ حميم أو قريب له، وأنّه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقرّبون».

أقول: ولعمري لايرتاب في صحّة الرّواية ولايوسوس في مضامينها إلّا من كان ضعيف الإيمان أو مريض القلب أو مخدوش الفكر والعقيدة أو من الأجرآء الّذين يصدّون النّاس بوساوسهم عن تلاوة القرآن الكريم وتدبّر آياته ...

وفيه: عن أبيّ بن كعب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبيّ ولا صديق ولا مؤمن إلّا صلّوا عليه واستغفروا له».

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال:

«من قرأ الحواميم في ليلة قبل أن ينام كان في درجة محمّد وآل محمّد وإبراهيم صلوات الله عليها وآل إبراهيم، وكلّ قريب له أو بسبيل إليه، ثمّ قال أبوعبدالله عليه السّلام: الحواميم تأتي يوم القيامة أنثى من أحسن النّاس وجهاً وأطيبه، معها ألف ألف ملك مع كلّ ملك ألف ألف ملك حتّى تقف بين يدي الله عزّوجلّ، فيقول لها الرّبّ: من ذالّذي يقرأك فيقضي قرائتك؟ فيقوم طائفة من النّاس لايحصيهم إلّا الله فيقول لهم: لعمري لقد أحسنتم تلاوة الحواميم فتمّ بها في حياتكم الدّنيا، وعزّتي وجلالي لا تسئلوني اليوم شيئاً كآئنا ماكان إلّا أعطيتكم، ولوسئلتموني جميع جنّاتي أو جميع ماأعطيته عبادي الصّالحين وأعددته لهم، فيسئلونه جميع ما أرادوا وتمنّوا، ثمّ يؤمربهم إلى منازلهم في الجنّة، وقد أعدّلهم فيها مالم يخطر على بال ممّا لاعين رأت ولا أذن سمعت».

أقول: إنّ الحواميم هي السّور السّبع الّتي إبتدئت بـ كلمة «حم»: ١ـ غافر. ٢ـ فصّلت. ٣ـ الشّورىٰ. ٤ـ الزّخرف. ٥ـ الدّخان. ٦ـ الجاثية. ٧ـ الأحقاف. وقد ثبت بالتّجربة أنّ قراءة تلك السّور السّبع في مجلس واحدـ وخاصّة قبل الفجر

وإهدآء ثوابها إلى بضعة المصطفىٰ فاطمة الزّهرآء صلوات الله عليها وأبيها وبعلها وبنيها مؤثّرة عجيبة في حلّ كلّ أمر مشكل، وفي قضآء الحوائج دنيوية كانت أم أخروية ... فاغتنم ولا تغفل.

وفي الدّرالمنثور: عن أنس بن مالك: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «إنّ الله أعطاني السّبع مكان التّوراة، وأعطاني الرّآآت إلى الطّواسين مكان الإنجيل، وأعطاني مابين الطّواسين إلى الحواميم مكان الزّبور، وفضّلني بالحواميم والمفصل، ماقرأ هنّ نبيّ قبلي».

وفيه: عن ابن عبّاس قال: «إنّ لكلّ شيئ لباباً، وإنّ لُباب القرآن الحواميم».

وفيه: عن ابن مسعود قال: «الحواميم ديباج القرآن» ومثله عن أنس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: عن سعدبن ابراهيم قال: «كنّ الحواميم يسمّين العرآئس».

وفيه: وقال الجوهري وأبوعبيدة: وآل حم سور في القرآن. قال ابن مسعود آل حم ديباج القرآن. قال الكميت:

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأوّلها منّا تقيّ ومُعْزِبٌ.

إنّ الآية الّتي أشار إليها الكميت هي قوله: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ» الشّورى: ٢٣) يقول الكميت: من تأوّل هذه الآية لايسعه إلّا التّشيّع لآل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من بني هاشم وإبدآء المودّة وقوله: «تقيّ»: ساكت عنه تقيّةً. ويروى: «تقيّ مُعَرّبٌ» أي مبيّن لما في نفسه.

وفيه: وروي: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لكلّ شيئ ثمرة وإنّ ثمرة القرآن ذوات حم هنّ روضات حسان مخصبات متجاورات، فمن أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليقرأ الحواميم» وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَثَل الحواميم في القرآن كمثل الحجرات في الثياب». **وفيه:** قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «من قرأحم المؤمن إلى «إليه المصير» وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتّى

يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ حتّى يصبح».

وفيه: عن محمّدبن قيس قال: «رأى رجل سبع جوار حسان مزينات في النّوم فقال لمن أنتنّ بارك الله فيكن! فقلت: نحن لمن قرأنا،نحن الحواميم».

وفي نورالثّقلين: وروى أبو برزة الأسلمي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليقرأ الحواميم في صلاة اللّيل».

وفي تفسير فتح القدير: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قال: «الحواميم سبع، وأبواب النّار سبع، تجيئ كلّ حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: أللّهم لا تدخل من هذا الباب إلّا من كان يؤمن بي ويقرؤني».

وفيه: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من قرأ حم المؤمن إلى «إليه المصير» ١ـ ٣) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتّى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتّى يصبح».

وفي قرب الإسناد: ـ في باب شعارالمسلمين ـ بإسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ عليهما السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لسريّة بعثها: ليكون شعاركم: «حم ينصرون» فإنّه إسم من أسماء الله تعالى عظيم.

أقول: لعلّ قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «حم ينصرون» إشارة إلى قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد» غافر: ٥١).

وفي الدّرالمنثور: عن البرآء بن عازب أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنكم تلقون عدوّكم غداً فليكن شعاركم: «حم لاينصرون».

وفيه: عن أنس قال: إنهزم المسلمون بخيبر، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حفنة من تراب حفنها في وجوههم وقال: «حم لاينصرون» فانهزم القوم ومارميناهم بسهم ولا طعن برمح.

وفي تفسير أبي الفتوح رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «الحواميم سبعة وأبواب النّار سبعة: جهنّم والحطمة ولظىٰ وسعير وسقر وهاوية والجحيم. وفي يوم القيامة تأتي كلّ سورة تقف على باب من هذه الأبواب،

ولا تدع قارئها ممّن آمن بالله أن يذهب به إلى النّار».

وفي المستدرك: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «مثل الحواميم في القرآن مثل الثّياب الحرير في الثّياب» أي مثل الثياب الحرير بين سآئر الثّياب.

وفي المجمع: ابن مسعود قال: «اذا وقعتُ في آل حم وقعت في روضات دَمِثاتٍ أتأنّق فيهنّ».

قوله: «دَمِثات» جمع دمثة: السّهلة اللّينة، و«أتانق فيهنّ» أي أعجب بهنّ وأستلذّ بقرأتهنّ وأتتبّع محاسنهنّ.

وفي الدّرّالمنثور: عن ابن مسعود قال: إنّ مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمرّ بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه إذهبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأوّل، فهذا أعجب وأعجب، فقيل له: إنّ مثل الغيث الأوّل كمثل عظم القرآن، وإنّ مثل هؤلآء الرّوضات الدّمثات مثل آل حم في القرآن».

وفي البرهان: روي عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «من قرأ هذه السّورة لم يقطع الله رجآئه يوم القيامة، ويعطى ما يعطون (يعطى خ) الخائفون الّذين خافوا الله في الدّنيا، ومن كتبها وعلّقها في حائط أو بستان اخضرّ ونماو إن كتبت وتركت في خانات أو دكّان كثرالخير فيه وكثرالبيع والشّرآء».

وفيه: وقال الصّادق عليه السّلام: «من كتبها ليلاً وجعلها في حائط أو بستان كثرت بركته واخضرّواً زهرو صار حسناً في وقته، وإن تركت في حائط أو دكّان كثر فيه البيع والشّرآء وإن كتبت لإنسان فيه الادرة زال عنه ذلك وبرئ. وقيل: الادرة طرف من السّودآء. والله أعلم. وإن كتبت وعلّقت على من به دمامل زال عنه ذ لك، وكذلك للمفروق يزول عنه الفرق، وإذا عجن بمآئها دقيق ثمّ يبس حتّى يصير بمنزلة الكعك ثم يدقّ دقاً ناعماً ويجعل في إنآءٍ ضيق مغطى فمن احتاج إليه لوجع في فؤاده أو لمغمى عليه أو لمغشى عليه أو وجع الكبدو الطّحال يشتف

(يستفخ) منه برئ بإذن الله تعالى.

وعن خواصّ القرآن: من تلاها في منامه أو تليت عليه أو شيئ منها، فأنّه يكون شديدالدّين، قوي اليقين، ويرزق عزّاً وملكاً وسلطاناً في مرتبة وحسن حال. والله أعلم.

وفي مصباح الكفمي: (لتعسّر الولادة) عن الصّادق عليه السّلام :تكتب بعد البسملة: مريم ولدت عيسى «هوالّذين خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً» غافر: ٦٧) «فإنّ مع العسر يسراً إنّ مع العسر يسراً» الإ نشراح: ٥ـ ٦) وصلّى الله على محمّد وآل محمّد وسلّم تسليماً».

أقول: قال بعض المشاهير الأتقياء من المعاصرين: «إنّي جرّبت مراراً في الحوائج الغامضة والكروبات الشّديدة بقراءة الحواميم السّبع في مجلس واحد وأهديت ثوابها إلى بضعة رسول الله فاطمة الزّهرآء عليها صلوات الله بعد دما أحاط به علم الله جلّ وعلا فقضت حوآئجي وكشفت كروباتي سريعاً فإن شئت فجرّب ولا تغفل».

أقول: لاريب فيما أوردنا من النّقل والتّجربة في فضآئل السّورة وخواصّها وآثارها وفوائدها الدّنيويّة والأخروية، الجسميّة والرّوحيّة، المادّية والمعنوية، والظّاهرة والباطنة عند إحراز شرآئط التّأثير، كيف لاوالله عزّوجلّ يقول: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله» الحشر: ٢١).

وقال: «وننزّل من القرآن ماهو شفآء ورحمة للمؤمنين» الأسراء: ٨٢).

وقال: «قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء» فصّلت: ٤٤).

وقد ورد: «أنّ نصربن أحمد لـمّا دخل نيسابور وضع التّاج على رأسه، ودخل عليه النّاس، فخطر بباله شيئ، فقال: هل فيكم من يقرأ آية؟ فقرأ رجل روّاس: «رفيع الدّرجات ذوالعرش» فلمّا بلغ قوله تعالى: «لمن الملك اليوم» المؤمن: ١٥-١٦) نزل الأمير عن سريره ورفع التّاج عن رأسه وسجدلله تعالى وقال: «لك الملك لالي»

فلمّا توفّى الرّوّاس رؤى في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفرلي، وقال لي: إنّك عظّمت ملكي في عين عبدي فلان يوم قرأت تلك الآية، فغفرت لك وله».

﴿الغرض﴾

هدف السّورة ما أشار إليه النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «أوّل العلم معرفة الجبّار وآخرالعلم تفويض الأمر إليه».

فبدأت بحرفي الحآء والميم لإسترعآء الأذهان إلى خطورة مابعدهما، ومن هنا خصّ الوصفين بالذكر في إفتتاحها: «العزيز العليم» تنبيهاً على ما في القرآن الكريم من العلوم الّتي يفيق عنها نطاق الأفهام ... وعلى أنّه لايمكن تحصيل أوّل العلم ولا آخره إلّا بالقرآن الكريم، وأنّ كلّ علم لايؤيّده الوحي السّماوي ليس إلّا لقلقة لسان وتركيب إصطلاحات ...

فنبّه بقوله: «العزيز» إلى أنّ هذا الكتاب النّازل عليهم تنزيل ممّن هوعزيز على الإطلاق لايغلبه غالب حتّى يخاف على ما نزّله من إستعلآء الطّغاة واستكبار البغاة بحسب أوهامهم ... فعلى الدّعاة أن يعرفوه جلّ وعلا هكذا ونبّه بقوله: «العليم» إلى أنّه عليم على الإطلاق لايداخله علمه جهل ولا ضلال، فلايقاوم جدال المستكبرين بالباطل مانزّله من الحق، وبيّنه بالأدلّة الواضحة والحجج الباهرة والبراهين القاطعة ... فعلى المصلحين أن يفوّضوا أمر إصلاحهم وإرشادهم وإنذارهم النّاس إلى الله جلّ وعلا فإذاً تمكّنوا على كسر جدار المستكبرين الفجرة، وتحطيم قصور الطّواغيت الفسقة ...

ثمّ فصّل بأنّ النّاس بالنّسبة إلى هذا الكتاب على طائفتين: الكافرون الجاهلون الّذين يجادلون في آيات الله بالباطل وهم يحسبونه علماً ويعتزّون به: «وجادلوا

بالباطل ليدحضوا به الحقّ ـ إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كبر ماهم ببالغيه ـ ألم ترإلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يصرفون الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ـ فلمّا جآءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم» غافر: ٥ و٥٦ و٦٩ـ٧٠ و٨٣).

والمؤمنون العاملون الّذين يستغفرلهم الملائكة المقرّبون، واستشهد على كلتا الطّائفتين بالأمم الماضية مع الإشارة التّذكّرية إلى مآل أمرهم إمّا الجنّة ونعيمها وإمّا النّار وحميمها.

وفي السّورة دروس قيّمة للعلمآء والمصلحين، وللدّعاة والمؤمنين إتباعاً لمؤمن آل فرعون كيف كان يدعو النّاس إلى الحقّ والكمال، وإلى الخير والصلاح ويفوّض أمره في إرشاده وإنذاره إلى الله جل وعلا إيماناً بنصرة الله تعالى من دون خوف من فرعون المستبدّ الطاّغي، وجنوده المستكبرين الباغين...

وفي السّورة تبيان قضيّة الحق والباطل والمعركة بينهما، قضية الإيمان والطّغيان، والجولة لهما، قضيّة التّصديق والتّكذيب، وقضيّة العلوّ في الأرض والتّجبّر بغير الحقّ، والتّواضع والخشوع لدى الحقّ وعاقبتهما بأن ينصرالله تعالى المؤمنين المهتدين والدّعاة الطّآئعين واستغفار الملائكة لهم، واستجابة الله جلّ وعلا لدعائهم وانتظار نعيم الآخرة لهم، فتتنسم نسمات الرّحمة والرّضوان إليهم، وبأن يأخذ بأس الله عزّوجلّ العالمين المتجبّرين في الأرض، يأخذهم بالدّمار والتّنكيل والهلاك في الحياة الدّنيا، والنّار والنقمة في الدّارالآخرة.

﴿النزول﴾

سورة «غافر» مكّيّة نزلت بعد سورة «الزّمر» وقبل سورة «فصّلت» وقيل: إلّا آية واحدة وهي قوله تعالى: «وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار» ٥٥) وقيل: إلّا آيتين وهما: (٥٦ ـ ٥٧) **أقول**: إنّ ترابط فصول السّورة ممّا يسوغ القول: أنّها مكّيّة كلّها نزلت دفعة واحدة أو متتابعة كما أنّ هذا البدء بالحاء والميم لسبع سور من القرآن الكريم يجعل منهنّ وحدة واحدة في أسلوب النّظم وفي مضمونه.

وهي السّورة السّتون نزولاً، والأربعون مصحفاً، وتشتمل على (٨٥) آية، سبقت عليها (٣٠٦٧) آية نزولاً، و(٤١٣٣) آية مصحفاً على التّحقيق، ومشتملة على (١٢٠٠) كلمة وقيل: (١١٩٩) كلمة وعلى (٤٩٧٠) حرفاً وقيل: (٤٩٦٠) حرفاً على مافي بعض التّفاسير.

وهذه السّورة هي أولى سلسلة السّور السّبع المعروفة بالحواميم ...

ولها أربعه أسمآء: **أحدها** ـ المؤمن وهو المشهور إقتباساً من ذكر مؤمن آل فرعون فيها بأبلغ بيان، وبهذا المؤمن يحاكم سآئر المؤمنين من دعاة الدّين والمصلحين يوم القيامة، فإنّه بوحدته أظهر الحقّ وسعىٰ في إبطال الباطل تجاه فرعون الطّاغي وجنوده الباغين، إذ تبع موسىٰ عليه السّلام وأيّده، فنصره الله عزّوجلّ، **ثانيها**ـ غافر وهو الأشهر إقتباساً من ذكر الغفران في أوّلها: «غافر الذّنب» **ثالثها**ـ الطّول لقوله تعالى: «ذي الطّول» **رابعها**ـ «حم» لقول شريح بن أو في العجلي:

يُذكّرني حاميم والرُّمح شاجر فهلاّ تلاحم قبل التّقدّم

فجعله إسماً معرباً. ولقول الكميت:

وجدنا لكم في آل حم آيةً تأوّلها منّا تقيٌّ ومُعرِبُ

في **شواهد التنزيل** للحسكاني الحنفي بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: قال عليّ عليه السّلام: «لقد مكثت الملائكة سنين وأشهراً لايستغفرون إلّا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولي وفينا نزلت هاتان الآيتان: «الّذين يحملون العرش ومن حوله- إلى قوله- العزيز الحكيم» فقال قوم من المنافقين: من كان من آبآء عليّ وذريته الّذين أنزلت فيهم هذه الآيات؟ فقال عليّ عليه السّلام: سبحان الله أما من آبائنا إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب؟ أليس هؤلآء من آبائنا؟.

وفيه: بإسناده عن أبي المعتمر عن أبيه قال: سمعت عليّاً عليه السّلام يقول: والله لقد مكثت الملائكة سبع سنين وأشهراً، مايستغفرون إلّا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولي، وفينا أنزلت هاتان الآتيان: «ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شئ رحمة وعلماً» وساق الكلام حتّى ختم الآيتين، فقال قوم من المنافقين: من آبآؤهم؟ فقال: سبحان الله آبآؤنا إبراهيم وإسمعيل وإسحق.

وفيه: بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الملائكة صلّت عَلَيَّ وعلى عَليّ سبع سنين قبل أن يسلم بَشرٌ».

وفيه: بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «صلّت الملائكة عَلَيَّ وعلى عليّ سبع سنين، وذلك إنّه لم يرفع شهادة أن لا إله إلّا الله إلّا منّي ومن عليّ».

وفي كنز الفوائد للكراجكي رحمة الله تعالى عليه عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال عليّ عليه السّلام لقد مكثت الملائكة سبع سنين وأشهراً لايستغفرون إلّا لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ولي وفينا نزلت هذه الآيات: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبحّون بحمد ربّهم- إلى قوله تعالى- ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم إنّك أنت العزير الحكيم» فقال قوم من المنافقين: من أبو عليّ وذريّته الّذين أنزلت فيهم

هذه الآية؟ فقال عليّ عليه السّلام :سبحان الله أما من آبائنا إبراهيم وإسمعيل؟ ليس هؤلاء آبآؤنا».

وفي البحار: قال العلاّمة المجلسي رضوان الله تعالى عليه -بعد نقل الرّواية- : «كأنّهم لعنهم الله اعترضوا على نزول الآية في عليّ عليه السّلام بأنّ آبآئه القريبة كانوا مشركين لزعمهم أنّ أباطالب وعبدالمطّلب وأكثر آبآئهم لم يؤمنوا فأجاب علىٰ سبيل التّنزّل بأنّه تعالى قال: «ومن صلح من آبائهم» ولم يقيّده بالآبآء القريبة، فإن صحّ قولكم يمكن أن يكون المراد آبآؤه البعيدة كإبراهيم وإسمعيل» إنتهى كلامه.

وفي تأويل الآيات الظّاهرة في فضآئل العترة الطّاهرة عن الأصبغ بن نباتة قال: إنّ عليّاً عليه السّلام قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُنزل عليه فضلي من السّمآء وهي هذه الآية: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا» وما في الأرض يومئذ مؤمن غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنا وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «لقد استغفرت لي الملائكة قبل جميع النّاس من أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم سبع سنين وثمانية أشهر».

وفي المجمع: «نزل قوله: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله ...» الآية: ٥٦) في اليهود لأنّهم كانوا يقولون: سيخرج المسيح الدّجّال، فنعينه على محمّد وأصحابه ونستريح منهم ويردّ الملك إلينا.عن أبي العالية».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «وقالوا: إنّ الدّجّال سيخرج عن قريب فيردّ الملك إلينا، وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله، فنزلت الآية فيهم، قاله أبوالعالية وغيره».

وفي البحار: في حديث طويل- قال سلمان الفارسيّ :«والقوم ينظر بعضهم إلى بعض فأنزل الله هذه الآية في ذلك اليوم: «ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرّهم ونجواهم وأنّ الله علاّم الغيوب» قال سلمان: فاصفرّت وجوههم ينظر كلّ واحد إلى صاحبه، فأنزل الله هذه الآية: «يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدّور والله يقضي بالحقّ» فكان ذهابهم إلى الكهف ومجيئهم من زوال الشّمس إلى وقت العصر».

قال ابن زيد: هم المشركون بدليل قوله: «الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قال في قوله تعالى: «ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يصرفون»: ٦٩) «وقال أكثر المفسّرين: نزلت في القدرية» «وقال عقبة بن عامر: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : «نزلت هذه الآية في القدرية»».

أقول: إنّ الأشاعرة المجبّرة من العامة هم القدرية فإنّهم إتخذوا في مسئلة القضآء والقدر طريق الجبر المحض، وزعموا القضآء والقدر هوالحتم والإلجاء، وسيأتي كلام منّا حول القدرية في البحث المذهبي من هذه السّورة المباركة: «المؤمن» فانتظر.

﴿القراءة﴾

قرأ عيسى بن عمر الثّقفي «حم» بفتح الميم على معنى: «اقرأحم» أو لإلتقآء السّاكنين، وقرأ ابن أبي إسحق وأبوالسّمّال بكسرها والإمالة والكسر لإلتقآء السّاكنين أوعلى وجه القسم، وقرأ أبوجعفر بقطع الحآء من الميم، وقرأ الباقون بالوصل، وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان «حاميم» بالإمالة في الحآء، وقرأ أبوعمرو بين اللّفظين أي بين الفتح والكسر، وإلى الفتح أقرب، وذلك طبعاً لا إختلافاً لمعان مذكورة في سورة «ص» وهي قراءة نافع وأبي جعفر وشيبة، وقرأ الباقون بالفتح في جميع الحواميم السّبعة مشبعاً. وإنّ الإمالة وغيرها لغتان فصيحتان.

قرأ نافع وابن عامر وأبوجعفر «كلمات ربّك» غافر: ٦) على الجمع لإختلاف أجنا سها كقوله تعالى: «وصدّقت بكلمات ربّها» التّحريم: ١٢) يعني شرآئعه ... وقرأ الباقون «كلمة ربّك» بالإفراد لأنّه الكلمة تقع على القليل والكثير، فلاحاجة إلى الجمع كقوله تعالى: «لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوثبوراً كثيراً» الفرقان: ١٤) وقوله عزّوجلّ: «إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير» لقمان: ١٩) فأفرد الصّوت مع الإضافة إلى الكثرة فكذلك الكلمة. وهي القرآءة المشهورة.

قرأ البصريّ «وقِهِم السّيّئات» ٩) بكسر الهاء والميم، وقرأ الأخوان بضمّهما، وقرأ الباقون بكسر الهآء وضمّ الميم وهي قراءة مشهورة.

قرأ حمزة «إذ تدعون»: ١٠) بالإدغام وقرأ الباقون بدون إدغام وهي مشهورة قرأ المكّيّ والبصري «ويُنزل» بإسكان النّون وتخفيف الزّاء من باب الإفعال، وقرأ الباقون بفتح النّون وتشديد الزّاء من باب التّفعيل وهي مشهورة.

قُر أشاذاً «لتنذر»: ١٥) بالتّآء على أنّ الضّمير راجع إلى «الرّوح» أو على الخطاب لِلنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله والقرآءة المشهورة هي الياء على أنّ الضّمير راجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قرأ ابن كثير «يوم التّلاقي»: ١٥) باليآء وقفاً و وصلاً، وقرأ نافع باليآء وصلاً، وقرأ الباقون بدونها مطلقاً وهي قراءة مشهورة.

قرأ نافع وهشام عن ابن عامر «تدعون من دونه»: ٢٠) بتآء الخطاب. أى قل لهم يا محمد صلّى الله عليه وآله.وقرأ الباقون بيآء الغيبة على سبيل الإخبار عن الظّالمين. قرأ ابن عامر «أشدّ منكم» على الخطاب، إلتفاتاً من الغيبة كقوله تعالى: «إياك نعبد» بعد قوله: «الحمدلله» وقرأ الباقون «أشدّ منهم» بالغيبة لأنّ ماقبله: «أولم يسيروا- فينظروا» وهي القراءة المشهورة.

قرأ المكي «واقي»: ٢١) باليآء وقفاً، وقرأ الباقون بتنوين القاف من دون يآءٍ مطلقاً وهذه مشهورة.

قرأ ابن كثير «ذروني»: ٢٦) بفتح اليآء، وقرأ الباقون بدون الفتحة وهذه مشهورة. قرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو «إنّي أخاف» بفتح اليآء وقرأ الباقون بدون الفتحة وهذه مشهورة.

قرأ عاصم وحمزة «أو أنّ» بألف قبل الواو على التّرديد. لأنّ المعنىٰ: إنّي أخاف أحد الأمرين. وقيل: «أو» بمعنى الواو فالمعنى: إنّي أخاف هذين الأمرين. وقرأ الباقون «وأن» بواو العطف. فالمعنى: إنّي أخاف هذين الأمرين. وقرأ نافع وأبوجعفر وأبوعمرو وحفص عن عاصم «يظهر» بضمّ اليآء من باب الإفعال، و«الفساد» على النّصب لأنّ الفساد شريك مع التّبديل. والمعنى: إنّي أخاف أن يبدّل دينكم وأخاف أن يظهر الفساد، وقرأ الباقون «يظهر» بفتح اليآء ثلاثياً، و«الفساد» رفعاً فليس الفساد شريكاً للتّبديل. فالمعنى: إنّي أخاف أن يبدل دينكم

فإذا بدل ظهر في الأرض الفساد.

قرأ حمزة وأبوعمرو وأبوجعفر «عذت»: ٢٧) بإدغام الذّال في التّآء لقرب مخرجها، وقرأ الباقون من دون إدغام لأنّ مخرج الذّال غير مخرج التّآء.

قرآءة «التّناد»: ٣٢) كقرآءة «التّلاق»: ١٥) فراجع.

وقرأ المكّي «هادي»: ٣٣) باليآء وقفاً، وقرأ الباقون بدونها مطلقاً وهي مشهورة. قرأ أبوعمرو «على كلّ قلب»: ٣٥) بالتّنوين على أنّ «متكبّر» نعت للقلب فكنّي بالقلب عن الجملة لأنّ القلب هو الّذي يتكبّر، وسآئر الأعضآء تبع له، وقرأ الباقون بالإضافة على تقدير: كذلك يطبع الله على كلّ قلب كلّ متكبّر فالمعنىٰ: يطبع على القلوب إذا كانت قلباًقلباً من كلّ متكبّر ويختم عليه. قرأ نافع وأبوجعفر وابن كثير وأبوعمرو وابن عامر «لعلّي»: ٣٦) بفتح اليآء وقرأ الباقون: بسكونها.

قرأ حفص وعاصم «فأطّلع»: ٣٧) بالنصب، جواباً لـ «لعلّي» بالفآء لكلام غير موجب على تقدير «أن» بعد الفآء تشبيهاً للتّرجي بالتّمني، أو جواباً للأمر: «إبنِ» وقرأ الباقون بالرّفع، عطفاً على «لعلّي أبلغ الأسباب ...» أي لعلّي أبلغ، ولعلّي أطّلع فليس بجواب.

في «صدّ»: ٣٧) أربع قراءات: ١- قرأ عاصم «صُدَّ» بضمّ الصّاد مبنيّاً للمفعول. ٢- قُرِءَ «صِدَّ» بكسر الصّاد مبنيّاً للمفعول أيضاً لأنّ ماقبله: «زُيِّنَ» مبنيّ للمفعول به، فصدّه الشّيطان عن سبيل الله، وطابق قوله تعالى: «زُيِّنَ لفرعون سوء عمله» ٣- قُرِءَ «صُدٌّ» بالرّفع والتنوين على المصدر، وقرأ نافع «صَدَّ» بفتح الصّاد والدّال، فعل ماضٍ مبنيّاً للفاعل أي صدّ فرعون النّاس عن سبيل الله. والقراءة الاولىٰ هي المشهورة.

قرأ ابن كثير «اتّبعوني» بيآء التّكلّم وقفاً و وصلاً، وقرأ الباقون بحذفها مطلقاً، وقُرِءَ شاذّاً باليآء وصلاً دون الوقف لوجود اليآء السّاكنة قبل الهمزة لفظاً.

قرأ ابن كثير وأبوعمرو وعاصم «يُدخَلون»: ٤٠) بضمّ اليآء وفتح الخآء مبنيّاً

للمفعول لقوله تعالى: «يُرزَقون» وقرأ الباقون بفتح اليآء وضمّ الخآء مبنياً للفاعل وهذه قراءة مشهورة.

قرأ نافع وأبوجعفر وأبوعمرو «مٰاليَ»: ٤١) بفتح اليآء، وقرأ الباقون بسكونها. قرأ أبوجعفر ونافع وأبوعمرو «أمرِيَ»: ٤٤) بفتح اليآء وقرأ الباقون بسكونها. قرأ حفص وأبوجعفر ونافع وحمزة «ادخلوا»: ٤٦) بألف القطع مفتوحة من باب الإفعال على أنّه يؤمر الملائكة بإدخالهم النّار، فآل فرعون منصوب، مفعول به الأوّل و«أشدّ» مفعول ثان فالخطاب لخزنة النّار، وقرأ الباقون بألف الوصل مضمومة ثلاثياً. فالمعنىٰ: أنّهم يؤمرون بدخول النّار فـ «آل فرعون» منصوب على النّدآء فالخطاب لآل فرعون. انّ القراءة الأولى متواترة. قرأ البصري «رسلكم ـ رسلنا»: ٥٠ـ ٥١) بإسكان السّين، وقرأ الباقون بضمّها. قرأ نافع وحمزة وعاصم «لاينفع»: ٥٢) على التّذكير لأنّ تأنيث المعذرة ليس حقيقياً مع أنّ إسناد الفعل إلى الظّاهر ولوكان مؤنّثاً حقيقياً يجوز فيه التّذكير والتّأنيث، وقرأ الباقون بتآء التّانيث لأنّ المعذرة فاعل الفعل، والقرآءة الأُولىٰ هي مشهورة.

قرأ عاصم وحمزة وحفص «تتذكّرون»: ٥٨) بتآءِ الخطاب، وقرأ الباقون بيآء الغيبة على الإخبار.

قرأ إبن كثير وأبوعمرو وعاصم وأبوجعفر «أُدعوني»: ٦٠) بفتح اليآء والباقون بسكونها.

قرأ إبن كثير وأبوجعفر «سيد خلون»: ٦٠) من الإدخال مجهولاً، والباقون ثلاثياً مبنياً للفاعل.

قرأ إبن كثير وحمزة وابن عامر «شيوخاً»: ٦٧) بكسر الشّين لمراعاة اليآء، وقرأ الباقون بضمّها على الأصل لأنّه جمع فَعْل نحو: قلب وقلوب. وقُرِءَ شاذّاً «شيخاً» بالإفراد. والقرآءة الثّانية هي متواترة.

قرأ الشّامي «فيكون»: ٦٨) بالنّصب، على إضمار «أن» جواباً للأمر: «كن» وقرأ الباقون بالرّفع.

وقرأ البصري «رسلنا ـ رسلهم»: ٧٠ و٨٣) بإسكان السّين والباقون بضمّها.
وقرأ إبن عبّاس وابن مسعود «السّلاسل»: ٧١) بالنّصب، و«يسحبون» بفتح اليآء مبنيّاً للفاعل. والمعنىٰ: ويسحبون السّلاسل. فعطفت جملة الفعل والفاعل على الجملة من المبتداء والخبر. وقرأ الباقون «السّلاسل» بالرّفع و«يسحبون» بضمّ اليآء مبنيّاً للمفعول. وقُرءَ شاذّاً «السّلاسل» بالجرّ حملاً على المعنىٰ: أعناقهم في الأغلال والسّلاسل أو في السّلاسل يسحبون.

وقرأ نافع «فبيس»: ٧٦) وقرأ الباقون «فبئس» وهي صحيحة.

﴿الوقف والوصل﴾

«حٰم ط» لأنّها آية، ولإستئناف التّالي، و«العليم لا» لوصف التّالي، و«العقاب لا» كالسّابق، و«ذي الطّول ط» لتمام الكلام، و«إلّا هوط» لإستئناف التّالي، و«من بعدهم ص» لعطف الجملتين المتفقتين، و«فأخذتهم قف» يستحبّ الوقف للإبتداءِ بالتّهديد من دون حرج في الوصل، و«النّارم» لئلاّ يتوهّم أنّ مابعده نعت، و«آمنوا ج» لحقّ القول المحذوف، و«ذرّيّاتهم ط» لتمام الكلام وإستئناف التّالي، و«الحكيم ج» لتمام الكلام ويجوز الوصل للعطف، و«السّيّئات ط» الاولى لتمام الكلام، و«رحمته ط» لإستئناف التّالي، و«العظيم ع» علامة انتهآء الرّكوع وهو الحصّة اليوميّة لمن يريد حفظ القرآن في عامين، و«فتكفرون ى» علامة العشر وتوضع عند إنتهآء عشر آيات.

«كفرتم ج» للإبتدآء بالشّرط مع العطف، و«تؤمنوا ط» لتمام الشّرط، واستئناف التّالي، و«رزقاً ط» كالسّابق، و«ذوالعرش» لإحتمال مابعده الإستئناف والحال، و«التّلاق لا» لبيان التّالي، و«بارزون ج» لإحتمال الإستئناف وتعلّقه بالظّرف، و«شئ ط» لإستفهام التّالي، و«اليوم ط» لتمام الإستفهام وجواب التّالي وفصلاً بين السّؤال والجواب، و«كسبت ط» لتمام الكلام، و«لاظلم اليوم ط» لإستئناف التّالي، و«كاظمين ط» كالمتقدّم، و«يطاع ط» لإستئناف التّالي، و«بالحقّ ط» كالسّابق و«بشئ ط» كالمتقدّم، و«البصير ع» وقد سبق مثله آنفاً ٢٠).

«من قبلهم ط» لتمام الكلام، و«بذنوبهم ط» لإستئناف التّالي، و«فأخذهم الله ط» كالسّابق، و«مبيّن لا» لتعلّق التّالي بما قبله، و«نسآءهم ط» و«ليدع ربّه ج» لإحتمال اللاّم و«مؤمن قف» بنآءً على أنّ الجار يتعلّق بالفعل بعده، والوصل أصحّ لأنّه كان من القبط، ولو فرض أنّه لم يكن منهم فالجملة وصف له، و«من ربّكم ج» لإنتهآء الإستفهام إلى الإبتداء بالشّرط، و«كذبه ج» للعطف والشّرط، و«يعدكم ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«في الأرض ز» لابتداءِ الإستفهام، والوجه الوصل لأنّ المقصود الوعظ به، و«جآئنا ط» لإبتداء التّالي، و«يوم الأحزاب لاى» لمكان البدل التّالي ٣٠).

«من بعدهم ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«التّناد لا» لأجل البدل، و«مدبرين ج» لأنّ مابعده يصلح للإستئناف والحال، و«من عاصم ج» لإحتمال كون مابعده إبتداء إخبار من الله تعالى، وكونه من كلام المؤمن، و«ممّا جآءكم به ط» و«رسولاً ط» لتمام الكلام وإستئناف التّالي، و«مرتاب ج» لإحتمال البدل، فإنّ «مَن» في معنى الجمع أي هم الّذين. ولإحتمال الاستئناف أي أعني أنّهم، و«أتاهم ط» لتمام الكلام، و«آمنوا ط» لإستئناف التّالي، و«الأسباب لا» لأجل البدل، و«كاذباً ط» لتمام الكلام، و«عن السّبيل ط» لإستئناف التّالي، و«تباب ع» و«الرّشاد ج» لأنّ النّداء يبدأ به مع أنّه تكرار للأوّل، و«متاع ز» للفصل بين تنافي الدّارين مع اتّفاق الجملتين، و«مثلها ج» لعطف جملتي الشّرط، و«حساب ي» ٤٠).

إلى النّار ج» لإنتهآء الإستفهام إلى الإخبار ولإحتمال ابتداء إستفهام آخر، و«علم ز» يجوز الوقف، ولكن الوصل أولى لإتّصال الكلام، و«ما أقول لكم ط» لتمام الكلام و«إلى الله ط» لإستئناف التّالي، و«سوء العذاب ج» لإحتمال البدل والإبتدآء، و«عشيّاً ج» لإحتمال التّالي العطف والإستئناف، و«السّاعة قف» لحقّ القول المحذوف أي يقال لهم أو للزّبانية، و«بالبيّنات ط» لتمام الإستفهام وجواب التّالي و«بلىٰ ط» لتمام الجواب، و«فادعوا ج» لإحتمال أنّ مابعده من قول الخزنة أو

إبتداء إخبار من الله عزّوجلّ، و«في ضلال ع ى» ٥٠).

«الأشهاد لا» لأنّ يوم بدل من الأوّل، و«الكتاب لا» لأجل الحال التّالي، و«أتاهم لا» لأنّ مابعده خبر «إنّ» و«ببالغيه ج» لإختلاف الجملتين، و«فاستعذ بالله ط» لتمام الكلام، و«لا المسيئ ط» لإستئناف التّالي، و«أستجب لكم ط» كالسّابق، و«داخرين ع ى» ٦٠).

«مبصراً ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«كلّ شيئ م» لئلاّ يوهم أنّ مابعده صفة شيئ وخطؤه ظاهر، و«إلاّ هوز» لإبتداء الإستفهام، ورجحان الوصل لفآء التّعقيب ولتمام مقصود الكلام، و«من الطّيّبات ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«ربّكم ج» لتمام الكلام وفاء التّعقيب، و«له الدّين ط» لتمام الكلام واستئناف التّالي، و«شيوخاً ج» لإختلاف الجملتين، و«يميت ج» لأجل الفآء مع الشّرط، و«فيكون ع» و«في آيات الله ط» لإنتهاء الإستفهام وابتداء آخر، و«يصرفون ج» لإحتمال كون «الّذين» بدلاً من الضّمير في «يصرفون» و«رسلنا قف» إن لم نقف على «يصرفون» و«يعلمون لا ى» لتعلق الظّرف . ٧٠).

«السّلاسل ط» لأنّ مابعده مستأنف. ومن المحتمل أن تكون «السّلاسل» مبتداء والعائد محذوف أي والسّلاسل يجرون بها في الحميم، و«يسحبون لا» للظّرف التّالي، و«يسجرون» ج» للآية مع العطف، و«تشركون لا» لمكان الظرف: «من دون الله ط» لتمام الإستفهام وجواب التالي، و«شيئاً ط» لإستئناف التّالي، و«تمرحونَ ج» للآية وإستمرار الخطاب، و«خالدين فيها ج» لتمام الكلام وفاء التّعقيب، و«حقّ ج» للشّرط مع الفآء، و«من لم نقصص عليك ط» لإستئناف التّالي، و«بإذن الله ج» لتمام الكلام وفآء التّعقيب، و«المبطلون ع» و«تأكلون ز» للآية مع العطف وشدّة إتصال المعنىٰ، و«تحملون ط ى» لأنّ مابعده مستأنف، ولاوجه للعطف ٨٠). «آياته ز» لتمام الكلام وفآء التّعقيب وشدّة إتصال المعنى، و«من قبلهم ط» للفصل بين الإستخبار والإخبار، و«بأسنا ط» الثّاني، و«عباده ج» لأنّه الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سنّ.

﴿اللغة﴾

٦٩ - حم- ٣٥٧

سيجئ معناه في [تحقيق في الأقوال] فانتظر .

٢٤ - المغفرة والغفران - ١٠٩٣

غفر الشّئ يغفره غفراً وغفراناً ومغفرة- من باب ضرب-: ستره وغطّاه. وغفرالله له ذنبه: ستر عليه ذنبه وغطّاه وصفح عنه، وكلّ شئ سترته: فقد غفرته. فأصل الغفر: التّغطية. ومنه قولهم: «إصبغ ثوبك بالسّواد فهو أغفر لوسخه» أي أحمل له وأغطىٰ له، وغفرالمتاع في الوعآء: أدخله وستره وأوعاه، وغفر الشّيب بالخضاب: غطّاه. المادّي فيه هو السّتر وإلباس مايصون عن الدّنس.

ومن المعنوي يجئ صون العبد من العذاب.

غفرالله له ذنبه غفراً ومغفرة وغفوراً وغفراناً وغفيراً وغفيرة: غطّىٰ عليه وعفا عنه، غافر: إسم فاعل، جمعه: غفرة وغافرون، والوصف: غفور وغفّار قال الله عزّوجلّ: «غافر الذّنب- ويستغفرون- فاغفر- الغفّار- واستغفر لذنبك» غافر: ٣ و٧ و٤٢ و٥٥).

الغفّار والغفور من أسمآء الله الحسنىٰ. والغفّار- فعّال للمبالغ- أبلغ من الغفور من جهة الكيفيّة، وفي الغفّار من جهة الكمّيّة، ومعناهما: السّاتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ... جمع الغفور: غُفُر. الغفور: الكثيرة المغفرة للذّكر والانثىٰ. الغفّارة أيضاً: ردآء يلبسه الأحبار في الهيا كل. يقال: غفرالأمر بغُفرَته وغفيرته: أصلحه بما ينبغي أن يصلح به. والمَغفِرَة: صيانة العبد عمّا استحقّه

العقاب بالتّجاوز عن ذنوبه من الغَفْر وهو إلباس الشّيْ بما يصونه من الدَّنَس. والغفران والمغفرة من الله تعالى: هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب.

وقد يقال: غَفَرَ له: إذا تجافىٰ عنه في الظّاهر، وإن لم يتجافَ عنه في الباطن. وقيل: إغفروا هذا الأمر بغَفْرَته: استروه بما يجب أن يُستَرَبه.

وغَفَر الجَلَبُ السّوقَ: رخّصها، وغَفِر الثّوبُ يغفر غَفَراً- من باب علم-: ثار زِئبره، وغَفِرَ المريض: نُكِسَ وغَفِرَ الجرحُ: انتقض، وغفرَ العاشق: عاد عيده بعد السّلوة، وغَفِرَ الجرحُ: إذا برأ فهو من الأضداد.

الغَفْر- بالفتح فالسّكون- مصدر و- البطن و- زِئبر الثّوب و- شعر كالزّغب يكون على ساقٍ المرأة والجبهة ونحو ذلك و- ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهي من الميزان و- شيْ كالجوالق.

الغِفْر- بالكسر فسكون-: ولدا لبقرة ودويبة، والغُفْر والغفر- وبالضّمّ أكثر-: ولد الارويّة جمعها أغفار وغِفَرة وغُفُور. والغَفَر- محرّكة-: مصدر و- زئبر الثّوب، وصغار الكلاء، ونبات ربعي ينبت في السّهل والآكام كأنّه عصافير خضر قيام إذا كان أخضر، فإذا يبس فكأنّه حمر غير قيام، وشعركا لزّغب يكون على العنق واللحيين، والقفا وساق، المرأة ونحو ذلك، وغفرالدّابّة-: نبات الشعر في موضع العرف.

رَجلٌ غَفِرُ القفا أي قفاه ذوغَفَر، وامرأةغَفِرةالوجه أي ذات غَفَر على وجهها. الغفير- مصدر- وشعر العنق واللّحيين والقفا. الجمّآء الغفير: البيضة الّتي تجمع الرّأس وتضمّه. جآؤا جمّاً غفيراً وجمّ الغفير وهلّم جرّاً إلى آخر مافيها من الصّور: جآؤا بأجمعهم من الشريف والوضيع، ولم يتخلّف منهم أحد، وكانت فيهم كثرة. فالمعنى: جآؤا جيماً وقاطبة وكافّة.

الغفيرة- مصدر- و- مايُصلحَ به الشيْ ويغطّىٰ- والكثرة والزّيادة. يقال: مافيه عذيرة ولاغفيرة: لايعذر ولايغفر لأحد ذنباً.

الغفيرة: الزّيادة في الرّزق أو العمرَ أو الولد أو غير ذلك ومنه حديث مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «فإن أصاب أحدكم

غفيرة في رزق أو عمر أو ولد أو غير ذلك فلايكون ذلك له فتنة ويفضي به إلى الحسد».

الغُفْرة ـ بالضّمّ ـ: مايغطّىٰ به الشّيْ، يقال: اغفروا هذا الشّيْ بغفرته أي أصلحوه بما ينبغي أن يُصلح به.

الغفّار ـ بالضّمّ ـ: شعر كالزّغب يكون على العنق واللّحيين والقفا وساق المرأة ونحو ذلك. فهو غِفار ـ بالكسر ـ من كنانة رهط أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه. وكلّ ثوب يغطّىٰ به شيْ فهو غفارة، ومنه غفارة الزّنون تغشىٰ بها الرّجال، وجمعها: غِفارات وغفآئر.

الغفار ـ بالكسر ـ: ميسم يكون على الخدّ. والغِفارة ـ بالكسر ـ: خرقة تكون دون المقنعة توقّي بها المرأة خمارها من الدّهن. والغِفارة: الرّقعة الّتي على حزّ القوس يجري عليه الوتَر. والغفارة: السّحابة فوق السّحابة، والغِفارة: رأس الجبل، وزرد من الدّرع يُلبس تحت القلنسوة.

الغَوفَر: البطّيخ الخريفيّ أو نوع منه، والمِغْفَر والمِغْفَرة: زردٌ ينسج من الدّروع على قدر رأس يُلبس تحت القلنسوة. وقيل: رفرف البيضة. وقيل: حَلَقٌ يجعلها الرّجل أسفل البيضة تُسبَغُ على العنق فتقيه. مِغفر ـ كمنبر ـ ومُغفُر ومُغفُور ـ بضمّهما ـ ومِغْفار ومِغفير ـ بكسرهما ـ والمِغفَر: بيضة الحديد. «هذا الجنى إلّا أن يُكدّ المُغفُر» مثل يُضرب في تفضيل الشّيْ. يقال ذلك لمن ينال الخير الكثير. المُغفِرَة: الأُروِيّة ذات الغُفْر.

المغافر والمغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حلو كالنّاطف غير أنّ رائحته كريهة منكرة جمعها: مغافر. والمغافير: عسل حلو مثل الرّبّ إلّا أنّه أبيض. والمغافير: شيْ يسيل من طرق عيدانها مثل الدّبس في لونه تراه حلواً يأكله الإنسان حتّىٰ يكدَنَ عليه شِدقاه وهو يكلِعُ شفته وفمه مثل الدّبق والرّبّ يعلق به. المغفورآء: الأرض ذات مغافير.

أغفر المتاع في الوعآء ـ من باب الإفعال ـ: أدخله وستره. وأغفر الرِّمثُ: أخرج

مغافيره. وأغفر الأرض: نبت فيها شيئ من الغَفْر، وأغفر النّخلُ: ركب بسره شيئ كالقشر.

غفّره يغفّره تغفيراً ـ من باب التّفعيل ـ : غطّاه وستره.

تغفّر الرّجل: إجتنىٰ المغافير من شجرها.

إغتفر الله ذنبه ـ من باب الإفتعال ـ : غفره.

تغافرا: دعا كلّ واحد لصاحبه بالمغفرة.

إغفارّ الثّوب: ثارزِئبِرُه.

إستغفرالله من ذنبه واستغفره إيّاه: طلب منه أن يغفره له. والمستغفر: طالب الغفران والمغفرة من الله تعالىٰ، الإستغفار: طلب المغفرة بالمقال والفِعال.

قال الله تعالىٰ: «لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون» النّمل: ٤٦) لم يؤمروا بأن يَسئلواالله تعالى أن يغفرلهم باللّسان فقط، بل باللّسان والفعال. ولذلك قيل: الإستغفار باللّسان دون الفعال فعل الكذّابين وهذا معنىٰ قوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم» غافر: ٦٠).

٦ ـ الدّحض ـ ٤٦٥

دحض الشّيئ يدحض دَحْضاً ودُحوضاً ـ من باب منع ـ : بطل وزال. أصل الدّحْض : الزّلق، ثمّ توسّع فيه حتّىٰ استعمل في البطلان والزّوال. الدّحض: الدّفع. دحض برجله: فحص بها كما يفعل المذبوح. ودحض عن الأمر: بحث. وفي حديث مواقيت الصّلاة: «حين تدحض الشّمس» أي تزول عن وسط السّمآء إلى جهة المغرب، كأنّها دحضت أي زلقت. ودحضت الحجّة: بطلت.

أدحض القدم: أزلقها، وأدحض الحجّة: دفعها وأبطلها وأزالها. أدحض الشّيئ: أبطله. وأدحضه في المساهمة: غلبه. الإدحاض: الإزلاق.

قال الله تعالىٰ: «ليدحضوا به الحقّ» غافر: ٥) أي ليدفعوا به الحقّ ويذهبوا به ويزيلوه به. اسم المفعول منه: مُدحَض، جمعه: مُدحضون. قال الله تعالىٰ: «فساهم

فكان من المدحضين» الصافات: ١٤١) أي صار من المغلوبين. يقال: أدحضتُ فلاناً في حجّته فدحض، وأدحضتُ حجّته فدحضت. وأصله من دَحْضِ الرّجل ونحوه في وصف المناظرة: «نظراً يزيل مواقع الأقدام» وفي حديث الصراط: «مكان مدحضة» إذا كان لا تثبت عليها الأقدام. وفي حديث أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه: أنّ خليلي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ دون جسر جهنّم طريقاً ذا دَحْضٍ».

ودَحَضَتْ رجله: زَلَقَتْ وزلّت فهي داحضة. وفي حديث وفد مَذحِج: «نجبآء غير دُحَّضِ الأقدام» والدُحّض جمع داحض، وهم الّذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأمور...

قال الله عزّوجلّ: «حجّتهم داحضة عند ربّهم» الشورى: ١٦) أي باطلة زائلة لا تقبل عندالله تعالى. مكان دَحْضٍ ودَحَضٍ: زَلَقٍ إذا كان مزلّة لا تثبت عليها الأقدام. ومزلّة مدحاض: يدحض فيها كثيراً. جمع الدَّحْض: دِحاض.

المَدحَضة: المزلّة. يقال: هذه مَدْحَضَة القوم: مزلّتهم. مزلّة مِدحاض: يُدحَض فيها كثيراً. جمعه: مداحض.

في نهج البلاغة: قال مولى الموحدّين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «إن ثبتت الوطأة في هذه المزلّة فذاك ، وإن تدحض القدم فإنّا كنّا في أفيآء أغصان ومهبّ رياح وتحت ظلّ غمام».

دَحَّضَ- من باب التفعيل- المطر التّلاع: صيّرها مزلقة.

إندَحَضَتِ الحجّة: بطلت وزالت واندفعت. وفي الدّعآء: «خذني من دحض المزلّة» أي أنقذني من مزلّة الخطيئة. وفي الحديث: «الحجّ مدحضة للذّنب» أي مبطل.

الدّحيض: اللّحم. ودحيضة: مآءٌ لبني تميم.

٢ ـ البأس ـ ٨٦

بَؤُسَ يبؤس بأساً وبأسةً ـ من باب كرم ـ: إشتدّ في الحرب فهو بَئِس أي شجاع، وبئيس أي شديد.

البأس: العذاب و ـ الشدّة في الحرب و ـ القوّة والخوف.

قال الله تعالى: «فمن ينصرنا من بأس الله إن جآءنا» غافر: ٢٩) أي عذاب الله جلّ وعلا.

وقال: الله تعالىٰ: «فمن ينصرنا من بأس الله إن جآءنا» غافر: ٢٩) أي عذاب الله جلّ وعلا.

وقال: «فلمّا رأوا بأسنا» غافر: ٨٤ ـ ٨٥) أي عذابنا.

وقال: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» الحديد: ٢٥) أي قوّة وخوف.

وقال: «بأسهم بينهم شديد» الحشر: ٤) أي قوّتهم فيما بينهم شديدة فإذا لاقوكم جبنوا لأنّهم متفرّقوا القلوب.

يطلق البأس على الحرب كما يطلق على العذاب. قال الله تعالى: «وحين البأس» البقرة: ١٧٧) أي حين الحرب.

البأس: الشدّة في الحرب. وفي حديث الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «كنّا إذا اشتدّ البأس إتقينا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم».

لابأس به: لاشدّة ولامانع ولامحذور،معناه الإباحة والجواز وقد تكرّر في الحديث: «لابأس بذلك». ولابأس عليك: لاخوف عليك. لابأس فيه: لاحرج فيه. لابأس أن تعرفوا أي لاصعوبة.

البأس: الخضوع والخوف ومنه قوله: «ومن المكارم صدق البأس» بئيس: شديد. قال الله تعالى: «وأخذنا الّذين ظلموا بعذاب بئيس» الأعراف: ١٦٥) أي شديد.

يوم بؤس: ضدّ يوم نُعْم جمعه أبْؤس. البؤسىٰ: خلاف النّعمىٰ. والبؤس: ضدّ

النّعيم. ومنه الحديث: «ما أقرب البؤس من النّعيم» لعلّه يريد نعيم الآخرة.

بَئِسَ يَبْأس بؤساً وبأساً وبئيساً ـ من باب عَلِمَ ـ: إشتدّت حاجته فهو بآئِس. البآئس الّذي أصابه بؤس أي شدّة وهو القتال في الحرب. ويقال أيضاً: بؤس أي فقر وسوء حال. وقوله: «ولا تبأس»: لاتحزن ولا تشتك من البؤس وهو الضّرّ والشّدّة أي لايلحقك مايضرّك ولايلحقك بؤس بالّذي فعلوا. البؤس: الفقر والخوف وشدّة الإفلاس وسوء الحال.

قال الله عزّوجلّ: «وأطعموا البآئس الفقير» الحجّ: ۲۸) البآئس: من اشتدّت حاجته. جمعه: بؤس. وفي حديث عمّار ياسر رضوان الله تعالى عليه: «بؤس ابن سميّة» كأنّه ترحّم له من الشّدّة الّتي يقع فيها.

وفي الحديث: «نهي عن كسر السكّة الجآئزة بين المسلمين إلّا من بأس» يعني الدّنانير والدّراهم المضروبة أي لا تكسر إلّا من أمر يقتضي كسرها إمّا لردائتها أو شكّ في صحّة نقدها، وكره ذلك لما فيها من إسم الله تعالى أو لأنّ فيه إضاعة المال.

البأسآء: الفقر والشّدّة. قال الله عزّوجلّ: «والصّابرين في البأسآءِ» البقرة: ۱۷۷) البأسآء: إسم للحرب والمشقّة والضّرب والجوع.

أبأس إبآساً: حدّت به البأسآء.

تباءس: تفاخر وأرى تخشّع الفقرآء إخباتاً وتضرّعاً، وقد نهي عنه. وفي الحديث: «إنّ الله يحبّ الجمال والتّجمّل، ويبغض البؤس والتّبأس» كأنّ المراد إظهار الفقر والحاجة عندالنّاس. وفي حديث الصّلاة: «تقنع يديك وتبأس» هو من البؤس: الخضوع والفقر.

إبتأس الرّجل: حزن واشتدّ عليه الأمر قال الله تعالى: «فلا تبتئس بما كانوا يفعلون» يوسف: ٦۹) أي لاتحزن ولا تشتك ولايشتدّ عليك أمرهم ولا تلزم البؤس.

المبتئس: الكاره والمسكين الحزين. ومنه الدّعآء: «فكنت رجآء المُبتَئِس»وفي الخبر أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يكره البؤس والتباؤس والتبوّس أي الضّراعة للفقرآءِ أو أن يجعل نفسه ذليلاً يتكلّف ذلك جميعاً. والبؤوس: الظّاهر البؤس.

في المفردات: البؤس والبأس والبأسآء: الشدّة والمكروه إلّا أنّ البؤس في الفقر والحرب أكثروالبأس والبأسآء في النكاية نحو: «والله أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلاً» النسآء: ٨٤).

وفي المغرب: البآئس هوالّذي به الزّمانة إذا كان محتاجاً، والفقير المحتاج الّذي لايطوف بالأبواب، والمسكين الّذي يطوف ويسئل. وفي الحديث: «البآئس هو الّذي لايستطيع أن يخرج لزمانته».

بئس: كلمة ذمّ، وتقابلها نِعْم كلمة مدح. وهما فعلان ماضيان جامدان لايتصرّفان لإخراجهما عن موقعهما، فإنّ «نِعْمَ» منقول من قولك: «نَعِمَ فلان» إذا أصاب نعمة، و«بئس» منقول من «بَئِسَ فلان» إذا أصاب بؤساً، فنُقلا إلى المدح والذّمّ فشابها الحروف فلم يتصرّفا.

وحقّ فاعل «بِئسَ» أن يكون مقروناً بلام الجنس: «بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان» الحجرات: ١١) أو مضافاً إلى مقرون بها: «فبئس مثوى المتكبّرين» غافر: ٧٦) وقد يضمر مفسّراً بنكرة منصوبة على التّميز: «بئس للظّالمين بدلاً» الكهف: ٥٠) أو بما النّكرة: «فبئس مايشترون» آل عمران: ١٨٧) وقد رسمت في المصحف لفظة «ما» متصلة بـ «بئس» عند عدم سبق الفآء أو الّلام: «بئسما اشتروا به أنفسهم» البقرة: ٩٠).

بنات بِئسٍ: الدّواهي.

١ ـ الدأب ـ ٤٦٠

دَأَبَ في عمله يَدْأَبُ دَأْباً ودَأَباً ودُؤُوباً ـ من باب منع ـ: جدّ وتعب فيه، وداوم عليه فهو دَئِبٌ ودآئِبٌ. ومنه حديث البعير الّذي سجد لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لصاحبه: إنّه يشكوا إليّ أنّك تُجيعُه وتُدْئِبُهُ» أي تكدّه وتُتْعِبُهُ.

الدأب: الملازمة للشيء. الدأب: الجدّو الإجتهاد والتّعب في العمل، ومنه حديث الهلال «الدّائب السّريع» ومنه قوله عليه السّلام: «فربّ دائب مضيع» يعني أنّ العامل قديد أب في عمله لله تعالىٰ لكنّه يكون مضيّعاً لجهله بكيفيّة إيقاعه وإتيانه به على الوجه المرضيّ.

وقد استعمل الدّأبُ والدّأبُ في معنى الشأن والعادة المستمرّة دائماً على حالة.

قال الله تعالى: «مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود» غافر: ٣١) أي كان إجتهاد مشركي مكّة في كفرهم وتظاهرهم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ككفر قوم نوح وعاد وثمود عليهم السّلام وتظاهرهم على رسلهم وعادتهم الّتي يستمرّون عليها. وفي الحديث: «صلاة اللّيل دأب الصّالحين» أي عادتهم وشأنهم. ومنه « كان دأبي ودأبهم كذا». وفي وصف سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام» «الدّائب المجتهد في العبادات» لما روي: أنّه كان يصلّي في كلّ ليلة ألف ركعة. والدأب والدّيدن بمعنًى. يقال: هذا دأبك أي شأنك وعملك.

قال الله تعالى: «قال تزرعون سبع سنين دَأباً» يوسف: ٤٧) أي دآئبين مجدّين في الزّراعة متابعة أو ذوي دأب أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف أي تد أبون دأباً.

الدّأب: إدامة السّير. دأب في السّير دَأباً. الدّؤوب: المبالغة في السّير.

وقال تعالى: «وسخّر لكم الشّمس والقمر دائبين» إبراهيم: ٣٣) أي مستمرّين في الحركة لايفتران في منافع الخلق وإصلاح مايصلحان من الأرض والأبدان والنّبات...

الدّآئبان: اللّيل والنّهار مثل الجديدين.

٦٧ ـ الفوض والتّفويض ـ ١١٨٦

فَوَّضَ إليه الأمْرَ يُفَوِّضُه تفويضاً ـ من باب التّفعيل ـ: صيرّه إليه و جعله حاكماً فيه. ومنه يجيئ الإتّكال في الأمر على الله تعالى وردّه إليه، فيقال: فوّض إليه أمره. قال الله عزّوجلّ حكايةً عن مؤمن آل فرعون: «وأفوّض أمري إلى الله» غافر: ٤٤) أي

أردّه إليه.

ومنه الدّعآء: «فوّضت أمري إليك» أي رددته إليك وجعلتك حاكماً فيه. وفي حديث الفاتحة: «فوّض إليّ عبدي».

فوّض الرّجلُ المرأة: زوّجها بلامهر. المفوّضة: المرأة الّتي زُوّجَت بلاذكر مهر أو على أنّ لامهر لها.

وقوم فَوْضَى: متساوون لارئيس ولا أميرلهم، ولا مَن يجمعهم.

قال الأفْوَهُ الأودي:

لايصلح القوم فَوْضَى لاسراة لهم ولا سراة إذا جُهّالهم سادوا

وصار النّاس فَوْضَى أي متفرّقين وهو جماعة الفآئض، ولايفرد كما يُفرد الواحد من المتفرّقين، والوحش فَوْضَى: متفرّقة تتردّد.

قوم فَوْضَى: متفرّقون. وقيل: مختلط بعضهم ببعض. أمرهم فَوْضَى بينهم. وباتوافَوضَى: مختلطين، ومالهم فَوْضَى بينهم أي مختلط فيهم. وفَوْضُوضاء ـ بالمدّ ـ وفَوْضَوى ـ بالقصر ـ: هم مختلطون يتصرّف كلّ منهم في مالالآخر. أموالهم فَوْضَى بينهم وفَوْضُوضى وفَوْضُوضآء: هم شركآء فيها متساوون لا تباين بينهم ولايستأثر بعضهم على بعض فيها، من أراد منهم شيئاً أخذه، فيلبس هذا ثوب هذا، ويأكل هذا طعام هذا لايوامرواحد منهم صاحبه فيما يفعل من غير أمره.

شركة مفاوضة ـ بالوصف والإضافة ـ: شركة متساويين مالاً وتصرّفاً وديناً ويقابلها شركة العِنان.

فاوضه في الأمر مفاوضة: ساواه وجاراه فيه. وفاوضه في المال: شاركه فيه. المفاوضة: المساواة والمشاركة في كلّ شيئ كأنّ كلّ واحد منها ردّ ماعنده إلى صاحبه. الفوضة الإسم من المفاوضة. ويقال: رأيت التّفواضة لفلان أي بقيّة الحياة.

تفاوض الشّريكان في المال: إشتركا فيه أجمع وتساويا. وتفاوض القوم في الأمر: فاوض فيه بعضهم بعضاً وفي الحديث: «اخذوا فيه».

مفاوضة العلمآء: محادثتهم ومذاكرتهم في العلم، كأنّ كلّ واحد منهما ردّ ماعنده إلى صاحبه، فيأخذ كلّ ماعند غيره ويعطي ماعنده. وتفاوضوا الحديث: أخذوا فيه.

المفوّضة: فرقة قالوا: «إنّ الله خلق محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وفوّض إليه خلق العالم فهو الخلاّق لما فيه» ومن المفوّضة فرقة قالوا: «إنّ الله خلق عليّاً عليه السّلام: وفوّض إليه خلق الدّنيا» والمعتزلة تقول: «إنّ الله فوّض أفعال العباد إليهم». مذهب التّفويض مردود عند الإماميّة الإثنىٰ عشرية الحقّة شيعة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين، وقد ورد عنهم عليهم السّلام: «من قال بالتّفويض فقد أخرج الله عن سلطانه» و«لاجبرو لا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

وسيأتي بحث التّفويض في تفسير سورة المجادلة إن شآء الله تعالى فانتظر.

٨ ـ الدّخر ـ ٤٦٦

دَخَرَ يَدْخَرُ دُخُوراً ـ مصدر على غير قياس ـ من باب منع ـ ودَخِرَ يَدْخَرُ دَخَراً ـ مصدر على القياس ـ من باب علم ـ: ذلّ وانقاد وصغر فهو داخِرٌ ودَخِرٌ وهم داخرون ودَخِرون.

قال الله عزّوجلّ: «سيدخلون جهنّم داخرين» غافر: ٦٠) أي أذلآءَ مهانين صاغرين.

الدّاخر: الصّاغر المهان الذّليل. يقال: الأوّل فاخِرٌ، والآخر داخِرٌ. والدَّخَرُ: التّحيّر.

أدخره: أذلّه وصغّره. يقال: أدخرته فدخر أي أذللته فذلّ.

٦٠ ـ الشّيخ ـ ٨٢٨

شاخ الرّجل يشيخ شَيخاً ـ بتحريك اليآء ـ وشُيُوخةً وشِيُوخةً شِيُوخِيّة وشُيُوخيّة

وشيخوخة ـ يأتي ـ من باب ضرب نحو باع ـ: استبانت فيه السّن وظهر عليه الشّيب وصار شيخاً.

جمع الشّيخ: شِيُوخ وشُيُوخ وأشياخ، وشِيَخة وشِيخة وشيخان ومَشيخَة ومَشيخة ومَشيُوخاء ومشايخ إلّا أنّها جمع مَشيخَة وهي جمع شيخ. وقيل: إسم جمع، وأشاييخ وهي جمع أشياخ. وقيل: المشيخة إسم جمع الشّيخ والجمع المشايخ.

قال الله عزّوجلّ: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً» غافر:٦٧).

في الشّيخ خمسة أقوال: ١ـ قيل: مَن جاوزستّاً وأربعين سنة. ٢ـ قيل: من أربعين إلى آخر عمره. ٣ـ قيل: مَن جاوز خمسين. ٤ـ قيل: من إحدى وخمسين إلى آخر عمره. وقيل: إلى الثّمانين. ٥ـ قيل: المُسِنّ بعد الكهل وهو الّذي انتهى شبابه. والشّابّ من تجاوز البلوغ إلى ثلاثين سنة ومابينهما كهل. فالشّيخ فوق الكهل.

الشّيْخان ـ بكسر الشّين ـ: موضع بالمدينة المنوّرة عسكر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة خرج إلى اُحُدو به عرض النّاسَ. موضع بمدينة قم المقدّسة قرب الصّحن المطهّر على دفينتها فاطمة المعصومة بنت موسى بن جعفر صلوات الله وآلاف التّحيّة عليه في كلّ آن إلى يوم القيامة.

شيخ المرأة: زوجها وإطلاق الشّيخ على الأُستاذ والعالم وكبير القوم ورئيس الصّناعة إنّما هو باعتبار الكبر في العلم والفضيلة والمقام ونحو ذلك.

ورث الكرم من شيخه ومن أشياخه أي من أبيه وآبائه ...

الشّيخ: شجرة يقال لها: شجرة الشّيوخ، وثمرتها جِرْوٌ كجِرْ والخِرّيع وهي شجرة العصفر، منبتها الرّياض والقُربان. الشّيخة: نبتة لبياضها كما قالوا في ضَرْب من الحمض: الهَرْمُ.

شيخ النّار: كناية عن إبليس. أشياخ النّجوم: أُصولها الّتي عليها مدار الكواكب وسيرها.

شيّخ الرّجل: بمعنى شاخ. وشيّخ فلاناً: دعاه شيخاً أو قال له: يا شيخ تبجيلاً وتعظيماً. وشيّخ عليه: عابه وشنّع عليه، وشيّخ به: فضحه.

الشّاخة من الرّجال: المعتدل القامة. والشّيخة ـ مؤنّث الشّيخ كقوله: «وتضحك منّي شيخة عبشمية» الشّيخة ـ بالكسر ـ: رملة بيضآء ببلاد أسد وحنظلة. الشّيخون: الشّيخ المسنّ.

تشيّخ الرّجل: صار شيخاً. تصغير الشّيخ: شُيَيْخ وشِيَيْخ وشُوَيْخ.

في المفردات: يقال لمن طَعَنَ في السّنّ: الشّيخ. وقد يعبّر به فيما بيننا عمّن يكثر علمه لما كان من شأن الشّيخ أن يكثر تجارب ومعارفه. ويقال: شيخ بين الشّيخوخة والشّيخ والتّشييخ.

وفي المجمع: «والشّيخ في الحديث هو موسى بن جعفر عليه السّلام وربّما أطلق على الصّادق عليه السّلام كما في رواية زرارة ومحمّد بن مسلم قالا بعثنا إلى الشّيخ ونحن بالمدينة والمراد به الصّادق عليه السّلام كما صرّح به في بعض الأخبار» انتى كلامه.

٢١ ـ المرح ـ ١٤١٩

مَرِحَ الرّجل يَمْرَحُ مَرَحاً ومراحاً فهو مَرِحٌ ـ من باب علم ـ: توسّع في الفرح واشتدّ في النّشاط حتّى تجاوز الحدّ فيه وتبختر واختال.

تقول: فلان يفرح ويمرح وربّما قُصِدَ مع الفرح الخُيَلآء والإعجاب بالنّفس تقول: يمشي فلان مَرَحاً.

قال الله تعالى: «ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون» غافر: ٧٥).

وقال: «ولا تمش في الأرض مَرَحاً» لقمان: ١٨).

جمع مَرِحٌ: مَرْحَى ومراحي، ومرّيح، جمعه: مرّيحون.

مرح فلان مَرَحاناً: فرح شديداً، ومرحت عينه: فسدت وهاجت واشتدّ سيلانها، ومرحت العين بمآئها وقذاها: رمت به، ومرحت الأرض بالنّبات: أخرجته، ومرح

الزّرع: خرج سنبله، ومرح السّحاب: اسبل المطر. لا تمرح بعِرْضك: لا تعرّضه. المروح: الخمر سميّت بذلك لأنّها تمرح في الإنآء.

أمرح الكلأ الفَرَسَ: أنشطه، وأمرح فلان فلاناً: حمله على الفَرَح والنّشاط. مرّح الطّعام أي البُرَّ: نقّاه من الغفا بالمكانس، ومرّح الجِلدَ: دهّنه، و مرّح المزادة الجديدة: شرّبها أي ملأها مآءً ليذهب مَرَحُها أي لَتُنْسَدَّ عيونها ولايسيل منها شيْ، ومرّح الرّجل: صار إلى مرحى الحرب أخذت من لفظ المَرْحىٰ وهي في الأصل بمعنى مدار الرّحىٰ ثمّ استعملت لمعظم الحرب، ومرّح مُهْرَه: ليّنه وأزال مرحه وشماسه فهو مهر ممرّح أي مذلّل.

في المفردات: المرح: شدّة الفرح والتوسّع فيه، ومَرْحىٰ كلمة تعجّب.

﴿النحو﴾

١ - (حمٓ)

في إعرابها وجوه: **أحدها-** في موضع نصب، على تقدير: «اتل» أو «اقرأ» إلّا أنّها غير منصرف لأنّـها جعلت إسماً للسّورة، فاجتمع التّعريف والتّأنيث وأنّها أيضاً ليست على وزن من أوزان العرب، بل وزن الأعجمي كـها بيل وقـابيل. **ثانيها-** في موضع جرّ بالقسم. **ثالثها-** في موضع رفع على تقدير: هذا حم. **رابعها-** لامحلّ لها لأنّها من حروف التّهجّي فلا يدخلها الإعراب.

٢ - (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم).

في «تنزيل» وجوه: **أحدها-** مبتداء، و«من الله» متعلّق بمحذوف، خبره **ثانيها-** خبر لـ «حم» والمعنى: إنّ القرآن أنزلـه الله وليس منقولاً ولا ممّا يجوز أن يكذّب بـه. **ثالثها-** خبر لمحذوف تقديره: «هو أو هذا تنزيل» اضيف إلى «الكتاب» من قبيل إضافة الصّفة إلى موصوفها أي كتاب منزّل من الله، وقيل: تقديره: السّورة المسمّاة بـ «حم تنزيل الكتاب» و«من الله» متعلّق بمحذوف، خبر بعد خبر. **رابعها-** مبتداء لخبر محذوف أي تنزيل الكتاب هو من الله وعلى أيّ وجه من الوجوه: أنّ الجملة مستأنفة لامحل لها. و«العزيز» نعت لـ «الله» و«العليم» نعت ثان.

٣ - (غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير)

«غافر» إسم فاعل، معناه صفة مشبّهة لدلالته على الثبوت، نعت ثالث للفظ الجلالة: «الله» والواو للعطف و«قابل» نحو «غافر» وإضافتها إلى معرفتي «الذنب»

و«التّوب» محضة حقيقيّة اذلم يرد منها حدوث الفعلين في الحال والإستقبال بل اريد ثبوتها ودوامها لله تعالىٰ، فهما صفتان لله بالذّات، فإنّ من شأنه جلّ وعلا غفران الذّنب وقبول التّوبة فيما مضىٰ وفيما يستقبل إذا استغفر وتاب العبد، ولذلك كانا من صفة المعرفة، ولو جُعِلا بدلين كانت المعرفة والنّكرة سوآء.

وفي «التّوب» وجهان: أحدهما- جمع توبة كدوم ودومة. ثانيها- مصدر سماعيّ لفعل تاب يتوب توباً.

وفي «شديد العقاب» وجهان: أحدهما- بدل من «الله» لأنّ الإضافة في الصّفة المشبّهة ليست محضة، فشديد ليس معرفة تماماً. ثانيها- نعت خامس لـ «الله» ولام «العقاب» عوض عن المحذوف أي شديد عقابه. وقيل: إنّ الشديد بمعنى المشدّد فتكون الإضافة محضة فيتعرّف فيكون وصفاً.

وفي «ذي الطّول» وجهان: أحدهما- نعت سادس: ثانيها- بدل من «الله».

و«لا» حرف نفي للجنس، و«إله» إسمها، وخبرها محذوف أي موجود أو معبود بحق، و«إلّا» حرف إستثنآء و«هو» ضمير منفصل، في موضع رفع، بدل من الضّمير المستتر في الخبر المحذوف، وفي الجملة وجهان: أحدهما- مستأنفة لامحلّ لها. ثانيها- في موضع جرّ، وصف سابع. و«إليه» متعلّق بخبر مقدّم محذوف، و«المصير» مبتداء مؤخّر، والجملة مستأنفة لامحلّ لها. وقيل: نعت ثامن.

٤ ـ (مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا فلايغرر ك تقلّبهم في البلاد)

«ما» نافية للحال والإستقبال على الأصحّ و«يجادل» فعل مضارع للمفرد المذكّر الغآئب من باب المفاعلة، و«في آيات الله» متعلّق بـ «يجادل» و«إلّا» للحصر، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و «كفروا» صلة الموصول لامحلّ لها، والفآء لربط المسبّب بالسّبب، و«لا» ناهية، والفعل مجزوم بحرف النهي، وضمير الخطاب في موضع نصب، مفعول به، و«تقلّبهم» مصدر مضاف، فاعل الفعل، و«في البلاد» جمع البلد، متعلّق بـ «تقلّبهم» وفي الجملة وجهان: أحدهما- معطوفة على مستأنف مقدّر أي تنبّه فلا يغررك . ثانيها- في

موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن كان المجادلون في آيات الله كفّاراً فلا يغررك تقلّبهم ... فهم مأخوذون عن قريب بكفرهم أخذ من قبلهم.

۵ ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتُهم فكيف كان عقاب)

«كذّبت» فعل ماضٍ من باب التّفعيل، تأنيثه بإعتبار جماعة فاعله: «قوم» و«قبلهم» ظرف زمان، منصوب، متعلّق بـ «كذّبت» و«الأحزاب» جمع الحزب من جموع القلّة، عطف على «قوم نوح» و«من بعدهم» متعلّق بحال من «الأحزاب» والجملة تعليلية لا محلّ لها «وهمّت» الواو عاطفة وتأنيث الفعل بإعتبار فاعله: «كلّ» أضيف إلى المؤنّث المجازي: «أمّة» و«برسولهم» متعلّق بـ «همّت» والجملة معطوفة على جملة «كذّبت ...» لامحلّ لها و«ليأخذوه» اللاّم للتّعليل، والفعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، منصوب بـ «أن» مضمرة بعداللاّم، والضّمير في موضع نصب، مفعول به، والجملة لامحلّ لها، صلة الموصول الحرفي: «أن» والمصدر المؤوّل في موضع جرّ باللاّم متعلّق بـ «همّت».

«وجادلوا» الواو عاطفة، والفعل ماضٍ لجمع المذكّر الغآئب من باب المفاعلة، و«بالباطل» متعلّق بـ «جادلوا» والجملة معطوفة على «كذّبت» و«ليدحضوا» فعل مضارع من باب الإفعال، منصوب مثل «ليأخذوه» و«به» متعلّق بـ «يدحضوا» و«الحقّ» مفعول به، «فأخذتهم» الفآء عاطفة، والفعل ماضٍ للتّكلّم وحده، وضمير الجمع الغآئب في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على «كذّبت» «فكيف» الفآء استئنافية، و«كيف» إسم إستفهام في موضع نصب، خبر لـ «كان» و«عقاب» إسم لـ «كان» مرفوع، وعلامة الرّفع ضمّة مقدّرة على ماقبل يآء المتكلّم أي عقابي، فحذفت اليآء إجتزاءً بالكسرة عنها وصلاً و وقفاً لأنّها رأس الآية. وفي الجملة وجهان: أحدهما ـ مستأنفة لامحلّ لها. ثانيها ـ جواب شرط مقدّر أي لمّا عاقبتهم كان عقابي عادلاً أو فهو واقع موقعه والإستفهام للتّقرير.

٦ ـ (وكذلك حقّت كلمة ربّك على الذّين كفروا أنّهم أصحاب النّار)

الواو إستئنافيّة، و«كذلك» متعلّق بمحذوف مطلق، عامله: «حقّت» فعل ماضٍ، و«كلمة ربّك» فاعل الفعل، و«على الّذين كفروا» متعلّق بـ «حقّت» والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«أنّهم» حرف توكيد مع إسمها، و«أصحاب النّار» خبرها، وفي المصدر المؤوّل وجهان: أحدهما- في موضع رفع، بدلاً من «كلمة ربّك ...» بدل إشتمال بحسب المعنىٰ أو بدل كلٍّ بحسب اللّفظ. أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النّار. ثانيها- في موضع نصب، على حذف البآء أو لام التّعليل وإيصال الفعل أي بأنّهم أو لأنّهم ... فكما وجب إهلاك اولئك الأمم كذلك وجب إهلاك هؤلآء لأنّ علة واحدة تجمعهم أنّهم من أصحاب النّار.

٧ ـ (الّذين يحملون العرش ومَنْ حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيْ رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

«الّذين» موصولة في موضع رفع على الإبتدآء، و«يحملون» صلتها لامحلّ لها، و«العرش» مفعول به، والواو عاطفة و«مَن» موصولة في موضع رفع، معطوفة على «الّذين» و«حوله» ظرف منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة «مَن» و«يسبّحون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب في موضع رفع، خبر المبتدآء: «الّذين» وجملة المبتداء والخبر مستأنفة لامحلّ لها، و«بحمد ربّهم» متعلّق بحال من فاعل «يسبّحون» أي ملابسين للحمد. أي يقولون: سبحان الله وبحمده.

«ويؤمنون» الواو عاطفة، والفعل مضارع في موضع رفع، عطف على «يسبّحون» و«به» متعلّق بـ «يؤمنون» «ويستغفرون» معطوف على «يسبّحون» و«للّذين» متعلّق بـ «يستغفرون» و«آمنوا» صلة الموصول الثّاني، و«ربّنا» منادى مضاف، منصوب، و«وسعت» فعل ماضٍ للمذكّر المخاطب و«كلّ شيْ» مفعول به، و«رحمة» تمييز محوّل عن فاعل، و«علماً» عطف على «رحمة» والأصل: وسع كلّ شيْ علمك. والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها وجملة النّدآءِ وجوابه في موضع نصب، مقول

لقول مقدّر. وفي جملة القول المقدّرة وجهان: أحدهما- في موضع نصب، حال من فاعل «يستغفرون» ثانيها- في موضع رفع، بيان لـ «يستغفرون» أي يقولون: ربّنا وسعت ...

«فاغفر» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، والفعل فعل أمر، و«للّذين» متعلّق بـ «اغفر» و«تابوا» صلة الموصول الثّالث لامحلّ لها، و«اتّبعوا» فعل ماض من باب الإفتعال، معطوف على «تابوا» و«سبيلك» مفعول به، «وقهم» الواو عاطفة و«قِ» فعل أمر من باب وقىٰ يقي والضّمير: «هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«عذاب الجحيم» مفعول به ثان، والجملة معطوفة على «اغفر» وجملة «اغفر ...» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن وسعت رحمتك كلّ شيْ فاغفر للذين ...

۸ ـ (ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّياتهم إنّك أنت العزيز الحكيم)

«ربّنا» كالسّابق، وجملة النّدآء إعتراضية للإسترحام لامحل لها «وأدخلهم» الواو عاطفة، والفعل فعل أمر من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«جنّات عدن» مفعول به ثان، والجملة في موضع جزم، معطوفة على «اغفر» و«الّتي» موصولة، و«وعدتهم» صلة الموصول على حذف العآئد: «بها» والجملة في موضع نصب، صفة لـ «جنّات عدن».

في «ومن» وجهان: أحدهما- عطف على «هم» في «أدخلهم» فيكون دعآءً من الملائكة بإدخال هؤلآء الأصناف الجنّة تكميلاً لأنس الأوّلين، وتتميماً لإبتهاجهم وإشفاقاً على هؤلآء أيضاً أي: وأدخل من صلح من آبآئهم ... ثانيها- معطوف على «هم» في «وعدتهم» لأنّ الله تعالى قال: «اولئك لهم عقبى الدّار جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم ...» الرّعد: ۲۲- ۲۳) وعلى هذا لايشمل دعآء الملائكة هؤلآء الأصناف إلّا ضمناً. والمعنىٰ: «وعدت من صلح من آبائهم ...» و«صلح» صلة الموصول: «مَن» لامحلّ لها، و«من آبائهم» متعلّق بحال من فاعل «صلح» و«أزواجهم وذرّياتهم» معطوفان على «آبائهم».

«إنّك» حرف توكيد مع إسمها وفي «أنت» وجهان: أحدهما- ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء و«العزيز» خبره و«الحكيم» خبر بعد خبر والجملة في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» ثانيها- في موضع نصب، مستعار لتوكيد الضّمير المتّصل اسم «إنّ» و«العزيز» خبر لـ «إنّ» و«الحكيم» خبر بعد خبر، والجملة المؤكّدة تعليل للإسترحام لامحلّ لها.

٩ - (وقهم السّيّئات ومن تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)

الواو عاطفة، وجملة «قهم» في موضع جزم، معطوفة على «اغفر» و«السّيّئات» مفعول به ثان على حذف المضاف أي عذاب السّيّئات أو تبعاتها أو جزآئها أو عقوباتها، و«مَن» الواو استئنافيّة، و«من» إسم شرط جازم في موضع نصب، مفعول به، عامله «تق» فعل مضارع للمفرد المذكّر المخاطب، مجزوم باسم الشّرط بحذف اليآء: «لام الفعل» و«السّيّئات» مفعول به ثانٍ، و«يومئذ» ظرف زمان، منصوب مضاف إلى ظرف آخر، متعلّق بـ «تق» والتّنوين في «يومئذ» عوض عن جملة محذوفة أي يوم إذ تدخل من تشآء الجنّة أو النّار «فقد» الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«قد» حرف تحقيق، و«رحمته» فعل ماضٍ للمفرد المذكّر المخاطب، والضّمير في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء، «وذلك» الواو استئنافية، و«ذلك» مبتداء و«هو» مبتداء ثان، و«الفوز» خبر الثّاني، و«العظيم» نعت لـ «الفوز» والجملة في موضع رفع، خبر الأوّل والجملة مستأنفة لامحلّ لها.

١٠ - (إنّ الّذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون)

«إنّ» حرف توكيد، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمها، و«كفروا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«ينادون» فعل مضارع مبنيّ للمفعول من باب المفاعلة، في موضع رفع، خبر لـ «إنّ» و«لمقت الله» اللّام لام ابتداءٍ للتّوكيد وقعت بعد «ينادون» فالمعنى: يقال لهم: اقسم انّ «مقت الله...» و«مقت» مصدر مضاف

إلى فاعله: «الله» و«أكبر» خبره والجملة تفسير للنّدآء أو مستأنفة بيانية لامحلّ لها، و«من مقتكم» متعلّق بـ «أكبر» و«مقتكم» مصدر مضاف إلى الفاعل، و«أنفسكم» منصوب به.

«إذ» ظرف زمان للماضي في موضع نصب، و«تدعون» فعل مضارع للجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليه، و«إلى الإيمان» متعلق بـ «تدعون» «فتكفرون» الفآء عاطفة، و«تكفرون» في موضع جرّ، معطوفة على جملة «تدعون».

وفي «إذ» وجوه **أحدها**ـ ظرف «لمقت الله» أي مقت الله إيّاكم في الدّنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم الآن وأنتم في النّار. ولامانع من توسّط الخبر بين المبتداء والظّرف. قيل: هذا لايجوز لأنّ «مقت» مصدر قد اخبر عنه وهو قوله: «أكبر من...» فتقدّم الخبر على «إذ» وليس بداخل في صلته، وانّ الإخبار عن المصدر يؤذن بتمامه، ومايتعلّق به يؤذن بنقصانه، فلايجوز أن يحال بين المصدر وبين معموله بالأجنبي.

ثانيهاـ ظرف لـ «مقتكم» قيل:هذا لايجوز لأنّ الدّعآء إلى الايمان كان في الدّنيا و«مقتهم أنفسهم» يكون في الآخرة. وذلك أنّهم لم يمقتوا أنفسهم حين دعوا إلى الايمان، وإنّما مقتوها في النّار وعند ذلك لايدعون إلى الايمان. **ثالثها**ـ ظرف لـ «تدعون» قيل: هذا لايجوز لأنّ «تدعون» في موضع جرّ بالإضافة، والمضاف إليه لايجوز أن يعمل في المضاف. **رابعها**ـ ظرف لفعل مضمر دلّت عليه الجملة. تقديره: مقتم أو مقتكم إذ تدعون أي حين دعيتم إلى الإيمان فكفرتم. وقيل: تقديره: اذكروا إذ تدعون.

خامسهاـ ظرف لـ «مقتكم» على تقدير تسمية الشّيئ بما يؤول إليه. **سادسها**ـ في الآية الكريمة حذف وتقديم وتأخير أمّا الحذف فالتّقدير: لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم. فاستغنى بذكرها مرّة. وأمّا التّقديم والتّأخير فهو أن قوله: «إذ تدعون» منصوب بالمقت الأوّل.

١١ ـ (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل)

«قالوا» مستأنفة لامحلّ لها، و«ربّنا» منادى مضاف، منصوب، و«أمتّ» فعل ماض للمفرد المذكّر المخاطب من باب الإفعال، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، و«إثنتين» مفعول مطلق، نآئب عن المصدر فهو صفته أي إماتتين اثنتين، وجملة «أمتّنا ...» جواب النّدآء لامحلّ لها، وجملة النداء وجوابها: «ربّنا أمتّنا ...» في موضع نصب، مقول القول، وجملة «أحييتنا ...» معطوفة على «أمتّنا» و«اثنتين» كالسّابق أي إحيآءتين اثنتين. «فاعترفنا» الفآء عاطفة والفعل ماض للتّكلّم مع الغير من باب الإفتعال، و«بذنوب» جمع ذنب، أضيف إلى ضمير التّكلّم مع الغير: «نا» متعلّق بـ «اعترفنا» والجملة معطوفة على «أمتّنا» لامحلّ لها.

«فهل» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّرو «هل» حرف إستفهام و«إلى خروج» متعلّق بخبر مقدّم للمبتداء و«سبيل» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، وجملة «هل إلى خروج من سبيل» في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر أي إن قبل إعترافنا بذنوبنا فهل نخرج من النّار؟ والجواب محذوف وهو: لا.

١٢ ـ (ذلكم بأنّه إذا دُعِيَ الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير)

في «ذلكم» وجوه: **أحدها**ـ مبتداء، والمصدر المؤوّل: «أنّه إذا دعي الله وحده» في موضع جرّ بالباء متعلّق بمحذوف، هو خبر المبتدآء. **ثانيها**ـ خبر لمحذوف أي الأمر ذلكم. **ثالثها**ـ مبتداء، خبره محذوف أي ذلكم العذاب الّذي أنتم فيه بكفركم. وفي الكلام متروك تقديره: فأجيبوا بأن لاسبيل لكم إلى الرّدّ وذلك لأنّكم إذا دُعي الله وحده ... وجملة «ذلكم بأنّه ...» تعليل لمقدّر لامحلّ لها أي ليس ثمّة خروج لكم من النّار بسبب كفركم.

«إذا» حرف شرط، أُضيف إلى «دُعِيَ» فعل ماض، مبنيّ للمفعول، و«الله نآئب الفاعل، وفي «وحده» وجهان: **أحدهما**ـ مصدر في موضع الحال من «الله» أي دُعِيَ مفرداً. **ثانيهما**ـ منصوب على الظّرف تقديره: دُعِيَ على حياله وحده وهو مصدر

محذوف الزّيادة والفعل منه: أوحدته إيحاداً.

وجملة «دُعِيَ الله وحده» في موضع جرّ، مضاف إليه، و«كفرتم» جواب شرط غير جازم: «إذا» فلامحلّ للجملة، وجملة الشّرط وجوابه في موضع رفع، خبر «أنّ» «وإن يشرَكْ به» الواو عاطفة، و«إن» حرف شرط جازم، و«يشرك» فعل مضارع مبنيّ للمفعول، مجزوم بحرف الشّرط، حُذِفَ نائب فاعله لدلالة السّياق عليه أي شريك، و«به» متعلّق بـ «يشرك» والجملة في موضع رفع، معطوفة على جملة خبر «أنّ» و«تؤمنوا» مجزوم، جواب الشّرط لامحلّ لها.

«فالحكم» الفآء إستئنافيّة، و«الحكم» مبتداء و«لله» متعلّق بمحذوف وهو الخبر، و«العليّ» نعت لـ «لله» و«الكبير» نعت ثانٍ، وفي جملة «الحكم لله» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي فإن جآء الحساب فالحكم لله فالفآءـ على هذاـ رابطة لجواب شرط مقدّر.

١٣ـ (هوالّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّمآء رزقاً ومايتذكّر إلّا من ينيب)

«هو» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبره والجملة مستأنفة لامحلّ لها و«يريكم» الفعل مضارع من باب الإفعال، و«كم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«آياته» مفعول به ثانٍ، والجملة صلة الموصول لامحلّ لها، و«يُنزّل» الواو عاطفة، والفعل مضارع من بابِ التفعيل، و«لكم» متعلّق بمحذوف وهو حال من «رزقاً» و«من السّمآء» متعلّق بـ «ينزّل» و«رزقاً» مفعول به، والجملة معطوفة على «يريكم» لامحلّ لها.

«وما يتذكّر» الواو إعتراضية، و«ما» نافية، والفعل مضارع من باب التفعّل، و«إلّا» للحصر و«مَن» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، و«ينيب» صلة الموصول لامحل لها، وفي جملة: «وما يتذكّر...» وجوه: **أحدها**ـ إعتراضية لامحلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع نصب، حال من ضمير الخطاب في «يريكم» فالوا وحالية. **ثالثها**ـ في موضع نصب، حال من ضمير «لكم».

١٤ - (فادعواالله مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«ادعوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«الله» مفعول به، و«مخلصين» إسم فاعل لجمع المذكّر من باب الإفعال، حال من فاعل «ادعوا» و«له» متعلّق بـ «مخلصين» و«الدّين» مفعول به لـ «مخلصين» وجملة «ادعواالله ...» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن أردتم رضا الله تعالىٰ فادعوه مخلصين.

في «ولو» وجهان: **أحدهما**- الواو حاليّة و«لو» شرطيّة غير جازم، و«كره» فعل ماض و«الكافرون» فاعله، وجملة «كره الكافرون» في موضع نصب، حال، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ماقبله. وقيل: أي فلا تبالوا بهم. **ثانيها**- الواو وصليّة، فالشّرط لايحتاج إلى جواب، فالجملة لامحلّ لها.

١٥ - (رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره علىٰ مَن يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق)

في «رفيع الدّرجات» وجوه: **أحدها**- مبتداء و«ذوالعرش» أو «يلقي» خبره **ثانيها**- خبر لمبتداءٍ محذوف، تقديره: هو رفيع الدّرجات و«ذوالعرش» خبرثان أو صفة، وجملة «يلقي الرّوح» خبر ثالث أو مستأنف **ثالثها**- «رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح» صفات ثلاث لموصوف محذوف أي هوالله رفيع الدّرجات ... **رابعها**- نعوت ثلاثة لله تعالى، وكلّ واحد منها خبر بعد خبر للضّمير في قوله: «هوالّذي يريكم آياته» **خامسها**- خبرثان لقوله: «هوالّذي يريكم».

وفي «من أمره» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بحال من «الرّوح» **ثانيها**- متعلّق بـ «يلقي» و«من» سببيّة. وقيل: «مِن» بمعني الباءِ أي بأمره.

«مَن» موصولة، مجرور بـ «على» متعلّق بـ «يلقي» و«يشآء» صلتها لامحلّ لها، و«من عباده» متعلّق بحال من العآئد المحذوف، و«لينذر» فعل مضارع، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد اللاّم، والمفعول به الأوّل محذوف أي النّاس، و«ينذر» بعد انسباكه إلى المصدر متعلّق بـ «يلقي» و«يوم» مفعول به ثانٍ منصوب بحذف مضاف

أي شدّة يوم التّلاق أو أهوال يوم التّلاق على حذف الياء من «التّلاق». فـ «يوم التّلاق» منصوبٌ انتصاب المفعول به لاالظّرف لأنّ الإنذار لايكون في يوم التّلاق، وإنّما يكون الإنذار به لافيه. وأصل «التّلاق»: التّلاقي، مصدر قياسيّ لفعل تلاقي الخماسيّ، وقياسه أن يكون ماقبل آخره مضموماً ولكنّه كسر لمناسبة اليآء بعد رجوع الألف إلى أصلها اليائيّ.

١٦ - (يوم هم بارزون لايخفىٰ على الله منهم شيءٌ لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار)

في «يوم» وجوه: **أحدها**ـ بدل من «يوم التّلاق» ثانيها ـ منصوب بفعل مقدّر أي اذكر يوم ... **ثالثها**ـ ظرف لـ «التّلاق» **رابعها**ـ ظرف لقوله تعالى: «لايخفىٰ ...» أي لايخفىٰ اليوم عليه شيءٌ منهم ومن أعمالهم ...

«هم» في موضع رفع، مبتداء و«بارزون» إسم فاعل لجمع المذكّر، خبره والجملة في موضع خفض بإضافة «يوم» إليها، فلذلك حذف التّنوين من «يوم».

«لا» نافية، و«يخفى» فعل مضارع، و«على الله» متعلّق بـ «يخفى» و«منهم» متعلّق بمحذوف، وهو حال من «شيءٌ» وفي الجملة: «لايخفىٰ ...» وجوه: **أحدها**ـ في موضع رفع، خبر آخر لـ «هم». **ثانيها**ـ حال من الضّمير في «بارزون». **ثالثها**ـ مستأنفة لامحلّ لها.

«لمن» اللاّم جارّة و«من» إسم إستفهام، مجرور، متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم و«الملك» مبتداء مؤخّر، والمعنى: لِمَنِ إستقرّ الملك ؟ والجملة في موضع نصب، لقول مقدّر أي يقول الله لِمَن الملك ؟

في «اليوم» وجوه: **أحدها**ـ منصوب بمدلول قوله تعالى: «لمن الملك» أي لِمَنْ ثبت الملك في هذا اليوم؟ **ثانيها**ـ متعلّق بنفس «الملك» لأنّه مصدر. **ثالثها**ـ يحسن الوقوف على «الملك» فيبتدئ: «اليوم لله الواحدالقهّار» فاليوم متعلق بما يتعلّق به «لله» أي الملك مستقرّ لله الواحدالقهار في هذا اليوم.

«لله» متعلّق بمحذوف، خبر لمبتداء محذوف أي الملك ثابت لله. و«الواحد» نعت لـ «لله» و«القهار» مبالغة، نعت ثان. والجملة في موضع نصب، مقول لقول

مقدّر آخر أي يقول الله يجيب نفسه: الملك لله ... وجملة القول المقدّرة مستأنفة بيانية لامحلّ لها.

١٧ ـ (اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب)

«اليوم» ظرف زمان، منصوب متعلّق بـ «تجزىٰ» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، تأنيثه بإعتبار اكتساب نآئب فاعله: «كلّ» التّأنيث بإضافته إلى مؤنّث مجازيّ: «نفس» وجملة «تجزىٰ كلّ نفس» مستأنفة في حيّز القول المقدّر.

«بما» البآء سببيّة، وقيل: البآء للصّلة، وفي «ما» وجهان: **أحدهما** ـ حرف مصدريّ، والمصدر المؤوّل: «ما كسبت ...» في موضع جرّ بالباء متعلّق بـ «تجزىٰ» **ثانيها** ـ اسم موصول في موضع جر، والعآئد محذوف أي كسبته. و«لا» نافية للجنس و«ظلم» إسمها، و«اليوم» ظرف زمان منصوب متعلّق بمحذوف، هو خبر «لا» أي لاظلم كائن في هذا اليوم والجملة مستأنفة في حيّز القول، وجملة «إنّ الله ...» تعليليّة لامحل لها.

١٨ ـ (وأنذرهم يَوْم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع).

الواو إستئنافية، و«أنذر» فعل أمر من باب الإفعال، و«هم» في موضع نصب، مفعول به الأوّل و«يوم الأزفة» مفعول ثان والجملة مستأنفة لامحلّ لها. قيل: «يوم الأزفة» من بابِ إضافة الشّيءْ إلى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الاولى «الآزفة» مؤنث الآزف إسم فاعل، و«الآزفة» نعت لمنعوت محذوف أي القيامة الآزفة. «إذ» ظرف في موضع نصب، بدل من «يوم» و«القلوب» جمع القلب، مبتداء، و«لدى» بمعنى «عند» ظرف مبنيّ في موضع نصب، متعلّق بمحذوف، خبرالمبتداء، و«لدى» اضيف إلى «الحناجر» جمع الحنجرة.

في «كاظمين» جمع كاظم وجوه: **أحدها** ـ حال من أصحاب القلوب لأنّ المعنىٰ: إذ قلوبهم لدي حناجرهم كاظمين عليها. **ثانيها** ـ حال من القلوب لأنّها كاظمة على كرب وغمّ فيها مع بلوغها الحناجر، ولمّا وصفها بالكظم الّذي هو من

أوصاف العقلآء جمع كاظم جمع سلامة، فعوملت القلوب بالجمع بالياء والنّون معاملة أصحابها كقوله عزّوجلّ: «فظلّت أعناقهم لها خاضعين» الشّعراء: ٤).

ثالثها- حال عن ضمير المفعول في «وأنذرهم» أي وأنذرهم مقدّرين أو مشارفين الكظم، فيكون حالاً مقدّرة. رابعها- حال من الضّمير في «لدى» والمعنى: إذ قلوب النّاس لدى الحناجر في حال كظمهم. ومعناه: متوقفين عن كلّ شيْ إلّا عمّا دفعت إليه من فكرها فيه، ونسبة الكظم إلى القلب كنسبة الكتابة إلى الأيدي في قوله تعالى: «كتبت أيديهم» البقرة: ٧٩) وإنّما ذلك للجملة وجملة «القلوب ...» في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها.

«ما» نافية مهملة لزيادة «من» في خبرها، و«للظّالمين» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من» زآئدة للتّوكيد، و«حميم» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، مبتداء مؤخّر، وجملة «ما للظّالمين ...» في موضع نصب، حال من «يوم الأزفة» والرابط مقدّر أي فيه أو مستأنفة بيانية لامحلّ لها. و«لا» زآئدة لتأكيد النّفي، و«شفيع» معطوف على «حميم» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً تقديره: ما للظّالمين حميمٌ ولاشفيعٌ. و«يطاع» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، في موضعه وجهان: أحدهما- جرّ، نعت لـ «شفيع» أي ولا من شفيع يطاع. ثانيها- رفع على الموضع لزيادة «من».

١٩ - (يعلم خآئنة الأعين وماتخفي الصّدور)

«يعلم» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى الله تعالى، في موضع الفعل وجهان: أحدهما- رفع، خبر آخر لقوله تعالى: «هوالّذي يريكم آياته» إلّا أنّه فصّل بالتّعليل وهو قوله تعالىٰ: «لينذر» وذكر وصف القيامة استطراداً. ثانيها- تعليليّة لامحلّ لها.

«خآئنة» مفعول به، اضيف إلى «الأعين» جمع العين من جموع القلّة. وفي «خآئنة الأعين» وجوه: أحدها- تقديم وتأخير أي الأعين الخائنة فمن إضافة الصّفة إلى الموصوف نحو: جرد قطيفة. ثانيها- «خائنة» صفة للنّظرة. ثالثها- مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة. والمراد استراق النّظر إلى مالا يحلّ كما يفعل أهل

الرّيب.

«وما» الواو عاطفة، و«ما» موصولة في موضع نصب، معطوفة على «خآئنة» و«تخفي» فعل مضارع من باب الإفعال، و«الصّدور» جمع الصّدر، صلة الموصول لا محلّ لها.

٢٠ - (والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لايقضون بشيْ إنّ الله هو السّميع البصير).

الواو إستئنافية و«الله» مبتداء و«يقضي» في موضع رفع، خبره و«بالحقّ» متعلّق بـ «يقضي» والجملة مستأنفة لامحلّ لها، والواو الثّانية عاطفة و«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء و«يدعون» صلتها لامحلّ لها و«من دونه» متعلّق بحال من العآئد المحذوف أي يدعونهم من دونه، و«لا» نافية، و«يقضون» فعل مضارع فيه إعلال بالحذف، أصله: يقضيون بضمّ اليآء فنقلت حركتها إلى الضّاد ثمّ حذفت لإلتقآء السّاكنين، و«بشيْ» متعلّق بـ «يقضون» والجملة في موضع رفع، خبر «الّذين» والجملة معطوفة على «اللّه» يقضي» لامحلّ لها.

«إنّ» حرف توكيد، و«الله» إسمها، وفي «هو» وجهان: **أحدهما**- ضمير فصل زائد بين الإسم والخبر **ثانيها**- ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء و«السّميع» خبره والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» و«البصير» خبر بعد خبر.

٢١ - (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانواهم أشدّ منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ).

الهمزة إستفهاميّة، والواو عاطفة، و«لم يسيروا» الفعل فعل مضارع، مجزوم بحرف الجحد: «لم» بحذف نون الرّفع، و«في الأرض» متعلّق بـ «يسيروا» والجملة لامحلّ لها معطوفة على إستئناف مقدّر أي أغفلوا ولم يسيروا؟ في الفآء وجهان: **أحدهما**- عاطفة، و«ينظروا» مجزوم، معطوف على «يسيروا» **ثانيها**- سببيّة تقدّمها الإستفهام فـ«ينظروا» منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفاءِ جواباً للإستفهام.

وفي «كيف كـان ...» وجهـان: **أحدهما**- «كيف» إسم إستفهـام في موضع نصب، خبر «كان» وفي «كيف» ضمير يعود على «العاقبة» كقولك: أين زيد؟ وكيف عمرو؟ ففي «أين وكيف» ضمير ان يعود ان على «زيدو عمرو» بلاخلاف. و«عاقبة» أضيفت إلى «الّذين» إسم «كان» وجملة «كان عاقبة ...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النّظر المعلّق بالإستفهام: «كيف» بتقدير حرف الجرّ. **ثانيها**- «كان» تامّة، فلا تحتاج إلى خبر، فيكون «كيف» ظرفاً ملغى لاضمير فيه.

«كانوا» صلة الموصول، و«من قبلهم» متعلق بمحذوف، خبر «كانوا» وقيل: المحذوف هو صلة الموصول، والجملة على أيّ الوجهين لامحلّ لها. وجملة «كانوا ...» الثّانية مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها، و«هم» ضمير فصل وهو لايقع إلّا بين معر فتين ولكن الوجه هنا أنّ «أشدّ منهم» شابه المعرفة لأنّ أفعل إذا تمّ بـ«من» لايدخله الألف واللّام فاُجري مجراه، و«أشدّ» خبر «كانوا» و«قوّة» منصوب على التّميز و«آثاراً» جمع أثر، معطوف على «قوّة» و«في الأرض» متعلّق بمحذوف هو نعت لـ«آثاراً» وفي «كانوا- كانوا» وجهان: تامّة وناقصة مثل «كان» في «كيف كان» فيكون «أشدّ» إذا جعلت كان تامّة، منصوباً على الحال.

«فأخذهم الله» الفآء عاطفة، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«بذنوبهم» متعلّق بمحذوف هو حال من ضمير المفعول، والجملة معطوفة على «كانوا ...» لامحلّ لها، و«ماكان» الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«لهم» متعلق بمحذوف، خبر «كان» و«من الله» متعلق بـ«واق» إسم فاعل من الوقاية، مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، إسم «كان» وعلامة الجرّ هي الكسرة المقدّرة على اليآء المحذوفة بسبب التّنوين فـ «واق» إسم منقوص، وجمله «وماكان ..» معطوفة على «أخذهم الله ...» لامحلّ لها.

٢٢ - (ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنّه قويّ شديد العقاب)

«ذلك» في موضع رفع، مبتداء، و«بالبيّنات» جمع البيّنة، متعلّق بمحذوف

حال من «رسلهم» وجملة «تأتيهم رسلهم» في موضع نصب، خبر «كانت» وجملة «كانت تأتيهم رسلهم ...» في موضع رفع، خبر«أنّ» وجملة «أنّهم كانت ...» بعد إنسباكها إلى المصدر في موضع جرّ، خبر المبتداءِ، والجملة تعليلية لامحلّ لها. «فكفروا» الفآء عاطفة، و«كفروا» في موضع رفع، عطف على جملة «كانت ...» «فأخذهم الله» الفآء عاطفة، والجملة معطوفة على «كفروا» و«قويّ» خبر «إنّ» و«شديدالعقاب» خبر بعد خبر، والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها.

٢٣ ـ (ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا وسلطان مبين)

الواو إستئنافية، واللاّم لام قسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتكلّم مع الغير تعظيماً من باب الإفعال، و«موسىٰ» في موضع نصب، مفعول به، وفي «آياتنا» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوفٍ، حال من «موسىٰ» **ثانيها**ـ حال من فاعل «أرسلنا» و«سلطان» عطف على «آياتنا» و«مبين» نعت لـ «سلطان» وجملة «أرسلنا ...» جواب القسم المقدّر لامحلّ لها، وجملة القسم المقدرة مستأنفة لامحلّ لها.

٢٤ ـ (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذّاب)

«إلى فرعون» متعلّق بـ «أرسلنا» والأسمآء الثّلاثة غير منصرفة للعلميّة والعجمة،الفآء عاطفة، و«قالوا» معطوفة على «أرسلنا» لامحلّ لها، و«ساحر» خبر لمبتداء محذوف تقديره: هو ساحر و«كذّاب» صيغة مبالغة، خبرثان، وجملة «هو ساحر كذّاب» في موضع نصب، مقول القول.

٢٥ ـ (فلمّا جآءهم بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وماكيد الكافرين إلاّ في ضلال)

الفآء عاطفة، و«لـمّا» ظرف بمعنى «حين» متضمّن معنى الشّرط، في موضع نصب، متعلّق بالجواب: «قالوا» و«جآء» فعل ماضٍ و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«بالحقّ» متعلّق بحال من فاعل «جآءهم» وفي «من عندنا» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بحال من «الحقّ» **ثانيها**ـ متعلّق بـ «جآءهم» وجملة «جآءهم

بالحقّ» في موضع جرّ مضاف إليه، و«قالوا» جواب شرط غير جازم: «لمّا» لامحلّ لها، و«اقتلوا» في موضع نصب، مقول القول، و«آمنوا» صلة الموصول لامحلّ لها، وفي «معه» وجهان: أحدهما ـ ظرف منصوب متعلّق بحال من فاعل «آمنوا» ثانيها ـ متعلّق بـ «آمنوا».

الواو عاطفة و«استحيوا» فعل أمر من باب الإستفعال، فيه اعلال، مضارعه يستحييون ـ بيائين ـ نقلت حركة الضّمّة في اليآء الثّانية إلى الأولى لتخفيف الثّقل، ثمّ حذفت اليآء الثّانية لإلتقآء السّاكنين، فأصبح يستحيون، فلمّا إنتقل الفعل إلى الأمر بقي الإعلال السّابق ... وزنه استفعوا في موضع نصب، معطوفة على «اقتلوا».

الواو إستئنافية و«ما» نافية مهملة لمكان «إلّا» للحصر، و«كيد الكافرين» مبتداء و«في ضلال» متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء، والجملة مستأنفة لامحلّ لها.

٢٦ ـ (وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه إنّي أخاف أن يُبدّل دينكم أو أن يُظهِرَ في الأرض الفساد)

الواو إستنافية، و«قال فرعون» مستأنفة لامحلّ لها، و«ذروني» الفعل فعل أمر، والنّون للوقاية واليآء للتكلّم في موضع نصب، مفعول به، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«أقتل» فعل تكلّم وحده من المضارع مجزوم لأنّه جواب الأمر: «ذروني» وقيل: لأنّه جواب شرط مقدّر غير مقترنة بالفآء أي إن تتركوني أقتل. «وليدع»الواو عاطفة واللاّم لام أمر، والفعل مجزوم باللاّم على حذف اللاّم، و«ربّه» مفعول به، والجملة في موضع نصب، معطوفة على جملة «ذروني» و«أخاف» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة تعليلية لامحلّ لها، وجملة «أن يبدّل دينكم» بعد إنسباكها إلى المصدر، مفعول به لـ «أخاف» و«أو» عاطفة و«أن يظهر» في موضع نصب، معطوف على «أن يبدّل» و«في الأرض» متعلّق بـ «يظهر» و«الفساد» مفعول به.

٢٧ ـ (وقال موسىٰ إنّي عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب)

الواو استئنافية، وجملة «قال موسىٰ» مستأنفة لامحلّ لها، و«عذت» فعل ماض للتّكلّم وحده وفيه إعلال بالحذف، أجوف واوي- نحو قال- اسند إلى تآء الفاعل، التقى السّاكنان: عين الفعل ولامه، فحذفت عينه، وحرّك الأوّل بالضّمّ دلالة على نوع الحرف المحذوف وزنه: فُلْتُ- مثل قُلتُ- و«عُذت» في موضع رفع، خبر «إن» وجملة «إنّي عذت» في موضع نصب، مقول القول، و«بربّي» متعلّق بـ «عذت» و«ربّكم» عطف على «ربّي» و«من كلّ» مضاف إلى «متكبّر» إسم فاعل من باب التّفعيل متعلّق بـ «عذت» و«لا» نافية و«بيوم الحساب» متعلّق بـ «يؤمن» والجملة في موضع جرّ، نعتَ لـ «كلّ متكبّر».

٢٨ - (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانَه أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربّيَ الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإنْ يكُ كاذباً فعليه كذبه وإنْ يكُ صادقاً يصيبكم بعض الّذي يعدكم إنّ الله لايهدي من هو مسرف كذّاب)

الواو إستئنافية، وجملة «قال رجل» مستأنفة لامحلّ لها، و«مؤمن» نعت لـ «رجل» وفي «من آل فرعون» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بمحذوف، نعت ثان لـ «رجل» **ثانيها**- متعلّق بـ «يكتم» أي يكتمه من آل فرعون. وفي «يكتم إيمانه» وجهان: **أحدهما**- في موضع رفع، نعت ثالث لـ «رجل» **ثانيها**- في موضع نصب، حال من «رجل» لأنّه وصف.

«أتقتلون» الهمزة إستفهامية، و«رجلاً» مفعول به، وجملة «تقتلون» في موضع نصب، مقولَ القول، و«أنّ» حرف مصدريّ ناصبة، و«يقول» منصوب بـ «أن» والمصدر المؤوّل: «أن يقول» في موضع جرّ بلام مقدّرة، متعلّق بـ «تقتلون» و«ربّي» مبتداء و«الله» خبره ويجوز العكس، وجملة «ربّي الله» في موضع نصب، مقول القول. «وقدجاءكم» الواو للحال، و«قد» حرف تحقيق، وجملة «جآءكم» في موضع نصب، حال من «رجلاً» أو من فاعل «يقول» و«بالبيّنات» متعلّق بحال من فاعل «جآء» وفي «من ربّكم» وجهان: **أحدهما**- متعلّق بحال من «البيّنات» **ثانيها**- متعلّق بـ «جاءكم».

«وإن يک كاذباً» الواو عاطفة، و«يك» فعل مضارع ناقص، مجزوم، وعلامة الجزم السّكون على النّون المحذوفة تخفيفاً وكثرة الإستعمال، و«كاذباً» إسم فاعل، خبر «يك» والجملة شرطيّة، في موضع نصب، معطوفة على جملة «تقتلون» «فعليه» الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«عليه» متعلّق بخبر مقدّم و«كذبه» خبره والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء و«وإن يك صادقاً ...» كالجملة السّابقة، و«يصبكم» مجزوم، جواب الشّرط، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«بعض» فاعل الفعل، أضيف إلى «الّذي» موصولة، و«يعدكم» صلة الموصول، على حذف العآئد أي إيّاه «لايهدي» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة في حيّز القول لامحلّ لها، و«مَن» موصولة في موضع نصب، مفعول به لـ «يهدي» و«هو» مبتداء، و«مسرف» إسم فاعل، خبره والجملة صلة الموصول لامحلّ لها، و«كذّاب» صيغة مبالغة، خبر بعد خبر.

۲۹ ـ (يا قوم لكم الملكَ اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جآءنا قال فرعون ما أُريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد)

«يا» حرف ندآء، و«قوم» منادى مضاف، منصوب، وعلامة النّصب هي الفتحة المقدّرة على ماقبل اليآء المحذوفة تخفيفاً وهي مضاف إليه، وعلامة حذف اليآء هي كسرة الميم، وجملة النّدآء: «ياقوم ...» مستأنفة في حيّز القول لامحلّ لها، و«لكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«الملك» مبتداء مؤخّر، والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها، و«اليوم» ظرف زمان منصوب، متعلّق بالإستقرار الّذي تعلّق به الخبر، و«ظاهرين» حال من ضمير «لكم» و«في الأرض» متعلّق بـ «ظاهرين».

«فمن» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر و«مَن» إسم إستفهام في موضع رفع مبتداء، و«ينصرنا» في موضع رفع، خبر المبتداء، و«من بأس الله» متعلّق بـ «ينصرنا» بتضمينه معنىٰ «ينقذنا» وجملة «من ينصرنا ...» في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن جآئنا بأس الله فمن ينصرنا منه. أو مَن يعصمنا من بأس الله إن جآئنا؟

«إن» حرف شرط، و«جآء» فعل ماضٍ مبنيّ في موضع جزم، فعل الشّرط، و«نا» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «إن جآئنا» تفسير للشّرط المقدّر لامحلّ لها. وجملة «قال فرعون» مستأنفة لامحلّ لها، و«ما» نافية، و«أُري» فعل مضارع، متكلّم وحده من باب الإفعال، و«كُم» في موضع نصب، مفعول به الأوّل، و«إلّا» للحصر، و«ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به الثّاني و«أرىٰ» فعل مضارع للتّكلّم وحده ثلاثيّ، صلة الموصول لامحلّ لها، وجملة «ماأُريكم ...» في موضع نصب، مقول القول، «وما» الواو عاطفة، و«ما» نافية، و«أهديكم» في موضع نصب، والجملة معطوفة على «أُريكم» و«سبيل» مفعول به ثانٍ، أضيف إلى «الرّشاد» إسم للمصدر.

٣٠ـ (وقال الّذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)

الواو عاطفة، وجملة «قال الّذي ...» معطوفة على جملة «قال فرعون» لامحلّ لها، و«آمن» صلة الموصول، وجملة «يا قوم» إعتراضية للتّحذير لامحلّ لها، وجملة «إنّي أخاف» في موضع نصب، مقول القول، وجملة «أخاف عليكم» في موضع رفع، خبر «إنّ» و«مثل» مفعول به، أضيف إلى «يوم» مضاف إلى «الأحزاب» ويجوز أن يكون «مثل» نعتاً لمفعول محذوف أي أخاف عليكم يوماً مثل يوم الأحزاب.

٣١ـ (مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمود والّذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد)

في «مثل دأب ...» وجهان: أحدهما ـ عطف بيان لـ «مثل» السّابق على حذف مضاف أي مثل جزآء دأب ... وذلك أنّ آخر ماتناولته الإضافة قوم نوح، ولو قلت: أهلك الله الأحزاب: قوم نوح وعاد وثمود لم يكن إلّا عطف بيان لإضافة قوم إلى أعلام فسرّى ذلك الحكم إلى أوّل ماتناولته الإضافة. ثانيها ـ بدل من «مثل» قبله.

الواو عاطفة، و«الّذين» موصولة، و«من بعدهم» متعلّق بمحذوف صلة الموصول ولا محل لها والموصول معطوف على «مثل دأب ...» أي ومثل دأب الّذين

... «وما» الواو إعتراضية، و«ما» نافية عاملة عمل ليس، و«الله» إسمها، و«يريد» فعل مضارع من باب الإفعال في موضع نصب، خبر «ما» و«ظلماً» مفعول به و«للعباد» متعلّق بـ «ظلماً» وجملة «ما الله ...» إعتراضية لامحلّ لها.

٣٢ - (ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التّناد)

الواو عاطفة، و«ياقوم ... يوم التّناد» مثل «ياقوم ... يوم الأحزاب» مفردات وجملاً، وعلامة الجرّ في «التّناد» هي الكسرة المقدّرة على اليآء المحذوفة لمناسبة الفاصلة. وقيل: في «يوم التّناد» إضمار تقديره: إنّي أخاف عليكم عذاب يوم التّناد.

٣٣ - (يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد)

«يوم» بدل من «يوم التّناد» منصوب مثله، و«تولّون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، من باب التّفعيل على حذف اليآء أصله: تولّيون، فلمّا ثقلت الضّمّة على اليآء نقلت إلى اللاّم، فحذفت الياء لإلتقاء السّاكنين و«تولّون» في موضع جرّ، مضاف إليه، و«مدبرين» إسم فاعل من باب الإفعال لجمع المذكّر، حال مؤكّدة من فاعل «تولّون» و«ما» نافية مهملة، و«لكم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من الله» متعلّق بـ «عاصم» مجرور لفظاً، مرفوع محلاً مبتداء، والجملة في موضع نصب، حال ثانية من فاعل «تولّون».

الواو عاطفة، و«من» إسم شرط جازم، مبنيّ، في موضع نصب، مفعول به مقدّم، و«يضلل الله» الفعل مجزوم بالشّرط، حرّك بالكسر لإلتقآء السّاكنين و«الله» فاعل الفعل، والجملة معطوفة على جملة «إنّي أخاف عليكم يوم التّناد» «فما» الفآء رابطة لجواب الشّرط، و«ماله من هاد» مثل «مالكم من عاصم» وعلامة الجرّ في «هاد» هي الكسرة المقدّرة على اليآء المحذوفة فـ «هاد» إسم منقوص، وجملة «ماله من هاد» في موضع جزم، جواب الشّرط.

٣٤ - (ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شكٍّ ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله مِن بعدهِ رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مُسرف مُرتاب)

الواو إستئنافيّة، واللاّم لام قسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«جآء» فعل ماضٍ، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«يوسف» فاعل الفعل، و«قبل» إسم ظرفيّ مبنيّ على الضّمّ في موضع جرّ، متعلّق بـ «جآءكم» و«بالبيّنات» متعلّق بمحذوف، حال من «يوسف» وجملة «جآءكم» جواب قسم مقدّر لامحلّ لها، وجملة القسم المقدّرة مستأنفة لامحلّ لها.

«فما» الفآء عاطفة و«ما» نافية، و«زلتم» فعل ماضٍ لجمع المذكّر المخاطب- أجوف واويّ-مثل قال- فيه إعلال بالحذف لمناسبة البنآء على السّكون، فحذفت عين الفعل للسّاكنين.وزنه: فلتم. و«في شكّ» متعلّق بمحذوف، خبر «مازلتم» والجملة معطوفة على جملة جواب القسم لامحلّ لها، و«ما» في «ممّا» موصولة مجرور بـ «من» متعلّق بـ «شكّ» و«جآءكم» صلة الموصول لامحلّ لها، و«به» متعلّق بحال من فاعل «جآءكم» أو متعلّق بـ «جآءكم» و«حتّىٰ» حرف إبتداء، و«إذا» حرف شرط غير جازم، مضاف، و«هلك» فعل ماضٍ في موضع جرّ لإضافة «إذا» إليه، و«قلتم» جواب شرط غير جازم لامحلّ لها.

«لن» حرف نفي للتّأبيد، و«يبعث» فعل مضارع، منصوب بـ «أن» و«من بعده» متعلّق بـ «يبعث» في موضع نصب، مقول القول، و«رسولاً» مفعول به، و«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يضلّ» و«الله» فاعله، و«مَنْ» إسم موصول، في موضع نصب، مفعول به و«هو» مبتداء و«مسرف» إسم فاعل، خبره والجملة صلة الموصول لامحلّ لها، و«مرتاب» إسم مفعول، خبرثان، وجملة «هو مسرف» صلة الموصول لامحلّ لها و«مرتاب إسم فاعل من باب الإفتعال نحومختار، وهو مشترك بين إسم الفاعل والمفعول، ولذلك قيل: «مرتاب» هنا إسم مفعول.

٣٥ - (الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطانٍ أتاهم كَبُرَ مقتاً عندالله وعندالّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار)

«الّذين» موصولة في موضع رفع، مبتداء، و«يجادلون» فعل مضارع من باب المفاعلة، صلة الموصول لامحلّ لها، و«في آيات الله» متعلّق بـ «يجادلون» و«بغير

مضاف إلى «سلطان» متعلّق بمحذوف، هو حال من فاعل «يجادلون» و«أتى» فعل ماض، فاعله ضمير مستترفيه، راجع إلى «سلطان» و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «أتاهم» في موضع جرّ، نعت لـ «سلطان» و«كبر» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى مصدر «يجادلون» أي كبر جدالهم، ويجوز أن يكون الفاعل محذوفاً دلّ عليه السّياق أي كبر قولهم. و«مقتاً» تمييز محوّل عن فاعل منصوب. و«عندالله» الظّرف منصوب، متعلّق بـ «مقتاً» وكذلك «عند» الثّاني، فهو معطوف على الأول، أُضيف إلى «الّذين» و«آمنوا» صلة الموصول الثّاني.

وفي خبر «الّذين» الأوّل وجوه: **أحدها**ـ أنّ «كبر» في موضع رفع، خبره مع حذف المضاف أي جدال الذّين يجادلون ... كبر جدالهم ... **ثانيها**ـ خبره محذوف تقديره: معاندون. **ثالثها**ـ أنّ قوله: «يطبع» خبره بنآءً على أنّ «كذلك» خبر لمبتداء محذوف أي الأمر كذلك. والجملة إعتراضيّة. **رابعها**ـ أنّ «الّذين» في موضع نصب بإضمار أعني. **خامسها**ـ أنّ «الّذين» في موضع رفع، خبر لمحذوف أي هم الّذين، وضمير «هم» راجع إلى «مَن» لأنّه في معنى الجمع أي كلّ مسرف. وضمير «هو» راجع إلى لفظ «مسرف». **سادسها**ـ «الّذين» مبتداء، وخبره «يطبع الله» على حذف العآئد أي على كلّ قلب متكبّر منهم، و«كذلك» خبر المبتدآء المحذوف أي الأمر كذلك ومابينهما متعرض مسدّد. سابعها ـ «الّذين» في موضع نصب أي كذلك يضلّ الله الّذين يجادلون في آيات الله.

وفي جملة «الّذين يجادلون ...» وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيها**ـ مستأنفة في حيّز قول مؤمن آل فرعون.

«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يطبع» أي مثل ذلك الطبع يطبع ... و«الله» فاعل الفعل، و«على كلّ» متعلّق بـ «يطبع» أضيف إلى «قلب» أضيف إلى «متكبّر» و«جبّار» مبالغه، نعت لـ «متكبّر». وقيل: هنا حذف أي على كلّ ذي قلب متكبّر. فتجعل الصّفة لصاحب القلب. و«كلّ» إسم موضوع لإستغراق أفراد المنكّر. تقديره: كلّ بعد قلب ليعمّ أفراد القلوب كما عمّ

أجزآء القلب. والمعنى: على كلّ قلب كلّ متكبّر فحذف «كلّ» الثّانية لتقدّم مايدلّ عليها. كما جآء في المثل: «ماكلّ سودآء تمرة ولابيضآء شحمة» فحذف كلّ لتقدّم ذكره. فيطبع الله تعالى على القلوب إذا كانت قلباً قلباً أي أنّه يطبع على قلوب المتكبّرين الجبّارين قلباً قلباً.

٣٦ ـ (وقال فرعون ياهامان ابن لي صَرْحاً لعلّي أبلغ الأسباب)

الواو إستئنافية، وجملة «قال فرعون» مستأنفة لامحلّ لها، و«يا» حرف ندآء و«هامان» منادى معرفة، مرفوع، و«ابن» فعل أمر من بنى يبني بنآءً و«لي» متعلّق بـ «ابن» و«صرحاً» مفعول به، والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها، وجملة النّدآء وجوابه في موضع نصب، مقول القول.

«لعلّ» نحو عسى معنىً، ومثل «أنّ» المشدّدة عملاً. ومن معاني «لعلّ» التّوقّع وهو ترجّي المحبوب والإشفاق من المكروه، وتختصّ بالممكن، وأمّا قول فرعون: «لعلّي» فإنّما قاله جهلاً أو مخرقة وإفكاً والياء في موضع نصب، إسمها، و«أبلغ» فعل مضارع للتّكلّم وحده و«الأسباب» جمع السّبب، مفعول به، وجملة «أبلغ الأسباب» في موضع رفع، خبر لـ «لعلّ».

٣٧ ـ (أسبابَ السّموات فأطّلِعَ إلى إله موسىٰ وإنّي لأظنّه كاذباً وكذلك زُيِّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل وماكيد فرعون إلّا في تباب)

في «أسباب السّموات» وجهان: أحدهما ـ بدل من «الأسباب» الأولى. ثانيها ـ عطف بيان لـ «الأسباب» «فأطّلع» الفآء سببيّة، و«أطلع» فعل مضارع للتكلّم وحده من باب الإفتعال، منصوب بـ «أن» مضمرة بعد الفآء. وماضيه: إطّلع: إطتلع فقلبت التآء طآءً فادغمت. وفي «أطّلع» وجوه: أحدها ـ أنّ المصدر المؤوّل في موضع رفع، معطوف على مصدر منتزع من الأمر المتقدّم أي ليكن منك بنآءٌ فاطلاع منّي «فاطلع» بالنّصب، جواب للترجّي الّذي يشبه الطلب. ثانيها ـ «فأطلع» معطوف على معنى «لعلّي أبلغ» وهو لعلّي أن أبلغ. فإنّ خبر «لعلّ» تقترن بـ «أن» كثيراً. ثالثها ـ معطوف على «الأسباب». رابعها ـ أنّه جواب للأمر وهو: «إبن لي

صرحاً». خامسها- «أطّلع» على قراءة الرّفع، معطوف على لفظ «أبلغ» «إلى إله» متعلّق بـ «أطّلع» و«موسى» في موضع جرّ لإضافة «إله» إليه، و«إنّي» الواو عاطفة وياء التكلّم في موضع نصب، إسم «إنّ» واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«أظنّ» فعل مضارع للتّكلّم وحده والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«كاذباً» مفعول ثان، وجملة «أظنّه كاذباً» في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، معطوفة على جملة مقول القول.

الواو إستئنافية، و«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله: «زيّن» أي مثل ذلك التّزيين وذلك الصّدّ «زيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل» و«زيّن» فعل ماض من باب التّفعيل، مبنيّ للمفعول، و«سوء عمله» ناب مناب الفاعل، وجملة «زيّن» مستأنفة لامحلّ لها، والواو عاطفة و«صُدَّ» معطوف على «زيّن» و«عن السّبيل» متعلّق بـ «صدّ» والواو عاطفة، و«ما» نافية مهملة، و«كيد» مبتداء أضيف إلى «فرعون» و«إلاّ» للحصر، و«في تباب» مصدر سماعيّ لفعل «تبّ» متعلّق بمحذوف، خبر المبتداء. وفي جملة «وما كيد ...» وجهان: أحدهما- معطوفة على جملة «زيّن ...» لامحلّ لها. ثانيها- مستأنفة اخرى لامحلّ لها.

٣٨ - (وقال الّذي آمن يا قوم اتبعونّي أهدكم سبيل الرّشاد)

الواو إستئنافية، و«قال» فعل ماض، و«الّذي» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«آمن» فعل ماض، فاعله ضمير مستترفيه، صلة الموصول لامحلّ لها، و«يا قوم ...» مرّ إعرابه، و«اتّبعون» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفتعال، والنّون المكسورة للوقاية وكسرها علامة حذف ياء التّكلّم، والجملة جواب النّداء لا محلّ لها، وجملة النّدآء وجوابه في موضع نصب، مقول القول، و«أهدكم» الفعل فعل مضارع للتّكلّم وحده، و«كم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«سبيل الرّشاد» مفعول ثان، والجملة جواب شرط مقدّر أي إن تتبعوني أهدكم ...

٣٩ ـ (يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دارالقرار)

جملة «يا قوم» مستأنف في حيّز القول لامحلّ لها، و«إنّما» كافّة ومكفوفة، و«هذه» مبتدآء و«الحياة» بدل من «هذه» أو عطف بيان على «هذه» و«الدّنيا» نعت لـ«الحياة» بدل من «هذه» والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها، والواو عاطفة و«إنّ» حرف مشبهة بالفعل، و«الآخرة» إسمها، وفي «هي» وجهان: **أحدهما**ـ ضمير فصل، و«دارالقرار» خبر «إنّ». **ثانيها**ـ ضمير منفصل يسمّىٰ بضمير عماد، مبتداء ثان، و«دارالقرار» خبره، والجملة الإسميّة خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة معطوفة على جواب النّداء لامحلّ لها.

٤٠ ـ (من عمل سيّئة فلايجزىٰ إلّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب)

«مَن» إسم شرط جازم في موضع رفع، مبتداء، و«عمل» فعل الشّرط، و«سيّئة» مفعول به، والجملة في موضع رفع، خبر «مَن» ويجوز أن يكون الخبر جملتي الشّرط والجزآء معاً في الشّرطين المتعاطفين، والفآء رابطة لجواب الشّرط و«لا» نافية، و«يجزىٰ» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، ونائب الفاعل ضمير في الفعل، راجع إلى «مَن» و«إلّا» للحصر و«مثلها» مفعول به، وجملة «لايجزىٰ» في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هو... والجملة الإسميّة في موضع جزم، جواب الشّرط مقترنة بالفآء.

«ومَن»ـ الواو عاطفة، وجملة «من عمل صالحاً» معطوفة على «من عمل سيّئة» لامحلّ لها، و«من ذكر» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «عمل» والواو حالية، و«هو» مبتداء و«مؤمن» خبره والجملة في موضع نصب، حال ثانية، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«أولئك» مبتداء، و«يدخلون» خبره و«الجنّة» مفعول به، والجملة في موضع جزم، جواب الشّرط الثّاني مقترنة به.

«يرزقون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول، والجملة في موضع نصب، حال من فاعل «يدخلون» وفي «فيها» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ«يرزقون».

ثانيهاـ متعلّق بمحذوف، حال من نائب الفاعل. وفي «بغير حساب» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بمحذوف، حال من نآئب الفاعل. **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، حال من المفعول المقدّر.

٤١ ـ (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة وتدعونني إلى النّار)

الواو عاطفة، و«يا قوم...» معطوفة على جملة «يا قوم ...» السّابقة، و«ما» إسم إستفهام في موضع رفع، مبتداء و«لي» متعلّق بمحذوف، خبره والجملة جواب النّدآء لامحلّ لها، وهذا من مواضع كثيرة في القرآن الكريم جآء الإستفهام بعد النّدآء، و«أدعو» فعل مضارع للتّكلّم وحده، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«إلى النّجاة» متعلّق بـ«ادعو» وجملة «أدعوكم ...» في موضع نصب، حال من الضّمير في «لي» والواو للحال، و«تدعونني» الفعل فعل مضارع، لجمع المذكّر المخاطب، والنّون للوقاية واليآء للتّكلّم وحده، و«إلى النّار» متعلّق بـ«تدعونني» والجملة في موضع نصب حال من مقدّر أي ومالكم تدعونني ... والجملة المقدّرة معطوفة على جملة «مالي ...».

٤٢ ـ (تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار)

في «تدعونني» وجهان: **أحدهما**ـ بدل من «تدعونني» الأولى. **ثانيها**ـ عطف بيان لها. وفي اللاّم وجهان: **أحدهما**ـ تعليلية. **ثانيها**ـ بمعنى «إلى» و«أكفر» منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللاّم، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ، متعلّق بـ«تدعونني» و«بالله» متعلّق بـ«أكفر» و«أشرك » به» معطوف على «أكفر» وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ إسم موصول، في موضع نصب، مفعول به، وجملة «ليس ...» صلة الموصول لامحلّ لها. **ثانيها**ـ نكرة موصوفة في موضع نصب، والجملة الّتي بعدها نعت لها، و«لي» متعلّق بمحذوف خبر «ليس» و«به» متعلّق بـ«علم» وهو إسم «ليس» مؤخّر.

«وأنا» الواو عاطفة، و«أنا» مبتداء و«أدعوكم» في موضع رفع، خبره و«إلى العزيز» متعلّق بـ«أدعوكم» و«الغفّار» مبالغة، نعت لـ«العزيز» وجملة «أنا

أدعوكم» في موضع نصب، معطوفة على جملة «تدعونني» ويجوز أن تكون الجملة في موضع نصب، حالاً من مفعول «تدعونني».

٤٣ - (لاجَرَم أنّما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة وأنّ مَردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحابُ النّار)

«لا» نافية للجنس، و«جرم» إسم مبنيّ على الفتح في موضع نصب، إسم «لا» و«أنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«ما» موصولة في موضع نصب، إسم «أنّ» و«تدعونني» صلة الموصول لامحلّ لها، والجملة المؤكّدة بعد إنسباكها إلى المصدر في موضع جرّ بـ «في» المحذوف، متعلّق بمحذوف، خبر «لا» و«إليه» متعلّق بـ «تدعونني» و«ليس» من أفعال النّاقصة، و«له» متعلّق بمحذوف، خبر «ليس» و«دعوة» إسم «ليس» مؤخّر، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي إجابة دعوة، والجملة في موضع رفع، خبر «أنّ» و«في الدّنيا» متعلّق بـ «دعوة» والواو عاطفة، و«لا» زائدة لتأكيد النّفي، و«في الآخرة» معطوفة على «في الدّنيا».

«وأنّ مردّنا» الواو عاطفة، و«مردّ» نحو مَرْجع- أضيف إلى «نا» إسم «أنّ» و«إلى الله» متعلّق بمحذوف، خبر «أنّ» والجملة المؤكّدة بعد إنسباكها إلى المصدر في موضع جرّ، معطوف على المصدر المؤوّل السّابق، وكذلك جملة «وأنّ المسرفين ...» أي لاجرم أنّ مردّنا إلى الله فيجب الإسلام له ورعاية حدود العبودية، ولاجرم أنّ المسرفين هم المعتدون طور العبودية. وفي «هم» وجهان: **أحدهما**- ضمير فصل. **ثانيها**- ضمير منفصل، مبتداء و «أصحاب النّار» خبره والجملة الإسميّة خبر «أنّ».

٤٤ - (فستذكرون ما أقول لكم وأفوّضُ أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)

الفاء رابطة لجواب شرط مقدّر والسّين للتّسويف، والفعل فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، والجملة جواب شرط مقدّر لامحلّ لها أي إذا عاينتم العذاب يوم القيامة فستذكرون ما أقوله لكم اليوم. وفي «ما» وجهان: **أحدهما**- إسم موصول في موضع نصب، مفعول به، و«أقول» صلة الموصول على حذف العائد. **ثانيها**- حرف

مصدري، والمصبدر المؤوّل في موضع نصب، مفعول به، من دون حذف العآئد. أي فستذكرون قولي لكم اليوم إذا حلّ بكم العذاب. و«لكم» متعلّق بـ «أقول».

«وأُفوّض أمري إلى الله» في الواو وجهان: **أحدهما**ـ عاطفة، و«أفوّض» فعل مضارع للتّكلّم وحده من باب التّفعيل، و«أمري» مفعول به، و«إلى الله» متعلّق بـ «أفوّض» والجملة معطوفة على «فستذكرون» **ثانيها**ـ حالية، وجملة «أفوّض ...» حال من الضّمير في «أقول» و«بالعباد» متعلّق بـ«بصير» وهو خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة تعليليّة لامحلّ لها.

٤٥ ـ (فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاقَ بآل فرعون سوء العذاب)

الفآء إستئنافية، والفعل فعل ماضٍ، والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به أوّل و «الله» فاعل الفعل، و«سيّئات» مفعول به ثان أضيف إلى «ما» وجملة «وقاه الله ...» مستأنفة لامحل لها، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ حرف مصدريّ، وجملة «مكروا» صلة الموصول الحرفيّ لامحلّ لها. **ثانيها**ـ اسم موصول في موضوع جرّ، و«مكروا» صلة الموصول، لامحلّ لها والعائد محذوف أي به من القتل ... والواو عاطفة و«حاق» فعل ماضٍ، معطوفة على «وقاه» لامحلّ لها، و«بآل» متعلّق بـ «حاق» و«آل» أضيف إلى «فرعون» غير منصرف، و«سوء» فاعل «حاق» أضيف إلى «العذاب» من إضافة الصّفة إلى موصوفها، وفي التّوصيف بالمصدر مبالغة.

٤٦ ـ (النّارُ يعرَضون عليها غُدُوّاً وعَشيّاً ويومَ تقومُ السّاعة أدخِلوا آلَ فرعون أشدَّ العذاب)

في «النّار» وجوه: **أحدهاـ** مبتداء و«يعرضون» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة مستأنفة بيانية لامحلّ لها. **ثانيها**ـ إنّ الجملة الإسميّة في موضع رفع، بدل من «سوء العذاب». **ثالثها**ـ أنّ «النّار» بدل من «سوء العذاب» و«يعرضون» في موضع نصب، حال من «آل فرعون». **رابعها**ـ خبر لمحذوف أي هوالنّار و«يعرضون» حال أيضاً إمّا من «النّار» وإمّا من «آل فرعون». **خامسها**ـ

مرفوع بالعآئد على معنى: «النّار عليها يعرضون». **سادسها**ـ بدل من «العذاب» على قرآءة الجرّ. **سابعها**ـ قُرئت على النّصب بفعل مضمر يفسّره: «يعرضون» فبعدها عآئد وقبلها مايتصلّ به. تقديره: يصلون النّار.

«عليها» متعلّق بـ«يعرضون» و«غدوّاً» مصدر جعل ظرف زمان على السّعة، منصوب متعلّق بـ«يعرضون» و«عشيّاً» معطوف على «غدوّاً» وفي «يوم» وجوه: **أحدها**ـ ظرف زمان، منصوب متعلّق بفعل مقدّر تقديره: يقول الله ... وجملة «تقوم السّاعة» في موضع جرّ مضاف إليه. **ثانيها**ـ منصوب بـ«ادخلوا». **ثالثها**ـ منصوب بـ«يعرضون» أي على النّار في الدّنيا.

«أدخلوا» فعل أمر من باب الإفعال، في موضع نصب، مقول لقول مقدّر، تقديره: يقال أو يقول الله للملائكة: ادخلوا ... و«آل فرعون» مفعول به أوّل، و«أشدّ» مفعول به ثان لتضمين «أدخلوا» معنى أذيقوا أو بحذف الجرّ أي في أشدّ العذاب. وأمّا على قرآءة «ادخلوا» ثلاثياً فـ«آل فرعون» منصوب على النّدآء، و«أشدّ العذاب» في موضع مفعول به، وحذف الجارّ، فانتصب إنتصاب المفعول به.

٤٧ ـ (وإذيتحاجّوُن في النّار فيقول الضّعفآء للّذين استكبَروا إنّا كنّا لكم تَبَعاً فهلْ أنتم مُغنوُن عنّا نصيباً منَ النّار)

في «وإذ» وجهان: **أحدها**ـ الواو إستئنافية، و«إذ» إسم ظرفيّ في موضع نصب، مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر ... والجملة مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيها**ـ الواو عاطفة، و«إذ» معطوف على «غدوّاً» متعلّق بما تعلّق به. و«يتحاجّون» فعل مضارع من باب التّفاعل، والجملة في موضع جرّ، مضاف إليه، و«في النّار» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «يتحاجّون» والفآء عاطفة، و«الضعفآء» جمع الضّعيف، فاعل «يقول» والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة «يتحاجّون»، و«للّذين» موصولة متعلّقة بـ«يقول» و«استكبروا» صلة الموصول لامحلّ لها.

«إنّا» حرف مشبّه بالفعل وإسمه، و«كنّا» فعل ناقص وإسمه، و«لكم»

متعلّق بـ «تبعاً» وهو خبر «كنّا» والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» وفي «تبعاً» وجوه: **أحدها**ـ جمع تابع مثل خادم وخدم. أي أتباع. **ثانيها**ـ مصدر لمحذوف أي تبعناكم تبعاً. وجيئ بلفظ الواحد وإن كان خبراً عن جماعة لأنّ المصدر يصلح للجميع. **ثالثها**ـ مصدر في موضع إسم فاعل. **رابعها**ـ أي ذوي تبعٍ أي تابعين. **خامسها**ـ وصف بالمصدر.

«فهل» الفآء عاطفة، و«هل» حرف إستفهام، و«أنتم» مبتداء و«مغنون» إسم فاعل من باب الإفعال على حذف اليآء أي مغنيون، خبر المبتداء و«عنّا» متعلّق بـ «مغنون» وجملة «هل أنتم مغنون ...» في موضع نصب، معطوفة على جملة «إنّا كنّا ...» وفي «نصيباً» وجوه: **أحدها**ـ مفعول به لـ «مغنون» لتضمينه معنى حاملون. **ثانيها**ـ مفعول مطلق نائب عن المصدر، نعت له، عامله مغنون أي مغنون عنّا غنآءً نصيباً من النّار. **ثالثها**ـ منصوب بفعل دلّ عليه «مغنون» تقديره: هل أنتم دافعون عنّا أو مانعون. **رابعها**ـ في موضع المصدر كما كان «شيئ» كذلك كقوله تعالى: «فلم تغن عنكم شيئاً» التوبة: ٢٥) فـ «شيئاً» في موضع «غنا» فكذلك «نصيباً» فإنّه بمعنى «شيئاً» فيعرب إعرابه.

٤٨ ـ (قال الّذين استكبروا إنّا كلّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد)

«قال» فعل ماضٍ، و«الّذين» موصولة في موضع رفع، فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«استكبروا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«نا» في موضع نصب، إسمه، وفي «كلّ فيها» وجوه: **أحدها**ـ أنّ «كلّ» خبر «إنّ» كقوله تعالى: «إنّ الأمر كلّه لله» أي إنّا مجتمعون في النّار. **ثانيها**ـ «كلّ» مبتداء دلّ على عموم، وهو على نيّة الإضافة أي كلّ فريق منّا أو كلّنا ... والتّنوين فيه عوض من هذا المحذوف، و«فيها» متعلّق بمحذوف، خبر «كلّ» والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة في موضع نصب، مقول القول. **ثالثها**ـ «كلّ» خبر لمحذوف أي نحن وأنتم كلّنا ... والجملة خبر «إنّ» و«فيها» متعلّق بمحذوف، صفة لـ «كلّ». **رابعها**ـ «كلّ» منصوب على البدل من ضمير

المتكلّم: «نـا». وهذا بعيد لأنّ ضمير التكلّم لايبدل منه، إذ لا ليس فيه، فلا يفتقر إلى أن يوضح بغيره.

«قد» حرف تحقيق، و«حكم» فعل ماضٍ، والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، و«بين» ظرف منصوب متعلّق بـ«حكم» أضيف إلى «العباد» جمع العبد.

٤٩ ـ (وقالَ الّذينَ في النّارِ لِخَزَنَةِ جَهنّم ادْعُوا ربّكم يُخفِّف عنّا يَوْماً منَ العذاب)

في الواو وجهان: **أحدهما**ـ إستئنافية. **ثانيها**ـ عاطفة، والجملة معطوفة على جملة «قال الّذين استكبروا ...» و«في النّار» متعلّق بمحذوف صلة الموصول، و«لخزنة» جمع خازن أضيف إلى «جهنّم» متعلّق بـ«قال» و«ادعوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، و«ربّكم» مفعول به، والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«يخفّف» فعل مضارع من باب التفعيل، مجزوم، جواب الطّلب. حُذف مفعوله. أي شيئاً. فالمعنى: إن تدعوا ربّكم ... و«عنّا» متعلّق بـ«يخفف» وفي «يوماً» وجهان: **أحدهما**ـ ظرف منصوب، أي يخفّف عنّا شيئاً من العذاب في يوم من الأيّام. فـ«يوماً» منصوب على الظّرفيّة با لنزع الخافض. **ثانيها**ـ مفعول أي عذاب يوم كقوله تعالى: «واتّقوا يوماً» البقرة: ٤٨) أي عذاب يوم أو قدر يوم. وفي «من» وجهان: **أحدهما**ـ تبعيضية، فمع مجرورها متعلّقة بـ«يخفّف» وقيل: متعلّقة بمحذوف، نعت للمفعول المحذوف. **ثانيها**ـ زائدة.

٥٠ ـ (قالوا أوَلَمْ تَكُ تأتيكُم رُسُلكمْ بِالبيّنات قالوا بلىٰ قالوُا فادْعوُا ومادُعٰاؤا الكافرينَ إلّا في ضَلاٰلٍ)

جملة «قالوا» مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها، والهمزة للإستفهام التوبيخي، والواو عاطفة، و«لم» حرف جحد، و«تك» فعل مضارع ناقصٍ، مجزوم، وعلامة الجزم السّكون الظّاهر على النّون المحذوفة تخفيفاً، وإسمه ضمير مستترفيه وجوباً، وجملة «لم تك تأتيكم ...» في موضع نصب، معطوفة على مقول القول المقدّر أي أتركتكم رسلكم ولم تكُ القصّة تأتيكم ...؟ وجملة «تأتيكم رسلكم ...» تفسير للقصّة، في

موضع نصب، خبر «تك» و«رسلكم» فاعل «تأتيكم» و«بالبيّنات» متعلّق بمحذوف، حال من «رسلكم» وجملة «قالوا» الثّانية مستأنفة لامحلّ لها، و«بلىٰ» حرف جواب، والمجاب عنه محذوف أي: أتونا فكذّبناهم. وجملة «بلى والمجاب عنه ...» في موضع نصب، مقول القول، و«قالوا» الثّالثة كالسّابقة، والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«ادعوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب في موضع جزم، جواب شرط مقدّر أي إن أردتم الدّعاء فادعوا ... وجملة الشّرط وجوابه في موضع نصب، مقول القول، أو الفاء فصيحة والمعنى: إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم وحدكم «وما» الواو إستئنافية، و«ما» نافية مهملة لمكان «الّا» للحصر، و«دعآء» مبتداء أضيف إلى «الكافرين» و«في ضلال» متعلّق بمحذوف، خبر المبتدآء.

٥١ ـ (إنّا لننصرُ رُسلنا والّذين آمنوا في الحياةِ الدّنيا ويوم يقوُم الأشهاد)

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«نا» ضمير تكلّم مع الغير في موضع نصب، إسمه واللاّم المزحلقة للتّوكيد، و«ننصر» فعل مضارع للتّكلّم مع الغير، والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» و«رسلنا» مفعول به، والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، والواو عاطفة، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، معطوفة على «رسلنا» و«آمنوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغآئب من باب الإفعال، صلة الموصول لامحلّ لها، و«في الحياة» متعلّق بـ«ننصر» و«الدّنيا» نعت لـ«الحياة» والواو عاطفة، و«يوم» ظرف زمان، منصوب بالعطف على موضع «الحياة ...» كقولك: جئتك في الأمس واليوم. متعلّق بفعل محذوف دلّ عليه المذكور أي وننصرهم يوم ... و«الأشهاد» جمع الشّهيد بمعنى الشاهد، فاعل «يقوم» والجملة في موضع جرّ لإضافة «يوم» إليها.

٥٢ ـ (يومَ لاينفع الظّآلمينَ معذرتهم ولهمُ اللّعنة ولهم سوء الدّار)

«يوم» بدل من «يوم» السّابق، منصوب، و«لا» نافية، و«الظّالمين» مفعول به، و«معذرة» مصدر أضيف إلى فاعله، فاعل «ينفع» وجملة «لاينفع ...» في موضع جرّ، لإضافة «يوم» إليها، والواو عاطفة، و«لهم» متعلّق بمحذوف، خبر،

و«اللّعنة» مبتدآء والجملة في موضع جرّ، معطوفة عى جملة «لاينفع ....» من عطف الإسميّة على الفعلية، وجملة «لهم سوء الدّار» معطوفة على جملة «لهم اللّعنة».

٥٣ ـ (ولقد آتينا موسى الهدىٰ وأورثنا بني إسرائيلَ الكتاب)

الواو إستئنافية، واللاّم لام القسم لقسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق و«آتينا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير، و«موسىٰ» مفعول به أوّل، و«الهدىٰ» مفعول به ثان، والجملة جواب القسم المقدرّ لامحلّ لها، وجملة القسم المقدّرة مستأنفة لامحلّ لها، والواو عاطفة، وجملة «أورثنا» معطوفة على «آتينا» و«بني إسرائيل» مفعول به أوّل، و«الكتاب» مفعول به ثان.

٥٤ ـ (هدىً وذكرىٰ لأُولي الألباب)

في «هدى» وجوه: **أحدها**ـ مفعول لأجله، منصوب أي أورثناهم الكتاب لأجل الهداية والتّذكير. **ثانيها**ـ مصدر في موضع الحال أي حالكون الكتاب هدى وتذكرة، وعامل الحال: «أورثنا». **ثالثها**ـ بدل من «الكتاب». **رابعها**ـ خبر لمحذوف أي هو هدى يعني ذلك الكتاب. و«ذكرى» معطوف على «هدى» والكلام فيه هو الكلام في «هدى» وفي «لأولى الألباب» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ «ذكرىٰ». **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، نعت لـ «ذكرىٰ».

٥٥ ـ (فاصبر إنّ وعدَالله حقّ واستغفرْ لذنبك وسبّح بحمدِ ربّك بالعشيّ والإبكار)

الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، و«اصبر» فعل أمر، خطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في موضع جزم، جواب الشّرط المقدر أي: إن آذاك قومك فاصبر كما صبر موسى عليه السّلام و«إنّ» حرف مشبه بالفعل، و«وعدالله» إسمه و«حقّ» خبره، وفي الجملة المؤكدّة وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة. **ثانيها**ـ إعتراضية لامحلّ لها، و«لذنبك» متعلّق بـ «استغفر» والجملة معطوفة على «اصبر» و«بحمد» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «سبّح» وجملة «سبّح» معطوفة على جملة «اصبر» و«بالعشيّ» متعلّق بـ «سبّح» و«الإبكار» مصدر أبكر، معطوف على «العشيّ».

٥٦ ـ (إنّ الّذينَ يجادلونَ في آياتِ الله بغير سُلطانٍ أتاهم إنْ في صُدُورهم إلاّ كِبرٌ ماهم

ببالغيه فاستعِذْ بالله إنّه هو السّميع البصير)

«الّذين» موضولة في موضع نصب، إسم «إنّ» و«يجادلون» صلة الموصول لامحلّ لها، و«في آيات الله» متعلّق بـ «يجادلون» و«بغيرسلطان» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «يجادلون» و«هم» في موضع نصب، مفعول به، وجملة «أتاهم» في موضع جرّ، نعت لـ «سلطان» و«إن» حرف نفي بمعنى «ما» مهملة لمكان «إلّا» أداة الحصر بعدها، و«في صدورهم» متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«كبر» مبتداء مؤخّر، والجملة المنفية في موضع رفع، خبر «إنّ».

«ما» نافية عاملة عمل «ليس» والبآء زائدة للتّوكيد و«هم» إسم «ما» و«بالغيه» مجرور لفظاً، منصوب محلاً خبر «ما» والجملة في موضع رفع، نعت لـ «كبر» والفآء رابطة لجواب شرط مقدّر و«بالله» متعلّق بـ «استعذ» فعل أمر في موضع جزم، جواب الشّرط المقدّر أي إن جآؤوك يجادلونك فاستعذ بالله، و«هو» ضمير منفصل في موضع رفع، مبتداء و«السّميع» خبر «هو» و«البصير» خبرثان والجملة في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة تعليلية لامحلّ لها.

٥٧ ـ (لَخَلْقُ السّمٰوات والأرضِ أكبرُمن خَلقِ النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

اللاّم للقسم أو الإبتدآء و«خلق» مصدر أُضيف إلى مفعوله: «السّموات» مبتدآء، و«أكبر» خبره والجملة لامحلّ لها، و«من خلق النّاس» متعلّق بـ «أكبر» والواو عاطفة، و«لكنّ» حرف إستدراك ، و«أكثر النّاس» إسمه، و«لايعلمون» في موضع رفع، خبره والجملة معطوفة على جملة «خلق السّموات».

٥٨ ـ (ومايستوي الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئُ قليلاً ماتتذكّرون)

الواو في المواضع الخمسة عاطفة، و«ما» نافية و«يستوي» فعل مضارع من باب الإفتعال، و«الأعمىٰ» فاعل «يستوي» والجملة معطوفة على «لخلق السّموات ...» لامحلّ لها، و«البصير» معطوف على «الأعمىٰ» وفي «الّذين» موصولة، في موضع رفع، وجهان: أحدهما- معطوفة على «البصير» للمجاورة وذلك انّ التّقابل بالعطف

يكون بإحدىٰ امور ثلاثة: **أحدها**ـ أن يناسب المجاور نظير هذه الآية، فقدّم المؤمنين ليناسب البصير. **ثانيها**ـ أنّه يتأخّر المتقابلان كقوله تعالىٰ: «مثل الفريقين كالأعمىٰ والأصمّ والبصير والسّميع» هود: ٢٤). **ثالثها**ـ أنه تقدّم مقابل الأوّل ويؤخّر مقابل الآخر كقوله عزّوجلّ: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير ولا الظّلمات ولا النّور» فاطر: ١٩) وكلّ ذلك لعوامل بلاغية في أسلوب رفيع.

ثانيهاـ معطوفة على «الأعمىٰ» لأنّ الواو لمطلق العطف، و«آمنوا» صلة الموصول، و«لا» زائدة، و«المسيئ» إسم فاعل من باب الإفعال: «أسآء» وفي اللفظ إعلال بالتّسكين، بدءً من المضارع، فحقّ اليآء أن يكون مكسورة سكّنت ونقلت حركتها إلى السّين قبلها.

«قليلاً» منصوب، مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته، وتقديره: تذكّراً قليلاً تتذكّرون، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ زائدة لتأكيد القلّة. والمعنى: لا تذكّر لهم، فأنّه قد يطلق لفظ القلّة ويراد بها النّفي كقولك: قلّما تأتيني وأنت تريد: ما تأتيني. **ثانيها**ـ مصدرية فيكون تقديره: قليلاً تذكّرهم أي قلّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه ممّا دعوا إليه. و«تتذكّرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب التفعّل.

٥٩ ـ (إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون)

«السّاعة» إسم «إنّ» واللاّم المزحلقة للتّوكيد و«آتية» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة مستأنفة لامحلّ لها، و«لا» حرف نفي للجنس، و«ريب» إسمها، و«فيها» متعلّق بمحذوف، خبر «لا» والجملة في موضع رفع، خبرثان لـ «إنّ» و«ولكنّ ...» كالآية: (٥٧) من هذه السّورة.

٦٠ ـ (وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)

الواو عاطفة، وجملة «قال ربّكم» معطوفة على جملة«إنّ السّاعة لآتية» لامحلّ لها، و«ادعوا» فعل أمر لجمع المذكّر المخاطب، والنّون للوقاية واليآء للتّكلّم وحده في

موضع نصب، مفعول به، وجملة «ادعوني» في موضع نصب، مقول القول، و«أستجب» فعل مضارع للتكلّم وحده من باب الإستفعال، مجزوم، جواب الطّلب، و«لكم» متعلّق بـ «أستجب» وجملة «أستجب لكم» لامحلّ لها، جواب شرط مقدّر غير مقترنة بالفآء أي إن تدعوني أستجب لكم.

«إنّ» حرف مشبّه بالفعل، و«الّذين» موصولة في موضع نصب، إسمه و«يستكبرونه» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب الإستفعال، صلة الموصول، و«عن عبادتي» متعلّق بـ «يستكبرون» والسّين في «سيدخلون» حرف إستقبال، والفعل في موضع رفع، خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة: «إنّ الّذين ...» مستأنفة بيانية لامحل لها أو تعليلية لما قبلها بتضمين الدّعآء معنى العبادة، و«جهنّم» مفعول به لـ «يدخلون» و«داخرين» حال من فاعل «يدخلون».

٦١ - (اللهُ الّذي جَعَلَ لكمُ اللّيلَ لِتسكنوا فيه والنّهار مُبصِراً إنّ الله لذُوفضلٍ على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون).

«الله» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبر المبتداء، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«جعل» صلة الموصول لامحلّ لها، و«لكم» متعلّق بمحذوف، مفعول به ثانٍ، تقديره: جعل لأجلكم اللّيل سكناً أو مظلماً فاللّيل مفعول به أوّل، و«لتسكنوا» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، منصوب بـ «أنّ» مضمرة واللاّم تعليلية، والمصدر المؤوّل، متعلّق بـ «جعل» و«فيه» متعلّق بـ «تسكنوا» والواو عاطفة و«النّهار مبصراً» معطوفان على «اللّيل سكناً» أي وجعل النّهار مبصراً.

«لذو» اللاّم مزحلقة، و«ذو» من الأسمآء الخمسة، أضيف إلى «فضل» خبر «إنّ» والجملة المؤكّدة تعليلية لامحلّ لها، و«على النّاس» متعلّق بـ «فضل» والواو عاطفة وجملة «لكنّ أكثر النّاس ...» معطوفة على الجملة المؤكّدة، و«لايشكرون» في موضع رفع، خبر «لكنّ».

٦٢ - (ذلكمُ الله ربّكمْ خالقُ كلّ شيْءٍ لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون)

«ذلكم» مبتداء و«الله» خبره و«ربّكم» خبرثان، و«خالق» خبر ثالث أضيف إلى «كلّ» أضيف إلى «شيْ» والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«لا» نافية للجنس، و«إله» إسمها، حُذِفَ خبرها أي لا إله موجود، و«إلّا» أداة حصر و«هو» في موضع رفع، بدل من الضّمير المستتر في الخبر المقدّر والجملة في موضع رفع، خبر رابع «ذلكم».

«فأنّىٰ» الفآء رابطة لجواب شرط مقدّر، وفي «أنّىٰ» وجوه: **أحدها**- إسم إستفهام في موضع نصب، على الظرفيّة، متعلّق بمحذوف، حال من النّآئب الفاعل في «تؤفكون». **ثانيها**- مجرورة بـ «إلى» أي إلى أين فـ «أنّىٰ» بمعنى «أين». **ثالثها**- بمعنى «كيف» فيكون في موضع نصب على الحال. و«تؤفكون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب، مبنيّ للمفعول، والجملة جواب الشّرط المقدّر لامحلّ لها أي إذا كانت هذه صفات الله فأنّىٰ تؤفكون؟!

٦٣ ـ (كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون)

«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يؤفك» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول أي مثل إفك هؤلآء ... و«الّذين» موصولة في موضع رفع، نآئب الفاعل، وجملة «يؤفك ...» مستأنفة لامحلّ لها، و«كانوا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«بآيات الله» متعلّق بـ «يجحدون» والجملة في موضع نصب، خبر «كانوا».

٦٤ ـ (اللهُ الّذي جعل لكم الأرض قراراً والسّمآء بنآء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيّبات ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين)

«الله» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبره والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«جعل» صلة الموصول لامحلّ لها، و«لكم» متعلّق بـ «قراراً» مفعول ثان، و«الأرض» مفعول به أوّل، «والسّمآء بنآءً» معطوفان على «الأرض قراراً» والواو عاطفة، و«صوّر» فعل ماض من باب التفعيل، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على «جعل ...» لامحلّ لها، والفآء عاطفة و«أحسن» فعل ماض من باب الإفعال، و«صُوَر» جمع صورة، مفعول به، أضيف إلى «كم» مفعول

به، والجملة معطوفة على جملة «صوّركم».

«ورزقكم» الواو عاطفة و«رزق» فعل ماضٍ، و«كم» في موضع نصب، مفعول به، و«من الطيّبات» متعلّق بـ«رزقكم» والجملة معطوفة على «جعل» لامحلّ لها، و«ذلكم» مبتداء و«الله» خبره، و«ربّكم» خبرثان والجملة مستأنفة لامحلّ لها، والفآء عاطفة، و«تبارك» فعل ماضٍ من باب التّفاعل، و«الله» فاعل الفعل، و«ربّ» نعت أو بدل من «الله» أضيف إلى «العالمين» جمع العالم، والجملة معطوفة على جملة «ذلكم الله» لامحلّ لها.

٦٥ ـ (هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمدلله ربّ العالمين)

«هو» مبتداء و«الحيّ» خبره والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«لا» نافية للجنس، و«إله» إسمها، وحذف خبرها أي موجود، و«هو» في موضع رفع، بدل من الضّمير المستتر في الخبر المقدّر، والفآء عاطفة لربط المسبّب بالسّبب، و«ادعوا» فعل أمر لجمع المذكّر الغآئب، والضّمير: «ه» في موضع نصب، مفعول به، والجملة معطوفة على الجملة المستأنفة، و«مخلصين» حال من فاعل «ادعوه» و«له» متعلّق بمحذوف، حال من «الدّين» وهو مفعول إسم الفاعل: «مخلصين».

«الحمد» مبتداء و«لله» متعلّق بمحذوف، خبره وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ مستأنفة لامحلّ لها. **ثانيها**ـ في موضع نصب، مقول لقول مقدّر، في موضع نصب، حال من فاعل «ادعوه» أي ادعوه ... قآئلين: الحمدلله و«ربّ العالمين» كالسّابق. وقال الفرّآء: هو خبر وفيه إضمار كأنّه قال: ادعوه واحمدوه على هذه النّعم وقولوا: الحمدلله ربّ العالمين.

٦٦ ـ (قلْ إنّي نُهيتُ أن أعبُدَ الّذينَ تدعُون من دُون الله لمّا جآئني البيّنات من ربّي وأمِرْتُ أن أسْلِمَ لرّب العالمين)

«قل» فعل أمر، مستأنفة لامحلّ لها، و«إنّي» حرف مشبّه بالفعل مع إسمه، و«نهيت» فعل ماضٍ للتّكلّم وحده، مبنيّ للمفعول في موضع رفع، خبره والجملة في موضع نصب، مقول القول، و«أعبد» فعل مضارع للتّكلّم وحده منصوب بـ«أنّ»

والمصدر المؤوّل في موضع جرّ بـ «عن» مقدّرة متعلّق بـ «نهيت» أي عن عبادة الّذين تدعون، و«الذين» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و«تدعون» صلة الموصول لامحلّ لها، و«من دون الله» متعلّق بمحذوف، حال من الضّمير العائد المحذوف، و«لمّا» ظرف بمعنى «حين» متضمّن معنى الشّرط، في موضع نصب، متعلّق بالجواب، ويجوز أن يكون مجرّداً من الشّرط، فيتعلّق بـ «نهيت».

«جآء» فعل ماضٍ والنّون للوقاية، والياء للتّكلّم في موضع نصب، مفعول به و«البيّنات» فاعل «جآء» و«من ربّي» متعلّق بمحذوف، حال من «البيّنات» وجملة «جآئني البيّنات» في موضع جرّ، مضاف إليه، وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ماقبله، والواو عاطفة و«أمرت» فعل ماضٍ للتّكلّم وحده في موضع رفع، معطوف على «نهيت» و«أن أسلم» بعد إنسبا كه إلى المصدر في موضع جرّ، متعلّق بـ «أمرت» و«لرّب» متعلّق بـ «أسلم» أضيف إلى «العالمين».

٦٧ـ(هوالّذي خلقكم مِنْ تراب ثمّ مِن نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكُم مَنْ يتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّىً ولعلّكم تعقلون)

«هو» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبرالمبتداء والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«خلق» فعل ماضٍ، صلة الموصول لامحلّ لها، و«كم» في موضع نصب، مفعول به. وقيل: بحذف مضاف أي خلق أباكم آدم. و«من تراب» متعلّق بـ «خلقكم» و«ثمّ» عاطفة، و«من نطفة» معطوفة على «من تراب» وكذلك «من علقة» وجملة «يخرجكم» معطوفة على «خلقكم» و«طفلاً» حال من ضمير الخطاب: «كم».

«لتبلغوا» اللاّم للغاية، والفعل منصوب بـ «أن» مقدّرة بعد اللاّم، والمصدر المؤوّل مجرور متعلّق بمحذوف تقديره: ثمّ ينشئكم أو يبقيكم لتبلغوا أشدّكم. وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ معطوفة على معنى «ثمّ يخرجكم طفلاً لتنشأوا وتشبّوا ثمّ لتبلغوا أشدّكم». **ثانيها**ـ معطوفة على معنى قوله: «يخرحكم طفلاً» والتقدير لطفوليتكم

ثـمّ لتبلـغـوا. و«أشدّكـم» مفـعـول به. و«ثـمّ» عاطـفـة و«لتـكونـوا» مـعطوف على «لتبلغوا» و«شيوخاً» جمع الشّيخ، خبر لـ «تكونوا».

«ومـنكم» الواو عاطفـة و«مـنكم» متعلّـق بمحذوف، خبر مقدّم، و«من» إسم موصول في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، والجملة معطوفة على جملة «خلقكم» لامحلّ لها، و«يتوفّى» فعـل مضارع من باب التّـفعّل، مبنـيّ للمفعول، صلة الموصول لامحلّ لها، و«من قبل» إسم ظـرفيّ مبنيّ على الضّـمّ في موضع جرّ بـ «من» متعلّق بـ «يتوفّى» أضيف إلى محذوف، تقديره: من قبل الأشدّو الشّيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطاً.

«ولتبلـغـوا» الواو عاطفة، والـفعل بعد إنسـباكه إلى المصدر متـعلّق بفعـل آخر، تقديره: ونفعل ذلك لتبلغوا و«أجلاً» مفعول به، و«مسمّى» نعت لـ «أجلاً» والواو عـاطفة و«لـعلّ» حرف تـرجّ، و«كـم» في موضع نصـب، إسمه، و«تـعـقلون» في موضع رفع، خبره والجمـلة معطوفة على تعليل مستأنف مقدّر أي لعلّكم تعلمون ذلك ولعلّكم تعقلون.

٦٨ ـ **(هوالّذي يحُيي ويميت فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون)**

«هو» مبتـداء و«الّـذي» موصولة في موضـع رفع، خبره والجـمـلة مستأنفـة لامحلّ لها، و«يحيـي» فعل مضارع مـن باب الإفعـال، صلة الموصـول لامحلّ لها، و«يميت» عطـف على «يحـيـي» والفآء عاطفـة و«إذا» ظـرف شـرطيّ غير جازم أضيف إلى «قضىٰ» فعل مـاض في موضع جرّ مضاف إليه، و«أمـراً» مفعـول به، والفآء رابطة لجواب الشّرط، و«إنّما» كافة ومكفـوفة، و«يقول» جواب الشّرط لامحلّ لهـا، و«له» متعلّق بـ «يقول» و«كن» فعل أمـر في موضع نصب، مقـول القول، والفآء عاطـفة، و«يـكـون» في موضع رفع، خبر لمبـتـداء محذوف، تقديره: هو... والجـمـلة للإسمية لامحلّ لها معطوفة على جملة «إنّما يقول».

٦٩ ـ **(ألَمْ تَرَإلى الّذين يجُادلونَ في آياتِ الله أنّىٰ يُصْرَفون)**

الهمزة للإستفهام التّعجّبي، و«لم» حرف جحدو «تر» فعل مضارع للمفرد المذكّرالمخاطب، مجزوم بحرف الجحد، على حذف لام الفعل، و«إلى الّذين» متعلّق بـ«تر» بمعنى تنظر، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«يجادلون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب من باب المفاعلة، صلة الموصول، و«في آيات الله» متعلّق بـ «يجادلون» و«أنّىٰ» إسم إستفهام بمعنى «كيف» في موضع نصب، حال، عامله «يصرفون» فعل مضارع مبنيّ للمفعول، وفي الجملة وجهان: **أحدهما**ـ في موضع نصب، حال من الموصول. **ثانيها**ـ مستأنفة لامحلّ لها.

٧٠ـ (الّذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون)

في «الّذين» وجهان: **أحدهما**ـ في موضع جرّ، بدل من الموصول المتقدّم. **ثانيها**ـ في موضع رفع، مبتداء، و«سوف يعلمون» في موضع رفع، خبره بزيادة الفآء. و«كذّبوا» صلة الموصول لامحلّ لها و«بالكتاب» متعلّق بـ «كذّبوا» والواو عاطفة و«ما» موصولة، مجرورة بالبآء، معطوفة بـ «الكتاب» و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتّكلّم مع الغير تعظيماً، صلة الموصول لامحلّ لها، و«به» متعلّق بمحذوف، حال من «رسلنا» مفعول به، والفاء رابطة لجواب شرط مقدّر على أحد الوجهين، و«سوف» حرف إستقبال، و«يعلمون» جواب شرط مقدّر لامحلّ لها على أحد الوجهين أي إذا جاء العذاب فسيعلمون.

٧١ـ (إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسّلاسلُ يُسْحَبُون)

«إذ» ظرف مستعار للمستقبل في موضع نصب، متعلّق بـ «يعلمون» وذلك انّ أخبارالله تعالى لمّا كانت متيقّنة عبّر عن الأمور المستقبلة فيها بلفظ ماقدكان و وجد نحو (سيق ـ نادى ـ قيل ـ) فالمراد بـ «إذ» هنا الإستقبال لقوله: «فسوف يعلمون» فالعامل: «يعلمون» إذا لم يوقف على «يعلمون» و وقف على «السّلاسل» ومن وقف على «يعلمون» فالعامل في «إذ» قوله: «يسحبون» ويجوز أن يكون «إذ» مفعولاً به لـ «يعلمون» أي يعلمون وقتاً تصبح الأغلال في أعناقهم.

«الأغلال» جمع غلّ، مبتداء، و«في أعناقهم» جمع عنق، متعلّق بمحذوف،

خبره والجملة في موضع جرّ لإضافة «إذ» إليها، وفي «السّلاسل» جمع سلسلة وجوه: **أحدها**ـ عطف على «الأغلال» فالعطف حينئذ من عطف المفردات. **ثانيها**ـ مبتداء، حُذِفَ خبره أي والسّلاسل كآئنة في أرجلهم أو ثابتة في أعناقهم. فحذف لدلالة الأوّل عليه. **ثالثها**ـ مبتداء و«يسحبون» خبره والرّابط مقدّر أي يسحبون بها والجملة في موضع جرّ، معطوفة على جملة «الأغلال ...» وفي «يسحبون» فعل مضارع لجمع المذكّر الغآئب، مبنيّ للمفعول وجوه: **أحدها**ـ مستأنفة لامحل لها. **ثانيها**ـ في موضع رفع، خبر «السّلاسل». **ثالثها**ـ خبر بعد خبر. **رابعها**ـ في موضع نصب، حال من ضمير «أعناقهم» أي مسحوبين على النّار مسجونين فيها.

٧٢ ـ (في الحميم ثمّ في النّار يُسجَرون)

«في الحميم» متعلّق بـ «يسحبون» و «في النّار» متعلّق بـ «يسجرون» فعل مضارع، مبنيّ للمفعول، والجملة في موضع جرّ معطوفة على جملة «الأغلال ...» وقيل: معطوفة على جملة «السّلاسل يسحبون».

٧٣ ـ (ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون)

«ثمّ» حرف عطف، و«لهم» متعلّق بـ «قيل» والجملة معطوفة على جملة «يسجرون» و«أين» إسم إستفهام في موضع نصب، ظرف مكان، متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«ما» إسم موصول، في موضع رفع، مبتداء مؤخّر، والجملة في موضع رفع، نآئب الفاعل لـ «قيل» و«كنتم» صلة الموصول لامحلّ لها على حذف العائد، و«تشركون» في موضع نصب، خبر «كنتم».

٧٤ ـ (من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين)

«من دون الله» متعلّق بمحذوف، حال من العآئد المحذوف، و«قالوا» مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها، و«ضلّوا» في موضع نصب، مقول القول، و«عنّا» متعلّق بـ «ضلّوا» بتضمينه معنى «غابوا» و«بل» للاضراب الإنتقالي و«ندعوا» فعل مضارع للتكلّم

مع الغير في موضع نصب، خبر «نكن» وجملة «لم نكن ...» مستأنفة لامحلّ لها، و«من قبل» إسم ظرفيّ، مبنيّ على الضّمّ في موضع جرّ، متعلّق بـ«ندعوا» وفي «شيئاً» وجهان: أحدهما ـ مفعول به. ثانيها ـ مفعول مطلق نآئب عن المصدر أي لم نكن نعبد شيئاً من العبادة حين كنّا نعبدها.

«كذلك» متعلّق بمحذوف، مفعول مطلق، عامله «يضلّ» فعل مضارع من باب الإفعال أي مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلّ الله عن آلهتهم حتّى طلبوها ... أو مثلَ إضلال هؤلآء المكذّبين يضلّ الله الكافرين. و«الله» فاعل الفعل، والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«الكافرين» مفعول به.

٧٥ ـ (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)

«ذلكم» مبتداء، والبآء سببيّة أو للمقابلة، و«ما» موصولة، في موضع جرّ متعلّق بمحذوف خبر المبتداء، والجملة في موضع نصب، مقول القول مقدّر، و«كنتم» صلة الموصول لامحلّ لها والعآئد محذوف، و«تفرحون» و«بغير الحقّ» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «تفرحون» والواو عاطفة و«بما كنتم تمرحون» عطف على «بما كنتم تفرحون».

٧٦ ـ (ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

«ادخلوا» فعل أمر، والجملة مستأنفة في حيّز القول المقدّر لامحلّ لها، و«أبواب» جمع باب، منصوب بنزع الخافض أي ادخلوا في أبواب ... أضيف إلى «جهنّم» و«خالدين» منصوب، حال من فاعل «ادخلوا» و«فيها» متعلّق بـ«خالدين» وفي الفآء وجهان: أحدهما ـ إستئنافية. ثانيها ـ جواب شرط مقدّر أي إن تدخلوا جهنّم فبئس مثوى المتكبّرين هي، أي فبئس مدخل ...

٧٧ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نُرينّك بعضَ الّذي نعدُهم أونتوفّينّك فإلينا يُرجعون)

الفاء إستئنافية، و«اصبر» فعل أمر، و«وعدالله» إسم «إنّ» و«حقّ» خبره،

والجملة مستأنفة لامحلّ لها، والفاء الثّانية كالأولى، و«إنّ» حرف شرط جازم، و«ما» زائدة لتأكيد الشّرطيّة، ولذلك لحقت النّون الفعل، ولا تلحق مع «إن» وحدها، و«نرينّك» فعل مضارع للتّكلّم مع الغير مؤكّد بنون التّوكيد، في موضع جزم، فعل الشّرط، والكاف في موضع نصب، مفعول به، و«بعض» مفعول به ثان، أضيف إلى «الّذي» و«نعدهم» صلة الموصول على حذف العآئد أي به. و جواب الشّرط محذوف أي فتقرّ عينك أو فذاك أمرٌ بيّنٌ لدلالة الكلام عليه، و«أو» عاطفة، «و«نتوفّينّك» نحو «نرينّك» بالعطف، والفآء رابطة لجواب الشّرط الثّاني، و«إلينا» متعلّق بـ«يرجعون» والجملة في موضع رفع، خبر لمبتداء محذوف، تقديره: هم ... والجملة الإسميّة في موضع جزم، جواب الشّرط الثّاني على حذف المفرّع أيْ فإلينا يرجعون فننتقم منهم ونعذّبهم لكونهم لم يتبعوك كقوله تعالى: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينّك الّذي وعدناهم فانّا عليهم مقتدرون» الزّخرف: ٤١-٤٢) على صراحة جواب الشّرطين.

ويجوز أن تكون الجملة: «فإلينا يرجعون» جواب الشّرطين معاً فيكون التّقدير: إن نعذّبهم في حياتك أو لانعذبهم فإنّا نعذّبهم في الآخرة.

٧٨ ـ (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لِرسولٍ أن يأْتِيَ بآيةٍ إلّا بإذنِ الله فإذا جآء أمرالله قُضِيَ بالحقّ وخسر هُنا لِك المبطلون)

الواو إستئنافية، واللاّم لام قسم مقدّر، و«قد» حرف تحقيق، و«أرسلنا» فعل ماضٍ للتّكلّم وحده من باب الإفعال، و«رسلاً» مفعول به، وفي «من قبلك» وجهان: وجهان: أحدهما ـ متعلّق بـ«أرسلنا». ثانيها ـ متعلّق بمحذوف. نعت لـ«رسلاً» وجملة «أرسلنا ...» جواب القسم المقدر لامحلّ لها، وجملة القسم المقدّرة مستأنفة لامحلّ لها. وفي «منهم ...» وجوه: أحدها ـ متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«مَن» موصولة في موضع رفع، خبره والجملة نعت لـ «رسلاً». ثانيها ـ أن يكون «منهم» رافعاً لـ«من» لأنّه قد وصف به «رسلاً». ثالثها ـ أن تكون الجملة مستأنفة

لامحلّ لها.

«قصصنا» صلة «من» و«عليك» متعلّق بـ«قصصنا» على حذف المفعول أي قصّتهم، وكذلك «لم نقصص عليك» أي قصّتهم، والجملة معطوفة على جملة «منهم من قصصنا» لامحلّ لها. «وما» الواو عاطفة و«ما» نافية، و«لرسول» متعلّق بمحذوف، خبر «كان» و«بآية» متعلّق بـ«يأتي» والمصدر المؤوّل: «أن يأتي» في موضع رفع، إسم «كان» والتّقدير: ماكان إتيان آية مسموحاً لرسول في كلّ حال إلّا حال كونه بإذن الله، وجملة «ماكان ...» معطوفة على جملة «أرسلنا» لامحلّ لها، و«إلّا» حرف إستثنآء، و«بإذن الله» متعلّق بمحذوف، حال مستثنى من عموم الأحوال.

«فإذا» الفآء عاطفة، و«إذا» حرف شرط غير جازم، و«جآء» فعل الشّرط في موضع جرّ، لإضافة «إذا» إليه، و«أمرالله» فاعل الفعل، والجملة معطوفة على «أرسلنا» و«قضي» جواب الشّرط، وفي «بالحق» وجهان: **أحدهما**ـ نآئب الفاعل. **ثانيها**ـ متعلّق بـ«قضي» ونآئب الفاعل محذوف، هو مصدر الفعل أي القضآء. والواو عاطفة و«هنالك» إسم إشارة في موضع نصب، ظرف مكان، متعلّق بـ«خَسِرَ» أو مستعار للزّمان، و«المبطلون» فاعل «خسر» والجملة معطوفة على جملة «قضي بالحقّ».

٧٩ ـ (الله الّذي جعل لكم الأنعامَ لتركبوا منها ومنها تأكلون)

«الله» مبتداء و«الّذي» موصولة في موضع رفع، خبره والجملة مستأنفة لامحلّ لها، و«جعل» صلة الموصول لامحلّ لها، وفي «لكم» وجهان: **أحدهما**ـ متعلّق بـ«جعل» بتضمينه معنى «خلق». **ثانيها**ـ متعلّق بمحذوف، مفعول به ثان، تقديره: مركوبات بدليل قوله تعالى: «لتركبوا» و«الأنعام» مفعول به أوّل، واللاّم للتعليل والغرض، و«تركبوا» فعل مضارع، منصوب بـ«أن» مضمرة بعد اللام، والمصدر المؤوّل في موضع جرّ باللام، متعلّق بـ«جعل» و«منها» متعلّق بـ«تركبوا» وفي «من» وجوه: **أحدها**ـ إبتدائية. **ثانيها**ـ تبعيضيّة. **ثالثها**ـ للتعدية أي ليكون من هذه

الأنعام ركوبهم ويكون منها أكلهم، فهذه الأنعام مادّة صالحة للركوب كما هي مادّة صالحة للأكل ... كالإبل مثلاً.

«ومنها» الواو عاطفة،وقيل: مستأنفة، و«منها» متعلّق بـ «تأكلون» وفي جملة «تأكلون» وجهان: أحدهما- مستأنفة لامحلّ لها. ثانيها- إعتراضية فكذلك.

٨٠ - (ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحْمَلون)

الواو عاطفة، و«لكم» اللاّم للغرض، متعلّق بمحذوف، خبر مقدّم، و«فيها» متعلّق بمحذوف، حال من «منافع» أو متعلّق بالخبر المحذوف، و«منافع» مبتداء مؤخّر، والجملة معطوفة على جملة «منها تأكلون» والواو عاطفة، و«لتبلغوا» مثل «لتركبوا» و«عليها» متعلّق بمحذوف، حال من فاعل «تبلغوا» أي ومن الغرض مِن جعلها أن تبلغوا، حالكونكم عليها بالركوب، والمصدر المؤوّل في موضع جرّبا للام ، متعلّق بـ «جعل» معطوف على المصدر الأوّل، و«حاجة» مفعول به، و«في صدوركم» متعلّق بمحذوف، نعت لـ «حاجة» و«عليها وعلى الفلك» متعلّقان بـ «تحملون» والجملة مستأنفة لامحلّ لها.

٨١ - (ويريكم آياته فأيَّ آيات الله تنكرون)

الواو عاطفة، و«يري» فعل مضارع من باب الإفعال، و«كم» في موضع نصب، مفعول به أوّل، و«آياته» مفعول به ثان، والجملة معطوفة على جملة «تحملون» أو معطوفة على جملة الصّلة: «جعل لكم ...» ومابين الجملتين إعتراض، والفآء إستئنافية و«أيّ» إسم إستفهام توبيخيّ، مفعول به لـ «تنكرون» فقدّم على فعله وجوباً لماله الصّدر إذ لايعمل فيه ماقبله، أضيف إلى «آيات» أضيف إلى «الله» و«تنكرون» فعل مضارع لجمع المذكّر المخاطب من باب الإفعال، والجملة مستأنفة لامحلّ لها. وتذكير «أيّ» أشهر من تأنيثه.

٨٢ - (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنىٰ عنهم ماكانوا يكسبون)

الهمزة إستفهامية، والفآء عاطفة، و«لم» حرف جحد، و«يسيروا» فعل مضارع،

مجزوم، علامة الجزم، حذف نون الرّفع، والجملة معطوفة على استئناف مقدّر أي أعجزوا فلم يسيروا و«في الأرض» متعلّق بـ«يسيروا» والفآء عاطفة، وفي «ينظروا» وجهان: **أحدهما**ـ مجزوم، معطوف على «يسيروا». **ثانيها**ـ منصوب بـ«أن» مضمرة بعد الفآء السّببيّة تقدمها إستفهام، و«كيف» إسم إستفهام في موضع نصب، خبر «كان» و«عاقبة» أضيف إلى «الّذين» موصولة، إسم «كان» و«من قبلهم» متعلّق بمحذوف، صلة الموصول، وجملة «كان عاقبة ...» في موضع نصب، مفعول به لفعل النّظر بالإستفهام على تقدير الجارّ.

«كانوا» مستأنفة بيانيّة لامحلّ لها، و«أكثر» خبر «كانوا» و«منهم» متعلّق بـ«أكثر» على حذف التّميز أي عدداً ولم ينصرف «أكثر» لأنّه على وزن أفعل و«أشدّ» معطوف على «أكثر» و«قوّة» تميز، و«آثاراً» جمع أثر معطوف على «قوة» و«في الأرض» متعلّق بمحذوف، نعت لـ«آثاراً».

«فما» الفآءعاطفة، وفي «ما» وجهان: **أحدهما**ـ بمعنى أيّ، وتقديره: فأيّ شئ أغنىٰ عنهم كسبهم، فموضع «ما» نصب، مفعول به «أغنىٰ». **ثانيها**ـ نافية، و«أغنىٰ» فعل ماض من باب الإفعال، و«عنهم» متعلّق بـ«أغنىٰ» وجملة «فما أغنىٰ» معطوفة على جملة «كانوا أكثر منهم» والفآء كالنّتيجة لقوله تعالى: «كانوا أكثر منهم».

«ماكانوا يكسبون» في «ما» أيضاً وجهان: **أحدهما**ـ مصدريّة، والمصدر المؤوّل في موضع رفع، فاعل «أغنىٰ» أي كسبهم. **ثانيها**ـ إسم موصول في موضع رفع، فاعل «أغنىٰ» والعآئد محذوف، و«يكسبون» في موضع نصب، خبر «كانوا».

٨٣ ـ (فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات فَرِحوا بما عندهم من العلمِ وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن)

في الفاء وجوه: **أحدها**ـ تفسيرية لقوله تعالى: «فما أغنىٰ ...». **ثانيها**ـ سببيّة. **ثالثها**ـ عاطفة، و«لمّا» ظرف بمعنى «حين» متضمّن معنى الشّرط، في موضع نصب، متعلّق بالجواب: «فرحوا» و«جآئت» فعل ماضٍ، و«هم» في موضع نصب، مفعول به، و«رسلهم» فاعل الفعل، وتأنيثه بإعتبار جماعة فاعله وجملة «جآئتهم ...» في

موضع جرّ، مضاف إليه، و«بالبيّنات» متعلّق بمحذوف، حال من «رسلهم» و«فرحوا» جواب شرط غير جازم، لامحلّ لها، و«بما» متعلّق بـ«فرحوا» و«عندهم» ظرف، منصوب، متعلّق بمحذوف، صلة الموصول.

«من العلم» متعلّق بمحذوف، حال من الضّمير العائد في الصّلة المقدّرة، وفي «من» وجوه: **أحدها**- بمعنى البدل أي بدلاً من العلم، وتكون حالاً من «ما». **ثانيها**- حال من الضّمير في الظّرف: «عندهم». **ثالثها**- أنّ «مِن» تبيين لـ«ما» أي فرحوا بالشّيئ الّذي عندهم من العلم. **رابعها**- تبيين لـ«البيّنات» في الآية الكريمة تقديم وتأخير، والتّقدير: فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات من العلم فرحوا بما عندهم.

«وحاق» الواو عاطفة، و«حاق» فعل ماضٍ، و«بهم» متعلّق بـ«حاق» وجملة «حاق بهم» معطوفة على «فرحوا» و«ما» موصولة في موضع رفع، فاعل «حاق» و«كانوا» صلة الموصول لامحلّ لها، و«يستهزؤن» في موضع نصب، خبر «كانوا» ولايخفى أنّ الضّمآئر السّبعة في الآية الكريمة كلّها راجع إلى «من قبلهم».

٨٤- (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين)

الفاء مسبّبة عن مجيئ الرّسل، و«رأوا» فعل ماضٍ، مبنيّ على الضّمّ المقدّر على الألف المحذوفة لإلتقآء السّاكنين، والفعل في موضع جرّ لإضافة «لمّا» بمعنى «حين» إليه، و«بأسنا» مفعول به، و«قالوا» جواب شرط غير جازم لامحلّ لها، و«آمنّا» في موضع نصب، مقول القول، و«بالله» متعلّق بـ«آمنّا» و«وحده» حال منصوبة من «الله» والواو عاطفة و«كفرنا» في موضع نصب، معطوف على «آمنّا» و«بما» متعلّق بـ«كفرنا» و«به» متعلّق بـ«مشركين» خبر «كنّا» والبآء سببيّة.

٨٥- (فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّتَ الله الّتي قدخَلَتْ في عباده وخسر هنا- لك الكافرون)

في الفآء وجوه: **أحدها**- مسبّبة لأنّ إمتناع نفي الإيمان مسبّب عن الرّؤية. **ثانيها**- عاطفة، فالجملة بعدها معطوفة على جملة «قالوا». **ثالثها**- معطوفة على مقدّر ناتج عن قولهم: «آمنّا» أي فآمنوا فلم يك ينفعهم إيمانهم. و«يك» فعل مضارع ناقص،

مجزوم، وعلامة الجزم هي السّكون على النّون المحذوفة تخفيفاً، وإسم «يك» ضمير مسترفيه، تقديره: هو راجع إلى «إيمانهم» بحسب قاعدة التّنازع، ففاعل «ينفعهم» هو «إيمانهم» ويجوز أن يكون إسم «يك» ضمير الشّأن، وجملة «ينفعهم ...» في موضع نصب، خبر «يك».

«لمّا» كالسّابق، ومتعلّق بمضمون الجواب، وجملة «رأوا» في موضع جرّ، مضاف إليه، وجواب الشّرط محذوف، دلّ عليه ماقبله أي لمّا رأوا بأسنا لم يك ينفعهم إيمانهم إذا آمنوا ...

وفي «سنّت» أضيف إلى «الله» وجوه: **أحدها**ـ مفعول مطلق لفعل محذوف، فمنصوب على المصدر أي سنتّا بهم سنة الله. فـ«سنّت الله» مثل «وعدالله» ونحو ذلك من المصادر المؤكّدة. والجملة مستأنفة بيانية أو إعتراضية لامحلّ لها. **ثانيها**ـ مفعول به لفعل محذوف، فمنصوب على التّحذير والإغرآء أي: احذروا سنّت الله. رسمت التآء في «سنّت» مبسوطة في المصحف، وحقّها أن تكون مربوطة. **ثالثها**ـ منصوب بنزع الخافض أي كسنّة الله في الأمم كلّها أو كسنتّنا في جميع الكافرين. «الّتي» موصولة في موضع نصب، نعت لـ«سنت الله» و«في عباده» متعلّق بـ«خلت» صلة الموصول، والواو عاطفة، و«هنا لك» إسم إشارة في موضع نصب، ظرف مكان، متعلّق بـ«خسر» أو مستعار للزمان، و«الكافرون» فاعل «خسر» والجملة معطوفة على جملة «لم يك» لامحل لها.

﴿البيان﴾

١ ـ (حم)

رمز من رموز الوحي السّماوي لايعلمها إلّا الله جلّ وعلاو أهل بيت الوحي عليهم أفضل صلوات الله وأكمل تحيّاته، إفتتح بها تسع وعشرون سورة من السّور القرآنية على أساليب متنوّعة، منها سبع سور بكلمة «حم» أوّلها سورة «غافر» هذه ثمّ ستّ سور من تاليها على التّرتيب. وتسمّى مجموع هذه السّور: «الحواميم» أو «آل حم».

٢ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)

تقرير لمصدر الكتاب ومنزّله، كتاب يكون إلى الله العزيز العليم نسبته، هو ماهو في رفعة الشّأن وعلوّ المقام، أنّه كلام الله عزّوجلّ، ليس بمتقوّل ولا ممّا يجوز أن يكذّب به، وتنويه بالقرآن الكريم وتقرير لما اتّصف به الله تعالى ـ الّذي نزّله ـ من صفات العزّة والعلم، وهو القادر الذي لايغالب ولايقهر، المنيع بقدرته على غيره، ولايقدر عليه غيره، وهو الكثير العلم بخلقه كلّه، وبعقائد النّاس وأقوالهم وأفعالهم كلّها، وهو الّذي عنده العلم كلّه وحقيقته.

ولتخصيص الوصفين: «العزيز العليم» بالذّكر وجوه: **أحدها** ـ اشارة إلى بسطة سلطانه على نظام الكون ونواميس الوجود، وتمكّنه من كلّ موجود مع إحاطة علمه بكلّ شيئ، وفي الجمع بين العزّة والعلم هنا، والجمع بين العزّة والحكمة في أوّل سورة «الزّمر» مراعاة للمقام هنا وهناك ... ففي سورة «الزّمر» ناسب الحكمة دعوة رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى التّمسّك بهذا الكتاب الحكيم والإهتدآء بهداه وعبادة الله تعالى على ضوئه .. وهنا ناسب العلم دعوة النّاس إلى التّوبة والإقبال على الله جلّ وعلا بنيّة خالصة ... لأنّ الله تعالى يعلم ماتكنّ السّرآئر وماتخفي الصّدور.

ثانيهاـ ايمآء إلى مافي القرآن الكريم من الإعجاز والحكم الدّال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة، ومن أنواع العلوم الّتي يضيق عنها نطاق الأفهام ... **ثالثها**ـ هذا من باب التفنّن.**رابعها**ـ فيه تهديد لأهل الكفر والطّغيان، وبشارة لأهل التقوىٰ والإيمان. **خامسها**ـ تنبيه على أنّ الله تعالى قادر على كلّ شيْ، وعالم بكلّ شيء.

سادسهاـ أنّ السّورة لـمّا كانت تتكلّم حول جحد الجاحدين ومجادلتهم في آيات الله بالباطل جهلاً وهم يحسبونه علماً، ويغترّون به كما حكي ذلك عنهم في خاتمة السّورة بقوله: «فلمّا جآءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم»: ٨٣) وكما حكي عن فرعون قوله لقومه في موسىٰ عليه السّلام: «إنّي أخاف أن يبدلّ دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد»: ٢٦) وقوله لهم: «ما أُريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد»: ٢٩) إفتتح الكلام في السّورة بما فيه إشارة إلى أنّ هذا الكتاب النّازل عليهم تنزيل ممّن هوعزيز على الإطلاق لايغلبه غالب حتّى يخاف على ما نزّله من استعلائهم واستكبارهم بحسب أوهامهم، عليم على الإطلاق لايداخل علمه جهل ولاضلال، فلا يقاوم جدالهم بالباطل مانزّله من الحقّ وبيّنه بحججه الباهرة ...

وقد سبقت منّا لطآئف من الكلام حول نظير الآية الكريمة في أوّل البحث البياني من تفسير سورة «الزّمر» فراجع واغتنم جدّاً.

٣ـ (غافر الذّنب وقابل التوب شديدالعقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير)

صفات أخرى لتحقيق مافيه من ترغيب عباده العاصين إلى التّوبةوالإستغفار وترهيبهم عن المعصية والإصرار، ومن الحثّ والتّحريض على ماهو المقصود منه، من تنزيل الكتاب وهو الإيمان بالله جل وعلا وبكتابه وبرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والإخلاص لله تعالى في العمل والإقبال عليه. وقد جمع القرآن الكريم هذين الوصفين

في مواضع عديدة منه كقوله عزّوجلّ: «نبّئ عبادي أنّي أنا الغفور الرّحيم وأنّ عذابي هو العذاب الأليم» الحجر: ٣٩ـ ٥٠) ليبقى العبد بين الخوف والرّجآء. وفي الآية الكريمة عرض ستّ صفات من صفات الله عزّوجلّ إلى ما عرض في الآية السّابقة: الاولى: أنّه تعالى «غافر الذّنب» يغفر للمذنبين الّذين يدرؤن بالحسنة ذنوبهم كما قال: «إنّ الحسنات يذهبن السّيّئات» هود: ١١٤).الثّانية: أنّه سبحانه «قابل التّوب» فيقبل التآئبين ويتجاوز لهم عمّا كان منهم. الثّالثة: أنّه جلّ وعلا «شديد العقاب» فعذابه للعاصين والطّاغين شديد يلقىٰ منه المعذّبون الوبال والنّكال، فمع سعة رحمته وسوابغ فضله ونعمه وإحسانه، فإنّ عقابه شديد راصد، فالرّحمة والفضل والإحسان للمحسنين، والعذاب والنّكال والوبال للمكذّبين الطّاغين، وبهذا يعتدل ميزان العدل بين النّاس، فلايسوي بين الأخيار والأشرار، بين الأبرار والفجّار، وبين أهل التّقوى والإيمان، وأهل الفجور والعصيان ... بل ينزل كلّ من هؤلآء وهؤلاء منزله: «أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار» ص: ٢٨).

الرّابعة: أنّه تعالى «ذي الطّول» أي البأس والعزّة والغلبة، فلايفوته عزّ وجلّ مطلوب، ولايدفع بأسه دافع.الخامسة: تفرّده بالألوهيّة: «لا إله إلّا هو» لا إله غيره ولاربّ سواه.السّادسة: أنّ مصير كلّ شيءٍ إليه: «إليه المصير» منه البدء وإليه المنتهى.

في الإتيان بصيغة إسم الفاعل والوصف: «غافرـ قابل» دون الفعل دلالة على الدّوام والإستمرار التجدّدي، إذ ماأرادبهما حدوث الفعلين في الحال والإستقبال، بل أراد ثبوت ذلك ودوامه، فهما صفتان معرفتان لأنّ إضافتهماـ كالأوسطين: «شديدـ ذي»ـ حقيقيّة، فإنّ المغفرة وقبول التّوب من صفاته الفعليّة، فمن شأنه جلّ وعلا غفران الّذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان من صفة المعرفة، فلايزال يغفرالذّنوب لمن استغفر، ويقبل التّوبة ممّن تاب، فالإضافة فيهما حقيقيّة على انّه لم يرد بهما زمان مخصوص.

وفي تقديم الذّنب: «غافر الذّنب» وتأخير التّوبة: «قابل التّوب» تنبيه على أنّها العفو عمّا سلف.

ولإدخال الواو في «وقابل التّوب» وجوه: **الأوّل:** لإفادة الجمع للمذنب التّآئب بين رحمتين: بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطّاعات، وأن يجعلها محّاءة للذّنوب كأن لم يذنب كأنّه قال: جامع المغفرة والقبول. **الثّاني:** لتغاير الوصفين إذربّما يتوهّم الإتّحاد. **الثّالث:** لتغاير الفعلين لأنّ الغفر هو السّتر مع بقآء الذّنب، وذلك لمن لم يتب، فانّ التّآئب من الذّنب كمن لاذنب له. **الرّابع:** أنّ في عطف «قابل التّوب» على «غافر الذّنب» دون «شديد العقاب ذي الطّول» دلالةً على أنّ الصّفتين كصفة واحدة متعلّقه بالعباد المذنبين، فيغفر لهم تارة بالتّوبة، وأخرىٰ بغيرها كالشّفاعة، وهاتان الصّفتان تحكيان صفت الله تعالى في جانب الرّحمة كما أنّ «شديدالعقاب ذي الطّول» تحكيان صفته في جانب الغضب والعذاب.

فالله جلّ وعلا موصوف على الدّوام بكلّ هذه الصّفات ... وقد جمع فيها الوعد والوعيد، والبشارة والإنذار، والرّجآء والخوف. وفي ايراد هذا الوصف: «ذي الطّول» بعد وصف نفسه بـ«شديدالعقاب» تنبيه على أنّ خاتمة أمره مبنيّة على التّفضّل كما أنّ فاتحته مبنيّة على الغفران وقبول التّوبة، وقد تقع عقوبة بينهما، فذكر «شديدالعقاب» بعد «غافر الذّنب» لئلاّ يعول المكلّف على العفو إطلاقاً، بل يخاف عقابه أيضاً لأنّه كما أنّه يغفر لكونه غافراً فقد يعاقب لكونه شديدالعقاب. وذكر هذه الصّفات الأربع بعد ذكر صفتي «العزيز العليم» إشارة إلى أنّ تنزيل هذا الكتاب المشتمل على دعوته الحقّة المبنيّ على العلم مبنيّ على أساس ماتقتضيه مضامين هذه الصّفات الأربع، وهي تقسيم النّاس على فريقين: فرقة مؤمنة سعيدة، وفرقة كافرة شقيّة، مشيراً بالصّفتين الأولين إلى الفرقة الأولى وبالأخيرتين إلى الفرقة الأخيرة.

وذلك أنّ العالم الإنسانيّ كمايتّحد قبيلاً واحداًفي نيل الطّول الإلهي، والتّنعّم بنعمه المستمرّة المتوالية مدى الحياة الدّنيا ينقسم من حيث حياته الآخرة قسمين وينشعب إلى شعبتين: سعيد وشقيّ، والله عزّوجلّ عالم بتفاصيل خلقه، وكيف لايعلم؟ وهو

خالقها وفاعلها، ومقتضى كونه غافراً للذّنب، قابلاً للتّوب أن يغفر لمن استعدّ للمغفرة، وأن يقبل توبة التّآئب إليه، ومقتضىٰ كونه شديدالعقاب أن يعاقب من استحق ذلك، ومقتضىٰ ذلك أن يهدي النّاس إلى طريق السّعادة كما قال تعالى: «إنّ علينا للهدىٰ وإنّ لنا للآخرة والأولىٰ» اللّيل: ١٣) وقال: «وعلى الله قصد السّبيل» النّحل: ٩) لينقسم النّاس بذلك قسمين، ويتميّز عنده السّعيد من الشّقيّ والمهتدي من الضّالّ، فيرحم هذا ويعذّب ذلك.

فتنزيل الكتاب من الله العزيز العليم مبنيّ على علمه المحيط بخلقه أنّهم في حاجة إلى دعوة يهتدي بها قوم، ويضلّ بردّها آخرون ليغفر لقوم ويعذّب آخرين، وفي حاجة إليها لينتظم بها نظام معاشهم في الدّنيا فينعّموا بطوله ونعمته في الدّنيا ثمّ في دارالقرار فهذا شأن كتابه المنزّل بعلمه الّذي لايشوبه جهل، والمبنيّ على الحق الّذي لايداخله باطل، وأين هذا من تكذيب الّذين لايعلمون إلّا ظاهراً من الحياة وجدالهم بالباطل ليدحضوا به الحقّ.

وعلى هذه العناية بالعلم يشهد ماسيذكره الله جلّ وعلا من دعآء الملائكة للمؤمنين بالمغفرة «ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك»: ٧) فتدبّر جيّداً.

وقوله تعالى: «لا إله إلّا هو» في ذكر كلمة التّوحيد إشارة إلى وجوب طاعته وعبادته وحده فلا تلغو الدّعوة الدّينية بتنزيل الكتاب، فإنّ الوجوه كلّها تتجه إليه وحده، وأنّ الأمور جميعها تفوض إليه وحده، فما يذكر بعد ذلك بمنزلة التّعليل لإختصاص الألوهيّة به تعالى كأنّه قيل: لا إله إلّا هو لأنّ إليه وحده المصير. وفي ذكر كون مصير الكلّ ورجوعهم إليه وهو البعث إشارة إلى أنّه هو السّبب التّامّ الدّاعي إلى الإيمان بالكتاب واتباعه فيما يدعوا إليه لأنّ الإعتقاد بيوم البعث والحساب هوالّذي يستتبع الخوف والرّجآء: خوف العقاب ورجآء الثّواب الدّاعيين إلى الإيمان بالله تعالى والعمل لله جلّ وعلا، فكما نزّل الكتاب ليغفر الذّنب ويقبل التّوب، كذلك نزّله ليعاقب أهل الجدال والعقاب بعد رجوع الكلّ إليه يوم الحساب.

٤ ـ (مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا فلاٰ يَغْرُرْكَ تقلّبهم في البلاد)

صدر الآية الكريمة تضمن تقرير كون الّذين يجادلون في آيات الله جلّ وعلا وينكرونها هم الّذين تعمّدوا العناد واللّجاجة، وبيتوا الكفرو المكابرة فقط، حيث انطوى في ذلك معنى محكم يصحّ أن يزال على ضوئه إشكال مايرد مطلقاً في آيات أخرى، وانطوى فيه تبعاً لذلك تحميل الكافرين مسئوليّة موقفهم الّذي يقفونه عن عمد وباطل، وقد انطوى في هذا وذاك في الوقت نفسه تسلية وتطميناً للنبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وتسجيل للمجادلين بالكفر، وفي ذيلها تعنيف قارع للكافرين وغاية تهديد للمعاندين، و وعيد شديد لهم وتحقير لشأنهم ولما بين أيديهم من مال وسلطان، وتحذير للمؤمنين من الإنخداع بما أصابه الكافرون من قوّة ونجاح وطول يد.

وكلّ هذا ممّا استهدفته الآيات، وفي السّور السّابقة آيات انطوى فيها ذلك ممّا يصحّ أن يعد من المبادئ القرآنية المحكمة، ويلفت النّظر إلى مابين هذه المقدّمة وبين آيات السّورة السّابقة الأخيرة من تساوق تأكيدي في صدر غفران الذّنوب وقبول التّوبة، وتقرير كون كلمة العذاب إنّما حقّت على الكافرين المكابرين الكاذبين على الله جلّ وعلا المكذّبين بآياته ممّا يمكن أن يكون قرينة ما على صحّة ترتيب نزول هذه السّورة بعد سورة الزّمر. **إن تسئل:** كيف قال الله تعالى: «مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا» مع أنّ الّذين آمنوا هم أيضاً يجادلون فيها؟ هل هي منسوخة؟ أم محكمة؟ وهل فيها مجاز؟ أو كلّها حقيقة؟ وهل هي مخلوقة؟ أو قديمة؟ وما إليها؟؟؟

تجيب عنه: إنّ المراد بالجدال فيها هو تكذيب الآيات الإلهيّة ودفعها بالباطل، والطّعن بقصد إدحاض الحق وإطفآء نورالله عزّوجلّ إطلاقاً، ولذلك قال تعالى: «مايجادل في آيات الله» ولم يقل: «مايجادل في القرآن ـ أو ـ في الكتاب» ليدلّ على أنّ الجدال في الحقّ الّذي تدلّ عليه الآيات بما هي آيات، على أنّ طرف جدالهم هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو داع إلى الحقّ الّذي تدلّ عليه الآيات...

فهم لظلام بصائرهم، وضلال عقولهم، ومرض قلوبهم، وإعوجاج أفكارهم وإنحراف شعورهم قد استغلق عليهم الحقّ، ومنه هذا الكتاب، فلم يهتدوا بهداه

فجعلوا يلقونه بالجدل سخرية واستهزآءً لاطلباً لعلم ولا إلتماساً لمعرفة، فجدالهم لدفع الحقّ لا للدّفاع عن الحقّ، فالمراد بالمجادلة في آيات الله تعالى هي المجادلة لإدحاضها ودفعها كما تدلّ عليه الآية التّالية: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» وهي مذمومة، فلا تشمل الجدال لإثبات الحقّ والدّفاع عنه، وإن المؤمن لايجادل في آيات الله عزّوجلّ إلّا لتقرير الحقّ والدّفاع عنه، لإيضاح الملتبس وكشف المعضل، لمقادحة أهل العلم في إستنباط المعاني وبيان المعاني، لنشر الحقائق والأسرار والمعارف والحكم، لكشف المراد من الآيات، وردّ أهل الزّيغ بها ورفع اللّبس ودفع مايتشبّث به المبطلون المعاندون من متشابهات القرآن الكريم، وردّ مطاعنهم في الحقّ، وحلّ عقده.

كما كان هذا هو سيرة الأنبيآء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين كيف؟ وقد قال تعالى حكاية عن قوم نوح لنوح عليه السّلام: «يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا» هود: ٣٢) وقد أمرالله عزّ وجلّ رسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم بذلك إذا كان جدالاً بالّتي هي أحسن إذ قال: «ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن» النّحل: ١٢٥).

وهذا هو أعظم جهاد في سبيل الله تعالى و وظيفة كلّ مؤمن عالم بالحقّ.

إن تسئل: لماذا قال: «مايجادل» ولم يقل: «لايجادل»؟

تجيب عنه: إنّ في «مايجادل» إخبار عن إستمرار جدال المعاندين وإصرارهم في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعده إذ ثبت عندي بمواضع عديدة من الآيات القرآنية والرّوايات الواردة وكلام العرب أنّ لفظة «ما» لنفي الحال والإستقبال، وماقيل: إنّها للحال فقط فمخدوش لايعبؤبه. بخلاف حرف «لا» فانّها للإستقبال وقد تستعمل للحال بالقرينة.

وقوله تعالىٰ: «فلا يغررك» الفآء لترتيب النّهي أو وجوب الإنتهآء على ماقبلها من التّسجيل عليهم بالكفر الّذي لاشئ أمقت منه عندالله تعالى، ولا أجلب لخسران الدّنيا والآخرة، فإنّ من تحقّق ذلك لايكاد يغترّ بما لهم من حظوط الدّنيا وزخارفها، فإنّهم مأخوذون عمّا قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسبما ينطق به.

وقوله عزّوجلّ: «تقلّبُهم في البلاد» كناية عمّا أصابوه من قوّة ونجاح وطول يد في متاع الدّنيا والبلاد.

٥ ـ (كذّبت قبلَهم قومُ نوحٍ والأحزاب من بعدهم وهمّت كلُّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليُدْحضوُا به الحقّ فأخذتُهم فكيف كان عقاب).

تسلية للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم على تكذيب مَن كذّبه من قومه بأنّ له صلّى الله عليه وآله وسلّم اسوة في سلفه من الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام، فضرب تعالى لتكذيبهم بالرّسل ومعاداتهم وجدالهم بالباطل مثلاً ماكان من نحو ذلك من الأمم الماضية، وفيه وعيد وتهديد شديد لهم بالعذاب الّذي يقع بالضّالّين المكذّبين المجادلين، فهم ليسوا أوّل مَن كذّب بآيات الله تعالى ... فقد كذّبت من قبلهم أقوام بعد أقوام تحزّبوا ضدّ رسلهم، واجتمعوا على تكذيبهم، وعلى الوقوف في وجه دعوتهم، وسوق الأذىٰ إليهم ومعاداتهم ...

ولذلك قيل: إنّ الآية الكريمة بصدد جواب عمّا يسبق إلى الوهم: أنّ هؤلآء المعاندين استكبروا وجادلوا في آيات الله تعالى، وسبقوا في ذلك من دون بأس بهم؟! فاجيب: أنّ الأمم الماضية كقوم نوح والأحزاب من بعدهم كعاد وثمود وقوم لوط ومَن إليهم من المكذّبين الّذين سبقوا هؤلآء المعاندين إلى مثل صنيعهم من التّكذيب والجدال بالباطل، وهمّوا برسولهم ليأخذوه فحلّ بهم العقاب، وكذلك قضي في حقّ الكفّار العذاب، فتوهّم أنّ هؤلآء سبقوا الله سبحانه إلى مايريد توهّم باطل، فقوله عزّوجلّ: «كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم» دفع للدخل السّابق، ولذاجيئ بالفصل.

وقوله تعالى: «وهمّت كلّ امّة برسولهم ...» يدلّ على أنّ الرّجال من الأمم كانوا يجادلون الأنبيآء ويكذّبون بالمرسلين، ويخاصمون في دفع الحقّ بباطل من القول.

وقوله عزّوجلّ: «فأخذتهم» فيه إلتفات من الغيبة إلى التّكلّم وحده، والنّكتة فيه هي الإشارة إلى أنّ أمرهم في هذا الجدال والطّغيان، في هذا العناد والعدوان، وفي

هذا الإستكبار والعصيان إلى الله تعالى وحده لايدخل بينه وبينهم أحد بنصرة أو شفاعة كما قال جلّ وعلا: «فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب إنّ ربّك لبالمرصاد» الفجر: ١٣-١٤).

وقوله جلّ وعلا: «فكيف كان عقاب» إستفهام تقريريّ تعجيبيّ لعقوبتهم الواقعة بهم، وتوجيه لذهن المخاطب إلى مايعلمه من كيفيّة إهلاكهم، وقطع دابرهم ليحضر شدّة مانزل بهم، وقد قصّه الله تعالى فيما قصّ من قصصهم ...

٦ - (وكذلك حقّت كلمةُ ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحابُ النّار)

وجه التّشبيه أنّ الكفّار من قومك ومن إليهم يعاقبون في الآخرة بالنّار عقاباً شديداً، ويلازمونها من دون نجاة لهم منها كما حقّت الكلمة على أولئك الأقوام من قوم نوح عليه السّلام والأحزاب ... في الدّنيا بعذاب الإستيصال، وفي الآخرة بالنّار، وقد جعل الله تعالى عذاب إستيصال قوم نوح عليه السّلام ومن إليهم من الأمم المكذّبة الماضية دليلاً على عذاب مشركي قريش ومَن إليهم من هذه الأمّة بالنّار في الآخرة لأنّ الأسباب واحدة وهي كفرهم ولجاجهم وعنادهم للحقّ، وإهتمامهم بإطفآء نورالله الّذي بثّه في الأرجآء لإصلاح نظم العالم وسعادة أهله في دينهم ودنياهم، وارتقآء النّفوس البشرية وكما لها ونيلها بما تليق به.

وفي قوله تعالى: «كلمة ربّك» ولم يقل: «كلمتي» تطييب لنفس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتطمينه وتثبيته، وتأييدله بالإشارة إلى أنّ الرّكن الّذي يركن إليه هو الشّديد القويّ.

ولايخفى على من له الدّراية: أنّ الآية الكريمة بصدد إنذار الكفّار بنار الآخرة بعد البعثة المحمدية صلّى الله عليه وآله وسلّم وفيها دلالة على رفع عذاب الإستيصال عن الكافرين بعدها.

٧ - (الّذين يحمِلون العرشَ ومن حَوْلَه يسبّحون بحمدِ ربّهم ويؤمنون بهِ ويستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وَسِعْتَ كُلَّ شيْءٍ رحمةً وعلماً فاغفِرْ للّذين تابوا واتّبَعُوا سبيلك وقِهِمْ عذابَ الجَحيم)

مستأنف بيانيّ بأسلوب قويّ رآئع، جواباً عن سؤال مقدّر مقابل قوله تعالى: «مايجادل في آيات الله ...» كأنّه قيل: هذا حال الكافرين والمجادلين في آيات الله جلّ وعلا فما حال المؤمنين؟ فقال: حالهم: أنّ الّذين يحملون العرش ... وفيه إخبار أيضاً من الله تعالى عن حال الملائكة وعظم منزلتهم بخلاف ما عليه الكفّار من البشر.

وقوله تعالى: «يسبّحون بحمد ربّهم» مستأنف سيق لتسلية النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ببيان أنّ أشراف الملائكة مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء مايسعدهم في الدّارين أي ينزهونه تعالى عن كلّ مالايليق بشأنه الجليل، ملتبسين بحمده على نعمآئه الّتي لا تتناهى.

وقوله عزّوجلّ: «ويؤمنون به» إخبار من الله تعالى عن الملائكة بالإيمان إيماناً حقيقياً بحالهم إظهاراً لفضله وتعظيماً لأهله.

إن تسئل: ما فائدة ذكر إيمان الملائكة والتّصريح بذلك مع الغنى عن ذكره رأساً إذ لايخفىٰ على أحد أنّ حملة العرش ومَن حوله من الملائكة هم الّذين يسبّحون بحمده ومؤمنون به؟

تجيب عنه: ذكر لإظهار فضيلة الإيمان، وإبراز شرف أهله وبشارة لهم ولترغيب النّاس فيه كما وصف الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمقرّبين في غير موضع من كتابه بالصّلاح والإيمان لذلك، وإشعاراً بعلّة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به.

قوله تعالى: «ويستغفرون للّذين آمنوا» فإنّ المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمّها وأدعى الدّواعي إلى النّصح والشّفقة، وفي نظم إستغفارهم للمؤمنين في سلك وظآئفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم ايذان بكمال اعتنآئهم به، وإشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول. وفآئدة إستغفار الملائكة للمؤمنين التّائبين الصّالحين- مضافاً إلى ماذكر -طلب مزيد الكرامة والثّواب أو كصلوا تناو سلامنا على محمد وآله الطّاهرين، وعلى الأنبيآء والمرسلين ...

وقوله تعالى حكاية عن الملائكة: «ربّنا وسعت ...» إما مستأنف بيانيّ جواباً

عن سؤال مقدّر بتقدير القول أي يقولون: «ربّنا ...» هذا بيان لكيفيّة إستغفارهم للمؤمنين في قوله تعالى: «ويستغفرون للّذين آمنوا» حكاية متن إستغفارهم، أو حال بتقدير القول.

وقد بدؤا في استغفارهم للمؤمنين بالثّنآء على الله تعالى بسعة الرّحمة والعلم، وفيه تعليم الدّعآء ليبدأ بالثّنآء عليه قبل السؤال، وفي لفظ «ربّنا» خاصّيّة قوية في تقديم الدّعآء، ولا ريب أنّ ذكر الله أوّل كلّ شيء بمنزلة الإكسير الأعظم للنّحاس من حيث إنّه يقوّي جوهر الرّوح ويكسبه إشراقاً وصفآءً وقد ذكروا الرّحمة وشفّعوها بالعلم لأنّه تعالى برحمته ينعم على كلّ محتاج، فالرّحمة مبدأ إفاضة كلّ نعمة، وبعلمه يعلم حاجة كلّ محتاج مستعدّ للرّحمة، وإنّ الرّحمة والعلم وسعا كلّ شيء في المعنى، وإنّ الأصل: أنّه وسع كلّ شيء رحمتك وعلمك، فازيل الكلام عن أصله، فحذف المضاف إليه، فاسند الفعل إلى صاحب الرّحمة والعلم وأخرجا «رحمة وعلماً» منصوبين على التّمييز للإغراق في وصفه بالرّحمة والعلم والمبالغة في عمومهما كأنّ ذاته تعالى رحمة وعلم واسعان كلّ شيء، وفي تقديم الرّحمة على العلم تنبيه على أنّها المقصود بالذّات ههنا، فإنّ مطلوب الملائكة في هذا المقام هو أن يرحم المؤمنين، فكأنّهم قالوا: إرحم مَن علمت منه التّوبة واتباع الدّين.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك» الفآء لترتيب الدّعاء على ماقبلها والتّفريع على ما أثنوا به من سعة الرّحمة والعلم، والمراد بالسّبيل الّتي اتّبعوها هو ما شرع لهم من الدّين وهو الإسلام واتباعهم له هو تطبيق عملهم عليه، فالمراد بتوبتهم رجوعهم إليه جلّ وعلا بالإيمان، والمعنى: فاغفر للّذين رجعوا إليك بالايمان بوحدانيتك وسلوك سبيلك الّذي هو الإسلام.

وقوله عزّوجلّ حكاية عنهم: «وقهم عذاب الجحيم» هذا غاية المغفرة وغرضها، تصريح بعد إشعار للتّأكيد، والدّلالة على شدّة العذاب.

وقد جآء ذكر الملائكة في الآية الكريمة بالصّيغة الرّائعة الّتي ذكروا بها تنبيهاً إلى أنّ اكثر الملائكة قرباً إلى الله تعالى وهم حملة العرش ومَن حوله هم أكثر المخلوقات

خضوعاً لله تعالى، وإعترافاً بعظمته، وإلى أنّ شفاعتهم وإستغفارهم إنّما هما للمؤمنين المتّقين، وتنويهاً قوياً بالمؤمنين المنيبين إلى الله عزّوجلّ المتبعين سبيله، المستجيبين إلى دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والملتفّين حوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتثبيتاً فيهم الطّمأنينة والغبطة والبشرىٰ بما ينتظرهم من قرّة العين وعظيم الفوز في الآخرة، وما بسبيل ذلك من إستغفار الملائكة لهم والدّعآء إلى الله من أجلهم، مقابلة لذكر مصير الكفّار وما احتوته الآيات السّابقة من التّنديد بهم وإنذارهم، ورداً قوياً على المشركين العرب فيما يعتقدونه من الوهية الملائكة وربوبيتهم، وأثرهم وعبادتهم لهم، وإتخاذهم أرباباً على أمل شفاعتهم لهم عندالله سبحانه.

وفي الآية الكريمة: عَرْضٌ لجهة الخير وأرباب الهدى ... وأنّهم أحزاب متناصرة على الحقّ، متعاونة على البرّ والتّقوى، يأخذ بعضهم بيد بعض إلى مايرضى الله تعالى، وينزلهم منازل رحمته ورضوانه ... فالملائكة وهم من عالم غيرعالم البشر، تصلهم بالمؤمنين المتّقين صلات وثيقة من المودّة والألفة، وتجمعهم على طريق واحد هو الطّريق المتّجه إلى الله جلّ وعلا، وإذا كان الملائكة وهم من عالم النّور والأروا-ح أقرب إلى الله تعالى، وأدنىٰ من رحمته ورضوانه، فإنّهم يستغفرون ربّهم للّذين آمنوا، ويدعونه لهم، ويطلبونه إليه جلّ وعلا أنّه يقيهم عذاب الجحيم.

وقيل فيها «دلالة على أنّ قبول التّوبة وإسقاط العقاب عند الملائكة تفضّل من الله تعالى إذ لوكان واجباً لما احتيج فيه إلى السّئوال والدّعآء، بل كان يفعله الله جلّ وعلا لامحالة» وفيه تأمّل ونظر وإنّ سئوال الملائكة المغفرة قبل سئوال الجنّة هو الموافق للإعتبار فإنّ حصول إستعداد أيّ نعمة كانت بزوال المانع قبل حصول نفس النّعمة.

وفي تلخيص البيان للسّيّد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «ربّنا وسعت كلّ شيئ رحمة وعلماً» قال: «وهذه إستعارة لأنّ حقيقة السّعة إنّما توصف بها الأوعية والظّروف الّتي هي أجسام، ولها أقدار ومساحات، والله سبحانه يتعالى عن ذلك، والمراد والله أعلم أنّ رحمتك وعلمك وسعا كلّ شيئ فنقل الفعل إلى الموصوف

على جهة المبالغة كقولهم: طبت بهذا الأمر نفساً وضقت بهذا ذرعاً أي طابت نفسي وضاق ذرعي، وجعل العلم موضع المعلوم كما جاء قوله سبحانه: «ولا يحيطون بشيْ من علمه إلّا بما شآء» أي بشيْ من معلومه» انتهى كلامه.

٨ ـ (ربّنا وأدخِلْهم جنّات عدن الّتي وعَدْتَهم ومن صَلَح من آبآئهم وأزواجهم وذرّيّاتهم إنّك أنتَ العزيزُ الحكيم)

حكاية تمام مايدعوا به حملة العرش والملائكة للمؤمنين، فإنّ قولهم: «وأدخلهم ...» عطف على «قهم» وتوسيط النّدآء بين المعطوف والمعطوف عليه للمبالغة في الجوار، وتكرار النّدآء بلفظة «ربّنا» لمزيد الإستعطاف.

وقولهم: «ومن صلح من آبآئهم ...» فيه تعليق الحكم على الوصف بأنّهم لوكانوا صالحين بحيث لو أدركوا الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لكانوا مؤمنين به، وإن ماتوا على ماكانوا عليه قبل البعثة، فالمخاطبون يدخلون الجنّة بالإيمان والتّوبة، وأمّا المتقدّمون من الآبآء فيدخلونها بشرط الصّلاح للإيمان لوكانوا أحيآء عند البعثة. وفيه إشارة إلى أنّه لايلحق بأهل الصّلاح إلّا الصّالحون، وأنّه لانسب بينهم أوثق من هذا النّسب الّذي يجمع بينهم في جنّات النّعيم. فجملة «من صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّياتهم» جديرة بالتّنويه حيث تضمّنت تقرير كون الّذين يستحقّون التّكريم والعناية من المتفرّعين عن الصّالحين النّاجين هم الّذين تؤهلهم أعمالهم لذلك، وليس من شأنهم تفرعهم عنهم وحسب أن يجعل لهم حقّاً فيه، وفي هذا مافيه من تلقين جليل شامل مستمر المدى. وقد قدّم «أزواجهم» على «ذرّياتهم» لمراعات التّرتيب.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «إنّك أنت العزيز الحكيم» الجملة تعليلية لما قبلها: «فاغفر للّذين تابوا ...» وفي ذكر وصفي «العزيز الحكيم» دلالة على أنّه تعالى قادر على ذلك، ويحكم بعدله، لأنّه عزّوجلّ لولم يكن قادراً غالباً على الكلّ لما صحّ منه وقوع المطلوب كما يراد، ولولم يكن حكيماً لأمكن منه وضع الشّيْ في غير موضعه، وإنّما تقع رحمة الله تعالى حيث علم الله موقعها من عباده.

٩ - (وقِهِم السّيّئات ومن تَقِ السّيّئات يومئذٍ فقد رَحِمتَهُ وذلك هو الفوز العظيم)

تعميم بعد تخصيص في قوله: «وقهم عذاب الجحيم» بأن يمنع عنهم العقوبات الدّنيوية والأخروية.

وقوله: «وذلك هو الفوز العظيم» إشارة إلى الرّحمة وغفران السّيّئات والوقاية من شرّها، ومعنى البعد فيها ببعد درجة المشار إليه.

١٠ - (إنّ الّذين كفروا ينادون لَمَقْتُ الله أكبرُ من مقتِكم أنفسَكم إذ تُدْعَوْن إلى الإيمان فتكفُرون)

مستأنف بيانيّ جواباً عن سؤال مقدّر كأنّه قيل: هذا حال المؤمنين التّائبين التّابعين في الآخرة فما حال الكافرين المجادلين في آيات الله جلّ وعلا؟ فقال: «إنّ الّذين كفروا ...» شروع ببيان أحوال الكفرة يوم القيامة، وتقرير لما سوف يكون من أمر الفجرة بعد دخولهم النّار بعد مابيّن فيما سبق أنّهم أصحاب النّار، حيث يصرخ فيهم صرخة التّبكيت والتّقريع، ويقال لهم، إنّ مقت الله تعالى وغضبه عليكم أشدّ من نقمتكم على أنفسكم بسبب إمتناعكم عن الإستجابة إلى الله تعالى ومقابلتها بالمكابرة والجحود، وحيث ترتفع أصواتهم بالنّدم قائلين: «ربّنا أمتّنا ...».

وقوله تعالى: «لمقت الله» المقت أشد أنواع البغض، والمراد به من الله تعالى لازمه وهو تعذيبهم بأشدّ العذاب والغضب عليهم.

وقوله تعالى: «إذ تدعون ...» تعليل لما بين الظّرف والسّبب من علاقة اللّزوم والمعنى: لمقت الله إيّاكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لـمّا كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون، وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم إضرابهم ممّا لا داعي له.

ولايخفى على الأديب الأريب: أنّ في الآية الكريمة وتاليها عوداً على بدءٍ في صدد ذكر ما أعدّ للكافرين المجادلين يوم القيامة، وهي متّصلة بالسّياق، وقد استهدفت فيما استهدفته إنذار الكفّار وآثارة الرّعب والنّدم في نفوسهم.

١١ - (قالوا رَبّنا أَمَتَّنا اثنتين وأحيَيْتنا اثنتين فاعترفْنا بذنوبنا فهَلْ إلىٰ خُرُوجٍ مِنْ

سَبيلٍ)
حكاية مقولة من مقولات الكافرين الجاحدين الّذين تقدّم وصفهم: أنّهم بعد حصولهم في النّار ينادون بهذا النّدآء: يا ربّنا ... إشارة إلى أربعة أدوار مرّوا بها أي إماتتين اثنتين، أو موتين اثنتين، وإحيآءتين اثنتين أو حياتين اثنتين، فموصوفان محذوفان لدلالة الحياة والموت عليها.

وقوله تعالى: «فاعترفنا بذنوبنا ...» إخبار من الله تعالى أنّ الكافرين الجاحدين يعترفون بذنوبهم الّتي اقترفوها في الدّنيا لايمكنهم جحدها، وإنّما تمنّوا الخروج ممّا هم فيه من النّار والعذاب، فيعودوا إلى الحياة الدّنيا مرّة أخرى ليؤمنوا بالله ويصلحوا ما أفسدوا من أمرهم، فقالوا: «فهل إلى خروج من سبيل» هذا تلطف منهم في الإستدعآء مع نوع إستبعادله واستشعار يأس منه لا أنّهم قالوه بطريق القنوط البحت.

هذا سئوال للخروج بصورة الإستفهام، وفي تنكير «خروج» إشعار بفرط قنوطهم وفي تنكير «سبيل» إبهام أي سبيل ما كيفما كان. كأنّهم يسئلون شيئاً يسيراً من الخروج من أيّ سبيل أو إلى نوع من الخروج: خروج سريع أو بطيئ، فاجيبوا مبهماً: لا لاليس لكم إلى الخروج من سبيل قطّ، فاليأس حاصل دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه.

فالمعنى: هل بعد الإعتراف منّا بذنوبنا سبيل لنا إلى الخروج من العذاب من طريق فنسلكه، وذلك إنّما يقولونه من فرط قنوطهم تعلّلاً وتحيّراً ولذلك أجيبوا بما اجيبوا. وفي تنكير «خروج ـ سبيل» إشارة إلى رضاهم بأيّ نوع من الخروج كان من أيّ سبيل كانت، فقد بلغ بهم الجهد، واليوم يوم تقطّعت بهم الأسباب، فلا سبب يرجى أثره في تخلّصهم من العذاب.

وقال بعض الأعلام: «وتقديم هذا الإعتراف منهم نوع تسبيب وتوسّل إلى التّخلّص من العذاب ولات حين مناص، وذلك أنّهم كانوا ـ وهم في الدّنيا ـ في ريب من البعث والرّجوع إلى الله، فأنكروه ونسوا يوم الحساب، وكان نسيان ذلك

سبب إسترسالهم في الذّنوب، وذهابهم لوجوههم في المعاصي، ونسيان يوم الحساب مفتاح كلّ معصية وضلال قال تعالىٰ: «إنّ الّذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» ص: ٢٦) ثـمّ لمّا أماتهم الله إماتة بعد اماتة وأحياهم إحيآءة بعد احياءة زال إرتيابهم في أمر البعث والرّجوع إلى الله بما عاينوا من البقآء بعد الموت، والحياة بعد الحياة وقد كانوا يرون أن الموت فنآء، ويقولون: إن هي إلّا حياتنا الدّنيا وما نحن بمبعوثين. وبالجملة زال عنهم الإرتياب بحصول اليقين وبقيت الذّنوب والمعاصي، ولذلك توسّلوا إلى التّخلّص من العذاب بالإعتراف، فتارة إعترفوا بحصول اليقين كما حكاه الله عنهم في قوله: «ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربّهم ربّنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنّا موقنون» السّجدة: ١٢) وتارة اعترفوا بذنوبهم كما في الآية المبحوث عنها، وقد كانوا يرون أنّهم أحرار مستقلّون في إرادتهم وأفعالهم لهم أن يشآؤا ماشآؤا وأن يفعلوا مافعلوا ولاحساب ولاذنب.

ومن ذلك يظهر وجه ترتّب قولهم: «فاعترفنا بذنوبنا» على قولهم: «أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» فالإعتراف في الحقيقة مترتّب على حصول اليقين بالمعاد الموجب لحصول العلم بكون إنحرافاتهم عن سبيل الله ضلالات وذنوباً.

١٢ ـ (ذٰلكُمْ بأنّهُ إذا دُعِيَ الله وحدَهُ كَفَرْتم وإن يُشرَك به تؤمنوا فالحُكمُ لله العَليِّ الكَبير)

خطاب تشديد للكافرين المجادلين والمشركين المعاندين، سيق لبيان سبب خلودهم في النّار من دون سبيل لهم إلى خروج منها قطّ، بأنّ هذا العذاب وعدم الإجابة إلى الخروج بسبب معاندتكم للحقّ ومعاداتكم لتوحيده جلّ وعلا إذ كنتم تكفرون بكلّ مايلوح فيه أثر التّوحيد في وقت التّمكّن من التّوحيد أو'ان التّكليف، تؤمنون بكلّ مافيه سمة الشّرك ، فكنتم لا تراعون لله عزّوجلّ حقاً، ولا تحترمون له جانباً في الحياة الدّنيا، فالله تعالى يحرّم عليكم رحمة ولايراعي في حكمه لكم جانباً في الدّار الآخرة، فدعوناكم في الدّنيا فلم تستجيبوا لنا، وتدعوننا في الآخرة فلا

نستجيب لكم، وكما تكونون يولى عليكم.

وبهذا المعنى يتّصل قوله تعالى: «فالحكم لله العليّ الكبير» بأوّل الآية ويتفرّع عليه كأنّه قيل: فإذا قطعتم عن الله بالمرّة وكفرتم بكلّ مايريده وآمنتم بكلّ مايكرهه، فهو يقطع عنكم، ويحكم فيكم بما يحكم من غير أيّ رعاية لحاكم، اذ عُرِضَ عليكم الإيمان بإله واحد لاشريك له كفرتم به ولم تقبلوا هذا الإيمان، وإذ جُعِلَ مع الله شركآء قبلتم الإيمان على الصّورة الّتي تجعل مع الله إلهاً مع هذه الآلهة الّتي تعبدونها.

فقوله تعالى: «ذلكم ...» جواب لهم بإستحالة حصول مايرجونه ببيان مايوجبها من أعمالهم السّيّئة أي ذلكم الّذي أنتم فيه من العذاب مطلقاً لامقيّداًبالخلود«بأنّه» بسبب أنّ الشّأن «إذا دعي الله» في الدّنيا أي عبد وحده كفرتم بتوحيده وإن يشرك به تؤمنوا بالإشراك به وتسارعوا فيه. وفي إيثار كلمة«إذا» وصيغة الماضي «دُعِي» في الشّرطيّة الاولى، وكلمة «إن» وصيغة المضارع «يشرك به» في الثّانية دلالة على كمال سوء حالهم حيث كان حالهم كذلك.

وقوله تعالى: «فالحكم لله العليّ الكبير» خاصّة بحسب السّياق، وإن كانت عامّة في نفسها، فالحكم المسلّط على هؤلآء الكافرين المجادلين هوحكم الله العليّ الكبير الّذي لايشاركه أحد في علوّه ومقامه وسلطانه إطلاقاً فقد حكم عليكم الآن بما إستحقتموه حكمه العادل وهو العليّ عن كلّ شريك ، الكبير الّذي لايدانيه شئ.

فالجملة تعليل للمعنى المستفاد من المقام كأنّه قال: فذوقوا العذاب، وليس لكم سبيل إلى الخروج، فإنّ الحكم لله العليّ الكبير لاحكم لغيره في اليوم.

وفي الآية الكريمة تهديد ويتأكّد التّهديد باختتامها بالإسمين: العليّ الكبير.

۱۳ ـ (هوالّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّمآء رزقاً وما يتذكّر إلاّ من ينيب)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير طرف من دلآئل التّوحيد، وبراهين علمه وحكمته، وحجج تدبيره وقدرته، ومشاهد كبريآئه وعظمته ... بسبيل التّدليل على قدرته على تحقيق وعده وعيده بأسلوب قويّ رآئع وقد جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرّزق لأنّ بالآيات قوام الأديان، وبالرّزق قوام الأبدان، وكلاهما نازلان من السّمآء.

وقوله تعالى: «رزقاً» كناية عن المآء بإعتبار مايكون من أثر المطر في تيسير الرّزق وأنّ المطر سبب الرّزق، فهذا من إطلاق المسبّب على السّبب، وإفراده بالذّكر مع كونه من جملة الآيات الدّالة على كمال قدرته تعالى لتفرّده بعنوان كون من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر.

وقوله عزّوجلّ: «ومايتذكّر إلاّ من ينيب» تضمن تقرير كون الّذين يرغبون في الحق والإنابة إلى الله تعالى هم وحدهم الّذين يفهمون آياته ويشعرون بعظمة كونه، ويؤمنون به حينما يدعون ويذكرون مقابل قوله: «ما يجادل في آيات الله إلاّ الّذين كفروا» حيث ينطوي معنى محكماً يصحّ أن يزال على ضوئه إشكال مايرد مطلقاً.

وقوله جلّ وعلا: «يريكم ـ ينزّل ـ يتذكّر» صيغ المضارع في الأفعال الثّلاثة للدّلالة على تجدّد الإرادة والتّنزيل والتّذكّر وإستمرارها.

ففي الآية الكريمة لقآء مع النّاس كافّة، بهذا العرض الكاشف لقدرة الله جلّ وعلا وتفرّده بالخلق والأمر، بعد أن شهدوا صوراً من مشاهد القيامة، ومايلقى المؤمنون من رحمة ورضوان، ومايلقى الكافرون من ذلّة وخذلان ... فمن كان من المؤمنين الّذين اتّبعوا سبيل الله تعالى ازداد بهذا اللّقآء إيماناً وتمسّكاً بما هو فيه من طاعة وهدى ، ومن كان من أهل الكفر والجدال، فليطلب لنفسه النّجاة والسّلامة، وليعد إلى الله تعالى من قريب ... فهذه هي الفرصة الّتي يتمنّاها أهل النّار، ولايجدون سبيلاً إليها.

وقوله عزوجلّ: «هوالّذي يريكم آياته» إشارة إلى هذه الآيات الّتي كشفت عن أحوال النّاس، وبيّنت لهم ماهم فيه من إستقامة وإنحراف ومن صلابة وأعوجاج، فيعرف كلّ مايأخذو مايدع، ممّا هو خير له وأصلح لشأنه، مع انطوائه حجّة قاطعة تدلّ على وحدانيّة الله جلّ وعلا في الرّبوبيّة والالوهيّة، وذلك أنّه لو كان هناك إله تجب عبادته على الإنسان، وكانت عبادته كمالاً للإنسان وسعادة له كان من الواجب في تمام التّدبير وكمال العناية أن يهدي الإنسان إليه والّذي تدلّ الآيات الكونيّة على ربوبيّته وألوهيّته، ويؤيّد دلالتها الرّسل والأنبيآء عليهم السّلام بالدّعوة

والإتيان بـالآيات هو الله تعـالى، وأمّا آلهتهم الّذين يدعوهـم من دون الله فلا آية من قبـلهم تدلّ على شيئ، فـالله جلّ وعـلا هو الإله وحده والمعـبود الحقّ الّذي لاشريك له، وإلى هذه الحجّة يشير مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطـالب عليه السّلام بقوله: «لوكان لربّك شريك لأتتك رسله».

١٤ ـ (فادْعُوا الله مخلصين له الدّين ولَوْ كَرِهَ الكافرون)

دعوة للمؤمنين وحثّهم أن يمضوا في طريقهم الّذي استقاموا فيه على التّوحيد، وإخلاص العبودية له وحده دون أن يلتفتوا إلى موقف الكافرين وإلى كراهيتهم لهذا الطّريق أن يسلكه المؤمنـون، فلا تبـالـوا بهم، ودعـوهـم، يموتوا بـغيظهـم، ويهلكوا بحسرتهم، وييئسوا من تـراجعكم عن موقفـكم تجاه كفرهم وعنـادهم، تجاه ضلالهم ولجاجهم، وتجاه جدالهم وتقاليدهم ...

١٥ ـ (رفيعُ الدّرجات ذوالعرشِ يُلْقِي الرّوحُ مِن أمرهِ علىٰ مَن يشآء من عبٰاده ليُنذر يوم التّلاق)

كناية عن العظمة والجلال، والقـدرة والكمال، ثلاثة أخبار لقوله تعالى: «هو» مترتّبة على قـوله: «الّذي يريكم»: ١ـ «رفيع الدّرجات» خبر يدلّ على علوّ صمديّته جلّ وعـلا مـن حيـث المعقول. ٢ـ «ذوالعـرش» خبر يـدلّ على ذلك مـن حيث المحسوس، وكلاهما يدلاّن على تـفرّده في الألـوهيّة، فأنّ من ارتـفعـت درجات كما له بحيـث لايظهر دونها كمـال، وكان العـرش الّذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لايصحّ أن يشـرك بـه سبحانـه، وفي الخبرين إيذان بـعلوّ شأنه تـعـالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العـبادة به، وإخلاص الّديـن له بطريق الإستشـهاد بهما عـليهما، فإنّ إرتفاع معارج مـلائكته إلى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوي والسّفلي تحت مـلكوته وقبضـة قدرته ممّا يقضي بكون علوّ شأنه وعظم سلطانه في غاية لاغاية ورآئها.

٣ ـ «يلقي الرّوح من أمره ...» هذا خبر تمـهيد للنّبوّة بـعد تقرير التّوحـيد، وفيه دلالـة على أنّه كما أنّ الخلق وكمالـه محسوساً ومعقولاً بيـده كـذلك التّدبير في الخلق

بيده.

وقوله تعالى: «لينذر يوم التّلاق» تقرير لغرض إلقآء الرّوح أي الوحي الرّبّاني على رسله، وغاية بعثة أنبيآئه ومهمّة النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم في تنبيه النّاس وإنذارهم، وقد سمّى الوحي روحاً لأنّ النّاس يحيون به من موت الكفر والضّلالة، من موت الشّرك والجهاله، ومن موت النّفاق والجناية، وينشرون من مدافن الجهل والغفلة ... وذلك أحسن تشبيه وأصحّ تمثيل.

وقوله عزّوجلّ: «يوم التّلاق» كناية عن يوم القيامة وإجتماع النّاس.

١٦ ـ (يومَ هُمْ بارزون لايخفىٰ على الله منهم شيٌ لِمَنِ الملكُ اليوم لله الواحدالقّهار)

بيان ليوم التّلاق، وإشارة إلى ارتفاع كلّ سبب وحاجب يومئذٍ، ومعنى بروزهم لله سبحانه ظهور ذلك لهم، وارتفاع الأسباب الوهميّة الّتي كانت تجذبهم إلى نفسها، وتحجبهم عن ربّهم وتغفلهم عن إحاطة ملكه وتفرّدة في الحكم وتوحّده في الرّبوبيّة والالوهيّة، فتنكشف يومئذ سرائرهم، ويظهر مستورهم وخفاياهم ...

وقوله تعالى: «لايخفىٰ على الله منهم شيئ» مستأنف مسوق لتقرير قوله: «هم بارزون» وبيان بروزهم، وإزاحة لنحو ما كان يتوهّمه المتوهّمون في الدّنيا من الإستتار توهّماً باطلاً، فلايخفى على الله عزّوجلّ شيئ من أعيانهم وأقوالهم وأحوالهم الجليّة والخفيّة السّابقة واللاّحقة، فقلوبهم وأعمالهم بعين الله تعالى وظاهرهم وباطنهم وماذكروه ومانسوه مكشوفة غير مستورة.

وقد خصّهم بأنّه لايخفىٰ عليه منهم شيئ وإن كان لايخفىٰ عليه منهم شيئ وإن كان لايخفىٰ عليه لامنهم ولا من غيرهم لوجوه: **أحدها**ـ أن تكون «من» لتبيين الصّفة لا للتّخصيص والتبعيض. **ثانيها**ـ أن يكون بمعنىٰ يجازيهم من لايخفى عليه شيئ منهم فذكر بالتّخصيص لتخصيص الجزآء بمن يستحقّه دون مالا يستحقّه ولايصحّ له من المعلوم. **ثالثها**ـ لايخفىٰ على الله منهم شيئ، فلذلك يصحّ أنّه أنذرهم جميعاً وهذا وإن كان عامّاً في جميع الأحوال وشاملاً للدّنيا والآخرة إلاّ أنّه خصّص بالآخرة لأنّهم كانوا في

الدّنيا يظنون أن بعض أعمالهم تخفىٰ على الله عند الإستتار بالحجب كما قال: «ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيراً ممّا تعلمون» فصّلت: ٢٢) فهو نظير قوله تعالى: «مالك يوم الدّين» الفاتحة: ٤).

وقوله سبحانه: «لمن الملك اليوم» حكاية لِما يقع يومئذ من السّؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ماقبله من الجملة المنفية المستأنفة، أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم، كأنّه قيل: فماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال: الخ أي ينادي منادٍ: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل المحشر: «لله الواحدالقهّار» فهذا مايجاب به عمّا يسئل حالاً أو مقالاً، أو يكون السّؤال والجواب من ناحية الله تعالى تبيّن بهما حقيقة اليوم حيث يظهر سلطان الله تعالى عياناً لأهل المحشر مؤمنهم وكافرهم، ويظهر ملكه تعالى على الخلق على الإطلاق، فلا جواب غيره ولا يجيبه أحد، فيجيب نفسه لنفسه، فيقول: «لله الواحد القهّار» فالمنادي هو المجيب، ويكون في الإخبار بذلك مصالح لعباده.

وفي توصيفه تعالى بالواحدالقهّار تعليل لإنحصار الملك فيه لأنّه إذ قهر كلّ شئ ملكه وتسلّط عليه بسلب الإستقلال عنه وهو واحد فله الملك وحده فيتجلّى الله جلّ وعلا بهما في هذا الموقف، حيث يتصاغر كلّ سلطان، ويخفف كلّ صوت، ويذلّ كلّ جبّار، وفي الأسمآء الثّلاثة: «الملك ـ الواحد ـ القهّار» إنبآء عن غاية الجلال والعظمة.

١٧ ـ (اليوم تُجزىٰ كلّ نفس بما كَسَبَت لاظلمَ اليومَ إنّ الله سريع الحساب)

بيان لعدله تعالى في الحكم بين عباده يوم القيامة، مع أنّ الآية بمنزلة النّتيجة لما سبق، بأنّ الله تعالى لما قرّر أنّ الملك لله وحده في ذلك اليوم، أخذ بذكر نتيجة ذلك، وهي أنّ كلّ نفس تجزىٰ ... وهذه قضيّة رياضيّة عقليّة، ومن المسلّمات الأوّليّة، وليس للدّين والشّريعة إلّا إمضاؤها والعمل بموجبها. فالله جلّ وعلا مع تفرّده في هذا اليوم بالوحدانية المطلقة والسّلطان القاهر، فهو لايسلّط سلطانه وقهره وجبروته على أحد من خلقه وإن أشرك به وكفر به وعصاه ما أشرك وكفر وعصىٰ

... بل إنّ عدله تعالى ليقوم إلى جانب قهره وجبروته، فلا يظلم أحداً «لا ظلم اليوم» بل إنّ «كلّ نفس بما كسبت رهينة».

وقوله عزّوجلّ: «إنّ الله سريع الحساب» مستأنف بيانيّ جواباً عن سؤال مقدّر كأنّه قيل: إنّ النفوس البشرية من بدؤ خلقها إلى بعثها ونشورها غير متناهية، فكيف يمكن محاسبة الكلّ في يوم واحد، فقال تعالى: «إنّ الله سريع الحساب» إذ لايبطئ ولايحتاج إلى تفكّر ولا إلى عقد يد كما يفعله الحسّاب، لأنّه جلّ وعلا يحاسب الكلّ في وقت واحد إذ لا يشغله شأن عن شأن، ولا حساب عن حساب، ولا يعوقه حساب أحد عن أحد، حتّى يتصوّر أن يقع ظلم أو خطأ في حساب هذا الجمع العظيم من المحاسبين.

ولعلّ هذا هو السّرّ في ذكر هذا القيد الوارد على نفي الظّلم: «لا ظلم اليوم» حيث هذه الحشود الكثيرة الّتي تحاسب في هذا اليوم، فإنّه مع هذه الحشود من الأمم في هذا اليوم فإنّها تحاسب حساباً سريعاً بلامعوّق، إذ كان الله تعالى يعلم بعلمه كلّ شيْ، قبل الحساب، وأثناء الحساب، وبعد الحساب.

فالجملة تعليل لنفي الظّلم، ناظر إلى نفي الظّلم النّاشئ عن الخطأ، وأمّا الظّلم عن عمد وعلم، فانتفاؤه مفروغ عنه لأنّ الجزاء لمّا كان بنفس العمل فلا يتصوّر معه ظلم.

١٨ ـ (وأنْذِرْهم يومَ الآزفة إذِا لقلوبُ لَدَى الحناجِرِ كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع)

تقرير لبعض أوصاف القيامة الهائلة الشّديدة الّتي تعتري الكفّار والمعاندين والفجّار والظّالمين تصطكّ منها المسامع، وتشيب من هولها الولدان لهذا اليوم المهيب، على طريق الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بإنذار النّاس وتنديدهم بما أوحي إليه عن يوم التّلاق بأسلوب قويّ رائع آخر، يوم تختنق فيه الأنفاس وتضيق الصّدور، وتجفّ القلوب وتضطرب، حتّى لتبلغ القلوب الحناجر في خفقها واضطرابها. وقد تكرّر «اليوم» لتمكين ذلك اليوم في القلوب تهديداً منه وترغيباً إليه.

وقوله تعالى: «إذا لقلوب لدى الحناجر كاظمين» هذا كناية عن شدّة الخوف، وغاية الوجل إلى درجة أن تنخلع القلوب من أماكنها، وتزول عن مقرّها، حتّى تصل إلى الحلقوم وتبلغ الحناجر كما قال عزّوجلّ: «فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون» الواقعة: ٨٣- ٨٤) و«كاظمين» من الكظم كناية عن شدّة الإغتمام.

وقوله عزّ وجلّ: «ما للظّالمين من حميم» وضع الظّاهر موضع الضّمير تسجيلاً عليهم بالظّلم وتعليلاً للحكم، إذ فيه تعليق الحكم على الوصف مشعراً بعليّة الوصف في الحكم.

وقوله سبحانه: «ولا شفيع يطاع» تقبل شفاعته، لامفهوم للوصف، إذ لاشفيع لهم أصلاً: «فما لنا من شافعين» الشّعرآء: ١٠٠) أوله مفهوم بنآءً على زعمهم أنّ لهم شفعآء أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا: «فما تنفعهم شفاعة الشّافعين» المدثر: ٤٨) تنطوي الآية الكريمة إنذاراً وتنديداً بأسلوب آخر، وتستهدف إثارة الخوف والرّعب واليأس في قلوب الكفرة الفجرة، في قلوب الظّلمة الفسقة، وفي قلوب الخونة الطّاغية، وحملهم على الإرعوآء.

١٩ ـ (يعلم خآئنة الأعين وماتخفي الصّدور)

تعليل لما في الآية السّابقة من وعيد الظّالمين وإنذارهم بيوم الأزفة، وما فيه من أهوال ... على سبيل التّقرير لسعة علم الله تعالى وإحاطته بأعمال النّاس ونواياهم، فهو يعلم كلّ حركة من حركاتهم خفيها وظاهرها حتّى مايدق على المشاهدين ممّا تنطوي عليه لحظات العيون وتخفيه الصدّور من النّوايا المريبة ... فالّذي سيحاسبهم يومئذ هو الله الّذي يعلم مايبدون ومايكتمون، ويعلم بكلّ خطورة من خطورات قلوبهم، لاتخفى عليه منهم خافية، ولايردّ عنهم بأسه أحد، ولا تقبل فيهم عنده شفاعة من أحد.

في قوله تعالى: «يعلم خآئنة الأعين» إشارة إلى أنّه جلّ وعلا عالم بجميع أفعال الجوارح ... منها ماينطوي في نظرات الأعين من مقاصد يريد أصحابها إخفآئها. وهذه إستعارة والمراد بخائنة الأعين- والله أعلم-: الرّيب في كسر الجفون

ومرامزالعيون وقد سمّى تعالى ذلك خيانة لأنّه أمارة للرّيبة ومجانب للعفّة، ومن المحتمل أن تكون «خائنة الأعين» ههنا صفة لبعض الأعين بالمبالغة في الخيانة على المعنى الذي ذكرناه كما يقال: علاّمة ونسّابة ...

وفي قوله عزّوجلّ: «وما تخفي الصّدور» دلالة على أنّه تعالى عالم بجميع أفعال القلوب ... منها ماتسرّه النّفس وتستره من وجوه الكفر والنّفاق وخطورات المعاصي ... وفي الآية الكريمة دلالة على أنّه تعالى عالم لذاته.

٢٠ (والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لايقضون بشيءٍ إنّ الله هو السّميع البصير)

تهديد و وعيد للمشركين على مايقولون ومايفعلون، وتوبيخ لهم على عبادة من لاقضآء له ولا سمع ولابصر، وتعريض بحال مايدعون من دون الله من الأصنام والأوثان وما إليها من معبودات مصنوعة ...

وقوله تعالى: «والّذين يدعون من دون الله لايقضون بشيءٍ» هذا تهكّم بهم لأنّ الجماد ومالا يوصف بالقدرة لايقال فيه: إنّه يقضي أو لايقضي.

وقوله عزّوجلّ: «إنّ الله هو السّميع البصير» تقرير لعلمه تعالى بخآئنة الأعين وما تخفي الصّدور وقضآئه بالحقّ، وتعليل لحصر القضآء بالحقّ في يوم القضآء والفصل، فالله جلّ وعلا هو السّميع لكلّ شيءٍ، النّافذ بصره إلى كلّ شيءٍ، وهو بذلك يقضي بين النّاس بالحقّ وفق أعمالهم، أمّا الشّركآء الّذين يدعوهم المشركون مع الله سبحانه فليس لهم أيّ قدرة على شيءٍ، أو القضآء في أي شيءٍ أو النّفوذ إلى أيّ شيءٍ.

وقال بعض المعاصرين ـ في الآية الكريمة ـ : «هذه حجّة أخرى على توحّده بالأُلوهيّة أقامها بعد ذكر حديث إنحصار الملك فيه يوم القيامة، وعلمه بخآئنة الأعين وماتخفي الصّدور تمهيداً وتوطئة، ومحصّلها أنّ من اللازم الضّروري في الألوهيّة أن يقضي الاله في عباده وبينهم، والله سبحانه هو يقضي بين الخلق وفيهم يوم القيامة، والّذين يدعون من دونه لا يقضون بشيءٍ لأنّهم عباد مملوكون لايملكون شيئاً». وفيه تأمّل، فتأمّل جيّداً.

٢١ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)

تذكير وإنذار واستطراد وتحذير لمشركي العرب ممّا حلّ بمن قبلهم من الأمم الّتي كانت أقوى منهم وأعظم آثاراً كعاد وثمود ... فما شأن هؤلآء المشركين؟ وكيف يقفون هذا الموقف العناديّ الجدالي الّذي هم فيه مع النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ ألم يعلموا ما أخذالله جلّ وعلا به الظّالمين المستكبرين قبلهم؟ وألم يسيروا في الأرض وينظروا كيف كان عاقبة الطّاغين المتكبّرين؟ وكيف نزل بهم بلاء الله تعالى وقد كانوا أقوى قوّة من هؤلآء المشركين، وأكثر أثاثاً ورئياً وأعزّ سلطاناً ونفراً؟؟؟!!!

إستفهام إنكاريّ، سؤال منكر مندّد مذكّر عمّا إذا كان المشركون لم يسيروا في الأرض، ولم يروا من الآثار ماكان عاقبة الّذين من قبلهم، حيث أخذهم الله بذنوبهم أخذاً قوياً مدمراً ماتزال آثاره قائمة مشاهدة، ولم يكن لهم منه نصير ولا واق، وقد كانوا أشدّ منهم قوّة وتمكّناً وآثاراً في الأرض.

ولايخفى أنّ روح الآية الكريمة ومضمونها يلهمان أنّ مشركي العرب كانوا يشاهدون آثار الأمم الماضية المدمّرة، ويتداولون فيما بينهم أنّها دمّرت ببلآء ربّانيّ. مع مافيها موعظة وتنبيه وتحريض للمخاطبين في كلّ ظرف على النّظر في أحوال الأمم السّالفة، فإنّها تدعوهم إلى السّير في الأرض والنّظر بأعينهم في سنّة الله تعالى الّتي لا تتبدّل ولا تتحوّل ... فإنّهم سيرون أقواماً كانوا قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأكثر قصوراً وعمارة، وأكثر قلاعاً وأموالاً وأولاداً فأخذهم الله جلّ وعلا بذنوبهم وقلّب عليهم دورهم، فيعتبروا بها ويعلموا أنّ الله تعالى لا تعجزه قوّة الأقويآء ولا استكبار المستكبرين ولا مكر الماكرين.

٢١ ـ (ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنّه قويّ شديد العقاب)

بيان لسبب هذا البلآء المهلك الّذي أخذ الله تعالى به المكذّبين الظّالمين من

الأمم الماضية، فكان هلاكهم ودمارهم جزآءً دنيوياً لهم على كفرهم وطغيانهم، على بغيهم وعداونهم، وعلى ظلمهم وعصيانهم...

وقوله تعالى: «إنّه قويّ شديد العقاب» إشارة إلى أنّ قوّة هؤلآء الأقويآء هي ضعف وخذلان أمام قوّة الله الّتي لا تدفع، وأنّ عذابه شديد لايعدّ هذا العذاب الّذي يسوقه الظّالمون إلى ظالميهم شيئاً بالنّسبة إلى عذاب الله الّذي يسوقه إليهم.

٢٣ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)

تقرير قصّة من قصص الأمم السّالفة على سبيل التوكيد بقسم مقدّر، تسليةً للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وتطمينه، وبشارة للمؤمنين بأنّ مايلقونه هو ماكان يلقاه الرّسل والمؤمنون السّابقون الّذين أيّدهم الله تعالى ونصرهم وأهلك أعدآءهم ... وزيادة توبيخ وتذكير لمشركي العرب وإنذارهم وتخويفهم ومن انسلك مسالكهم... وهذه قصّة من قصص الظّالمين الّذين لونظر هؤلآء المشركون إلى الورآء قليلاً لرأوا صورتهم ممثّلة فيهم، فهم وفرعون الطّاغي على سوآءٍ في الغطرسة والكبر والعناد والشّرك واللّجاج ...

وقد أخذ بذكر قصّة موسى النّبيّ عليه السّلام وفرعون الطّاغي بأسلوب قويّ لما فيها من العجائب والمواعظ والفوآئد الكثيرة لكلّ من اعتبر بها، وأنّ القرآن الكريم يجمع كثيراً في قصصه بين المشركين من قريش، وبين فرعون الطّاغي لما بينهم وبينه من مشابه كثيرة من كبر وعصبيّة، وأنفة وجاهليّة مغرورة حمقآء.

٢٤ ـ (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب)

إنّما خصّ هؤلآء الثّلاثة الطّاغية: فرعون وهامان وقارون بالذّكر من بين الأمّتين، لأنّهم الرّؤسآء المكذّبون بموسى عليه السّلام والنّاس تبع لهم، فكانوا هم مدار التّدبير في عداوة موسى عليه السّلام وتكذيبهم، وكانوا اصولاً ينتهي إليهم كلّ فتنة وفساد وبغي وعناد فيهم، وكان فرعون جبّارالقبط ومليكهم، وكان هامان وزيره، وكان قارون من طغاة بني إسرائيل ذا الخزآئن المليئة، وصاحب الأموال والكنوز، فالأوّل تعالى وتربّب والثّاني شيطانه المقرّب، والثّالث أطغاه المال وأرداه، فكان

قارون من قوم موسى عليه السّلام إلاّ أنّه أضيف إلى فرعون إذ كان على شاكلته في الكفر والطّغيان، وفي الإستعلآء والعصيان ...

وانّهم لمّا عجز واعن مقارعة الحجّة بالحجّة تشبّثوا باستعمال البهتان والتّهمة كما هو دأب المحجوج المغلوب على أمره فحملوا المعجزات على السّحر، ونسبوا الكذب إلى موسى عليه السّلام : «فقالوا ساحر كذّاب» وهذا هو منطق فاقدي منطق في كلّ ظرف.

۲۵ ـ (فلمّا جآءهم بالحقّ من عندنا قالوااقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وماكيد الكافرين إلاّ في ضلال)

تقرير لظهور الحقّ عياناً لهؤلآء الطّغاة الثّلاث بحيث لا تنفع معه المكابرة، وبيان لإلتجآئهم إلى إستعمال القوّة ـ بعد التّكذيب والتّهمة ـ على ماهو دأب المحجوجين المغلوبين على أمرهم، أمروا بقتل الذّكور من بني إسرائيل وإبقآء الاناث منهم قبل دعوة موسى عليه السّلام فلمّا جآء وثار على فرعون ومن على شاكلته أكّدوا أمرهم السّابق.

وقوله تعالى: «وماكيد الكافرين إلاّ في ضلال» إشارة إلى مايكيد به الكافرون للمؤمنين ومايأخذونهم به من ألوان البلآء والعذاب، هو من الأباطيل الّتي لايجدها شيعة موسى عليه السّلام أثراً إلى جانب ما ملكوا من إيمان، هم معه في عزّة في الدّنيا وسعادة وفوز برضوان الله في الآخرة، وهذا مايشير إليه قوله عزّوجلّ على لسان السّحرة بعد أن دخل الإيمان في قلوبهم: «قالوا لن نؤثرك على ماجآئنا من البيّنات ـ والله خير وأبقى» طه: ۷۲ـ ۷۳).

ففي الآية الكريمة نوع مقايسة بين ماجآءهم به موسى عليه السّلام ودعاهم إليه، وبين ماقابلوه به من كيدهم، فقدجآءهم بالحقّ وكان من الواجب أن يؤمنوا به لأنّه حقّ وكان ماجآء به من عندالله عزّوجلّ، ولكنّهم لسخافتهم وإنحطاط أفكارهم قابلوه بالكيد والتّهمة وإستعمال القوّة لئلاّ يؤمن به أحد لكنّ الله جلّ وعلا أضلّ كيدهم فلم يصب المؤمنين معه. وفي قوله تعالى: «وماكيد الكافرين إلاّ في ضلال»

تهديد عام لكلّ من اتّصف بالكفر حيث إنّ تعليق الحكم على الوصف مشعر بعليّة الوصف للحكم كما أنّ وضع الظّاهر موضع الضّمير لتعميم الحكم والدّلالة على العلّة.

٢٦ - (وقال فرعون ذروني أقتلْ موسىٰ وليَدْعُ ربَّه إنّي أخافُ أن يُبَدِّلَ دينَكم أو أن يُظهِرَ في الأرض الفساد)

ومايظهر من السّياق أنّ فرعون قد استيقن أنّ موسىٰ عليه السّلام كان نبيّاً وليس بكذّاب، وأنّ ماجآء به آيات ربّانيّة، وماكان بسحر، ولكن كان في فرعون خب، وكان قتّالاً سفّاكاً للدّمآء في أهون شئ، فالغطرسة والكبر وحبّ التّسلّط والسّلطان والعتوّ والتجبّر كلّ أولئك قد جعله يؤثّر ماهو فيه من ضلال على هذا الحقّ الّذي يدعىٰ إليه، فكيف لايقتل من أحسّ بأنّه هو الّذي يهدم ملكه، ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك لأنّ قوله: «وليدع ربّه» شاهد صدق على فرط خوفه منه، ومن دعوته، ومن أنّ خطراً داهماً يتهدّده من جهته، خوف يملأ كيانه أكثر ممّا يشير إلى الإستخفاف وعدم المبالاة.

وكان قوله: «ذروني أقتل موسىٰ» تمويهاً على قومه، وإيهاماً أنّهم هم الّذين يكفّونه، فكان في خاصّة فرعون قوم يشيرون عليه بأن لايقتل موسىٰ عليه السّلام ويخوّفونه بأن يدعو ربّه فيهلك، وماكان يكفّه إلّا مافي نفسه من هول الفزع، وإشارة إلى أنّ شيئاً مايداخله يمسك به، وأنّ مشاعر خفية تلقاه بالتّخويف والتّحذير كلّماهمّ أن يبطش بموسى عليه السّلام ويخلص من هذا الخطر الّذي يتهدّده منه ومن سحره وكأنّ فرعون بقوله: «ذروني أقتل موسى» إنّما يتحدّث إلى هذه المشاعر الّتي تغلّي يده وتحوّل بينه وبين مايشتهي من الإنتقام من هذا العدوّ المخيف.

وقوله: «إنّي أخاف أن يبدّل دينكم ...» تعليل لما عزم عليه من القتل، وقد ذكر أنّه يخاف عليهم من جهة دينهم ودنياهم: أمّا الأولى- وهو عبادة الأصنام- فأن يبدّله، ويضع موضعه عبادة الله تعالى وحده، وأمّا الثّانية فكان يعظم أمره ويتقوّى جانبه ويكثر متبعوه فيتظاهروا بالتّمرّد والمخالفة، فيؤل الأمر إلى المشاجرة والقتال

وانسلاب الأمن، وفيه إشارة إلى مايشكف عن وجه من وجوه المخاوف الّتي تعيش مع فرعون من جهة موسى عليه السّلام ولهذا فإنّه يريد أن يتحمل هذه المخاطرة، ويقدم على قتل موسى عليه السّلام كان الثّمن الّذي يقدمه من أجل هذا.

٢٧ ـ (وقال موسىٰ إنّي عُذتُ بِرَبّي وربّكم من كلّ متكبّرٍ لايؤمن بيوم الحساب)

حكاية عمّا ذكره موسىٰ عليه السّلام في دفع شرّ فرعون وهو الإستعاذة بالله جلّ وعلا، وقد بدأ موسىٰ عليه السّلام كلامه مصدّراً بالتّأكيد: «إنّ» إشعاراً على أنّ السّبب المؤكّد والطّريق المعتبر في دفع الآفات والشّرورهما الإستغاثة والإستعاذة بربّ السّموات والأرض، وقد خصّ إسم الرّبّ لأنّ المطلوب هو الحفظ والتربية، وإضافته إليه: «ربّي» وإليهم «ربّكم» حثّاً لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح من إستجلاب الإجابة، ولم يسمّ فرعون وذكر وصفاً يعمّه وغيره لتعميم الإستعاذة ورعاية الحق، والدّلالة على الحاصل له على القول.

هذا مايلق به موسىٰ عليه السّلام تهديد فرعون له بالقتل، إنّه يلوذ بحمىٰ ربّه من طغيان هذا الطّاغي، فالله جلّ وعلا هو القادر على أن يردّ بأس هذا الجبّار المتكبّر الّذي لايؤمن بالله تعالى ولايخشىٰ حسابه وعقابه ...

وفي قوله: «بربّي» إشارة إلى أنّ الّذي ربّاني وإلى درجات الخير رقاني سيعصمني من شرّ هذا المارد الجاني، وفي قوله: و«ربّكم» إحتراز عن أن يظن ظانّ أنّه يريد به فرعون لأنّه ربّاه في صغره: «ألم نربّك فينا وليداً» الشّعرآء: ١٨) وفيه بعث لقوم موسى عليه السّلام أن يقتدوا به في الإستعادة والتّوجّه إلى الله جلّ وعلا بالأرواح، فإنّ الأرواح الطّاهرة إذا تظاهرت كان ذلك أدنى إلى الإجابة وأقرب إلى تحقق الغرض، فإنّ اجتماع النّفوس له تأثيرقويّ. ومن المحتمل أن يكون الخطاب «ربّكم» للمؤمنين الّذين يتهدّدهم فرعون كما يتهدّده فهو بهذا يدعوهم إلى أن يعوذوا بالله تعالى من هذا المتكبّر العاتي، وأن يسلموا أمرهم إليه، وأن يصبروا على مايقولون من أذى وضرّ وهذا مايشير إليه قوله تعالى: «وقال موسىٰ لقومه استعينوا بالله واصبروا» الأعراف: ١٢٨).

وفي قوله: «من كلّ متكبّر» أي متكبّر عن قبول الحقّ على سبيل العموم فائدتان: **إحداهما**- شمول الدّعآء فيدخل فيه فرعون بالتّبعية، وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالا يخفى. **والثّانية:** أنّ فرعون ربّاه صغيراً فلعلّه راعى حسن الأدب في عدم تعيينه، ولم يقل: «منه» أو «منك» بدلاً من «من كلّ متكبّر» سلوكاً لطريق التّعريض، وتحاشياً ممّا قد يعرض له من الأذى إذا هو سمع كلامه فهو وافٍ بالغرض، ومبيّن للعلّة الّتي لأجلها أبىٰ واستكبر.

وأمّا وصف المتكبّر بقوله: «لايؤمن بيوم الحساب» فلأنّ الموجب لإيذآء النّاس أمران: **أحدهما**- قسوة القلب. **ثانيها**- عدم اعتقاد بالجزاء والحساب، ولا ريب أنّه إذا اجتمع الأمر ان كان الخطب أفظع لإجتماع المقتضي وارتفاع المانع. وقد خصّ الإستعاذة بمن جمع بين الإستكبار والتّكذيب بالجزآء لأنّهما عنوان قلّة المبالاة بالعواقب، وعنوان الجرأة على الله تعالى وعلى عباده.

وقال بعض المعاصرين: قوله تعالى: «وقال موسىٰ إنّى عذت ...» مقابلة منه عليه السّلام لتهديد فرعون إيّاه بالقتل، واستعاذة منه بربّه، وقوله: «عذت بربّي وربّكم» فيه مقابلة منه أيضاً لفرعون في قوله: «وليدع ربّه» حيث خصّ ربوبيّته تعالى بموسىٰ، فأشار موسىٰ بقوله: «عذت بربّي وربّكم» إلى أنّه تعالى ربّهم كما هو ربّه، نافذ حكمه فيهم كما هو نافذ فيه، فله أن يقي عائذه من شرّهم وقدوقىٰ. ومن هنا يظهر أن الخطاب في قوله: «وربّكم» لفرعون ومن معه دون قومه من بني إسرائيل».

٢٨ ـ (وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعَوْن يكتمُ إيمانَه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاء كم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم إنّ الله لايهدي من هومُسرف كذّاب)

هذا شروع من دفاع المؤمن عن موسىٰ عليه السّلام، ولايخفىٰ على الأديب الأريب أنّ في علم البيان باباً يسمّى باب الخداع والإستدراج، يناسب مايذكره فيه علمآء البيان قول الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق! ومن ذلك قول الله عزّوجلّ حكاية عن مؤمن آل

فرعون: «وقالَ رجل مؤمن ...» فإنّه أخذ معهم في الإحتجاج بطريق التّقسيم، فقال: هذا الرّجلَ إمّا أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتعدّاه، وإمّا أن يكون صادقاً فيصيبكم بعض مايعدكم به، ولم يقل: «كلّ مايعدكم به» مخادعة لهم وتلطّفاً وإستمالة لقلوبهم كي لاينفروا منه لو أغلظ في القول، وأظهرلهم أنّه يهضمه بعض حقّه، وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصّدق كأنّه رشاهم ذلك وجعله رشوة لهم ليطمئنّوا إلى نصحه.

قوله: «أتقتلون رجلاً ...» إنكار عظيم منه لعزمهم على قتله عليه السّلام كأنّه قيل: أترتكبون الفعلة الشّعنآء الّتي هي قتل نفس محترمة؟! ومالكم علة في إرتكابها إلّا كلمة الحقّ وهي قوله: «ربّي الله» وهو «ربّكم» أيضاً لاربّه وحده؟ أكلمة الحقّ ذنب لايغفر؟ هل جزاء كلمة الحقّ هو القتل؟ أهذه هي علّة للقتل؟ وحال أنّه «جآءكم بالبيّنات من ربّكم» فهو لم يحضر لتصحيح قوله ببيّنة واحدة بل جآء بالبيّنات من عند من نسب إليه الرّبوبيّة، وهذا هو إستدراج لهم إلى الإعتراف به.

وقوله: «ربّي الله» وحده وهو في الدّلالة على الحصر مثل صديقي زيد، ثمّ أضافه إليهم: «من ربّكم» بعد ذكر «البيّنات» إحتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الإعتراف به، ثمّ أخذهم بالإحتجاج من باب الإحتياط تلطّفاً منه لاشاكّاً في صدقه كقوله: «وإنّا أو إيّاكم لعلىٰ هدى أو في ضلالٍ مبين» سبأ: ٢٤) فقال: «وإن يك كاذباً» هذا إحتجاج عليهم بطريق التّقسيم بأنّه لايخلو من أنّ موسىٰ عليه السّلام إمّا أن يكون كاذباً أو صادقاً، فإن يك كاذباً فعليه وبال كذبه ولايتخطّاه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم من العذاب.

وقوله: «وإن يك صادقاً ...» تحذيرلهم، وإظهار للإنصاف وعدم التّعصّب، ولذلك قدّم كونه «كاذباً» وتنزّل في المخاصمة بالإكتفآء على أيسر التّقادير وأقلّها كأنّه قال: وإن يك صادقاً يصبكم ماوعدكم من أنواع العذاب ولا أقلّ من إصابة بعض مايعدكم مع أنّ لازم صدقه إصابة جميع ماوعد وقوله: «إنّ الله لايهدي ...» تعليل للتّقدير الثّاني فقط. والمعنى: إن يك كاذباً كفاه كذبه، وإن يك صادقاً

يصبكم بعض الّذي يعدكم لأنكم حينئذ مسرفون متعدّون طوركم كذّابون في نفي ربوبيّة ربّكم، واتخاذ أرباب من دونه، والله لايهدي من هو مسرف كذّاب، وأمّا على تقدير كذبه فلا ربوبيّة لمن اتّخذه ربّاً حتّى يهديه أو لايهديه ومن هنا يظهر أنّه ماذكره بعضهم من كون الجملة تعليلاً للتقدير جميعاً متعلّقة بكلتا الجملتين غير وجيه.

وقوله تعالى: «إنّ الله لايهدي من هو مسرف كذّاب» تعريض بفرعون بأنّه مسرف في القتل والفساد، وكذّاب في ادّعاء الرّبوبيّة، لايهديه الله إلى سبيل الرّشاد ولاطريق الصّواب، ولايلهمه صراط الخير والهدى والفلاح. ومن المحتمل أن تكون الجملة إحتجاجاً ثالثاً ذاوجهين: **أحدهما**ـ أنّه لوكان مسرفاً كذّاباً لما هداه الله إلى البيّنات، ولا عَضَدَه بتلك المعجزات ... **ثانيهما**ـ أنّ من خذله الله وأهلكه فلاحاجة لكم إلى قتله، ولعلّه أراد به المعنى الأوّل، وخيّل إليهم الثّاني لتلين شكيمتهم. وفي الجملة المؤكّدة من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى على القارئ الأديب الأريب.

إن تسئل: كيف قال المؤمن في حقّ موسىٰ عليه السّلام: «وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم» مع أنّه نبيّ صادق عندالمؤمن، وفي نفس الأمر أيضاً فلابدّ لمن يعدهم أن يصيبهم كلّه لابعضه؟

تجيب عنه: لوجوه: **أحدها**ـ أنّ لفظة «بعض» صلة. **ثانيها**ـ أنّها بمعنى «كلّ» كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليه السّلام لأمّته: «ولأبيّن لكم بعض الّذي تختلفون فيه» الزّخرف: ٦٣) فانّ البعض فيه بمعنى «كلّ» فاستعمل البعض في موضع الكلّ تلطّفاً في الخطاب وتوسّعاً في الكلام. **ثالثها**ـ أنّها على أصلها لوجهين: **الأوّل**: أنّه وعدهم النّجاة إن آمنوا والهلاك إن كفروا. فذكر لفظة «بعض» لأنّهم على إحدى الحالتين لامحالة. **والثّاني**: أنّه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدّنيا، والعذاب في الآخرة وكان هلاكهم في الدّنيا بعضاً، فراده يصيبكم في الدّنيا بعض الّذي يعدكم. وإنّ الهلاك في الدّنيا عقوبة مستعجلة ولا طاقة لكم عليها، فكيف لكم بعذاب الآخرة «ولعذاب الآخرة أكبر لوكانوايعلمون» القلم: ٣٣).

رابعهاـ أنّه ذكر البعض بطريق التّنزّل والتّلطّف وإمحاض النّصيحة من دون

مبالغة ولا تأكيد ليسمعوا منه ولايتهموه فيردوا عليه وينسبوه إلى ميل ومحاباة بموسى عليه السّلام كأنّه قال: أقلّ مايصيبكم البعض وفيه كفاية. وهذا على سبيلُ المظاهرة بالحجاج أي انّه يكفي بعضه فكيف جميعه.

٢٩ ـ (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جآءنا قال فرعون ما أريكم إلّا ماأرىٰ وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد)

تذكير من المؤمن لقومه على نعمة الله تعالى عليهم، وحثّهم على الشّكرالله تعالى عليها بالإيمان، وتخويفهم زوالها وتحذير لهم بالعذاب والنّقم لكفرانهم بها، بأنّكم اليوم في قوّة ومناعة، ولكم الحكم والطّاعة، ولكن هل تأمنون على أنفسكم من غضب الله وضرباته، ومن تقلّب الدّهر ونكباته ...

وقوله: «فمن ينصرنا من عذاب الله إن جآئنا» إستفهام إنكاريّ وتطييب وإيذان بأنّه ناصح لهم، ساع في تحصيل مايجديهم ودفع مايرديهم سعيه في حقّ نفسه ليتأثروا بنصحه، وقد أدخل نفسه فيهم على تقدير مجيئ البأس ليكون أبلغ في النّصح وأوقع في قلوبهم، وأقرب إلى قبول وعظه، فانّه يريد لهم من العافية مايريده لنفسه.

وقوله تعالى: «وقال فرعون ما أريكم ...» هذا ردّ من فرعون الطّاغي على قول المؤمن النّاصح تمويهاً منه وتجلّداً، فإنّه كان مستشعراً للخوف الشّديد من جهة موسى عليه السلام ولكنّه كان يتجلّد.

٣٠ ـ (وقال الذي آمن ياقوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)

إعادة المؤمن نصحه لقومه بأسلوب قويّ آخر، تذكيراً لهم مانزل بمن قبلهم من بأس الله تعالى وسنّته في المكذّبين للرّسل، لعلّهم يرعوون عن غيّهم ويثوبون إلى رشدهم، وقد كرّر النّدآء إيقاظاً لهم عن سنّة الغفلة، وإعتناءً بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على مايقابلون به نصحه.

وقد خاطب مؤمن آل فرعون لقومه في المرحلة الأولى من خطاباته لهم سبعة عشر خطاباً في سبع آيات: ٢٨ـ ٣٤): «أتقتلون ـ جآءكم ـ ربّكم ـ يصبكم ـ يعدكم ـ ياقوم ـ لكم ـ ياقوم ـ عليكم ـ ياقوم ـ عليكم ـ تولّون ـ لكم ـ جآءكم ـ زلتم ـ جآءكم ـ قلتم»

ثلاثة منها بالنّدآء تلطّفاً، وثنتان منها بفعل المضارع، وثنتان منها بفعل الماضي، وعشرة منها بضمير الخطاب. فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل. وجآء في النّدآء مع الواو في الموضعين: (٣٢و٤١) لقطع الخطاب، وبغيرها في الباقي لإتّصال الخطاب.

٣١ - (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد)

تقرير لما قبله من تخويفهم ماوقع على الأمم السّالفة من الهلاك والدّمار والعذاب في الحياة الدّنيا، وبيان مثل سنّة الله جلّ وعلافيهم حين استأصلهم وأهلكهم جزآءً بما كانوا عليه من الكفر وإيذآء الرّسل ...

قوله: «مثل دأب قوم نوح» هذا من تتابع الإضافات الّتي وقعت في أفصح الكلمات إذا أضيف «مثل» إلى «دأب» أضيف إلى «قوم» أضيف إلى «نوح».

وقوله: «وماالله يريد ظلماً للعباد» إخبار من لسان مؤمن آل فرعون لقومه بعدل الله تعالى بين العباد، وتنزيهه عن الظّلم والجور بأحد منهم، فإنّه جلّ وعلا لايريد ظلماً ولايوثره لهم فضلاً عنه، فلايعا قبهم بغير ذنب، ولايخلي الظّالم منهم بغير إنتقام، ولذلك جرى على سنّة إرسال رسله لإنذارهم ودعوتهم، فتدميرهم كان قسطاً وعدلاً منه تعالى إذا استحقّوه بكفرهم وطغيانهم، ببغيهم وعدوانهم، وبظلمهم وعصيانهم ...

فقوله: «وما الله يريد ظلماً للعباد» أبلغ من قوله: «وما ربّك بظلاّم للعبيد» فصّلت: ٤٦) لأنّ نفي الإرادة آكد من نفي الفعل، ولتنكير الظّلم في سياق النفي.

٣٢ - (ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التّناد)

زيادة في الوعظ والتّخويف والتّحذير لهم من عذاب آخر أشدّ وأنكى من عذاب الدّنيا الّذي سبق ذكره آنفاً ينتظر هؤلآء المكذّبين، وهوعذاب الآخرة، وقد أفصح عن إيمانه إمّا مستسلماً موطناً نفسه على القتل أو واثقاً بأنّهم لايقصدونه بسوء، وقد وقاه الله شرّهم بقوله الحقّ: «فوقاه الله سيّئات مامكروا»: ٤٥).

٣٣ - (يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد)

تذكير لهم بأهوال يوم القيامة وسوء أحوالهم، يوم لاعاصم لهم من عذاب الله

تعالى بأنّهم يلقون جهنّم فيرتدون على أعقابهم هلعاً وفزعاً من دون عاصم لهم من أمر الله جلّ وعلا.

إن تسئل: إنّ التّولّي والإدبار بمعنى واحد فما معنى قوله تعالى: «يوم تولّى مدبرين»؟.

تجيب عنه: هو تأكيد كقوله تعالى: «فخرّ عليهم السّقف من فوقهم» النّحل: ٢٦) ونظآئره كثيرة الثّاني: أنّه استثارة لحميتهم واستجلاب لأنفتهم لما في لفظ «مدبرين» من التّعريض بذكر الدّبر، فيصير نظير قوله تعالى: «ويولّون الدّبر» القمر: ٤٥).

وقوله: «مالكم من الله من عاصم» تأكيد للتّهديد.

وقوله: «ومن يضلل الله فماله من هاد» تعقيب على كلام مؤمن آل فرعون وتصديق لما يقول، نطق بذلك الحقّ لسان الوجود كلّه، وفيه تنبيه إلى شدّة ضلالتهم وعظيم جهالتهم، وإيمآء إلى أنّه يئس من قبولهم نصحه، وإنّ الجملة بمنزلة التّعليل لما قبلها أي انكم تفرّون يومئذ مدبرين، ليس لكم عاصم يعصمكم من عذاب الله تعالى فتلقون جهنّم، ولوكان لكم عاصم لكان من جانب الله تعالى وليس، وذلك لأنّ الله جلّ وعلا أضلّكم بسبب كفركم وطغيانكم، ومن يضلل الله فماله من هاد.

٣٤ - (ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شكّ ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرفٌ مرتاب)

استشهاد لكفرهم وطغيانهم، ولبغيهم وعداونهم بما عاملوا به يوسف عليه السّلام في رسالته إليهم من قبل، حيث شكّوا في رسالته مادام حيّاً بينهم، ثمّ إذا مات قالوا: لانبيّ بعده، وتوبيخ لهم بأنّهم ورثوا التّكذيب بالرّسل من آبآئهم الأوّلين وأسلافهم الغابرين، فالتّكذيب متوارث، والعناد قديم، والرّيب دأب آبآئهم الهالكين، وقد نسب تكذيب الآبآء إليهم لما تقدّم من أنّ الأمم متكافلة فيما بينها، فينسب ماحدث من بعضها إلى جميعها إذا تواطئوا واتّفقوا عليه كما جآء في قصص ثمود حين كذّب قدار فعقر النّاقة، فنسب التّكذيب إلى ثمود جميعهم.

وقوله: «فمازلتم في شكّ ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك» إشارة إلى أنّ تكذيبهم بموسىٰ عليه السّلام مضموم إلى تكذيب يوسف عليه السّلام.

وقوله: «قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً» قد قالوا هذه المقالة على سبيل التّشهّي والتّمنّي من دون حجّة ولابرهان ليكون لهم أساس في تكذيب من بعده، وليس هذا إقراراً منهم برسالته، بل هو ضمّ إلى الشّكّ في رسالته التّكذيب برسالة من بعده.

وقوله: «كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب» تأكيد وبمنزلة تعليل لما قبله أي مثل إضلالكم يضلّ الله ... والله جلّ وعلا إنّما يضلّ البغاة المرتابين، فلاعجب من تكذيبهم، فقد طمس الله بصآئرهم وران على قلوبهم لأنّهم دسّوا أنفسهم بقبيح الخصال وعظيم الآثام ... وفيه من تعليق الحكم على الوصف مالايخفى على الأديب الأريب فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٣٥ ـ (الّذين يجادلون في آياتِ الله بغير سلطانٍ أتاهم كَبُرَ مقتاً عندالله وعندالّذين آمنوا كذلك يَطْبَعُ الله علىٰ كلّ قلبِ متكبّرٍ جبّار)

بيان لأظهر أوصاف المسرفين المرتابين في الحقّ، وذلك أنّ من تعدّى طوره بالإعراض عن الحقّ واتباع الهوى، واستقرّ في نفسه الإرتياب، فكان لايستقرّ على علم ولايطمئنّ إلى حجة تهديه إلى الحقّ، جادل في آيات الله تعالى من دون برهان إذا خالفت مقتضى هواه، وهذا هو تعقيب على موقف بين المؤمن وقومه، وهو الحكم على ضلالة فرعون وملائه، وعدم خروجهم عمّاهم فيه من عمى، وإسراف وإرتياب، فتركهم الله تعالى في ظلمات يعمهون، ومن علائمها أنّهم يجادلون في آيات الله تعالى من دون سلطان، وكلّ مامعهم هو باطل وضلال يلقون به آيات الله جلّ وعلا.

وقوله: «كبر مقتاً عندالله ...» بيان لعظم تبعات الجدال وآثاره في أنفسهم، وعندالله تعالى وعندالمؤمنين، وتعجّب من حالهم، وإنّ مقت الله تعالى إيّاهم يكون بما يستتبعه من سوء العذاب، ومقت المؤمنين تظهر آثاره في هجرهم إيّاهم والإحتراس من التّعامل معهم، وعدم الرّكون إليهم في الدّين والدّنيا.

وقوله: «وعند الّذين آمنوا» إشارة إلى أنّ شهادة المؤمنين عندالله تعالى بمكان حتّى قرنها إلى شهادة نفسه، والمقصود التّعجّب والإستعظام لجدالهم، وخروجه عن حدّ أشكاله من الكبآئر...

وقوله: «كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار» أي بمثل هذا الطّبع على قلب المتكبّرين والجّبارين ـرأسهم فرعون وقومهـ يطبع الله تعالى على قلب كلّ من اتّصف بالتّكبّر والتّجبّر من أهل الكفر والطّغيان في كلّ ظرف، الّذين يلقون محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بالشّكّ والإرتياب والتّكذيب!

وقد وصف القلب بالتّكبّر والتّجبّر لأنّه مركزهما ومنبعهما ومحلّ نشوئهما، او بإعتبار صاحبه فتجعل الصّفة لصاحب القلب فكنّىٰ بالقلب عن الجملة لأنّ القلب هوالّذي يتكبّر ويتجبّر، وسآئر الأعضآء تبع له، فالله عزّ وجلّ لايسعد ولايوفق البغاة المرتابين الذين يجادلون في آيات الله بالباطل، ففيه بيان لسنّة الله تعالى فيهم، وفي أمثالهم ممّن اتصف بالتكبّر والتجبّر في كل ظرف.

إن تسئل: كيف يصحّ أن يطبع الله تعالى ويختم على قلب كلّ متكبّر جبّار ثمّ يطلب منه الطّاعة، وذلك أشبه بتكليف الأعمى بالقرآءة، وهي في حقّه متعددة أو كما قال القائل:

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له إيّـــاك أن تـــبتل في المآء

نجيب عنه: إنّ المراد بالطّبع العلامة، وذلك أنّ الكافر إذا إنتهى في كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنّه لايؤمن معها، فإنّه عزّوجلّ يعلّم على قلبه علامة وهي نكتة سودآء تشاهدها ملائكة الحساب. ونظير الآية كثير في القرآن الكريم وأنّ التّعبير بالطّبع على القلوب تعبير كنائي، تشبيهاً لتلكم القلوب القاسية الجافّة بصورة صلدة مظلمة جامدة، فلاتصل إليها حقيقة هدى، ولاينفذ فيها بصيص نور كأنّ بينها وبين ذلك ضخامة حجاب، فالمراد بالطّبع على القلوب نفس تلك الحالة الجافّة الجافية الّتي تعرض نفوس كلّ متكبّر جبّار يصرّون على منابذة طرق الهدى والصّلاح، وصمدوا على العتوّ و

الإستكبار.. انّها حالة قسوة هم عملوا في تكوينها وتربيتها في نفوسهم العاتية ممّا خطيئاتهم اغرقوا.

إن تسئل: لماذا قال: «على كلّ قلب متكبّر» ولم يقل: «على قلب كلّ متكبّر»؟

تجيب عنه: إنّ المراد من قوله: «كلّ قلب» جملة القلب كالختم عليه، بأن يعمّ الختم والطّبع جميع القلب، ولوقال: «على قلب كلّ متكبّر» لم يعط هذا المعنى.

وهكذا ينفضّ المجلس، دون أن ينتهي القوم إلى رأي في موسى عليه السّلام بعد أن لبستهم حال من البلبلة والاضطراب، من هذا التّدبير الّذي طلع عليهم به من أنفسهم وهو المؤمن الّذي يكتم إيمانه إلى الآن.

٣٦ ـ (وقال فرعونُ ياهامانُ ابنِ لي صرحاً لعلّي أبلغَ الأسباب)

تقرير لما بلغ فرعون من العتوّ والتّمرّد، من الإستعلاء والإستكبار، ومن الطّغيان والإفترآء في تكذيب موسىٰ عليه السّلام وتمويه قومه، وتحميق رعيته أنّ أمر وزيره هامان أن يبني له بنآءً يتوصّل به إلى الإطّلاع إلى إلـه موسىٰ عليه السّلام والأمر ـ كما ترى ـ هزل ليس فيه شيءٌ من الجدّ، وإنّما هو تكأة يتكي بها فرعون على كرسيّ سلطانه الّذي يكاد يسقط من فوقه!

إذ كيف يبني هامان صرحاً يرتفع به إلى السّمآء؟ وفي كم من الزّمن يتمّ هذا البنآء إن كان ذلك الأمر مستطاعاً وكان محمولاً على محمل الجدّ؟ وهل ينتظر فرعون بموسى عليه السّلام هذا الزّمن المتطاول حتّى يتمّ بنآء الصّرح، ويصل به إلى أبواب السّمآء ثمّ يطرقها، ويبحث عن إله موسى عليه السّلام هناك ؟ إنّها مما حكات وتعلاّت يتعلّل به فرعون ليخلص من هذا المأزق الّذي أوقع فيه نفسه بإعلان رأيه في قتل موسى عليه السّلام والخلاص منه.

وما أظنّ أنّ هامان بنىٰ ها الصّرح وإن تلقّى أمر فرعون في حينه بالإمتثال والطّاعة، ولعلّ فرعون أصدر هذا الأمر أثنآء محاجّة المؤمن وبعد الإنصراف عن قتل موسى عليه السّلام ولذلك وقع ذكره بين مواعظ المؤمن وإحتجاجاته ... ولايخفى أنّ إسناد البنآء إلى هامان من المجاز العقلي الجاري في الإنشآء وأنّ الخطاب وإن كان لهامان والنّدآء إليه ولكنّ البنآء فعل العملة، وهامان سبب آمر، وأنّ فرعون لعلوه لايباشر العملة.

وقوله تعالى: حكاية عن فرعون الطّاغي «لعلّي أبلغ الأسباب» في معنى التّعليل لأمره ببنآء الصّرح، والمعنىٰ: آمرك ببنآئه لأنّي أرجو أن أبلغ بالصّعود عليه الأسباب ...

٣٧ ـ (أسبابَ السَّمٰوٰاتِ فأطّلِعَ إلىٰ إلٰهِ موُسىٰ وإنّي لأظنّه كاذباً وكذلك زُيّنَ لفرعونَ سوءُ عملِهِ وصَدّ عن السّبيلِ وما كَيْدُ فرعونَ إلّا في تباب)

بدل من «الأسباب» وفي إبهامها ثمّ إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق إلى معرفتها وفآئدة التّكرير أنّه لما أراد تفخيم ما أمّل بلوغه من أسباب السّموات أبهمها ثمّ أوضحها، لأنّ الشّئ إذا أبهم ثمّ أوضح كان تفخيماً لشأنه، ففآئدة بناء الكلام على الابدال هي فآئدة الإجمال ثمّ التّفصيل، وفآئدة الإبهام ثمّ التّوضيح من تشويق السّامع وغيره.

وقوله: «فأطّلع إلىٰ إله موسىٰ» تقرير لمراده من الأمر بالبنآء وبلوغ الأسباب، مع مافيه من الإستهزآء والتّهكّم، وتكذيب دعوىٰ رسالة موسىٰ عليه السّلام ـ ضمنياً ـ من ربّ السّموات والأرض.

وقوله: «وإنّي لأظنّه كاذباً» تمويح وتلبيس لقومه وتسفيه وتحميق لرعيّته ... توصّلاً بذلك إلى بقآءهم على الكفر واتباعه، وهو يعلم أنّ له إلهاً. أي وإنّي لأظنّ موسى كاذباً في إدعآئه إلهاً غيري أرسله إلينا، وإنّما أفعل ما أفعل لإزاحة العلّة.

وقوله تعالى: «وكذلك زيّن ...» بيان للسّبب الّذي دعا فرعون إلى ماصنع أي ومثل ذلك التّزيين، وذلك الصّدّ زُيّنَ لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل، فانهمك

في غيّه وأصرّ على طغيانه.

وقوله عزّوجلّ: «وما كيد فرعون إلاّ في تباب» بيان لتبعات مكره وتدليسه وتمويه إنتهى إليها أمره من فساد وضياع وتباه ...

٣٨ ـ (وقالَ الّذي آمَنَ يٰاقومِ اتّبعونِ أهدِكم سبيلَ الرَّشٰادِ)

أعاد المؤمن كلامه مرتبة ثانية إلى دعوة قومه والإقتداء به في الدّين، إذ خرج من حال التّقيّة إلى إظهار الإيمان، فكشف عن حاله وأعلن ماكان يخفيه من إيمانه، وخرج عن سلطان فرعون وانطلق يلقي النّاس مواجهة بالدّين الّذين دان به، ويحاجّهم بمنطق الحقّ الّذي إستقام عليه، يلقاه النّاس في كلّ مجتمع وناد ...

وقوله: «أهدكم سبيل الرّشاد» أي سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود والصّواب والظّفر بالسّعادة، وفيه تعريض بأنّ مايدعوكم إليه فرعون ومايسلكه قومه هو سبيل الغيّ والفساد كما صرّح بعد ذلك في قوله: «وياقوم مالي أدعوكم إلى النّجاة وتدعونني إلى النّار»: ٤١).

وقد خاطب المؤمن لقومه في هذه المرتبة الثّانية من خطاباته لهم اثنتي‌عشر خطاباً في سبع آيات أيضاً: ٣٨ـ ٤٤): «يا قوم ـاتّبعون ـ أهدكم ـياقوم ـياقوم ـأدعوكم ـتدعونني ـتدعونني ـأدعوكم ـتدعونني ـفستذكرون ـلكم» ثلاثة منها بالنّدآء تلطّفاً كالسّابق، وأربعة منها بفعل المضارع، و واحدة منها بفعل الأمر، وأربعة منها بضمير الخطاب. فمجموع خطابات المؤمن لقومه (٢٩) مرّة في المرتبتين في أربع عشرة آية فتأمّل جيّداً.

٣٩ ـ (يا قَوْمِ إنّما هٰذِهِ الحيٰاة الدّنيٰا متٰاعٌ وإنّ الآخرة هي دارُ القرار)

تقرير لسلوك طريق الرّشاد والكمال على سبيل التّلطف وبيان الحقّ و هو الإعتقاد بأنّ لِلإنسان حياة خالدة مؤبّدة وهي كمال الإنسان الّذي خُلِقَ لها وهي الدّار الآخرة، وأنّ هذه الحياة الدّنيا خلقت للإنسان، وهي ظرف ينال بها إلى كماله، فليستَ هي بكماله، وهي بالنّسبة إلى الآخرة متاع قليل، ومقدّمة مقصودة لأجلها، وأنّ شرف الدّنيا بالإنسان الّذي يكون شرفه بالآخرة، ومن لم يعتقد بهذا

البيان فلن ينال بشرفه ولايسلك سبيل الرّشاد والكمال، وفي الآية الكريم تحذير لهم عن الدّنيا وتحقير شأنها لأنّ الرّكون إليها مبدأ إنحطاط وأصل كلّ شرّ وإثم، وجالب لسخط الله تعالى وعقابه، وتعظيم للآخرة فانّها دارالقرار والإقامة.

٤٠ ـ (مَنْ عَمِلَ سيّئة فلايجزىٰ إلّا مثلَها ومن عمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يُرزَقونَ فيها بغير حساب)

مقولة من مقولات الرّجل المؤمن يعرض بها موازين النّاس عند الإله الّذي يدعوهم إليه، تقريراً بأنّ الحياةالدّنيا هي دار العمل الّذي ينال به الإنسان فيها إلى الكمال أو الإنحطاط وبأن الآخرة هي دار الجزاء وبروز الكمال أو الإنحطاط من دون فرق بين الذّكر والأنثى في العمل والجزآء فيهما.

إن تسئل: إنّ مثل السّيّئة سيّئة ،فما معنىقوله سبحانه:«من عمل سيّئة فلايجزىٰ إلّامثلها»؟

تجيب عنه: أنّ المعنى: جزآء السّيّئة له حساب وتقدير لايزيد على المقدر المستحق، وأمّا جزآء العمل الصّالح فبغير تقدير حساب كما قال: «يرزقون فيها بغير حساب».

وان تسئل: إنّ قوله عزّوجلّ: «من جآء بالحسنة فله عشرأمثالها» ينافي ذلك ؟.

تجيب عنه: إنّ ذلك لمنع النّقصان لالمنع الزّيادة كما قال تعالى: «للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة» يونس: ٢٦) وقال: «فيوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله» النّسآء: ١٧٣).

وقوله: «وهو مؤمن» إشارة إلى أنّ العمل الصّالح بدون الإيمان لايقبل، بل حبط لقوله تعالى «اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم» الأحزاب: ١٩).

وفي الآية الكريمة إشارة إلى أنّ جانب الرّحمة أرجح، وإيمآء على أنّ غير المؤمنين لايدخلون الجنّة.

٤١ ـ (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة وتدعونني إلى النّار)

بيان لدعوة الرجلّ المؤمن من آل فرعون، قومه إلى مقايسة مايدعوهم إليه، وما يدعوهم إلى فرعون الطّاغي بأسلوب قوي رآئع عجيب، على سبيل فرض حساب قومه بحساب فرعون لإ تباعهم إيّاه من دون ذكره، وفيه من رمز المبارزة السّياسيّة

مالايخفى على السّياسي الحقّ دون الباطل.

مناظرة بين موقف وموقف،و بين دعوة ودعوة ... موقف الرجلّ المؤمن من قومه، وموقفهـم منه ... وأنّ مـدار التّعجّب الّذي يلوح به الإستفهام دعوتهـم إيّاه إلى النّار ودعـوتـه إيّاهم إلى النّجـاة منهـا كـأنّه قيل: أخبـروني كـيف هذه الحال أدعوكم إلى الخيـرو الكمال، وتـدعونني إلى الشّرّو الإنحطـاط؟ أدعـوكـم إلى الصّـلاح والـفلاح، وتـدعـونني إلى الـفساد والخسران؟ أدعـوكـم إلى طـريق الإيمان الموصـل إلى الجنان ونعيمهـا، وتدعونني إلى سبيـل الكفر الموجب إلى النّار وعذابها؟؟؟!!! أي مالكم؟ كما يقول الرّجل: مالي أراك حزيناً معناه: مالك ؟

قوله: «أدعوكـم إلى النّجـاة» اي الايمان الّـذي هوسبب النّـجاة فـهو من باب إطلاق المسبّبَ على السّبـب لأنّ الإيمان هـو الطّريق الموصل إلى الـنّجـاة من عذاب النّار.

٤٢ ـ (تدعونني لأكفُرَ بالله وأُشرِكَ به ماليَسَ لي به عِلْمٌ وأنا أدْعوكم إلى العزيز الغفّار)

تفسير لـلدّعـوتين بأوضح الـبيـان، وقولـه: «تدعونني لأكـفر بـالله» بدل أو بيـان لقوله: «وتـدعـونني إلى النّار» على سبيـل إطلاق المسبّب على السّبـب وفيه تعليـل، وبيـان أنّ ما قال فـرعون مـن قوله: «ومـا أهديكم إلاّ سبيـل الرّشاد» سبيـل الغيّ عاقبته النّـار، وأنّ سـبيلكم هوسبيله لإ تباعكم إيّاه،فدعوته هي دعوتكم،ودعوتكم هي دعوته، تـدعونني لأكفر بـالله الواحد الأحـد، وأن أعبد مع الله آلهـة أخرىٰ لاأعلم لها حقيقة يطمئنّ إليها عقلي ويستسيغها منطقي ...

وقوله: «وأشرك به مـا ليس لي به علم» بـربوبيّة فرعون، والمراد نفي المعلوم كأنّه قال: وأشرك به مـاليس باله، ومالـيس كـيف يصحّ أن يعلـم إلهاً، فيه إشعـار بأنّ الالوهيّـة لابدّ لها من برهـان، فاعـتقادهـا لايصحّ إلاّ عـن إيقان، مع حصول الـعلم ببطلان اُلوهيّة غيرالله.

وقوله: «أنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار» بدل أو بيان لقوله: «أدعوكم إلى النجاة» أدعوكم إلى إله يقـوم على هذا الوجود كـلّه، ويمسك كلّ ذرّة منـه حفظاً وعلماً، وهو

الّذي تـذلّ لعزّتـه الجبـابرة، وهو الّـذي يغفرذنوب المسـيئين، ويقبل تـوبتهم إذا تابوا ورجعوا إلـيه و وجـهوا له وجوههـم .. فهل تستوي دعـوة ودعوة؟ هل يستوي الـكفر والإيمان؟ هل يستوي الضّلال والهـدى؟ هـل يستوي الصّلاح والفساد؟ هل يـستوي الكمال والإنحطاط؟؟؟!!!

وقوله: «الـعزيز الغفّار» المستجمع لجميع صفـات الالوهيّة مـن كمال الـقدرة والغلـبة، ومـا يتوقّـف علـيه من الـعلـم والإرادة، والتّمكّـن من المجازاة والقدرة على التّعذيب والغفـران ... و وجـه تخصيص الوصفين بالمقـام أنّـه تعالى غالب على من أشرك به، غفور لمن تاب عن كفره.

٤٣ ـ (لاجَرَمَ أَنَّمَا تدْعونَنِي إليـه ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة وأنّ مَرَدَّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النّار)

ردّ حـاسم لما دعاه إليه قـومـه كأنّه قيل: وجب بطـلان ماتدعونني إليه والمردّ إلى الله جلّ وعلا وكون المسرفين هم أصحاب النّار.

وقـوله: «ليس له دعوة» ينـتفع بها في أمر الدّنيـا ولا في أمرالآخرة، ولذلك أطلق ليكـون أبلغ، وإن تـوّهـم جاهل أنّ لـه دعوة ينـتفع بها فـإنّه لايعـتـدّ بذلك لـفساده وتناقضه.

وقوله: «وأنّ المسرفين ...» فيـه مـن تـعليق الحكـم على الـوصف مالايخفى على البياني.

٤٤ ـ (فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)

موعظة وتهديد، وتخويف وتحـذير، و وعيد وتوبيخ لهـم ليتفكّروا في عاقـبة أمرهم لـعلّهم يرعوون عـن غـيّهم وضلالهم، عن كـفرهم وعنادهم، وعن ظـلمهم ولجاجهم ... وقد أتمّ الحجّة عـليهم وأظهر لهم عـلمه ولم يكتمه أي وستعلمون علم اليقين كلّ ماحدّثتكم به وترونه عياناً يوم القيامة، يوم لاينفع تذكر ولايغني علم.

وقوله: «وأفوّض أمري إلى الله» إخبـار عـن نفسه بالتّوكـلّ على الله جـلّ وعلا في أمره والإعتماد على لطفه تـعالى عليه في إرشاد خلـقه، وإظهار علمه وتـأييس أعدآئه،

والصّلابة في دينه، والإستقامة في مهمّته ... وفيه برهان قاطع على أنّه أظهر ايمانه وقت هذه النّصائح والمواعظ ...

وقوله: «إنّ الله بصير بالعباد» تعليل لتفويضه أمره إلى الله تعالى، وفي وضع إسم الجلالة موضع ضميره -وكان مقتضى الظّاهر الإضمار- إشارة إلى علّة بصيرته بالعباد كأنّه قيل: إنّه بصير بالعباد لأنّه الله عزّ إسمه.

والجملة المؤكّدة هي خاتمة المطاف فيما بين الرجلّ المؤمن المتصلّب في الدّين من آل فرعون الطّاغي، وبين قومه المستكبرين الحمقآء ...

ففي هذا يظهر هدف العظة والزّجر، هدف الدّعوة والتأسّي، هدف التّسلية والتّثبيت، وهدف النّصيحة والتّنديد في آيات القصّة قوياً بارزاً كما ينطوي فيه تلقينات مستمرّة المدى، ودروس للعلمآء الدّينية، والدّعاة والمصلحين في كلّ ظرف فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٤٥ ـ (فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

تفريع على تفويض الرّجل المؤمن أمره إلى الله تعالى، وتقرير لاستجابته جلّ وعلا له، فكفاه اللهُ عزّوجلّ شرّهم، و وقاه شدائد مكر قومه، وحماه وصانه ونصره عليهم وأهلكم، وفي هذا ايمآء إلى أنّهم قصدوه بالسّوء ودبّروا له من كيد عظيم بعد أن أعلن إيمانه، وتحدى فرعون وخرج عن سلطانه، منحازاً إلى جبهة موسى عليه السّلام ولكنّ الله تعالى دفع عنه شرّهم وهكذا كلّ مؤمن إستكمل شمآئل الإيمان وجاهد الطّغيان بكلمةالحقّ، فإنّه يرمي بيدالله جلّ وعلا لابيده.

وقوله تعالى: «وحاق بآل فرعون سوءالعذاب» حكاية ماسوف يكون من أمر فرعون وقومه في الدّنيا والآخرة، وقد ذكر «آل فرعون» ولم يذكره لأنّهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله؟

وأسلوب الآية الكريمة قويّ نافذ والهدف الّذي استهدفته ومايليها من الآيات هو الزّجر والعبرة والتّذكير والموعظة والإنذار والتّنديد.

٤٦ ـ (النّارُ يُعْرَضُونَ عليهْا غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة أدخِلوا آلَ فرْعونَ أشدّ

العذاب)

مستأنف سيق لبيان كيفيّة سوء العذاب أو «النّار» خبر مبتداءٍ محذوف كأنّ قائلاً يقول: ماسوء العذاب؟ فقيل: هو النّار و«يعرضون» إستئناف لبيان أو بدل من «سوء العذاب» و«يعرضون» حال منها، فهم يعرضون على هذه النّار في أوّل النّهار وآخره في حياتهم البرزخيّة الواقعة بين الموت والبعث، فهم في هذه الفترة يفزّعون بالنّار الّتي سيصيرون إليها يوم القيامة فيردونها صباحاً ومسآءً ليروا بأعينهم المنزل الّذي سينزلونه يوم القيامة، فإذا كان يومئذ دُفِعُوا إلى تلك النّار الّتي كانوا يغدون عليها ويروحون، وليست النّار فحسب، بل الدّرك الأسفل منها حيث يلقون أشدّو أنكىٰ مايلقىٰ أهل النّار من عذاب.

وقوله تعالى: «غدوّاً وعشياً» فيه إشارة إلى إستمرار العرض على النّار من دون انقطاع، ولعلّ لأهل العرض في البرزخ لعدم إنقطاعهم عن الدّنيا بالكليّة نسبة ما إلى الغداة والعشيّ.

وفي الآية الكريمة بيان أمور: الأوّل: أنّ هناك عرضاً على النّار ثمّ إدخالاً فيها، وأنّ الإ دخال أشدّ من العرض. الثّاني: أنّ العرض على النّار قبل قيام السّاعة الّتي فيها الإدخال وهوعذاب البرزخ وهو العالم بين الموت والبعث. الثّالث: أنّ التّعذيب في البرزخ ويوم القيامة شئ واحد وهو نار جهنّم، ولكن آل فرعون ومن انسلك مسالكهم يعرضون عليها في العالم البرزخي، ويدخلونها يوم القيامة. الرّابع: أنّ العرض في البرزخ مستمرّ صباحاً ومسآءً من دون انقطاع إلى يوم القيامة.

٤٧ ـ (وإذ يتحاجّون في النّار فيقول الضّعفآء للّذينَ استكبَرُوا إنّا كنّا لكمْ تبعاً فهلْ أنتم مُغنُون عنّا نصيباً منَ النّار)

تقدير أمر من الله تعالى لرسوله الخاتم صلّى الله عليه وآله وسلّم بتقرير أحوال آل فرعون ومن انسلك مسالكهم -في نار جهنّم، وما يجري بين الرّؤسآء والمرؤوسين الحمقآء، بين الأتباع والمتبوعين البغآء، وبين القادة والمردة السّفهآء من المخاصمة والمناظرة والمحاجّة بعد دخول كلّهم فيها، وأنّ أمثال هذه المعاتبات الّتي بها تخاصم

أهل النار والعذاب قد أحاط بهم سرادق ناره وتسلّط على ظواهرهم وبواطنهم بشراره...

وفي هذا الموقف من مواقف الملاعنة والمجادلة يسئل الأتباع قادتهم الّذين كانوا أصحاب الكلمة عليهم في الدّنيا ـ يسئلونهم أن يخفّفوا عنهم شيئاً من هذا العذاب الّذي هم جميعاً فيه، فقد كان هؤلآء القادة الطّاغية مفزع هؤلاء المردة السّفلة في الحياة الدّنيا، يفزعون إليهم، ويحمون ضعفهم بقوّتهم، إنّهم أقوى منهم قوّة وأقدر على احتمال الثّقال من الأمور... وهذه جهنّم وأهوالها، فهل يجد الضّعفاء، في قوّة الأقويآء معيناً يحمل عنهم بعض ماحملوا؟! وهذا ظهورممّا رسخ في نفوسهم في الدّنيا من الإلتجاء بكبرائهم وقادتهم من دون الله تعالى يظهر منهم ذلك يوم القيامة، وهم يعلمون أنّهم في يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئاً والأمر يومئذ لله، وله نظائر محكية عنهم في كلامه تعالى من كذبهم وحلفهم وإنكارهم أعمالهم وتكذيب بعضهم لبعض وغير ذلك.

٤٨ ـ (قال الّذين استكبرُوا إنّا كلّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد)

ردّ من الرّؤسآء المستكبرين على أتباعهم المستضعفين الحمقآء، وإعتراف المستكبرين بإستحقاق الجميع النّار وعذابها، وذهاب قوتهم يومئذ، وإيمآء إلى ندمهم وحسرتهم ويأسهم من النّجاة.

وقولهم: «إنّ الله قدحكم بين العباد» أي قضىٰ لكلّ فريق من الأتباع والمتبوّعين بما يستحقّه، فلا رادّ لحكمه، وهكذا تعلن العدالة الإلهيّة بلسان أعدآء الله الّذين استكبروا وطغوا وسعوا في الأرض فساداً، فالحقّ لابدّ أن ينجلي وينتصر ولو بعد حين.

وفيه إشارة إلى الإقناط الكلّيّ، ولهذا رجعوا عن محاجة المتبوعين إلى الإلتماس من خزنة النّار أن يدعواالله بتخفيف العذابِ عنهم زماناً ما:

٤٩ ـ (وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعُوا رَبّكم يُخفّف عنّا يوماً من العذاب)

بيان لإلتماس أهل النّار واستغاثتهم بخزنتها، ومدّ أيديهم إليهم أن يدعوا لهم ربّهم

أن يخفّف عنهم العذاب ولو يوماً واحداً ليجدوا نسمة من نسمة الحياة تدخل إلى صدورهم المكظومة بلهيب السّعير إذ لاطاقة لهم على شدّة العذاب لشدّة جزعهم وليأسهم من أن يستجاب لهم من دعاء أنفسهم، ولذلك قالوا: «ادعوا ربّكم» ولم يقولوا: «ربّنا».

وقولهم: «في النّار» في كلمة «في» إشعار بإحاطة النّار لجميع جوانبهم كأنّهم في عين النّار.

و«لخزنة جهنّم» أي لخزنتها، فوضع الظّاهر موضع الضّمير لأنّ في ذكر جهنّم تهويلاً أو لبيان محلّهم فيها إذ يحتمل أن تكون جهنّم أبعد دركات النّار قعراً من قولهم: بئر جهنّام: بعيدة القعر. فكأنّ لخزنتها قرباً من الله تعالى وهم أعظم درجة من سآئر الخزنة، فلذلك خصّوهم بالخطاب.

٥٠ (قالوا أوَلَمْ تَكُ تأتيكمُ رسلكمْ بالبيّنٰات قالوا بلىٰ فادعوُا ومادُعآؤا الكافرينَ إلّا في ضلاٰل)

مستأنف بيانّي سيق ردّاً على طلب أهل النّار من خزنتها الدّعآء لتخفيف العذاب عنهم، فردّ عليهم الخزنة موبخين لهم على سوء ماكانوا يصنعون ممّا استحقوا عليه سوء العذاب، قالوا لهم على وجه التّهجين لفعلهم والإنكار عليهم والتّقريع والتّوبيخ لهم: أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات؟ أولم يبعث الله فيكم رسلاً من أنفسكم؟ وألم يحمل إليكم الرّسل بين أيديهم آيات بيّنات من عندالله، تكشف لكم الطّريق إلى الحقّ والهدى؟

«قالوا بلى» قدجآئنا رسل ربّنا بالحقّ! إعتراف منهم بقيام الحجّة عليهم، والإقرار على كفرهم بآيات الله ورسله مع العلم بأنّهم على الحقّ، فلم يجدوا بدّاً إلّا أن يقولوا في حسرة وندم وذلّة، فأجابوهم معترفين، ولم يقدروا على الجدال الّذي كانوا يتعلّلون به في الدّنيا لوضوح السّبيل أمامهم ولا سبيل لهم حينئذٍ إلى الإنكار والجحود أو السّكوت،فلا بدّ من الإعتراف يومئذ بما كانوا منكريه بالأمس، فتلقى خزنة جهنّم هذا الإعتراف من أفواههم، والإقرار على أنفسهم بأنّهم كانوا كافرين

فإذاً قالوا لهم -إستهزاءً وسخرية وإستخفافاً وتهكّماً بهم -لِمَ لا تدعون أنتم فادعوا إن كان ينفعكم الدّعآء ويستجاب لكم بما تدعون! وإذا كان الأمر كما ذكرتم فادعوا أنتم وحدكم، فإنّا لاندعوا الله سبحانه لمن كفر بالله جلّ وعلا وكذّب برسله وجادل في آياته...

«فادعوا ومادعآء الكافرين إلّا في ضلال» عبث وضياع وتبار لاجدوىٰ من ورآئه ولا إستجابة له، فسوآء دعوتم أم لم تدعوا فإنّه لايخفّف عنكم العذاب ولو آناً ما فكيف اليوم الواحد؟! وفي الجملة إقناط لهم عن الإجابة بأنّ دعآئهم قد أحاط به الضّلال فلايهتدي إلى هدى الإجابة، والجملة تفيد معنى التّعليل، والمحصّل: نحن لن ندعو لكم لأنّا غير مأذونين في الدّعآء للكافرين، فادعوا أنتم وحدكم ولكن لايستجاب لكم فإنكم كفرتم بالله ورسله وآياته، والكافرون لايستجاب لهم دعآء.

وذلك أنّ للشّفاعة شرطين: **الأوّل:** أن يكون المشفوع له مؤمناً. **والثّاني:** أن يكون الشّفيع مأذوناً له فيها. والشّرطان كلاهما ههنا مفقودان، فإنكم كنتم كافرين بالله ورسله وآياته، وإنّا لاندعوا إلّا بإذن الله، ولم يؤذن لنا الدّعآء للكافرين. وفي الجملة من تعليق الحكم على الوصف مالايخفىٰ على الأديب الأريب.

٥١ - (إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد)

مستأنف سيق لبيان أنّ ما أصاب الكفرة الفجرة من العذاب المحكي، من فروع حكم كلّي تقتضيه الحكمة الإلهيّة، وهو أنّ شأننا المستمرّ أنّا ننصر رسلنا وأتباعهم الصّادقين في كلّ ظرف، فالوعد نوعيّ، وليس بشخصّ لكلّ واحد شخصيّ منهم في كلّ واقعة شخصيّة، وإنّ الوعد سنّة إلهيّة جارية في كلّ ظرف، فالله جلّ وعلا ينصر أنبيآئه ورسله ويقيّض لهم من ينصرهم على أعدائهم، ويملأ قلوبهم بنوراليقين ويلهمهم أنّ النصرة لهم بالمآل مهما تقلّبت بهم الأمور... والدّليل على ذلك هو قصّة موسى عليه السّلام ومؤمن فرعون إذ نصرهما على فرعون الطّاغي وقومه الباغين في الدّنيا والآخرة.

وفي الآية الكريمة تأكيدات عديدةعلى نصرةالمرسلين والمؤمنين،وقدإستهدفت تطمين النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين به في كلّ ظرف، وتثبيتهم وبعث الأمل والوثوق في أنفسهم إزآء مايلقونه من عنت الكفّار وبغي المستكبرين ... ومن دون ريب أنّ شأن الآية الكريمة وأمثالها أن تبثّ اليقين والقوّة والجرأة في كلّ مؤمن في كلّ ظرف، يدعوا الى الله جلّ وعلا ودينه ومبادئه الكريمة السّامية، ويناضل في سبيلها، وأن تجعله يستبشر بنصرالله تعالى وتأييده إذا ماكانت دعوته ونضاله بصدق وإخلاص، وقد كانت الآية وأمثالها من عوامل ماكان من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والّذين آمنوا معه حقّاً من قوّة وجرأة وتلقين واستغراق في الله تعالى وفي دينه ودعوته.

وفي تعليق حكم النّصرة على وصف الإيمان مشعر بعلّيّة الوصف في الحكم، ولوكان المسلمون اليوم ـ أكثر من ميليارد نفراً ـ مؤمنين حقّاً لما كانوا مغلوبين بأيدي أقلّ من ميليون نفراً من اليهود الصّهيوني. فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٥٢ ـ (يومَ لاينفعُ الظّالمينَ معذرتهُمْ ولهم اللّعنة ولهم سُوءُ الدّار)

إخبار عن يوم يقوم الأشهاد، وبيان لسوء أحوال الظّالمين يومئذ حيث لاينفعهم ماسوف يقدمونه من أعذار واهية وتدمغهم شهادة الشّهود، وتحق عليهم لعنة الله وخزيه، وينزلون أسوأ المنازل والقرار في سوآء الجحيم!

وقد نفى أن تنفعهم المعذرة في الدّار الآخرة مع كونها نافعة في الحياة الدّنيا لأنّ الآخرة دار الإلجاء إلى العمل، والملجأ غير محمود على العمل الّذي ألجئ إليه لأنّه لايعمله لداعي الحكمة إلى مايمكنه أن يعمله ولايعمله فيضمن الحمل على فعله.

٥٣ ـ (ولقد آتينا موسى الهُدىٰ وأورثنا بني إسرائيلَ الكتاب)

بيان لإعطآئه تعالى موسى عليه السّلام التّوراة وإيراثها قومه بعده على سبيل القسم للتّوكيد، وهو إستكمال لقصّة موسى ورسالته كرسول من عندالله تعالى، فقد ذكرت الآيات السّابقة رسالة موسى عليه السّلام إلى فرعون وهامان وقارون، وهي جزء من رسالته إلى بني إسرآئيل، فلمّا انتهت قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون، اقتضى المقام

الإشارة إلى رسالة موسى عليه السّلام وهي أنّها لبني اسرائيل في عمومها...

وقوله تعالى: «وأورثنا بني إسرائيل الكتاب» فيه إشارة إلى أنّ بني إسرائيل لم يرثوا هذا الهدى الّذي تحمله التّوراة، والّذي حمله إليهم موسى عليه السّلام فيها، وإنّما ورثوا الكتاب أي هذه الكلمات المكتوبة في كتاب ... ثمّ حرّفوها بما حرّفوه تبعاً لأهوآئهم ... ولايخفى أنّ الآية الكريمة ومايليها خاتمة لما سبق من إرسال موسى عليه السّلام بالآيات والسّلطان المبين، ومجادلة آل فرعون المستكبرين في الآيات بالباطل، ومحاجّة مؤمن آل فرعون يشيرېها، وقد صدّرت الآية بلام القسم إلى حقّيّة ما ارسل به، وظلمهم فيما قابلوه.

٥٤ ـ (هدىً وذكرىٰ لأولِي الألبٰاب)

إنّ المراد بكون الكتاب هدى أنّه دليل في نفسه، وبكونه ذِكرىٰ أن يكون مذكّراً للشيّ المنسيّ من قبيل زيد عدل، وإنّ الفرق بين الهدىٰ والذّكرىٰ أنّ الأوّل مايكون دليلاً على الشّيّ وليس شرطه أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً ثم صار منسيّاً، وأمّا الذّكرى فهي الّذي يكون كذلك، فالكتب السّماوية كلّها مشتملة على هذين القسيمن، فبعضها دلآئل في أنفسها، وبعضها مذكّرات...

وقوله تعالى: «لأولى الألباب» قد خصّ العقلآء بذلك لأنّهم الّذين يتمكّنون من الإنتفاع به، ومن لم ينتفع فهو بمنزلة من لايعقل من البهآئم ... وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: «لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون» الأعراف: ١٧٩).

وفي الآية الكريمة تعريض ببني إسرآئيل وأنّهم لم يستقيموا على ما في هذا الكتاب من هدى ولم يذكروا مافيه من وصايا وعظات ...

٥٥ ـ (فاصبر إنّ وَعْدَاللهِ حَقٌّ واستَغفرْ لذنبكَ وسبّحْ بحَمْدِ ربّكَ بالعشيِّ والإبكٰار)

تفريع على ماتقدّم من الأمر بالإعتبار في قوله عزّوجلّ: «أولم يسيروا في الأرض...» ٢١) والمعنى إذا كان الأمر كذلك فاصبر على إيذآء المشركين ومجادلتهم في آيات الله بالباطل أنّ وعدالله حقّ.

خطاب من الله عزّوجلّ لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم مسلّياً له بتحقيق وعدالله الحقّ بالنّصر والتّأييد معلّقاً على الصّبر والثّبات في موقفه، متكلاً على الله تعالى مستغفراً مسبّحاً بحمد ربّه صبحاً ومسآءً.

وفي هذا إشارة إلى مايلقى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قومه من عنت وضيق، وأنّه لابدّ أن يقيم أمره على الصّبر والثّبات حتّى يستطيع أنّه يمضي بدعوته إلى غايتها ... ثمّ إنّ مع هذه الدّعوة إلى الصّبر، ومايحمل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من أعبآئه الثقال، فقد حملت معها من ألطاف الله عزّوجلّ مايشدّ عزمه صلّى الله عليه وآله وسلّم ويثبت خطوه على طريق الصّبر الطّويل، فهو على موعد مع نصرالله: «إنّ وعدالله حقّ» يدعو والله تعالى هو ماجآء في قوله عزّوجلّ: «إنّا لننصر رسلنا ...».

إن تسئل: وقد ثبت بالضّرورة أنّ الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء وأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لايجوز عليهم الذّنب كبيراً كان أم صغيراً فلماذا أمرالله تعالى سيّد أنبيائه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإستغفار؟

نجيب عنه: هذا تعبّد من الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالدّعآء والاستغفار لكي يزيد في الدّرجات وليصير سنّة لأمّته صلّى الله عليه وآله وسلّم ولنا بحث عميق حول الإستغفار وأنواعه في تفسير سورة «النصر» فانتظر.

وقوله تعالى: «بالعشيّ والإبكار» ليس ذكر هذين الوقتين، حصراً لتسبيح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه فيهما إذ كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على ذكر دآئم لربّه مسبّحاً وحامداً ومستغفراً، وقد خصّ هذان الوقتان بالذّكر لفضلهما على سآئر الأوقات ... ولزيادة تأثيره بالنّسبة إلى غيرهما، وأنّ القلب يجد في هذين الوقتين طمأنينته وسكينته، فيتّجه بوجوده كلّه إلى الله جلّ وعلا.

ولقد جرّبت بالذّكر في العشيّ والإبكار بسنين فوجدت آثاره في جميع شئون حياتي الدّنيوية والأخرويّة إذ كنت في كلّ عشيّ ذاكراً مأة مرّة: «سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر» وسبعين مرّة: «أستغفر الله ربّي وأتوب إليه»

ومأة مرّة: «أللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد بعدد ما أحاط به علمك» ثمّ قلت: أللّهمّ ارحمني بحقّ نبيّك الرّحمة محمّد وأهل بيته المعصومين صلواتك عليهم أجمعين وكذلك قبل أذان المغرب، وكنت صابراً على الوقآئع المولمة والحوادث الهاتكة، فأجد العدوّ القاسي مغلوباً ذليلاً خذولاً من دون مضيّ زمان طويل.

٥٦ - (إنّ الّذينَ يُجادلوُن في آياٰت الله بغيْر سلطاٰنٍ أتاهـم إن في صدورهم إلّا كبرٌماهم ببالغيه فاستعذْ بالله إنّه هو السّميعُ البصير)

تنديد بالكافرين المتكبّرين الّذين يجادلون في آيات الله ويكابرون فيها بغير علم ولابرهان، وتقرير لواقع أمرهم من حيث إنّهم يكونون مندفعين في ذلك بسآئق الكبر والغرور والحسد وحبّ الرّئاسة وإرادة التقدّم، وتطمين وتثبيت لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من ناحيتهم حيث يأمره الله جلّ وعلا بالإعتصام والإستعاذة به فإنّه السّميع الّذي يسمع كلّ شيء، والبصير الّذي يرى كلّ شيء، وليكون على ثقة من أنّهم لن يصلوا إلى مايرمون إليه من تعطيل آيات الله ود حضها، وفيه تأكيد لما تقدّم في الآية السّابقة من أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّبر، وتطييب نفسه بتأييد وعدالنّصر وفي إيثار المضارع دلالة على تجدّد المجادلة وإستمرارها.

وقوله تعالى: «بغير سلطان» تقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه ايذان بأنّ التّكلّم في أمر الدّين لابدّ من إستناده إلى سلطان مبين البتّة، وهذا عام لكلّ مجادل مبطل، وإن نزل في مشركي مكّة.

وقوله تعالى: «إن في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه» بيان سبب يحملهم على الجدال في آيات الله تعالى وتكذيب نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم على طريق الحصر وهو الكبر، وفي الجملة الأخيرة إقناط وتأييس لهم عن بلوغهم ماينطوي عليه هذا الكبر من أماني وآمال .. أن يكون النّاس تحت تصرّفهم وتسخيرهم لا أن يكونوا هم تحت تصرّف غيرهم، وذلك تخيّل فاسد، فماهم ببالغي إرادتهم فيه صلّى الله عليه وآله

وسلّم فإنّ الله جلّ وعلا قد أذلّهم لأنّ الغلبة لدين الإسلام، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لابدّ أن تكون الأمّة تحت أمره ونهيه.

وقوله عزّوجلّ: «فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم» دعوة من الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أن يلتى كبر هؤلآء المعاندين المستكبرين، شرّ هؤلآء المخاصمين المجادلين، وتطاول هؤلآء المتطاولين المدلّين بجمعهم، المغرورين بقوّتهم أن يلتى ذلك منهم باللّجأ إلى الله جلّ وعلا والإستعاذة به، واللّياذ بقوّته، فيقيه من أذاهم وشرّهم ويكلؤه ويحفظه منهم، فإنّ الله تعالى هو السّميع الّذي يسمع مايدعوا به نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم ويستجيب له، وهو البصير الّذي يرى أين تنزل مواقع رحمته وإحسانه، وأين تقع صواعق نقمه وبلآئه ...

ففيه وعد لِلنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بكفاية شرّ أعدآئه، و وعيد وتهديد لهم فيا يقدمون عليه وأنّهم لن يبلغوا شيئاً ممّا يريدون به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته من سوء، فإنّ الله عزّوجلّ سيقضي بينهم وبين رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وسيكون هذا القضآء إدانة لهم وخذلاناً لجمعهم على حين يكون نصراً للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وللمؤمنين حقّاً.

٥٧ ـ (لَخَلْقُ السّمٰوات والأرضِ أكبَرُ مِنْ خلق النّاس ولكنَّ أكثر النّاس لايعلمون)

تنبيه إلى أنّ خلق السّموات والأرض أعظم من خلق النّاس ممّا ينطوي فيه قصد تقرير كون الله الّذي خلق السّموات والأرض على عظم مافيها من دليل على قدرة الله جلّ وعلا قادراً من باب أولى على خلق النّاس وإعادتهم.

إنّ الآية الكريمة ردّ على ريب الكافرين في السّاعة، واحتجاج عليهم فيا يجادلون في أمر البعث بأنّه مَن كان قادراً على الأصعب في نظر المخالف وقياسه، وهو خلق السّموات والأرض كان على الأسهل أقدر وهو خلق النّاس.

وقوله تعالى: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» فيه إشارة إلى جهل هؤلآء المشركين ومن إليهم من الضّالّين في كلّ ظرف بقدرة الله جلّ وعلا وسلطانه القائم على كلّ شيّ، وأنّهم لايعرفون ما البرهان، وكيف طريق النّظرو الإستدلال، ولذلك

ماا‌ستعظموا ماهم فيه من قوّة إلّا عن جهل بقدرة الله تعالى، بل وعن جهل بقدرة مخلوقات الله الّتي إذا وضعوا أنفسهم إزآئها كانوا أشبه بالذرّ أو النّمل تحت سفح جبل شامخ.

٥٨ - (ومايَستوي الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئ قليلاً ماتتذكّرون)

بيان مثل للمجادل بالباطل والحقّ، وتنبيه على أنّهما لايستويان، فإنّ بين الجدال المستند على التّقليد والعناد، وعلى الجهل و اللجاج، وبين الجدال المستند إلى الحجّة والبيان، وإلى العلم والبرهان بون بعيد فكون الفرق بين الطّآئفتين طبيعياً وبديهياً لايحتاج إلى بيان، وفيه تأكيد لماسبقوا بأنّ النّاس كلّهم ليسوا على وتيرة واحدة، فإنّ منهم الأعمىٰ والمسيئ وهم الأكثرون، ومنهم البصير والمؤمن الصّالح وهم قليلون، فالطّائفتان كمّاً وكيفاً، مبدأً ومآلاً لا تستويان وأدلّة عدم الإستوآء أنّ أصحاب البصيرة والإيمان والعمل الصّالح يتذكّر في نظام الكون ونواميس الوجود، ويتفكّر فيما خلق الإنسان لأجله من الآخرة، وأنّ الأعمىٰ وأهل الإسائة والجناية يتعقّل فيما خلق هو لأجل الإنسان من الدّنيا وشهواتها ...

چونكه دنيا مؤنّث أدناست هر كه أدناست طالب دنياست

وتنديد بأكثر النّاس الّذين يغفلون عن هذه الحقيقة البديهة الثّانية الّتي تنطوي فيها حكمة الله في البعث والجزآء الأخروي ليوفّي كلّ امرىءٍ بما قدّم فيجادلون في أمر البعث كما أنّ أكثرهم لايعلمون الحقائق الّتي تكشف لهم عن قدرة الله جلّ وعلا وقوّة سلطانه القآئم على هذا الوجود، وأنّ أقلّهم يعلمون من جلال الله تعالى وعظمته وقدرته، مايملأ القلب هدى وإيماناً، ومن هنا يختلف النّاس إيماناً وكفراً، هدىً وضلالاً، وإحساناً وإسآءة...

وقوله تعالى: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات» المراد منهم المحسنون، قدّمهم الله تعالى المجاورة البصيرة وهو باب من أبواب البلاغة واللّام في المسيءُ» للجنس يعمّ المسيئين».

وقوله جلّ وعلا: «قليلاً ماتتذكّرون» مستأنف بيانيّ، سؤالاً عن جواب مقدّر كأنّه قيل: فلِمَ لايظهر الفرق بين المحسن والمسيئ؟ فقال تعالى: «قليلاً ماتتذكّرون» بالفرق بينهما، وفيه تنبيه على أنّ التفاوت بين العالم والجاهل، بين المؤمن والكافر، بين المحسن والمسيئ، وبين البصير والأعمىٰ ... يعثرعليه من كان متذكّراً لامعانداً مصرّاً على جهله وعناده.

وفي الجملة إلتفات من الغيبة إلى الخطاب للناس بداع التّوبيخ والتقريع وهو وجه الإلتفات.

٥٩ ـ (إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون)

توكيد حاسم بمجيئ السّاعة وحقيقة البعث، وتنديد بالّذين يصرّون على جحودهما مع ثبوت قدرة الله تعالى عليها وحكمته فيها، وإنّ الآية الكريمة كالنّتيجة والتّعليل لما قبلها من تذكّر أقل النّاس عدداً، وغلبة الغفلة والنّسيان على أكثرهم، أو مستأنف مسوق لبيان ماقبلها من تذكّر قليل من النّاس في أمر البعث والجزآء، مع الإ شارة إلى أنّ القضيّة لمّا كانت قضيّة التّفرقة بين المؤمنين ذوي البصائر، والكافرين عمي البصآئر، وإذ كان هناك مؤمنون محسنون، وكافرون مسيئون، فقد حسن أن تعرض هذه الحقيقة الّتي هي المحك الّذي يعرف به إيمان للمؤمنين وكفر الكافرين وتلك القضيّة هي قضيّة البعث والحساب والجزآء...

فمن آمن باليوم الآخر فهو المؤمن حقّاً لأنّه لايؤمن مَن يؤمن باليوم الآخر إلّا إذا كان مؤمناً بالله تعالى إيماناً خالصاً، مبرّاً من كلّ شرك ، ومن كفر بالآخرة فهو كافر بالله جلّ وعلا أو مشرك به، ومن هنا جآء هذا الإعلان في قوله تعالى: «إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها» ليكون في ذلك إختبار لإيمان المؤمنين وكفر الكافرين ... فمن تذكّر في هذه الحقيقة وصدّقها واستيقن بها فهو من الّذين آمنوا وعلموا الصّالحات وهم قليل من النّاس في كلّ ظرف، ومن غفل عن هذه الحقيقة وكذّب بها أوشكّ فيها فهو من الّذين عمت قلوبهم الّتي في الصّدور وهم المسيؤون وهم أكثر النّاس في كلّ وقت...

وفي إيثار صيغة الفاعل: «آتية» على الفعل دلالة على تحقّق إتيانها وتقرّره لاجرم لإقتضآء الحكمة إيّاه لامحالة، وفي عدم نسبة وقوع السّاعة إلى فاعل كعدم ذكروقت وقوعها، وكتمان مرساها مبالغة في إخفآئها، وتاكيد لكونها مبالغة مفاجأة، وعدم تعلّق العلم بها كقوله عزّوجل: «لا تأتيكم إلّا بغتة يسئلونك كأنّك حفيّ عنها قل إنّما علمها عندالله» الأعراف: ١٨٧).

وقوله عزّوجلّ: «ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون» بيان لما ينكشف عنه إمتحان النّاس بهذا الإعلان وبتصديقهم به أو تكذيبهم ... وقد كشف هذا الإمتحان عن أنّ أكثر النّاس لايؤمنون لأنّ أكثر النّاس لايعلمون ولايتذكّرون ولايتفكّرون ولا يعقلون ولايشعرون ... كما قال عزّوجلّ في الآية السّابقة: «قليلاً ماتتذكّرون».

٦٠ ـ (وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)

دعوة من الله جلّ وعلا عباده إلى الدّعآء في كلّ ظرف إذ مكّنهم من الوصول إلى باب رحمته في جميع الأوقات، فأمرهم بالدّعآء وفرض عليهم أن يتجهوا إليه وحده بالدّعاء والعبادة، وتكفّل والتزم لهم بالإجابة بعطفه وشموله، ولذلك أطلق الدّعآء والدّعوة والإستجابة إطلاقاً، وفيه دلالة على عظم قدر الدّعآء عندالله جلّ وعلا وعلى فضل الإنقطاع إليه.

وإذا لاحظنا أنّ الدّعآء في الإنسان يكاد أن يكون فطرياً لأنّه لايكاد يجد نفسه في مأزق أو ضيق أو كرب أو أمام صعوبة إلّا وسارع إلى دعآء الله جلّ وعلا تبيّنت لنا حكمة التّنزيل في ذلك حيث ينطوي فيها علاج روحي لكثيرمن مشاكل النّفس والحياة ... فإذا ما أفضى الإنسان المحزون والمكروب والّذي يواجه المشاقّ والمصاعب إلى ربّه مايعانيه وطلب منه مايبتغيه، فإنّه يشعر بطمأنينة ونفحة روحية تنشله ممّا هوفيه وتبثّ فيه الأمل والرّجآء إذا كان ذلك مترافقاً مع الايمان والإعتقاد التّامّ بأنّ الله عزّوجلّ قريب منه، مجيب لدعآءه، وهذا فضلاً عمّا ينطوي في الدّعآء لله من وسيلة إلى ذكر الله تعالى ثمّ في إثارة الشّعور بتقوى الله بصالح

الأعمال واجتناب السّيّئات، وفي هذا مافيه من وسيلة لتقويم أخلاق المؤمن فالأمر بالدّعآء إلتفات بعين الرّضا والرّحمة والإحسان من الله سبحانه إلى عباده، فكانّه جلّ وعلا قال: اسئلوني يا عبادي تُعطَوا «إنّ رحمة الله قريب من المحسنين» الأعراف: ٥٦)

وفي الدّعآء رَغَبٌ إلى الله عزّوجلّ، و وقوف بين يدي رحمته وإحسانه، وفضله وكرمه ... وفي الإستجابة إظهار لما للعبد عند ربّه من إحتفآء وتكريم، وأنّه بموضع الرّضا والقبول، وذلك إذا استجاب العبد لدعوة ربّه وآمن به: «وإذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب اجيب دعوة الدّاع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون» البقرة: ١٨٦) ولمّا عبّر عن العبادة بالدّعآء جعل الإثابة إستجابة ليتجانس اللّفظ . إنّ الدّعآء هو عبادة المؤمنين وهو ولاء وتسبيح وصلاة لله ربّ العالمين، ومن هنا عُرِّفَ الدّعآء بأنّه مخّ العبادة، لأنّه مفزع العبد إلى ربّه، وفيه يتجلّى ضعف العبد وإنكساره وذلّه أمام قدرة الله تعالى وعظمته وجلاله ... فالدّعآء في صميمه عبادة خالصة، وإبتهال خاشع و ولآء واستسلام ... ولكلّ إنسان دعآؤه الّذي يدعو به ربّه ... فمنهم من يطلب الدّنيا ويجعلها همّه فيا يدعو به ربّه، ومنهم من يطلب الآخرة ويرجوا بدعآئه رحمة ربّه، ومنهم من يقول: «ربّنا آتنا في الدّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار» البقرة: ٢٠٠) فيجمع بين الدّنيا والآخرة.

وإنّ أكثر النّاس لايذكرون الله تعالى بالدّعآء إلّا عند الشّدّة والضّيق ... فهم في غفلة عن ذكر ربّهم حتّى إذا نزل بهم مكروه أو أحاط بهم بلآء تضرّعوا إلى الله تعالى، وأسلموا إليه أمرهم، فاذا زايلتهم تلك الحال، مضوا إلى ما كانوا فيه من شغل عن الله تعالى واشتغال بدنياهم وتقلّبهم في لعبهم ولهوهم ... وهذا مايشير إليه قوله تعالى: «وإذا مسّ الانسان ضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرّ كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه» يونس: ١٢).

إن تسئل: إنّ الله تعالى وعد عباده وضمن وتكفّل لهم الإجابة بمواضع عديدة من كتابه المجيد، وهو لايخلف وعده ونحن نرى كثيراً من النّاس يدعون ليلاً ونهاراً فلايستجاب لهم ونرى المضطرّ يدعوه فلايجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوّه

فلاينصره؟؟؟ تجيب عنه بأجوبة:

منها: أنّ الوعد وإن كان مطلقاً في اللّفظ ولكنّه مقيّد بأنّ الدّعآء يستجاب ماوافق القضآء.

ومنها: ومعنى قوله تعالى: «أستجب لكم» إذا اقتضت المصلحة إجابتكم، ومن يدعوالله تعالى ويسئله، فلابدّ أن يشترط المصلحة إمّا لفظاً أو إضماراً وإلاّ كان قبيحاً لأنّه إذا دعا بما يكون فيه مفسدة ولايشترط إنتفآؤها كان قبيحاً.

ومنها: أنّ الدّاعي قد يعوّض من دعآئه عوضاً ما فربّما كان ذلك العوض هو الإسعاف بمطلوبه، وذلك إذا وافق القضآء فإن لم يوافقه فإنّه يعطي الدّاعي سكينة في نفسه وإنشراحاً في صدره وصبراً يسهل معه تحمّل مايرد عليه من البلآء.

ومنها: أنّ دعآء الظّالم مردود إلى أن يتوب، وأنّ المحقّ إذا دعاه استجاب له وصرف عنه البلآء من حيث لايعلمه أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الّذي سئل العبد خيراً له إن أعطاه أمسك عنه، والمؤمن بالله تعالى ربّما عزّ عليه أن يدعوه فيما لايدري أصواب ذلك أم خطأ.

ومنها: أنّ لإستجابة الدّعآء شروطاً وهي الإخلاص لله تعالى في العمل، وأن يكون الدّاعي طاهر السّريرة، مطيعاً لله عزّوجلّ، وأن يكون المطلوب ممّا يرضى الله تعالى، وأن يكون مستقيماً بينه وبين ربّه، وأن يقبل على الله تعالى بالدّعآء، وأن يتوب ممّا جنته يداه وفرّط في جنب الله عزّوجلّ.

ولقد جآء رجل إلى الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام فقال له: «سيّدي أكان الله مخلف وعده؟ قال: كلاّ قال: فما بالنا ندعوه في اللّيل أكثر منه في النّهار ثمّ لا يستجيب لنا وهو القائل: «ادعوني أُستجب لكم»؟ فقال عليه السّلام ظهّروا قلوبكم قبل أنّ تواجهوا بها ربّكم ونحن اليوم وفي كلّ زمان كما قال الشّاعر:

كيف ندعو الإله في كلّ كرب ثمّ ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجوا إجابة لدعآء قد سددنا طريقها بالذّنوب

وقوله تعالى: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي» فيه بيان لسبب دخولهم في النّار

وهو الإستكبار عن العبادة، وقد بدّل الدّعآء عبادة تنبيهاً على أنّ الدّعآء عبادة، وفيه دلالة على أنّ ترك الدّعآء يوجب الوعيد الشّديد، وإيمآء إلى أنّ الخبر المبنيّ على الموصول أمر من جنس العقاب والإذلال، وهو قوله: «سيدخلون جهنّم داخرين» فإنّ الإستكبار الّذي تضمّنته الصّلة كان مناسباً لإسناد «سيدخلون جهنّم داخرين» أي ذليلين إلى الموصول.

وأنّه سبّبه بالإرصاد من جهة أنّ أوّل الكلام تنبه الفطن على خاتمته، والإرصاد عند علمآء البديع أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت مايدلّ عليه إذا عرف الرّوي نحو قوله تعالى: «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» النّحل: ١١٨)

وقوله تعالى: «سيدخلون جهنّم داخرين» في تقييد الفعل المستقبل بالحال دلالة على تقدّم الذّلّة على الدّخول.

٦١ - (الله الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون)

مستأنف بيانيّ جواباً عن سئوال مقدّر، وفيه بيان لتعداد نعمه تعالى على العباد في مقام التّعليل تارة، والإستدلال لإثبات التّوحيد تارة اخرى، وعلى مشهد الجدل والحجاج أو في صدده ثالثة، وتقرير لبعض مظاهر قدرة الله تعالى ومشاهد عظمته ورحمته وإحسانه إلى عباده يرى هؤلآء المستكبرين أين يقع إستكبارهم من جلال الله وعظمته...

وقوله تعالى: «وجعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً» قدّم اللّيل على النّهار في الذّكر إمّا لأنّ الشّهور غررها اللّيالي أو لأنّه وقت العبادة والخلوة، فقدّم لشرفه، أو لأنّ ذهاب اللّيل بطلوع الشّمس أكثر فائدة من ذهاب النّهار بدخول اللّيل. ومن دون مرآء أنّ اللّيل والنّهار من المنح الجليلة الّتي لايحيط نطاق البيان بما فيها من المصالح والمنافع، وأنّهما من أركان تدبير الحياة الإنسانية، ولذلك تمدّح جلّ وعلا وامتنّ على عباده بها بمواضع عديدة من كتابه المجيد.

وقوله عزّوجلّ: «والنّهار مبصراً» إسناد الإبصار إلى النّهار من المجاز العقلي لأنّه يبصر فيه أي مضيئاً لتبصروا فيه حوآئجكم، وتتصرّفوا في طلب معائشكم ...

وقوله جلّ وعلا: «إنّ الله لذو فضل على النّاس» بيان لنتيجة ماتقدّم وتعليل له وإمتنان عليهم بالفضل.

وقوله سبحانه: «ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون» إشارة إلى موقف أكثر النّاس في كلّ ظرف من فضل الله تعالى ونعمه عليهم، حيث يلقونها بالجحود والكفران، فلا يشكرون لله تعالى بل ولايؤمنون به، وفيه تنديد بهم لأنّهم الّذين يهملون هذا الواجب ولايؤدّون حقّ الله عليهم من الشّكروا لاخلاص، وتقريع وتوبيخ لهم بعدم شكرهم له قبال هذا الفضل العظيم والإحسان الجميل.

وتكرير النّاس لتخصيص الكفران بهم والنّعي عليهم، وأنّهم هم الّذين لايشكرون الخالق من بين الخلائق ...

٦٢ ـ (ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيءٍ لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون)

أخبار مترادفة تخصّص اللاّحقه السّابقة وتقرّرها، على سبيل الخطاب لجميع النّاس أي هو الجامع لهذه الأوصاف من الإلهيّة والرّبوبيّة والخالقيّة والوحدانيّة، ودعوة النّاس إلى التّوحيد، وتفرّده تعالى فيها، وتوبيخ بهم على كفرهم وبُعدهم عن الحقّ والحقيقة، وتقريع للجاحدين لفضل الله الحآئدين عن سبيله، فالله تعالى ربّ النّاس جميعهم، وخالق كلّ شيءٍ لا إله إلّا هو فكيف ينصرف النّاس عن سبيله ويذهبون بعيداً عن الحقّ والحقيقة، ويجحدون فضله وعظمته، وإحسانه وقدرته، كلّ ذلك يدلّ على وجوب توحيده و وحدانيته.

وفي الإشارة إلى الله جلّ وعلا إلفات لهؤلآء الغافلين عنه، المشركين به، العاكفين على عبادة مايعبدون من أوثان وغير أوثان ممّا صنعت أيديهم أو تصوّرت أو هامهم ... فالله جلّ وعلا هو خالق كلّ شيءٍ، ومايعبده هؤلآء المشركون من معبودات هي مخلوقات لله عزّوجلّ، وأنّ المنطق يقضي بداهة بألّا تكون عبادة إلّا للخالق وحده تعالى وأنّ عبادة غيره ضلال مبين.

وقوله تعالى: «فأنّىٰ تؤفكون» إستفهام إنكاريّ، ينكر على هؤلآء المنكرين أن يولوّا وجوههم إلى غير الله الواحد، الخالق لكلّ شيءٍ، ... والإفك هو: العدول عن

الحقّ إلى الباطل، عن التّوحيد إلى الشّرك ، عن الإيمان إلى الكفر، عن الهدى إلى الضّلال، عن الفلاح إلى الخسران، عن الكمال إلى الإنحطاط، وعن الصّلاح إلى الفساد .. فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟؟؟!!!

٦٣ ـ (كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون)

استدراك هامّ بأنّ الّذين يذهبون بعيداً عن الحقّ والحقيقة، وينصرفون عن سبيل الله تعالى إنّماهم الّذين يكابرون في آيات الله جلّ وعلا ومشاهد عظمته وقدرته وتدبيره وحكمته ويجحدونها ... و وعيد للجاحدين الغافلين وتقرير كون الجحود إنّما يحدث ممن خبثت نيّاتهم ورغبوا عن الصّلاح والكمال، وعن الفلاح والهدى ... ولذلك يتحمّلون مسئوليّة عملهم.

ويمثل إفك هؤلآء المشركين الفجرة وإفترآءهم على الله سبحانه بنسبة الشّركآء إليه والعدول من التّوحيد إلى الشّرك إفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون قبلهم من كفّار الامم الماضية الّذين صرفهم عن الحقّ والهدى أكابرهم ورؤسآؤهم وقادتهم ... فهؤلآء المشركون ومن ينسلك مسالكهم بعدهم هم ليسوا ببدع في الأمم قبلهم، بل قدسبقهم إلى الكفرو الطغيان، إلى الشرك والعدوان، وإلى البغي والعصيان خلق كثير قبلهم بلادليل ولابرهان، إذ ماكانوايعرفون مافي آيات الله الآفاقيّة والأنفسيّة، والتّكوينية والتّدوينيّة من دلائل العلم والكمال، من مظاهر القدرة والجلال، ومن مشاهد العظمة والجمال لذات الله تعالى إنّ آفة الضّآلّين والمشركين في كلّ ظرف هي جهلهم بآيات الله جلّ وعلا وعدم وقوفهم عليها الأمر الّذي ينتهي بهم إلى إنكارها ثمّ إنكار الله عزّوجلّ.

٦٤ ـ (الله الّذي جعل لكم الأرضَ قراراً والسّمآءَ بنآءً وصوّركم فأحْسَنَ صُوَرَكم ورزقكم من الطيّباتِ ذلكمُ الله ربّكم فتبٰارك الله ربّ العالمين)

مستأنف بيانيّ سيق لتقرير بعض مظاهر الأوصاف الأربعة المتقدّمة، وبيان بعض مشاهد فضل الله تعالى ورحمته في جعل الأرض للنّاس مستقرّاً، والسّمآء فوقهم بنآءً وتصويرهم على أحسن الصّور، وتيسير الطّيّبات من الرّزق لهم. فالآية الكريمة

هي آية من آيات الله الآفاقيّة والأنفسيّة ... فهل لأهل الكفر والضّلال، وأهل الإفك والجدال أن ينظروا فيها، وأن يخرجوا من هذا الظّلام الّذين هم فيه، وأن يصافحوا بأبصارهم هذا النّور المشع من آيات الله جلّ وعلا ليروا على ضوئه الحقّ الّذي ضلّوا عن طريقه ... فكأنّ سائلاً يسئل: وما الله الّذي بآيات يجحدون؟ فأجاب: الله الّذي ...

ففي الآية الكريمة إستدلال ثان بأفعال أُخر مخصوصه أو بيان وتفصيل لما اجمل سابقاً، وبيان لفضله تعالى المتعلّق بالمكان بعد بيان فضله المتعلّق بالزّمان.

وقوله تعالى: «وصوّركم فأحسن صوركم» بيان لفظه المتعلّق بأنفسهم، والفآء تفسيرية، فإنّ الإحسان عين التّصوير أي صوّركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامه، بادي البشرة، متناسب الأعضآء والتّخطيطات، متهيّئاً لمزاولة الصّنائع واكتساب الكمالات ...

وفي الجملة إشارة إلى العقل الإنساني الّذي يصير بعقله معدن العلم ومركز الحكمة، و وجود العقل فيه في إبتداء الأمر بالقوّة كوجود النّار في الحجر المحتاج في أن يورى إلى القدح، وكوجود النّخل في النّواة المحتاج في أن يثمر إلى غرس وسق.

وقوله عزّوجلّ: «فتبارك الله ربّ العالمين» ثنآء على الله تعالى بربوبيّته لجميع العالمين، وقد فرّعه على ربوبيته وتدبيره للإنسان إشارة إلى أنّ الرّبوبيّة واحدة، وتدبيره لأمر الإنسان عين تدبيره لأمرالعالمين جميعاً فإنّ النّظام الجاري نظام واحد روعي في انطباقه على كلّ، إنطباقه على الكلّ، فهو جلّ وعلا متبارك منشأ للخير الكثير فتبارك الله ربّ العالمين.

٦٥ ـ (هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمدلله ربّ العالمين)

بيان لتفرّده بالحياة الذّاتيّة المطلقة حياة أبديّة سرمديّة، إذ تمدّح جلّ وعلا بكونه حيّاً لأنّ مراده منه كونه حيّاً لايموت، وبيان لتوحّده في الأ لوهيّة، وإهابة بالنّاس بدعآئه وحده، والإخلاص له وحده، وبالحمد له وحده على جزيل نعمآئه، وجليل إحسانه وآلآئه، وهو وحده المستحقّ للحمد أوّلاً وآخراً، فمن حقّه أن يتفرّدو حده

بالعبوديّة من جميع خلقه، فإنّه ربّهم الّذي لا إله إلّا هو ربّ العالمين تبارك وتعالى.

وقوله تعالى: «لا إله إلّا هو» تعليل للحياة المطلقة الذّاتية ... لأنّ الالوهيّة تستدعي التفرّدو الوحدانية في الحياة.

وقوله جلّ وعلا: «ألحمد لله ربّ العالمين» إمّا مستأنف، مدح من الله تعالى لنفسه، وحمد منه على تفرّده بالألوهيّة، فينبغي للعبد إنشآء الحمد عند توحيده أو إخبار منه تعالى بحصر الحمد فيه بعد حصر الألوهيّة فيه فيكون بمنزلة النّتيجة لسابقه، وإمّا بتقدير القول: أي فادعوه مخلصين قآئلين: الحمد لله ربّ العالمين أو بمعنى الأمر أي فادعوه واحمدوه على هذه النّعم وقولوا: الحمدلله ربّ العالمين ثنآء عليه بربوبيّته للعالمين جميعاً.

وقال بعض المعاصرين مع إضافة منّا ـ: «في الجملة الأولى: «هو الحيّ» إطلاق لامقيّد له لاعقلا ولانقلاً مضافاً إلى إفادة الحصر لمعرفة المسند، فمفادها أنّ له تعالى وحده حياة لايداخلها موت ولايزيلها فنآء فهو جلّ وعلا حيّ بذاته وغيره كآئناً ماكان حيّ باحيآء غيره، وإذا فرضنا هناك حيّ بذاته وحيّ بغيره لم يستحق العبادة بذاته إلّا من كان حيّاً بذاته ولذلك عقّب قوله تعالى: «هو الحيّ» بقوله عزّوجلّ: «لا إله إلّا هو» وقد سبقت الجملتان توطئة للأمر بدعآئه ولا مطلق دعآئه، بل دعآئه بالتّوحيد وإخلاص الدّين له وحده لأنّه الحيّ بذاته دون غيره، ولأنّه المعبود بالإستحقاق الذّاتي دون غيره، ولذلك فرّع على قوله: «هو الحيّ لا إله إلّا هو» قوله: «فادعوه مخلصين له الدّين» إنتهى كلامه.

ومن اللطآئف: أنّ من خصآئص لفظ الجلالة: «الله» أنّه كلّما سقط منه حرف كان الباقي منه إسماً لله تعالى، وذلك أنّك إذا أسقطت منه الهمزة بقي «لله» وأنّه من أسمآء الله جل وعلا: «الحمدلله» وإن أسقطت منه اللاّم الأولى بقي «له» وهو أيضاً من صفات الله عزّوجلّ: «له الدّين» وإن أسقطت منه اللاّم الثّانية بقي «هو» وهو أيضاً من أسمآء الله تعالى: «هو الحيّ» وإن أسقطت منه الواو بقي «ه» وهو أيضاً من أسمآء الله جلّ وعلا: «فادعوه» ومثل هذه الخصيصة لا توجد في سآئر

الأسمآء فتدبّر جيّداً ولا تغفل.

٦٦ - (قلْ إنّي نُهيتُ أنْ أعبُدَ الّذينَ تدعُون منْ دون الله لمّا جآئني البيّنات من ربّي وأُمرتُ أن أُسلِمَ لِرَبِّ العالمين)

أمر من الله تعالى لنبيّه باظهار البراءة أوّلاً من الطّواغيت والآلهة المختلفة كلّها وإبراز الولاية لله جلّ وعلا وحده ثانياً وهذه هو معنى كلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» وفيه دلالة على أنّ مشركي مكّة ظلّوا يواصلون إقتراحاتهم للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم في التّساهل والمداهنه والمجاملة معهم، والمشاركة فيماهم عليه من طقوس وتقاليد ... وفيه إياس وإقناط لهم من موافقته لهم في عبادة آلهتهم الموهومة ...

هذا هو موقف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من آيات ربّه الّتي تلقّاها وحياً من ربّه، ثمّ بلّغها كما أمره الله تعالى به إلى النّاس، فاهتدى بها من اهتدى وكفر بها من كفر، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يمثل النّموذج الأمثل والأكمل في الأخذ بآيات الله تعالى والإمتثال لما تأمره به، واجتناب ماتنهى عنه، فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم قد نهي من ربّه أن يعبد مايعبد المشركون من دون الله، وقد اجتنب مانُهِيَ عنه ... قد أُمِرَ أن يعبدالله وحده، ويسلم وجوده لله ربّ العالمين، فامتثل ما أُمِرَ به.

هذه هي سبيل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فمن أراد أن يتّبعه صلّى الله عليه وآله وسلّم فهذه سبيله: أن يجتنب الطّواغيت والآلهة الموهومة وأن يخلص العبادة لله تعالى وحده.

إن تسئل: كيف نهى الله تعالى نبيّه المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن عبادة الآلهة، وهو صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يسجد لصنم قطّ، ولم يوجّه وجهه إلى غيرالله قبل أن تأتيه الرّسالة، إذ كان له من فطرته السّليمة ماعصمه به الله جلّ وعلا من أن يشتهي هذا الطّعام الخبيث الّذي كان يقتات منه قومه المشركون...؟

نجيب عنه: أوّلاً: ليس النّهي عن الشّئ الّذي يَلْزَمُ منه أن يكون الموجّه إليه النّهي مواقعاً له أو متلبساً به، بل يصحّ أن يكون النّهي واقعاً على ذات الشّئ المنهيّ

عنه وحده، أشبه بلافتة تشير إلى الخطر الكامن فيه، وتنبّه إلى الحذر منه فإذا نُهِيَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الشّرك ، فإنّما يُنهىٰ عن أمر ينبغي عليه أن يحذره ويتوقّاه أبداً كما قال الله تعالى: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك» الزّمر: ٦٥).

وثانياً: أنّ هذا النّهي وإن كان موجّهاً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ظاهراً، ولكنّه في حقيقته موجّه إلى كلّ مدعوّ إلى الإيمان بالله جلّ وعلا فمن أراد التّوحيد خالصاً فلينزع ثوب الشّرك أوّلاً، ولينفضّ يديه، ويُخلِ نفسه من كلّ مايصله بتلك المعبودات الباطلة، ثمّ ليدخل بعد هذا إلى ساحة التّوحيد نقيّاً طاهراً من الشّرك ورجسه وهذا معنى كلمة التّوحيد: «لا إله إلّا الله» حيث إنّ التّطهير سابق على الطّهارة والتّخلية مقدّمة على التّحلية.

وثالثاً ورابعاً: ما أشرنا إليهما قبل السّؤال آنفاً فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً.

وقوله تعالى: «لما جآئني البيّنات من ربّي» فيه إشارة إلى أنّ هذا الّذي تلّقاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من نهي عن الشّرك ، وأمرٍ بالإسلام لربّه، إنّما كان بعد بعثته واصطفآئه لرسالة ربّه، وتلقّيه ماينزل عليه من آياته وكلماته ... فهذا النّهي وذلك الأمر إنّما هو من محامل الرّسالة الّتي أُرسل بها من ربّه، وأُمر بتبليغها وإلّا فإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل أن يتلّقىٰ هذه الرّسالة لم يكن منهيّاً عن شيْ أو مأموراً بشيْءٍ، وإنّما كان يأخذ الأمور بما تهديه إليه فطرته، ويدعوه إليه عقله وهذه هي ملّة إبراهيم عليه السّلام حنيفاً.

٦٧ ـ (هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون)

بيان دليل من الدّلآئل على وجوده وعلمه، على تدبيره وقدرته، وعلى عظمته وحكمته، هو خلق الإنسان على أحسن صورة وتكوينه من المبدأ الأوّل من خلقه إلى وقت الشّيخوخة، ورزقه من الطّيّبات ... على سبيل تقرير موجّه عام للمخاطبين في كلّ ظرف بأنّ الله ربّ العالمين الّذي نوهت الآيات السّابقة بمشاهد علمه وقدرته،

بمظاهر تدبيره وحكمته، ودلآئل توحّده وعظمته هوالّذي خلق الإنسان من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ أخرجهم إلى الدّنيا أطفالاً ثمّ يبلغون أشدّهم رجالاً، ومنهم من يتوفّى ومنهم من يفسح في عمرهم، فيصيرون شيوخاً، ويعيشون الأجل المعيّن في علم الله تعالى، وتتاح لهم الفرصة لتدبّر آياته وتعلّقها، وهو الّذي بيده كذلك الحياة والموت، وهو الّذي يوجد كلّ مايريده بمجرد إقتران إرادته بوجوده.

فالمادّة الأولى لأيّ إنسان هي هذا التّراب، إذ كان غذآء أبويه من نبات الأرض المتخلّق من التّراب، وكانت النّطفة متخلّقة من هذا الغذآء، وهذه هي جرثومة الحياة للإنسان ... ثمّ تنتقل هذه النّطفة في الرّحم فتكون علقة، فمضغة فعظاماً، فلحماً يكسو هذه العظام ... حتّى إذا اكتمل الجنين في بطن أمّه، وُلد طفلاً، هو الصّورة المصغرة لهذا الإنسان الّذي سيكون يوم يكبر ويبلغ أشدّه ... هذه هي مراحل الحياة الإنسانيّة ... من التّراب إلى الإنسان ... ثمّ إلى التّراب ...!

وقوله تعالى: «من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة» أتى الثّلاثة منكّرة تنبيهاً على أنّ التّراب الحاصل منه مادّة النّطفة تراب مخصوص، متكيّف بكيفيّة خاصّة، ممتزج مع سآئر العناصر، وأنّ النّطفة الّتي تصير مادّة العلقة تكون نطفة مخصوصة ممتازة عن سآئر النّطف، وكذا العلقة، وفي قوله: «من تراب» إشارة إلى المبدء الأوّل من خلقة الإنسان، وفي قوله: «من نطفة» إشارة إلى تقلّبها المادّة في الأطوار وتدرّجها من حالة إلى حالة ومن خلق إلى خلق ...

وقوله عزوجلّ: «ثمّ يخرجكم طفلاً» عطف وجودٍ ذي خصآئص مميّزة للإنسان على وجود آخر، له خصآئصه ومميّزاته ... فالإنسان في بطن امّه يعيش في عالم، ثمّ ولد، فكان في عالم آخر، يختلف عن عالمه الّذى كان فيه ... فكأنّ هذا الميلاد إخراج جديد له من وجود إلى وجود، ولهذا جآء التّعبير القرآنيّ: «ثمّ يخرجكم طفلاً» بالعطف بـ«ثمّ» الّتي تفيد التّراخي، ثمّ بفعل الإخراج الّذي يدلّ على المغايرة، بين ماكان قبل هذا الإخراج وبعده ...

وقوله عزّوجلّ: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم لتكونوا شيوخاً» في حرف التّراخي دلالة على

أنّ هنا زمناً ممتدّاً بين خروج الإنسان من بطن أمّه طفلاً ثمّ بلوغه أشدّه ... وقوله: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم» تعليل لخروج الإنسان من بطن أمّه، اذ لولا هذا الخروج لمّا بلغ الإنسان هذه الغاية ... وكأنّ النّظم هو: ثمّ يخرجكم طفلاً لتبلغوا أشدّكم ولتكونوا شيوخاً ... وبين بلوغ الإنسان أشدّه وبين شيخوخته مسافة زمنية يملأ فراغها حرف العطف: «ثمّ».

وقوله جلّ وعلا: «ومنكم من يتوفّىٰ من قبل» إحتراس، يراد به تقييد هذا الإطلاق في قوله سبحانه: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً» أي ومنكم من يتوفّى من قبل أن يبلغ أشدّه أو من قبل أن يكون شيخاً.

وقوله سبحانه: «ولتبلغوا أجلاً مسمّى» معطوف على قوله تعالى: «ومنكم من يتوفّى من قبل» بتقدير محذوف يدلّ عليه ما قبله: أي ومنكم من يمدّ في أجله لتبلغوا الأجل المكتوب لكم. وهو النّهاية من الأمد المضروب الّذي لاسبيل للتغيّر إليه أصلاً، وهو غاية عامّة لجميع النّاس كيفما عمرّوا، ولذلك لم تعطف الجملة بـ «ثمّ» حتّى تتميّز من الغايتين المذكورتين سابقاً.

وقوله تعالى: «ولعلّكم تعقلون» هذا غاية خلقة الإنسان بحسب حياته المعنوية، كما أنّ بلوغ الأجل المسمّىٰ غاية حياته الدّنيا الصّورية.

ولا يخفى على القارئ الخبير أنّ الآية الكريمة ومايليها إستمرار للسّياق في صدد البرهنة على علم الله جلّ وعلا وعظمته، على تدبيره وحكمته وعلى عظمته الّتي يراها ذو و البصآئر وعلى إستحقاقه وحده للعبادة والإخلاص له في الدّين والحمد له وحده، ويلفت النّظر إلى ما في أسلوب الآيتين: (٦٧ـ ٦٨) والّتي قبلها من قوّة وروعة وقد وجّه الخطاب فيها إلى العقول والقلوب معاً ممّا من شأنه أن يؤثر في ذوي النّيّات الطّيّبة، والعقول السّليمة والرّغبات الصّادقة، فيجعلهم يدركون ما في عبادة غيرالله من سخف وضلال وإستحقاق الله وحده للعبادة والدّعآء والإعتماد والأسلوب مستمدّ من مشاهدات المخاطبين في نظام الكون ونواميس الوجود، وفي أنفسهم، ومتساوق مع مدركاتهم ...

٦٨ ـ (هوالّذي يحيي ويميت فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقولُ له كنْ فيكون)

هذا من قبيل تعداد النّعم أو تعليل لسابقه، وإشارة إلى نعمآئه تعالى، وذلك أنّ في الإحيآء والإماتة نقل الأحيآء من عالم إلى عالم، وكلّ منهما مبدأ لتصرّفاته بالنّعم الّتي يتفضّل بها على من يدبّر أمره، وزيادة تنبيه على أنّ الله جلّ وعلا هو القادر على الإحيآء والإماتة.

وقوله تعالى: «يحي ويميت» هذا من باب الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويسمّي هذا النّوع من الكلام بالطّباق في علم البديع، فإنّ الإحيآء والإماتة وإن صحّ إجماعهما في المحي والمميت؛ ولكن بينهما باعتبار متعلّقهما أعني الحياة والموت العدم والملكة أو التّضادّ بنآءً على أنّ الموت عرض وجوديّ، فالتّنا في بينهما إعتباريّ.

وقوله عزّوجلّ: «فإذا قضىٰ أمراً ...» في الفآء دلالة على أنّ ذلك نتيجة لمّا سبق، من إختصاص الإحيآء والإماتة به تعالى فكأنّه قال: فلذلك الإقتدار إذا قضى أمراً تيسّر له ولم يمتنع عليه، وكان أهون شيءٍ وأسرعه عنده جلّ وعلا.

وقوله سبحانه: «فإنّما يقول ...» هذا تمثيل لتأثير قدرة الله عزّوجلّ في مقدوراته حين تعلّق إرادته بوجودها وتصوير سرعة ترتّب المكوّنات على تكوينه من دون أن يكون هناك آمر ومأمور، فهو الّذي يوجد كلّ مايريده بمجرّد إقتران إرادته بوجوده، وفيه إشارة إلى أنّ الإحيآء والإماتة ليسا من الأشيآء التّدريجيّة، بل هما من الأمور الدّفعيّة المتوقّفة على أمر «كن» فقط وذلك أنّ الحياة تحصل بتعلّق النفس النّاطقة بالبدن، والموت يحدث من قطع ذلك التعلّق، وكلّ من الأمرين يحصل في آن واحد.

فعمليّات الإحيآء والإماتة ليست بالأمر الّذي يتكلّف له الله جلّ وعلا جَهْداً أو يبذل فيه عملاً، فإنّ كلّ شيءٍ في هذا الوجود خاضع لسلطانه، مستجيب لقدرته، منفذ لمشيئته، من دون تأبٍّ ولا توقّف، فإذا شآء أمراً كان هذا الأمر، وجآء كما شآئت مشيئته ...

٦٩ ـ (ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يُصْرَفون)

عود على بدءٍ ممّن جادل في آيات الله وشكّ فيه وهو يرى هذا الكون ونواميس الوجود في نظامه وإنسجامه وإستمراره وفي جميع أشيآئه ومحتوياته ... كيف غفل وجهل وذهل عن ذلك كلّه؟!

وجه الخطاب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ألم تر» أو إلى السّامع إطلاقاً بأسلوب قصد به استثارة تعجّبه من إنصراف الكفّار عن آيات الله جلّ وعلا ومكابرتهم فيها، ومن أحوالهم الشّنيعة وآرآئهم الرّكيكة ... وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكلّ القرآن الكريم، وبسآئر الكتب السّماويّة والشّرائع الإلهيّة، وترتيب الوعيد على ذلك كما أنّ ماسبق في قوله تعالى: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله»: ٥٦) كان بياناً لإبتنآء جدالهم على مبنىً فاسد لايكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه.

وقوله تعالى: «يجادلون في آيات الله» في تعدية الفعل بحرف الجر: «في» إشارة إلى أنّهم يجادلون بغير علم، بغياً ولجاجة، سفهاً وتطاولاً، ولهذا ضمن الفعل معنى الخوض.

وقال بعض المعاصرين: «والتّعرّض لحال المجادلين ههنا من حيث الإشارة إلى كونهم مصروفين عن الحقّ والهدىٰ ومآل ذلك، وفيما تقدّم من قوله: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه» من حيث إنّ الدّاعي لهم إلى ذلك الكبر وأنّهم لايبلغون مايريدون فلا تكرار. ومنه يظهر مافي قول بعضهم: إنّ تكرير ذكر المجادلة محمول على تعدّد المجادل بأن يكون المجادلون المذكورون في الآية السّابقة غير المذكورين في هذه الآية أو على اختلاف مافيه المجادلة كأن يكون المجادلة هناك في أمر البعث وههنا في أمر التّوحيد على أنّ فيه غفلة عن غرض السّورة كما عرفت» انتهى كلامه.

٧٠ ـ (ألم تر إلى الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون)

تقرير لبعض أوصاف المجادلين ومآل أمرهم، وتهديدلهم بما يحلّ بهم من وبال تكذيبهم كتاب الله ورسله، وما أرسلهم به من رسالة الحقّ والهدىٰ، وفي إيثار

الماضي دلالة عى التحقّق كما أنّ صيغة المضارع في الصّلة الأولى دلالة على تجدّد الجدال وتكرّره مادامُوا على الكفر والعناد، وعلى البغي واللّجاج ...

وقوله تعالى: «فسوف يعلمون» تفريع على مجادلتهم وتكذيبهم، وتهديد لهم، بما يحلّ بهم من العقاب بسبب جدالهم في آيات الله جلّ وعلا وتكذيبهم بالكتب السّماوية والرّسل الإلهيّة ... فكلّ هؤلآء وهؤلآء من السّابقين والآتين سوف يعلمون ما ينتظرهم من بأس الله وعذابه، وسوف يرون ما أنذرهم به رسلهم من عذاب ونار.

٧١ ـ ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسّلاسلُ يُسْحَبُون﴾

في إيثار «إذ» وهو للماضي دلالة على تحقق الوقوع، وإن كان موقعه المستقبل، فلا تنافي الجمع بين «سوف» و«إذ» وفي الآية الكريمة إنذار قويّ رهيب من شأنه إثارة الرّعب والنّدم والإرعِوآء، ببيان ماسوف يلقونه يوم القيامة من نكال وعذاب وخزي وخذلان ...

٧٢ ـ ﴿في الحميم ثمّ في النّار يسجرون﴾

في كلمة «في» إشعار بإحاطة المآء الّذي انتهت حرارته لجميع جوانبهم كأنّهم في عين الحميم أو باحاطة حرارة النّار بهم ويسحبون فيها كقوله تعالى: «يوم يسحبون في النّار على وجوههم» القمر: ٤٨) فالمعنى أنّهم في النّار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بها مملوّة أجوافهم منها، فهم يعذّبون مرّة بالماء الشّديد الحرارة، ومرّة أخرى بالنّار الّتي انتهت حرارتها، فيربطون عليها لتشوي عليها أجسامهم بعد أن غرقت في الحميم.

٧٣ ـ ﴿ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون﴾

سئوال تبكيت على سبيل التقريع والتّوبيخ بهم عن آلهتهم الّتي كانوا يعبدونها لايلام قلوبهم كايلام أبدانهم بالتّعذيب، وفي إيثار الماضي دلالة على التّحقّق، فكأنّه قيل بالفعل، وذلك لتقرير وقوعه وتوكيده، ثمّ ليسمع هؤلآء المشركون ماقيل لمن سبقوهم من أهل الضّلال والعناد ... فهذا خبر من أخبارهم وحكاية لما يقال

لأصحاب النّار يومئذٍ. فالمعنى: أي أين شركآئي الّذين كنتم تشركونهم بي في العبادة أو في الوجود أو في الإيجاد والتدبير؟!

٧٤ ـ (من دونِ الله قالوُا ضلّوُا عنّا بلْ لمْ نكُنْ ندعوُا من قبْل شيئاً كذلك يُضِلّ الله الكافرين)

بيان لجواب المشركين حين سئلوا عن معبوداتهم الّذين كانوا يعبدونها من دون الله، فيلتفتون فلايجدون لهم ظلاً، فيقولون: لقد ضلّوا عنّا أي تاهوا في هذا المزدحم ... وفيه تذكّر ماسوف يوجّه إليهم من التّنديد والتّقريع ماسوف يكون منهم من النّدم والحسرة الإعتراف بما كانوا من ضلال، وفيه أيضاً تطمين لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين وتسلية لهم بما سوف يكون من مصير المكذّبين المكابرين وجسرتهم وندمهم.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «ضلّوا عنّا» في إيثار صيغة الماضي دلالة على التّحقق. وقولهم: «بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً» إضراب منهم عن الجواب الأوّل لما يظهر لهم أنّ الآلهة الّذين كانوا يزعمونهم شركآء لم يكونوا إلاّ أسمآء لامسمّيات لها، ومفاهيم لايطابقها شيئ، ولم يكن عبادتهم لها إلاّ سدى، أو تأكيد لما قبله كما تقول: حسبت أنّ فلاناً شيئ فإذا هو ليس بشيئ، وليس هذا إنكاراً لعبادة الأصنام، بل هو إعتراف منهم بأنّ عبادتهم للأصنام كانت باطلة، وذلك أنّه لمّا تبيّن لهم أنّ ماكانوا يدعونه من دون الله باطل وضلال يقولون: «لم نكن ندعوا...» هي حال المشركين الّذين سبقوا هؤلآء المكذّبين من مشركي مكّة، وهذا ماسئلوا عنه، وذلك هو جوابهم ...

فماذا يكون جواب مشركي مكّة حين يسئلون هذا السّئوال؟ أيجدون مايقولون غير هذا القول؟ وهل يرون لمعبوداتهم وجهاً يوم الحساب؟ وإذا رأوا لهم وجهاً فهل يغنون عنهم من عذاب الله من شيئ؟؟؟

وقوله تعالى: «كذلك يضلّ الله الكافرين» تعليق الحكم على الوصف للإشعار بعلّيّة الوصف في الحكم، فالّذين بيّتوا على الكفر وتعمدوا الجحود والمكابرة

لا يوفقهم الله ولا يسعدهم.

٧٥ ـ (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)

خطاب لكلّ من اتّصف بالكفر والشّرك والضّلالة والجدال في آيات الله تعالى، وإشارة إلى ما هم فيه من بلآء وعذاب، وبيان لسبب البلآء والعذاب على سبيل التّوبيخ لهم أي ذلكم العذاب الّذي أنتم فيه هو بسبب كونكم تفرحون في الأرض بغير الحقّ من اللذّات العاجلة، وبسبب كونكم تفرحون في الفرح، وذلك لتعلّق قلوبكم بمتاع الدّنيا وزخارفها، ومعاداتكم لكلّ حقّ يخالف باطلكم، فتفرحون وتمرحون باحيآء باطلكم وإماتة الحقّ واضطهاده وفي العدول إلى الخطاب مبالغة في التّوبيخ.

وقوله تعالى: «بغير الحقّ» قيد للفرح تنبيهاً على أنّ الفرح المذموم هو الفرح الّذي ينبع من إسترضآء عواطف خسيسة، واشباع شهوات بهيمية وأمّا الفرح الّذي يقع في نفس الإنسان ويهزّ مشاعره من إنتصار الحقّ أو إستعلآء على شهوة فهو فرح محمود بل ومطلوب كما قال تعالى: «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله» الرّوم: ٤ ـ ٥) وقد أطلق المرح حيث إنّ المرح لا يكون إلّا باطلاً.

٧٦ ـ (ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

دعوة لأهل الكفر والضّلال وأهل الشّرك والجدال إلى نزول منازلهم الّتي أعدّت لهم في نار جهنّم، فلكلّ جماعة منهم بابها الّذي تدخل منه إلى منزلها المعدّلها، ودخول الأبواب هو دخولهم في جهنّم ذاتها إذ كانت الأبواب قطعة منها مطبقة على أهلها مخلّدين فيها لاانقطاع لكونهم فيها ولانهاية لعقابهم لأنّهم كانوا مصمّمين على البقآء على الكفر والضّلالة، ومصرّين على الشّرك والجناية لوكانوا مخلّدين في الحياة الدّنيا، ولانهاية لحياتهم فيها، فيجازون على نيّاتهم ...

وقوله تعالى: «فبئس مثوى المتكبّرين» فيه تعليق الحكم على الوصف، ولهذا لم يقل: «مثواكم» فيشمل الحكم لكلّ من اتّصف بالتّكبّر في كلّ ظرف.

٧٧ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أونتوفينّك فإلينا

يرجعون)

تفريع على مآل أمر المتكبّرين المكابرين في آيات الله جلّ وعلا وهو نارجهنّم وخلود هم فيها على سبيل الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته بالصبر على مايراه منهم من عنت وإيذآء، من مكابرة وعناد، ومن تكذيب وإيحاش إلى إنجاز الوعد بالنّصرة، وتطمين له صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ وعد الله تعالى فيهم حقّ محتم التّحقيق سوآء أعاش حتّى يراه بعينه أم مات قبل ذلك، وتقرير بأنّهم على كلّ حال سوف يرجعون إليه وهو القادر عليهم في كلّ آنٍ.

وفي الدّعوة إلى الصّبر مع كلّ موقف، وفي أعقاب كلّ مواجهة بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمتكبّرين إشارة إلى ماكان يلقى النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من أذى ومايحتمل من ضرّ، وأنّه ليس له إلّا أن يصبر، ويحتمل حتّى يحكم الله بينه صلّى الله عليه وآله وسلّم وبينهم، وقد أمرالله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّبر تأنيساً له، وإلّا فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم في غاية الصّبر، ولدعاة الدّين والمصلحين فيه صلّى الله عليه وآله وسلّم أسوة حسنة.

وقوله تعالى: «إنّ وعدالله حقّ» إخبار بأنّ ماوعده من النّصر والظّفر وإعلآء كلمته وإظهار دينه حق، بشارة للمؤمنين به لهم من ناحيته صلّى الله عليه وآله وسلّم بإخباره تعالى.

وقوله تعالى: «فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم» من العذاب في حياتك فذاك وإنّما قال: «بعض الّذي نعدهم» لأنّ المعجّل من عذابهم في الدّنيا هو بعض ما يستحقونه. وفيه وعيدهم بعذاب الدّنيا كما أنّ في قوله تعالى: «أو نتوفّينّك فإلينا يرجعون» وعيدهم بعذاب الآخرة.

٧٨ ـ (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسولٍ أن يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذنِ الله فإذا جآء أمرُالله قضيَ بالحقّ وخسر هنالك المبطلون)

بيان من أحوال الرّسل السّابقين تسلية للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وتنبيه

موجّه إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى سنّة الله في المرسلين من قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد أرسل الله تعالى من قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم رسلاً كثيرين منهم من قصّ عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبارهم، ومنهم من لم يقصّها، وأنّ سنّة الله جرت على أن لايأتي أحد من رسله بآية ممّا يتحدّاه به الكفّار أو فيها عذاب الله إلّا باذنه، وحيثما تقتضيه حكمته، فلم يفوّض أمرها إلى رسول من الرّسل، بل كان يأتي بها مَن يأتي منهم بإذن الله تعالى، فحالك يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حال هؤلاء المرسلين من قبلك، ومن الممكن أن نأذن لك في الإتيان بها، فنريك بعض مانعدهم، أو نتوفّاك فلا نريك، وأنّ الّذي عليه هو إنتظار أمرالله تعالى وقضآئه، فإذا ماجآء كان النّصر للحقّ وأهله، وكان الخسران للباطل وأصحابه ...

ولايبعد أن يكون في الآية الكريمة ردّ على تحدّيات المشركين المكابرين بانزال العذاب الّذي أوعدوا به إذ كانوا يقولون فيما حكاه القرآن الكريم عنهم: «أللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّمآء أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢) كما أنّ فيها دفعاً لما يساور بعض نفوس المؤمنين من قلق حتّى إنّهم كانوا يقولون تحت وطأة البلآء الواقع عليهم من المشركين: «متى نصرالله»؟ البقرة: ٢١٤) أو جواب على ماكان يقوم في ذهن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو المؤمنين من تسآؤل عن موعد تحقيق وعيدالله تعالى فيهم أو رجآء باحداث آية تقنعهم أو ترهبهم حتّى ينتهوا عن موقف عنادهم وجحودهم.

وقوله تعالى: «وخسر هنالك» إسم مكان استعير للزّمان أي وقت رؤيتهم البأس.

٧٩ ـ (الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون)

في مقام التّعليل أو في مقام تعداد النّعم وتذكير المشركين بنعم الله جلّ وعلا فيهم وإحسانه إليهم، وأنّه جلّ وعلا ـ لا أصنامهم وآلهتهم المنحوتة ـ هو الّذي سخّرلهم هذه الأنعام ليركبوا منها مايركبون، ويأكلوا منها مايأكلون، فالآية عودة إلى خطاب المشركين ولفت نظرهم إلى بعض أفضال الله عليهم منطوية على التّنديد: بجحودهم

ومكابرتهم، مع أنّ اسلوبها ومايليها من الآيتين يخاطب النّاس بآيات الله ومشاهد كونه ونواميس خلقه بما يتّسق مع واقع مدركاتهم ومشاهداتهم وممارساتهم، إستهدافاً لإثارة ضمآئرهم وتنبيههم إلى مايتحقّق لهم من أفضال الله ومنافع ما أوجده في كونه.

وقوله تعالى: «لتركبوا منها ...» تفصيل لما دلّ عليه اللاّم في «لكم» إجمالاً، ولفظ «من» لإبتدآء الغاية، ومعناها إبتدآء الرّكوب والأكل منها أي تعلّقهما بها، فيكون من هذه الأنعام ركوبكم، ويكون منها أكلكم ... بمعنى أنّ هذه الأنعام مادّة صالحة للرّكوب كما هي مادّة صالحة للأكل .. كالإبل مثلاً. أو «من» للتّبعيض أي لتركبوا بعض هذه الأنعام وتأكلوا بعضها.

إن تسئل: لماذا قال تعالى: «لتركبوا منها» ولم يقل «لتركبوها» كما قال: «والخيل والحمير والبغال لتركبوها» النّحل: ٩٨)؟

تجيب عنه: انّ الأنعام هي الخيل والحمير والبغال والإبل والبقر والغنم والماعز وهي قسمان: قسم للرّكوب، وقسم للأكل، فكأنّه قال: «لتركبوا قسماً منها وهو الخيل والبغال والحمير والإبل، وقسماً منها تأكلون وهو الغنم والبقروا الماعر والإبل.

٨٠ - (ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون)

إشارة إلى فوائد اخرى لهذه الأنعام غير الرّكوب وغير الأكل فيما ينتفع به من ألبانها وأصوافها وأوبارها وجلودها ... وفيما يتحقّق به الإنسان من اقتنآئها وتربيتها وتثميرها من آمال وغايات ورغآئب في صدره، فيقتني من ثمنها مايشآء من أثاث ومتاع ... وفي تعدية الفعل: «تبلغوا» بحرف الإستعلاء: «على» إشارة إلى أنها المطية إلى تحقيق هذه المطالب ...

وإشارة إلى ماسخّر لهم كذلك الفلك في البحر لتحملهم أيضاً بالإضافة إلى الأنعام ويقضوا بذلك حاجاتهم ومنافعهم، وماينتفع بها الإنسان في شتّى وجوه النفع وقضآء الحاجات ...

وقوله تعالى: «وعليها وعلى الفلك تحملون» كناية عن قطع البرّ بالأنعام وقطع

البحر بالفلك، وفيه إشارة اخرى إلى ماينتفع به من هذه الأنعام وهي حمل الأثقال، وقد قُرِنت بها الفلك الّتي هي نعمة أخرى في حمل الأثقال والنّاس إلى أماكن بعيدة فوق ظهر المآء الّذي لاسبيل إلى اجتيازه بالإبل أو الخيل وما إليها من دوابّ الرّكوب ... فهذه للبرّ وتلك للبحر ... و هكذا تتمّ النّعمة على النّاس!

إن تسئل: لماذا قال تعالى: «وعلى الفلك تحملون» ولم يقل: «وفي الفلك تحملون» كما قال: «قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين» هود: ٤٠)؟

تجيب عنه: إنّ معنى الوعآء ومعنى الإستعلآء كلاهما صحيح في الفلك لأنّه وعآء لمن يكون فيه، وحمولة لمن يستعليه، فلمّا صحّ المعنيان إستقامت العبارتان معاً.

٨١ ـ (ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون)

خطاب توبيخيّ للكافرين المكابرين في كلّ ظرف، على كفرهم بالله جلّ وعلا وعلى جدالهم في آيات الله الباهرة، وعلى إنكارهم قدرته تعالى على البعث والنّشر والحساب والجزآء ... فالمعنى: فأيّ آية من آيات الله الباهرة الدّالّة على وجوب وجوده وغاية علمه وحكمته، على تدبيره وقدرته، وعلى فضله واحسانه ... الّتي يريكم إيّاها عياناً وبياناً في كلّ آنٍ لامجال لإنكارها ترون أنّها ليس من عندالله وأنّها ليست ذات قدرعظيم عليكم فتكفرون بالله وتشركون به سبحانه وتكذبون برسله وتنكرون البعث والجزآء؟

ولا يبعد أن تكون الجملة: «ويريكم آياته» غير مقصودة لنفسها حتّى يلزم التّكرار بل هي توطئة وتمهيد للتّوبيخ الّذي في قوله تعالى: «فأيّ آيات الله تنكرون» وفي كلّ آية آيات ربّانية أقوى من أن تنكر، وأسطع من أن تجحد!

ولايخفى على القاري الخبير: أنّ إنكار آية من آياته جلّ وعلا يكون تارة بجحدها أصلاً كما يقال: دليل المنكر حرف النّفي: «لا» ويكون تارة بجحد كونها دالّة على صحّة ماهي دالّة عليه. والخلاف في الدّلالة يكون من وجوه ثلاثة: **الأوّل:** في صحّتها في نفسها. **والثّاني:** في كونها دلالة. **والثّالث:** فيهما معاً. ويتمكّن الجهّال أن يدفعوا الآية بالشّبهة مع قوّة الآية وضعف الشّبهة لأمور: منها۔ اتباع الهوى ودخول

الشّبهة الّتي تغطي الحجّة بحيث لايكون لها في النفس منزلة. ومنها- التقليد لمن ترك النّظر في الأمور. ومنها- السّبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمتنع ذلك من توليد النّظر للعلم.

٨٢ - (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثَرَ منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون)

تساؤل إستنكاري عمّا إذا كان كفّار العرب لم يسيروا في الأرض وهم أهل سفر إلى الشّام واليمن ...؟! ولم يشاهدوا آثار عذاب الله تعالى في أمثالهم من الأمم السّابقة؟! تنبيهاً إلى موقف مشركي مكّة الجدلي والعنادي! وبيان لحالة هذه الأمم: بأنّهم كانوا أكثر منهم عدداً وأشدّ قوّة وأوسع آثاراً وتمكّناً في الأرض، فلم يغن ذلك كلّه عنهم شيئاً، ولقد اغترّوا بما كانوا عليه من كثرة وغنى ... تذكيراً وتحريضاً لمشركي العرب وحملهم على الإرعوآء والإعتبار بما كان من أمر أمثالهم الّذين كانوا أقوى وأغنى منهم.

وقوله تعالى: «كانوا أكثر منهم ...» مستأنف سيق لبيان مبادي أحوالهم وعواقبها...

وفي الآية الكريمة تهديد للكافرين المكابرين، وزيادة توبيخ لهم بعد هذا العرض الّذي رأوا فيه آيات الله تعالى وما أمدّهم به من نعم ... وعطف لأنظارهم إلى ماجرى من سنّة القضآء والحكم في الأمم الماضية ... فكما أنّ لله عزّوجلّ نعمه وفضله وإحسانه، كذلك له جلّ وعلا نقمه وسطواته بالمكذّبين الجاحدين ... ولو أنّه كان لهؤلآء الكافرين المعاندين عيون تبصر، وعقول تعقل لرأوا ما أنزل الله تعالى من بلآءٍ ونقم بالمكذّبين الضّالين قبلهم ... وقد كانوا أكثر منهم مالاً و ولداً، وأشدّ منهم قوّة وبأساً، وأعظم منهم آثاراً وعمراناً في الأرض.

وقد صدّرت الآية الكريمة بفآء التّفريع، فقيل: «أفلم يسيروا» مع الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة، وكأنّ الكلام تفريع على قوله: «فأيّ آيات الله تنكرون» فكأنّه جلّ وعلا لمّا ذمّهم وأنكر إنكارهم لآياته رجع وانصرف عنهم إلى نبيّه صلّى الله عليه

وآله وسلّم مشيراً إلى سقوطهم من منزلة الخطاب، وقال: إذا كانت آيات الله عزّوجلّ ظاهرة بيّنة لامجال لإنكارها، من جملتها ما في آثار الأمم الماضية من الآيات النّاطقة، وهم قد ساروا في الأرض وشاهدوا، فلِمَ لم ينظروا فيها فيتبيّن لهم أنّ الماضين مع كونهم أقوى من هؤلآء كمّا وكيفاً لم ينفعهم مافرحوا به من علم وقوة.

٨٣ ـ (فلمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن)

تقرير لحال الكفّار المجادلين الماضين بعد إتيان رسلهم بالبيّنات والمعارف الحقيقيّة والعلوم الإعتقادية، وبيان لشدّة إعجابهم بماكسبوا من الخبرة والعلم الظّاهري والإصطلاحات الواهيّة الخادعة ممّا وقع في قلوبهم وشغل أنفسهم من زينة الحياة الدّنيا، وفنون التدبير للظفر بها، وبلوغ زخارفها، ونيل لذائذها وانهماك شهواتها ... وإنجذابهم إليه الموجب لإعراضهم عن الوحي السّماوي والمعارف الحقيقيّة والأسرار والحِكم الّتي جآئت بها رسلهم، واستهانتهم بها ولسخريتهم لها، ولذا عقّب فرحهم بما عندهم من العلم بقوله جلّ وعلا: «وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن».

٨٤ ـ (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين)

بيان لأحوال الكفّار الماضين بعدرؤيتهم بأس الله تعالى وشدّة بلآئه ونزول عذابه يحل فيهم فاضطربوا فأظهروا النّدم وأعلنوا إيمانهم بالله تعالى وحده ونبذوا ماكانوا يشركونهم معه الشّركآء فعندئذٍ صاروا كهرّة عابدة!

٨٥ ـ (فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوبأسنا سنّت الله الّتي قدخلت في عباده وخسر هنالك الكافرون)

عرض لموقف الكافرين المكابرين الضّالّين جميعاً حين فات بهم الأوان، وذهبت الفرصة، ويرون بأس الله يحيط بهم يؤمنون، وأنّهم حين كانوا في أمان وفرصة كفروا بالله تعالى وبرسله واليوم الآخر جادلوا في آيات الله ... كيف وهل يجتمع الإيمان ويستقيم مع الضغط والقوّة القاهرة؟!

وفي الحديث: «لايستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه» فالعقل والنّاس والطّبيعة أنّ الإيمان لايكون ولن يكن إلاّ بإرادة مختار للإيمان، أمّا إرادته حين العذاب ومعاينة البأس والموت فهي إرادة الخلاص من العقوبة، والفرار من النّقمة، ولاصلة لها بالإيمان من قريب أو بعيد، فإنّ الإلجآء ينافي التّكليف، وفيه دليل قاطع على أنّ الإيمان لاينفع عند الإلجآء ولا التّوبة عند نزول العذاب.

وقوله تعالى: «سنّة الله» بمنزلة «وعدالله» ونحوه من المصادر المؤكّدة، بيان حكم عام لكلّ كافر معاند مقيم على كفره. والمعنى: ان سنّتنا الجارية في جميع الكافرين أن لا تقبل منهم التّوبة حين رؤية البأس، ولا الإيمان عند الإضطرار ومعاينة العذاب وفوت الأوان.

وقوله عزّوجلّ: «وخسر هنالك» إسم مكان، مستعار للزّمان، وقد خسروا وقت رؤيتهم بأس الله بسبب كفرهم بالله تعالى ورسله واليوم الآخر، وجدالهم في آياته بغير حقّ.

وفي الآية الكريمة تهديد لكلّ من اتّصف بالكفر، وفات عليه الفرصة أن يحلّ فيهم الخزي والخسران، وهذه سنّة الله الجارية في عباده من دون تبدّل ولا تغيّر.

ولايخفى على القاري الخبير: أنّ ترادف الفاءات الأربع في الآيات الأربع الأخيرة: «فما أغنى عنهم- فلمّا جآئتهم- فلمّا رأوا بأسنا- فلم يك»: ٨٢- ٨٥) لترتيب الأخبار وتعاقب المعاني من دون تراخ.

ومن المحتمل أنّ تكون الفاء في «فما أغنىٰ» نتيجه قوله: «كانوا أكثر منهم» وفي «فلمّا جآئتهم» جار مجرى البيان والتّفسير لقوله: «فما أغنىٰ» وفي «فلمّا رأوا بأسنا» تابع لقوله: «فلمّا جآئتهم» كأنّه قال: فكفروا ... كقولك: رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقرآء ... وقوله: «فلمّا رأوا بأسنا» وكذلك «فلم يك» تابع لإيمانهم بعد رؤية البأس. مع احتمال أن تكون الفآء في «فلمّا جآئتهم» و«فلما رأوا بأسنا» سببيّة. فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

﴿الإعجاز﴾

ومن غير مرآء أنّ من وجوه إعجاز القرآن الكريم هو قصصه بأساليب متنوّعة قوية رائعة تخاطب لفطرة الإنسان، إذ كانت القصّة أوّل رفيق صحب آدم عليه السّلام أبا البشر قبل خطواته الأولى على هذا الكوكب الأرضي، فآنس وحشته و وصل مابين عالمه، المائج في كيانه، وبين الطّبيعة وماورآئها، وهو السّابح دآئماً في لججهما، التائه في مسالكهما ودروبهما ... وأنّ القصّة أقدم ماعرف آدم عليه السّلام من تصوّرات عقله، وصيد خواطره وطوارق أحلامه وهواجس رؤاه ...

وقد بدئت حياة آدم وزوجته حوّآء في الجنّة بالقصّة الّتي كانت هي أقوى قوّة دفعتهما إلى تحريك لسانهما، وإيقاظ ملكاتهما، واطلاق جميع القوى الكامنة فيهما بحثاً عن الكلمات الّتي يضعانها على شفتيهما ليصوّرا بها هذه الأهوال الّتي تضطرب في أعماقهما، وتملأ مسارب تفكيرهما، والّتي تولّد منها ماعُرِف فيا بعد بإسم «القصّة».

وإنّ القصص القرآنية وإن كانت سماوية المتنزّل فإنّها تمثل على أرض البشر ليعيش فيها بنوآدم ويسكنوا إليها ويتجاوبوا معها، وينفعلوا بها، ويتلقوا العبرة والعظة منها، ولذلك كانت القصص القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للنّاس في أحداثها وأشخاصها وأماكنها وأزمانها .... لايستطيع أحد أن ينكر منها شيئاً، ولايبعد عليه منها شيئ ... فهي وإن تكن قد ذهب أشخاصها وبَعُدَ زمانها واندثر مكانها إلّا أنّها بمشهد من النّاس ومحضر، حيث يرون أشباهها في كلّ ظرف.

وما جآئت القصص القرآنية إلّا لترفع لأبصار النّاس وبصآئرهم شواهد من

تاريخ الإنسانية، متماثل فيه مواقفها، وتتشابه طوائفها، فالنّاس هم النّاس، تحكمهم نوازع، وتتحكم فيهم طبائع، وينتظمهم وجود تجري عليه سنن الخالق جلّ وعلا: «سنّة الله في الّذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً» الأحزاب: ٦٢) «سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنّتنا تحويلاً» الاسرآء: ٧٧).

ومن البداهة لأهل البلاغة والبيان: أنّ في القصص القرآنية كثيراً من الخوارق الّتي تطلع بين أحداث القصّة، فتحدث دوياً هآئلاً، وتثير زلزلة عاتية، ينقلب بها وجه الأحداث، ويتحوّل سيرها أو يتوقّف! وأنّ هذا الخارق الّذي دخل على أحداث القصّة، ليس من تدبير الإنسان، ولا من عمل الطّبيعة، وإنّما هو من تدبير الخالق المتعال، ومن تقديره.

ومن القصص الواردة في هذه السّورة: «المؤمن» على سبيلى الإجمال والتّفصيل هي قصّة رجل مؤمن من آل فرعون: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون- وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد»: ٢٨- ٤٤).

فانظر إلى الموقف الّذي كان بين الرّجل المؤمن البطل، وفرعون كبير الطّغاة الّذي اعتزم على قتل موسىٰ عليه السّلام حينما نصره المؤمن فريداً، وحماه وحيداً، ومنع قوم فرعون من قتله، وجادلهم بالّتي هي أحسن، و وبخّهم على سوء نيّاتهم و بطلان عقآئدهم، فساد أقوالهم وأعمالهم ... وهدّدهم بمثل يوم الأحزاب وبنار جهنّم، ثمّ أعلن لهم إيمانه بعد كتمانه، وردّ- غير مباشر- مقالة فرعون رئيس البغاة «وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد» ٢٩) بقوله المحكم المتين خطاباً لقومه: «يا قوم اتّبعوني أهدكم سبيل الرّشاد»: ٣٨) من دون أن يرى لشوكة فرعون وسطوة قومه قدراً ولا خوف من ظلم فرعون، ولا هضم قومه المستكبرين: «ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلماً ولاهضماً »طه:١١٢)وذلك أنّ الرّجل البطل كان مطمئناً بأنّ الله جلّ وعلا ينصر مَن نصر دينه، ويغلب المؤمن حقّاً على عدوّه،وكان معتقداً بأنّه يعلو ولا يعلىٰ عليه، وليس للكافر الطّاغي فرعون ولا مردته الباغين عليه سبيل: «ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل عمران: ١٣٩) «ولن يجعل الله

للكافريـن على المؤمنين سبيـلاً» النّساء: ١٤١) «فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» ٤٥).

ولعمري: إنّ صلابة الرّجـل المؤمن في الدّين، وجهاده في سـبيل إعلآء كلمة الله تعالى، وقيامة على فرعون كبير الطّغـاة وقومه درس لعلـمآء الدّين وللدّعاة والمصلحين في كلّ ظرف، وهو حجّة عليهم في كلّ زمان ويوم القيامة.

فانظر إلى هذه القوّة الغيبيّة الخارقة .. إنّها تجيءُ على غير أيّ تقدير يقدره النّاس، وعلى خلاف أي حساب يحسبـونه ... فتـتحكم في الموقف وتصرّفـه على الوجه الّذي تـريد، دون أن يملك أحدلها دفـعـاً أو يعرف له معهـا حساباً ... إنّها هي الّتي تملي إرادتها دون توقف على قبول أو رفض من أحد.

ومن وجوه إعجاز السّورة: أنه جآء الـنّظم فيها على غير النّسق الّذي تقضـيه النّظم الكلامي في تقـديرنا... إذ بدأ الرّجـل المؤمن البطل بما يدعوهم إليه: «أدعوكم إلى النّجاة وتدعـونني إلى النّار»: ٤١) وكان مقتضى النّظم الكلامي أن يقول بعد هذا: «وأدعوكم إلى العزيز الغفّار وتدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم ...» ولكن جآء النّظـم القرآني على تـلك الصّورة المعجزة الّتي جمعـت بين دعوتهم في نسق واحد هكذا: «تدعونني إلى النّار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم».

ثمّ كان من هذه الصّورة المعجزة من النّظم أن بُدئت وختمت بالدّعوة الّتي يدعو بها المؤمن إلى الإيمـان ... هكذا: «أدعـوكم إلى النّجـاة ... وأنا أدعوكـم إلى العزيز الغفّـار» ثمّ كـان منها ـ كذلك ـ أن سوّت بـينه وبينهم، فـقدّم نفسه أوّلاً ثمّ قـدّمهم ثانياً ... هكذا: «أدعوكم إلى النّجاة ... وتدعونني إلى النّار» «تدعونني لأكفر بالله وأشرك به مالـيس لي بـه علم ... وأنا أدعوكـم إلى العزيز الغـفّار» هذا ماينـكشف من هذا الـنّظم لـلنّظـرة الأولى ... و ورآء هذه النّظرة نظرات ومـعطيـات لاحدود لها ...

ومن الأنبآء الغيبيـة الّتي جآء بها القرآن الكريم، هو الأنـبآء عن قصص الأوّلين من الأنـبيآء والمرسلين، من دون إنحطـاط عن الكلام الجزل بأبلغ كلام، وبتناسق

لايعرف له مثيل، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن المجيد لأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ماكان كاتباً ولا قارئاً، ولا عرف عنه أنّه يجلس إلى أحبار اليهود ورهبان النّصارى، ثمّ جآئت هذه القصص في القرآن الكريم: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» ٧٨) «تلك من أنبآء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا» هود: ٤٩) ومن قصص القرآن الكريم قصّة الرّجل المؤمن البطل وفرعون كبير الطغاة، ولم يقصد بها تاريخ المؤمن ولا تاريخ فرعون وقومه، وإنّما المقصود بها مافيها من دروس وعِبَر، فيها هدى وعظة لكلّ داع إلى الحق، ولكلّ مدعوّ إليه، وفيها إعلان للنّاس في كلّ ظرف أنّ الله عزّوجلّ في القديم كان يجازي المستقيم على إستقامته، ويعاقب الشّرير على شرّه، ويخذل من يدّعي العلم ولايعمل به، ويشتري به ثمناً قليلاً، ويريد عيش الدّنيا، ولايريد حياة الآخرة.

ومن وجوه إعجاز السّورة: إشتمالها على أنباءٍ غيبيّة صدقتها الحوادث ... منها أنّ الله عزّوجلّ وعد النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين سينصرهم على أعدآئهم: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا»: ٥١) نزلت هذه الآية الكريمة بمكّة المكرّمة يبيت فيها المؤمنون، ويصبحون قآئلين: هل يأتي علينا زمن نؤدّي فيه شعآئرنا آمنين مطمئنين على حياتنا، ولم يلبثوا طويلاً أن جآء ذلك الزّمن وتحقّق مؤدّى الآية ونظيرها ... وانتصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على جميع أعدآئه وانتشر الإسلام وعمّ نوره.

إنّ هذه الآية الكريمة من أقوى الدّلآئل على أنّها وحي سماويّ، وإلّا فمن يستطيع أن يؤكّد أنّ رجلاً يتصدّي لأمّة برمتها يطعن في ديانتها ويحقر من آلهتها، ويسلم بنفسه رغم أنّه كان هدفاً لأذى المشركين، وقد استهدفت الآية تطمين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتثبيت المؤمنين، وبعث الأمل والوثوق في نفوسهم إزآء مايلقونه من عنت الكفّار وبغيهم ... وقد كانت الآية ونظيرها من عوامل ماكان من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والّذين اتّبعوه من قوّة وجرأة ويقين واستغراق في الله

جلّ وعلا وفي دينه ودعوته كما يصحّ أن تعدّ من معجزات القرآن الباهرة ... لأنّ وعدالله للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين قد تحقّق فعلاً بما كان من نصرالله المؤزر لدينه ونبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين حيث لم يمت النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والرّعيل الأوّل من أصحابه المؤمنين السّابقين حتّى رأوا هذا النّصر عياناً بتوطد الإسلام في الجزيرة العربية أمّ القرى وأطرافها، ومنهم من رأوه يتوطد في الأقطار المجاورة قويّاً باهراً، ويسود دين الله وكلمته العليا، ويدخل فيه النّاس أفواجاً ...

ومن آيات السّورة المشتملة على أنبآءٍ غيبيّة قوله تعالى: «إن في صدورهم إلاّ كبر ماهم ببالغيه»: ٥٦) وفيه من الإعجاز مالايخفى على المتأمّل الخبير إذ أخبر الله جلّ وعلا: أنّهم يريدون أن لايكونوا تحت أمرك ونهيك للكبر الّذي في صدورهم يحملهم على التمرّد والشّراد والكفر والعناد... ولكنّهم لايصلون إلى مرادهم، بل سيصيرون تحت أمرك ونهيك، فصاروا كما أخبرالله تعالى به بعد الفتح.

ومن آياتها المشتملة على وجوه من الإعجاز قوله عزّوجل: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير والذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيءُ»: ٥٨).

وذلك أنّ النّظم جآء فيها على نسق يخالف مايجيءُ عليه النّظم الكلامي ... حيث إنّ القرآن الكريم لم يلتزم التّرتيب الّذي يردّ الأعجاز على الصّدور ـ كما يقول أهل البلاغة ـ إذ كان من مقتضى هذا أن يجيءَ النّظم هكذا: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير ولا المسيءُ والمحسن ...» ولكن جآء النّظم القرآني كما ترى ... فقدّم الأعمى على البصير، ثمّ عاد فقدّم المحسن على المسيءُ، فلم تقع بذلك المقابلة المطلوبة عند علمآء البلاغة، حيث يقتضي النّظم عندهم أن يقدّم المسيءُ على المحسن ليقابل المسيءُ الأعمى، والمحسن البصير ... وهذا التّدبير من النّظم القرآني يخفىٰ ورآئه أسراراً ولطائف ونكات ودقائق، هي من بعض الدّلآئل على إعجازه ...

ومن الأسرار هنا: أنّ القرآن الكريم قد جمع بين البصير، وبين الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ... حتّى لكأنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات هم الإمتداد

الطّبيعي لهذا البصير: «ومايستوى الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات» فهذا هو أصل القضية: «الأعمىٰ والبصير» ثمّ مع البصير كان «الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات» لأنّهما طبيعة واحدة إذ لا تكون بصيرة إلّا يتبعها ايمان وعمل صالح، وهذا من الأسرار في التّعبير بالبصير دون المبصر.

أمّا الأعمىٰ فقد يكون أعمىٰ عين، فهو من جهة النّظر لايستوي مع المبصر، وقد يكون أعمىٰ قلب، فلايهتدي إلى هدى، وهو من هذه الجهة لايستوي مع صاحب البصيرة، ولهذا لم يقترن المسيئ بالأعمىٰ، ولم يقابله مقابلة توافق وتوازن ... إذ ليس مع كلّ عمىً إساءة وإنّما تكون الإسآءة مع عمى البصيرة، ومن هنا جآء النّفي بعدم التّسوية واقعاً على المسيئ: «ولا المسيئ» وكأنّ القضيّة من وجهة نظر أخرىٰ هي هكذا: «ومايستوي البصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئ».

وغير ذلك من وجوه إعجاز هذه السّورة لايسعها مقام الإختصار.

﴿التكرار﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور حول أحد عشر أمراً:

أحدهاـ أنّ سورة واحدة من القرآن الكريم مشتملة على (٨٥) آية وهي هذه السّورة: «المؤمن».

ثانيهاـ أنّ سبع سور من الكتاب المبين افتتحت بكلمة «حم» على التّرتيب النّزولي والمصحفي معاً: ١ـ سورة «المؤمن» ٢ـ سورة «فصّلت» ٣ـ سورة «الشّورىٰ» ٤ـ سورة «الزّخرف» ٥ـ سورة «الدّخان» ٦ـ سورة «الجاثية» ٧ـ سورة الأحقاف» وليست في القرآن المجيد سبع سور يُوافق التّرتيب النّزولي، التّرتيب المصحفي إلاّ هذه السّور السّبع.

ثالثهاـ أنّ الله تعالى قال في هذه السّورة: «ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات»: ٢١) وقال في سورة التّغابن: «ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات»: ٦) لأنّ هآء الكناية: «هم» إنّما زيدت لإمتناع «أنّ» عن الدّخول على «كان» فخصّت هذه السّورة بكناية المتقدّم ذكرهم موافقة لضمير الفصل في قوله: «كانوا هم أشدّ منهم قوة» وخصّت سورة «التّغابن» بضمير الأمر والشّأن توصّلاً إلى «كان».

رابعهاـ أنّ الله عزّوجلّ قال: «إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها»: ٥٩) فأدخل اللاّم في الخبر بخلاف مافي سورة طه: «إنّ السّاعة آتية أكاد أخفيها»: ١٥) لأنّ المخاطبين في هذه السّورة المجادلون في آيات الله تعالى، والشّاكون في البعث والجزآء فزاد اللاّم

لتأكيد الخبر، وتأكيد الخبر إنّما يحتاج إليه إذا كان المخبر به شاكّاً في الخبر، كما أكّد قوله عزّوجلّ: «لخلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس»: ٥٧) لأنّ المخاطبين هم الكفّار بخلاف المخاطب في سورة «طه» وهو موسى عليه السّلام فهذه الآية كالنتيجة لما قبلها.

خامسها- وقد جآئت ياء التّكلّم وحده في قصّة موسىٰ عليه السّلام والرّجل المؤمن البطل، وفرعون كبير الطّغاة (٢٤) مرّة: سبعة عشر منها مذكورة، وسبعة منها محذوفة، وجآئت أيضاً ثمانية عشر فعلاً للتّكلّم وحده، الواحد منها فعلاً ماضياً والباقي مضارعاً. وفي ذلك من اللّطآئف والدّقآئق والنّكات مالايخفى على الأديب الأريب فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

سادسها - قال الله تعالى: «إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون»: ٦١) وقال: «إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثرهم لايشكرون» يونس: ٦٠).

إذ سبق في سورة يونس: قول تعالى «ولكنّ أكثرهم لايعلمون»: ٥٥) فوافقه مابعده، وتقدّم في سورة المؤمن قوله عزّوجلّ: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون - ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون»: ٥٧- ٥٩) فوافقها مابعدهما، فختم كلّ آية بما اقتضاه.

سابعها - أنّ الله جلّ وعلا مدح نفسه، وختم ثلاث آيات على التّوالي بقوله تعالى: «فتبارك الله ربّ العالمين - الحمد لله ربّ العالمين- أن أسلم لربّ العالمين»: ٦٤ و٦٥ و٦٦) وليس له في القرآن الكريم نظير، ولايبعد أن يكون سبب التّكرار هو تأكيد ربوبيّة الله عزّوجلّ للعالمين على أسماع الكفّار أجمعين لاسيّما أصحاب التّثليث فكرّرها ثلاث مرّات ...

ثامنها- إنّ التعرّض لحال المجادلين في قوله تعالى: «ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله ...» ٦٩) من حيث الإشارة إلى كونهم مصروفين عن الحقّ والهدى ومآل ذلك ، وفي قوله عزّوجلّ؛ «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله ...»: ٥٦) من حيث إنّ الدّاعي لهم إلى ذلك الكبر وأنّهم لايبلغون مايريدون فلا تكرار.

ومن ثمّ قال بعضهم: إنّ تكرير ذكر المجادلة محمول على تعددّ المجادل بأن يكون المجادلون المذكورون في آية (٥٦) غير المذكورين في هذه الآية أو على اختلاف مافيه المجادلة كأن يكون المجادلة هناك في أمر البعث، وههنا في أمر التّوحيد أو بإختلاف المجادلين في أزمان مختلفة...

تاسعها- قال الله تعالى في أوآئل السّورة: «أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم ..»: ٢١) وقال في أو اخرها: «أفلم يسيروا في الأرض ...»: ٨٢) فجآء الأوّل بالواو والثّاني بالفآء، واضيف في الأوّل «كانوا» و«هم» لوجوه: **الأوّل**: أنّ الواو تدلّ على العطف المجرّد، والفآء، تدلّ على الإتّصال والعطف معاً، فاتصلت الآية: ٨٢) بما قبلها: «فأيّ آيات الله تنكرون» وليست الآية: ٢١) كذلك. **والثّاني**: أنّ الأوّل وافق ماقبله: «والّذين يدعون من دونه»: ٢٠) والآخر وافق ماقبله ومابعده، وكانا بالفآء وهو قوله عزّوجلّ: «فأيّ آيات الله تنكرون» وبعده: «فما أغنىٰ عنهم»: ٨٢).

والثّالث: أنّ الغرض في الأوّل أن يتبيّن لهم أنّ الله أخذ كلاً منهم بذنوبهم لمّا كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فيكفرون بهم. ولذا ذيّل الآية بقوله: «فأخذهم الله بذنوبهم» وأمّا الغرض في الآخر أن يتبيّن لهم أنّهم لم يغنهم ماكسبوا ولم ينفعهم في دفع عذاب الله مافرحوا به من العلم الّذي عندهم ولا توبتهم وحسرتهم ممّا عملوا. **والرّابع**: أنّه قد أظهر في الأوّل «كانوا» العامل في «من قبلهم» وزاد «هم» لأنّه وقع في أوائل قصّة نوح عليه السّلام وهي تتمّ في ثلاثين آية، فكان اللاّئق البسط، و وقع الثّاني في آخرها، فلم يبسط القول لأنّ أوّل السّورة يدلّ على آخرها، وغير ذلك من الوجوه لايسعها المقام، ونحن على جناح الإختصار فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

عاشرها- قوله تعالى: «وخسر هنالك المبطلون»: ٧٨) وختم السّورة بقوله: «وخسر هنالك الكافرون»: ٨٥) لأنّ الأوّل متّصل بقوله: «قضىٰ بالحقّ»: ٧٨) ونقيض الحقّ هو الباطل، والثّاني متّصل بإيمان غير نافع، وهو قوله: «فلم يك ينفعهم إيمانهم» ٨٥) ونقيض الإيمان هو الكفر.

الحادي عشر ـ أن نشير في المقام الى صيغ ثمان لغات ـ أوردنا معانيها اللّغوية على سبيل الإستقصآء في بحث اللّغة ـ الصّيغ الّتي جآئت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنية:

۱ ـ جآئت كلمة (الغفران والمغفرة) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ۲۳٤ مرّة.

۲ ـ جآئت كلمة (الدّحض) على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع مرّات:

۱ ـ سورة الكهف: ٥٦) ۲ـ سورة المؤمن: ٥) ۳ـ سورة الشّورى: ١٦) ٤ـ الصّافّات: ١٤١).

۳ ـ جآئت كلمة (البأس) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ۷۳ مرّة.

٤ ـ جآئت كلمة (الدّأب) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ستّ مرّات:

۱ ـ سورة آل عمران: ١١) ٢ و٣ـ سورة الأنفال: ٥٢ و٥٤) ٤ـ سورة المؤمن: ٣١).

٥ ـ سورة يوسف: ٤٧) ٦ـ سورة إبراهيم: ٣٣).

٥ ـ جآئت كلمة (الفوض) على صيغها في القرآن الكريم نحو: مرّة واحدة و هي في سورة المؤمن: ٤٤).

٦ ـ جآئت كلمة (الدّخر) على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع مرّات:

۱ ـ سورة المؤمن: ٦٠) ٢ـ سورة الصّافات: ١٨) ٣ـ سورة النّمل: ٨٧) ٤ـ سورة النّحل: ٤٨).

۷ ـ جآئت كلمة (الشيخ) على صيغها في القرآن الكريم نحو: أربع مرّات:

۱ ـ سورة المؤمن: ٦٧) ٢ـ سورة القصص: ٢٣) ٣ـ سورة يوسف: ٧٨).

٤ ـ سورة هود: ٧٢).

۸ ـ جآئت كلمة (المرح) على صيغها في القرآن الكريم نحو: ثلاث مرّات:

۱ ـ سورة المؤمن: ٧٥) ٢ـ سورة لقمان: ١٨) ٣ـ سورة الاسراء: ٣٧).

﴿التناسب﴾

واعلم أنّ البحث في المقام يدور على جهات ثلاث:

أحدها ـ التّناسب بين هذه السّورة وماقبلها نزولاً.

ثانيها ـ التّناسب بين هذه السّورة وماقبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التّناسب بين آيات هذه السّورة نفسها:

أمّا الأولىٰ والثّانية: فالتّناسب بينها ـ حيث إنّ سورة المؤمن نزلت بعد سورة الزّمر، و وقعت بعدها ـ مصحفاً ـ نزولاً ومصحفاً فبأمور:

أحدها ـ أنّ التّناسب بين غرض سورة الزّمر وسورة المؤمن مالايخفى على المتدبّر الخبير إذ كان غرض الأولى بيان حقّيّة الوحي والموحىٰ إليه، وقد بيّن في الثّانية أن هدف الوحي هو معرفة النّاس خالقهم، وتفويض أمورهم إليه كماأشارإليهماالرّجل المؤمن البطل في دعوته قومه المستكبرين، وفي دفاعه عن الوحي والموحىٰ إليه.

ثانيها ـ لمّا ذكر في السّورة السّابقة: «والّذين اجتنبوا الطّاغوت أن يعبدوها ـ الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» ذكر في هذه السّورة: الّذين يجادلون في آيات الله ويشركون به، ويعبدون فرعون كبير الطّغاة ...

ثالثها ـ لمّا أشير في سورة الزّمر إلى عذاب المكذّبين بآيات الله وخذ لانهم في الحياة الدّنيا، أشير في سورة المؤمن إلى عقاب المجادلين في آيات الله وخسرانهم في الدّنيا وإلى ماحاق بآل فرعون من سوء العذاب قبل الآخرة.

رابعها ـ لمّا جآء في السّورة السّابقة عدم إستواء العالم والجاهل، جآء في هذه

السّورة عدم إستوآء المؤمن والكافر، والمحسن والمسيءُ.

خامسها ـ أنّ الله عزّوجلّ أشار في كلتا السّورتين إلى أهوال القيامة وأحوال الكفّار وهم في المحشروهم في النّار على سبيلي الإجمال والتّفصيل.

سادسها ـ لمّا ذكر في سورة الزّمر مايؤول إليه حال الكافر والمؤمن، حال المشرك والموحّد، وحال العاصي والمطيع ... ذكر في سورة الزّمر: أنّه غافر الذّنب وقابل التّوب ليكون ذلك إستدعآء للكافرين إلى الإيمان، والمشركين إلى التّوحيد، والعاصين إلى الطّاعة وصالح الأعمال ... والإقلاع عن الكفر والشّرك والطّغيان وفساد الأعمال وسوء الأقوال ...

سابعها ـ لمّا جآء في سورة الزّمر قوله عزّوجلّ: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم»: ٥٣) وكان ختامها القضآء والفصل بين النّاس وإنزال الكافرين منازلهم من النّار، وإنزال المؤمنين منازلهم من الجنّة، بدئت سورة المؤمن بما يلقى النّاس أجمعين، بعدأن شهدوا الحساب والجزاء، ورأواجزآء المحسنين والمسيئين، يلقاهم بكتاب الله تعالى الّذي هو هداية كلّ ضالّ، ومنارة كلّ سالك إلى طريق النّجاة، ثمّ يلقاهم مع كتاب الله بغفرانه ورحمته، وقبول توبة التآئبين المنيبين إليه، وشدّة عقاب المجادلين في آيات الله، وسوء عذاب المكذّبين برسله، ويدعو النّاس كلّهم الى الله تعالى بقوله خطاباً لهم من دون وساطة: «ادعوني أستجب لكم ...»: ٦٠).

ثامنها ـ لمّا ذكر في آخر السّورة السّابقة، الملائكة حافّين حول العرش، وتسبيحهم وتحميدهم ذكر مثلها في أوآئل هذه السّورة ودعآء الملائكة وإيمانهم، وإستغفارهم للمؤمنين ... وغيرها من الوجوه لايسعها مقام الإختصار.

وأما الثّالثة: فلمّا ذكر «حم تنزيل الكتاب» فكأنّ سائلاً يسئل: مَن هو منزّل الكتاب ومصدره؟ فقال: «من الله» ثمّ وصف نفسه بصفة الجلال والقدرة وسمة الجمال والعظمة ليصير ذلك باعثاً على التشمير عن ساق الجدّ عند الإستماع، وزجره عن التّهاون والتواني فيه، فقال: «العزيز العليم» عزيز لايوجدله مثل في العزّة، عليم

لايوجدله نظير في العلم، فإنّ كلّ عزيز، ذليل عند من أعزّ منه، وكلّ عليم، عاجز عند من هو أعلم منه، فهذا القرآن تنزيل من القادر المطلق في ذاته، وماسواه ذليل عنده، الغنيّ المطلق بذاته، كل ماسواه فقير إليه، العالم المطلق بذاته، ماسواه جاهل لديه، فبألوهيته الذّاتية، وقدرته الذّاتي، وعلمه الذّاتي نزّل القرآن الكريم الّذي يتضّمن المصالح لعباده في كلّ ظرف أمراً ونهياً، بعثاً وزجراً، دنياً وآخرة ...

ثمّ وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد، والتّرهيب والتّرغيب ليجعل عباده بين الخوف والرّجآء بقوله تعالى: «غافر الذّنب وقابل التّوب شديدالعقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير»: ٣) بستّ صفات:

الأولى: «غافر الذّنب» بأنّه جلّ وعلا يغفر ذنوب من أشرك به وعصاه إذا تاب وأطاعه بعد إستماعه كتابه، و وصول الحجّة إليه.

الثّانية: «قابل التّوب» بأنّه عزّوجلّ يقبل التّوبة، ويقبل الإيمان بعد التّوبة، ويقبل العمل الصّالح بعد الإيمان ممّن كان قبل مشركاً عاصياً.

الثّالثة: «شديدالعقاب» بأنّه جلّ وعلا يعاقب أشدّالعقاب من لم يتب ولم يؤمن بالله تعالى، وفي تقديم «غافر الذّنب وقابل التّوب» على «شديدالعقاب» دلالة على تقديم جانب رحمته وفضله على عباده على جانب العقاب والعذاب عليهم: «سبقت رحمته غضبه» كما أنّ ذكر «شديدالعقاب» بعدهما لئلاّ يعول المكلّف على الغفران، فيفعل كلّما تشتهيه نفسه، بل يجب أن يكون مرجّئ بين الخوف والرّجآء.

الرابعة: «ذي الطّول» فوصف نفسه به، بعد وصفه بـ«شديدالعقاب» تنبيهاً على أنّ خاتمة أمره مبنيّة على التفضّل كما أنّ فاتحته مبنيّة على الغفران وقبول التّوبة وقد تقع العقوبة بينهما. ولايخفى على أصحاب النّظم والاسلوب: أنّ ترك الواو في «شديدالعقاب» لكونها مظهر الغضب، وفي الاولين مظهر الرّحمة، فتركت واو العطف لذلك، وأمّا تركها في الرّابعة لكونها بمعنى العامِ يشمل الثّلاثة جميعها بأنّه تعالى على ذلك وذاك، فمعنى «ذي الطّول» ذي القدرة الكاملة يفعل كلّما أراد من غفران الذنوب وقبول التّوبة لمن آمن، ويعذّب من يكفّر ويعرض عنه.

الخامسة: «لا إله إلّا هو» التّوحيد المطلق، فليس إله يمنع الله تعالى من ذلك فلا شريك له، ولاشبيه ولانظير له، فهو وحده نزّل الكتاب، وله وحده كمال العزّة وسعة العلم، وهو وحده يغفر الذّنوب ويقبل التّوب لمن تاب وآمن وعمل صالحاً وهو وحده يعذّب أشدالعذاب من لم يؤمن به ولم يتب إليه.

السّادسة: «وإليه المصير» وإليه وحده مصير العباد: المؤمن والكافر، الموحّد والمشرك ، المطيع والعاصي، المصلح والمفسد، والسعيد والشّقي من المذكّر والمؤنّث، والعالم والجاهل، والأبيض والأسود .... إنّ الله تعالى لمّا جمع في قوله: «العزيز الحكيم» صفات جلاله وجماله وقهره ولطفه، ويوهم ذلك التعدّد والكثرة، نفى الكثرة وأثبت التّوحيد بقوله: «لا إله إلّا هو» توحيد المبدأ، ثمّ أشار إلى توحيد المنتهىٰ بقوله: «وإليه المصير».

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر تنزيل الكتاب، والمبدأ والمآل والمنتهىٰ، وأشار إلى الحجّة الباهرة على حقيّته المستفادة من صفاته السّتّ الكريمة المعدودة في الآيتين، الدّالة على أنّه منزّل بعلمه الّذي لايشوبه جهل، وبالحق الّذي لايدحضه باطل، بيّن أنّ النّاس بالنّسبة إلى هذا الكتاب الحقّ السّماوي على طآئفتين:

طآئفة الكافرين: الّذين لايقبلون الحجّة ولايخضعون لدى آيات الله تعالى، الّتي نزّلها لهداية النّاس وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم إذا آمنوا بها، وعملوا بهداه بل هم يقابلون حججه الحقّة بباطل جدالهم لغرض إبطالها وإطفآء نورها فقال: «مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا ...»: ٤) مع التّنبيه على أنّ جدالهم الصّادر عن البطرو الأشر والجاه والخدم لايعتنىٰ به: «فلايغررك تقلّبهم في البلاد» فهؤلآء هم أهل شديدالعقاب،وليسوابفائتين ولامغفولاً عنهم، فأنّه كما نزّل الكتاب ليغفر الذّنب ويقبل التّوب كذلك نزّله ليعاقب أهل العقاب، فلا يسؤنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جدالهم ولايغرّنّ المؤمنين مايشاهدون من أحوالهم ...

ثمّ ضرب الله تعالى لتكذيبهم بالنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وجدالهم في آيات الله بالباطل مثلاً ماكان من نحو ذلك من قوم نوح عليه السّلام وتكذيبهم

ومجادلتهم إياه، ومن الأمم الماضية الّذين تحزّبوا على الرّسل من بعد قوم نوح عليه السّلام فأهلكم الله تعالى ودمّرهم، ونجيّ رسله في الحياة الدّنيا فقال: «كذّبت قبلهم قوم نوح ...»: ٥).

ثمّ بيّن أحوال الكفّار إطلاقاً يوم القيامة، فينزل بهم النّكال في جهنّم وبئس القرار، فكان عاقبتهم شديدالعقاب بقوله: «وكذلك حقّت كلمة ربّك ...»: ٦).

وطائفة المؤمنين: فحالهم بخلاف أحوال الكافرين سبق ذكرهم آنفاً الّذين كانوا يبالغون في الكفر والتقلّب في البلاد، وفي عداوة المؤمنين، وذلك أنّ المؤمنين هم الّذين يبالغ في محبّتهم ونصرتهم أشرف طبقات أكثر المخلوقات، وهم الملائكة الّذين هم حملة العرش والحافّون حوله، هم مع عظم منزلتهم عندالله تعالى يبالغون في محبّة المؤمنين ونصرتهم، فكأنّه تعالى يخاطب لرسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين: إن كان هؤلآء الأراذل والأوباش يعادونكم، ويبالغون في عداوتكم فلا تبالوا بهم ولا تقوموا لهم وزناً، ولا تلتفتوا إليهم فإنّ الأشراف يحابّونكم: «الذين يحملون العرش ومن حوله ...»: ٧) فإنّ حملة العرش معكم ينصرونكم كما قال تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا» المؤمن: ٥١).

فلمّا عرضت الآيات السّابقة: (٤ـ ٦) أهل الكفر والضّلال، وربطت بينهم بتلك الجامعة الّتي تجمعهم على الباطل لمحاربة الحقّ، والوقوف على وجه دعاته، وأخذ هم بالبأسآء والضرّآء فهم أحزاب متناصرة على الشرّ، متساندة في حَجْب الهدى عن أبصار، أخذ بعرض جبهة الحقّ وأرباب الهدى، وأنّهم أحزاب متناصرة على الخير، متعاونة على البرّ والتّقوى، يأخذ بعضهم بيد بعض إلى مايرضى الله تعالى، وينزلهم منازل رحمته ورضوانه بقوله: «الّذين يحملون العرش ومن حوله ...» ثمّ حكىٰ تمام مايدعوا به حملة العرش للمؤمنين: «ربّنا وأدخلهم ...»: ٨ـ ٩) إنّ الملائكة وصفوا الله جلّ وعلا بصفات ثلاث:

الأولى: بربوبيّته تارة في أصل وجودهم: «يسبّحون بحمد ربّهم» وأخرى في سعة رحمته تعالى: «ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمة وعلماً» وثالثة في دخولهم في الجنّة: «بربّنا

وأدخلهم ...».

والثّانية: برحمته. والثّالثة: بالعلم.

وقد دعا حملة العرش للمؤمنين بأمور: الأوّل: الإستغفار لهم. الثّاني: بوقاية الله تعالى إيّاهم عن العذاب. الثّالث: بدخولهم في الجنّة مع آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم والرّابع: وقاية الله عزّوجلّ إيّاهم عن السّيئات في يوم الفزع الأكبر. فتدبّر في التّرتيب بين الأمور الأربعة ولا تغفل.

ولايخفى على القارئ المتدبّر الخبير: أنّ الله تعالى قدّم في بيان صفات ذاته الجليل، الرّحمة على الغضب، وأخّر في بيان صفات عباده في الإيمان والكفر، مورد الغضب على مورد الرّحمة لامور: الأوّل: لتقدّم الخوف على الرّجآء كما يقال: ينبغي أن يكون العبد بين الخوف والرّجآء. ولايقال: «بين الرّجآء والخوف». الثّاني: لكثرة الكافرين على المؤمنين. الثّالث: لتخويف الكفّار عن كفرهم ببيان عاقبة الكفر في الدّنيا قبل الآخرة.

وحين يستغفر حملة العرش ربهم، ويطلبون منه تعالى الرّحمة للمؤمنين، والتّجاوز عن سيّئاتهم وإدخالهم الجنّة هم ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّياتهم ... إذ يفعل حملة العرش كلّ ذلك من أجل المؤمنين، فإنّ ملائكة يلقون الكافرين بما يسوؤهم ويضاعف آلامهم إذ ينادونهم ويوبّخونهم بما عليهم عندالله تعالى من مقت وطرد من رحمته، وأنّ مقت الله لهم أكبر من مقتهم هم لأنفسهم حين دعوا إلى الإيمان فلم يقبلوه ولجّوا فيما هم فيه من كفر وضلال، فهم بكفرهم وباعراضهم عن الإيمان قدمقتوا أنفسهم وأبعدوها عن مواطن الخير كلّها، والله أشدّ مقتاً وإبعاداً لهم من مواطن الخير: «إنّ الذين كفروا ...»: ١٠).

عود على بدءٍ في صدد شرح أحوال الكفّار المجادلين في آيات الله، وما أعدّلهم يوم القيامة، وأنّهم سيعترفون يومئذٍ بما كانوا ينكرونه في الحياة الدّنيا من البعث، وذلك إذا عاينوا النّشأة وتذكّر والأولى: «قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين ...»: ١١) وذلك بعد دخولهم النّار. وإنّما اتّصل قوله: «فاعترفنا بذنوبنا» بما تقدّم من إقرارهم بصفة

الرّبّ جلّ وعلا فكأنّهـم قالوا: إعترفنا بـك ربّنا فإنّك أمتّنا وأحييتنا، ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبـنا ... ثمّ طلبوا الرّجوع إلى الدّنيا لإصلاح مافاتـهم: «هل إلى خروج مـن سـبـيل» أجيبـوا بـالـرّفض الـباتّ مع ذكر السّبـب: «ذلـكم بأنّه إذا دعي الله وحده...»: ١٢).

ثـمّ أخذ بذكر الأدلّة على وحدانـيّـته وكبريآئه، على علـمه وحكمته، وعلى تدبيره وعظـمتِه: «هو الّذي يريـكـم آياته ...»:١٣) فاتّصل بقـولـه: «العليّ الكبير» أي ومَن هـذه صفـاته «يـريكـم آياته ...» ثـمّ دعا المؤمنين إلى الإخـلاص في الدّين: «فادعوالله مخلصين له الـدّين ...»: ١٤) واتّصـل قوله: «رفيع الـدّرجات» بـقوله: «هو الّذي يريكم آياتـه ...» أي وهو رفيع الدّرجات ... ومن المحتـمل أنّه تعالى لمّا ذكر حال الفريقين ذكر الدّرجات ...

إنّ الله تعالى لمّا أقام الأدلّة الدّالة على توحّده في الأُلوهيّة بعد ذكر لفظ الجلالة: «الله» في أوّل السّورة أخذ بذكر مـايدلّ على تـفرّده في العزّة فقال: «رفيـع الدّرجات ...»: ١٥).

وفي الآية الـكريـمة بيان ثـلاث صفـات ترجع كلّهـا إلى معنى «الـعزيز» ذكر في أوّل السّوره: الأولى: «رفيـع الدّرجـات» الـثّـانية: «ذوالـعرش» الـثالـثة: «يلقي الرّوح» وفي الأخيرة بيان الأركان الأربـعة في أمر الوحي: الأوّل: مُرسل الوحي وهو الله تـعالى، فلـذا أضاف إلقآء الـوحي إلى نفسه فـقال: «يلقي الـرّوح» الثّاني: نفس الوحـي الّذي سـمّاه روحاً. الثّالـث: الواسطـة في الوحي لـيصلـه إلى الرسـول، وهو الملائكـة أشار إليه بـقوله: «مـن أمره». الرّابع: الـمُوحىٰ إليه وهو الرّسـول فاشار إليه بقوله: «على مـن يشآء مـن عباده» ثمّ بـيّـن الغرض لإلقـاء الـوحي وإرساله بقـوله: «لينـذر يوم التّلاق» ثـمّ فصّل يوم الـتّلاق بقولـه: «يوم هم بارزون ...»: ١٦) ثمّ أكدّ تفرّده في ذلك اليوم بالحكم والقضآء: «لمن الملك اليوم ...»: ١٦).

إنّ الله تعالى لمّا ذكر صفة قهره يوم القيامة، أردفها بذكر صفة عدله يومئذ فقال: «اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت ...»: ١٧).

وبعبارة أخرى: انّ الله عزّوجلّ لمّا بيّن أنّ الملك يومئذ لله وحده أشار إلى بعض نتآئجه: «اليوم تجزىٰ كلّ نفس ...» ثمّ نفىٰ أنواع الظّلم من نفسه: «لا ظلم اليوم» على أحد وهي أربعة:

أحدها- أن يستحقّ العبد ثواباً فيمنع الله سبحانه منه. **ثانيها-** أن يعطي بعض أجره وينقص الباقي، فلايتمّ أجره فيما كان مستحقّه. **ثالثها-** أن يعذّب من لايستحق العذاب. **رابعها-** أن يعذّب المستحقّ زيادة على إستحقاقه. ثمّ ذكر «إنّ الله سريع الحساب» تنبيهاً إلى أنّ كلّ إنسان ينال بما يستحقه في الحال ثواباً أو عقاباً.

إنّ الله تعالى لمّا ذكر يوم ملاقات كلّ إنسان جزآء عمله بميزان العدل الإلهي، استطرد ذكر أهوال يوم التّلاق، و وصفه بأنواع اخرى من الصّفات، وذكر أحوال أهله تأكيداً لغرض إلقآء الوحي فقال: «وأنذرهم يوم الآزفة»: ١٨).

في الآية الكريمة والآيتين بعدها: (١٩- ٢٠) إشارة إلى ثمانية أسباب كلّها موجبة للخوف:

الأوّل: سمىّ ذلك اليوم «الآزفة» يوم قربت العقوبة لمن استحقّها.

الثّاني: «إذ القلوب لدى الحناجر» على أنّه إذا بلغ ذلك الخوف، فعلامته انقلاع القلب من الصّدر وتصل إلى الحنجرة يمنع من التّنفس.

الثّالث: «كاظمين» لايمكنّهم أن ينطقوا وأن يشرحوا ماعندهم من الحزن والخوف وذلك يوجب مزيد القلق والإضطراب.

الرّابع: «ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» فليس لهم قريب ولارفيق ينفعهم، ولاشفيع تقبل شفاعته فيهم.

الخامس: قوله تعالى: «يعلم خآئنة الأعين وماتخفي الصّدور»: ١٩) فهو تعالى عالم لايعزب عن علمه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض، وانّ الحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحدّ كان خوف المذنب منه شديداً جدّاً، وفي الآية الكريمة بيان أخفى الأعمال ... لأنّ الأفعال على قسمين: **أحدها-** أفعال الجوارح ... فأخفاها: «خآئنة الأعين» والله جلّ وعلا أعلم بها من صاحبها. **ثانيها-** أفعال القلوب وهي

قوله: «وما تخفي الصّدور» وإذا كان الله تعالى عالماً بها فكيف الحال بسآئر الأعمال ...

السّادس: قوله عزّوجلّ: «والله يقضي بالحقّ» وهذا ممّا يوجب الخوف العظيم لأنّ الحاكم إذا كان عالماً بجميع الأحوال، وثبت منه أنّه هو الحاكم والقاضي، ولا يقضي ولايحكم إلّا بالحقّ في كلّ مادقّ وجلّ، كان خوف المذنب منه في الغاية القصوى.

السّابع: أنّ الكفّار المشركين كانوا يتمنّون شفاعة الأصنام والآلهة الّتي كانوا يعبدونها، فآيسهم الله عزّوجلّ في ذلك بقوله: «والّذين يدعون من دونه لايقضون منه».

الثّامن: قوله تعالى: «إنّ الله هو السّميع البصير». فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل فإنّ درك الأسلوب والتّرتيب ونظم الآيات القرآنية من أهمّ شرائط التّفسير وفهم معانيها ...

ولايبعد أن يكون قوله تعالى: «يعلم خآئنة الأعين ...»: ١٩) خبراً آخر لقوله عزّوجلّ:«هوالّذي يريكم آياته ...»: ١٣) إلّا أنّه فصّل بالتّعليل وهو قوله: «لينذر ...» وذكر وصف القيامة إستطراداً.

على أنّ الله جلّ وعلا وصف نفسه بكمال العلم تفصيلاً لقوله في أوّل السّورة: «العليم» وذلك أنّ المجازاة تتوقّف على العلم التّفصيلي، ففي قوله: «يعلم خآئنة الأعين» إشارة إلى أنّه عزّوجلّ عالم بجميع أفعال الجوارح ... وفي قوله: «وماتخفى الصّدور» دلالة على أنّه عالم بجميع الأفعال ... وإذا علمت هذه الصّفة كما عرفت من الأوصاف السّابقة كمال قدرته واستغنآئه لم يبق شكّ في حقّيّة قضآئه فلذلك قال: «والله يقضي بالحقّ ...» ثمّ وبّخهم على عبادة من لاقضآء له ولاسمع ولابصر بقوله: «والّذين يدعون ...»: ٢٠)

وما ذكرناه آنفاً لاينافي أن تكون الآيات الخمس (١٦ـ ٢٠) تفصيلا لقوله تعالى في أوّل السّورة: «وإليه المصير».

إنّ الله عزّوجلّ لـمّا بـالغ في تخويف الكفّـار بـعذاب الآخـرة، أردف ذلك بتحذيرهـم بعذاب الدّنيـا، فوعظهم بالـنّظر في أحوال الأمم الماضيـة الّذين كانوا هم أشـدّ منهـم قوّة، فأخذهم أخـذ عـزيـز مقتدر إذ كذّبـوا بآيـات الله وكفروا برسله ... فقال: «أو لم يسيروا في الأرض ـ إنّه قـويّ شـديدالعقاب»: ٢١ ـ ٢٢) وقد أشار إلـيه في أوّل السّـورة: «شديد العقاب»: ٣) فـاتصـال الآيتين بما قـبلهما إتّصـال تـفصيل وتعقيب وتذكير وإنذار واستطراد.

إنّ الله تعالى لمّا وبّخ الكـافرين بعدم السّير في الأرض للنّظـر والإعتبار أو بعدم النّظر في أحوال الماضين مـع السّير في الأقطـار .. وقـد وصـف الأمم الماضيـة بـكـثرة العدد والآثـار الباقيـة أراد أن يصرّح بقصّـة واحدة من قصصهـم، وهي قصّة مـوسىٰ عليه السّلام مع فرعـون كبير الطّغاة إذ جآئـهم بالآيـات والمعجزات ... تسلية لـلنّبيّ الكريم صلّى الله عـليه وآله وسلّـم وتطمينا لـلمؤمنين و وعداً لهـم بالظّفر والنّصـر وحسن العاقـبة، وزيادة توبيـخ وتذكير لـلكافريـن أن يحلّ بهم مـا حلّ بفرعـون وقومه فقال: «ولقدأرسلنا موسى بآياتنا ...» ٢٣).

ثمّ ذكر مـعاملة فـرعون كبير الطّـغاة وقومه المستـكبـرين مع موسـى عليه السّلام في قوله: «إلى فرعون وهامان وقارون ـ أو أن يظهر في الأرض الفساد»: ٢٤ ـ ٢٦).

بأمـور: **الأوّل:** نسـبوا إليـه السّـحر والكـذب إذ وصفوه بـكـونه ساحـراً كذّاب.

الثّاني: أنّهم «قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه». **الثّالث:** «واستحيوا نسآءهم».

الرّابع: «وقـال فرعون ذروني أقـتـل موسىٰ» على سـبيل الإستهـزآء بـأنّي أقتـله، فليقل لـربّه حتّى يخلصه منّي. ثمّ بيّـن وجه جواز القتـل بعلّتين: **أحدهما** ـ أنّ وجود مـوسـى عليه السّلام يـوجـب فسـاد دينكم: «إنّي أخـاف أن يـبدّل دينكم» لأنّ قوم فرعون كانوا يزعمـون على أنّ الدّين الصّحيح هو الّـذي كانوا عليه، فلمّا كان موسى عليه السّـلام سـاعياً في إبطالـه كـان في زعم فرعون الطّـاغـي، أنّه عليـه السّـلام ساعٍ في إفسـاد الدّين الحقّ كما قـال. ثانيهما: أنّ وجـوده عليه السّـلام يـوجب فسـاد دنـياكم، والفساد في الدّين يوجـب وقـوع الخصومات وإثارة الفتن ... فقال: «أو أن يظـهر في

الأرض الفساد».

وهاتان العلّتان هما شعار الحكّام الجابرة والسّلاطين الطّاغية لتحريك عوام النّاس وهمجهم على الدّعاة والمصلحين في كلّ ظرف، ولذا قدّم فرعون أمر الإعتقاد والدّين على أمر الإقتصاد والدّنيا لأنّ العوام الهمج كان حبّهم لدينهم فوق حبّهم لدنياهم ...

لمّا تمّ شعار فرعون، نطق موسى عليه السّلام واستعاذ بالله جلّ وعلا: «وقال موسى إنّي عذت بربّي وربّكم ...» ٢٧).

فبيّن أنّ الرّبّ هو الله تعالى وحده وأبطل ماكان فرعون يدّعي الرّبوبيّة، مع التّنبيه على أنّ كلّ ذلك من الطّغيان والتّهديد والشّعار والإدّعاء ناش عن الكفر بيوم الحساب، وأنّ التّكبّر هو موجب الكفر.

لمّا حكى عن موسىٰ عليه السّلام أنّه مازاد حين سمع مقالة فرعون الدّاعية إلى قتله على أن استعاذ بالله عزّوجلّ من شرّه، أردف ذلك ببيان أنّ الله تعالى قيّض له عليه السّلام من يدافع عنه من آل فرعون أنفسهم، ويذبّ عنه على أكمل الوجوه وأحسنها، ويبالغ في تسكين تلك الفتنة، ويجتهد في إزالة ذلك الشّرّ، فكأنّه وقع النّزاع بين موسى عليه السّلام وفرعون بتهديد فرعون موسى عليه السّلام على القتل، وتهييج العوام عليه، واستعاذته من شرّه بالله تعالى، فأقدم المصلح بينهما: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون ...» ٢٨).

وقد بيّن في كلامه اموراً، إثنان منها من شرآئط الرّسالة: **الأول:** التّوحيد. **والثّاني** اتيان المعجزة لإثباتها: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربيّ الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم» ثمّ ذكر من الحجج مايؤيّد به رأيه: «وإن يك كاذباً ...» ثمّ ذكر نتيجة الكذب والصّدق في ادّعاء موسى عليه السّلام الرّسالة، مذيّلة بتأكيد حقّيّة امر موسى عليه السّلام وبيان العلّة: «إنّ الله لايهدي من هو مسرفاً كذّاب» بأنّ الله تعالى لايأتي المعجزة على غير الرّسول المسرف الكذّاب في ادّعآئه، تنبيهاً بالرّمز والإشاره على أنّ موسى عليه السّلام مع المعجزات لم يكن كاذباً، وأشار إلى علوّ شأن موسى عليه السّلام

على سبيل التعريض، ونبّه بأنّ فرعون لايوفّق فيما هدّد موسىٰ عليه السّلام به من القتل لأنّ موسىٰ عليه السّلام إستعاذ بالله عزّوجلّ وهو وليّه.

ثمّ وعظهم وذكّرهم نعمة الله تعالى عليهم، وخوّفهم زوالها، وحذّرهم من أعمالهم الشنيعة مع بيان التّوحيد وإثباته، وعجز فرعون عند وصول البأس مع ادّعآئه الرّبوبيّة فقال: «يا قوم لكم الملك اليوم ...»: ۲۹).

ولمّا سمع فرعون كبير الطّغاة ماقاله الرّجل المؤمن البطل من النّصح، جآء بمراوغة يوهم بها قومه أنّه لهم من النّصيحة والرّعاية بمكان مكين، وأنّه لايسلك بهم إلّا مسلكاً يكون فيه جلب النّفع لهم ودفع الضّرّعنهم كما حكىٰ تعالى عنه بقوله: «قال فرعون ما أريكم إلّا ما أرىٰ ...»: ۲۹).

ولمّا سمع الرّجل المؤمن البطل رأي فرعون في موسىٰ عليه السّلام واعتزامه على قتله، وإقامة الأدلة الواهية على صحّة رأيه، وأنّه لاسبيل إلى العدول عن ذلك، أعاد النّصح مرّة اخرى لقومه لعلّهم يرعوون عن غيّهم، ويتوبون إلى رشدهم، فذكّرهم بأس الله وفضّله لهم، وبيّن لهم سنّة الله تعالى في المكذّبين بالرّسل، وعدم قدرة أحد على الدّفع عنه، وضرب لهم الأمثال بما حلّ بالأحزاب من قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود مخوّفاً إيّاهم به: «وقال الّذي آمن يا قوم ...» ۳۰- ۳۱).

مع بيان التّوحيد، وأنّ هذا العذاب الدّنيوي من الله تعالى الّذي هو الخالق وأنّه لايريد ظلماً لعباده وبيان عدله، ففي كلّ كلامه ينفي مايدّعيه فرعون من دفع البأس والرّبوبيّة ...

لمّا خوّف الرّجل المؤمن البطل قومه المستكبرين من العذاب الدّنيوى، حذّرهم من العذاب الأخروي، وذكّرهم بأهوال يوم القيامة، يوم لاعاصم لهم من عذاب الله تعالى فقال: «ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التّناد ...» ۳۲- ۳۳).

مع التّنبيه إلى شدّة ضلالتهم وعظيم جهالتهم بقوله: «ومن يضلل الله فماله من هاد» وفيه إيمآء إلى أنّه يئس من قبولهم نصحه.

ثمّ ذكر مثالاً لمن لايهديه الله بعد إضلاله، بتذكيرهم بما فعل آبآؤهم الأوّلون مع

يوسف عليه السّلام من قبل من تكذيبهم رسالته، وإنتظارهم ببعثة الرّسول بعده، فكذّبوا برسالة من بعده فأحلّ الله تعالى بهم من البأس ماصاروا به مثلاً في الآخرين فوبّخهم بأنّهم و رثوا التّكذيب بالرّسل من آبآئهم الأوّلين وأسلافهم الغابرين فقال: «ولقد جآءكم يوسف من قبل ...»: ٣٤).

فكأنّ لسان حال يقول: هـأنذا قد أسمعت ونصحت فما قصرت، والأمر إليكم فيما تفعلون فلاعجب في تكذيبكم فقد طمس الله بصآئركم وران على قلوبكم حين دسستم أنفسكم بقبيح الخصال وعظيم الآثام: «كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب».

ثمّ بيّن هؤلآء المسرفين المرتابين المكابرين في آيات الله تعالى: «الّذين يجادلون في آيات الله ...»: ٣٥).

مع تأكيد ماسلف وتقريره والتّعجّب من حالهم: «كبر مقتاً عندالله ...» ثمّ بيّن أنّ هذه سنّة الله جلّ وعلا فيهم وفي أمثالهم: «كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار»: ٣٥).

لمّا ذكر فيما سلف تكبّر فرعون وجبرته، مابلغ من العتوّ والتّمرّد والإفترآء في تكذيب موسىٰ وما موّه به على قومه لمّا وعظه المؤمن البطل، وخوّفه من قتل موسىٰ عليه السّلام وبيّن عاقبة المجادلة ونتيجة الكفر ومآل التّكبّر، كلّ ذلك تعريض إلى فرعون كبير الطّغاة، فعندئذٍ إنقطعت حجّة فرعون فغضب وخاطب لوزيره هامان وأمره أن يبني له قصراً شامخاً ليصعد به إلى السّمآء ليطّلع إلى إله موسىٰ عليه السّلام: «وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً ...»: ٣٦).

ثمّ فسرّ تلك الأسباب، وبيّن مراده منها بقوله: «أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسىٰ ...»: ٣٧).

لمّا ذكر غاية عتوّ فرعون وطغيانه، أشار إلى سبب إستمرار ذلك العتوّ والطّغيان: «وكذلك زيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل» ثمّ أشار إلى فساد سعيه في تكذيب رسالة موسىٰ عليه السّلام وضياع كيده في إطفآء نورالله جلّ وعلا: «وما كيد

فرعون إلّا في تباب»: ٣٧).

لمّا بيّن ضياع سعي فرعون في إطفآء نورالله جلّ وعلا أخذ بذكر نصيحة الرّجل المؤمن البطل قومه إجمالاً إذ أعاد إليهم نصحه مرّة أخرى، فدعاهم أوّلاً إلى قبول هذا الدّين الّذي هو سبيل الخير والرّشاد، فأظهر ماكان كاتماً من قبل، مخاطباً لهم: «وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعوني أهدكم سبيل الرّشاد»: ٣٨).

ثمّ استأنف نصحه مفصّلاً ببيان حقارة الدّنيا وعظيم شأن الآخرة، فزهّدهم في الدّنيا الّتي قد آثروها على الآخرة، وأعرضهم عن زخارفها الّتي اغترّ بها فرعون، فتكبروا مالهم إلى ماهو خير من تلك الزّخارف ... «يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا ...»: ٣٩)

ثمّ ذكر جزآء العمل السّيّئ والصّالح ونتائجها، ولِمَنِ الجنّة ونعيمها... فقال: «من عمل سيّئة فلايجزىٰ إلّا مثلها...»: ٤٠).

لمّا دعا الرّجل المؤمن البطل قومه المستكبرين إلى سبيل الحق والرّشاد، صرّح بأنّ هناك دعوتين متضادتين: دعوة إلى النّجاة هو يدعوهم إليها، ودعوة إلى النّارهم تبعاً لفرعون كبير الطّغاة يدعونه إليها، وأنّ هناك موقفين متعاكسين: موقف إنقاذ ونجاة فهو موقفه، وموقف إضلال وعذاب وهو موقف قومه تبعاً لفرعون، فقال: «ويا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة ...»: ٤١).

ثمّ فسرّ الدّعوتين ببيان سبب النّار والنّجاة منها، بأنّهم كانوا يدعون إلى الشّرك الموجب للنّار وعذابها، لأنّ الشّرك بالله سبحانه أعظم موجبات النّار، والتّوحيد ضدّه، وكان هو يدعوهم إلى التّوحيد الموجب للجنّة ونعيمها ... فقال: «تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ...»: ٤٢).

ثمّ أكّد ماسلف وسجّل عليهم بأنّهم المسرفون الضّالون المضلّون، هم أصحاب النّار بقوله: «لاجرم أنّما تدعونني إليه ...» ٤٣).

لمّا بالغ الرّجل المؤمن في تخويفاته قومه ونصآئحه إيّاهم، ودعوتهم إلى الحق والرّشد وعدم اغترارهم بمتاع الدّنيا، وفي إبطال دعوة فرعون وإدّعآئه، أشار إلى أنّ

نتيجة الدّعوتين وعاقبتهما ستكشف عن قريب بقوله: «فستذكرون ما أقول لكم»: ٤٤).

هذا كلام مبهم يوجب التّخويف والتّحذير لقومه ليتفكّروا في عاقبة أمرهم لعلّهم يرعوون عن غيّهم. ولمّا كان في هذا الكلام وعيدشديدلفرعون وقومه يمكن أن يحثّهم على قتله، قال: «وأفوّض أمري إلى الله» فعوّل في دفع كيدهم على فضل الله جلّ وعلا كما أنّ موسىٰ عليه السّلام لمّا دعا فرعون وقومه إلى الإيمان فخوّفوه بالقتل، إستعاذ في دفع شرّهم بالله تعالى: «وقال موسىٰ إنّي عذت بربّي وربّكم»: ٢٧) فهذا طريقة موسىٰ عليه السّلام تعلّمها الرّجل المؤمن البطل، فينبغي لدعاة الّدين والمصلحين أن يفوّضوا أمورهم في هداية النّاس وإرشادهم وإنذارهم إلى الله تعالى ويستعيذوا بالله جلّ وعلا من كيد الكفّار وشرّ الأشرار...

ثمّ ذكر ماهو كالعلّة لتفويض أمره إلى الله جلّ وعلا: «إنّ الله بصير بالعباد»: ٤٤).

إنّ الله تعالى لمّا بيّن أنّ الرّجل المؤمن البطل لم يقصر في تقرير الدّين القويم، وفي الذّبّ عنه، وفي إنذار كبير الطّغاة فرعون وقومه المستكبرين ردّ الله عزّوجلّ كيدهم، فنصره وأهلك أعدآئه فقال: «فوقاه الله سيّئات مامكروا»: ٤٥).

تنبيهاً على أنّه لمّا صرّح دعوته وأظهر إيمانه بعد كتمانه، وأبطل دعوة فرعون وخوّف قومه من العذاب الدّنيوي والأخروى، وأظهر الحقّ وأوضح طريق الباطل ... قصد فرعون وقومه به أنواع المكرو السّوء ... ولكنّ الله جلّ وعلا وقاه عنها، وأعاد نتيجة قصدهم إليهم بسوء العذاب: «وحاق بآل فرعون سوء العذاب»: ٤٥) في الدّنيا بالهلاك والغرق.

ثمّ بيّن بأنّهم بعد هلاكهم ودمارهم في الحياة الدّنيا، يعرضون على النّار في القبر وعالم البرزخ دآئماً، ثمّ يعذّبون بها يوم القيامة أشدّ العذاب: «النّار يعرضون عليها ...»: ٤٦) ثمّ ذكر مايجرى من التحاجّ بين الأتباع والمتبوعين، والرّؤسآء والمرؤوسين بعد دخولهم نارجهنّم: «وإذ يتحاجّون في النّار...»: ٤٧- ٤٨).

ثمّ حكى مقالة أهل النّار من التّابع والمتبوع لخزنة النّار طالبين منهم لهم الشّفاعة عندالله تعالى: «وقال الّذين في النّار ...»: ٤٩).

ثمّ حكى مايجيب به الخزنة ردّاً عليهم، موبخين لهم بأنّهم يستحقّون دخول النّار وعذابها: «قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم ...» ٥٠).

ثمّ أكدّوا فقد شرآئط الشّفاعة للكافرين بقولهم: «ومادعآء الكافرين إلّا في ضلال»: ٥٠).

ثمّ أخبر عن نفسه بأنّه تعالى ينصر رسله، ومن يؤمن بهم واستقام في إظهار الحقّ، وكان له صلابة في الدّين، واستعاذ بالله جلّ وعلا من كيد الأعدآء وشرّ الأشرار، وفوّض أمره في إنذار النّاس وإرشادهم إلى الله عزّوجل كما فعل ذلك المؤمن من آل فرعون ونصره على قومه المستكبرين: «إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا...» ٥١).

هذا من تمام قصّة موسىٰ عليه السّلام والرّجل المؤمن، وعود إلى مقام إنجرّ الكلام منه، وذلك أنّه لمّا قيل: «فوقاه الله ...»: ٤٥) وكان الرّجل المؤمن البطل من أمّة موسى عليه السّلام علم منه وممّا سلف مراراً أنّ موسىٰ عليه السّلام وسآئر قومه المؤمنين قدنجوا وغلبوا على فرعون وقومه المستكبرين، صرّح بذلك فقال: «إنّا لننصر رسلنا...» في الدّنيا والآخرة، وتلك سنّة الله تعالى، فهو ينصر رسله، ويقيّض لهم من ينصرهم على أعدآئهم ويملأ قلوبهم بنوراليقين، ويلهمهم أنّ النّصرة لهم آخراً مهما تقلّبت بهم الأمور ... وهذا درس قيّم لدعاة الدّين والعلماء والمصلحين في كل ظرف.

ثمّ أخبر تعالى عن ذلك اليوم الّذي لا اعتذار فيه لأهل الظّلم والغواية، ولو فرض اعتذار لما قبل، فقال: «يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم ...»: ٥٢).

فلمّا انتهت قصّة موسىٰ عليه السّلام مع فرعون، إقتضى المقام الإشارة إلى رسالة موسى عليه السّلام وهي أنّها لِبَني إسرائيل كافّة، وإلى نصرته وإعطآئه التّوراة وايراثه قومه بعده فقال: «ولقد آتينا موسى الهدى ...»: ٥٣ـ ٥٤).

لمّا قصّ تعالى قصّة موسىٰ عليه السّلام وإرساله بالحق إلى فرعون وقومه، وأشار

إلى موقفهم ومكابرتهم ومجادلتهم في آيات الله تعالى بالباطل، ومكرهم فيها، ونصره تعالى لنبيّه عليه السّلام والرجل المؤمن البطل، وإبطال كيدهم ما آل إليه أمرهم من خيبة السّعي -وسوء المنقلب، وموقفهم هذا هو نفس الموقف الّذي كان يقفه المشركون من دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن آياته يتلوها عليهم، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلقى من عنادهم واستكبارهم ماينوء به كاهله، وتضيق به نفسه، فرّع على ذلك أمر نبيّه الكريم بثلاثة أوامر: الصّبر، والإستغفار والتسبيح صباحاً ومساًء: «فاصبر إنّ وعدالله حقّ ...»: ٥٥).

فكان هذا الخطاب الكريم للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من ربّه مدداً من أمداد السّمآء يجد في ظلّه أرواح الطّمأنينة والرّضا، وتنبيهاً له صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ وعدالله بالنّصر حقّ، وأنّ كيد قومه وجدالهم بالباطل واستكبارهم عن قبول دعوته صلّى الله عليه وآله وسلّم سيبطل، ويعود وبالاً على انفسهم.

إنّ الله تعالى لمّا ذكر في أوّل السّورة حال المجادلين والمكذّبين بآيات الله تعالى، واتّصل البعض بالبعض في النّسق، نبّه على الدّاعية الّتي تحمّل اولئك الكفّار على المجادلة والتكذيب في قوله عزّوجلّ: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله ...»: ٥٦).

هذا عود إلى ما انجرّ إليه الكلام من أوّل السّورة إلى ههنا، وفيه بيان السّبب الباعث لكفّار مكّة على هذا الجدال وهو الكبر منشأ الكفر والطّغيان، ومصدر البغي والعدوان ... ثمّ أمره صلّى الله عليه وآله وسلّم بالإستعاذة في دفع شرورهم بالله جلّ وعلا كما استعاذ موسىٰ عليه السّلام بالله من شرّ فرعون كبير الطّغاة وقومه المستكبرين: «فاستعذ بالله ...» ٥٦) لمّا كان المشركون أكثر ما يجادلون في أمر البعث وينكرونه بأقيسة وهميّة، وقضايا جدليّة كقولهم: «من يحيي العظام وهي رميم» يس: ٧٨) وقولهم: «أئذامتنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنّا لمبعوثون أو آبآئنا الأوّلون» الصّافات: ١٦-١٧) احتجّ عليهم بقوله: «لخلق السّموات والأرض ...»: ٥٧).

وهذا يؤيّد إمكان حدوث البعث، ويبعد عن أذهانهم إستحالته، فانّ خلق السّموات والأرض إبتدآءً على عظم أجرامها، ومن قدر على ذلك فهو قادر على

إعادتكم: «وهو الّذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلىٰ في السّموات والأرض» الرّوم: ٢٧).

إنّ الله تعالى لمّا قرّر الجدال المقرون بالبرهان، والجدال المقرون بالكبر والجهل، فرّق بين البابين بذكر المثال بقوله تعالى: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير ...»: ٥٨).

ففرق بين الجدال المستند على الجهل والعناد، وبين الجدال المستند إلى الحجّة والعلم. ولمّا بيّن التفاوت بين العالم والجاهل أشار إلى التفاوت بين المحسن والمسيئ: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ...»: ٥٨).

لمّا ذكر تعالى الأدلّة الواضحة على إمكان حدوث يوم البعث أخبر بوقوعه لامحالة فقال: «إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها...» ٥٩).

ثمّ أخبر بعدم ايمان أكثر النّاس به فقال: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» :٥٩)

لمّا كان من المعلوم أنّ الإنسان لاينتفع يوم القيامة ولانجاة له يومئذ إلّا بالطّاعة، واستجابة دعوة الله تعالى والعبادة له وحده في الحياة الدّنيا، دعا عباده أجمعين إلى ما به نجاتهم: «وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم ...»: ٦٠).

لمّا حملت الآية السّابقة دعوة النّاس أن يدعوا ربّهم الله تعالى وأن يوجّهوا إليه وحده وجوههم ... كما توعدت الآية الّذين يستكبرون عن عبادة الله ودعآئه بالإلقآء في النّار وفي ذلّة وصغار جآئت هذه الآية وما يليها من الآيات تعرض بعض مظاهر علم الله تعالى وحكمته، وقدرته ورحمته، وفضله وإحسانه إلى عباده ليرى هؤلآء المستكبرون أين يقع إستكبارهم من جلال الله وعظمته ... مع بيان موقف أكثر النّاس من فضل الله تعالى ونعمه عليهم في كلّ ظرف، حيث يلقونها بالجحود والكفران فلايشكرون لله ولايؤمنون به: «الله الّذي جعل لكم اللّيل ...»: ٦١).

مع ما في الآية الكريمة من ذكر نعمته على الخلآئق بوجود اللّيل والنّهار تنبيهاً على وجوب معرفة وجود المنعم على المنعم عليه، فكأنّه تعالى يقول: إنّي أنعمت عليكم بتلك النّعم الجليلة قبل السّؤال، فكيف لا أنعم عليكم بما هو أقلّ منه بعد السّؤال؟ ففيه تحريض على الدّعآء مع أنّ الإشتغال بالدّعاء مسبوق بمعرفة المدعوّ،

فلذلك ذكر في عديد من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالّة على تفرّده في الرّبوبية وتوحّده على الالوهيّة وعلى اتصافه بنعوت الكمال.

ولايبعد أن تكون الآية تفصيلاً لما اجمل به في أوآئل السّورة: «هوالّذي يريكم آياته ...»: ١٣).

ثمّ أكّد الألوهيّة والرّبوبيّة والخالقيّة لنفسه وحده إلفاتاً لهؤلآء الغافلين عنه، المشركين به، العاكفين على عبادة مايعبدون من أوثان وغير أوثان ممّا صنعت أيديهم أو تصورت أوهامهم: «ذلكم الله ربّكم»: ٦٢).

ثمّ ذكر أنّ هؤلآء المشركين الغافلين ليسوا ببدع في الامم قبلهم، بل قد سبقهم إلىٰ هذا الإنقلاب عن عبادة الله إلى عبادة الطّاغوت، وعن التّوحيد إلى الشّرك، وعن الإيمان إلى الكفر: «كذلك يؤفك الذين....»: ٦٣).

ثمّ أقام أدلّة واضحة اخرى على توحيده وفضله وعظمته و رحمته على عباده: «الّذي جعل لكم الأرض قراراً ...»: ٦٤).

إنّ الله تعالى لمّا أقام الأدلّة الآفاقية الدّالة على التّوحيد، أخذ بذكر الأدلّة الأنفسيّة الدّالّة على التّوحيد فقال: «وصوّركم فأحسن صوركم ...»: ٦٤).

ولمّا أشار إلى بعض إضافاته بالنّسبة إلى خلقه، أخذ بذكر بعض صفاته الحقيقيّة تعريضاً بمعبوداتهم وفنآئها، وتعريضاً بهم وبموتهم وإنتهآئهم إليه جلّ وعلا ليكون حجّة على عبوديّتهم لله تعالى، وبطلان معبودية غيره: «هو الحيّ لا إله إلّا هو...»: ٦٥).

كرّر كلمة التّوحيد: «لا إله إلّا هو» إهتماماً بتوحيده في مقام ردّ آلهتهم.

لمّا أثبت جلّ وعلا بالأدلّة الآفاقية والأنفسيّة الواضحة توحيده في أصل الوجود نفسه، وتوحيده في ايجاد العالم، وتوحيده في تدبير نظام الكون ونواميس الوجود أمر عباده بالتّوحيد والإخلاص في العبادة له وحده: «فادعوه مخلصين له الدّين»: ٦٥)

إنّ الله عزّوجلّ لمّا ذكر نعمة وجود الإنسان، ومابنمو ويكمل به جسمه من خلق السّموات والأرض والّليل والنّهار، ومن طيّبات الرّزق، وماتنمو وتكمل به روحه من الدّين إجمالاً، وجب على كلّ إنسان الحمد والثّنآء والشّكر له تعالى على جزيل نعمه

وجليل إحسانه: «الحمد لله ربّ العالمين»: ٦٥).

لمّا أثبت تعالى لنفسه التّوحيد في الوجود والإيجاد والتّدبير والعبادة له وحده أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم برفض الآلهة الموهومة وإبطال الشّرك وإظهار البرآءة من عبادة معبوداتهم .. وأورد ذلك بألين قول وألطف بيان ليصرفهم عن الشرك وعبادة الأوثان والطّواغيت ... مع بيان سبب النّهي ودليله وهو البيّنات الّتي جآئته، ثمّ ذكر انّه أُمِرَ بالإسلام والتّسليم لربّ العالمين: «قل إنّي نهيت ...»: ٦٦).

ثمّ فصّل الأدلّة الأنفسيّة الدّالّة على تفرّده في الخالقيّة من تكوين الجسم إلى موته، وعلى عظمته وقدرته وتدبيره، وعلى إستحقاقه وحده للعبادة والإخلاص والشّكر له: «هو الّذي خلقكم من تراب ...»: ٦٧).

ولمّا انجرّ الكلام إلى ذكر الأجل، وصف تعالى نفسه بأنّ الإحياء والإماتة منه وحده مع الإشارة إلى أنّ تلك الأدلّة الواضحة تثبت الوجود الواجب لإنّه واحد قادر يحيي ويميت: «هو الّذي يحيي ويميت...»: ٦٨).

فكما أنّ الإنتقال من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة أخرىٰ من الصّفات المتقدّمة دليل على وجود الإله الواحد القادر المتعال، كذلك الإنتقال من الحياة إلى الموت والعكس يدلّ على ذلك.

إنّ الله تعالى لمّا ذكر أحوال المكابرين الشّنيعة وآرآئهم الفاسدة، وذكر عاقبة أمرهم في الدّنيا والآخرة أعاد كلامه بذمّهم و وعيدهم: «ألم تر إلى الّذين يجادلون...»: ٦٩) فهذا رجوع بعد رجوع إلى حديث المجادلين في آيات الله، وقد تعرّض لبيان مآل أمرهم بذكر ما آل إليه أمر أشباههم من الأمم السّالفة، وهذا آخر كرّة عليهم يذكر فيها مآل أمرهم وما يصرفون إليه وهو العذاب المخلّد.

ثمّ وصفهم بقوله: «الّذين كذّبوا بالكتاب...»: ٧٠).

ثمّ بيّن كيفيّة عقابهم يوم القيامة وفي النّار: «إذ الأغلال في أعناقهم...» ٧١-٧٢) إنّ الله تعالى لـمّاذكر العذاب الجسمي للمجادلين في آيات الله بالنّار، أشار إلى عذابهم الرّوحي في نار جهنّم بأنّهم يسئلون سئوال تبكيت وتوبيخ عن آلهتهم الّتي

كانوا يعبدونها، وسؤال إعتراف بأنّ عبادتهم إيّاها كانت عبادة باطلة، وسؤال إقرار بأنّهم استحقّوا النّار وعذابها: «ثمّ قيل لهم أين ماتشركون...»: ٧٣- ٧٤).

ثمّ بيّن سبب دخولهم النّار وعذابها: «ذلكم بما كنتم تفرحون...»: ٧٥).

لـمّا أثبت لهم أنّهم استحقّوا أنواع العذاب بأنحآء عقآئدهم الباطلة، وأقوالهم الفاسدة وأعمالهم السّيّئة، أمرهم بدخول جهنّم من أبوابها: «ادخلوا أبواب جهنّم...»: ٧٦) ولمّا زيّف تعالى طريق المجادلين مرّة بعد مرّة أمر نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بالصّبر على ايذآئهم وتكذيبهم وإيحاشهم إلى إنجاز الوعد بالنّصرة والظّفر على قومه، وتطيب نفسه، فيجعل العاقبة له صلّى الله عليه وآله وسلّم ولمن اتبعه من المؤمنين في الدّنيا والآخرة: «فاصبر إنّ وعدالله حق...»: ٧٧) مردّداً الأمر بين عقاب المجادلين في الحياة الدّنيا كالامم السّابقة، أوعقابهم في الدّار الآخرة لإمتياز رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على سآئر المرسلين عليهم السّلام في ذلك بعدم مستأصل قومه بالعذاب.

ثمّ زاد جلّ وعلا في تسلية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّ المجادلة ليست أوّل قارورة كسرت في الإسلام، بل كانت بين الأمم السّالفة مع أنبيآئهم، ولكنّ الخسران كان دائماً على المجادلين، والربح للمؤمنين: «ولقد أرسلنا رسلنا من قبلك...»: ٧٨) ولمّا دعا تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الصّبر على أذى قومه، وانتظار وعدالله تعالى وحكمه لأجل موقوت عند الله لايجيئ إلّا في وقته، إقترح قريش آيات تعنّتاً، فردّ الله عزّوجلّ على تحدّيات المشركين بإنزال العذاب الّذي وُعِدوا به قبل موعده: «وما كان لرسول أن يأتي بآية...»: ٧٨).

لمّا تهدّدت الآية السّابقة المشركين بوقوع ماتوعدهم الله تعالى به في وقته، فظلّوا إذاً على ماهم عليه من ضلال وعناد، وجدال ولجاج... جآئت هذه الآية تفتح لهم طريقاً إلى الهدى إن كان بهم متّجه إليه بعد أن سمعوا هذا التّهديد، مع أنّها عودة إلى خطابهم ولفت نظرهم إلى بعض أفضال الله تعالى عليهم، تنديداً بجحودهم ومكابرتهم، وما فيها من دلآئل اخرى على التّوحيد: «الله الّذي جعل لكم

الأنعام...»: ٧٩ـ ٨٠).

ثمّ خاطب تعالى للكفّار الّذين جحدوا آيات الله تعالى وأنكروا أدلّته الدّالة على توحيده لامجال لا نِكارها، توبيخاً لهم: «ويريكم آياته...»: ٨١).

ثمّ نبّههم وحرّضهم وزاد توبيخهم على طريق الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة: «أفلم يسيروا في الأرض...»: ٨٢).

ليعلموا أنّه كما أنّ لله عزّوجلّ نعمة وفضلاً وإحساناً لعباده، كذلك له نقمة وسطوة بالمكذّبين الجاحدين، ولو أنّه كان لهؤلآء المكابرين عيون تبصر، وعقول تعقل لرأوا ما أنزل الله تعالى من بلآء ونقم بالمكذّبين قبلهم، وقد كانوا أكثر منهم مالاً و ولداً... فلمّا أخذهم الله تعالى ببأسه لم يغن عنهم شيئ ممّا كان في أيديهم...

ثمّ بيّن سبب ماحاق بهم من الهلاك والدّمار: «فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات...»: ٨٣).

فمن كان قادراً على ايجاد الكون ومافيه، وعلى إهلاك المجادلين السّابقين، وعلى الإحيآء والإماتة فهوقادر على إهلاك هؤلآء المكابرين من مشركي العرب. ثمّ أشار إلى أحوال هؤلآء المجادلين حين عاينوا العذاب في الحياة الدّنيا: «فلمّا رأوا بأسنا...»: ٨٤).

ثمّ ختم السّورة بتفصيل ماجآء في أوّلها إجمالاً من العقاب للذين يجادلون في آيات الله بالباطل ليدحضوا به الحقّ، فعرض موقفهم تفصيلاً وما أحاط بهم بأس الله تعالى، فإذاً أرادوا الإيمان، ولكن لايقبل منهم هذا الإيمان الملجأ، قد حلّ بهم البلاء والنّقم، فتلك هي سنّة الله تعالى: «فلم يك ينفعهم إيمانهم...»: ٨٥) هذا إجمال مابين آيات هذه السّورة: «المؤمن» من التّناسب، فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل، فإنّ درك التّناسب والسّياق والأسلوب والنّظم بين السّور القرآنية نزولاً ومصحفاً، وبين آياتها من أهمّ شرآئط التّفسير ودرك معانيها فافهم.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل: إنّ قوله تعالى: «فالحكم لله العليّ الكبير»: ١٢) منسوخ بآية السّيف: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ...» التوبة: ٥).

أقول: إنّ الجملة بصدد تهديد غير مباشر، وأين هذا من النسّخ؟!

وقيل: إنّ قول الله عزّوجلّ: «فاصبر إنّ وعدالله حقّ»: ٥٥) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ الجملة بصدد التّسلية لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بتحقيق وعدالله الحقّ بالنّصر والتّأييد معلّقاً على الصّبر والثّبات في موقفه، وأين هذا من النّسخ؟!

وقيل: إنّ قوله جلّ وعلا: «وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار»: ٥٥) هي صلاة كانت بمكّة قبل أن تفرض الصّلوات الخمس ركعتان غدوة، وركعتان عشيّة، فيكون هذا ممّا نسخ.

أقول: هذه مقالة غير مستند إلى أيّ دليل.

وقيل: إنّ قوله سبحانه: «فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم ...»: ٧٧) منسوخ بآية السّيف.

أقول: إنّ الكلام فيه هو الكلام في الآية ٥٥).

وأمّا التّشابه فلم أجد من الباحثين أحداً يقول: إنّ في هذه السّورة آية متشابهة فآيها محكمات والله تعالى هو أعلم.

﴿تحقيق في الأقوال﴾

١ ـ (حمٓ)

في «حم» أقوال: ١ـ عن إبن عباس: «حم» إسم الله الأعظم. ٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً: إسم من أسمآء الله تعالى أقسم به. ٣ـ عن إبن عبّاس أيضاً: «الرٓ» و«حمٓ» و«ن» حروف الرّحمن مقطّعة. وقيل: هو حروف مقطعة من إسم الله الّذي هو الرّحمن الرّحيم وهو الحآء والميم منه. ٤ـ عن القرظي: «حم» قسم أقسم به الله تعالى بحلمه وملكه أن لايعذّب من عاذبه، وقال الشّهادة: «لا إله إلاّ الله» بالإخلاص. وقدورد في الخبر: «إذا هاجم عليكم الأعداء في الغزو فقولوا: «حم» فلايظفرون عليكم كما قال مالك الأشتر النّخعي:

تذكّر في حاميم والرُّمحُ شاجرٌ ... فهلا تلا حاميم قبل التّقدم

وقيل: إنّ هذا البيت من قصيدة قالها شريح في وقعة جمل بعد قتله محمّد بن طلحة بن عبيدالله.

٥ـ قيل: «حم» إسم لهذه السّورة أي السّورة المسمّاة بـ «حم» ٦ـ عن عطآء الخراساني: «حم» إفتتاح أسمآء الله تعالى، فالحآء افتتاح إسمه: حليم، حميد، حكيم، حيّ، وحنّان... والميم افتتاح إسمه، ملك، مجيد، مبدئ، معيد، منّان، متكبّر، ومصوّر... ٧ـ عن الكلبي والضّحاك: معنى «حم»: قُضِي ما هو كآئن وقُدّر إلى يوم القيامة كأنّه أراد الإشارة إلى تهجي «حم» لأنّها تصير حُمَّ بضمّ الحآء وتشديد الميم أي قضِيَ و وقع. ٨ـ عن عكرمة وأبي امامة «حم» إسم من أسمآء الله وهي مفاتيح خزآئن ربّك. ٩ـ عن قتادة: «حم»

إسم من أسمآء القرآن. ١٠ـعن مجاهد: «حم» فواتح السّور. ١١ـعن كعب بن مالك: إنّ معنى «حم» حُمّ أمر الله أي قرب. ومنه سميّت الحمّىٰ لأنّها تقرب من المنيّة. والمعنى المراد: قرُبَ نصره لأوليآئه وانتقامه من أعدائه كيوم بدر.

١٢ ـ قيل: «حم» حروف هجآء ولهذا تقرأ ساكنة الحروف، فخرجت مخرج التهجّي، وإذا سميّت سورة بشيئ من هذه الحروف أعربت، فتقول: قرأت «حَمَ» فتصب والمعنى: إقرأ «حم». ١٣ـ قيل: الله أعلم بمراده بـ «حم» فهو من المتشابهات والمبهمات الّتي استأثر الله بعلمها، ولا يعلم تأويلها غيره والرّاسخون في العلم. ١٤ـ عن السّدي: «حم» من حروف أسمآء الله تعالى. ١٥ـ قيل: اريد بـ «حم» التّنبيه في أوّل الكلام نحو «ألا» و«أيا» و«يا» فبدئت السّورة بحرفي الحآء والميم لإسترعآء الأذهان إلى خطورة مابعدهما.

١٦ ـ قيل: «حم» نحو «يس» و«آل حم» مثل «آل يس» وتسمّىٰ مجموع السّور السّبع الّتي بدئت بـ «حم» آل حم أو الحواميم. وقال عبدالله بن مسعود: «إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات دَمِثات أتأنّق فيهنّ» وقال: «آل حم ديباج القرآن» وعن ابن عباس: «إنّ لكلّ شيئ لباباً ولباب القرآن آل حم» وعلى هذا قول الكميت بن زيد في الهاشميات:

وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منّا تقيّ ومُعزِبُ

يريد بذلك، قوله تعالى: «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ» الشّورى: ٢٣) ١٧ـ قيل: «حم» حرفان من وسط إسم «محمّد» تنبيهاً على سرّ بينه تعالى وبين حبيبه صلّى الله عليه وآله وسلّم لايسعه فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل.

أقول: وسبق منّا مراراً أنّ مفاتيح السّور القرآنية رموز إلهيّة بين الله تعالى والرّاسخين في العلم وهم أهل بيت الوحي المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين، من غير تناف بينه وماورد عن طريقهم من معانيها على سبيل الرّمز فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٣ ـ (غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير)

في قوله تعالى: «غافر الذّنب» **أقوال:** ١ـ عن الفرّآء: أي ذي الغفران للمؤمنين، ولذلك صار نعتاً للمعرفة. ٢ـ عن إبن عبّاس: أي غافر الذّنب لمن قال: «لا إله إلاّ الله». ٣ـ عن الحسن البصري: أي غافر الذّنب لمن لم يتب.

في الدّرّ المنثور: «جآء رجل إلى عمربن الخطّاب فقال: إن قتلتُ فهل لي من توبة؟ فقرأ عمر عليه: «غافر الذّنب وقابل التّوب» وقال: إعمل ولا تيأس».

أقول: إنّ الحسن البصري تابع لعمربن الخطّاب، بأنّ الله سبحانه يغفر الذّنوب صغائرها وكبآئرها وإن لم يتب المذنب، إذ حثّ عمربن الخطّاب الرّجل على العمل بما شآء ولا ييأس!

٤ ـ قيل: أي غافر الذّنب إذا استحقّ غفرانه إمّا بالتّوبة إن كان كبيراً، وإمّا بالطّاعة أعظم منه ثواباً إن كان صغيراً. ٥ـ قيل: أي قابل الذّنب الصّغير. ٦ـ قيل: أي غافر الذّنب بإسقاط العقاب. ٧ـ قيل: أي من شأنه تعالى غفران الذّنوب فيما مضىٰ وفيما يستقبل، ولذلك صار من صفة المعرفة. ٨ـ قيل: أي هوالّذي يغفر لما سلف من الذّنوب صغيرها وكبيرها بالتّوبة.

٩ ـ قيل: أي غافر الذّنب إكراماً.

أقول: والأوّل هوالمؤيّد باستغفار الملائكة للمؤمنين الّذين تابوا واتبعوا سبيل الله تعالى.

وفي قوله عزّ وجلّ: «وقابل التّوب» **أقوال:** ١ـ عن الفرّآء: أي ذي قبول التّوبة ولذلك صار نعتاً للمعرفة. ٢ـ قيل: أي ومن شأنه تعالى أن يقبل التّوبة ممّن تاب وآمن وعمل صالحاً. ٣ـ عن ابن عبّاس والحسن: أي يقبل التّوبة لمن تاب من الشّرك . ٤ـ قيل: أي قابل التّوب عن الكبير. ٥ـ قيل: أي قابل التّوب بإيجاب الثّواب. ٦ـ قيل: أي هوالّذي يقبل التّوبة في مستأنف الأزمنة لمن تاب. ٧ـ قيل: أي قابل التّوب إنعاماً. ٨ـ قيل: أي قابل توبة الرّاجعين. ٩ـ قيل: أي قابل التّوب للمقتصدين.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فافهم.

وفي قوله جلّ وعلا: «ذي الطّول» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس وقتادة: أي ذي النّعم على عباده. ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً ومجاهد: أي ذي الغني والسّعة ومنه قوله تعالى: «ومن لم يستطع منكم طولاً» النّسآء: ٢٥) أي غني وسعة. ٣ـ عن الحسن وقتادة ومحمّدبن كعب: أي ذي التفضّل على المؤمنين المستغفرين التآئبين. ٤ـ عن إبن زيد والسّدي: أي ذي القدرة والسّعة والفضل على الغير. ٥ـ عن إبن عبّاس: أي ذي المنّ والفضل على من آمن به، وذي الغنىٰ على من لايؤمن به.

٦ـ عن ابن عباس أيضاً وابن عمر: غافر الذّنب لمن قال: «لا إله إلّا الله» وقابل التّوب عمّن قال: «لاإله إلّا الله» شديدالعقاب لمن لم يقل:«لاإله إلّا الله» وذي الغنىٰ عمّن لم يقل: «لا إله إلّا الله». قيل: إنّما ذكر «ذي الطّول» عقيب «شديدالعقاب» ليعلم أنّ المعاصي أتى في هلاكه من قبل نفسه لامن قبل ربّه، وإلّا فنعمه سابغة عليه دنياً وديناً. ٧ـ عن عكرمة أي ذي المنّ. وذلك أنّ الطّول ـ بالفتح ـ: المنّ. يقال: منه طال عليه وتطوّل عليه إذا امتنّ عليه. قيل: إنّ الفرق بين المنّ والتفضّل: أنّ المنّ عفوعن ذنب، والتّفضّل احسان غير مستحق. والطّول مأخوذ من الطُّول كأنّه طال بإنعامه على غيره. وقيل: لأنّه طالت مدّة إنعامه على صاحبه كما أنّ التفضّل هو النفع الّذي فيها إفضال على صاحبه، ولو وقع النّفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضّلاً. يقال: لفلان على فلان طول أي فضل. فالطّول: الإنعام الّذي يطول لبثه على صاحبه وطال عليه.

٨ ـ قيل: أي ذي الفضل بسبب ترك العقاب المستحقّ، والنّعم المبسوطة على مَن شآء من خلقه. ٩ـ قيل: أي ذي البأس والعزّة والغلبة، فلايفوته تعالى مطلوب، ولا يدفع بأسه دافع. ١٠ـ قيل: أي ذي الطّول للسّابقين والمقرّبين.

أقول: والتّاسع هو الأنسب بظاهر السّياق: الوعيد بعد الوعد، الإنذار بعد البشارة، والخوف بعد الرّجآء، والترهيب بعد التّرغيب ... فتأمّل جيّداً فإنّ التأمّل في كلام الخالق المتعال أولى من التأمّل في كلام المخلوق الجهول الدّاني.

٤ ـ (مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا فلا يغررك تقلّبهم في البلاد)

في قوله تعالى: «ما يجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا» **أقوال:** ـ قيل: إن المراد بآيات الله: القرآن، والمراد بالجدال في آياته: الطّعن فيها وتكذيبها، ونسبتها إلى الشّعر تارة، وإلى السّحر تارة أخرىٰ، وأنّها أساطير الأوّلين ثالثة، وإلى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام وسخيف المقال ... فالجدال فيها لذلك كفر، وأمّا البحث عنها لاستنباط حقائقها، والوقوف على دقائقها، وردّ أهل الزّيغ بها وعنها، وحلّ مشكلاتها فنوع من الجهاد في سبيل الله يجب على العلماء والدّعاة ... من دون ريب. والمراد بالذين كفرواهم مشركوا مكّة.

۲ ـ قيل: اريد بآيات الله محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن الكريم معاً، والمراد بالجدل: شدّة اللّدد في الخصومة، والمراد بالكافرين مشركوا مكّة إذ كانوا ينسبون رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الجنون والكذب والحرّ والكهانة ... وينسبون القرآن إلى الشعر والسّحر ... والمراد: الجدال بالباطل من الطّعن فيهما والقصد إلى إد حاض الحقّ، وإطفآء نورالله تعالى، وقد دلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» المؤمن: ٥).

قيل: آيتان ما أشدّهما على الّذين يجادلون في القرآن: **أحدهما**ـ قوله تعالى: «ما يجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا». **ثانيها**ـ قوله عزّوجلّ: «وإنّ الّذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد» البقرة: ١٧٦).

۳ ـ قيل: أريد بآيات الله: الآيات التّكوينيّة والتّدوينية الدّالة على وحدانيّة الله تعالى: وتفرّده على العلم والكمال، والعزّة والجلال ... والمراد بالكافرين: كلّ من اتصف بالكفر في كلّ ظرف. ٤ـ قيل: أريد بآيات الله الولاية التّكوينية والولاية التّشريعيّة لأصحابها ... وذلك أنّ الإنسان مالم يستر وجهة القلب الّتي هي الولاية التّكوينية ـ وليست الولاية التّشريعية إلّا معينة لكشف الحجاب عن وجهة القلب ـ لايكفر بالله جل وعلا ولا بملائكته وكتبه ورسله، ولابنعمه ولا باليوم الآخر، فكفره بذلك بعد كفره بالولايتين. ٥ـ قيل: أي لايخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجحدها إلّا الّذين كفروا بالله وآياته وجحدوا نعمه ودلالاته ...

أقول: إنّ السّياق وإن كان ظاهره يؤيّد الأوّل، ولكنّ التّعميم غير بعيد، وإنّ المورد ليس بمخصّص.

وفي قوله عزّوجلّ: «فلايغررك تقلّبهم في البلاد» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس وقتادة: أي فلا يغررك تقلّب مشركي مكّة في البلاد، أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم، وتنقّلهم فيها للتّجارات والمكاسب، فإنّ قريشاً كانت أصحاب أموال متجرين في رحلتي الصّيف إلى الشّام شمالاً، والشّتآء إلى اليمن جنوباً، ثمّ يرجعون سالمين غانمين، مترفين بأموالهم، مستكبرين عن قبول الحقّ لذلك، وهم وإن أُمهلوا ولكنّهم لايهملون. ٢ـ قيل: أي فلا يغررك تقلّب الكفّار في كلّ ظرف، في البلاد للمعاش سالمين فإنّ عاقبتهم النّار. فلايختصّ الحكم بمشركي مكّة، بل يعمّ لكلّ من كفر في كلّ ظرف. ٣ـ قيل: أي فلا يغررك إقبال الكفّار وإدبارهم، وتقلّبهم في أسفارهم بالتّجارة، أصحّآء بعد كفرهم وتمتّعهم بزخارف الدّنيا ولذائذها، بل اعاقبهم لأنّهم في سلطاني فلا يفوتونني.

٤ـ قيل: أي فلايغررك ماهم فيه من الخير والسّعة في الرّزق وحظوظهم الدّنيويّة، فإنّ ذلك متاع قليل في الدّنيا. ٥ـ عن الزّجّاج: أي فلايغررك سلامتهم بعد كفرهم فإنّ عاقبتهم الهلاك والدّمار، والنّكال والنّار. ٦ـ قيل: إنّ تقلّبهم في البلاد كناية عمّا أصابوه من قوّة ونجاح، وطول يد في الدّنيا والبلاد. ٧ـ قيل: تقلّبهم في البلاد هو انتقالهم من طور من أطوار الحياة إلى طور آخر، ومن نعمة إلى نعمة في سلامة وصحّة وعافية و ولد وعيش رغيد.

أقول: إنّ الكلام في الجملة هو الكلام في الجملة السّابقة، وأمّا الخطاب للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته فهو الخطاب عينه له صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم فافهم ولا تغفل.

٥ ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب)

في قوله تعالى: «وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس

وقتادة والسّدي: أي همّوا به ليقتلوه ويهلكوه. والأخذ بمعنى الهلاك كقوله تعالى: «ثمّ أخذتهم فكيف كان نكير» والعرب تسمّى الأسير الأخيذ لأنّه مأسور للقتل. ۲ـ قيل: أي ليحبسوه ويعذّبوه. ۳ـ قيل: أي ليخرجوه وينفوه من دياره. ٤ـ قيل: أي ليؤذوه ويفتّكوا حرمته. ٥ـ أي ليمنعوه من تبليغ رسالته.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ حسب إختلاف همّ كلّ أُمّة برسولهم. فتأمّل جيّداً.

وفي وقت أخذهم لرسولهم قولان: **أحدهما**ـ عند دعآئه لهم إلى الإيمان وصالح الأعمال، وترك الكفر وفساد الأفعال ... **ثانيها**ـ عند نزول العذاب بهم.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ كالسّابق فافهم ذلك.

وفي قوله عزّوجلّ: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» أقوال: ۱ـ قيل: أي خاصموا الرّسل بالشّرك ليبطلوا به الحقّ الّذي جآئهم به الرّسل. ۲ـ قيل: أي وجادلوا الرّسل بالأباطيل والأوهام والخرافات ليبطلوا بها الحقائق والمعارف ... ۳ـ عن يحيى ابن سلام: أنّهم كانوا يجادلون الأنبيآء بالكفر والشّرك ليبطلوا بها الإيمان والتّوحيد. ۳ـ قيل: أي يحاولون توهين الحقّ بالشّبهات الواهية والآرآء الباطلة، والأقوال الكاذبة ... فخاصموهم في دفع الحقّ بباطل من القول.

٤ـ قيل: أي وأقبلوا بالباطل الّذي معهم ليبطلوا به الحقّ الّذي بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويقيموا لهذا الباطل حججاً من السّفه والضّلال ... فماذا كان مصيرهم؟ ٥ـ قيل: أي ليوهنوا ويزيلوا ويتغلّبوا فجادلوا بالباطل لإزهاق الحقّ وطمسه، وحاولوا أن يبطشوا برسلهم فأخذهم الله أخذاً قويّاً ماتزال آثاره قآئمة وأخباره دآئرة يراها النّاس ويسمعونها.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٦ـ (وكذلك حقّت كلمتُ ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار)

في قوله تعالى: «على الّذين كفروا» أقوال: ۱ـ عن الحسن: أي حقّت كلمة ربّك بالعذاب على مشركي العرب كما حقّت على مَن قبلهم من كفّار الأمم الماضية. ۲ـ قيل: هم مطلق الكفّار الماضين والآتين. والمعنى كما أخذ الله المكذّبين

من الماضين بعذاب الإستئصال في الحياة الدّنيا، كذلك حقّت كلمته على مطلق الكافرين بعذاب الآخرة، ومنهم قومك الكافرون. ٣ـ قيل: أريد بهم كفّار مكّة فقط. ٤ـ قيل: إنّ المراد بالّذين كفروا كلّ من اتّصف بالكفر ظاهراً وباطناً في كلّ ظرف، فيعمّ المنافقين.

أقول: والرّابع هو المؤيّد بالآيات القرآنية والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٧ـ (الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

في قوله تعالى: «الّذين يحملون العرش ومن حوله» أقوال: ١ـ قيل: إنّ العرش وحمله ومن حوله كلّ ذلك كناية عن عظمة الله تعالى وجلاله وسلطانه المطلق الدّائم. وذلك أنّ العالم لايحمل جالساً على العرش لأنّه تعالى منزّه عن المادّة، ولأنّ الحامل أقوىٰ من المحمول، فلابدّ من تأويل الظّاهر بما يتّفق مع العقل والقوانين اللّغوية وجلال الذّات القدسيّة. وأنّ تعبير عرش الله أولى أن يصرف إلى قصد تصوير عظمة الله، وأنّه تعبير تمثيليّ لأنّ النّاس في الدّنيا اعتادوا أن يروا عروش الملوك، وأن يقيسوا عظمتهم بعظمة ملكهم وعروشهم، وأن يروا هذه العروش رمزاً لملكهم وسلطانهم وقوّتهم، بل وأن يعبروا عن ذلك بها.

٢ ـ قيل: إنّ حملة العرش هم الملائكة أرجلهم في الأرض السّفلىٰ، ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون طرفهم. ٣ـ قيل: إنّ الله تعالى خلق العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطّير المسرع ثمانين ألف عام، وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عزّ وجلّ: «ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية» الحاقّة: ١٧).

وأمّا في ذلك الوقت فلايعلم به إلّا الله تعالى، أمّا الّذين حول العرش فقيل: سبعون ألف صفّ من الملائكة يطوفون مهلّلين مكبّرين، ومن ورائهم سبعون ألف

صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتّهليل والتّكبير، ومن ورآئهم مأة ألف صفّ قد وضعواالأيمان على الشّمآئل ما منهم أحد إلّا وهو يسبّح بما لايسبّح به الآخر.

٤ ـ قيل: إنّ العرش هو السّرير وهو جسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكة يحملونه، وتعبّدهم بتعظيمه والطّواف به كما خلق في الأرض بيتاً، وأمر بني آدم عليه السلام بالطّواف به، وإستقباله في الصّلاة. ٥ ـ قيل: إنّ المراد بالحمل هوالتّدبير والحفظ، والمراد بالحفيف والطّواف بالعرش هو القرب من ذي العرش، ومكانة الملائكة لديه وتوسّطهم في نفاذ أمره.

أقول: والثّالث هو المرويّ، وسيجيئ البحث حول العرش وحملته في تفسير سورة «الحاقة» وسورة البروج تفصيلاً إن شآء الله تعالى.

وفي قوله تعالى: «يسبّحون بحمد ربّهم» أقوال: ١ـ قيل: أي ينزّهون ربّهم عمّا يصفه به هؤلآء المجادلون في آيات الله سبحانه. ٢ـ قيل: أي يسبّحونه بالتّسبيح المعهود ويحمدونه على انعامه، فيقولون: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر. فالمراد بالتّسبيح تسبيح تلفّظ لا تسبيح دلالة. ٣ـ قيل: أي يقولون: سبحان وبحمده. ٤ـ قيل: إنّ تسبيحهم هو قولهم: «ربّنا وسعت كلّ شيئ رحمة وعلماً» ٥ـ قيل: إنّ المراد بالتّسبيح تسبيح دلالة لا تسبيح تلفّظ. ٦ـ قيل: أي يصلّون لربّهم بحمده وشكره.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين، من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الآخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله جلّ وعلا: «ويستغفرون للّذين آمنوا» أقوال: ١ـ قيل: إنّ الملائكة المقرّبين يستغفرون للمؤمنين التّآئبين الصّالحين طلباً لمزيد الكرامة والثّواب لهم من الله تعالى، فاستغفارهم بمنزلة شفاعتهم عندالله عزّوجلّ لهم لمزيد الدّرجات عنده تعالى كما أنّ الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والصّدّيقين يشفعون للمؤمنين لذلك. وأمّا المراد من توبتهم في قول الملائكة: «فاغفر للذين تابوا» فرجوعهم إلى الله تعالى

بـالايمـان والإخلاص. والمعنىٰ: يستغفرون للّذين رجعوا إلى الله تعالى بـالإيمان بوحدانيته، وسلوك سبيله وهودين الإسلام وقولهم: «وقهم عذاب الجحيم» هوغاية المغفرة وعرضها.

٢ ـ قيل: إنّ الملائكة يستغفرون للمذنبين من المؤمنين لأنّ الإستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلّا في إسقاط العذاب، وأمّا طلب النّفع الزّائد فإنّه لايسمّى إستغفاراً، ويدلّ على ذلك قولهم: «وقهم عذاب الجحيم» فكان إستغفارهم لإسقاط العذاب عنهم، ووقايتهم منه. ٣ـ قيل: إنّ هذا الإستغفار من الملائكة يجري مجرى الإعتذار من قولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها» البقرة: ٣٠).

٤ ـ عن قتادة: أي يستغفرون لكلّ من قال: «لاإله إلّا الله» فعلى هذا يشمل إستغفارهم للمنافقين أيضاً.

أقول: إنّ إستغفار الملائكة لطآئفة من المؤمنين الّذين لهم ذنب يغفر يكون لإسقاط العذاب عنهم ووقايتهم منه، ولطائفة آخرين منهم ليس لهم ذنب كدعآئنا وصلواتنا على محمد وآله الطّاهرين سوآء كانت لترفيع الدّرجات أم لتظاهرنا بالولاية لهم صلوات الله عليهم أجمعين مع أنّ الإستغفار غير مقصور في غفران الذّنوب بل هو على ثلاثة عشر قسماً كما جآء في الدّعآء بعد زيارة الإمام الثّامن عليّ بن موسى الرّضا عليه آلاف التّحيّة والثّنآء، ولنا فيه بحث عميق في تفسير سورة «النّصر» فانتظر.

٩ ـ (وقهم السّيّئات ومن تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)

في «السّيّئات» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس أي عذاب يوم القيامة. ٢ـ قيل: أي العقوبات، سمّاها سيّئات إتّساعاً كقوله تعالى: «وجزآء سيّئة سيّئة بمثلها» الشورى: ٤٠). ٣ـ قيل: إنّ المراد بالسّيّئات: العقائد الباطلة والآرآء الفاسدة ... ٤ـ قيل: السّيّئات هي الأعمال الضّارّة والمعاصي والآثام نفسها في الحياة الدّنيا. وقولهم: «يومئذ» إشارة إلى الدّنيا. والمعنى: واحفظهم من اقتراف المعاصي وارتكاب الآثام وإنهماك الشّهوات في الحياة الدّنيا بتوفيقك وحمايتك من وقوعهم فيها بعد توبتهم

وايمانهم بك. ٥ـ عن قتادة: أي جزآء السّيّئات وهو عذاب الجحيم. فحذف المضاف. وقولهم: «يومئذ» إشارة إلى يوم القيامة. ٦ـ قيل: أي عذابِ القبر والحشر وعذاب الموقف والحساب وعذاب السّؤال والنّار.

٧ ـ عن قتادة أيضاً: أي وقهم مايسؤوهم من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة.٨ـ أريد بالسّيّئات المكروهات، وذلك أنّ الوقاية بمعنى الصّيانة، تقول: وقاك الله من كلّ سوء أي صانك من كلّ مكروه. ٩ـ قيل: أريد بالسّيّئات الصّغآئر والكبآئر المتوب عنها، والوقاية منها. التّكفير أو قبول التّوبة والمعنى: إدفع عنهم السّيّئات وباعد بينهم وبينها بالمغفرة والمحو والتّكفير وقبول التّوبة حتّى إذا حوسبوا لم يكن في ميزان حسابهم مايثقله من سيّئات ... ١٠ـ قيل: السّيّئات هي الأهوال والشّدائد الّتي تواجههم يوم القيامة غير عذاب الجحيم الّذي سئلوا وقايتهم عنه، فلا تكرار في قوليهم: «وقهم عذاب الجحيم» «وقهم السّيئات».

أقول: والسّابع هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

١٠ ـ (الّذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة والسّدي: إنّ الكافرين لمّا رأوا عقآئدهم الباطلة، وأعمالهم الخبيثة ونظروا في كتابهم وأدخلوا النّار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم، فنودوا بلسان خزنة جهنّم: لمقت الله إيّاكم في الحياة الدّنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون بالله أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم. وعن الحسن البصري: إنّهم يعطون كتابهم، فإذا نظروا إلى سيّئاتهم مقتوا أنفسهم فينادون. ٢ـ عن البلخي: إنّهم لمّا تركوا الإيمان وصاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت، وهذا كما يقول أحدنا لصاحبه: إذا كنت لا تبالي بنفسك فبالاتي بك أقلّ. وليس يريد أنّه لايبالي بنفسه، بل يريد أنّه يفعل فعل من هو كذلك.

٣ ـ قيل: أي يقال لهم يوم القيامة: أُقسم لمقت الله إيّاكم في الدّنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقت بعضكم بعضاً يوم القيامة لأنّ بعضهم عادى

بعضهم بعضاً ومقته يومئذٍ «ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً» العنكبوت: ٢٥) فأذعنوا عند ذلك وخضعوا وطلبوا الخروج من النّار. ٤ـ عن الكلبي: يقول كلّ إنسان من أهل النّار لنفسه: مقتك يا نفس، فتقول الملائكة لهم وهم في النّار: لمقت الله إيّاكم إذ أنتم في الدّنيا، وقد بعثت إليكم الرّسل فلم تؤمنوا أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم. ٥ـ عن قتادة أيضاً: لمقت الله لكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم إذ عاينتم النّار. والمقت: أشدّ العداوة والبغض والسّخط والغضب.

٦ ـ عن محمّدبن كعب القرظي: إنّ أهل النّار لمّا يئسوا ممّا عند الخزنة وقال لهم مالك: «إنكم ماكثون» على مايأتي قال بعضهم لبعض: «يا هؤلآء! إنّه قد نزل بكم من العذاب والبلآء ماقد ترون، فهلمّ فلنصبر فلعلّ الصّبر ينفعنا كما صبر أهل الطّاعة على طاعة الله فنفعهم الصّبر إذ صبروا، فأجمعوا رأيهم على الصّبر فصبروا فطال صبرهم، ثمّ جزعوا فنادوا: «سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» ابراهيم: ٢١) أي من ملجأٍ فقال إبليس عند ذلك: «إنّ الله وعدكم وعدالحقّ و وعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان ـإلى قولهـ ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ» يقول: بمغن عنكم شيئاً: «إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل» إبراهيم: ٢٢).

فلمّا سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، فنودوا: «لمقت الله أكبر من مقتكمـ إلى قولهـ فهل إلى خروج من سبيل» فردّ عليهم: «ذلكم بأنّه اذا دعي وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير».

٧ ـ عن الحسن أيضاً: لمّا دخل المؤمنون الجنّة، ودخل الكافرون النّار مقتوا أنفسهم فأكلوا أناملهم من المقت، فينادون من جانب الله تعالى، فيقال لهم: أقسم لمقت الله إيّاكم في الدّنيا، وشدّة بغضه لكم أكبر من مقتكم أنفسكم وشدّة بغضكم لها إذ تدعون إلى الإيمان من قِبَل أنبيآء الله ورسله فتكفرون. ٨ـ عن مجاهد أيضاً: لمقت الله أهل الضّلالة حين يعرض عليهم الإيمان في الدّنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا

أكبر ممّا مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة. ٩ـ عن زر الهمداني: هذا شيئ يقال لهم يوم القيامة حين مقتوا أنفسهم لما عاينوا عذاب الله وأهوال يوم القيامة: لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم الآن حين علمتم أنكم من أصحاب النّار.

١٠ ـ عن ابن عبّاس: إنّ الّذين كفروا إذا دخلوا النّار يقول كلّ واحد منهم: مقتك يا نفسي، فإذاً يناديهم الملائكة: لمقت الله في الدّنيا أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم في النّار إذ تدعون في الدّنيا إلى الإيمان فتكفرون بالله سبحانه. ١١ـ قيل: أي ينادون من قبل الملائكة وهم ملآئكة غلاظ شداد، وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النّار: لمقت الله إيّاكم أيّها الكفرة الفجرة أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون في الدّنيا إلى الإيمان فتجحدون. ١٢ـ قيل: يقال لهم يوم القيامة: لمقت الله أنفسكم الأمّارة بالسّوء والكفر أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم حين كان الأنبيآء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون وتختارون عليه الكفر والطّغيان، أشدّ ممّا تمقتونهنّ اليوم وأنتم في النّار إذا أوقعتكم فيها بإتباعكم هوا هنّ أو إقتدآءً بأخِلاّئكم المضلّين وإستحباباً لآرآئهم الواهية. فحذفت الأنفس الأولى لدلالة الثّانية عليها.

١٣ ـ قيل: يقال لهم وهم في قعر جهنّم: أنتم الآن أيّها الكافرون تكرهون أنفسكم وتمقتونها حيث أدّت بكم إلى هذا المصير الشّؤم، وكنتم تحبّونها وأنتم في الحياة الدّنيا، وَلكنّ الله كان آنذاك يمقتها ويمقتكم مقتاً أشدّ من مقتكم لها اليوم حيث كان يدعوكم إلى النّجاة والحياة الطّيّبة فتعرضون وتنفرون عنها، فذوقوا اليوم ماقدّمتم لأنفسكم. ١٤ـ عن ابن زيد: لـمّا دخل أهل الضّلالة والكفر نار جهنّم مقتوا أنفسهم في ضلالهم وكفرهم، وفي معاصي الله الّتي ركبوها، فنودوا: إنّ مقت الله إيّاكم حين دعاكم إلى الإسلام أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النّار. ١٥ـ قيل: أي ينادون في الآخرة بعد دخولهم النّار وذوقهم عذابها لكفرهم، فيظهر لهم أنّ كفرهم في الدّنيا إذ كانوا يدعون من قبل الأنبيآء إلى الإيمان كان مقتاً وشدّة بغض منهم لأنفسهم حيث أوردوها بذلك مورد الهلاك والعذاب الدّآئم.

أقول: وعلى الرّابع عشر أكثر المفسّرين وهو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر مع تداخل بعضها فافهم ذلك.

١١ - (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل)

في الإماتتين والإحياءتين أقوال: ١- عن ابن عبّاس: الإماتة الأُولى أن خلقهم الله تعالى أمواتاً، وصحّ تسمية خلقهم أمواتاً إماتة كما صحّ أن تقول سبحان من صغر البعوضة وكبّر جسم الفيل أي أنشأهما كذلك. ثمّ خلقة نطفة ثمّ علقة ... كما في قوله تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم» البقرة: ٢٩) على أنّ في قوله عزّ وجلّ «أحياكم» دلالة على أنّ ماقبل الوجود كانوا أمواتاً. وهذا كقولك للحفّار: «ضيّق فم الرّكيّة و وسّع أسفلها» أي احفرها كذلك، وليس ثمّ نقل من كبر إلى صغر أو بالعكس، وإنّما اردت الإنشآء على تلك الصّفات، فكلا النّعتين جائز على المصنوع الواحد، وللصّانع أن يختار أحدهما. والدّليل على ذلك أنّه تعالى بدأ بالإماتة، وإلاّ كان الأظهر أن يبدأ بالإحيآء. وأمّا الإماتة الثّانية فهي عند إنقضاء آجالهم في الدّنيا، وأمّا الإحياء الاولى فبالولادة الّتي هي في الدّنيا، والثّانية فبعد البعث في الدّار الآخرة.

وأمّا عدم ذكر الإحيآء في القبر للمسئلة، والإماتة فيه بعد المسئلة هنا فلا يدلّ على عدمها مع دلالة الآيات القرآنية والرّوايات الصّحيحة عليها في البرزخ. قيل: إنّهم أهملوا ذكر حياة القبر لقصر مدّتها أو لأنّهم لم يموتوا بعد ذلك، بل يبقون أحياءً في الشّقاوة حتّى اتّصل بها حياة القيامة، وكانوا من جملة المستثنين في قوله تعالى: «فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلاّ من شآء الله» الزمر: ٦٨).

٢ - قيل: أرادوا بالإماتتين والإحيآءتين تعديد أوقات البلآء والمحنة، وهي أربعة: الموتة الأولى والحياة في القبر، والموتة الثّانية والحياة في القيامة، وأمّا الحياة في الدّنيا فانّها وقت ترفّههم وتنعّمهم، فلهذا السّبب لم يذكروها. وبذلك ثبت سؤال القبر. ٣- عن ابن عبّاس أيضاً وابن مسعود وأبي مسلم وقتادة والضّحاك : أي

كانوا أمواتاً في أصلاب آبآئهم، فأحياهم الله في الدّنيا، ثمّ أماتهم الموتة الّتي لابدّ منها، ثمّ أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان.

ولايخفى عليك الفرق بين هذا القول، والقول الأوّل على أنّ الإماتة أطلقت في الأوّل على قبل حصول النّطفة في الأصلاب، وفي الثّالث بعد ذلك.

٤ـ عن إبن عباس أيضاً والسّدي والبلخي: «أمتّنا اثنتين» مرّتين: مرّة أُميتوا في الدّنيا بقبض الأرواح بعد الحياة، ومرّة أُميتوا في قبورهم بعد أن سئلهم نكير ومنكر فيها «وأحييتنا اثنتين» مرّتين: مرّة أحيوا في قبورهم لسئوال نكير ومنكر، فسئلوا أو خوطبوا، ومرّة إحيوا في الآخرة للحساب والجزآء.

٥ ـ عن ابن زيد: أي خلقهم الله من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق، فلمّا أخذ عليهم الميثاق أماتهم، ثمّ خلقهم في الأرحام، ثمّ أماتهم، ثمّ أحياهم يوم القيامة.

٦ ـ قيل: في الآية الكريمة إشارة إلى أربعة أدوار مرّ بها الإنسان إذ كان ميتاً قبل أن يخلق ثمّ كان حيّاً بعد أن خلق، ثمّ كان الموت وكان البعث، فهما موتان وحياتان.

٧ ـ عن الجبائي: إنّ الحياة الأولى في الدّنيا، والحياة الثّانية في القبر للسّئوال، وإنّ الموتة الأولى في الدّنيا، والثّانية في القبر بعد السّئوال، ولم يرد الحياة يوم القيامة.

٨ ـ قيل: إنّ في الآية إشارة إلى الإماتة بعد الحياة الدّنيا، وإلى الإماتة بعد الحياة البرزخية، وإلى الإحيآء في البرزخ، وإلى الإحيآء ليوم القيامة، ولولا الحياة البرزخية لم تتحقّق الإماتة الثّانية لأنّ كلاً من الإماتة والإحيآء يتوقّف تحقّقه على سبق خلافه، ولم يتعرّضوا للحياة الدّنيا، ولم يقولوا: «وأحييتنا ثلاثاً».

وإن كان إحياءً لكونها واقعة بعدالموت الّذي هو عدم ولوج الرّوح لأنّ مرادهم ذكر الإحيآء الّذي هو سبب الايقان بالمعادَ وهو الإحيآء في البرزخ ثمّ في القيامة وأمّا الحياة الدّنيوية فإنّها وإن كانت إحياءً لكنّها لا توجب بنفسها يقيناً بالمعاد، فقد كانوا مرتابين في المعاد وهم أحيآء في الدّنيا، فليس مرادهم مجرّد ذكر الإماتة

والإحيآء اللّتين مرّتا عليهم كيفما كانتا، بل مرادهم بهما ماكان منهما مورثاً لليقين بالمعاد، وليس الإحيآء الدّنيوي على هذه الصّفة.

٩ ـ قيل: أريد بالإحياءتين إحيآءالبعث، والإحيآء الّذي قبله، وإحيآء البعث قسمان: إحيآء في القبر، وإحيآء عند البعث، ولم يتعرّض لهذا التّقسيم في الآية فتشمل الآية الإحيآءات الثّلاث والإماتتين جميعاً. ١٠ـ قيل: أريد بالتّثنية التّكرار كما في قوله تعالى: «ثمّ ارجع البصر كرّتين» الملك: ٤) والمعنى: أمتّنا إماتة بعد إماتة، وأحييتنا إحيآءة بعد إحياءة. ١١ـ قيل: إنّ التّثنية تتحقّق بالرّجعة أو يقولون ذلك في الرّجعة بسبب الإحيآء والإماتة اللّتين في القبر للسّؤال.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهر السّياق من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر.

وفي قوله تعالى حكاية عنهم: «فهل إلى خروج من سبيل» **قولان: أحدهما**ـ أي هل لنا بعد إعترافنا بذنوبنا إلى خروج من القبر إلى الدّنيا سبيل لنعمل بطاعتك. **ثانيها**ـ أي هل لنا بعد الإعتراف إلى خروج من النّار إلى الدّنيا من سبيل، فنؤمن بالله تعالى ونعمل غير الّذي كنّا نعمل فيها.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

١٣ ـ (هو الّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّمآء رزقاً ومايتذكّر إلّا من ينيب)

في «آياته» أقوال: ١ـ قيل: هي السّموات والأرض ومابينهما من الشّمس والقمر، من النّجوم والكواكب، من الرّياح والسّحاب، من البحار والأنهار، ومن العيون والجبال والأشجار، ومايشاهده الإنسان في العالم العلوي والسّفلي من الآيات العظام الّتي تدلّ على وحدانية خالقها، وقدرة مبدعها، وتفرّده بالألوهيّة كما قال:

وفي كلّ شيئ له آية تدلّ على أنّه واحد

٢ ـ قيل: هي الآيات الآفاقية والأنفسيّة الّتي أُشير إليها في قوله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣).

٣ ـ قيل: هي الآيات القرآنية لأنّها غذاء الأرواح، وبها قوام الدّين الاسلامي

كما أنّ الرّزق غذاء الجسم وبه قوام البدن الإنساني. ٤ـ قيل: هي الآيات الكونيّة المشهودة في العالم لكلّ إنسان صحيح الإدراك والآيات التّدوينيّة الّتي تجري على أيدي الرّسل والحجج القآئمة من طريق الوحي، والآيات الباهرة الّتي تجري على أيديهم من طريق الوحي، والآيات الباهرة الّتي تجري على أيديهم من طريق الإعجاز لإثبات رسالاتهم ...

والجملة مشتملة على حجّة على التّوحيد ورفض أنحاء الشّرك وذلك أنّه لوكان هناك إله تجب عبادته على الإنسان وكانت عبادته كمالاً للإنسان وسعادة له لكان من الواجب في تمام التّدبير وكمال العناية أن يهدي إليه الإنسان، والّذي تدلّ الآيات الكونيّة على ربوبيّته والوهيّته ويؤيّد دلالتها الرّسل والأنبيآء عليهم السّلام بالدّعوة والإتيان بالآيات والمعجزات هو الله عزّوجلّ، وأمّا آلهتهم الّذين يدعونهم من دون الله فلا آية من قبلهم تدلّ على شيءٍ، فالله جلّ وعلا هو الإله وحده لاشريك له، وإلى هذه الحجّة يشير مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام بقوله: «لوكان لربّك شريك لأتتك رسله».

٥ ـ قيل: إنّ المراد بالآيات هي مساكن خربة وعروش خاوية وآثار باقية من الأمم الماضية الّذين ظلموا وكذّبوا بآيات الله تعالى فهلكوا ودمّروا.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «رزقاً» أقوال: ١ـ قيل: أريد بالرّزق سببه وهو المطر النّازل من السّمآء. وذلك أنّ تنزيل الشّيْ قسمان: **أحدهما**ـ تنزيله بنفسه كتنزيل القرآن الكريم. **ثانيها**ـ تنزيله بأسبابه كإنزال اللّباس في قوله تعالى «قد أنزلنآ عليكم لباساً» الأعراف: ٢٦) وكتنزيل الرّزق: «ينزّل لكم من السّمآء رزقاً» أي بإنزال المطر الّذي يخرج به الأقوات من الأرض. ٢ـ قيل: أريد بالرّزق القرآن الكريم فإنّه خير رزق وأعظمه نزّله الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعباده. ٣ـ قيل: الرّزق بمعنى المآء على اعتبار مايكون من أثر المطر في تيسير الرّزق. ٤ـ قيل: إنّ الرّزق هو نفس الأشيآء الّتي يرتزق بها ونزولها من السّمآء بروزها من الغيب إلى الشّهادة كما يستفاد

من قوله تعالى: «وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزآئنة وماننزّله إلّا بقدر معلوم» الحجر: ٢١).

٥ـ قيل: أريد بالرّزق أسبابه إطلاقاً لدلالة النكرة: «رزقاً» على ذلك، ومن الأسباب هوالمطر النّازل من السّمآء. وفيه حجّة اخرى على وحدانيّة الله عزّوجلّ من جهة الرّزق، فإنّ رزق العباد من شئون الرّبوبيّة والالوهيّة، والرّزق من الله جلّ وعلا دون شركآئهم فهو الرّبّ الإله دونهم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، والثّاني غير بعيد.

وفي قوله جلّ وعلا: «إلّا من ينيب» أقوال: ١ـ عن السّدي: أي إلّا من يقبل إلى طاعة الله. ٢ـ قيل: أي لايتفكّر في حقيقة ذلك إلّا من يرجع إلى الله. ٣ـ قيل: أي من يرجع عن إنكار آيات الله بالإقبال عليها والتّفكّر فيها. ٤ـ قيل: أي إلّا من يعرض تلك الآيات القرآنية على نفسه، فيكون له فيها نظرو اعتبار، وهو الّذي يرغب في الحقّ، وينيب إلى الله ويفهم آياته ويشعر بعظمته، ويؤمن به، وهذه الآيات هي مقابل جملة «مايجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا» في الآية الرّابعة من السّورة. ٥ـ قيل: أي يرجع عن الباطل إلى الحقّ لوجه الحقّ، وعن الشّرك إلى التّوحيد لوجه التّوحيد، وعن الكفر إلى الإيمان لوجه الإيمان ... ٦ـ قيل: أي يتحرّ من التّقليد وإتباع الهوى

أقول: ولكلٍّ وجهٌ والمعاني متقارب فافهم ذلك .

١٤ ـ (فادعوا الله مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون)

في قوله تعالى: «فادعوا الله» أقوال: ١ـ قيل: خطاب للمؤمنين في زمن الوحي. ٢ـ قيل: خطاب عامّ لكلّ مكلّف في كلّ ظرف إلى يوم القيامة. ٣ـ قيل: خطاب عام للمؤمنين وغيرهم متفرّعاً على الحجّة السّابقة، غير أنّه لايشمل الكافرين المذكورين في آخر الآية، وهم المكذّبون المكابرون المجادلون بالباطل كأنّه قيل: إذا كانت الآيات تدلّ على وحدانيّة الله تعالى وهو الرّازق، فعلى غير الكافرين الّذين كذّبوا بآيات الله وجادلوا فيها أن يدعوا الله مخلصين له الدّين. ٤ـ قيل: خطاب للمنيبين وهم اولوا الألباب الّذين يعرضون عن الشّرك ويرجعون إلى ربّهم في كلّ ظرف.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الآخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «ولوكره الكافرون» أقوال: ۱- عن ابن عبّاس: هم أهل مكّة. والمعنى: وإن كره مشركو مكّة طاعتكم لله تعالى وحده. ۲- قيل: أريد بالكافرين أعدآء المؤمنين من مشركي مكّة ومنافقيهم. أي ولو كره الكافرون من مشركي مكّة ومنافقيهم إخلاصكم لله تعالى، فإنّهم كارهون للتّوحيد والإخلاص في الدّين، فلا مطمع فيهم، ولا آية تفيدهم، ولاحجّة تنفعهم، فاعبدوه بالإخلاص ودعوا هؤلاء المشركين ومن انسلك مسالكهم في الشّرك ، فإنّهم يكرهون التّوحيد والإخلاص. ۳- قيل: هم مشركوا العرب وغيرهم من أهل مكّة وغيرها الّذين يعبدون الآلهة ويجعلون لله سبحانه أنداداً، ويتّخذون الطّواغيت أرباباً ... فلا تعبدوا أنتم أيّها المنيبون غيرالله. ٤- قيل: اريد بالكافرين كلّ مَن ليس على دين الإسلام سوآء أكانوا معاندين أم لا. ٥- قيل: إنّ المراد بالكافرين المعاندون المجادلون في آيات الله بغير الحقّ في كلّ ظرف.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

۱٥ - (رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق)

في قوله تعالى: «رفيع الدّرجات» **أقوال:** ۱- قيل: الرّفيع هنا بمعنى الرّافع، والمعنى رافع درجات الخلق في العلم والأخلاق الفاضلة ومنازل العزّ ومراتب الفضل الّتي يخصّ بها عباده الصّالحين وأوليائه المخلصين، رافع الدّرجات، عالي الأقدار ومشرف المنار، فالدّرجات المذكورة هي الّتي يرفع الله تعالى عباده إليها لا الّتي يرتفع بها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. قال الله تعالى: «يرفع الله الّذين آمنوا منكم والّذين اوتوا العلم درجات» المجادلة: ۱۱) فالرّفيع من صفات الفعل.

۲ - قيل: الدّرجات هي الطّبقات في الموجودات ومراتبها ... حتّى جعل للملائكة مقامات معيّنة «وما منّا إلّا له مقام معلوم» الصّافات: ۱٦٤) وللأجسام

البسيطة العلوية والسّفلية درجات معيّنة كما يشهد به علم الهيئة.

٣ ـ عن إبن عبّاس وعطآء: الرّفيع بمعنى الرّافع. والمعنى: رافع درجات ثوابه وطبقاته الّتي ينزلها ويعطيها الأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والصّدّيقين والصّلحآء والمتّقين، والشّهدآء والمخلصين في الجنّة. ٤ـ قيل: أي يرفع درجات الأنبيآء والمرسلين عليهم السّلام في الدّنيا والآخرة على أممهم. ٥ـ قيل: يرفع درجات بعض الرّسل والأنبياء فوق بعض، وفضّل بعضهم على بعض كما قال: «تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات» البقرة: ٢٥٣).

٦ ـ قيل: أي يرفع درجات بعض النّاس فوق بعض في الخلق والرّزق والأجل والمقام والمال ... قال الله تعالى: «وهو الّذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم» الأنعام: ١٦٥).

٧ ـ عن إبن عبّاس أيضاً وسعيدبن جبيرو الكلبي: أي رفيع السّموات، إذ جعل سمآءً فوق سمآءٍ، وجعل العرش فوقهنّ، فالسّماوات هي الدّرجات رفع بعضها فوق بعض.

٨ ـ عن ابن عبّاس وسعيدبن جبير أيضاً: أي خالق السّموات إذ رفعها فوق كلّ شيءٍ والمعنى: إنّ خلق السّموات السّبع ورفعها على كل شيْ، تصعد منها الملائكة إلى عرشه. ٩ـ قيل: أي رفيع مصاعد عرشه و«رفيع الدّرجات» مثل «ذي المعارج» وهي مصاعد الملائكة إلى أن تبلغ العرش وهي دليل على عزّته وملكوته. ١٠ـ قيل: أي رافع درجات ثواب المؤمنين في الجنّة.

١١ ـ قيل: اريد بالدّرجات، الدّرجات الّتي يرتقي منها إلى عرشه، ويعود قوله: «رفيع الدّرجات ذوالعرش» كناية إستعاريّة عن تعالى عرش ملكه عن مستوى الخلق وغيبته واحتجابه عنهم قبل يوم القيامة بدرجات رفيعة ومراحل بعيدة. وذلك أنّ الآية الكريمة وتاليها يصفان ملكه تعالى على خلقه أنّ له عرشاً تجتمع فيه أزمّة أمور الخلق ويتنزّل منه الأمر متعالياً بدرجات رفيعة هي مراتب خلقه، ولعلّها السّموات الّتي وصفها في كلامه بأنّها مساكن ملائكته، وأنّ أمر يتنزّل بينهنّ وهي الّتي تحجب

عرشه عن النّاس، ثمّ إنّ له يوماً هو يوم التّلاقي يرفع فيه الحجاب مابينه وبين النّاس بكشف الغطآء عن بصآئرهم، وطيّ السّموات بيمينه وإظهار عرشه لهم، فينكشف لهم أنّه هو المليك على كلّ شيْ لاملك إلّا ملكه فيحكم بينهم.

١٢ ـ قيل: الرّفيع هنا بمعنى المرتفع أي لله تعالى درجة علوّ السّلطان ورفعة الشّأن وذلك أنّ الله عزّوجلّ أشرف الموجودات وأجلّها رتبة من جهة إستغنآئه في وجود وفي جميع صفات وجوده عن كلّ ماسواه، وافتقار كلّ ماسواه إليه في الوجود وفي توابع الوجود. فالله جلّ وعلا رفيع الصّفات وعظيم النّعوت، فهو أرفع قدراً وأرفع الموجودات وأعظمها. فالرّفيع من صفات الذّات.

في الصّحيفة السّجّادية: في الرّوضة الثّامنة والعشرين. قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد وملكة القدرة الصّمد، وفضيلة الحول والقوّة ودرجة العلوّ والرّفعة، ومن سواك مرحوم في عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، مختلف الحالات، متنقّل في الصّفات فتعاليت عن الأشباه والأضداد، وتكبّرت عن الأمثال والأنداد فسبحانك لا إله إلّا أنت».

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ العلوّ مأخوذ من العلوّ المقابل للسّفل، وذلك إمّا في درجات محسوسة كالدّرج والمراقي وجميع الأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض وإمّا في المراتب المعقولة للموجودات المرتّبة نوعاً من التّرتيب العقلي، فكلّ ماله الفوقيّة في المكان فله العلوّ المكاني، وكلّ ماله الفوقيّة في الرّتبة فله العلوّ في الرّتبة، والتّدريجات العقليّة مفهومة كالتّدريجات الحسّيّة، ومثال الدّرجات العقليّة هو التّفاوت الّذي بين السّبب والمسبّب، والعلّة والمعلول والفاعل والقابل، والكامل والنّاقص ...

فإذا قدّرت شيئاً هو سبب لشيْ ثان، وذلك الثّاني سبب لثالث، والثّالث لرابع إلى عشر درجات مثلاً، فالعاشر واقع في الرّتبة الأخيرة فهو الأسفل الأدنى، والأوّل واقع في الدّرجة الأولى من السّببيّة فهو الأعلى، وتكون الأولى فوق الثّانية فوقيّة بالمعنى لا بالمكان، والعلوّ عبارة عن الفوقيّة، فإذا فهمت معنى التّدريج العقلي، فاعلم أنّ

الموجودات لايمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في العقل، إلّا ويكون الحقّ تعالى في الدّرجة العليا من درجات أقسامها حتّى لايتصوّر أن يكون فوقهُ درجة، بل هو مبدأ كلّ درجة، وذلك هو العليّ المطلق، الرّفيع المطلق، والكبير المطلق ... وكلّ ماسواه فيكون عليّاً، رفيعاً كبيراً ... بالإضافة إلى مادونه، ويكون دنيّاً وسافلاً بالإضافة إلى مافوقه.

ومثال قسمة العقل أنّ الموجودات تنقسم إلى ما هو سبب، وإلى ما هو مسبّب، والسّبب فوق المسبّب فوقيّة بالرّتبة، فالفوقيّة المطلقة ليست إلّا لمسبّب الأسباب، وكذلك ينقسم الموجود إلى ميّت وحيّ، والحيّ ينقسم إلى ماليس له إلّا الإدراك الحسّي وهو البهيمة، وإلى ماله مع ذلك الإدراك العلمي، والذي له الإدراك العلمي ينقسم إلى مايعارضه في معلوماتة الشّهوة والغضب وهو الإنسان، وإلى ما يسلم إدراكه عن معارضة المكدّرات، والّذي سلِم ينقسم إلى مايمكن أن يبتلى به ولكنّه رزق السّلامة كالملائكة، وإلى مايستحيل ذلك في حقّه وهو الله تعالى فوق الكلّ، فهو العليّ المطلق، فإنّه الحيّ المحيي، الرّفيع المطلق، والعالم المطلق الخالق المنزّة المقدّس عن جميع أنواع النّقص.

فقد وقع الميّت في الدّرجة السّفلى من درجات الكمال، ولم يقع في الطّرف الآخر إلّا الله تعالى، فهكذا ينبغي أن تفهم فوقيّته وعلوّه ورفعته ... فإنّ هذه الأسمآء وضعت أوّلاً بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام، ثمّ لمّا تنبّه الخواص لإدراك البصآئر و وجدوا بينها وبين الأبصار موازنات، إستعاروا منها الألفاظ المطلقة وفهمها الخواص، وأنكرها العوام الّذين لم يجاوز إدراكهم الحواس وهي رتبة البهآئهم، فلم يفهموا عظمة إلّا بالمساحة ولا علوّاً إلّا بالمكان، ولا رفعة ولا فوقيّة إلّا به.

فإذا فهمت هذا، فهمت معنى كونه جلّ وعلا فوق العرش، لأنّ العرش أعظم الأجسام وهو فوق جميعها، والموجود المنزّه عن التّحدّد والتعدّد بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلّها في الرّتبة، ولكن خصّ العرش بالذّكر لأنّه فوق جميع الأجسام، فما كان فوقه كان فوق جميعها وهو كقول القآئل: الخليفة فوق السّلطان،

تنبيهاً على أنّه إذا كان فوقه كان فوق جميع النّاس الّذين هم دون السّلطان.

أقول: والأخير هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الآخر فافهم ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «ذوالعرش» أقوال: ١ـ قيل: أي خالق العرش ومالكه، وربّه ومدبّره ومخرجه من العدم إلى الوجود، خلقه مطافاً للملائكة إظهاراً لعظمته مع استغنآئه في مملكته، فهو مستولٍ على عالم الأجسام، وأعظمها العرش كما هو مستول على عالم الأرواح وهي مسخرّة له. ٢ـ عن أبي مسلم: هو من قولهم: «ثلّ عرش فلان» أي زال ملكه وعرشه، فالله تعالى ذوالعرش بمعنى ثبوت ملكه وسلطانه، فالمعنى ذوالملك الثّابت، والسّلطان الدّآئم. ٣ـ عن إبن عباس: أي ذوالسّرير. ٤ـ قيل: أي عظيم الثّواب لعباده الصّالحين وكثير الجزآء على طاعتهم.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين، وفي معناه الثّاني.

وفي قوله عزّوجلّ: «يلقي الرّوح» أقوال: ١ـ عن قتادة: أريد بالرّوح هنا الوحي الرّبّاني. فالمعنى: يُلقي الوحي من أمره وقد سمّي روحاً لأنّ النّاس يحيون به من موت الكفر والضّلالة، ومن موت الشّرك والجهالة إلى حياة الإيمان والهداية وإلى العلم والمعرفة كما تحي الأبدان بالأرواح، ولأنّ نموّ الرّوح الإنساني وكما لها بالوحي وهو سبب الحياة الإنسانية وتحي به القلوب ... ٢ـ عن ابن زيد والضّحاك : الرّوح هنا هو القرآن الّذي أوحاه الله تعالى إلى جبرئيل، وجبرئيل روح نزل به على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال تعالى: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» الشّورى: ٥٢) والكتب النّازلة على المرسلين هي الرّوح لينذروا بها النّاس يوم التّلاق. ٣ـ عن السّدي: الرّوح هنا النّبوّة. ٤ـ عن الضّحاك وقتادة: الرّوح هنا جبرئيل عليه السّلام لقوله تعالى: «نزل به الرّوح الأمين على قلبك» الشّعرآء: ١٩٣ـ ١٩٤) وقوله: «نزّله روح القدس من ربّك بالحقّ» النّحل: ١٠٢).

٥ ـ قيل: الرّوح هنا هو روح القدس وهو غير جبرئيل. ٦ـ قيل: أريد بالرّوح هنا الرّوح الّتي ذكرها في قوله تعالى: «قل الرّوح من أمر ربّي» الأسراء ٨٥) وهي

الّتي ذكرها في قوله تعالى: «تنزّل الملائكة والرّوح» القدر: ٤) وقوله: «ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره» النّحل: ٢) والمراد بإلقاء الرّوح تنزيلها مع ملائكة الوحي على من يشآء من عباده من نبيّ مرسل أو وصيّ منتجب.

أقول: والأخير هو المرويّ عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام .

وفي قوله تعالى: «من أمره» أقوال: ١ـ قيل: أي من قوله. ٢ـ قيل: أي من قضآئه. ٣ـ قيل: أي بأمره. على أن «من» بمعنى البآء المصاحبة أو السّببيّة.

أقول: والأخير هو الأنسب بماورد، على أنّ تنزيل الملائكة بمصاحبة الرّوح لإلقآئه في روع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لإفاضة الوحي عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم أو تنزيلهم بسبب الرّوح على أنّ كلمة الله تعالى هي كلمة الحياة تحكم في الملائكة وتحييهم كماتحكم في الإنسان وتحييه.

وفي قوله جلّ وعلا: «لينذر» في المنذر أقوال: ١ـ قيل: أي لينذر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ٢ـ قيل: المنذر هو الله تعالى أي لينذرالله ببعثه الرّسل إلى الخلآئق. ٣ـ قيل: المنذر هو الوحي. ٤ـ قيل: المنذر هو الرّوح.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات الكريمة منها قوله تعالى: «ينزّل الملائكة بالرّوح من أمره على من يشآء من عباده أن أنذروا» النّحل: ٢).

وفي قوله عزّوجلّ: «يوم التّلاق» أقوال: ١ـ قيل: أي يوم تلاقي الأجسام والأرواح فيه بعد مفارقتها عنها بالموت. ٢ـ عن إبن عبّاس وقتادة والسّدي وابن زيد: أي يوم تلاقي أهل السّمآء والأرض كما قال تعالى: «ويوم تشقّق السّمآء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً» الفرقان: ٢٥) ٣ـ قيل: أي يوم يلاقي كلّ إنسان جزآء عمله حسناً أو قبيحاً. ٤ـ عن ميمون بن مهران والجبآئي: أي يوم يلتقي فيه الظّالم والمظلوم، والخصم والمخصوم ... فربّما ظلم رجل رجلاً وانفصل عنه، ولم يكن التّلاقي أو استضعف المظلوم فني القيامة لابدّ أن يتلاقيا.

٥ ـ عن ابن عبّاس وقتادة أيضاً ومقاتل وأبي العالية: أي يوم يلتقي فيه الخالق والمخلوق فيحكم بينهم. ٦ـ قيل: أي يلتقي فيه العابدون والمعبودون، والتّابعون

والمتبوعون والرّؤسآء والمرؤوسون ... من أهل الشّرك والضّلالة وأهل الكفر والغواية، وأهل الإثم والجناية ...

٧ ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي يلتقي الأوّلون والآخرون على صعيد واحد. ٨ـ قيل: يوم التّلاق هو يوم الإجتماع وهو كناية عن يوم القيامة. ٩ـ قيل: أي يوم تلاقي المؤمن والكافر، الموحّد والمشرك ، المخلص والمنافق، والمصلح والمفسد ... ١٠ـ قيل: هو المراد من قوله تعالى: «فمن كان يرجوا لقآء ربّه ...» الكهف: ١١٠) وقوله «تحيّتهم يوم يلقونه سلام» الأحزاب: ٤٤).

١١ ـ قيل: يوم يلتقي فيه آدم عليه السّلام ولده. ١٢ـ قيل: أي يوم تتلاقي الأعمال صاحبها، ومافي قلوبهم تبرز. ١٣ـ قيل: يوم يتلاقي البشر جميعاً، ويتلاقي النّاس وأعمالهم الّتي قدّموها في الدّنيا، ويتلاقي النّاس والملائكة والجنّ، ويتلاقي جميع الخلآئق الّتي تشهد ذلك اليوم المشهود، فهو يوم التّلاقي بكلّ معاني التّلاقي.

أقول: والثّاني هو المرويّ، والمؤيّد بظاهر السّياق فتدبّر جيّداً.

١٦ ـ (يوم هم بارزون لايخفىٰ على الله منهم شيٌ لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار)

في قوله تعالى: «يوم هم بارزون» أقوال: ١ـ قيل: أي بارزون من قبورهم، ويهرعون إلى أرض المحشر وهو يوم التّلاق، ويوم الحشر ويوم الجمع. ٢ـ قيل: أي يبرز بعضهم لبعض لايخفى على أحد منهم حال غيره إذ ينكشف مايكون مستوراً من قبل. ٣ـ قيل: أي إنّ أعيانهم وقلوبهم وأحوالهم وأعمالهم بعين الله تعالى، وإنّ ظاهرهم وخفاياهم وماذكروه ومانسوه كلّها مكشوفة غير مستورة ٤ ـ قيل: أي إنّهم عراة مكشوفون ليس عليهم ستر كما ورد في الخبر: «يحشرون عراة حفاة غرلاً».

٥ ـ قيل: إنّ البروز كناية عن ظهور أعمالهم واكتشاف أسرارهم كما قال تعالى: «يوم تبلى السّرائر» الطّارق: ٩) وقال: «إذا بعثر ما في القبور وحصّل ما في الصّدور» العاديات: ٩ـ ١٠) ٦ـ قيل: إنّ النّفوس البشرية كأنّها في الحياة الدّنيا انغمست في ظلمات أعمال الأبدان، فتبرز يوم القيامة بعد ما كانت مستترة في الجسمانية، فيبرزون فيه بلا ساتر ولا واق ولا تزييف ولا خداع.

أقول: وفي معنى الثّالث روايات عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفي معناه بعض الأقوال الآخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله تعالى: «لمن الملك اليوم لله الواحدالقهّار» في القآئل والمجيب أقوال: ١ـ قيل: إنّ الله تعالى يأمر الملائكة بعدالنفخة الثّانية أن يقولوا للنّاس: يا أهل المحشر! «لمن الملك اليوم»؟ فيجيبون كلهم: مؤمنهم وكافرهم: «لله الواحدالقهّار» وعن عبدالله بن مسعود: يحشرالنّاس على أرض بيضآء مثل الفضّة لم يعص الله تعالى عليها فيؤمر منادٍ ينادي: «لمن الملك اليوم» فيقول العباد: مؤمنهم وكافرهم: «لله الواحد القهّار» فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذّذاً، ويقوله الكافرون غمّاً وانقياداً وخضوعاً.

٢ ـ قيل: القآئل والمجيب هو الله تعالى وحده إذ يقول بعد نفخة موت الخلائق كلّهم حتّى الملائكة وملك الموت، فيقول تعالى عندئذٍ: «لمن الملك اليوم»؟ فيجيب لنفسه: «لله الواحدالقهّار» إذ ليس أحد غيره. ويكون في الإخبار بذلك مصالح للمكلفين في دارالتّكليف. وعن إبن عبّاس وأبي سعيد الخدري ومحمّدبن كعب القرظي والحسن البصري: ينادي منادٍ بين يدي السّاعة ـعند الصّيحةـ: أيّها النّاس أتتكم السّاعة، ومدّبها صوته، فيسمعه الأحيآء والأموات، فيقول: «لمن الملك اليوم»، فليس أحد يجيبه، فيردّ نفسه لأنّه تعالى بقي وحده عند فنآء الخلق، فيقول: «لله الواحد» بلا ولد ولاشريك، القهّار لخلقه بالموت الغالب عليهم. فالمنادي هو المجيب.

٣ ـ قيل: القآئل الأنبيآء والمرسلون، والمجيب هو الله تعالى. ٤ـ قيل: القائل هو الله عزّوجلّ، والمجيب النّاس. ٥ـ قيل: إنّ جبرئيل يقول بعد موت الخلائق: «لمن الملك اليوم»؟ فيقول ملك الموت: «لله الواحدالقهّار» ثمّ يموتان. ٦ـ قيل: القائل هو الله تعالى، والمجيب خلق هم غيرموجودين الآن. ٧ـ قيل: ينادي منادٍ فيقول: «لمن الملك اليوم» فيجيبه أهل الجنّة: «لله الواحدالقهّار». ٨ـ قيل: إنّ قوله تعالى: «لمن الملك اليوم»؟ هو سؤال بلسان الحال حيث يظهر سلطان الله عياناً لأهل الحشر

مؤمنهم وكافرهم، وقوله: «لله الواحدالقهّار» هو جواب بلسان الحال أيضاً حيث لاجواب غيره. ٩ـ قيل: يقول الله تعالى يوم القيامة يوم لامالك غيره: «لمن الملك اليوم» فتجيب أرواح الأنبيآء والمرسلين وحجج الله: «لله الواحدالقهار».

أقول: إنّ الثّاني والتّاسع هما مرويّان عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تنافٍ بينهما فافهم ذلك ولا تغفل.

١٨ ـ (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع)

في «يوم الآزفة» أقوال: ١ـ عن مجاهد وقتادة والسّدي وابن زيد: هو يوم القيامة. فالمعنى: يوم الدّانية لأنّ كل ماهو آتٍ دان قريب من قولهم: أزف الأمر: إذا دنا وقته. وأزف الرّحيل: قرب. ولاريب أنّ القيامة قريبة وإن استبعد النّاس مداها لأنّ كلّ ماهو كآئن فهو قريب فالآزفة من أوصاف القيامة، ومعناها القريبة قال تعالى: «إنهّم يرونه بعيداً ونراه قريباً» المعارج: ٦ ـ ٧). ٢ـ قيل: أي يوم دنوّالمجازاة وسرعتها من يزفّ بعضهم إلى بعض: يسرع. ٣ـ قيل: الآزفة كناية عن السّاعة قال الله تعالى: «أزفت الآزفة» النجم: ٥٧) أي السّاعة. ٤ـ قيل: الآزفة الّتي تسوق النّاس وتزفهم بالسّرعة.

٥ ـ عن أبي مسلم وقطرب: أريد بيوم الآزفة يوم حضور المنيّة والأجل.

وذلك أنّ الله تعالى لمّا ذكر يوم القيامة في قوله: «يوم التّلاق يوم هم بارزون» ناسب أن يكون «يوم الآزفة» غير «يوم التّلاق» مع أنّه تعالى وصف يوم المنيّة وحضور الأجل بنحو هذه الصّفة في قوله: «فلولا إذا بلغت الحلقوم» الواقعة: ٨٣) و«كلاّ إذا بلغت التّراقي» القيامة: ٢٦) ولاريب أنّ الرّجل عند معاينة أمارات الموت يعظم خوفه. ٦ـ قيل: أريد بيوم الآزفة وقت لحظة الآزفة وهي مشارفتهم ومسارعتهم إلى دخول النّار، فعندئذٍ ترتفع قلوبهم عن مقارّها فتلصق بحناجرهم، فلاهي تخرج فيموتوا، ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفّسوا.

أقول: والأوّل هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «إذا القلوب لدى الحناجر» أقوال: ١ـ عن قتادة والسّدي: أي وقعت المخافة يوم القيامة في حناجرهم، فلاتخرج ولا تعود إلى أماكنها ... والمعنى: في وقت تنتزع فيه القلوب من أمكنتها وهي الصّدور، فكظمت به الحناجر، فلم تستطع أن تلفظها ولم تعد إلى أماكنها ... ٢ـ عن ابن جريح: أي إذا عاين أهل النّار النّار حتّى تبلغ القلوب حناجرهم، فلاتخرج فيموتون، ولا ترجع إلى أماكنها من أجوافهم ...

٣ ـ قيل: أي ترتفع القلوب خوفاً وهلعاً وجزعاً ورعباً. ففيه كناية عن شدّة الخوف للفزع الأكبر في ذلك اليوم أو في ذلك الوقت. وقد خصّت الحناجر بذلك لأنّ الفزع ينتفخ منه رئته، فيرتفع القلب من مكانه لشدّة انتفاخه حتّى يبلغ الحنجرة. ٤ـ عن أبي مسلم وقطرب: أي إذ القلوب لدى الحناجر عند حضور المنيّة. ٥ـ قيل: هذا إخبار عن نهاية جزعهم يوم القيامة أو يوم المجادلة. ٦ـ قيل: أي إذ القلوب ترتفع من شدّة الإضطراب إلى الحناجر فتكتم حلوق أصحابها وأنفاسهم، فلا تستطيع خروجاً ولا تستطيع العودة إلى أماكنها، وهي بسبيل تصوير حالة الهلع الشّديد الّتي تعتري الكفّار. ٧ـ قيل: أي انّهم عند مسارعتهم إلى دخول النّار ترتفع قلوبهم عن مقارّها من شدّة الخوف والهول والفزع والوحشة، فتتحرّك القلوب عندئذٍ من مواضعها كأنّها تبلغ الحناجر.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الآخر.

وفي قوله تعالى: «كاظمين» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي محزونين يتردّد الغيظ في أجوافهم، ومنه قوله تعالى: «والكاظمين الغيظ» آل عمران: ١٣٤) ومنه قولهم: كظم قربته إذا شدّ رأسها لأنّ ذلك الشّدّ يمسكها على مافيها، فهؤلآء قد أطبقوا أفواههم على ما في قلوبهم لشدّة الخوف. فالمعنى: ممسكين أنفسهم على قلوبهم لئلاّ تخرج. ٢ـ قيل: أي مغمومين مكروبين ممتلئين غماً أو غيظاً عمّا قد أطبقوا أفواههم على قلوبهم من شدّة الخوف. ٣ـ عن ابن جريج: أي باكين.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحقّقين وفي معناه الثّاني.

وفي قوله عزّوجلّ: «وما للظّالمين من حميم»أقوال: ١- قيل: أي ليس لمشركي مكّة الّذين ظلموا بالشّرك من قريب مشفق ينفعهم، فيدفع عنهم عظيم مانزل بهم من عذاب الله، ويقوم بنصرهم بحميّة القرابة قال تعالى: «فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساء لون» المؤمنون:١٠١) ٢- قيل: أي لايكون للمنافقين من رفيق شفيق ينفعهم. ٣- قيل: أي لايكون للكافرين من محبّ. وقيل: أي من أنصار. ٤- قيل: هم الّذين يظلمون النّاس من المسلمين. ٥- قيل: أي ليس لكلّ من اتّصف بالظّلم: المشرك بشركه، والكافر بكفره، والمنافق بنفاقه، والباغي ببغيه، والطّاغي بطغيانه ... ليس له يوم القيامة صديق ينفعه أو صاحب يعينه. فيشمل الظّالمون للمشركين والكافرين والمنافقين والمجرمين ... جميعاً.

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر إطلاق الوصف فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «ولا شفيع يطاع» قولان: أحدهما- عن ابن عبّاس ومقاتل: أي ليس لهم شفيع تقبل شفاعته فيهم عند ربّه فيطاع فيما شفع ويجاب فيما سئل. لامفهوم للوصف إذ لاشفيع لهم أصلاً: «فما لنا من شافعين» الشّعراء: ١٠٠) إذ تقطعت بهم الأسباب من كلّ خير. ٢- قيل: أي لوشفعوا فرضاً لم يقبلوا. على أنّ للوصف مفهوماً بنآءً على زعمهم أنّ لهم شفعآء: «ويقولون هؤلآء شفعآئنا عندالله» يونس: ١٨).

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين.

١٩ - (يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصّدور)

في قوله تعالى: «خآئنة الأعين» أقوال: ١- عن المؤرج: أي يعلم العين الخائنة. والمراد إستراق النّظر إلى ما لايحلّ كما يفعل أهل الرّيب، وهي المعاصي الّتي لاتظهر للغير. ٢- قيل: هي ماينطوي في نظرات الأعين من مقاصد يريد أصحابها إخفآئها وهي نظرة العين تكون عن خلسة لايراها النّاس ولايعلم بها المنظور إليه. ٣- عن ابن عبّاس: هو الرّجل يكون جالساً مع القوم فتمرّ المرأة فيسارقهم النّظر إليها. ٤- عن ابن عبّاس أيضاً: هو الرّجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر أصحابه إليه غضّ

بصره، فإذا رآى منهم غفلة تدسّس بالنّظر، فإذا نظر إليه أصحابه غضّ بصره وقد علم الله تعالى منه أنّه يودّ لونظر إلى عورتها.

٥ ـ عن مجاهد: هي مسارعة نظر الأعين إلى مانهى الله عنه. ٦ـ عن قتادة: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لايحبّ الله تعالى ولايرضاه كغمزات السّخرية والإحتقار ونظرات الخبث والرّيبة. ٧ـ عن الضّحّاك : هي قول الإنسان: مارأيت وقد رآى أو رأيت ومارآى. ٨ـ عن ابن عبّاس أيضاً وسفيان الثورى: هي النّظرة الثّانية بعد النّظرة الأولى. ولا يخفى: أنّ النّظرة الأولى مالم تكن تعمّداً فهي مغفورة، وإن كانت من ريبة متعمّدة كانت محرّمة كالنّظرة الثّانية.

٩ ـ عن الفرّاء: «خائنة الأعين» هي النّظرة الثّانية، «وما تخفي الصّدور» النّظرة الأولى. ١٠ـ قيل: هي الرّيب في كسر الجفون ومرامز العيون وقد سمّى تعالى ذلك خيانة لأنّه أمارة للرّيبة ومجانبة للعفّة. ١١ـ قيل: «خائنة الأعين» ههنا صفة لبعض الأعين بالمبالغة في الخيانة.

أقول: والأوّل هو المستفاد من الرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وفي معناه أكثر الأقوال الآخر فتأمل جيّداً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «وما تخفي الصّدور» أقوال: ١ـ قيل: هي مضمرات الصّدور أي القلوب فيها لأنّها فيها، وهي مايستره الإنسان من أمانة أو خيانة، من خير أو شرّ، من نيّة حسنة أو قبيحة، من حسن ظنّ أو سوئه ... ٢ـ قيل: هي الوسوسة.

٣ ـ عن ابن عبّاس: أي ماتخفي الصّدور بعد النّظر إليها أيزني أم لا؟ هل يزني بها لوخلابها أولا؟ ٤ـ قيل: أي ماتكنّه وتضمره، فلايخفى على الله شيئ من أمورهم حتّى مايحدّثون به أنفسهم وتضمره قلوبهم. ٥ـ قيل: هو ماتسرّه النّفس وتستره من وجوه الكفر والنّفاق، والشّرك والعناد وهيئات المعاصي ...

أقول: ولكلّ وجهٌ من غير تناف بينها.

٢٠ ـ (والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لايقضون بشيئ إنّ الله هو السّميع البصير)

في قوله تعالى: «والله يقضي بالحقّ» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس أي يحكم بالشّفاعة ٢ـ قيل: أي يأمر بالعدل. ٣ـ قيل: أي يحكم بالعدل.

أقول: والثّالث هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «لا يقضون بشيْ» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي لايحكمون بشيْ من الشّفاعة يوم القيامة للذين عبدوهم إذ ليس لهم مقدرة على ذلك. ٢ـ قيل: أي لايأمرون بخير في الدّنيا لأنّهم صمّ بكم عمي. ٣ـ قيل: أي لايقدرون على أن يحكموا يوم القيامة بين مردتهم.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله جلّ وعلا: «السّميع البصير» أقوال: ١ـ قيل أي هوالّذي يجب أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا، وهاتان الصّفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيّاً لا آفة به. ٢ـ قيل: أي هو العالم بالمسموعات والعالم بالمبصرات لذاته. ٣ـ عن ابن عبّاس: أي السّميع لمقالتهم والبصير بهم وبأعمالهم ... ٤ـ قيل: أي هو السّميع لا بأداة إذ لايحتاج في كونه مدركاً إلى أداة وجارحة وهو البصير لا بتفريق آلة وهي الشّعاع الّذي بإعتباره يكون الواحد منّا مبصراً.

أقول: والاخير هو المستفاد من الرّوايات الواردة في معنى السّمع والبصر لله سبحانه عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢١ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوّة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق)

في قوله تعالى: «أشدّ منهم قوّة» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي في أنفسهم بدناً ٢ـ قيل: أي في العَدَد والعُدَدَ. ٣ـ قيل: أي أشدّ منهم في المصانع. ٤ـ قيل: أي أشد منهم بطشاً وتمكّناً وسلطة وقدرة.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ والتّعميم غير بعيد.

وفي قوله عزّوجلّ: «وآثاراً» أقوال: ١ـ أي وأكثر عمارة للأبنية العجيبة.

٢ ـ عن ابن عبّاس: أي وأبعد ذهاباً في الأرض لطلب الدّنيا. ٣ـ قيل: أي أنـ

طلباً للدّنيا. ٤ ـ قيل: أي وأكثر أثاثاً ورئياً وأعزّ سلطاناً ونفراً.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

٢٣ ـ (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين)

في قوله تعالى: «بآياتنا وسلطان مبين» أقوال: ١ـ قيل: أراد بالآيات: التّوراة وبالسّلطان المبين الحجّة الواضحة البيّنة القاهرة المستعلية. ٢ـ قيل: الآيات هي الأحكام، والسّلطان المبين: المعجزات من العصا واليد البيضاء وغيرهما... ٣ـ قيل: أريد بالآيات الحجج والدّلات وبالسّلطان المبين: العذر المبين. ٤ـ قيل: إنّ السّلطان المبين هو الإعجاز القاهر الّذي بين يديه من هذه المعجزات ... ٥ـ قيل: أريد بالآيات الخوارق المعجزة الّتي أرسل بها كالعصا واليد وغيرهما، وبالسّلطان المبين: السّلطة الإلهيّة القاهرة الّتي أيّد بها، فمنعت فرعون أن يقتله ويطفئ نوره.٦ـ قيل: إنّ المراد بالسّلطان المبين: الحجّة القويّة الظّاهرة والبرهان الواضح والدّليل القاطع المخلص من التّلبيس والتّمويه. ٧ـ قيل: أريد بالآيات حجج التّوحيد والعدل وبالسّلطان المعجزات الدّالة على نبوّته.

أقول: وعلى الخامس أكثر المحقّقين.

٢٥ ـ (فلمّا جآءهم بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وما كيد الكافرين إلّا في ضلال)

في قوله تعالى: «فلمّا جآءهم بالحقّ» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي فلمّا أتاهم بالكتاب. ٢ـ قيل: أي بالصّدق. ٣ـ قيل: أي بالمعجزات الظّاهرة.

٤ ـ قيل: أي بالتّوحيد والدّلالات عليه من التّوحيد. ٥ـ قيل: أي بالدّين الحقّ.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «وما كيد الكافرين إلّا في ضلال» أقوال: ١ـ قيل: أي في ضياع واضمحلال. ٢ـ قيل: أي في ذهاب عن الحقّ لاينتفعون به. ٣ـ قيل: أي في خسران وهلاك، وإنّ النّاس لايمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلاً. ٤ـ عن إبن عبّاس: أي في خطاءٍ.

٥ ـ قيل: إشارة إلى أنّ مايكيد به فرعون وجنوده الطّاغية للمؤمنين، وما يأخذونهم من أنواع البلآء وأنحآء العذاب هو من الأباطيل الّتي لايجدها المؤمنون أثراً إلى جانب ماملكوا من إيمان؛ «ومن يعمل من الصّالحات وهو مؤمن فلايخاف ظلماً ولاهضماً» طه: ١١٢) هم معه في عزّة في الدّنيا، وسعادة وفوز برضوان الله تعالى في الآخرة، وهذا مايشير إليه قوله تعالى على لسان السّحرة بعد أن دخل الإيمان في قلوبهم: «قل لن نؤثرك على ماجآئنا ـ وما أكرهتنا عليه من السّحر والله خير وأبقىٰ» طه: ٧٢-٧٣).

أقول: ولكلٍّ وجه من دون تنافٍ بينها فتأمّل جيّداً.

إن تسئل: كيف قيل: «فلمّا جآءهم موسىٰ بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه ...» وقد قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الّذي كان أُخبر أنّه على رأسه ذهاب ملكه وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيّاً؟

تجيب عنه: إنّ هذا الأمر بقتل أبنآء المؤمنين واستحيآء نسآئهم كان أمراً من فرعون وملائه من بعد الأمر الأوّل الّذي كان من فرعون قبل مولد موسى عليه السّلام فهذا الأمر بالقتل غيرالأمر الأوّل بالقتل الّذي كان، لأنّ فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى عليه السّلام فلمّا بعث الله تعالى موسى عليه السّلام أعاد القتل على بني إسرآئيل عقوبة لهم، فيمتنع الإنسان من الإيمان، ولئلاّ يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذّكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل الله عليهم من أنواع العذاب كالضّفادع والقمّل والدّم والطّوفان ... إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله عزّوجلّ، وهذا معنى قوله تعالى: «وما كيد الكافرين إلاّ في ضلال» أي في خسران وهلاك .

ومن المحتمل أن يكون الأمر بقتل الأبنآء واستحيآء النّسآء كان قبل الدّعوة صادراً في حقّ بني إسرآئيل عامّة، وكان هذا الحكم في حقّ المؤمنين منهم خاصّة، فلعلّ قارون وافقهم عليه لعداوته وبغضه موسى عليه السّلام والمؤمنين من قومه.

أقول: وما ورد من الآيات الكريمة والرّوايات في قصّة موسى عليه السّلام من قبل ولادته إلى هلاك فرعون وقومه يؤيّد الأوّل من القولين فافهم ذلك ولا تغفل.

٢٦ - (وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)

في قوله تعالى: «وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ» أقوال: ١- قيل: إنّه كان في خواصّ فرعون طائفة يشيرون عليه بأن لايقتل موسى عليه السّلام ويخوّفونه بأن يدعو ربّه، فيهلك، فلذلك قال: «فليدع ربّه» أي كما تقولون. فقال لهم فرعون: اتركوني أقتل موسى وليدع هو ربّه الّذي يزعم أنّه أرسله إليّ، فكان بينهم من يعتقد بنبوّة موسى عليه السّلام فيأتي بوجوه الحيل في منع فرعون. ٢- قيل: أي وقال فرعون لملئه: أتركوني أقتل موسىٰ وليدع ربّه الّذي أرسله إلينا ليمنعه منّا، وذلك أنّه كان إذا همّ بقتله كفّوه، وقالوا له: ليس هذا بالّذي يخاف منه وهو أضعف من ذلك شأناً، وما هو إلّا ساحر، يصاوله ساحر مثله، وإنّك إن قتلته قبل ظهور الحجّة أدخلت الشّبهة في نفوس القوم أو قوّيتها بمكانه، واعتقدوا أنّك عجزت عن مقابلة الحجّة بالحجّة، بل «أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين» الشّعراء: ٣٦) ومايزالون به هكذا يحاورونه ويداورونه حتّى يكفّ عن قتله.

٣- عن الضّحّاك : أي وقال فرعون: ذروني أقتل موسىٰ فأنظر من يمنعه منّي فلا أُبالي بموسىٰ ولا بمن أرسله إليّ. وقريب من هذا قول بني إسرائيل لموسىٰ: «فاذهب أنت وربّك ، المائدة: ٢٤) وعبدوا العجل، وليس العجل كمعبود بأفضل من فرعون كمربوب. ٤- قيل: إنّ فرعون قال ذلك تموبهاً على قومه وإيهاماً أنّ حاشيته هم الّذين يكفّونه عن قتله، ومايكفّه عن ذلك إلّا ما في نفسه من هول الفزع الّذي إستحوذ عليه، كما يرشد إلى ذلك قوله: «وليدع ربّه» فإنّ ظاهره الإستهانة به وبدعآئه ربّه جلّ وعلا كما يقال: أدع ناصرك فإنّي منتقم منك، وباطنه أنّ فرآئصه كانت ترتعد من دعآئه ربّه، فلهذا تكلّم بما تكلّم به مظهراً أنّه لايبالي بدعآئه ربّه كما يقول القآئل: ذروني أفعل كذا وماكان فليكن.

٥ ـ قيل: كان المانعون لفرعون من قتله موسىٰ عليه السّلام أمرآئه، وكان مرادهم أن يكون فرعون مشغول القلب بأمر موسىٰ عليه السّلام حتىٰ يكونوا هم في أمن وسعة. ٦ـ قيل: إنّ فرعون كان فيه خب وجريرة، وكان قتّالاً سفّاكاً للدّمآء في أهون شيءٍ فكيف لايقصد قتل من أحسّ بأنّ في وجوده هدم ملكه، وتغيير ماهو عليه من عبادة أصنامه كما قال: «إنّي أخاف أن يبدّل ...» ولكنّه كان قد استيقن أنه نبيّ، وكان يخاف أن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك ، فإن قوله: «وليدع ربّه» شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربّه. وقيل: إنّ قوله: «وليدع ربّه» هو على سبيل الإستهزآء يعني أن أقتله فليقل لربّه الّذي يدّعي وجوده حتّى يخلّصه. ٧ـ قيل: إنّ فرعون لم يسئلهم من باب الأمرو النّهي، بل سئلهم من طريق المشورة أي اَشيروا عَلَيَّ؟

أقول: والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق بل هو المستفاد منه فتأمّل جيّداً.

وفي قوله: «أن يبدّل دينكم» أقوال: ١ـ قيل: أي أن يغيّر دينكم وهو ماتعتقدون من إلهيّتي. ٢ـ قيل: أي أن يبدّل عبادتكم لي فتتبعوه، فيبدّل عبادتكم لي وللأصنام إلى عبادة ربّه. ومعنى تبديل الدّين: تغيير العبادة له وللأصنام كما في قوله: «ويذرك وآلهتك» الأعراف: ١٢٧) إذ كان قومه يعبدونه ويعبدون الأصنام معاً. ٣ـ قيل: أي أن يغيّر دينكم الّذي أنتم عليه بسحره؟!

أقول: والمعاني متقارب، والمآل واحد.

وفي قوله: «أو أن يظهر في الأرض الفساد» أقوال: ١ـ قيل: أي بأن يتبعه قوم ويحتاج إلى أن نقاتله، فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد في أرض مصر. ٢ـ عن قتادة: أي إنّ الفساد عند فرعون أن يعمل بطاعة الله تعالى، فكانت الدّعوة إلى طاعة الله فساداً عند فرعون طاغي مصر. ٣ـ عن إبن عبّاس وابن جريج: أي يقتل أبنآءكم ويستخدم نسآءكم إذا ظهروا عليكم كما قتلتم واستخدمتم. ٤ـ قيل: أي أو أن يظهر في أرض مصر الفساد بترك دينكم ودين آبائكم، ويدخلكم في دينه. أرأيت هذا المنطق!! رسول الله يحرّف الدّين ويفسد في الأرض، ومدّعي الرّبوبيّة يقيم الدّين ويصلح الأرض تماماً كقوى الشرّ في عهدنا تعمل للقضآء على الدّين

بكلّ سبيل، وتدّعي أنّها من حماته وتمتصّ دمآء المستضعفين خوفاً من إراقتها، فكان سفّاك الدّمآء حاميها وحافظها!!!

٥ ـ قيل: أي أن يقع بين النّاس بسببه الفرقة والخلاف، وذلك أنّ الفساد هو التّهارج والتّنازع، واختلاف الآرآء والأهواء ... وبذلك يحدث بين النّاس اختلافاً لامحالة لوبقي، إذ يجتمع إليه الهَمَل والشّرَد ويكثرون من الخصومات والمنازعات وإثارة القلاقل والإضطرابات، فتتعطّل المزارع والمتاجر وتعدم المكاسب، فيفسد دينهم ودنياهم جميعاً أو أحد الأمرين. ٦ـ قيل: أي بأن يدعوكم إلى ربّه وقد كان ذلك عند فرعون فساداً.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السّياق ودأب الحكّام الجابرة لتحريك عوام النّاس وهمجهم على الدّعاة والمصلحين في كلّ ظرف فافهم ذلك ولا تغفل.

٢٧ ـ (وقال موسىٰ إني عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّرٍ لايؤمن بيوم الحساب)

في قوله: «وربّكم» أقوال: ١ـ قيل: خطاب لفرعون ومن معه. ٢ـ قيل: خطاب للطّائفة الّذين كانوا يمنعون فرعون من قتله. ٣ـ قيل: خطاب للمؤمنين به من بني إسرائيل ومن قوم فرعون. ٤ـ قيل: خطاب لبني إسرآئيل من قومه عليه السّلام.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه أكثر المحقّقين.

٢٨ ـ (وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعونَ يكتمُ إيمانَه أتقتلون رَجلاً أن يقولَ ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يكُ كاذباً فعليه كذبه وإنْ يكُ صادقاً يُصبْكم بعضَ الّذي يعدكم إنّ الله لايهدي من هو مسرفٍ كذّاب)

في قوله تعالى: «رجل مؤمن من آل فرعون» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير إمرأة فرعون، وغير المؤمن الّذي أنذر موسىٰ عليه السّلام فقال يا موسىٰ: «إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من النّاصحين» القصص: ٢٠) ٢ـ عن ابن عبّاس أيضاً والسّدي ومقاتل: كان الرّجل المؤمن ابن عمّ فرعون، وقد آمن بموسىٰ عليه السّلام وهوالّذي جآء من أقصى المدينة يسعىٰ. ٣ـ قيل: كان ابن خاله. ٤ـ قيل: إنّه كان وليّ عهد فرعون من بعده. ٥ـ قيل: كان صاحب

شرطته.

أقول: وقد اختلفت الرّوايات في المقام وليس لنا دليل قاطع على أنّه كان ابن عمّه أو ابن خاله، وما تصرّح به الآية الكريمة: أنّه «من آل فرعون» فحمله أكثر المحقّقين على أنّه من أقاربه وهو الأنسب عندنا هو المرويّ.

وفي إسم الرّجل المؤمن أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: كان إسمه حزقيل. ٢ـ قيل إسمه حبيب. ٣ـ قيل: حزبيل. ٤ـ قيل: خربيل. ٥ـ قيل: خزبيل. ٦ـ قيل: جبريل. ٧ـ قيل: إسمه حبرك . ٨ـ قيل: خبرك . ٩ـ قيل: جبرك . ١٠ـ قيل: سمعان. ١١ـ قيل: شمعان. ١٢ـ شمعون. ١٣ـ طالوت.

أقول: والأوّل هوالمرويّ عن أهل بيت الوحي عليهم السّلام الله.

واختلف فيه: أنّه هل كان قبطياً أو إسرائيلياً،فقال السّدي: إنّه كان إسرائيلياً. وقد زيف بأنّ المؤمنين من بني إسرائيل لم يعتلوا ولم يعزوا لقوله: «اقتلوا أبناء الّذين آمنوا معه»، وأمّا المؤرّخون والمحقّقون والمفسّرون فأكثرهم قالوا: إنّه كان قبطياً ابن عمّ فرعون آمن بموسىٰ عليه السّلام سرّاً لاخوفاً على نفسه، بل لوكان يظهر إيمانه قبل أوانه لما كان قادراً على نصح فرعون وقومه وعلى إتمام الحجّة عليهم، ولا أن يذبّ عن موسى على أكمل الوجوه وأحسنها، ويبالغ في تسكين تلك الفتنة ويجتهد في إزالة ذلك الشّرّ كما كان أبوطالب بن عبدالمطّلب يكتم ايمانه لينصح مُشركي مكّة ويتمّ الحجّة عليهم، ويذبّ عن ابن أخيه محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أكمل الوجوه وأحسنها، وإلّا لقد كان أبوطالب عليه السّلام مؤمناً مخلصاً برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل بعثته كالرّجل المؤمن البطل قبل أن يدعو موسىٰ عليه السّلام فرعون وقومه إلى التّوحيد والطّاعة لله تعالى وحده، وماورد في المقام: أنّه كان كتمانه الإيمان خوفاً عن نفسه وتقيّة فغير ثابت لابدّ وأن يعرض على الكتاب، فإن وافقه وإلّا فنضرب به على الجدار.

ومايدلّ على أنّه كان قبطيّاً قوله تعالى: «رجل مؤمن من آل فرعون» إذ ليس بنو إسرائيل من آل فرعون، مع أنّه كان يكرّر ندآء فرعون وقومه بلفظة «قومي»

وينصحهم ولذلك كـان فرعون يصغي لكلامه، ويستمع له ماقاله، وتوقّف على قتل موسىٰ عليه السّلام عـند نهيه عن قتلـه، وقيله ماقال، وقال له: «ما أريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّا سبيـل الرّشاد» ولولم يكن منهم لما كان له ذلك، ولوكان إسرائيلياً لكان حريّاً أن يعاجل هذا القآئل له ولملئه مـاقال بالعقـوبة على قوله لأنّه لم يكن يستنصح بني إسرائيل لإعـتداده إيّاهم أعدآءً له، فيكفّ بقوله عن قتل موسىٰ لووجد إليه سبيلاً، ولكنّه لمّا كان من ملأ قومه بل من أقاربه استمع لقوله وكفّ عمّا كان همّ به موسىٰ عليه السّلام.

وفي قوله تعالى: «يصبكـم بعض الّذي يعدكم» أقوال: ١ـ عـن ابن عبّـاس: إنّه قال: بعض الّـذي يعـدكم لأنّه توعّدهـم أموراً مختلفـة، وحذّرهم أنواعاً مـن العذاب، كلّ نوع منها مهلك، فكأنّه حذّرهم أن يصيبهم بعض تلك الأنواع: منها الهلاك في الدّنيا والعذاب في الآخرة، فيكون هلاكهم في الدّنيا بعض ما توعّدهم به. ٢ـ قيل: إنّ موسىٰ عليـه السّلام كان يعـدهـم بالنّجـاة إن آمنوا وبالهلاك إن كـفـروا، وقال: يصبكـم بعض الّذي يعـدكم لأنّهم إذا كانوا على إحدى الحـالين نالهم أحد الأمرين فذلك بعض الأمر لا كلّه.

٣ ـ عـن أبي عبيدة: إنّه استـعـمـل البعض في موضـع الـكلّ تلطّفاً في الخطاب، وتوسّعاً في الكـلام، فكأنّه قال: أقل مافيه أن يصبكم بعض الّذي يعدكم، وفي ذلك البعض هـلاككم. ٤ـ عن عـليّ بن عـيسىٰ: إنّه قال: «بـعض الّذي يعـدكم» على المظاهرة بـالحجـاج أي أنّه يكفي بعضـه فـكيف جميعـه. ٥ـ قيل: أي يصبكـم هذا العذاب الّذي يقوله في الدّنيا وهو بعض الوعيد ثمّ يترادف العذاب في الآخرة أيضاً.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «إنّ الله لايهدي من هـو مسرف كذّاب» أقوال: ١ـ قيل: أي إنّ الله لايهدي من هو مسرف على نفسه، كـذّاب على ربّه. إشارة إلى موسىٰ عليـه السّلام فيكون هذا حكاية عن قول المؤمن. بأنّه لوكان مسرفاً كذّاباً لما هداه الله ولما عاضده بتلك البيّنات، ولوكان مسـرفاً كذّاباً لخذله الله وأهلكه، وما كان لكم من حاجة إلى قتله.

٢ـ قيل: أي مسرف في عناده كذّاب في ادعآئه، إشارة إلى فرعون فيكون هذا إبتدآء الكلام من الله عزّوجلّ. وفيه تعريض بأنّ فرعون مسرف في عزمه على قتل موسىٰ عليه السّلام كذّاب في ادّعائه الإلهيّة فلايهديه الله إلى شيئ من خيرات الدّارين، ويزيل ملكه ويدفع شرّه. ٣ـ عن قتادة: أي إنّ الله لايهدي من هو مشرك بالله، مفترعليه. إنّ المسرف هو المشرك ، والكذّاب هو المفتري. ٤ـ عن السّدي: مسرف هو قتّال، سفّاك للدّماء بغير حقّ. ٥ـ قيل: أي إنّ الله لايهدي إلى طريق الجنّة والثّواب ولا إلى الخير والرّشاد من هو مسرف كذّاب.٦ـ قيل: أي لايهدي إلى الحقّ والهدى ودين الحقّ.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق مع التّعريض، وقد أخبر تعالىٰ عن الرّجل المؤمن البطل، وأنّه عمّ بقوله: «إنّ الله لايهدي من هو مسرف كذّاب» وإنّ الشّرك من الإسراف، وسفك الدّم بغير حقّ من الإسراف، وقد كان مجتمعاً في فرعون الأمران كلاهما.

٣٠ ـ (وقال الذي آمن ياقوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)

في قوله تعالى: «وقال الّذي آمن» قولان: ١ـ عن الجبآئي: إنّ القآئل لذلك هو موسىٰ عليه السّلام لأنّ المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه. ٢ـ قيل: إنّ القائل هو الرّجل المؤمن البطل، لأنّ كلامه هذا قريب من قوله: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله» فكما أظهر هذا من دون خوف، كان قادراً على إظهار ذلك لأنّ المؤمن البطل بهذا الإيمان الّذي ملأ قلبه كان يجد منطقاً يتسع له مجال القول، وتتداعي إليه الأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة، وتنحلّ به عُقَد الخوف واللجلجة في هذا المقام الرّهيب.

أقول: والثّاني هو الصّواب.

وفي قوله تعالى: «يوم الأحزاب» أقوال: ١ـ قيل: إنّ اليوم قد يطلق على النّعمة والمحنة، فكأنّه قال: يوم هلاكهم ومحنتهم. والمراد بالأحزاب الجماعات الّتي تحزّبت على أنبيآئهم بالتّكذيب والإيذآء. ٢ـ قيل: أي عذاب الكفّار قبلكم. ٣ـ قيل: أي مثل يوم حزب بعد حزب أي مثل أيّامهم، وذلك أنّ اليوم لمّا اضيف إلى

الأحزاب، وفسّر الأحزاب بقوم نوح وعـاد وثمود ... ولم يلتبس أنّ كلّ حزب منهم كان له يـوم دمار، اقـتصر على الـواحد من الجمع لأنّ المضـاف إليـه أغنى عن ذلك كقـولـه: «كلـوا في بـعض بطـونكـم» فـالمعنى: مـثـل أيـام العـذاب الّتي عُـذِّب فيها المتحزّبون على الأنبيآء المذكورين فيما بعد ذلك، والّذين من بعدهم.

٤ـ قيل: الأحزاب هم الأمم الماضية حيث إتفقت كلّ أمّة وتحزّبت ضدّ نبيّها.

٥ـ قيل: أي مثل وقائع الأمم السّالفة المحزّبة على الرّسل ...

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

٣١ـ (مثل دأبِ قوم نوحٍ وعادٍ وثمود والّذين منْ بعدِهم وما الله يريدُ ظلماً للعبٰاد)

في قوله: «مثل دأب قوم نوح» أقـوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي مثل جـزاء دأبهم ومثل عذابهم. على حذف المضاف. ودأبهم: دؤبهم في عملهم من الـكفر والتّكذيب والطّغيان، وكون ذلـك دآئباً دائماً منهم لايـفترون عنه وهـو عادتهم المستمرّة في الكفر والتّكذيب. فمثل الثاني عطف بيان من مثل الأوّل.

٢ ـ عن ابن عـبّـاس أيضـاً: أي مـثـل حالهم. ٣ـ عـن ابـن زيـد: أي مـثـل ما أصـابهم. ٤ـ قيـل: أي مـثل سنـّة الله في قـوم نوح وعـاد وثـمود إذ أهـلكـهم الله واستـأصلهـم جزآءً على كفرهم. ٥ـ قـيل: أي مثل جزآء مـن كفر عادةً قبـلكم من تعذيبهم في الدّنيا. بناءً على أن «مثل» الثّاني بدل من «مثل» الأوّل.

أقول: والرّابع هو الأنسب بظاهـر السّياق من غير تنافٍ بيـنه وبين بعض الأقوال الأُخر.

٣٢ـ (ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التّناد)

في قوله: «يوم التّناد» أقـوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي قال المؤمن لفرعون وقومه: يا قوم إنّي أخاف عليـكم يوماً ينادي بعضـكم بعضاً ويناديكم أصحاب الأعراف.

٢ـ قيل: هو يوم ينادي فـيه ويدعوالله تعالى فيه كلّ أناس بإمامهم. «يوم ندعوا كلّ أناس بإمامهم» الإسراء: ٧١).

٣ ـ عن ابن جريـج: هـو يوم القيـامـة ينادي فيـه بـعض الظّالمين بعضاً بـالـويل

والثّبور والحسرة ... لما يرون من سوء العاقبة والعذاب لكفرهم وطغيانهم قائلين: يا ويلتنا، يا حسرتنا ... ٤- قيل: هو يوم الفرار «يوم يفرّ المرء من أخيه ...» عبس:۳٤-۳۷) وذلك إذا هربوا فندّوا في الأرض كما تندّ الإبل إذا شردت على أربابها، وذلك إذا عاينوا الأهوال وفظاعة ماغشيهم من كروب ذلك اليوم ممّا لقي من عظيم البلاء فيه. ٥- عن الحسن وقتادة وابن زيد: هو يوم ينادي فيه «أصحاب الجنّة أصحاب النّار أن قدوجدنا ماوعدنا ربّنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربّكم حقّاً» الأعراف: ٤٤) وينادي فيه «أصحاب النّار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من المآء أو ممّا رزقكم الله» الأعراف: ٥٠).

٦ - قيل: هو يوم ينادى بالسّعادة لأهلها، وبالشّقاوة لأهلها عندوزن الأعمال ٧- عن ابن جريج: هو يوم ينادي كلّ قوم بأعمالهم ... ٨- قيل: هو يوم تنادي الملائكة أصحاب الجنّة: «ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون» الأعراف: ٤٣).

٩ - قيل: هو يوم ينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنّة خلود لاموت، ويا أهل النّار خلود لاموت. وذلك أنّه يجآء بالموت على صورة كبش أملح ثمّ يذبح وينادى في أهل القيامة: لاموت فيزداد أهل الجنّة فرحاً، وأهل النّار حزناً على حزن. ١٠- عن الضّحّاك : هو يوم التّنافر. وذلك إذا سمعوا زفير جهنّم ندّوا هرباً فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلّا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الّذي كانوا فيه، فذلك يوم التّناد. وقيل: هذا عند نفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور نفخة الفزع.

١١ - قيل: أي عذاب يوم التّناد. على حذف المضاف. ١٢- قيل: هو يوم ينادي الخلائق إلى المحشر، يوم ينادى فيه الموتىٰ من قبورهم، فإذاهم قيام ينظرون وهذا مايشير إليه قوله تعالى: «واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصّيحة بالحقّ ذلك يوم الخروج إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق: ٤١- ٤٤) فيدعون إلى المحشر للحساب والجزآء. ١٣-

قيل: هو يوم ينادى المؤمن لقرآئة صحيفة أعماله: «هاؤم اقرؤا كتابيه» الحاقة: ١٩) وينادى الكافر لقرآئة صحيفة جناياته: «فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه» الحاقة: ٢٥).

١٤ ـ قيل: هو يوم يستغيث فيه النّاس بالله تعالى من شدّة أهواله وفزعه. ١٥ـ قيل: هو يوم ينادى فيه باللّعنة والعذاب على الظّالمين. ١٦ـ قيل: هو «يوم يناديهم فيقول أين شركائي الّذين كنتم تزعمون» القصص: ٦٢) ١٧ـ قيل: هو «يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين» القصص: ٦٥).

أقول: والخامس هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر فتدبّر جيّداً.

٣٣ ـ (يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصمٍ ومنْ يضلِل الله فماله من هادٍ)

في قوله: «يوم تولّون مدبرين» أقوال: ١ـ عن قتادة ومقاتل: أي تولّون منصرفين عن موقف الحساب، منطلقاً بكم إلى نار جهنّم. ٢ـ قيل: أي تولّون هاربين في الأرض حذار عذاب الله وعقابه عند معاينتكم جهنّم وشهيق نارها.

٣ ـ عن قتادة أيضاً: أي تولّون فارّين غير معجزين. ٤ـ قيل: أي تعرضون عن النّار فارّين مقدّرين أنّ الفرار ينفعكم. ٥ـ قيل: أي تلقون جهنّم فترتدّون على أعقابكم هلعاً وفزعاً. ٦ـ قيل: أي أنكم يوم القيامة تفرّون في النّار من شدّة عذابها لتتخلّصوا منها فتردّون إليها كما قال تعالى: «كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق» الحج: ٢٢).

٧ ـ عن مجاهد أي مارّين غير معوجين ولامعجزين. ٨ـ قيل: أي تولّون مدبّرين، والمقامع تردّكم إلى ماتكرهونه من العقاب.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

وفي قوله: «مالكم من الله من عاصم» أقوال: ١ـ عن قتادة: أي مالكم من الله مانع يمنع عذابه عنكم، وناصر ينصركم من بأسه، فلايجديكم ذلك شيئاً، فلاتجدون من يعصمكم من العذاب النّازل بكم، فتردّون إليه، وينالكم منه ما قدّر لكم وكتب عليكم.

۲ ـ قيل: أي ليس لكم من يحميكم ويمنعكم من الله. ۳ـ قيل: أي لاعاصم لكم من أمرالله تعالى.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله: «ومن يضلل الله فماله من هاد» أقوال: ۱ـ قيل: أي ومن يخذله الله ولا يلهمه رشده بسوء إختياره الكفر والطّغيان، فماله من موفّق يوفقه له. ۲ـ قيل: أي من يهلكه الله فماله من منقذو لامخلص. فالضّلال هنا بمعنى الهلاك . ۳ـ قيل: أي من يضلل الله عن طريق الجنّة فماله من هاد يهديه إليها. ٤ـ قيل: أي من يحكم الله بضلاله فليس له من يحكم بهدايته على الحقيقة. ٥ـ قيل: من أذلّه الله فلايهديه أحد إلى طريق النّجاة ولايوفقه إلى الخلاص من الخزي والهوان.

أقول: والأوّل هو المؤيّد بالآيات القرآنية والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي القائل أقوال: ۱ ـ قيل: القائل هنا موسىٰ عليه السّلام ۲ ـ قيل: هو الله جلّ وعلا. ۳ ـ قيل: نطق بذلك الحقّ مؤمن آل فرعون بلسان الوجود كلّه.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق.

٣٤ ـ (ولقد جآءكم يوسفُ من قبلُ بالبيّناتِ فمازلتم في شكٍّ ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك قلتم لنْ يبعثَ الله من بعده رسُولاً كذلك يضلّ الله من هو مُسرف مرتاب)

في «يوسف» أقوال: ۱ـ عن وهب بن منبه: هو يوسف بن يعقوب، وفرعون موسىٰ هو فرعون يوسف، إذ عمّر إلى زمن موسىٰ. ۲ـ قيل: هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وفرعون موسىٰ غير فرعون يوسف إذ حكم على مصر أربعة وعشرون ملكاً كان إسمهم فرعون. فبعث الله تعالى موسىٰ عليه السّلام رسولاً إلى القبط بعد موت الملك من قبل موسىٰ بالبيّنات ... ۳ـ عن ابن عبّاس: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيّاً عشرين سنة. وفرعونه غير فرعون موسى. ٤ـ عن الضّحّاك : إنّ الله بعث إلى القبط رسولاً من الجنّ يقال له: يوسف

وفرعونه هو فرعون موسى.

أقول: والثّاني هو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي «البيّنات» أقوال: ١ـ عن ابن جريح هي رؤيا يوسف. وذلك أنّه رأى أنّه مات لفرعون فرس قيمته ألوف، فدعا يوسف فأحياه الله، ورآى أنّ الشّمس قد كسفت، فدعا يوسف فكشفها الله تعالى، ومعجزاته في باب تعبير الرّؤيا مشهورة فآمن فرعون ثمّ عاد إلى الكفر بعد ممات يوسف. ٢ـ عن ابن عبّاس: هي الأمر والنّهي وتعبير الرّؤيا وشقّ القميص. ٣ـ قيل: أي بالمعجزات الباهرات والآيات الظّاهرات ...

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين من دون تناف بينه وبين القولين الاولين.

وفي قوله: «ممّا جآءكم به» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي التّوحيد والعبادة لله وحده لاشريك له. ٢ـ قيل: أي ممّا دعاكم إليه من الدّين. ٣ـ قيل: أي من البيّنات ...

أقول: ولكلٍّ وجهٌ والأوجه هو التّعميم.

٣٥ ـ (الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطانٍ أتاهم كبُر مقتاً عندالله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله علىٰ كلّ قلب متكبّر جبّار)

في القآئل ـ كالسّابق ـ أقوال، والكلام في المقام هو الكلام في السّابق. وقيل: تقدير الكلام: جدال الّذين يجادلون كبر ... على حذف المضاف. وقيل: أي الّذين يجادلون كبر جدالهم ... على حذف الفاعل للقرينة. ولكلٍّ وجهٌ.

وفي قوله: «الّذين يجادلون في آيات الله» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: إنّ المراد بآيات الله: القرآن ومحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والمكابر هو أبوجهل وأذنابه المستهزؤن. وإنّ القآئل هو الله تعالى. ٢ـ قيل: أريد بالآيات المعجزات ... ٣ـ قيل: أريد بها كلّ برهان قاطع على وجود الحقّ فهو آية من آيات الله وحجّة من حجج الله على عباده. كلّ شئ له آية تدلّ على أنّه واحد.

أقول: وقد سبق منّا كلام في تحقيق الأقوال في الآية الرّابعة من هذه السّورة،

فراجع.

٣٦ ـ (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب)

في قوله: «ابن لي صرحاً» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس وقتادة: أي قصراً مشيّداً. ٢ ـ قيل: أي قصراً شامخاً منيفاً من الآجر وإنّ فرعون هو أوّل مَن بنىٰ بهذا الآجُر وطبخه لبنآء الصّرح. ٣ ـ قيل: أي بنآءً ظاهر لايخفى على عين ناظر، وهو من التّصريح بالأمر وهو إظهاره بأتمّ الإظهار. ٤ ـ عن الحسن: أي مجلساً عالياً. ٥ ـ عن سعيد بن جبير: أي أوقد على الطّين حتّى يكون الآجر. ٦ ـ قيل: إنّ مراده أن يبني له رصداً يرصد فيه الأوضاع السّماوية لعلّه يعثر فيها على مايستدلّ به على وجود إله موسى بعد اليأس عن الظّفر عليه بالوسآئل الأرضية.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر معناه اللّغوي من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر.

٣٧ ـ (أسبابَ السّمٰوٰت فأطّلعَ إلىٰ إله موسىٰ وإنّي لأظنّه كاذباً وكذلك زيّنَ لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل وماكيد فرعون إلّا في تباب)

في قوله: «أسباب السّموات» أقوال: ١ ـ عن السّدي وأبي صالح: أي طرق السّموات الموصلة إليها أي أبلغ الطّرق من سمآءٍ إلى سمآءٍ. ٢ ـ عن قتادة والزّهري والأخفش: أي أبواب طرق السّموات. ٣ ـ عن ابن عبّاس وابن عامر: أي منازل السّموات. ٤ ـ قيل: هي الأمور الّتي تستمسك بها السّموات ... فهي أسباب لكونها على ماهي به ولا تضطرب ولاتسقط إلى أرض بثقلها ولا تزول إلى خلاف جهتها. إنّ السّبب هو كلّ ما تسبّب به إلى الوصول إلى مايطلب من حبل أو سلّم او طريق أو غير ذلك. والمعنى: لعلّي أتسبّب وأتوصّل به إلى مرادي وإلى علم ماغاب عنّي. ٥ ـ قيل: أراد فرعون ببنآء الصّرح: المطار، وبالأسباب الطّيارات ...

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحقّقين وهو الأعمّ فتأمّل جيّداً.

وفي قوله: «فأطّلع إلى إله موسىٰ» أقوال: ١ ـ قيل: أي فأنظر إلى إله موسىٰ. بأنّ فرعون أراد بكلامه هذا: التلبيس والتّمويه على الضّعفة مع علمه بإستحالة ذلك لما

علم من جهل قومه. قال هذا توصّلاً بذلك إلى بقآئهم على الكفر وإلّا فهو يعلم أنّ الإله ليس في جهة العلوّ فحسب. ٢ـ قيل: إنّ فرعون كان من من الدّهريّة وغرضه من كلامه هذا هو إيراد الشّبهة في وجود الإله غيره، وإنّه يقول: إنا لا نرىٰ شيئاً نحكم عليه بأنّه إله العالم، ولوكان لنراه، ومن هنا طلب بنو إسرائيل موسىٰ عليه السّلام رؤيةَ الله سبحانه، ويقول فرعون: كلّما لانحسّ بحواسنا الخمسة ننكره لوكان إله موسىٰ موجوداً لكان له محلّ فنحسّه بحواسنا، ومحلّه إمّا الأرض وإمّا السّمآء ولم نره في الأرض، بعد، فإذاً هو في السّمآء، ولا نستطيع أن نصعد إلى السّمآء إلّا بالأسباب فلابدّ لنا منها لنرىٰ إله موسىٰ فيها.

٣ ـ قيل: معناه فأشرف عليه لأراه. ٤ـ قيل: أي فأصل إلى إله موسىٰ فغلبه الجهل والحماقة، واعتقد أنّ الله سبحانه في السّمآء وأنّه يقدر على بلوغ السّمآء.

٥ ـ قيل: إنّ فرعون كان مشبّهاً فطلب رؤية الإله في السّمآء كما ترى الأشخاص إذا أشرف عليها. ٦ـ قيل: أراد فرعون بكلامه هذا، التّهكم والإستهزاء بموسى ونفي رسالته من ربّ السّموات والأرض، وأكّد ذلك بالتّصريح بقوله: «وإنّي لأظنّه كاذباً» ٧ـ قيل: إنّه أراد بقوله«فأطلع» إلى بعض الآيات الّتي يدّعيها موسىٰ الدّالة على إله موسىٰ لأنّه كان يعلم أنّ الصّرح لايبلغ السّمآء، فكيف يرىٰ من الصّرح ماهو في السّمآء ولوكان فيها على قول المجسّمة.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين وهو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله: «وإنّي لأظنّه كاذباً» أقوال: ١ـ قيل: إنّ فرعون كان يظنّ أنّ مايقوله موسىٰ عليه السّلام أنّ له إلهاً خلق السّموات والأرض كاذب في قوله، ويقول: إنّما أفعل ما أفعل لإزاحة العلّة. ٢ـ قيل: أي إنّه كاذب فيما يدّعي من الرّسالة من خالق السّمآء. ٣ـ قيل: إنّ فرعون قال ذلك على سبيل التّمويه وتعمّد الكذب وهو يعلم أنّ له إلهاً. ٤ـ قيل: إنّ الظّنّ هنا بمعنى اليقين أي وأنا متيقّن بأنّ موسىٰ كاذب في ادّعآئه إلهاً دوني، وإنّما أقول ما أقول لإزالة الشّبهة عمّن لا أتيقّن ماتيقّنه، فلم يبن صرحاً واشتغل بموسىٰ عليه السّلام.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق. **وفي قوله:** «زُيّن لفرعون» قولان: **أحدهما**ـ أن المزيّن هو الشّيطان بوسوسته كقوله تعالى: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم» النّمل: ٢٤) **ثانيها**ـ المزيّن هو الله تعالى على وجه التّسبيب إذ خلق الشّيطان وأمهله كقوله تعالى: «زيّنّا لهم أعمالهم» النمل: ٢٤) **أقول:** وعلى الأوّل جمهور المفسّرين.

وفي قوله: «وماكيد فرعون إلّا في تباب» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد: أي في خسار وخسران. ٢ـ عن قتادة وابن زيد: أي في ضلال. ٣ـ قيل: أي في هلاك . ٤ـ قيل: أي في ضياع وانقطاع رجآءٍ.٥ـ قيل: أي وماكيد فرعون في إبطال آيات موسىٰ عليه السّلام إلّا في فساد لاينفعه.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تنافٍ بينها.

٣٨ ـ (وقال الذي آمن يا قوم اتّبعون أهدِكم سبيلَ الرّشاد)

في القآئل قولان: أحدهماـ هو الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون فقال هذه المقولات في خارج هذا المجلس الّذي ضمّه والفرعون والملأ من قبل أنّه إمتداد إلى خارج هذا المجلس حيث يلقاه النّاس في كلّ مجتمع ونار ... وقيل: هذا كلامه في مجلس فرعون وملائه. **ثانيها**ـ عن الجبآئي: القآئل هو موسىٰ عليه السّلام لأنه كان مأموراً بهداية النّاس.

أقول: والصّواب الأنسب بظاهر السّياق هو الأوّل.

٤٠ ـ (من عمل سيّئة فلايجزى إلّا مثلَها ومن عملَ صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يُرزَقون فيها بغير حساب)

في القائل: «من عمل سيّئة ...» أقوال: ١ـ قيل: هذا كلام موسىٰ عليه السّلام بصدد وعيد الكافرين وتهديدهم بنار جهنم وعذابها، و وعد المؤمنين وبشارتهم بالجنّة ونعيمها. ٢ـ قيل: هذا كلام الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون ينصح لهم. ٣ـ قيل: هذا كلام الله تعالى إخباراً عن نفسه.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله: «يرزقون فيها بغير حساب» أقوال: ١ـ عن مقاتل: أي رزقاً واسعاً من دون تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنّة ونعيمها. ٢ـ عن إبن عبّاس: أي بلاقوّة ولا منع ولامنّة. ٣ـ عن قتادة: أي لا والله ماهناك مكيال ولا ميزان. ٤ـ قيل: أي زيادة على مايستحقّونه تفضّلاً من الله تعالى ولوكان على مقدار العمل فقط لكان بحساب، فجزآء العمل الصّالح فبغير تقدير ولاحساب، بل هو زآئد على المستحقّ بما شئت من الزّيادة والكثرة. ٥ـ قيل: أي بغير حساب يحاسب تارة أخرىٰ كما يحاسب كلّ إنسان بما رزقه الله تعالى في الدّنيا حساباً.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحقّقين.

٤٣ ـ (لاجرم أنّما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة وأنّ مردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النّار)

في قوله: «لاجرم» أقوال: ١ـ عن الزّجاج: «لا» ردّلما دعاه إليه قومه، و«جرم» بمعنى «كسب» والمعنى: كسب ذلك الدّعاء إليه بطلان دعوته. أي ما حصل من ذلك إلّا ظهور بطلان دعوته. ٢ـ قيل: معناه: لامحالة أنّ لهم النّار. ٣ـ عن المبرّد: «جرم» فعل ماض مابعده فاعله بمعنى وجب وحقّ واستحقّ. والمعنى: وجب أنّ ماتدعونني إليه كأنّه قال: وجب بطلان ماتدعونني إليه. ٤ـ قيل: «لاجرم» بمعنى «لابدّ» وهو بمعنى القطع كما أنّ «بدّ» فعل من التّبديد وهو التّفريق فكما أنّ معنى «لابدّ» أنّك تفعل كذا ولابدّلك من فعله، فكذلك «لاجرم» فالمعنى: لاقطع لهم النّار أي يستحقّون النّار أبداً لا إنقطاع لإستحقاقهم، ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي لا تزال باطلة لاينقطع ذلك فينقلب حقّاً. والمعنى: إنّما تدعونني إليه ليس له دعوة إلى نفسه قطّ ولايدّعي إلهيّة.

٥ ـ قيل: «لاجرم» بمعنى ثبت. والمعنى: ثبت ثبوتاً أنّ ماتدعونني إليه ممّن تسمّونه شريكاً لله جلّ وعلا ليس له دعوة في الدّنيا إذ لم يعهد نبي أُرسل إلى النّاس من ناحيته ليدعوهم إلى عبادته، ولا في الآخرة إذ لارجوع إليه فيها من أحد، وأمّا الّذي أدعوكم إليه وهو الله عزّ وجلّ فإنّ له دعوة في الدّنيا وهي الّتي تصدّاها أنبيآؤه

ورسله المبعوثون من عنده المؤيّدون بالحجج والبيّنات، وفي الآخرة وهي الّتي يتبعها رجوع الخلق إليه لفصل القضآء بينهم قال الله عزّوجلّ: «يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده» الاسراء: ٥٢).

مع أنّ الرّبوبيّة لا تتمّ بدون دعوة في الدّنيا، ونظيرها الدّعوة في الآخرة، وإذ كان الّذي يدعوهم إليه ذا دعوة في الدّنيا والآخرة دون مايدعونه إليه فهو الإله دون مايدعون إليه. ٦ـ قيل: «لاجرم» من الجُرْم بمعنى الذّنب بقرينة استعمال «لا جرم» بضمّ الجيم وسكون الرّآء في مقام الباقي. ٧ـ قيل: «لاجَرَم» من الجَرْم بمعنى القطع بقرينة إستعماله في مقام «لابدّ» و«لامحاله» و«حقّاً» ثمّ كثر إستعماله في مقام تأكيد الكلام حتّى تحوّل إلى معنى القسم، فيقال: «لاجرم لآتينّك» فيأتي له الجواب مثل جواب القسم.

٨ ـ قيل: «لاجرم» بمعنى لاريب من قبيل التّوكيد. ٩ـ قيل: أي لاتجرموا مثل قوله تعالى: «لامساس» طه: ٩٧) ومثل الحديث الشّريف: «لاضرر ولاضرار».

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسّرين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

وفي قوله: «ليس له دعوة» أقوال: ١ـ قيل: أي لايقدر في الدّنيا أن يدعو النّاس إلى نفسه لأنّه جماد، ولا في الدّار الآخرة لأنّه إذا أنطقه الله فيها تبرّ أمن عابديه. ٢ـ عن الزّجّاج وقتادة والسّدي والضّحّاك: أي ليس له إستجابة دعوة أحد تنفعه في الدّنيا ولا في الآخرة على حذف المضاف، فجعل الدّعوة الّتي لامنفعة لها كلا دعوة أو سمّيت الإستجابة بإسم الدّعوة كما سمّي الفعل المجازي عليه باسم الجزآء في قولهم: «كما تدين تدان» وكقوله عزّ وجلّ: «والّذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيءٍ إلّا كباسط كفّيه إلى المآء» الرّعد: ١٤).

٣ ـ قيل: أي ليس له دعوة مستجابة بالآلهية في الدّنيا والآخرة. ٤ـ قيل: أي ليس له دعوة توجب له الالوهيّة. ٥ـ عن الكلبي: أي ليس له شفاعة في الدّنيا ولا في الآخرة، وكان فرعون يدعو النّاس أوّلاً إلى عبادة الأصنام، ثمّ دعاهم ثانياً إلى عبادة البقر، فكانت تُعبَد ماكانت شابّة، فإذا هرمت أمر بذبحها، ثمّ دعا بأخرى

لتعبَد، ثمّ لمّا طال عليه الزّمان قال: «أنا ربّكم الأعلىٰ» النّازعات: ٢٤).

٦ ـ عن ابن عبّاس: أي ليس للوثن دعوة مقدّرة في الدّنيا ولا في الآخرة. ٧ـ قيل: أي لابدّ إنّما تدعونني إليه من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ليس لها أوله دعوة نافعة. ٨ـ قيل: أي ليست له دعوة في الدّنيا لأنّ الأصنام لا تدعوهم إلى عبادتها فيها ولا في الآخرة لأنّها تبرأ من عبادتها فيها.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

وفي قوله: «المسرفين» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وقتادة وابن سيرين: هم المشركون بالله سبحانه، المتعدّون حدوده، القتلة النّفوس الّتي حرّم الله قتلها. ٢ـ عن ابن مسعود ومجاهد والشّعبي هم السّفهآء السّفّاكون للدّمآء بغير حقّ الّذين ركبوا أهوآءهم ودسّوا أنفسهم بصنوف المعاصي والآثام ... ٣ـ قيل: هم الّذين يغلب شرّهم على خيرهم، وقبائحهم على حسناتهم ... ٤ـ قيل: هم الّذين جاوزوا في الكفر والعصيان، وفي الشّرك والطّغيان حدّ الإعتدال كمّاً بالدّوام والإصرار، وكيفاً بالشّناعة وخلع العذار. ٥ـ قيل: هم فرعون ومَن معه لكفرهم، وماكان همّ به فرعون من قتل موسىٰ عليه السّلام وكان فرعون عالياً عاتياً في كفره بالله سفّاكاً للدّماء الّتي كان محرماً عليه سفكها، وكلّ ذلك من الإسراف.

٦ـ عن عكرمة: هم الجبّارون والمتكبّرون. ٧ـ قيل: هم الّذين تعدّوا حدودالله ٨ـ قيل: هم الكافرون إطلاقاً. ٩ـ قيل: هم الّذين ظلموا على الله سبحانه بالشّرك وأسرفوا على أنفسهم بالإنهماك في الشّهوات وارتكاب المعاصي. ١٠ـ قيل: هم الّذين أسرفوا في العقآئد. ١١ـ قيل: أي المسرفين في الأعمال والعبادات. ١٢ـ قيل: هم الّذين أسرفوا في الأقوال ١٣ـقيل: هم الّذين أسرفوا في الكفر والضّلالة وفي الطّغيان والجناية وفي اتّباع الهوىٰ.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٤٤ ـ (فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)

في القائل قولان: **أحدهما**ـ عن ابن عبّاس: هو الرّجل المؤمن من آل فرعون

ثانيها ـ قيل: القائل هو موسى بن عمران عليه السّلام.

أقول: والأوّل هو الصّواب.

وفي قوله: «فستذكرون ما أقول لكم» أقوال: ١ـ قيل: أي فستذكرون صحّة ما أقول لكم إذا دخلتم نار جهنّم يوم القيامة. ٢ـ قيل: أي فستذكرون في الدّنيا عند نزول العذاب بكم ما أقول لكم من النّصآئح والمواعظ والوعد والوعيد ... ٣ـ عن ابن عبّاس: أي فستعلمون يوم القيامة صحّة ما أقول لكم في الدّنيا من العذاب. ٤ـ قيل: أي إذا عاينتم العذاب قبل دخولكم في نار جهنّم. ٥ـ قيل: أي فستعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه وتتذكرونه فتندمون حين موتكم حيث لاينفعكم عندئذٍ النّدم، وإنّي بالغت في نصحكم وتذكيركم بمالم يبق بعده مستزاد لمستزيد.

٦ ـ قيل: أي فستعلمون علم اليقين ما أحدثكم به وما أدعوكم إليه من الإيمان بالله الواحد العزيز الغفّار، وما أُحذّركم به من عذابه يوم القيامة، إذا أنتم لم ترجعوا إلى الله جلّ وعلا، ولم تَدّعوا عبادة ماتعبدون من آلهة، ليس لها حول ولا طول، في الدّنيا ولا في الآخرة. ٧ـ قيل: أي فستعلمون في البرزخ أنّي كنت ناصحاً لكم، وكنتم من المسرفين لم تسمعوا نصآئحي ... ٨ـ قيل: أي في الدّنيا والآخرة.

أقول: والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق، وفي معناه بعض الأقوال الأُخر، فتأمّل جيّداً ولاتغفل. وفي حقيقة التّفويض أقوال: ١ـ قيل: حقيقة التّفويض تعطيل الإرادة في تدبير الله تعالى. ٢ـ قيل كمال التّفويض: أن لايرى العبد لنفسه ولا للخلق جميعاً قدرة على النّفع والضّرّ. ٣ـ قيل: إنّ التّفويض قبل نزول القضاء والتّسليم بعد نزوله.

٤٥ ـ (فوقاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

في قوله تعالى: «فوقاه الله سيّئات مامكروا» أقوال: ١ـ قيل: إنّ فرعون وملئه قدهمّوا بإغراق الرّجل المؤمن، وإحراقه بالنّار كما فعل نمرود بابراهيم عليه السّلام فغرقوا وأُحرقوا، فُجوزوا بأشدّ ما أرادوه على أنّ الجزآء يلزم فيه المماثلة. ٢ـ عن قتادة: كان الرّجل المؤمن قبطياً من قوم فرعون، فنجاه الله مع موسىٰ عليه السّلام وبني إسرآئيل

حين نجوا. إذ كان المؤمن يسير يوماً بين يدي موسىٰ عليه السّلام فقال: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فقال: أمامك، فقال له المؤمن: وهل أمامي إلّا البحر؟ فقال موسىٰ عليه السّلام: لاوالله ماكذبت ولا كذبت، ثمّ سار ساعة وقال: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فقال: أمامك، فقال: وهل أمامي إلّا البحر؟ فقال: لا والله ماكذبت ولا كذبت حتّى أتىٰ على البحر، فضربه بعصاه فانفلق إثنى عشر طريقاً لكلّ سبط طريق. فصرف الله تعالى عنه سوء مكرهم، فنجّاه مع موسىٰ وبني إسرآئيل حتّى عبرالبحر هو معه وبني إسرائيل.

٣ـ قيل: أي فحفظه من إلحاق أنواع العذاب به، فطلبوه لذلك فما وجدوه لأنّه فوّض أمره إلى الله تعالى فكفاه من ذلك. ٤ـ قيل: أي أضمر فرعون السّوء لهذا النّاصح الأمين فكفّ الله عنه بأسه. ٥ـ عن ابن عبّاس: أي سيّئات مامكروا به من القتل. وذلك أنّ فرعون وملئه قدهمّوا بقتله، فهرب إلى جبل، فبعث فرعون رجلين في طلبه، فوجداه قآئماً يصلّي وحوله الوحوش صفوفاً، فخافا ورجعا هاربين. فدفع الله تعالى عنه ما أرادوا به من القتل. ٦ـ قيل: أي وقاه الله أن يفتنوه في دينه.

أقول: والأخير هوالمرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى «سوء العذاب» أقوال: ١ـ عن السّدي: سوء العذاب مايسوؤهم من عذاب الله وذلك نار جهنّم. ٢ـ قيل: أي مانزل بهم من العذاب الّذي سآءهم قبل الغرق. ٣ـ قيل: هو الغرق في الدّنيا والجحيم في الآخرة. ٤ـ قيل: أي نزل بفرعون ومن تبعه سوءالعذاب، إذ وجب عليهم وهم في الدّنيا هذا العذاب الّذي سينزل بهم في الآخرة، فهو حكم معلّق في أعناقهم وهم في هذه الحياة الدّنيا. ٥ـ قيل: سوءالعذاب هوقتل الملأ إذ همّوا بقتل المؤمن فقتلهم فرعون. ٦ـ قيل: هو الغرق في اليمّ. ٧ـ قيل: هوعذاب القبر والبرزخ.

أقول: والخامس هو المروي، وعلى السّادس أكثر المفسّرين، والسّابع هو الأنسب بالآية التّالية، ويمكن لنا الجمع بينها بأنّ طآئفة من آل فرعون الّذين همّوا بقتل الرّجل المؤمن قُتِلوا، وطآئفة منهم غرقوا مع فرعون في اليمّ، وكلّهم يعذّبون

سوء العذاب في البرزخ إلى يوم القيامة.

٤٦ ـ (النّارُ يُعْرَضُون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعَة أدخِلوا آل فرعون أشدّ العذاب)

في قوله تعالى: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً» أقوال: ١ـ قيل: يُعرض آل فرعون على النّار في قبورهم صباحاً ومساءً ويحرقون بها ويعذّبون في البرزخ وهو الفترة بين الموت والبعث. ٢ـ عن الفرّاء: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: وحاق بآل فرعون سوء العذاب، ويقال لهم يوم القيامة: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب، النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً، ويكون معنى غدواً وعشياً مع أنّهم فيها أبداً أنّه يتجدّد جلودهم بعد الإحتراق غدواً وعشياً. ٣ـ قيل: أي إنّ آل فرعون بعرض النّار. كما يقال: فلان يعرضه شرّ شديد. أي يقرب من ذلك. ٤ـ قيل: أي إنّ أعمالهم أعمال من يستحقّ النّار، فكأنّهم يغدون ويروحون إليها بأعمالهم ...

٥ ـ قيل: أي هم يعرضون على النّار وهم أحياء بالزّجر والتّحذير والوعد والوعيد فإذا كانت السّاعة ـ وماتوا على كفرهم ـ أدخلوا أشدّ العذاب. ٦ـ قيل: أي تعرض أرواح آل فرعون من حين موتهم إلى قيامة السّاعة على النّار بالغداة والعشيّ وينفّس عنهم فيما بين ذلك، ويدوم هذا إلى أن يدخلوا نارجهنّم، ونار البرزخ غير نار جهنّم. ٧ـ قيل: إنّ التّعذيب في البرزخ ويوم القيامة بشيءٍ واحد وهو نار جهنّم، ولكنّ أهل البرزخ يعذّبون بها من بعيد ويذوقون ألمها، وأهل الآخرة بدخولها، ويذوقون عذاب حريقها،، فهم في الفترة بين الموت والبعث يفزّعون بالنّار الّتي سيصيرون إليها يوم القيامة، فيردونها صبحاً ومساءً ليروا بأعينهم المنزل الّذي سينزلونه يوم القيامة.

أقول: وفي المعنى السّابع روايات عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله تعالى: «أدخلوا آل فرعون» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: هذا أمر من الله تعالى للملائكة بإدخال آل فرعون في نار جهنّم. فالمخاطبون هم الملائكة والمعنى: أدخلوا أيّها الملائكة آل فرعون نار جهنّم. ٢ـ قيل: خطاب من الله تعالى لآل فرعون

والمعنى: أدخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب. ٣ـ قيل: إنّ الله تعالى يأمر خزنة جهنّم بإدخال آل فرعون النّار. ٤ـ قيل: يقال لهم يوم القيامة: أدخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب. والمعنى: يقال لهم توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم ادخلوا أشدّ العذاب.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله تعالى: «أشدّ العذاب» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي أسفل النّار. ٢ـ قيل: أي عذاب جهنّم، فإنّه أشدّ من عذاب البرزخ، كما أنّ عذاب البرزخ أشدّ من عذاب الدّنيا. ٣ـ قيل: أشدّ العذاب هوالهاوية مقرّ معاوية فرعون هذه الأمّة الإسلاميّة.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتأمّل جيّداً.

٤٧ ـ (وإذ يتحاجّون في النّار فيقول الضّعفاء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار)

في قوله تعالى: «وإذ يتحاجّون في النّار» أقوال: ١ـ قيل: هم مشركو مكّة الّذين أمرالله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ينذرهم إذ قال: «وأنذرهم يوم الآزفة» المؤمن: ١٨) فيقول الضّعفآء منهم وهم الأتباع على الشّرك بالله سبحانه للمتبوعين الّذين يأمرون أتباعهم بالشّرك :إنّا معاشرالأتباع كنّا لكم يا معاشر المشركين تبعاً على الشّرك بالله والضّلالة. ٢ـ قيل: أي يتخاصم الكفّار من جميع الأمم في النّار. ٣ـ قيل: أي يتخاصم آل فرعون في النّار، فيقول الضّعفآء منهم لأقويآئهم ... ٤ـ قيل: أي يتخاصم أهل النّار فيها من جميع الأمم من الكفّار والعاصين ...

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق وإن كان التّعميم غير بعيد.

وفي قوله عزّ وجلّ: «فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار» أقوال: ١ـ قيل: أي فهل أنتم اليوم دافعون عنّا جزءاً من النّار. ٢ـ قيل: أي فهل أنتم تحملون عنّا ولو شيئاً قليلاً من العذاب. ٣ـ قيل: أي فهل أنتم اليوم تستطيعون أن تخفّفوا عنّا جزءً يسيراً من النّار. ٤ـ عن ابن عبّاس: أي حاملون عنّا بعضاً ممّا علينا من العذاب.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين، والمعاني متقارب والمآل واحد.

٤٨ ـ (قال الذين استكبرُوا إنّا كلّ فيها إنّ الله قدحكم بين العباد)

في قوله تعالى: «إنّ الله قد حكم بين العباد» **أقوال:** ١ـ عن ابن عبّاس أي قدحكم بين العابد والمعبود، وبين القادة والسّفلة بالنّار. ٢ـ قيل: أي بين فرعون وملئه، وبين موسىٰ عليه السّلام وقومه. ٣ـ قيل: أي قد قضىٰ بين المؤمنين والكافرين بالجنّة والنّار، فأدخل المؤمنين الجنّة وأسكنهم فيها، وأدخل الكافرين في النّار وأسكنهم فيها، فقضىٰ لكلّ فريق بما يستحقّه، فلانحن ممّا نحن فيه من عذاب النّار خارجون، ولاهم ممّا هم فيه من جنّات النّعيم منتقلون.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

٤٩ ـ (وقال الّذين في النّارلخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب)

في قوله تعالى: «وقال الّذين في النّار» **أقوال:** ١ـ قيل: هم فرعون طاغي مصر وملئه من الرّؤسآء والمستكبرين، والأتباع المستضعفين. ٢ـ قيل: هم الرّؤسآء والقادة من آل فرعون. ٣ـ قيل: هم جميع أهل النّار ومنهم آل فرعون.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق وعليه أكثر المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ حكاية عنهم: «يوماً واحداً» **أقوال:** ١ـ قيل: أي آناً واحداً حيث إنّ اليوم قد يطلق على الآن. ٢ـ قيل: أي قدر يوم واحد من أيّام الدّنيا لأنّ الآخرة يوم لاليل فيه ولانهار. ٣ـ قيل: إنّ المراد باليوم من العذاب مايناسب من معنى اليوم لعالمهم الّذي هم فيه، ويؤل معناه إلى قطعة من العذاب.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المفسّرين.

٥٠ ـ (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلىٰ قالوا فادعوا ومادعآؤا الكافرين إلّا في ضلال)

في قوله تعالى حكاية عن خزنة جهنّم: «فادعوا» **أقوال:** ١ـ عن ابن عبّاس: إنّما قالوا ذلك إستخفافاً وإستهزآءً وتهكّماً بهم. ٢ـ قيل: أي قالت الخزنة لهؤلآء المستكبرين والمستضعفين: فادعوا أنتم فإنّا لاندعوا إلّا بإذن، ولم يؤذن لنا فيه. ٣ـ

قيل: معناه: فادعوا بالويل والثّبور.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله: «ومادعآء الكافرين ...» في القآئل أقوال: ۱ـ قيل: إنّه تتمّة من كلام الخزنة. ۲ـ قيل: إنّه يكون من كلام الله جلّ وعلا. ۳ـ قيل: أنّه من كلام المستكبرين قالوا ذلك آئسين عن إستجابة الدّعآء.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله: «في ضلال» أقوال: ۱ـ عن إبن عباس: أي وما دعآء الكافرين في النّار إلّا باطل. ۲ـ قيل: أي وما عبادة الكافرين في الدّنيا إلّا في خطاء. ۳ـ قيل: أي في ضياع لايجاب. ٤ـ قيل: أي في إنعدام. ٥ـ قيل: أي في خسار وتبار. ٦ـ قيل: أي لا أثرله ألبتّة. ۷ـ قيل: أي لأنّه في وقت لاينفع، فدعآؤهم يومئذ عبث لاجدوىٰ من ورآئه ولا إستجابة له إذ أحاط بدعآئهم الضّلال فلايهتدي إلى هدف الإجابة.

۸ـ قيل: أي ادعوا فلايستجاب لكم فإنكم كافرون، والكافرون لايستجاب لهم دعاء، و ذلك أنّ الله تعالى وعد عباده وعداً قطعياً أن يجيب دعوة من دعاه منهم، فقال: «اجيب دعوة الدّاع إذا دعان» البقرة:۱۸٦) إذا كان الدّعآء واقعاً على حقيقته بأن يدعو الدّاعي ويطلب جدّاً، وينقطع في ذلك إلى الله تعالى عن سآئر الأسباب الّتي يسمّيها أسباباً، وأمّا الكافر الّذي ينكر الآخرة وعذابها فلايتمشّى منه طلب جدّي لرفعه، أمّا في الدّنيا فظاهر، وأمّا في الآخرة فلأنّه وإن أيقن به بالمعاينة وانقطع إلى الله تعالى يوم القيامة لما هو فيه من الشّدّة، وقد انقطعت عنه الأسباب لكنّ صفة الإنكار لزمته وبالاً، وقد جوزي بها فلا تدعه يطلب ماكان ينكره طلباً جدّياً، على أنّ الكلام في انقطاعه إلى الله تعالى أيضاً كالكلام في طلبه الجدّي للتخلّص وأنّىٰ له الإنقطاع إلى لله جلّ وعلا هناك ، ولم يتلبّس به في الحياه الدّنيا.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المحقّقين وفي معناه أكثر الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٥١ ـ (إنّا لننصرُ رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقومُ الأشهاد)

في قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا» أقوال: ۱ـ قيل: نصرتهم في الدّنيا بإظهار كلمة الحقّ وإنتشار دينهم وعقيدتهم وعلوّ الشّأن، وحصول الذّكر الجميل مدى الحياة وإقتداء النّاس بسيرتهم إلى مدّة ماشآء الله تعالى، وقد ينصرون بعد موتهم كما أنّ يحيى بن زكريا لمّا قتل، قتل به سبعون ألفاً.

إن تسئل: وما معنى قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا» وقد علمنا أنّ منهم من قتله أعدآؤه ومثلوا به كشعيآء ويحيى بن زكريا، وكفاطمة الزّهرآء بنت المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم وابنه الحسين الشّهيد بكربلآء عليه السّلام وغيرهم من الشّهدآء من الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والصّالحين ... ومنهم مَن همّ بقتله قومه؛ فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتّى فارقهم ناجياً بنفسه كإبراهيم خليل الرّحمن عليه السّلام الّذي هاجر إلى الشّام من أرضه مفارقاً لقومه، وكعيسىٰ بن مريم عليه السّلام الّذي رفع إلى السّمآء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة الّتي أخبرنا أنّه تعالى ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدّنيا، وهؤلآء أنبيآؤه قدنا لهم من قومهم ماقد علمت، ومانصروا على مانالهم بما نالهم به؟

نجيب عنه: انّ لقوله عزّوجلّ: «إنّا لننصر رسلنا ...» وجهين: **أحدهما**ـ أن يكون المعنى: إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا إمّا باعلآئناهم على من كذّبنا وإظفارناهم بهم حتّى يقهروهم غلبة، ويذلّوهم بالظّفر ذلّة كما فعل بداود وسليمان عليهما السّلام إذ أعطاهما من الملك والسّلطان ما قهرا به كلّ كافر، وما فعل برسوله الخاتم محمّد المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وسلّم بإظهاره على المكذّبين من قومه، وإمّا بإنتقامنا ممّن حادّهم وشاقّهم بإهلاكهم وإنجآء الرّسل من مكذّبيهم ومعانديهم كما فعل بنوح عليه السّلام وقومه من إغراق قومه وإنجآئه منهم، وما فعل بموسىٰ عليه السّلام وفرعون وقومه إذ أهلكم غرقاً ونجّىٰ موسىٰ عليه السّلام ومن معه، أو بإنتقامنا في الحياة الدّنيا من مكذّبيهم بعدوفاه رسولنا من بعد مهلكهم كما فعلنا من نصرتنا شعيآء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتّى انتصرنا بهم من قتلته، وما فعلنا بقتلة يحيىٰ من تسليطنا بختنصر عليهم حتّى انتصرنا به من قتله له، وكإنتصارنا

لعيسى عليه السّلام من مريدي قتله بالرّوم حتّى أهلكناهم بهم، وما فعلنا بقتلة شهدآء كربلآء من تسليطنا مختاربن أبي عبيدة الثّقفي عليهم، وإمّا سننتقم قبل يوم القيامة كما ننتقم بوليّ أمرنا المهديّ الحجّة بن الحسن العسكري الإمام الثّاني عشر عجلّ الله تعالى فرجه الشّريف من قتلة بنت المصطفىٰ فاطمة الزّهراء ومن ظالمي حقوق أهل بيت الوحي المعصومين وقاتليهم في آخرالزّمان يوم الرّجعة.

ثانيها ـ أن يكون هذا الكلام على وجه الخبرعن جميع الأنبيآء والمرسلين والمؤمنين، ويكون المراد واحداً، فالمعنى: إنّا لننصر رسولنا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم والّذين آمنوا به في الحياة الدّنيا، ويوم يقوم الأشهاد. وذلك أنّ العرب تخرج الخبر بلفظ الجمع والمراد واحد مالم تنصب للخبر شخصاً بعينه.

٢ ـ قيل: إنّ المراد بـ «رسلنا» موسىٰ بن عمران عليه السّلام والمراد بـ «الّذين آمنوا» الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون. ٣ـ عن أبي العالية: هوعامّ في الرّسل والمؤمنين، ونصرهم باعلاء الحجج وفتحها وإفلاحها في الدّنيا. ٤ـ قيل: نصرهم بالإنتقام من أعدآئهم، فما قتل قوم قطّ نبيّاً أو قوماً من دعاة الحقّ من المؤمنين إلّا بعث الله عزّ وجلّ قبل ذهاب قرن، مَن ينتقم لهم، فيطلب بدمآئهم ممّن فعل ذلك بهم في الدّنيا فصاروا هم منصورين فيها وإن قُتِلوا. ٥ـ قيل: أي بالغلبة والنّصرة على الأعدآء ... وفي شتّى الأحوال ماظفر ماظفر الإثم به والغالب بالشّرّ مغلوب، فلو غلب الأعدآء على المؤمنين أحياناً ولكنّ العاقبة لهم.

٦ـ قيل: أي ننصرهم بوجوه النّصر، فإنّ النّصر قد يكون بالحجّة، وقد يكون بالغلبة في المحاربة وذلك بحسب ماتقتضية الحكمة، ومايعلمه الله تعالى من المصلحة، وقد يكون بالألطاف والتّأييد وتقوية القلب، وقد يكون بإهلاك العدوّ، وقد كان كلّ ذلك للأنبيآء والمؤمنين من قبل الله عزّوجلّ فهم منصورون بالحجّة من خالفهم، وقد نصروا أيضاً بالقهر على مَن ناو أهم، وقد نصروا بإهلاك عدوّهم وإنجآئهم مع من آمن معهم، وقد يكون النّصر بالإنتقام لهم كما نصريحيىٰ بن زكريا عليه السّلام لمّا قتل حين قتل به سبعون ألفاً، فهم لامحالة منصورون في الدّنيا بأحد هذه الوجوه ...

وأمّا نصره تعالى إيّاهم يوم القيامة فهو إعلآء كلمتهم وظهور حقّهم وعلوّ منزلتهم بجزيل الثّواب، وإعزازهم، وإذلال أعدآئهم بعظيم العقاب لأنّ النّصر هو المعونة على العدوّ.

۷ ـ قيل: أي إنّ الله تعالى يؤيّدهم بنصره في الدّنيا، ويؤمّنهم من فزع هذا اليوم، وينزلهم منازل رحمته ورضوانه في جنّات لهم فيها نعيم مقيم في الآخرة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق من تناف بينه وبين ما ورد في المقام عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «ويوم يقوم الأشهاد» أقوال: ۱ـ قيل: نصرهم في الآخرة هو رفع الدّرجات والتّعظيم على رؤوس الأشهادوهم الحفظة والأنبيآء والمؤمنون. ۲ـ عن زيدبن أسلم: الأشهاد أربعة: الملائكة والنّبيّون والمؤمنون والأجساد. وذلك أنّ الملائكة يحصون أعمالنا لقوله تعالى: «وجآئت كلّ نفس معها سآئق وشهيد» ق: ۲۱) وأنّ الأنبيآء شهدآء على أممهم لقوله عزّوجلّ: «فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد» النّسآء: ٤١) وأنّ المؤمنين من أمّة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شهدآء على سآئر الامم لقوله جلّ وعلا: «وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهدآء على النّاس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» البقرة: ۱٤۳) وأنّ الأجساد والجلود شهداء على أصحابها لقوله تعالى: «وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الّذي أنطق كلّ شيْ» فصّلت: ۲۱).

۳ ـ عن مجاهد والسّدي وقتادة وسفيان: الأشهاد هم الملائكة الّذين تشهد للأنبيآء والمرسلين بإبلاغ الرّسالة، وعلى الأمم الكافرة بالتّكذيب والمعصية. ٤ـ عن قتادة أيضاً: هم الملائكة والأنبيآء والمؤمنون. ٥ـ قيل: هو يوم القيامة حيث تشهد على المجرمين أعضآؤهم، والكرام الكاتبون، والنّصر يوم القيامة للمحقّين بلا ريب. ٦ـ عن ابن عبّاس: إنّ الملائكة ينصرون الرّسل بالعذر والحجّة، والأشهاد هم الرّسل عليهم السّلام.

٧ ـ قيل: الأشهادهم الحفظة من الملائكة يشهدون على الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء ودعاة الدّين بما عملوا. ٨ـ قيل: الأشهادهم الحفظة يشهدون على النّاس بما عملوا لقوله تعالى: «وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون» الإنفطار: ١٠ـ١٢) ٩ـ قيل: هم الّذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين، وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك سرور للمحقّ، وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم والمحفل الكبير. ١٠ـ قيل: هم الأنبيآء والمرسلون وحدهم يشهدون للنّاس وعليهم ١١ـ قيل: أي يقوم على النّاس يوم القيامة من يؤدّي شهادته عليهم من رسل الله ومن جوارحهم الّتي تقوم شاهدة عليهم.

١٢ ـ قيل: أي يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبيآء والمؤمنين على الأمم المكذّبة لرسلها بالشّهادة بأنّ الرّسل قد بلّغوا رسالات ربّهم، وأنّ الأمم قد كذبتهم. وذلك أنّ الامم ينكرون يوم القيامة تبليغ الأنبيآء، فيطالب الله تعالى الأنبيآء بالبيّنة على أنّهم قد بلّغوا وهو أعلم، فيؤتي عليهم بالشّهدآء. ١٣ـ قيل: إنّ المراد بالأشهاد: الحضّاروهم جميع أهل الموقف. ١٤ـ قيل: الأشهادهم أصحاب الكهف يسلّمون على القآئم المهدي الحجّة بن الحسن العسكري عجلّ الله تعالى فرجه الشّريف يسلّمونه بإسمه بعد ظهوره عليه السّلام.

أقول: والأخير هوالمرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمين من دون تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر، على تعدّد المصاديق تفسيراً وتأويلاً فتأمّل ولا تغفل.

٥٢ ـ (يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار).

في «الظّالمين» أقوال: ١ـ قيل: هم المشركون. ٢ـ قيل: هم الكافرون من الأمم أجمعين. ٣ـ قيل: هم الّذين ظلموا على أنفسهم. ٤ـ قيل: هم العصاة والطّغاة وتبعة الهوى.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق، فيشمل لكلّ من تلبّس بالظّلم ومات عليه من المشركين والكفّار، من المستكبرين والفجّار، ومن المجرمين والفسّاق،

وإن كان الشّرك لظلم عظيم.

وفي نفي نفع المعذرة أقوال: ١ـ قيل: لأنّها باطلة لأنّهم يقولون يومئذ: والله ربّنا ماكنّا مشركين، ماكنّا كافرين، ماكنّا عاصين، وماكنّا مكذّبين ... فينكرون يوم القيامة ماكانوا عليه في الحياة الدّنيا فاعتذارهم باطل غير مقبول. ٢ـ قيل: إنّه لايؤذن لهم إطلاقاً فيعتذرون، وإن أُذِنَ لهم في بعض المواقف أن يعتذروا. ٣ـ قيل: قد نفى أن تنفعهم المعذرة في الدّار الآخرة مع كونها نافعة لهم في الحياة الدّنيا لوكان يعتذرون قبل إضاعة الفرصة لأنّ الآخرة دار الإلجآء إلى العمل، والملجأ غير محمود على العمل الّذي الجئ إليه لأنّه لايعمله لداعي الحكمة إلى مايمكنه أن يعمله، ولايعمله فيضمن الحمد على فعله.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فتدبّر جيّداً.

٥٣ ـ (ولقد آتينا موسى الهدىٰ وأورثنا بني إسرآئيل الكتاب)

في قوله تعالى: «الهدى» أقوال: ١ـ قيل: الهدى هوالّذي آتاه الله تعالى موسىٰ عليه السّلام وهو التّوراة لقوله تعالى: «إنّا أنزلنا التّوراة فيها هدىً ونور» المائدة: ٤٤). ٢ـ قيل: أريد بالهدىٰ المعجزات الدّالّة على نبوّة موسىٰ عليه السّلام. ٣ـ قيل: الهدى: التّوراة والمعجزات جميعاً. ٤ـ قيل: إنّ المراد بالهدىٰ ما آتاه الله في باب الدّين ممّا يهتدي به النّاس من المعجزات والتّوراة والصّحف والشّرآئع ... ٥ـ قيل: الهدى: النّبوّة والتّورَاة، وقد سمّيت التّوراة هدىً بما فيها من الهدى والنّور كما أنّ في النّبوّة كذلك. ٦ـ قيل: أريد بالهدى الدّين الّذي اوتيه موسىٰ عليه السّلام.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحقّقين.

وفي قوله عزّوجلّ: «الكتاب» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: الكتاب هو الزّبور كتاب داود عليه السّلام والإنجيل كتاب عيسىٰ عليه السّلام والمعنى: وأنزلنا على بني إسرآئيل من بعد موسىٰ عليه السّلام الزّبور والإنجيل. ٢ـ قيل: الكتاب هو التّوراة والمعنىٰ: وتركنا التّوراة وأبقيناها بين بني إسرآئيل من بعد موسىٰ عليه السّلام ليعلموا بها ويهتدوا. ٣ـ قيل: أي أورثنا بني إسرائيل هذه الكلمات المكتوبة في التّوراة بأنّهم لم

يرثوا الهدى الّذي تحمله التّوراة، والّذي حمله إليهم موسىٰ عليه السّلام فيها، وإنّما ورثوا الكتاب وحرّفوا هداه.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحقّقين.

٥٤ ـ (هدىً وذكرىٰ لأولي الالباب)

في قوله تعالى: «هدى وذكرىٰ» أقوال: ١ـ قيل: إنّ المراد بكون الكتاب هدى أنّه دليل في نفسه، وبكونه ذكرى أن يكون مذكّراً للشئ المنسّي. ٢ـ قيل: أي بياناً لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرآئضها، وتذكيراً منّا لأهل الحجا والعقول منهم بها. ٣ـ قيل: أي هادياً وتذكرةٍ وموعظة لأصحاب العقول. ٤ـ قيل: أي إرشاداً وتذكرة. ٥ـ قيل: أيّ هدى من الضّلالة وعظة لذوي العقول من النّاس. ٦ـ قيل: أي حالكون الكتاب هدىً يهتدي به عامّتهم وذكرى يتذكّر به خاصّتهم من اولى الألباب.

أقول: ولكلٍّ وجهٌ من دون تناف بينها فافهم ذلك.

٥٥ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقٌّ واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار)

في قوله تعالى: «فاصبر» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي فاصبر يا محمّد على أذى اليهود والنّصارى والمشركين. ٢ـ قيل: أي فاصبر يا محمّد لأمر ربّك وأنفذ لما أرسلك به من الرّسالة، وبلّغ قومك ومن أمرت بابلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعدالله الّذي وعدك من نصرتك ونصرة من آمن بك على من كذّبك، إنّ وعدالله تعالى حقّ منجز لاخلف له ٣ـ قيل: أي فاصبر على إيذآء المشركين ومجادلتهم بالباطل.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «إنّ وعدالله حقّ» أقوال: ١ـ قيل: أي الّذي وعدك به من الثّواب والجنّة ونعيمها لك ولمن أطاعكِ، ومن العقاب والنّار وعذابها على من عصاك وكذّبك حقّ لاخلف فيه. ٢ـ قيل: أي وعدالله بالنّصر والتّأييد حق منجز، وإنّ كيد قومك وجدالهم بالباطل وإستكبارهم عن قبول دعوتك سيبطل ويعود

وبالاً على أنفسهم كما قال: «إنّا لننصر رسلنا...». ٣ـ قيل: أي إنّ وعدالله باعلاء كلمة الحقّ وإد حاض كلمة الباطل حقّ كما قصّ عليك من حال موسىٰ عليه السّلام والرّجل، المؤمن البطل من آل فرعون.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق من غير تناف بينها فتأمّل جيّداً.

وفي قوله جلّ وعلا: «واستغفر لذنبك» أقوال: ١ـ قيل: أي أقبل على أمر دينك وأداء مهمّتك من تبليغ الرّسالة ودعوة النّاس إلى الحقّ والهدىٰ وإن كان ذلك عند أعداءك ذنباً لك. ٢ـ قيل: أي واستغفر لذنب أمّتك. فحذف المضاف، واقيم المضاف إليه مقامه. لقوله تعالى: «واستغفرلهم الرّسول» النسآء: ٦٤).

٣ ـ قيل: أي اطلب المغفرة من الله تعالى على صغيرة وقعت منك. ولعظيم نعمته تعالى على الأنبيآء والمرسلين كلّفهم التّوبة والإستغفار من الصّغآئر الّتي تقع منهم أحياناً. هذا عند من جوّز الصّغآئر على الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٤ـ قيل: هذا أمر تعبّدي من الله تعالى لنبيّه صلّى عليه وآله وسلّم بالدّعآء والإستغفار لكي يزيد في الدّرجات، وليصير سنّة لمن بعده. وهذا من باب «إيّاك أعني واسمعي يا جاره» وهذا عند من لايجوّز الصّغآئر والكبآئر على الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين عليهم السّلام. فالخطاب للنّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمراد أمّته أعطي الشّفاعة فيه.

٥ ـ عن ابن عبّاس: أي واستغفر لتقصير شكر ما أنعم الله عليك وعلى أصحابك. ٦ـ قيل: إنّ الإستغفار من حيث هوعبادة مستحبّة مع عدم الذّنب، ومعه واجبة بل قوله تعالى: «هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه» هود: ٦١) يدلّ بظاهره على أنّ الإستغفار يجب على العباد مطلقاً، وفي كلّ حال لأنّه تعالى هوالّذي خلق ورزق، والإستغفار نوع شكر على نعمة الخلق والرّزق. ٧ـ قيل: أي واستغفرالله من ذنب صدر منك قبل النّبوّة. ٨ـ قيل: أي استغفر لترك الاولى والإهتمام بأمر العدى. ٩ـ قيل: أي استغفر لما يعدّ بالنّسبة إليك ذنباً وإن لم يكن ذنباً بمعنى المخالفة للأمر المولوي لمكان عصمته صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحقّقين، وفي معناه الثّاني.

وفي قوله سبحانه: «وسبّح بحمد ربّك» أقوال: ١ـ قيل: أي نزّه الله تعالى واعترف بشكره وإضافة النّعم إليه، ونفي التّشبيه عنه. ٢ـ قيل: أي نزّه صفاته عن صفات المحدثين، ونزّه أفعاله عن أفعال الظّالمين. ٣ـ قيل: أي صلّ بأمر ربّك شكراً له طرفي النّهار كما جآء في قوله تعالى: «وأقم الصّلاة طرفي النّهار وزلفاً من آللّيل» هود: ١١٤) ٤ـ قيل: أي ونزّهه بالشّكر له والثّنآء عليه. ٥ـ قيل: أي إستدم التّسبيح في الصّلاة وخارجاً منها لتشتغل بذلك عن إستعجال النّصر. فالمراد المواظبة على ذكر الله تعالى وألّا يفتر عنه اللّسان، ولايغفل عنه القلب، حتّى يدخل في زمرة الملائكة الّذين قال الله تعالى في وصفهم: «يسبّحون اللّيل والنّهار لايفترون» الأنبيآء: ٢٠).

أقول: ولكلٍّ وجهٌ ولكن الأوجه هو الخامس.

وفي قوله تعالى: «بالعشيّ والإبكار» أقوال: عن مجاهد: العشيّ من زوال الشّمس إلى اللّيل، والإبكار من طلوع الفجر الثّاني إلى طلوع الشّمس. وقيل: من طلوع الشّمس إلى ارتفاع الضّحىٰ وخروج وقت الضّحىٰ. ٢ـ عن إبن عباس والضّحاك: يريد الصّلوات الخمس. ٣ـ عن قتادة والحسن: العشيّ صلاة العصر، والإبكار صلاة الفجر. ٤ـ قيل: العشيّ هو من بعد الزّوال، والإبكار الصّلوات الخمس. ٥ـ عن الحسن أيضاً: هي صلاة كانت بمكّة قبل أن تفرض الصّلوات الخمس: ركعتان غدوة وركعتان عشيّة. ٦ـ قيل: أريد بالعشيّ والإبكارالدّوام أي وسبّح بحمد ربّك دائماً في كلّ حال. فليس ذكر هذين الوقتين حصراً لتسبيح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ربّه فيهما فإنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم كان دآئم الذّكر لربّه مسبّحاً. ٧ـ قيل: أي صباحاً ومسآءً.

أقول: وعلى السّادس أكثر المحقّقين وهو الأنسب بظاهر السّياق فافهم ذلك ولا تغفل.

٥٦ ـ (إنّ الّذينَ يُجادلون في آياتِ الله بغير سلطانٍ أتاهم إن في صدورهم إلّا كبرٌماهم

ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السّميع البصير)

في قوله تعالى: «الّذين يجادلون» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وأبي العالية وكعب الأحبار: هم اليهود الّذين كانوا يقولون: إنّ الدّجّال ـ وهو يهوديّ إسمه صاف ويكنى أبايوسف ـ سيخرج عن قريب، ويطأ البلاد كلّها إلّا مكّة والمدينة، ويتبعه من يهود اصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة، فيردّ الملك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فذلك كبر لايبلغونه، فنزلت فيهم الآية فهي مدنية. والمعنى: إنّ الّذين يكذبون بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن وهم اليهود وكانوا أيضاً يجادلون مع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بصفة الدّجّال وعظمته، ورجوع الملك إليهم عند خروج الدّجّال بغير حجّة أتاهم من الله على مازعموا ما في قلوبهم إلّا كبر عن الحقّ، ما هم ببالغي ما في صدورهم من الكبر ومايريدون من رجوع الملك إليهم عند خروج الدّجّال، انّه سميع لمقالة اليهود، البصير بهم وبأعمالهم وبفتنة الدّجّال وبخروجه.

٢ ـ قيل: هم مشركو مكّة. ٣ـ قيل: هم كلّ من كفر برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيشمل لكلّ مجادل مبطل، وإن نزلت في مشركي مكّة أو اليهود على ما قيل.

أقول: والتّعميم هوالأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّوجلّ: «في آيات الله» أقوال: ١ـ قيل: أي في القرآن. ٢ـ قيل: أي في الأدلّة الواضحة على التّوحيد وعلى وجوب الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وباليوم الآخر. ٣ـ قيل: هي آيات القرآن الكريم والمعجزات الباهرة لإثبات رسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المحقّقين.

وفي قوله جلّ وعلا: «إن في صدورهم إلّا كبرماهم ببالغيه» أقوال: ١ـ قيل: أي ما في صدور المشركين إلّا كبر يتكبّرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحقّ الّذي أتيتهم به حسداً منهم على الفضل الّذي آتاك الله، والكرامة الّتي أكرمك بها من

النبوّة، فالّذي يحسدونك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نآئليه لأنّ ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء، وليس بأمر يدرك بالأمانيّ والآمال ... ٢- عن مجاهد: أي ليس في صدور المشركين إلّا عظمة ماهم ببالغي تلك العظمة لأنّ الله مذلّهم. ٣- قيل: أي ما في صدور هؤلآء المجادلين في آيات الله إلّا حبّ الرّياسة والجاه، وأن يكون النّاس كلّهم تحت تصرّفهم وتسخيرهم، لا أن يكونوا هم تحت تصرّف غيرهم، وذلك تخيّل فاسد لاينالون بها، لأنّ الغلبة لدين الإسلام، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لابدّ أن تكون الأمّة تحت أمره ونهيه، وأنّ النّبوّة تحتها كلّ ملك ورياسة.

فالكبر هو التكبّر وهو التّفوّق والتّرفع والتّعظّم، وإرادة التّقدّم والرّياسة، وهو الطّمع أن يعلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن لايكون أحد فوقهم، ولذلك عادوه صلّى الله عليه وآله وسلّم ودفعوا معجزاته ... ٤- عن الزّجّاج: أي ما في صدورهم إلّا كبرماهم ببالغي إرادتهم فيه. ففي الكلام حذف. ٥- قيل: أي ليست اليهود ببالغي الكبر. فلاحذف. فلا تبلغ اليهود ما في صدورهم وقت خروج الدّجّال. وذلك أنّ هؤلاء قوم رأوا أنّهم إن اتّبعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قلّ إرتفاعهم، ونقصت أحوالهم، وأنّهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعاً، فأعلم الله تعالىٰ أنّهم لايبلغون الإرتفاع الّذي الّذي أمّلوه بالتّكذيب. والمعنىٰ: إن تعظّموا عن اتّباع محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا: إنّ الدّجّال سيخرج عن قريب فيردّ إلينا الملك، وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله يتبعه سبعون ألفاً من يهود إصفهان عليهم الطّيالسة،فذلك كبر لايبلغونه.

٦- قيل: إنّ المراد بالكبر الأمر الكبير أي هم يطلبون النبوّة دون محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أو أمراً كبيراً يصلون به إليك من القتل أوالموت أو الإسارة وما إليها، ولا يبلغون ذلك، فاهم ببالغي موجب الكبر ومقتضيه. ٧- قيل: أي هم يتمنّون موتك قبل أن يتمّ دينك، وهم لايبلغون متمنّاهم. ٨- قيل: أي تكبّر عن اتباع الحقّ وعناد لأهله، فهم لايبلغون مرادهم بحال من الإنتصار على الحقّ. ٩- قيل: إنّ الكافرين يريدون أن يطفؤا نورالله بأفواهم والله متمّ نوره ولوكره الكافرون في كلّ

ظرف. ١٠- عن قتادة: إنّما حملهم على التّكذيب الزّيغ الّذي في قلوب الكافرين.

أقول: وعلى الثّالث أكثر المفسّرين، وفي معناه بعض الأقوال الآخر فافهم ذلك.

وفي قوله تعالى: «فاستعذ بالله» أقوال: ١- قيل: أي من شرّ اليهود وفتنة الدّجّال على قول من زعم أنّ الآية مدنية نزلت في اليهود. ٢- قيل: أي من شرّ الكفّار. ٣- قيل: أي من شرّ مشركي مكّة. ٤- قيل: أي من مثل ما ابتلوا به من الكفر والكبر. ٥- قيل: أي من التّكبّر وأهله، ومن شرّهم وشرّ كلّ ذي شرّ، ومن جميع مايجب الإستعاذة منه.

أقول: والتّعمم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٥٧ - (لَخَلْقُ السّموٰات والأرض أكبر من خلق النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن ابن عبّاس وأبي العالية: أي لخلق السّموات والأرض أعظم من خلق الدّجّال حين عظّمته اليهود، ولكنّ اليهود لايعلمون فتنة الدّجّال. ٢- عن يحيى بن سلام: أي لخلق السّموات والأرض إبتداءً أكبر من خلق النّاس مرّة ثانية وهي الإعادة يوم البعث للحساب والجزآء ولكنّ مشركي مكّة لايعلمون ذلك. فهذا إحتجاج على منكري البعث. والمعنى: إنّهما أكبر من إعادة خلق النّاس، فلِمَ إعتقدوا عجزي عنها، فمن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه، كان على الأسهل أقدر.

٣- قيل: أي خلق النّاس بالقياس إلى خلق السّموات والأرض أهون، ولكنّ أكثَرَ النّاس في كلّ ظرف لايعلمون حقيقة ذلك، وأنّهما أكبر وأعظم من خلق الإنسان، والمعنى: أيّها النّاس: إنّ إبتداع السّموات والأرض وإنشا ئهما من غيرشيء أعظم عندكم إن كنتم مستعظمي خلق النّاس وإنشآئهم من غير شيء، من خلق النّاس، ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون أنّ خلق جميع ذلك هيّن على الله جلّ وعلا. ٤- قيل: أي أكثر المشركين لايعلمون بقدرة الله تعالى وسلطانه القآئم على كلّ شيء، وإنّهم مااستعظموا ماهم فيه من قوّة إلّا عن جهل بقدرة الله تعالى، بل وعن جهل بقدرة مخلوقات الله الّتي إذا وضعوا أنفسهم إزآئها كانوا أشبه بالذّرّ أو النّمل تحت

سفح جبل شامخ ...!

٥ ـ قيل: أريد بالسّموات والأرض مجموع العالم. والمعنى: إنّ المجادلين ليسوا ببالغي بغيتهم، وليسوا بمعجزين فإنّ الله الّذي قدر على خلق مجموع العالم ولم يعجزه ذلك على مافيه من العظمة ليس يعجزه جزء يسير منه، وهو النّاس المخلوقون الّذين هم أهون عليه، ولكنّ أكثر النّاس جاهلون يظنّون بجهلهم أنّهم يعجزون الله بجدال يجادلونه أو أيّ كيد يكيدونه.

أقول: والثّالث هو الأنسب بعموم السّياق، من دون تنافٍ بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فافهم ذلك.

٥٨ ـ (ومايستوي الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيءُ قليلاً ماتتذكّرون)

في قوله تعالى: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: أي لايستوي الكافر والمؤمن بالثّواب والكرامة، والعقاب والإهانة. ٢ـ قيل: أي لايتساوي من عمى عن طريق الرّشد والصّواب، فلم يهتد إليها، والبصير الّذي أبصرها واهتدى إليها. ٣ـ قيل: أي لايستوي الأعمىٰ الّذي لايتفكّر في الآيات التّكوينية والتّدوينية ولا في الآيات الآفاقية والأنفسيّة فيشرك بالله سبحانه وينكر قدرته وتدبيره والبصير الّذي يتدبّر فيها فعرف الحقّ ويؤمن بالله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر، لايستويان عندالله تعالى في الدّنيا والآخرة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

وفي قوله عزّ وجلّ: «قليلاً ماتتذكّرون» أقوال: ١ـ قيل: أي تذكّركم أيّها النّاس قليل جدّاً. ٢ـ عن ابن عباس: أي لا تتّعظون بقليل ولا كثير من أنّه القرآن. ٣ـ قيل: أي قلّ نظرهم فيما ينبغي أن ينظروا فيه ممّا دعوا إليه. ٤ـ قيل: أي ينبغي أن يكون لهم حال هي بعد البعث، يظهر فيها التّفاوت بين الأعمىٰ والبصير، بين المؤمن المصلح، والكافر المفسد، وبين المحسن الصّالح والمسيءُ الفاسد. ٥ـ قيل: أي قليل منكم أيّها النّاس من يتذكّر ويعقل هذه الأمثال، وقليل تذكّر من يتذكّر منكم فإنّ

النّسيان واتباع الهوى غالب عليكم. ٦ـ قيل: أي ما أقلّ ماتتذكّرون حجج الله، فتعتبرون بها وتتعظون، ولو تذكّرتم واعتبرتم لعرفتم خطأما أنتم عليه، مقيمون من إنكاركم قدرة الله تعالى على إحيآء من فنى من خلقه وإعادته لحياة أخرى غير هذه الحياة. ٧ـ قيل: أي قليلاً ما تتذكّرون أيّها النّاس في الحياة الدّنيا التّفاوت بين الأعمىٰ والبصير والمؤمن والمسيئ في الإعتقاد والعمل وفي الحساب والجزآء.

أقول: والسّابع هو الأنسب بظاهر السّياق.

٦٠ ـ (وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)

في قوله تعالى: «ادعوني» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس ومجاهد والضّحّاك: أي اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام والطّواغيت ... فالدّعآء بمعنى العبادة كقوله تعالى: «إن يدعون من دونه إلّا اناثاً» النّسآء: ١١٧) ٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً: أي وحّدوني. ٣ـ قيل: الدّعآء بمعناه والمراد بعبادتي: دعآئي لأنّ الدّعاء باب من العبادة، بل الدّعآء مخّ العبادة، والعبادة الكبرى، وأفضل العبادة الدّعاء. ٤ـ قيل: الدّعاء: هو الذّكر والسّؤال. ٥ـ قيل: الدّعآء: ترك الذّنوب. ٦ـ قيل: الدّعآء: الاستغفار. ٧ـ قيل: أي اذكروني أذكركم بإعطآء الآلآء والنّعمآء.

أقول: والثّالث هو المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي قوله عزّوجلّ: «أستجب لكم» أقوال: ١ـ قيل: الإستجابة بمعنى الإثابة. فالمعنى أثبكم على عبادتكم إيّاي. وذلك أنّه لما عبّر عن العبادة بالدّعآء جعل الإثابة إستجابة ليتجانس اللّفظ. ٢ـ قيل: الإستجابة بمعناها أي إجابة الدّعآء. فالمعنى أستجب لكم دعآءكم. ٣ـ عن ابن عبّاس: أستجب لكم أي أغفرلكم وأعفو عنكم وأرحمكم. ٤ـ قيل: أي أنيب وأقبل إليكم. ٥ـ قيل: أي أسمع منكم. ٦ـ عن ابن عبّاس أيضاً: أي واعبدوني أتقبّل عبادتكم.

أقول: والثّاني هو الظّاهر المؤيّد بالرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين عليهم السّلام وذلك أنّ الله عزّوجلّ قد أمر عباده بالدّعآء صريحاً، ورتّب الإستجابة على الدّعآء، فكأنّه ضمّنها وتكفّل بها، وهو يؤيّد أنّ المراد بالدّعآء والإستجابة في الآية الكريمة ظاهرهما، وحملهما على غيرهما، فهو حمل اللّفظ على خلاف ظاهره من دون دليل، وأمّا قوله تعالى: «عن عبادتي» فتبديل الدّعآء عبادة دليل على أنّ الدّعآء عبادة بل هو من أعظم أبوابها، فالتّعبير بها عنه ظاهر وهو المرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

وفي قوله جلّ وعلا: «عن عبادتي» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي عن توحيدي. والمعنى: الّذين يتعظّمون عن إفراد الألوهيّة لي، وعن إفرادي بالعبادة. ٢ـ قيل: أي عن طاعتي. ٣ـ قيل: أي عن دعآئي. فالعبادة بمعنى الدّعآء، وفي تبديل الدّعآء عبادة دلالة على أنّ الدّعآء عبادة بل مخّها.

أقول: والثّالث هو المروي عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٦١ـ (الله الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون)

في قوله تعالى: «على النّاس ـ أكثرالنّاس» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: النّاس هم أهل مكّة. والمعنى: إنّ الله لذو منّ على أهل مكّة، ولكن أهل مكّة لايشكرون الله تعالى ولايؤمنون به. ٢ـ قيل: إنّ المراد بالنّاس الكافرون من أهل مكّة وغيرهم. ٣ـ قيل: أريد بالنّاس أكثرهم في كلّ ظرف من الكافرين والمنافقين والمسلمين في كلّ ظرف.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق.

٦٣ ـ (كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون)

في قوله تعالى: «بآيات الله» أقوال: ١ـ عن إبن عبّاس: أي بمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والقرآن. ٢ـ قيل: أي بمعجزات الله تعالى. ٣ـ قيل: أي بحجج الله تعالى

وأدلّته ومشاهد عظمته.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحقّقين.

٦٦ ـ (قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا جائني البيّنات من ربّي وأمرت أن أسلم لربّ العالمين).

في قوله تعالى: «البيّنات» أقوال: ١ـ قيل: هي البراهين العقلية الدّالّة على تفرّده في الرّبوبيّة، وتوحّده على الألوهيّة. ٢ـ قيل: هي الأدلّة النّقلية، وهي آيات كتاب الله الّذي أنزله عليّ وهي مؤيّدة لأدلة العقل ومنبهة لها. ٣ـ قيل: هي شاملة لأدلّة العقل والنقل جميعاً.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بظاهر السّياق ولكن التّعميم غير بعيد فافهم ذلك.

٦٧ ـ (هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون)

في قوله تعالى: «خلقكم من تراب» قولان: **أحدهما** ـ عن إبن عبّاس: أي خلقكم من آدم، وخلق أباكم آدم من تراب، وأنتم من نسله وإليه تنتمون. **ثانيها** ـ قيل: أي خلقكم من تراب لأنّ النّطفة تتكوّن من البسآئط الأرضية... وذلك أنّ كلّ إنسان مخلوق من المنيّ، والمنيّ مخلوق من الدّم، والدّم يتولّد من الأغذية، والأغذية تنتهي إلى النبات، والنبات يتكوّن من التّراب والمآء ثمّ ذلك التّراب يصير نطفة ثمّ علقة إلى مراتب كثيرة حتّى ينفصل الجنين من بطن الأمّ.

أقول: وعلى الثّاني جمهور المحقّقين، وهو الأنسب بظاهر السّياق.

وفي قوله عزّوجلّ: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم» أقوال: ١ـ قيل: أي لتنشأوا وتشبّوا ثمّ لتبلغوا أشدّكم» فالجملة معطوفة على معنى «ثمّ يخرجكم» ٢ـ قيل: أي لطفوليتكم ثمّ لتبلغوا أشدّكم. فالجملة معطوفة على معنى «يخرجكم» ٣ـ قيل: أي ثمّ يبقيكم إلى أن تبلغوا أشدّكم رجالاً.

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد.

وفي قوله جلّ وعلا: «ومنكم من يتوفّىٰ من قبل» أقوال: ١ـ عن مجاهد: أي من قبل أن يكون شيخاً. ٢ـ قيل: أي من قبل أن يكون شاباً. ٣ـ قيل: أي من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطاً، فلايبلغ هذه المراحل من العمر كالطّفولة والشّيخوخة وبلوغ الأشدّ وغيرها.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

وفي قوله سبحانه: «ولتبلغوا أجلاً مسمّى» أقوال: ١ـ قيل: أي وليبلغ كلّ واحد منكم ماسمّى له من الأجل الّذي يموت عنده سوآء أكان أجلاً حتمياً أم أجلاً معلّقاً شاباً كان أو شيخاً. ٢ـ قيل: إنّ المراد بالأجل المسمّى هو الأجل الحتمي الّذي لايتقدّم ولا يتأخّر، وهو الأجلّ والمحدود والأمد المضروب الّذي لاسبيل للتغيّر إليه أصلاً.

٣ـ قيل: هذا أجل معلّق يمكن أن يستقدم بالّذنب والمعصية أو يستأخر بالتّوبة والدّعآء والصّدقة إلى الأجل المحتوم. ٤ـ عن الحسن البصري: هذا للنّسل والقرن الّذي تقوم عليهم القيامة، والأجل المسمّى هو القيامة. والمعنى: وهو يفعل ذلك لتبلغوا الأجل المسمّى وهو يوم القيامة.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

٦٨ ـ (هوالّذي يحيي ويميت فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون)

في قوله تعالى: «فإذا قضىٰ أمراً ...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي فإذا أراد أن يخلق ولداً بلا أب مثل عيسىٰ فإنّما يقول له: كن فيكون ولداً بلا أب. ٢ـ قيل: هذا إشارة إلى خلق آدم إذ قال: «خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون» آل عمران: ٥٩) ٣ـ قيل: أي فإذا أراد أن تكون القيامة فإنّما يقول للقيامة: كن فيكون، بين الكاف والنّون قبل أن تتصل الكاف مع النّون فيكون. ٤ـ قيل: أي إنّ إحيآءكم وإماتتكم بمنزلة مايقال له: كن فيكون لأنّه تعالى يخاطب المعدوم بالتّكوّن من غير عُدّة ولاتجشّم كلفة بلاصوت ولاحرف. ٥ـ قيل: أي فإذا أراد ايجاد شيْ فإنّما يقول له: كن فيكون من دون خطاب للمعدوم بالتّكوين لأنّ ذلك محال، والله

تعالى لايأمر بالمحال.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحقّقين.

٦٩ ـ (ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يصرفون)

في المجادلين أقوال: ١ـ قيل: هم مشركو مكّة. ٢ـ قيل: هم أهل الكتاب وخاصّة اليهود والنّصارى. ٣ـ قيل: هم والمنافقون وأهل الشّبهات والشّهوات من المسلمين في كلّ ظرف.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

وأمّا الكلام «في آيات الله» فهو الكلام «في آيات الله»: ٥٦) فراجع.

٧٢ ـ (في الحميم ثمّ في النّار يسجرون)

في قوله تعالى: «في الحميم» أقوال: ١ـ قيل: أي في جهنّم. والمعنى: يجرّون بالأغلال والسّلاسل إلى جهنّم. ٢ـ عن مقاتل: أي في حرّ النّار. ٣ـ قيل: الحميم: المتناهي في الحرّ من المآء والنّار. ٤ـ قيل: الحميم: المآء الحارّ الّذي انتهت حرارته. ٥ـ قيل: الحميم: الصّديد المغليّ.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين، وفي معناه الخامس.

وفي قوله عزّوجلّ: «ثمّ في النّار يسجرون» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس وابن زيد ومجاهد: أي يطرحون في النّار فيصيرون وقوداً لها، فتوقد بهم النّار. السّجر: القآء الحطب في معظم النّار كالتّنوّر الّذي يسجر بالوقود، فهؤلآء الكفّار لجهنّم كالسّجّار للتنوّر. ويؤيّده قوله عزّ وجلّ في صفة جهنّم: «فاتّقوا النّار الّتي وقودها النّاس والحجارة» البقرة: ٢٤) وقوله: «إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنّم» الأنبيآء: ٩٨).

٢ـ قيل: أي يقذفون ويلقون في النّار خالدين فيها. ٣ـ قيل: أي تملأبهم النّار. يقال: سجرت التّنوّر أي أوقدته، وسجرته: ملأته بالوقود، ومنه: «والبحر المسجور» الطور: ٦) أي المملوء. والمعنى: أنّهم في النّار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بها، مملوّة أجوافهم منها. ٤ـ عن السّدي: أي هم في النّار يحرقون. ٥ـ

قيل: أي يربطون على النّار لتشوي عليها أجسامهم بعد أن غرقت في هذا الحميم.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر فتأمّل جيّداً.

٧٣ - (ثمّ قيل لهم أين ماتشركون)

في القآئل أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي تقول لهم الزّبانية ... ٢- قيل: القآئل هوالله عزّوجلّ. ٣- قيل: القآئل غير معلوم لنا، وهذه حكاية لما يقال لأصحاب النّار إذا دخلوها، وكأنّه قيل بالفعل، وذلك لتقرير وقوعه وتوكيده، ثمّ ليسمع كلّ مكابر في آيات الله ومشرك بالله ومكذّب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في كلّ ظرف ما قيل لمن سبقوهم من أهل الجدال والعناد وأهل الضّلال واللّجاج ... فهذا خبر من أخبارهم، وأنّهم إنّما يسئلون عن معبوداتهم الّذين عبدوهم من دون الله فيلتفتون فلايجدون لهم ظلاً ... فيقولون: لقد ضلّوا عنّا أي تاهوا في هذا المزدحم ... ثمّ إذيتبيّن لهم أن ما كانوا يدعونه من دون الله باطل وضلال، يقولون: «لم نكن ندعوا من قبل شيئاً» أي شيئاً يعتدّبه ويستند عليه ...

هذه هي حال المكابرين المشركين المكذّبين الّذين سبقوا المكابرين المتأخرين وهذا ماسئلوا عنه وذلك هوجوابهم ... فما ذا يكون جواب المكابرين المكذّبين المشركين المتأخّرين إلى يوم القيامة حين يسئلون هذا السّؤال؟ أيجدون مايقولون غير هذا القول؟ وهل يرون لمعبوداتهم وجهاً يوم الحساب؟ وإذا رأوالهم وجهاً فهل يغنون عنهم من عذاب الله من شئ؟

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، ولكنّ الثّالث لايخلومن وجه.

٧٤ - (من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين)

في قوله تعالى حكاية عنهم: «ضلّوا عنّا» أقوال: ١- قيل: أي عدلوا عنّا فأخذوا طريقاً غير طريقنا وتركونا في هذا البلآء. ٢- أي أنّ آلهتنا يوم القيامة تبرّؤا منّا، وكفروا بما أشركناهم به. لقوله تعالى: «ومن أضلّ ممّن يدعوا من دون الله من

لايستجيب لـه إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون وإذا حشر النّاس كانوا لهم أعدآءً وكانوا بعبادتهم كافرين» الأحقاف: ٥ـ ٦) وقوله تعالى حكاية عن الشّيطان: «إنّي كفرت بما أشركتموني من قبل» إبراهيم: ٢٢) .وقال: «كلاّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّاً» مريم: ٨٢).

٣ ـ قيل: أي إشتغلوا بأنفسهم عنّا. ٤ـ قيل: أي ضاعت آلهتنا عنّا وهلكوا وذهبوا عنّا، وتركونا في العذاب ولم يصل إلينا ماكنّا نرجوه من النّفع والشّفاعة، فلا نراهم ولانقدر عليهم. ٥ـ قيل: أي غابوا عن أعيننا فلا نراهم. من ضلّ المآء في اللّبن أي خفي، ومن ضلّت الدّابّة: إذا غابت فلم يعرف مكانها.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين من دون تنافٍ بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر.

وفي قوله: «بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي بل لمن نكن نعبد من قبل هذا شيئاً من دون الله ولا نشرك به شيئاً، فأنكروا الشّرك بالله سبحانه، وعبادتهم للآلهة. وهذا من كذبهم يوم القيامة على حدّ قولهم: «والله ربّنا ماكنّا مشركين» الأنعام: ٢٣).

٢ ـ قيل: أي ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها كما يقول المتحسّر: ما فعلت شيئاً أي تبيّن لنا الآن أنّهم لم يكونوا شيئاً، وما كنّا نعبد بعبادتهم شيئاً فإنّ الّذين كنّا نعبدهم ليسوا بشيئ. فهذا إعتراف بأنّ عبادتهم لِلأصنام كانت باطلة، فليس بانكار لعبادة الأصنام. ٣ـ عن الجبآئي: أي لم نكن ندعوا شيئاً يستحقّ العبادة ولا ما ننتفع بعبادته. ٤ـ عن أبي مسلم: أي بل الحقّ أنّنا لم نكن ندعوا في الحياة الدّنيا ندعوا شيئاً يعتدّ به ينفع ويضرّ ويسمع و يبصر. هذا كما يقال لكلّ مالا يغني شيئاً: هذا ليس بشيئ لأنّ قولهم: ضلّوا عنّا إعتراف منهم بعبادتهم، ولأنّ الآخرة دار إلجآءٍ، فهم ملجأون إلى ترك القبآئح ... وكما يقول: حسبت أنّ فلاناً شيئ، فإذاً هو ليس بشيءٍ أي ليس عنده خير.

أقول: وعلى الرّابع أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله تعالى: «كذلك يضلّ الله الكافرين» أقوال: ١ـ عن الجبآئي: أي يضلّ

الله الكافرين عن طريق الجنّة، وعن نيل الثّواب بالخذلان كما أضلّهم عمّا اتّخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطّمع في نيل منفعة من جهتها. ٢- قيل: أي كما أضلّ الله أعمال هؤلآء، وأبطل ماكانوا يؤمّلونه كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلاينتفعون بشيءٍ من أعمالهم ... ٣- عن ابن عبّاس: أي يضلّ الله الكافرين عن الحجّة والإيمان ٤ -عن الحسن البصري: يضلّ الله الكافرين أي يبطل أعمالهم ... ٥- قيل: أي مثل إضلال هؤلآء المكذّبين يضلّ الله الكافرين. ٦- قيل: أي مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلّهم الله عن آلهتهم حتّى لو طلبوها أو طلبتهم لم يتصادفوا ولم يجد أحدهما الآخر. وقد اعترض على هذا القول بأنّهم مقرونون بآلهتهم في النّار لقوله تعالى: «إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنّم» الأنبيآء»: ٩٨) اجيب عنه: أنّ كون الجميع في النّار لاينافي غيبة أحدهما عن الآخر أو باختلاف الزّمان.

٧ - قيل: أي يهلكم بضلالهم. ٨- قيل: أي كما فعل بهؤلآء من الإضلال يفعل بكل كافر. والمعنى: كما أضلّ الله المكذّبين برسل الله والمكابرين في آيات الله والمشركين بالله سبحانه من الأمم السّالفة، كذلك يضل الله المكذّبين المكابرين المشركين من الأمّة المتأخرة لأنّ الأوّلين والآخرين منهم جميعاً ظالمون كافرون إذ خرجوا عن سنن العدل والإنصاف بإنكارهم الحقّ المبين، وانحرافهم عن الرّشد والهدى فلايسعدهم ولايوفقهم إلى الصّواب والكمال. ٩- قيل: كمثل هذا الإضلال يضلّ الله الكافرين، فيؤل أمرهم إلى الكذب حيث لاينفع مع علمهم بأنّه لاينفع. هذا بنآءً على كون قولهم: «بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً»كذباً منهم.

١٠ - قيل: أي إضلاله تعالى الكافرين وهم السّاترون للحقّ يشبه هذا الضّلال وهو أنّهم يرون الباطل حقّاً فيقصدونه، ثمّ يتبيّن لهم بعد ضلال سعيهم أنّه لم يكن إلّا باطلاً في صورة حق، وسراباً في سيمآء الحقيقة. ١١- قيل: أي كما أضلّ هؤلآء الّذين ضلّ عنهم في جهنّم ماكانوا يعبدون في الدّنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضلّ الله أهل الكفر به عنه وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النّار ولايغيثهم فيخفّف عنهم مافيه من البلآء. ١٢- قيل: أي مثل

ذلك الضّلال الفضيع يضلّ الله الكافرين حيث لايهتدون إلى شيء ينفعهم في الآخرة. ١٣ـ قيل: أي كما ضلّ عنهم آلهتهم يضلّهم عن آلهتهم حتّى لو تطالبوا لم يتصادفوا.

أقول: وعلى الثّامن أكثر المحققين وفي معناه بعض الأقوال الآخر فتأمّل جيّداً ولا تغفل.

٧٥ـ (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)

في قوله تعالى: «ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ» أقوال: ١ـ قيل: أي يقال لهم في نار جهنّم: إنّما نالكم هذا العذاب بسبب ماكنتم تظهرون في الدّنيا من السّرور بالمعاصي وكثرة المال والأتباع والصّحّة. ٢ـ قيل: إنّ فرحهم بما عندهم أنّهم قالوا للرّسل: نحن نعلم أنّا لانبعث للحساب والجزآء، ولا نعذّب لقوله تعالى فيهم: «فلمّا جآئتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم» المؤمن: ٨٣). ٣ـ قيل: أي ذلك العذاب النّازل بكم في جهنّم بسبب ماكنتم تفرحون بالشّرك بالله سبحانه وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم والجدال في آيات الله والكفر باليوم الآخر. ٤ـ قيل: أي تفرحون في الدّنيا بغير ما أذن الله لكم به من الباطل والمعاصي ... ٥ـ عن إبن عبّاس: أي تفرحون بالشّرك .

٦ ـ قيل: إنّ الآية وإن تخاطب المشركين، ولكنّ الحكم والتّوبيخ يعمّ ويشمل الكثير ممّن يدّعون الإسلام، ثمّ يفرحون باليسير ينالونه من متاع الدّنيا وشهواتها ولايحزنهم الكثير ممّا يفوتهم من خير الآخرة، بل هذا الذّم والتّقريع بهم ألصق وأليق لأنّ المشركين والكافرين أقبلوا على الدّنيا وهم كافرون بالدّين ظاهراً وباطناً، ولكنّ الكثير ممّن يدّعون الإسلام نبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون. ٧ـ قيل: أي ذلكم الإضلال بسبب ماكان لكم من الفرح في الأرض والمرح بغير الحقّ وهو الشّرك وعبادة الأوثان ...

٨ ـ قيل: أي كنتم تفرحون بالباطل، والفرح بالحقّ لايوبخ عليه. ٩ـ قيل: أي ذلكم الّذي أنتم فيه من بلآء وعذاب في الآخرة هو بسبب ماكنتم عليه في الدّنيا من

غرور بما ملكتم فيها، وزهو وعجب بما بين أيديكم من زخرفها ومتاعُها، فصرفكم ذلك عن أن تنظروا إلى ما ورآء يومكم الّذي أنتم فيه، فقطعتم حياتكم في فرح ومرح ولهو وعبث.

أقول: والثّالث هو الأنسب بظاهر السّياق من دون تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأُخر فافهم ذلك.

وفي قوله عزّوجلّ: «وبما كنتم تمرحون» أقوال: ١ـ عن مجاهدوا لسّدي: أي تبطرون وتأشرون في الدّنيا بتمتّعكم بزخارفها وشهواتها ... ٢ـ عن ابن عباس: أي تتكبّرون فيه بالشّرك. ٣ـ قيل: أي يشتدّ زهوكم ولهوكم. ٤ـ عن الضّحاك: الفرح: هو السّرور، والمرح: هوالعدوان. ٥ـ قيل: الفرح مطلق السّرور، والمرح شدّة الفرح والإختيال في السّرور والإفراط في النشاط. والمعنى: يشتدّ فرحكم، فتتوسّعون في الفرح الّذي يصحبه عبث ولهو.

قيل: قيّد الفرح، وأطلق المرح لأنّ الفرح قد يكون بحقّ فيحمد عليه، وهو الفرح الّذي يقع في نفس الإنسان ويهزّ مشاعره من إنتصار الحقّ أو الإستعلاء على الشّهوة كما قال تعالى: «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصرالله» الرّوم: ٤ـ ٥)، وقد يكون بالباطل فيذمّ عليه، وهو الفرح الّذي ينبع من استرضآء عواطف خسة وإشباع شهوات بهيمية كما قال جلّ وعلا: «فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ» التّوبة: ٨١) والمرح هو التبختر الّذي لايكون إلّا باطلاً.

٦ـ قيل: معنى الآية الكريمة: إنّ ما فعل بكم جزآء بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ أي بما كان يصيب أنبيآء الله وأوصيآئه من المكاره، وبما كنتم تبطرون في معاصي الله.

أقول: وعلى الخامس أكثر المحقّقين.

٧٧ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أو نتوفّينّك فإلينا يرجعون)

في قوله تعالى: «إنّ وعدالله حقّ...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي إنّ وعدالله بالنّصرة لك على هلاك المشركين وتعذيبهم بالنّار حقّ كآئن لامحالة فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر أو نتوفينّك قبل أن نريك. ٢ـ قيل: أي إنّ وعدالله بالظّفر والغلبة على مشركي مكّة يوم فتحها حقّ كائن لامحالة. ٣ـ قيل: أي إنّ ماوعد الله به المؤمنين على الصبّر من الثّواب في الجنّة، وتوعّد الكفّار من العقاب حقّ لاشكّ فيه، بل هو كآئن لامحالة. ٤ـ قيل: أي إنّ وعدالله بالنّصر لأنبيآئه والإنتقام من أعدآئه حقّ وصدق لاخلف فيه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين، من دون تناف بينه وبين الثّاني والثّالث فافهم ذلك.

٧٨ـ (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم مَن قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسُولٍ أن يأتيَ بآية إلّا بإذن الله فإذا جآء أمرُالله قُضِيَ بالحقّ وخسر هنا لك المبطلون)

في قوله تعالى: «منهم مَن قصصنا عليك قصصهم، ومنهم من لم نقصص عليك أخبارهم» قولان: **أحدهما**ـ قيل: أي منهم من قصصنا عليك قصصهم ومالاقوه من أممهم، ومنهم من لم نقصص عليك أخبارهم ولا مالاقوه من أقوامهم ... **ثانيها**ـ قيل: أي منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره.

أقول: ولكلٍّ وجه من دون تناف بينها.

وفي قوله عزّوجلّ: «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلّا بإذن الله» أقوال: ١ـ قيل: الآية هي الّتي تنصر الحقّ، وتقضي بين الرّسول وبين أمّته. ٢ـ قيل: هي المعجزة الّتي يؤتاها الرّسول لتأييد رسالته. ٣ـ قيل: هي أعمّ.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق حيث إنّ النكرة في سياق النّفي تفيد العموم، فتشمل الآية القاضية بين الرّسول وامّته، والمعجزة الّتي يأتيها الرّسول بإذن الله لتأييد رسالته فافهم ذلك.

وفي قوله جلّ وعلا: «فإذا جآء أمرالله ...» أقوال: ١ـ عن ابن عبّاس: أي فإذا

جآء وقت عذابُ الله في الأمم الماضية عُذِّبوا بالحقّ فلا يظلم على أحد، وخسروغبن عند ذلك الكافرون. ٢ـ قيل: أي فإذا جآء يوم القيامة قضي بالعدل بين الخلآئق عامّة، وبين الرّسل والأمم خاصّة، رأيت المكذّبين والظّالمين في عذاب الجحيم. ٣ـ قيل: أي فإذا جآء أمرالله بنزول العذاب على الكفّارقُضيَ بالحق بين الرّسل ومكذّبيها، فأظهر الحق وأُزهِقَ الباطل، وظهر الخسران للمكذّبين الخاسرين في كلّ وقت قبل ذلك. ٤ـ قيل: أي فاذا جآء الوقت المسمّىٰ لعذاب المشركين المكذّبين المكابرين في آيات الله وهم المتمسّكون بالباطل أهلكهم الله في الدّنيا، ويعذّبهم في الآخرة. وإنّما التأخير لإسلام من علم الله تعالى إسلامه منهم، ولمن في أصلابهم من المؤمنين.

ففي الجملة ردّ على تحدّيات مشركي مكّة بإنزال العذاب، إذ بدر منهم في ظروف نزول السّورة بإستعجال العذاب الموعود أو الإتيان بآية فكانوا يقولون: «أللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السّمآء أو ائتنا بعذاب أليم» الأنفال: ٣٢).

٥ ـ قيل: أشار بهذا إلى القتل والأسر ببدر. ٦ـ قيل: أي إذا جآء دليل الرّسالة وهو المعجزة لإثبات الرّسالة قضي بينهم بالحقّ وغلب هنالك المبطلون الّذين يتّبعون الباطل والشّرك. وذلك أنّ قريشاً كانوا يقترحون آيات تعنّتاً، فجآء أمرالله أي الآية الّتي اقترحوها وذلك أنّه يقع الإضطرار عندها، وغلب في ذلك الوقت المقترحون من قريش وذلك هو الخسران المبين. ٧ـ قيل: أي فإذا جآء أمر الله قضي بالعدل وهو أن ينجي رسله والّذين آمنوا معهم، وخسر وهلك هنا لك الّذين أبطلوا في قيلهم الكذب وافترآئهم على الله وادّعآئهم له شريكاً.

٨ ـ قيل: إنّ الآية الكريمة جواب على ما كان يقوم في ذهن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أو المؤمنين من تساؤل عن موعد تحقيق وعيدالله فيهم أو رجآء بإحداث آية تقنعهم او ترهبهم حتّى ينتهوا من موقف عنادهم وجحودهم، فإنّهم يقولون تحت وطأة البلآء الواقع عليهم من المشركين: «متىٰ نصرالله؟» البقرة: ٢١٤) فأمرالله هو

وعده ومجيئه هو وقوعه في وقته الموقوت له: «ألا إنّ نصرالله قريب» البقرة: ۲۱٤) فإذا جآء أمرالله بالعذاب في الدّنيا والآخرة قضي بالحقّ بإنجآء المحقّ وتعذيب المبطل، وخسر هنا لك المبطلون المعاندون بإقتراح الآيات بعد ظهور مايغنيهم عنها.

أقول: والسّادس هو الأنسب بظاهر السّياق، من دون تناف بينه وبين بعض الأقوال الأُخر.

وفي قوله سبحانه: «المبطلون»» أقوال: ١ـ قيل: هم قريش إذ كانوا يقترحون آيات تعنتاً وعناداً لاللحاجة إليها. ٢ـ قيل: هم أهل الأديان الباطلة. ٣ـ قيل: هم كلّ من يكابر في آيات الله لإماتة الحقّ وإحيآء الباطل في كلّ ظرف.

أقول: والثّالث هو الأنسب بإطلاق الوصف الّذي هو حقيقة فيمن يتلبّس.

۷۹ ـ (الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون)

في قوله تعالى: «الأنعام» أقوال: ١ـ عن الزّجّاج: الأنعام ههنا: الإبل خاصّة لأنّها ذات المنافع الّتي ذكرت في الآية من الرّكوب والأكل. ٢ـ قيل: هي الإبل والبقر والغنم والحمير والخيل والبغال وما إليها ... فإنّ بعضاً منها يصلح للرّكوب وبعضاً منها يصلح للأكل ٣ـ قيل: هي الإبل والبقر والغنم خاصّة، فإنّها جُعِلَت للرّكوب والأكل.

أقول: والثّاني هو المؤيّد بالآيات الكريمة سيأتي ذكرها إن شآء الله تعالى.

۸۱ ـ (ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون)

في قوله تعالى: «آياته ـ آيات الله» أقوال: ١ـ قيل: أريد بالآيات، الآيات الآفاقية والأنفسية. ٢ـ قيل: هي الدّلآئل والبراهين الّتي جآئت في القرآن الكريم تدلّ على وحدانية الله تعالى وعظمته. ٣ـ قيل: هي حجج الله تعالى الظاهرة وبيّناته الواضحة القرآنية وغيرها. ٤ـ عن ابن عبّاس: أي عجآئبه وهي الشّمس والقمر والنّجوم واللّيل والنّهار والجبال والسّحاب والبحار وغير ذلك، كلّ هذا من آيات الله. ٥ـ قيل: هي الآيات التدوينية الّتي يسمعها الإنسان بالبيان، والآيات التّكوينية الّتي يراها الإنسان بالعيان.

وفي كـــلّ شـــيءٍ لـــه آيـــة تـــدلّ على أنّـــه واحـــد

٦- قيل: أي ويعلّمكم الله تعالى حججه ويعرفكم بيّناته، ومنها إهلاك الأمم الماضية على ما أخبر عنهم، ووجه الآية فيه: أنّهم بعد حصولهم في النّعم صاروا إلى النّقم بكفرهم وجحودهم، وفيه دليل قاطع على الوجود الواجب القديم الّذي لولاه لما صحّ فعلٌ ولا تدبير، ومنها الآية في خلق الأنعام الّتي قدّم ذكرها، ووجه الاية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتّصريف في الوجوه الّتي قد جعل كلّ شيءٍ منها لما يصلح له، وذلك يقتضي أن يكون الجاعل لذلك قادراً على تصريفه، عالماً بتدبيره.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل.

٨٢ - (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون)

في قوله تعالى: «وآثاراً في الأرض» أقوال: ١- قيل: أي بالأبنية العظيمة الّتي بنوها والقصور المشيّدة الّتي شيّدوها. ٢- عن إبن عبّاس: أشدّ لها طلباً وأبعد لها ذهاباً. ٣- عن مجاهد: أي بمشيهم على أرجلهم لعظم خلقهم وأجرامهم ...

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسّرين.

وفي قوله عزّوجلّ: «فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون» قولان: **أحدهما-** أنّ «ما» في «فما» بمعنى أيّ والمعنى: فأيّ شيءٍ أغنىٰ عنهم كسبهم حين هلكوا. فيكون موضع «ما» الاولى نصباً، وموضع «ما» الثانية رفعاً. **ثانيها-** أنّ «ما» الاولى نافية، والثّانية موصولة. والمعنى: لم يغن عنهم ما كسبوه من الأبنية العظيمة والقصور الرّفيعة والأموال الكثيرة ... شيئاً من عذاب الله.

أقول: والثّاني هو الأنسب بظاهر السّياق.

٨٣ - (فلمّا جآءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

في قوله تعالى: «بالبيّنات» أقوال: ١- عن ابن عبّاس: أي بالأمر والنّهي. ٢- قيل: أي بالواضحات من حجج الله تعالى. ٣- قيل: أي بالحجج والدّلآئل القاطعة.

٤ـ قيل: أي بالمعجزات القاهرات. ٥ـ قيل: أي بالآيات الواضحات ...

أقول: وعلى الرّابع أكثر المفسّرين من دون تناف بينه وبين الأقوال الآخر.

وفي قوله عزّوجلّ: «فرحوا بما عندهم من العلم» أقوال: ١ـ عن مجاهدوا لسدّي والحسن البصري: أي فرح الكفّار المكذّبون بالرّسل، جهلاً منهم بما عندهم أنّه علم وهو جهل على الحقيقة لأنّهم كانوا يقولون: نحن أعلم من المرسلين، نحن لن نبعث ولن يعذّ بنا الله، وقد كانوا يعتقدون أنّه علم، فاطلق عليه لفظ العلم على إعتقادهم كما قال تعالى: «حجّتهم داحضة» الشّورى: ١٦) وقال: «ذق إنّك أنت العزيز الكريم» الدّخان: ٤٩) أي عند نفسك أو عند قومك. ٢ـ قيل: إنّ في الجملة إشارة إلى قوله تعالى: «ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون»: ٧٥) فهم قد فرحوا بهذا الباطل الّذي بأيديهم وعدّوه كلّ حظّهم من الحياة. والمعنى: فرح الكفّار بما عندهم من علم المعاش ونيلهم بمتاع الدّنيا كقوله تعالى: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا» الرّوم: ٧) وما كان لهم علم معاد، وذلك أنّ الرّسل لمّا جآؤهم بعلوم الدّيانات والمعاد لم يلتفتوا إليها إذ كانت باعثة على رفض الشّهوات إطلاقاً، وعلى ترك الدّنيا بكونها كمالاً للانسان لاظرف الكمال، واعتقدوا أنّ لاعلم أنفع من علمهم، ففرحوا به فاغترّوا بما كانوا من كثرة الأموال والزّخارف والإنهماك في اللذآئذ والشّهوات ... والمعنى: أعرضوا عن الرّسل ومعجزاتهم وأدلّتهم واستغنوا جهلاً وغروراً بما يملكون من أسباب العيش. فالمراد بما عندهم من العلم ماوقع في قلوبهم وشغل نفوسهم من زينة الحياة الدّنيا وفنون التّدبير للظّفر بها، وبلوغ لذآئذها وشهواتها، وقد عدّالله تعالى ذلك علماً لهم وقصّر علمهم فيه وقال: «فأعرضْ عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يُرد إلّا الحياة الدّنيا ذلك مبلغهم من العلم» النّجم: ٣٠) والمراد بفرحهم بما عندهم من العلم شدّة إعجابهم بما كسبوه من الخبرة وعلم المعاش وإنجذابهم إليه الموجب لإعراضهم عن علم المعاد والمعارف الّتي جائت بها رسلهم، واستهانتهم بها وسخريّتهم لها،ولذاعقّب فرحهم بما عندهم من العلم بقوله: «وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن».

٣ ـ قيل: أي فرح الرّسل لما كذّبهم قومهم أعلمهم الله عزّوجلّ أنّه مهلك الكافرين ومنجيهم والمؤمنين ففرحوا بما عندهم من العلم بنجاتهم ونجاة المؤمنين معهم. عن الجبائي: لمّا جائتهم رسلهم بالبيّنات فجحدوها وأنكروا دلالتها، و وعدالله تعالى رسله بإهلاك أممهم ونجاة قومهم فرح الرّسل بماعندهم من العلم بذلك. في الكلام حذف.

٤ ـ قيل: هذاتهكّم بهم كما في قوله تعالى: «بل ادّارك علمهم في الآخرة بل هم في شكّ منها بل هم منها عمون» النّمل: ٦٦) وعلمهم في الآخرة أنّهم كانوا يقولون: نحن لانبعث ولانعذّب، وكانوا يفرحون بذلك، ويدفعون به علم الأنبيآء عليهم السّلام. ٥ـ عن ابن عبّاس: أي عجبوا بما عندهم من العلم أي الدّين والعمل، وكان ذلك منهم ظنّاً بغير يقين، واستحقروا به علم الرّسل. ٦ـ عن الضّحّاك أي فرح المشركون بالشّرك الّذي كانوا عليه وأعجبوا به وظنّوا أنّه علم وهو جهل وكفر. ٧ـ قيل: أريد بما عندهم من العلم عقآئدهم الفاسدة وآرآؤهم الباطلة، وقد سميّت علماً تهكّماً بهم، فهم كانوا يفرحون بها ويستحقرون لذلك علم الرّسل. وذلك أنّه لمّا جآء هذه الأمم المكذّبة بالرّسل مَن أرسلوا إليهم بالأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة فرحوا بماعندهم من شبهات ظنّوها علماً نافعاً كقوله تعالى حكاية عنهم: «ماهي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحييٰ وما يهلكنا إلّا الدّهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنّون» الجاثية: ٢٤) وقولهم: «لوشآء الله ما أشركنا ولا آبآئنا» الأنعام: ١٤٨) وقولهم: «من يحيي العظام وهي رميم» يس: ٧٨) ولكن حلّ بهم ماكانوايستعجلون به رسلهم إستهزاءً وسخرية، وقد سمّيٰ ماعندهم من العقآئد الزّآئفة وشبههم الدّاحضة علماً تهكّماً وإستهزاءً بهم.

٨ ـ قيل: إنّ المعنى: فلمّا جآء الكفّار رسلهم بالبيّنات لم يفرحوا بما جآءهم من العلم بأن يضعوه موضعه، بل فرحوا بما عندهم من الجهل وأعرضوا عن العلم، فبدّل الله تعالى جهلهم علماً تهكّماً وإستهزآءً بهم فقال: فرحوا بما عندهم من العلم. ٩ـ قيل: إنّ الفرح للرّسل والمعنىٰ: إنّ الرّسل لمّا جآؤهم بالبيّنات ورأوا إستهزآؤهم

بالحقّ، وشاهدوا ماهم فيه من الجهل والتّمادي على الكفر والجحود، وعلموا عاقبة أمرهم فرحوا بما اوتوا من العلم الحقّ، وشكروا لله تعالى على ذلك وحاق بالكافرين ما حاق، جزآء جهلهم واستهزآئهم.

١٠ ـ قيل: اريد بما عندهم من العلم علم الفلاسفة من أصحاب الدّور والتّسلسل والسّفسطه فإنّهم يغترّون بأقاويلهم الخاطئة وموهوماتهم الواهية، وكانوا إذا سمعوا بالوحي ومعارف النبوّة يتبجّحوا بما عندهم ويصغّرون علم الأنبيآء والكتب السّماوية إلى شبهاتهم وآرآئهم الباطلة الّتي يسمّونها علماً. وقد حكي عن سقراط أنّه قيل: ائت موسى عليه السّلام وكان في زمانه؟ فقال: نحن قوم مهذّبون فلاحاجة بنا إلى من يهدينا. وقال بعض الأعاظم: ومن هذا العلم علم اصول الفقه الّذي لايستند إلى الوحي ولا إلى أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وُضِعَ لإلفات الأنظار عن كلام الخالق المتعال وعن كلام المعصومين عليهم السّلام، فإنّ الأُصوليين هم الّذين يقولون: إنّ القرآن ظنّي الدّلالة، والسّنة ظنّيّة الصّدور وإنّ الظّنّ لايغني من الحقّ شيئاً، فالعلم هو علم أصول الفقه. وقد قال لي بعضهم سنة ١٤١٣هـ ق في الحوزة العلميّة بمدينة قم المقدّسة: نحن الأصوليّون لانحتاج إلى تفسير القرآن إذ ليس فوق علم أصول الفقه علم، فقلت له: حتّى كلام الخالق المتعال وكلام أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين؟ قال: كلام الخالق ظنّيّ الدّلالة وكلام المعصوم ظنّيّ الصّدور، قلت: ولعمري انّ هذا من أباطيل الأجانب وأعدآء الإسلام ألقت عليكم ولاتعقلون، ولوكان إعتنائكم بكلام الخالق العليم المطلق بقدر كلام المخلوق الجهول غيرالمعصوم لما قلت هذا الكلام الخاطئ ولما ارتكبت هذا الخبط البشع، ولما صارالقرآن مهجوراً يشكوعليكم الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم عندالله عزّوجلّ: «وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠).

ونحن لانقول أبداً: إنّنا لانحتاج إلى قواعد أصول الفقه، بل نحن في حاجة شديدة في استنباط الفروع الدّينية إلى قواعد لابدّ وأن تستخرج من الآيات القرآنية والرّوايات الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وما أنتم

عليه الآن من القواعد ليست إلّا إصطلاحات يابسة لا أصل لها.

أقول: وعلى الثّاني أكثر المحقّقين وفي معناه بعض الأقوال الأُخر فافهم ذلك ولا تغفل.

وفي قوله تعالى: «وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن» أقوال: ١ـ قيل: أي ونزل بالكفّار ماكانوا به يستهزؤن العذاب. ٢ـ قيل: أي وحلّ بهم ماكانوا به يستهزؤن أي عقاب استهزاءهم بماجآء به الرّسل. ٣ـ عن مجاهد: أي وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ماجائتهم به رسلهم من الحقّ. ٤ـ قيل: أي ودار بهم جزآء استهزآئهم برسلهم من العذاب والهلاك . ٥ـ قيل: أي فحاق بهم شرّ موقفهم وحلّ عليهم غضب الله.

أقول: ولكلٍّ وجه،والتّعميم هو الأوجه والأنسب بظاهر الإطلاق فتأمّل جيّداً.

٨٥ ـ (فلم يك ينفعهم إيمانهم لـمّارأوا بأسنا سنّت الله الّتي قدخلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون)

في قوله تعالى: «وخسر هنا لك الكافرون» أقوال: ١ـ عن الزّجّاج: أي وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك إلّا أنّه بيّن لنا الخسران حين معاينة العذاب، ٢ـ قيل: فيه تقديم وتأخير أي لم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا وخسر هنا لك الكافرون كسنّتنا في جميع الكافرين من جميع الأمم. ٣ـ قيل: أي وخسر هنا لك الكافرون بدخول النّار وإستحقاق النّقمة، وفوت الثّواب والجنّة.

أقول: والتّعميم هو الأنسب بظاهر السّياق، فكلّ من تلبّس بالكفر ومات عليه فقد خسر الدّنيا والآخرة وهو الخسران المبين.

﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (حم)

حرفان من حروف الهجآء بدئت بهما عشر سور من السّور القرآنيّة: ١- سورة طه. ٢- سورة النّمل. ٣- سورة يس. والسّبع الأُخر بكلمة «حم» على التّرتيب نزولاً ومصحفاً: ١- سورة المؤمن. ٢- سورة فصّلت. ٣- سورة الشّورىٰ. ٤- سورة الزّخرف. ٥- سورة الدّخان. ٦- سورة الجاثية. ٧- سورة الأحقاف.

رمز من الرّموز بين الله عزّوجلّ ومَن عنده علم الكتاب من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ - (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)

هذا القرآن منزّل على النّاس كافّة إلى يوم القيامة، وعلى مشركي مكّة خاصّة في زمن الوحي نجوماً على الأحداث ... منزّل من عندالله تعالى بلاريب، بالرّوح الأمين على قلب النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم فليس من كلام بشر يمكن أن يجادل فيه، هذا كتاب، منزّله ومصدره هو الله جلّ وعلا، كتاب يكون إلى الله عزّوجلّ نسبته، هو ما هو في رفعة الشّأن وعلوّ المقام أنّه كلام الله تعالى الّذي هو القاهر في ملكه وسلطانه على الإطلاق، القادر الّذي لايغلبه غالب، حتى يخاف على ما نزّله من إستكبار المشركين، ومن جدال المكذّبين في آياته بحسب أوهامهم ... «أفلا يتدبّرون القرآن ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النّسآء: ٨٢) وصفة العزّة لا تصحّ إلّا لله تعالى حقيقة، وعلى غيره مجازاً كإطلاق السّميع والخبير

والبصير والعليم ... «ولا يحزنك قولهم إنّ العزّة لله جميعاً هو السّميع العليم» يونس: ٦٥) فهو العزيز في انتقامه ممّن كذّب بكتابه، وجادل في آياته ...

وهو العليم على الإطلاق؛ «يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصّدور» المؤمن: ١٩) يعلم بمن يؤمن بكتابه ويعمل به، يعلم بمن يجادل في آياته ويكذّب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويعلم بما يقولون وبما يفعلون ... فلا يداخل علمه جهل ولا ضلال، فلايقاوم جدالهم بالباطل ما نزّله من الحقّ، وما بيّنه بحججه الباهرة وبراهينه الواضحة...

٣ - (غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلّا هوإليه المصير)

إنّ الله تعالى هو الّذي يغفر لجميع ذنوب من استغفر وآمن بالله عزّوجلّ وبكتابه ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر، واتّبع نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وعمل صالحاً قبل رؤية البأس والموت.

قال الله تعالى: «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف» الأنفال: ٣٨).

وقال: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربّكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون» الزّمر: ٥٣ـ ٥٥).

وقال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعون يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرّسول فإن تولّوا فإنّ الله لايحبّ الكافرين ـ ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفّرعنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار» آل عمران: ٣١ـ ٣٢ـ و١٩٣).

وقال: «فلم يك ينفعهم ايمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله الّتي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون» المؤمنون: ٨٥).

وقال: «إنّ الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثمّ ماتواوهم كفّار فلن يغفرالله لهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٣٤).

وقوله تعالى: «وقابل التّوب» الله جلّ جلاله هو الّذي يقبل التّوبة عن عباده قبل رؤية العذاب ومجيئ الأجل بأن يثيبهم على التّوبة، ويسقط عنهم عقاب معاص تقدّمها، ويعفو عن السّيّئات على وجه التّفضّل منه، ولذلك كان صفة مدح ولوكان سقوط العقاب عندها واجباً لما كان فيه مدح.

قال الله تعالى: «ألم يعلموا أنّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده» التّوبة: ۱۰٤).

وقال: «وهو الّذي يقبل التّوبة عن عباده ويعفوا عن السّيّئات» الشّورى: ۲۵).

وقال: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدىٰ من بعد مابيّنّاه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون إلّا الّذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التّوّاب الرّحيم» البقرة: ۱۵۹- ۱٦۰).

وقال: «إنّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التّوبة للّذين يعملون السّيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار اولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً- إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار ولن تجدلهم نصيراً إلاّ الّذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً» النّساء: ۱۷- ۱۸ و۱٤۵- ۱٤٦).

وقال: «إنّما جزآؤ الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدّنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلّا الّذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أنّ الله غفور رحيم» المائدة: ۳۳- ۳٤).

وقوله جلّ وعلا: «شديد العقاب» لمن طغىٰ وعمل بما يهوىٰ، ومات على الشّرك والطّغيان، على الكفر والعصيان، وعلى البغي والعدوان ... فلا ينبغي أن يتّكل الإنسان على سعة رحمة الله سبحانه إطلاقاً، بل لابدّ ومن أن يكون منه عزّوجلّ على

حذر باجتناب معاصيه وأداء فرائضه، فإنّه كما أنّه تعالى لايؤيس أهل الأجرام والآثام من عفوه وقبول توبة من تاب منهم، كذلك لايؤمنهم من عقابه وإنتقامه منهم بما استحلّوا من محارمه وركبوا معاصيه، وآثروا الحياة الدّنيا وعتوا عن أوامر الله وبغوا وسعوا في الأرض فساداً.

قال الله تعالى: «ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جآئته فإنّ الله شديدالعقاب» البقرة: ٢١١).

وقال: «ذلك بأنّهم شاقّوالله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديدالعقاب- واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ الله شديدالعقاب» الأنفال: ١٣و٢٥).

وقال: «ويل للكافرين من عذاب شديدالّذين يستحبّون الحياة الدّنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد» إبراهيم: ٢- ٣).

وقال: «وما آتاكم الرّسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتّقواالله إنّ الله شديدالعقاب» الحشر: ٧).

وقوله سبحانه: «ذي الطّول» ذي البسط والقدرة الّذي لايغلب، ذي البأس والغلبة الّذي لايقهر، وذي العلوّ والعزّة الّذي لايفوته مطلوب، ولايدفع بأسه دافع.

قال الله تعالى: «إنّ عذاب ربّك لواقع ماله من دافع يوم تمور السّمآء موراً وتسير الجبال سيراً فويل يومئذ للمكذّبين» الطّور: ٧- ١١).

وقال: «سيصيبهم سيّئات ما كسبوا وماهم بمعجزين» الزّمر: ٥١).

وقال: «ولو ترىٰ إذ فزعوا فلافوت وأُخذوا من مكان قريب» سبأ: ٥١).

فالله عزّوجلّ موصوف على الدّوام بكلّ هذه الصّفات، فالرّحمة والمغفرة للمؤمنين والعذاب والنّكال والنّقمة للكافرين.

قال الله تعالى: «ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السّجدة: ٢٢).

وقال: «يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنّا منتقمون» الدّخان: ١٦).

وبهذا يعتدل ميزان العدل بين النّاس، فلايسوى بين الأخيار والأشرار، وبين الأبرار والفجّار... «أم نجعل الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار» ص: ۲۸).

وقوله تعالى: «لا إله الاّ هو» لمّا كانت كفّار قريش، وفجّار مكّة، وأشرار العرب لايوحّدون الله تعالى وحّد نفسه: «لا إله إلاّ هو» فلا نظير له «وليس كمثله شيئ» الشورى: ۱۱) فإنّه وحده الموصوف بهذه الصّفات دون غيره إذ لا إله يفعل ذلك ولايتّصف بهذه الصّفات إلاّ هو، فلا يستحقّ العبادة سواه، فيجب إتباع أوامره وترك نواهيه ....

وقوله عزّوجلّ: «إليه المصير» إلى الله تعالى مصير المؤمنين والأخيار فيدخلهم الجنّة: «وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربّنا وإليك المصير» البقرة: ۲۸۵) وإليه عزّوجلّ مصير الكافرين والأشرار فيدخلهم النّار: «ذلكم النّار وعدها الله الّذين كفروا وبئس المصير» الحج: ۷۲) فيجازي المطيع والعاصي والمحسن والمسيئ، فإنّه المبدأ وإليه المنتهىٰ. فترجع الأمور كلّها يوم القيامة إلى الله تعالى: «ألا إلى الله تصير الأمور» الشّورىٰ: ۵۳) حيث لايملك أحد يومئذ النّفع والضرّ، والأمر والنّهي غيره، وإن كان في الحياة الدّنيا قد ملك كثيراً من خلقه النّفع والضّرّ، والأمر والنّهي.

۴ - (مايجادل في آيات الله إلاّ الّذين كفرُوا فلا يغرُرْك تقلّبهم في البلاد)

هذا الكتاب الّذي نزل من عندالله العزيز العليم هو نور من نورالله تعالى، وعلم من علم الله عزّوجلّ، وسلطان من سلطان الله بحجّته السّاطعة وآياته البيّنة ... مايجادل في هذا الوحي السّماوي إلاّ الكافرون المعاندون الّذين تعمّدوا الكفر والمكابرة وبيتوا اللّجاج والمجادلة، ومايخاصم في حجج الله وأدلّته على وحدانيّته بالإنكار لها وإخفآء آيات الله وإبطالها وتكذيبها والإستهزاء بها إلاّ الّذين استكبروا وجحدوا توحيده وأعرضوا عن الحقّ مع غاية ظهوره، إذ لايعاكس الحقّ إلاّ الكبر والجحود العنود، فهم لظلام بصآئرهم، وضلال عقولهم، ومرض قلوبهم قد استغلق عليهم هذا الكتاب الإلهيّ، فلم يهتدوا إلى مافيه من حقّ وهدى، فجعلوا يلقونه

بالجدل سخرية واستهزآءً لاطلباً لعلم ولا إلتماساً لمعرفة.

قال الله تعالى: «إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلّا كبر» المؤمن: ٥٦).

وقال: «ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم ويتّبع كلّ شيطان مريد» الحجّ: ٣) وقال: «وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها حتّىٰ إذا جآؤك يجادلونك يقول الّذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين- وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليآءهم ليجادلوكم» الأنعام: ٢٥ و١٢١).

وقوله جلّ وعلا: «فلا يغررك تقلّبهم في البلاد» فلايخد عك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم تصرّف الكافرين وتقلّبهم في البلاد، ومايملكون من أموال يتاجرون بها فيها، وبقآؤهم ومكثهم فيها مع كفرهم وطغيانهم، مع بغيهم وعصيانهم، ومع لجاجهم وعداونهم، ولايجعلك ذلك تيأس، فتحسب أنّهم إنّما أمهلوا وتقلّبوا وتنقّلوا فتصرّفوا في البلاد مع كفرهم بالله جلّ وعلا، ولم يعاجلوا بالنّقمة والعذاب على كفرهم لأنّهم على شيء من الحقّ، فإنّا لم نمهلهم لذلك، فإنّ حظوظهم الدّنيوية إلى زوال ونفاد فليسوا هم على شيء من الحقّ والرّشاد، إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً حتّىٰ يبلغ الكتاب أجله، ولتحقّ عليهم كلمة العذاب، فإنّ عاقبتهم تصير إليّ ولا يفوتونني قال الله تعالى: «لا يغرّنك تقلّب الّذين كفروا في البلاد متاع قليل ثمّ مأواهم جهنّم وبئس المهاد» آل عمران: ١٩٦- ١٩٧).

وقال: «وذرني والمكذّبين أولي النّعمة ومهّلهم قليلاً» المزّمّل: ١١).

وقال: «ولايحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين» آل عمران: ١٧٨) فإنّهم مأخوذون عن قريب كما اخذ من الّذين كانوا من قبلهم إذ:

٥- (كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب).

كذّبت قبل هؤلآء الكافرين المعاندين المكابرين، قوم نوح رسولهم نوحاً عليه

السّلام وكذّب الأحزاب من الأقوام المختلفة من بعد قوم نوح عليه السّلام برسلهم نحو عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون ومن بعدهم الّذين تحزّبوا على رسلهم بالتّكذيب، وتحزّبوا ضدّ الحقّ وأهله ...

قال الله تعالى: «وإن يكذّبوك فقد كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذّب موسىٰ» الحج: ٤٢- ٤٤).

وقوله عزّوجلّ: «وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه» وهمّت كلّ أمّة من تلك الأمم المكذّبة السّالفة والأحزاب المجنّدة المتحزّبة برسولهم، فنهم قصدوا رسولهم ليأخذوه بالقتل والهلاك ومنهم من قصدوا رسولهم ليأخذوه بالحبس والعذاب، ومنهم من قصدوا رسولهم ليأخذوه بالإخراج ونفي الدّيار، ومنهم من قصدوا رسولهم ليأخذوه بالإيذآء وهتك الحرمات ومنهم من قصدوا رسولهم ليأخذوه بالمنع من تبليغ الرّسالة ...

قال الله تعالى: «ثمّ أرسلنا رُسُلنا تترا كلّ ماجآء أمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلنا هم أحاديث» المؤمنون: ٤٤).

وقال: «ألم يأتكم نبؤالّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم لايعلمهم إلّا الله جآئتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواهم وقالوا إنّا كفرنا بما أرسلتم به وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه مريب ـ قالوا إن أنتم إلّا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عمّا كان يعبد آبآؤنا فأتونا بسلطان مبين» إبراهيم: ٩- ١٠).

وقوله جلّ وعلا: «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» وجادلوا تلك الأمم السّالفة رسلهم وخاصموهم وناصبوهم، و«قالوا إن أنتم إلّا بشر مثلنا»! وهلاّ أرسل الله إلينا ملائكة؟ وما إلى ذلك من سخيف المقال والشّبهات ... ليبطلوا به الحق الّذي بيّنها الله تعالى وجآئت به رسله، وليزيلوه بباطلهم، يقال: أدحض الله حجّته: أزالها. قال الله تعالى: «حجّتهم داحضة عند ربّهم» الشورى: ١٦) أي زآئلة.

قال الله تعالى: «وما نرسل المرسلين إلّا مبشّرين ومنذرين ويجادل الّذين كفروا با لباطل ليدحضوا به الحق واتّخذوا آياتي وما انذروا هزواً» الكهف: ٥٦).

وقوله تعالى: «فأخذتهم فكيف كان عقاب» وقد جادلوا تلك الأمم رسلهم ليزيلوا الحقّ بباطلهم، فأخذتهم بالعذاب وأهلكتهم ودمرّت عليهم بسبب هذا القصد الفاسد والجدال الباطل جزآءً لهم.

قال الله تعالى: «كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّىٰ ذاقوا بأسنا» الأنعام: ١٤٨) كما يجادل قومك أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لأن يزلقوك ويزيلوا الحقّ بباطلهم، فلا تحزن بسوء قصد قومك وجدالهم في آياتي بالباطل، إنّا نأخذهم ونعاقبهم، فانظر كيف كان عقابي لهم؟ وكيف يقع موقعه؟

وإنّكم أيّها المشركون المعاندون ألم تجدوه حقاً وأنتم تمرّون على ديارهم وترون آثاره؟ وإن لم تشاهدوا عقوبتي لهم فقد سمعتم أخبارها كراراً، وتتلون قصصهم في القرآن، فلِمَ لا تعتبرون بها وبهم؟؟؟

قال الله تعالى: «قد نعلم إنّه ليحزنك الّذي يقولون فإنّهم لايكذّبونك ولكنّ الظّالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ماكذّبوا وأُوذوا حتّىٰ أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جآءك من نبائ المرسلين» الأنعام: ٣٣- ٣٤).

٦ ـ (وكذلك حقّت كلمتُ ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار)

وكما حقّت على الأمم الماضية الّتي كذّبت رسلها عذابي، وحلّ بها عقابي في الحياة الدّنيا، وجبت ولزمت كلمة ربّك بالعذاب على الّذين كفروا بالله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم من قومك الّذين يجادلون في آيات الله أنّهم أصحاب النّار خالدين فيها.

فهؤلآء كأولئك في الآخرة معذّبون بالنّار لأنّ العلّة الجامعة بينهم في النّار واحدة وهي الكفر بالله جلّ وعلا وتكذيب الرّسول والجدال في آيات الله، والعناد للحقّ وأهله، وإهتمامهم بإطفآء نورالله الّذي بثّه في أرجآء العالم لإصلاح النّاس كلّهم، وسعادتهم في دينهم ودنياهم، ولإرتقآء النّفوس البشريّة وكمالها إلى مايليق بها.

فالحكم عام لكلّ من اتّصف بالكفر ظاهراً و باطناً في كلّ ظرف،فيشمل المنافقين

الّذين قادتهم الطّواغيت وبنو أميّة عليهم لعآئن الله والهاوية.

قال الله تعالى: «لأملئنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين» ص: ۸٥) وقال: «إنّ جهنّم كانت مرصاداً للطّاغين مآباً ـ إنّهم كانوا لايرجون حساباً وكذّبوا بآياتنا كذّاباً» النّبأ: ۲۱ـ ۲۸).

وقال: «إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً»: النّساء: ۱٤۰).

۷ ـ (الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

إنّ طائفة من الملائكة يحملون العرش الّذي منه تصدر الأحكام والأوامر الإلهيّة الّتي بها يدبّر نظام الكون ونواميس الوجود، يحملونه إمتثالاً لأمر الله تعالى، وطائفة منهم يطوفون حول العرش عبادة لله جلّ وعلا، وهم الكرّوبيّون وسادة الملائكة المقرّبون: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش» الزّمر: ۷٥) وكلتا الطّائفتين «يسبّحون بحمد ربّهم» ينزّهونه عن كلّ مالايليق بساحة قدسه، ومن ذلك وجود الشّريك له سبحانه في الوجود والإيجاد والتّدبير والعبادة، ويحمدونه على نعمه، ويثنون على فعله وتدبيره، ويذكرونه بمجامع الثّنآء من صفات الجلال والإكرام.

قال الله تعالى حكاية عن الملائكة: «وما منّا إلّا له مقام معلوم وإنّا لنحن الصّافّون وإنّا لنحن المسبّحون» الصّافّات: ۱٦٤ـ ۱٦٦).

وقال: «والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم» الشّورى: ٥).

وقال: «فإن استكبروا فالّذين عند ربّك يسبّحون له باللّيل والنّهار وهم لايسئمون» فصّلت: ۳۸).

وقال: «ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبّحون اللّيل والنّهار لايفترون ـ بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الأنبيآء: ۲۰ ـ ۲۷).

وقوله تعالى: «ويؤمنون به» والملائكة يؤمنون بالله عزّوجلّ ببصآئرهم، ويصدّقون

به تعالى بضمآئرهم، ويعترفون بوحدانيّته أنّه لا إله لهم سواه ويشهدون بذلك: «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأولوا العلم قآئماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم» آل عمران: ١٨).

وقوله عزّوجلّ: «ويستغفرون للذين آمنوا» والملائكة يسئلون الله تعالى المغفرة للذين آمنوا من أهل الأرض الّذين صدّقوا بوحدانيّة الله تعالى واعترفوا بإلهيته، وبما يجب الإيمان به بمثل إقرار الملائكة من توحيد الله تعالى والبرآءة من كلّ معبود سواه.

قال بعض الظّرفآء: إنّ أنصح عبادالله تعالى لعبادالله جلّ وعلا الملائكة، وإنّ أغشّ عبادالله عزّوجلّ لعبادالله سبحانه هو الشّيطان، وتلا هذه الآية وقال: «وما أكرم المؤمن على الله تعالى نائماً على فراشه، والملائكة يستغفرون له».

والملائكة يقولون في دعآئهم للمؤمنين، واستمطارهم من واسع رحمة الله تعالى للمؤمنين: «ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمة وعلماً» وهو الله تعالى الواسع المطلق، وسعت رحمته كلّ شي، حدوثاً وبقآءً و وسع إحسانه جميع الخلائق فلا يمنعه إغاثة ملهوف عن إغاثة غيره.

قال الله تعالى: «ورحمتي وسعت كلّ شيءٍ فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزّكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الأعراف: ١٥٦).

وقال: «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها» الرّوم: ٥٠).

و وسع علمه جميع المعلومات، فلايشغله معلوم عن معلوم.

قال الله تعالى: «إنّما إلهكم الّذي لا إله إلّا هو وسع كلّ شيءٍ علماً» طه: ٩٨).

ولا يبعد أن يكون المراد بالعلم، المعلوم كما في قوله عزّوجلّ: «ولا يحيطون بشيءٍ من علمه» البقرة: ٢٥٥) أي بشيءٍ من معلومه على التّفصيل، فجعل العلم في موضع المعلوم، والمعنى: أنّه لا اختصاص لمعلوماتك، بل أنت عالم بكلّ معلوم.

وقوله تعالى حكاية عن الملائكة: «فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم» والملائكة يقولون: فاغفر للّذين تابوا من الشّرك والطّغيان، من الكفر والعصيان، ومن البغي والعدوان ... ورجعوا إليك بالطّاعة والإيمان، واتّبعوا

سبيلك الّذي دعوت إليه عبادك وهو دين الإسلام، وادفع عنهم عذاب الجحيم حتّى لايصل إليهم. قال الله تعالى: «وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه» الأنعام: ۱۵۳).

وقال: «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني» يوسف: ۱۰۸) وقال: «قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم» آل عمران: ۳۱).

وقال: «أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفرلكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أوليآء أولئك في ضلال مبين» الأحقاف: ۳۱- ۳۲).

۸ ـ (ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّيّاتهم إنّك أنت العزيز الحكيم)

إنّ الملائكة يقولون: يا ربّنا وأدخل المؤمنين التّآئبين الصّالحين مع قبول توبتهم، و وقايتهم من النّار، أدخلهم بساتين إقامة وخلود الّتي وعدت أهل الإيمان والإنابة والطّاعة بها على ألسنة أنبيآئك ورسلك وفي كتبك، وأدخل مَن صلح بالإيمان وصلح الأعمال من آبآء هؤلآء المؤمنين، وأزواجهم وذرّيّاتهم ليكمل فيها أنسهم ويتمّ سرورهم وإبتهاجهم، وتقرّ بهم أعينهم، فاجمع غداً شمل الأسرة المؤمنة تماماً كما كانوا في الحياة الدّنيا ليزداد واسروراً على سرور.

قال الله تعالى: «إنّ المتّقين في جنّات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربّهم و وقاهم ربّهم عذاب الجحيم- والّذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيّتهم بايمان ألحقنابهم ذرّيّتهم» الطور: ۱۷- ۲۱).

وقال: «أولئك لهم عقبى الدّار جنّات عدن يدخلونها ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّيّاتهم» الرّعد: ۲۲- ۲۳).

وقوله تعالى: «إنّك أنت العزيز الحكيم» العزيز في ملكك وسلطانك، الغالب الّذي لايمتنع عليه مقدور، والقادر على مايشآء من الإنتقام من الأعدآء ... الحكيم في صنعك وتدبير خلقك، وفي أمرك وقضآئك ...

٩ ـ (وقهم السّيّئات ومن تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)

وقالت الملائكـة المستغفرون للمؤمنين: يا ربّنا واصرف عنهم سوء عاقبة سيّئاتهم الّتي كانـوا يأتونهـا قبل توبتهم وإيمـانهم، واحفظهم بعد ذلك فلا تؤاخـذهم بذلك في الدّنيا والآخرة، فتعذّبهم به، ومـن تصرّف عنه شرّ عـاقبة سيّئـاته من صغير إقترفه أو كبير تاب منه، فـتفضّلت علـيه، فقد رحمتـه ونجّيته من خزي الدّنيا وعذاب الآخرة، وذلك الغـفران، والوقايـة من شرّ السّـيّئات ودخول الجـنّة هو الظّـفر بالبـغية والفلاح العظيم.

قال الله تعـالى حكـاية عن المـؤمنين: «ربّـنا إنّك من تدخـل النّار فقدأخـزيته ـ ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيّئاتـنـا وتوفّنا مع الأبرار ربّـنـا وآتنا ماوعدتنا على رسـلك ولاتخزنا يوم القيـامة إنّك لاتخلف الميعاد» آل عمران: ١٩٢ـ ١٩٤).

وقال: «فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز» آل عمران: ١٨٥).

وقال: «مـن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين» الأنعام:١٦).

١٠ ـ (إنّ الّذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون)

حين يستعفـر المـلائكة المقرّبـون ربّهم للمـؤمنين، ويسئلونـه رحمته الواسعـة لهم، والتّجـاوز عـن سـيّئاتهـم، وإدخـالهـم الجنّة هـم ومـن صلح من آبآئـهـم وأزواجـهـم وذرّيّاتهم، ويـدعون الله تعالى أن يـدفع عنهم كلّ شرّ وسوء، وأن يفـوز وافوزاً عظيماً، فطآئفة آخرون من الملائكـة وهم خزنة جهنّم غلاظ شداد يلقون الكافرين بما يسؤهم ويضاعف آلامهم إذ يـنادونهم بمالهم عندالله تعالى من مقت وطرد من رحمة الله تعالى وغـفـرانه، وذلك أنّ الّذين كـفـروا بالله وكتبه ورسلـه وأولـيآئه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وبالـيوم الآخر، حين دخلوا الـنّار، وتلظّوها وذاقـوا عذابها، مقتـوا أنفسهم الأمّارة بالسّوء الّتي وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها، وأبغضوها أشدّ البغض وأنكروها أبلغ الإنكـار بسـبب امتـنـاعها عـن الإستجـابـة إلى دعوة الله تعـالى ومقابـلتها بالمكـابرة

والجحود، وبما أسلفت من الأعمال الفاسدة والأقوال الكاذبة ... وأظهروا ذلك على رؤس الأشهاد ...

يناديهم عند ذلك خزنة النّار من مكان بعيد: نقسم بالله جلّ وعلا إنّ مقت الله أنفسكم وشدّة بغضه لها أكبر من مقتكم أنفسكم وشدّة بغضكم لها اليوم لما حلّ بكم من سخط لله عليكم، وذلك أنكم كنتم تدعون في الحياة الدّنيا بألسن الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء والمصلحين إلى الإيمان بالله تعالى فتأبون قبوله وتكفرون إتّباعاً لأنفسكم الأمّارة بالسّوء ومسارعة إلى هواها ... ولايخفى: أنّ مقته تعالى عبارة عن شديد عذابه وأليم عقابه، فإنّ صفاته جلّ وعلا تؤخذ بإعتبار الغايات الّتي هي أفعال دون المبادئ الّتي هي إنفعالات فافهم ذلك.

قال الله تعالى: «أولئك ينادون من مكان بعيد» فصلت: ٤٤).

وقال: «أفكلّما جآءكم رسول بما لاتهوىٰ أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون» البقرة: ۸۷).

وقال: «يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها» النّحل: ۱۱۱).

وقال: «فلمّا جآئتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً» النّمل: ۱۳- ١٤).

وقال: «لبئس ماقدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون» المآئدة: ۸۰).

وقال: «ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم: ۲۸).

وقال: «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشآء من عباده فبآؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين» البقرة: ۹۰) إن تسئل: كيف يصحّ أن يمقت الكافرون أنفسهم؟ نجيب عنه: أوّلاً: أنّهم أحلّوها بالذّنوب محلّ الممقوت. وثانياً: أنّهم لمّا صاروا إلى حال زال عنهم الهوى، وعلموا أنّ نفوسهم هي الّتي أوبقتهم في الكفر والمعاصي مقتوها.

١١ ـ (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل)

قال الكفّار والمجرمون، والفجّار والمفسدون، والفسّاق والمعاندون بعد دخولهم النّار: يا ربّنا أمتّنا اثنتين مرّتين: مرّة بقبض أرواحنا في الحياة الدّنيا، ومرّة في القبور بعد أن سئلنا منكر ونكير عن عقائدنا وأقوالنا وأفعالنا، وأحييتنا اثنتين مرّتين: مرّة قبل أن يسئلنا منكر ونكير في القبور ومرّة في الآخرة للحساب والجزآء، فاعترفنا الآن بكفرنا وبذنوبنا الّتي اقترفناها في الدّنيا، فهل لنا إلى خروج من النّار إلى الدّنيا من سبيل لنؤمن بك ونطيعك، ونعمل غير ما كنّا نعمل فيها من قبل؟!

قال الله تعالى: «ولوترىٰ إذ وقفوا على النّار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٧ـ ٢٨).

وقال: «فهل لنا من شفعآء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غيرالّذي كنّا نعمل» الأعراف: ٥٣).

وقال: «وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غيرالّذي كنّا نعمل» فاطر: ٣٧).

وقال: «وترى الظّالمين لمّا رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل» الشّورى: ٤٤).

وجوابهم: «لا» إذ في الكلام حذف، تقديره: فأُجيبوا بأنّه لاسبيل لكم إلى الخروج. ولو علم الله تعالى أنّهم يفلحون لردّهم إلى الدّنيا لأنّه لايمنع إحساناً بفعل ماليس باحسان، ولا يؤتى أحد من عقابه إلّا من قبل نفسه، ولذلك قال: «ولو رُدّوا لَعادُوا لما نُهُوا عنه وإنّهم لكاذبون» الأنعام: ٢٨) تنبيهاً على أنّهم لوصدقوا ذلك لأجابهم إلى ماتمنّوه، مع التّصريح بأنّهم كاذبون في مقالتهم، وإنّما قالوا هذا القول على سبيل التّمنّي بكلّ مايجدون إليه سبيلاً في التّلطّف للخروج عن تلك الحال.

واعترفوا بذنوبهم حيث لاينفعهم الإعتراف، وندموا حيث لاينفعهم النّدم، ولوكان هذا التّضرّع في الدّنيا وقت الإختيار قبل أن يذوقوا العذاب لأثّر وأثمر وأمّا إعترافهم حيث يتلظّون النّار فلاينفعهم شيئاً تماماً كالإقرار ينتزع بالضغط

والإجبار.

قال الله تعالى: «يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار» المؤمن: ٥٢) وماورد في المقام فمن باب التّأويل وهو اللبّ فافهم ذلك.

١٢ - (ذلكم بأنّه إذا دُعِيَ الله وحده كفرتم وإن يُشرَكْ به تؤمنوا فالحكم للّه العليّ الكبير)

أيّها الكافرون ليس لكم من حيلة في خروجكم من نار جهنّم إلى الدّنيا لأنّادعوناكم في الحياة الدّنيا فلَم تستجيبوا لنا، وأنتم تدعوننا اليوم فلا نستجيب لكم فكما تكونون يولى عليكم: «اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا» الجاثية: ٣٤).

وذلك اليأس عن الخروج وذلك العذاب الدّائم الّذي حلّ بكم بسبب كفركم وعنادكم وشرككم وضلالكم في وقت التّمكّن من التّوحيد أو ان التّكليف، وذلك أنكم إذا دُعيتم إلى التّوحيد في الحياة الدّنيا، وقيل لكم: قولوا: لا إله إلّا الله تفلحوا كفرتم بالله وقلتم: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، وجحدتم ذلك، وإن يشرك بالله سبحانه معبود آخر من الأصنام والأوثان والطّواغيت تصدّقوا وآمنتم بالإشراك قال الله تعالى: «إنّا كذلك نفعل بالمجرمين إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون ويقولون أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» الصّافّات: ٣٤- ٣٦).

وقال: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الّذين من دونه إذا هم يستبشرون» الزّمر: ٤٥).

وقال: «وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً» الأسراء: ٤٦).

وقال: «وإن يروا كلّ آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لايتّخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلاً ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الأعراف: ١٤٦).

وقوله تعالى: «فالحكم لله» فما أنتم أيّها الكافرون اليوم من اليأس والعذاب الدّائم هو حقّ وعدل، فإنّ الملك يومئذٍ لله وحده، وقد حكم عليكم بما استحققتموه حكمه

العادل قال الله عزّوجلّ: «الملك يومئذ لله يحكم بينهم» الحجّ: ٥٦) وهم في النّار يعترفون بذلك: «قال الّذين استكبروا إنّا كلّ فيها إنّ الله قد حكم بين العباد» المؤمن: ٤٨).

وقوله عزّوجلّ: «العليّ الكبير» المتعال في صفاته الّتي لايشاركه فيها غيره، الكبير الّذي لايدانيه شيْ، إذ ليس كمثله شيْ في الوجود والصّفات...

قال الله تعالى: «ذلك بأنّ الله هو الحقّ وأنّ مايدعون من دونه هو الباطل وأنّ الله هو العليّ الكبير» الحجّ: ٦٢).

وماورد في المقام فمن باب التّأويل وهو اللّبّ فافهم ذلك.

١٣ـ(هوالّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّمآء رزقاً ومايتذكّر إلّا من ينيب)

أيها النّاس! الله تعالى هوالّذي يريكم في كلّ ظرف وحال، آياته الآفاقية والأنفسيّة، والتّكوينية والتّدوينية الدّالة على وحدانيته وربوبيته، على كمال علمه وحكمته، على غاية تدبيره وقدرته، على كمال جلاله وعظمته، وعلى نهاية علوّه وكبريائه ... لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها، فتوحّدوه عزّوجلّ، وتخصّوه بالعبادة.

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّىٰ يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصلّت: ٥٣).

وقال: «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السّموات والأرض وليكون من الموقنين» الأنعام: ٧٥).

وقال: «ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون» المؤمن: ٨١).

وقوله تعالى: «وينزّل لكم من السّمآء رزقاً» والله تعالى هو ينزّل من السّمآء مآءً بقدر وهو سبب رزقكم، إذ بالمآء يخرج الزّرع والثّمار من الأرض ممّا هو مختلف الألوان والطّعوم والرّوآئح والأشكال ممّا أبدعته يدالقدرة الكاملة.

قال الله عزّوجلّ: «وأنزلنا من السّمآء مآءً بقدر فأسكنّاه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون فأنشأنا لكم به جنّات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة

ومنها تأكلون» المؤمنون: ۱۸- ۱۹).

وقال: «وما أنزل الله من السّمآء من رزق فأحيىٰ به الأرض بعد موتها وتصريف الرّياح آيات لقوم يعقلون» الجاثية: ٥).

وقال: «الّذي جعل لكم الأرض فراشاً والسّمآء بنآءً وأنزل من السّمآء ماءً فأخرج به من الثّمرات رزقاً لكم فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون» البقرة: ٢٢).

وقال: «يا أيّها النّاس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غيرالله يرزقكم من السّمآء والأرض لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون» فاطر: ٣).

وقوله جلّ وعلا: «ومايتذكّر إلّا من ينيب» ومايعتبر بتلك الآيات ولا يستدلّ بها على وحدانيّة خالقها وعظمة مبدعها وقدرة مدبّرها وحكمة مربيّهاإلّا من أعرض عن الشّرك والطّغيان، ويرجع إلى توحيد ربّه وطاعته، ويتفكّر في بديع ما خلق وعظيم ما أوجده ويتفكّر فيما أودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة، ونعمته الشّاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى، فإنّ الكافر المكابر، والمشرك المعاند لاسبيل إلى تذكّره وإعتباره، فإنّ دلآئل التّوحيد مركوزة في العقول لايحجبها إلّا الشّرك والعناد، والكفر والجدال بغيرحقّ، فاذا أعرض العبد عن الشّرك واللّجاج، ورجع إلى ربّه زال عنه الغطآء وظفر بالفوز وظهرت له سبل الكمال والنّجاة، والصّلاح والفلاح ... فمن ليس كذلك فهو بمعزل من التّذكّر والإتعاظ ...

قال الله تعالى: «أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وماخلفهم من السّمآء والأرض إن نشأنخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السّمآء إنّ في ذلك لآية لكلّ عبد منيب» سبأ: ٩).

وقال: «إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهوشهيد» ق: ٣٧).

وقال: «إنّما يتذكّر أولوا الألباب» الزّمر: ٩).

وقال: «بل عجبت ويسخرون وإذا ذكّروا لايذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون

وقالوا إن هذا إلّا سحرٌ مبين» الصّافّات: ١٢ـ ١٥).

١٤ ـ (فادعوا الله مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون)

فإذا علمتم يا أولي الألباب أنّ التّذكّر خاص بمن ينيب إلى الله جلّ وعلا فادعوه وحده أيّها المنيبون، واعبدوه أيّها المؤمنون في كلّ ظرف، مخلصين لله تعالى دينكم من الشّرك بموجب إنابتكم إلى الله وإيمانكم به، مخلصين له الطّاعة والعبادة الّتي أمركم بها، ولو كره الكافرون المعاندون توحيدكم، وغاظ المجرمين إخلاصكم، وشقّ على المنافقين طاعتكم، فكونوا أيّها المنيبون أهل الدّين واقعاً لاشكلاً، وكونوا أيّها المؤمنون أهل الإسلام فعلاً لاقولاً، واستقاموا على التّوحيد والإخلاص في العبادة والطّاعة للّه تعالى وحده، وخالفوا المشركين والمفسدين في مسالكهم الباطلة، ولا تلتفتوا إلى موقف الكافرين المكابرين وكراهيّتهم لطريقكم المستقيم، حتّى لوعاينتم من أعدآء أ وأعدآء الإنسانية الأذىٰ والتّنكيل، فلا تبالوا بهم ودعوهم حتّىٰ يموتوا بغظيهم، ويهلكوا بحسرتهم.

قال الله تعالى: «هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدين» المؤمنون: ٥).

وقال: «ولله الأسمآء الحسنىٰ فادعوه بها وذروا الّذين يلحدون في أسمآئه سيجزون ما كانوا يعملون» الأعراف: ١٨٠).

وقال: «ولا تدع مع الله إلهاً آخر لاإله إلّا هو كلّ شئ هالك إلّا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» القصص: ٨٨).

وقال: «ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولوكره المجرمون» الأنفال: ٨).

وقال: «بل جاءهم بالحقّ وأكثرهم للحقّ كارهون» المؤمنون: ٧٠).

١٥ ـ (رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق)

الله جلّ وعلا هو الكبير المتعال الّذي درجته أرفع الدّرجات العقليّة، وله الفوق المطلق في الوجود كلّه، وله العلوّ العالي عن الإضافة إلى شئ دون شئ، فيستحيل أن يكون أحد يساويه في الرّفعة أو يدانيه في العلوّ لإستغنآئه عن كلّ ماسواه في وجوده

وصفاته، وافتقار كلّ ماسواه إليه في الوجود حدوثاً وبقآءً وفي توابع الوجود، فهو تعالى مبدأ كل رفعة وإليه يرجع كل علوّ في الدّنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد» فاطر: ١٥).

وقال: «سبّح اسم ربّك الأعلىٰ» الأعلى: ١).

وقال: «له ما في السّموات وما في الأرض وهو العليّ العظيم- ليس كمثله شيٌ» الشّورى: ٤- ١١).

وقال: «نرفع درجات من نشآء إنّ ربّك حكيم عليم» الأنعام: ٨٣).

وقوله تعالى: «ذوالعرش» الله تعالى هو صاحب العرش العظيم العالي على جميع خلقه، ومالكه وربّه ومدبّره، خلقه مطافاً لملائكته المقرّبين إظهاراً لجلاله وعظمته، وأعظم عالم الأجسام هو العرش المحيط على الكرسيّ المحيط على السّموات السّبع، وعلى عرشه يدبّر أمر خلقه وينفذه وهو المتفرّد بهذا المقام العالي لايشاركه أحد، ولا يعارضه غيره قال الله تعالى: «ذوالعرش المجيد فعّال لما يريد» البروج: ١٥- ١٦).

وقال: «إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوىٰ على العرش يدبّر الأمر» يونس: ٣).

وقال: «فتعالى الله الملك الحقّ لا إله إلّا هو ربّ العرش الكريم» المؤمنون: ١١٦).

وقوله عزّوجلّ: «يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق ينزّل الله تعالى الرّوح مع ملائكة الوحي لإلقآء الوحي على مَن يشآء من عباده لينذر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس يوم القيامة وأهواله لاريب فيه، يوم تلاقي أهل السّمآء والأرض للحساب والجزآء.

قال الله تعالى: «تنزّل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر» القدر: ٤).

وقال: «وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيّاً لتنذر أمّ القرىٰ ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه» الشّورى: ٧).

وقال: «وإنّك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم» النّمل: ٦).

وقال: «تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان: ١).
وقال: «قل يا ايها النّاس إنّما أنالكم نذير مبين» الحجّ: ٤٩).
وقال: «وأنذر به الّذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع لعلّهم يتّقون» الأنعام: ٥١).

١٦ - (يوم هم بارزون لايخفىٰ على الله منهم شيّ لمن الملك اليوم لله الواحد القّهار)

يوم أعيانهم وقلوبهم، وأحوالهم وأسرارهم، وأقوالهم وأعمالهم، وعقائدهم ونيّاتهم كلّها بعين الله جلّ وعلا، وإنّ ظاهرهم وخفاياهم، وماذكروه ومانسوه كلّها مكشوفة غير مستورة، يوم يخرج الخلائق كلّهم من قبورهم ويقفون بين يدي الله جلّ وعلا لنقاش الحساب والجزآء، يوم لاسرّ ولاحجاب، فكلّ شيّ مكشوف هم يشهدون بأنفسهم ممّا انطوت عليه سرآئرهم وما أخفاه بعضهم عن بعض ففي هذا اليوم ينكشف كلّ مستور منهم، لهم ولغيرهم: «يوم تبلى السّرآئر» الطارق: ٩).

قال الله تعالى: «وبرزوالله جميعاً -يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسّموات وبرزوالله الواحدالقّهار» إبراهيم: ٢١- ٤٨).

وقال: «ويوم نسيّرالجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربّك صفاً لقد جئتموها كما خلقناكم أوّل مرّة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعداً و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً» الكهف: ٤٧- ٤٩).

يوم «إذا رجّت الأرض رجّاً وبسّت الجبال بسّاً فكانت هبآءً منبثّاً» الواقعة: ٤- ٦) «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترىٰ فيها عوجاً ولا أمتاً» طه: ١٠٥-١٠٧) يوم تبدّل السّموات غير السّموات فتتساقط وتتناثر بكلّ مافيها من كواكب ... «إذا السّمآء انفطرت وإذا الكواكب انتشرت وإذا البحار فجّرت وإذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدّمت وأخّرت» الإنفطار: ١- ٥).

وقوله تعالى: «لايخفىٰ على الله منهم شيّ» من أنفسهم، ولا من عقآئدهم

وأفكارهم، وأعمالهم ولا مافي صدورهم ...

قال الله عزّوجلّ: «فإذا نفخ في الصّور نفخة واحدة ـ يومئذ تعرضون لاتخفىٰ منكم خافية» الحاقة: ١٣-١٨).

وقال: «إنّ الله لايخفىٰ عليه شيئ في الأرض ولا في السّماء» آل عمران: ٥).

وقال: «بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل» الأنعام: ٢٨).

وقال: «لله ما في السّموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» البقرة: ٢٨٤).

لايخفىٰ على الله منهم شيئ في كلّ وقت وفي كلّ حال، ولكنّهم في غير هذا اليوم قد يحسبون أنّهم مستورون، وأنّ أعمالهم وأقوالهم وأفكارهم وحركاتهم خافية، أمّا اليوم فيحسّون أنهم مكشوفون، ويعلمون أنّهم مفضوحون، ويقفون عارين من كلّ ستار حتّى ستار الأوهام ... ويومئذ يتضاءل المتكبّرون وينزوي المتجبّرون، ويقف الوجود كلّه خاشعاً، والعباد كلّهم خضّعاً، ويتفرّد مالك الملك الواحدالقهّار بالسّلطان، وهو سبحانه متفرّد به في كلّ آن، وأمّا في هذا اليوم فينكشف هذا العيان بعد انكشافه للجنان، فيعلم هذا كلّ منكر، ويستشعره كلّ متكبّر، وتصمت كلّ نأمة وتسكن كلّ حركة، وينطلق صوت جليل رهيب يسئل ويجيب فما في الوجود كلّه يومئذ من سائل غيره ولامجيب من دونه:

«لمن الملك اليوم لله الواحدالقهّار» فالله جل وعلا هو القائل وهو المجيب إذ لايستطيع أحد من الكفّار والمكابرين، ولا الفجّار والمعاندين، ولا الفسّاق والمجرمين أن يجيبه لأهوال يوم القيامة وفزعه.

قال الله تعالى: «يومئذ يتّبعون الدّاعي لاعوج له وخشعت الأصوات للرّحمن فلا تسمع إلّا همساً وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً» طه: ١٠٨ـ ١١١).

وقال: «قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة يقولون أإنّا لمردودون في الحافرة» النّازعات: ٨ـ ١٠).

وأمّا المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون.

قال الله عزّ وجلّ: «واقترب الوعد الحقّ فإذا هي شاخصة أبصار الّذين كفروا ياويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنّا ظالمين- إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنىٰ اولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسهاوهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الّذي كنتم توعدون» الأنبيآء: ٩٧- ١٠٣).

ولايخفى على القارئ الخبير أنّ قطع يد ملاّك الفجّار يومئذ عن الملك لاينافي أن يكون للأنبيآء والمرسلين، والأوصيآء والصّدّيقين، والشّهدآء والمتّقين ملكاً عظيماً في الجنّة، وأن يملك الشّفاعة من اتّخذ عندالرّحمن عهداً.

قال الله تعالى: «وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكًا كبيراً» الإنسان: ٢٠).

وقال: «لايملكون الشّفاعة إلاّ من اتّخذ عندالرّحمن عهداً» مريم: ٨٧) وماورد في المقام فمن باب التّأويل فتدبّر جيّداً.

١٧ - (اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب)

يوم القيامة يوم الجزآء الحقّ، يوم العدل، يوم القضآء الفصل، بلا إمهال ولا إبطآء، يوم يغمر الموقف رهبة وخشوع، يوم تطوي صحآئف الأعمال ... يوم تجزىٰ كلّ نفس مؤمنة أوكافرة، موحّدة أو مشركة، برّة أو فاجرة، ونفس مخلصة أو منافقة ... بما كسبت من خير وشرّ: «كلّ نفس بما كسبت رهينة» المدثّر: ٣٨) فيثاب كلّ عامل بعمله إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيئ بإسآئته.

قال الله تعالى: «ليجزي الّذين أسآؤا بما عملوا ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنىٰ» النّجم: ٣١).

وقوله تعالى: «لا ظلم اليوم» لايظلم يومئذ على أحد، ولاينقص من حسناته ولايزاد على سيّئاته، ولا ينقص ثواب أحد ولايزاد في عقاب أحد.

قال الله عزّوجلّ: «وما الله يريد ظلماً للعباد» المؤمن: ٣١).

وقال: «فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولاتجزون إلاّ ماكنتم تعملون» يس: ٥٤).

وقال: «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضراً ولا

يظلم ربّك أحداً» الكهف: ٤٩).

وقال: «إنّ الله لايظلم مثقال ذرّة» النسآء: ٤٠)

وقوله تعالى: «إنّ الله سريع الحساب» لايحتاج إلى تفكّر وعقد يدكما يفعله الحسّاب لأنّه العالم الّذي لايعزب عن علمه شيئ، فلا يؤخّر جزآء أحد للإشتغال بغيره كما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك، فيحاسب الخلآئق كلّهم كما يحاسب نفساً واحدة.

قال الله عزّوجلّ: «ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين» الأنعام: ٦٢).

١٨ ـ (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع).

وأنذر النّاس أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وخوّفهم أهوال يوم القيامة وفزعه وعقابه، قرب وقتها، وإن استبعد النّاس مداها لأنّ كلّ ماهو كآئن فهو قريب. أنذرهم ليقلعوا عن قبيح أعمالهم، وذميم معتقداتهم، وشنيع آرآءهم الّتي يستحقون عليها الحسرة وشديدالعذاب. وانّ الآزفة من أوصاف القيامة وعذابها بمعنى الدّانية وهي القريبة.

قال الله تعالى: «وأنذر النّاس يوم يأتيهم العذاب» إبراهيم: ٤٤).

وقال: «فيسقولون من يعيد ناقل الّذي فطركم أوّل مرّة فيسنغضون إليك رؤسهم ويقولون متیٰ هو قل عسیٰ أن يكون قريباً» الأسرآء: ٥١).

وقال: «اقترب للنّاس حسابهم وهم في غفلة معرضون» الأنبيآء: ١).

وقال: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لايؤمنون» مريم: ٣٩).

وقال: «وأنذر به الّذين يخافون أن يحشروا إلى ربّهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع لعلّهم يتّقون» الأنعام: ٥١).

وقال: «إنّا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ماقدّمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً» النبأ: ٤٠).

وقوله تعالى: «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» أنذر النّاس يوماً تختنق فيه أنفاس المشركين، وتضيق فيه صدور الكافرين، وتجف فيه قلوب المنافقين، وتضطرب فيه أفئدة الظّالمين، وهم جميعاً يزفّون فيه زفّاً ويساقون سوقاً تكون محالتهم فيه من الرّعب والهلع، والخوف والفزع ... حتّى لتبلغ قلوبهم حناجرهم في خفقها وشدّة إضطرابها، وتكاد أن تسدّ عليهم مجرى النّفَس، وحتّى ليخيّل أنّ القلوب قد شخصت من الصّدور وزالت عن أماكنها، وتعلقت بالحلوق كاظميها، فيرومون ردّها إلى مواضعها من صدورهم، فلاهي ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا.

قال الله تعالى: «يوم ترجف الرّاجفة تتبعها الرّادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة» النّازعات: ٦ـ ٩).

وقال: «ولاتحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لايرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هوآء» إبراهيم٤٢-٤٣).

وقوله سبحانه: «ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» ليس لكلّ من تلبّس بالظّلم في الحياة الدّنيا ومات عليه من المشرك والكافر، من المنافق والفاجر، من المفسدوا لآثم، ومن المستكبر والباغي ... ليس لهؤلاء الفجرة يوم القيامة من صديق مشفق يدفع عنهم أهوال القيامة وعذابها، ولا شفيع مستجاب مطاع يشفع لهم عندالله تعالى.

قال الله عزّوجلّ: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» الزخرف: ٣٩).

وقال: «فذوقوا فما للظّالمين من نصير» فاطر: ٣٧).

وقال: «وما أضلّنا إلّا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» الشّعرآء: ٩٩-١٠١).

وقال: «وقد خاب من حمل ظلماً» طه: ١١١).

وقال: «من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار وما للظّالمين من أنصار» المائدة: ٧٢).

١٩ - (يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصّدور)

إنّ الله تعالى يعلم إستراق نظر كلّ إنسان من ذكر أو انثىٰ إلى مالا يحلّ فضلاً عن أفعال الجوارح، ويعلم بجميع أفعال القلوب، فيعلم ماخانت أعين عباده وما أضمرته قلوبهم، فلا يخفى عليه شيءٌ من أمورهم حتّى ما يحدّث به نفسه ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره وماتنوي ذلك بقلبه من التفكّر في جمال مارآه من المرأة، لايعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله تعالى يعلم بذلك كله، يعلم بأعمال النّاس ونواياهم ويعلم كلّ حركة من حركاتهم خفيها وظاهرها حتّى مايدقّ على المشاهدين ممّا تنطوي عليها الخطات العيون وتخفيه الصّدور من النوايا المريبة، فيعلم مايبدون وما يكتمون لاتخفى عليهم منهم خافية.

قال الله عزّوجلّ: «قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله» آل عمران: ٢٩).

وقال: «ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرّون ومايعلنون إنّه عليم بذات الصّدور» هود: ٥).

وقال: «عالم الغيب والشّهادة الكبير المتعال سوآء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف باللّيل وسارب بالنّهار» الرّعد: ٩- ١٠).

٢٠ - (والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لايقضون بشيٌ إنّ الله هو السّميع البصير)

والله جلّ وعلا يحكم يوم القيامة بين عباده بالقسط والعدل لإستغنآئه عن الظّلم، ويفصل بينهم يومئذ، فيوصل كلّ ذي حقّ إلى حقّه، فلايقضي بشيٌ إلّا وهو حقّه، فإنّ الملك يومئذ لله تعالى وليس الحكم إلّا له جلّ وعلا.

قال الله تعالى: «الملك يومئذ لله يحكم بينهم» الحج: ٥٦).

وقال: «إن الحكم إلّا لله يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين» الأنعام: ٥٧).

وقال: «ولايشرك في حكمه أحداً» الكهف: ٢٦).

وقال: «إنّ ربّك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» الجاثية: ١٧).

وقال: «وقُضِيَ بينهم بالحقّ وهم لايظلمون» الزّمر: ٦٩).
وقال: «وقضيَ بينهم بالقسط وهم لايظلمون» يونس: ٥٤).
وقوله تعالى: «والّذين يدعون من دونه لايقضون بشي ءٍ» والّذين يدعون هؤلآء المشركون ومن انسلك مسالكهم في كلّ ظرف، من دون الله من الأصنام والأوثان، ويعبدون من الطّواغيت في كلّ زمان لايقضون لهم يوم القيامة بشي ءٍ لأنّ الأصنام ... جماد لايدرك ولاسمع ولابصر ... وأنّ الطّواغيت ... يومئذ أذلآء عاجزون لايملكون شيئاً ولايقدرون على شيْ، فضلاً عن القضآء يومئذ، فكيف يكونون هؤلآء شركآء لله جلّ وعلا؟ فآلهتهم المدّعاة لاحكم ولاقضآء ولا شأن لها يومئذ.
قال الله تعالى: «والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر: ١٣ـ ١٤) وقال: «قل أتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرّاً ولا نفعاً» المآئدة: ٧٦).
وقوله تعالى: «إنّ الله هو السّميع العليم» والله وحده يقضي يوم القيامة بين عباده بالحقّ عن علم وخبرة، وعن سمع ورؤية، فلا يظلم أحداً ولاينسى شيئاً لأنّه المالك الّذي يحكم على الإطلاق، فيقضي بين عباده وفق عقآئدهم وأفكارهم، وفق آرآئهم وأقوالهم، و وفق نيّاتهم وأعمالهم ... فيجزي المحسن بإحسانه والمسيئ بإسآئته، لأنّ الله عزّوجلّ سميع بصير جارحة فلايخفى عليه مايدرك بالأسماع من الأصوات ... سميع لكل سي ءٍ، بصير بغير آلة لايخفى عليه مايدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، نافذ بصره إلى كلّ شي ءٍ لاكبصرنا إذ ليس كمثله شيْ وهو مالك السّمع والأبصار.
قال الله تعالى: «أمّن يملك السّمع والأبصار ـ فيسقولون الله فقل أفلا تتّقون» يونس: ٣١).
٢١ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانواهم أشدّ منهم قوّة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق)

ما شأن هؤلآء المشركين الفجرة والمكذّبين الكفرة والمجرمين الفسقة؟! أولم يسافروا في الأرض ولم يسيروا في أقطارها فينظروا نظر تفكّر واعتبار كيف كان مآل أمرالّذين كانوا من قبلهم من الامم الماضية الّذين سلكوا سبيلهم في الكفر والطّغيان، في الشّرك والعصيان، وفي الإثم والعدوان ... كانوا تلك الامم السّالفة كعاد وثمود وقوم لوط وفرعون ... أشدّ بطشاً وتمكّناً من هؤلآء الكفرة الفجرة، وأبقىٰ آثاراً في الأرض، فلم تنفعهم شدّة قوّة بدنهم وعظم أجسامهم، وكثرة آثارهم من الحصون العديدة والقلاع المنيعة، والقصور العالية المشيّدة والمصانع الكثيرة والمدائن الحصينة ... إذا جآءهم أمرالله عزّوجلّ وأخذهم أخذ عزيز مقتدر و أهلكهم بسبب ذنوبهم وما أجرموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام ... ولكنّه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا وكذّبوا رسلهم، وماكان لهم من عذاب الله إذ جاءهم من واق يقيهم، فيدفعه عنهم، ولا مانع يمنع من نزوله بهم، ولا حام يحميهم ولا حافظ يحفظهم ... إذ لا واقٍ إلّا الإيمان وصالح العمل، وأمّا الكفر والعصيان فنهايتها إلى الدّمار والنّكال. قال الله تعالى: «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا وأنّ الكافرين لامولى لهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٠ - ١١).

٢٢ - (ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنّه قويّ شديدالعقاب)

ذلك العذاب، وهذا البلآء المهلك الّذي نزل بالأمم الماضية في الحياةالدّنيا قبل هؤلآء الكفرة الفجرة، من إهلاكهم ودمارهم بأنّهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالمعجزات الباهرات والآيات الواضحات الدّالة على حقيقة ماتدعوهم إليه من توحيدالله تعالى والإنتهاء إلى طاعته، فكفروا بالله ورسله وأنكروا آياته، وأبوا أن يطيعوا الله، فاستحقّوا العذاب والهلاك والدّمار في الدّنيا قبل الآخرة، فأخذهم الله بعقوبته، فأهلكهم جزآءً على كفرهم بالله وتكذيبهم برسله ... لأنّ الله تعالى ذوقوّة

بأخذه وقادر على الإنتقام منهم ومن ينسلك مسالكهم بعدهم، فلا يقهره شيْ ولا يغلبه، ولايعجزه شيْ أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه.

قال الله تعالى: «ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيىٰ من حيّ عن بيّنة ـ كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويّ شديد العقاب» الأنفال: ٤٢ و٥٢).

وقال: «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجآءتهم رسلهم بالبيّنات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين» يونس: ١٣).

وقال: «ألم يأتكم نبؤ الّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم لايعلمهم إلّا الله جآئتهم رسلهم بالبيّنات فردّوا أيديهم في أفواهم وقالوا إنّا كفرنا بما أرسلتم به» إبراهيم: ٩).

٢٣ ـ (ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا وسلطان مبين)

وأقسم بالله جلّ وعلا إنّا بعثنا موسىٰ عليه السّلام بآياتنا التّسع من قلب العصاحيّة، وفلق البحر واليد البيضآء والجراد والقمّل والضّفادع والطوفان ونقص الثّمرات وما إليها وبحججنا الظّاهرة ودلالاتنا الواضحة، والسّلطة القاهرة الإلهيّة الّتي أيّد بها فمنعت فرعون أن يقتله ويطفئ نوره.

قال الله تعالى: «وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضآء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنّهم كانوا قوماً فاسقين فلمّا جآئتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحرٌ مبين» النّمل: ١٢ـ ١٣).

وقال: «ولقد مننّا على موسىٰ وهارون ونجّيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين» الصّافات: ١١٤ـ ١١٧).

٢٤ ـ (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذّاب)

إلى فرعون طاغي مصر، وهامان وزيره الباغي، وقارون صاحب الكنوز والأموال، وأكثر النّاس همج، تبع لهم، فقالوا: إنّ موسىٰ عليه السّلام ساحر يفرّق بين النّاس كذّاب، يكذب على الله وفيما يدعو إليه.

قال الله تعالى: «فلمّا جآءهم موسىٰ بآياتنا بيّنات قالوا ماهذا إلّا سحر مفترى وماسمعنا بهذا في آبآئنا الأوّلين۔ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطّين فاجعل لي صرحاً لعليّ أطّلع إلى إله موسىٰ وانّي لأظنّه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحقّ» القصص: ٣٦- ٣٩).

٢٥ ـ (فلمّا جآءهم بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وما كيد الكافرين إلاّ في ضلال)

فلمّا جآء موسىٰ عليه السّلام فرعون وقومه بالكتاب من عندنا، ودعوهم إلى التّوحيد والإيمان بالله تعالى وإلى طاعة الله جلّ وعلا مع إقامة الحجّة الواضحة والبرهان القاطع عليهم بأنّ الله جلّ وعزّ إبتعثه إليهم بالدّعآء إلى ذلك، قال فرعون طاغي مصر وحواشيه الباغية للهمج من النّاس: اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا بالله تعالى مع موسىٰ عليه السّلام من بني إسرائيل وأعيدوا عليهم القتل لتصدّوهم بذلك عن اتباعهم إيّاه وتقطعوا عنه من يعاونه، واستحيوا نسآءهم، واستبقوهنّ للخدمة أو للمحنة والشّهوة فلا تقتلوهنّ، مع أنّ النّسآء في كلّ ظرف أتباع للرّجال وخاصّة الملوك، وليست لهم إرادة مستقلّة ثابتة في أمر الدّين.

وقوله تعالى: «وما كيد الكافرين إلّا في ضلال» وما كيد كلّ مَن تلبّس بالكفر والطّغيان في ظرف إلّا في ضياع وخسران، فيذهب كيده باطلاً وضرره يعود إلى نفسه، وقد كان فرعون طاغي مصرقادة الكافرين «وما كيد فرعون إلّا في تباب» المؤمن: ٣٧) حتّى هلك هو وقومه، ولم يضرّوا موسىٰ عليه السّلام ومن معه شيئاً.

قال الله تعالى: «وأنّ الله موهن كيد الكافرين» الأنفال: ١٨).

وقال: «وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين» الأنبيآء: ٧٠).

وقال: «وإن تصبروا وتتّقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً» آل عمران: ١٢٠).

٢٦ ـ (وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)

وما يستفاد من سياق القصّة أنّه كان بين خواصّ فرعون وحواشيه نظران

متعاكسان في أمر موسىٰ عليه السّلام فطآئفة منهم كانو يحثّونه على قتل موسىٰ: «وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسىٰ وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّل أبنآءهم ونستحيي نسآءهم وإنّا فوقهم قاهرون» الأعراف: ١٢٧) وطآئفة آخرون منهم كانوايمنعونه عن ذلك: «قال للملإحوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين» الشعرآء: ٣٤- ٣٦).

وقال فرعون لهذه الطّآئفة الّذين كانوا يمنعونه من قتل موسىٰ عليه السّلام ويخوّفونه بأن يدعو ربّه، فيهلك هو ومن معه جميعاً: دعوني واتركوني أقتله، وقال لهم تجبّراً وعتوّاً وجرأةً على الله جلّ وعلا: قولوا أنتم لموسىٰ: وليدع ربّه أن يهلكني كما تزعمون، وليستعن به في دفع القتل عن نفسه، فلينجه من يدي، وليخلّصه عن القتل إن قدر على ذلك، فإنّه لايجئ من دعآئه شئ.

هذا هو منطق الطّغيان الغليظ حين أعوزته الحجّة والبرهان، وخاف أن يستعلي عليه الحق بما فيه من قوة وفصاحة، و وضوح ومخاطبة فطرة، إنّي أخاف إن لم أقتل موسى أن يبدّل دينكم، وهو ماتعتقدون من إلهيّتي وعبادتكم لي، ومن إلهيّة آلهتكم وعبادتكم لها، فتتبعوه فتعبدوا إلهه واحداً بدل آلهتكم، أو أن يظهر في أرض مصر، الفساد بأن يتبعه قوم، فيوقع بين الناس شقاقاً وخلافاً، فتعطّل المعايش والمزارع وتعدم المكاسب، فتحتاج إلى أن نقاتلهم، فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر في الأرض الفساد من التّقاتل والتّهايج الّذي يذهب معه الأمن ويهلك النّاس قتلاً وضياعاً كأنّه قال: «إنّي أخاف أن يفسد موسىٰ عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه، أويفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه، فإنّي أخاف فساد دينكم ودنياكم معاً وهو لايخاف إلّا زوال ملكه. وقد جعل فرعون قادة الجبابرة، ظهور ما دعا إليه موسىٰ عليه السّلام وإنتشاره في الأرض واهتدآء النّاس به فساداً، وجعل ما كان هو وقومه عليه من الكفر والطّغيان، والتّكبّر والعصيان، والإنحطاط والتّذلّل لدى الأصنام رشاداً: «وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد» المؤمن: ٢٩) هذه كلمة كلّ طاغية مفسد عن كلّ داعية

مصلح، هذه كلمة الباطل الكالح في وجه الحقّ الجميل، هذه كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر والأفكار في وجه الإيمان الهادي، وهذه كلمة تتكرّر كلّما إلتقى الحقّ والباطل، إلتقى التّوحيد والشّرك ، إلتقى الإيمان والكفر، إلتقى الإخلاص والنّفاق، والتقى الصّلاح والطّغيان ... على توالي الزّمان واختلاف المكان، والقصّة قديمة متكرّرة تعرض بين الحين والحين ... وأمّا موسىٰ عليه السّلام فالتجأ إلى الرّكن الرّكين، والحصن الحصين ولاذ بالجناب الّذي يحمي اللاّئذين ويجير المستجيرين وينصر المستنصرين:

٢٧ ـ (وقال موسىٰ إني عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب)

ولمّا سمع موسىٰ عليه السّلام كلام فرعون وتهديده بالقتل، قال عليه السّلام له وللملئه: أيها القوم المستكبرون! إنّي إعتصمت من أوّل أمري بربّي وربّكم الّذي خلق العالم كلّه ودبّر نواميس الوجود،: «ربّنا الّذي أعطىٰ كلّ شيْ خلقه ثمّ هدىٰ» طه: ٥٠) إلى كماله الرّوحي والجسمي كلاً حسبه، إستجرت ـ من قبل ـ بربّي الّذي خلقني وربّاني، وبربّكم الّذي خلقكم وربّاكم، من شرّ كلّ متكبّر على خالقه، يتكبّر عن توحيده والإقرار بألوهيّته وربوبيّته، يتكبّر عن طاعته والإنقياد له، يتكبّر عمّا جآء به رسوله وعن الإيمان به، ويتكبّر عن قبول الحقّ ويتذلّل لدى الباطل...

من شرّ من يتكبّر على الخالق المتعال، ويخضع بين يدي المخلوق الجامد الضئيل، من شرّ من يتعظّم على صانعه ولايتّخذه معبوداً له، وهو يتّخذ مصنوعه آلهة يعبدها... أو ليس من نهاية الإنحطاط والذّلّة أن لايؤمن الإنسان بمثله رسولاً من الله جلّ وعلا، وهو يتّخذ المخلوق الجامد المصنوع إلهاً يعبده؟

من شرّ من لايؤمن بيوم يحاسب الله تعالى فيه خلقه بما عمل في الحياة الدّنيا، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيْ بإسآئته.

هذه كلمة قالها موسىٰ عليه السّلام في وجه قادة الجبّارين وحواشيه السّفاكين، على طمأنينته، وتسليم أمره إلى المستعلي على كلّ متكبّر القاهر لكلّ متجبّر، القادر

على حماية العآئذين به من المستكبرين.

ولعمري إنّ في المقام درساً للدّعاةوالمصلحين، والعلمآء والمبلّغين، وإتمام حجّة عليهم في كلّ ظرف، وأنّ لي في المقام تجربة ، فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ولا تغفل وقد تمّت عليك الحجّة.

إن تَسئل: إنّ موسىٰ عليه السّلام كان رسولاً نبيّاً ذا يد بيضآء ...؟

تُسئل: فما تقول في مؤمن آل فرعون؟ إلّا أن تقول: إنّه كان رجلاً مؤمناً ولست كذلك.

٢٨ ـ (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم إن الله لايهدي من هومسرف كذّاب)

ولمّا عزم فرعون قتل موسىٰ عليه السّلام وعظه وملئه رجل قبطيّ مؤمن بموسىٰ عليه السّلام من أقارب فرعون وخاصّته يكتم إيمانه قبل أو ان إظهاره وقال لهم: يا قوم! أتقتلون أنتم رجلاً لأجل أن يقول ربّي الله تعالى وليس ربّ سواه وهو خالق الكون ومدبّره، وهو وحده خالق الخلق ورازقه، وهو أرسلني إليكم، وقد جآءكم بما يدلّ على صدق قوله من الحجج الواضحة، والبراهين القاطعة والشّواهد الظّاهرة والمعجزات الباهرة الّتي تثبت بها الرّسالة تلازم كلّ نبيّ إلهيّ مثل عصآئه الغرّآء، ويده البيضآء وما إليها من الآيات التّسع ...؟!

قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسىٰ تسع آيات بيّنات فسئل بني إسرائيل إذ جآءهم فقال له فرعون إنّي لاظنّك يا موسىٰ مسحوراً قال لقد علمت ما أنزل هؤلآء إلّا ربّ السّموات والأرض بصآئر وإنّي لأظنّك يا فرعون مثبوراً» الأسرآء: ١٠١-١٠٢).

ثمّ احتجّ الرّجل المؤمن البطل على فرعون وملئه بالتّقسيم العقلي: أنّ موسىٰ عليه السّلام لايخلو من أن يكون إمّا كاذباً أو صادقاً، وإن يك كاذباً في قوله فعلى نفسه وبال كذبه، فيفتضح به لامحالة ويعاقبه الله عليه، وإن يك صادقاً في قوله وكذّبتموه

يصيبكم بعض الّذي يعدكم به من العذاب عاجلاً قبل الآخرة.

وقوله: «إنّ الله لايهدي» لايرشد إلى دينه ولا إلى جنّته وثوابه ولا يوفّق مَن هو مسرف على نفسه، متجاوز عن الحدّ في المعصية والطّغيان، مقيم على الآثام متكثّر منها، كذّاب على ربّه، بل يخزيه ويفضحه في الحياة الدّنيا قبل الآخرة، بل هو يفضح نفسه بنفسه لأنّه يقف دائماً على شفير الهاوية.

٢٩ ـ (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جآئنا قال فرعون ما أُريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّاسبيل الرّشاد)

ثمّ أخذ الرّجل المؤمن البطل بنصيحة فرعون وملئه، وذكّرهم نعمة الله تعالى عليهم وخوّفهم زوالها، فقال: يا قَوْمي ـ تلطّفاً ـ لكم السّطوة والملك اليوم حالكونكم غالبين على أرض مصر، قاهرين على أهلها، وعالين على بني إسرآئيل فاشكروا الله على ذلك لأنّكم الآن في قوّة ومناعة، ولكم الحكم والطّاعة ... فاتّقواالله وآمنوا برسوله، فإن كذّبنا موسىٰ عليه السّلام فهل تأمنون على أنفسكم من غضب الله وضرباته، ومن تقلّب الدّهر ونكباته ... وإن جآئنا بسبب تكذيبنا إيّاه بعض ما وعدنا به فمن يدفع عنّا بأس الله؟ ومن يمنع سطوته إن حلّ بنا؟ ومن يخلصنا من عقوبته فلاتفسدوا أمركم ولا تباهوا عيشكم، ولاتتعرّضوا لبأس الله بقتل موسىٰ عليه السّلام.

قال فرعون ـ وقد علم ظهور حجّة موسىٰ عليه السّلام ـ مجيباً للرّجل المؤمن النّاصح النّاهي عن قتل موسىٰ عليه السّلام: ما أريكم أيّها الملأ من الرّأي والنّصيحة إلّا ما أرى لنفسي ولكم، وما أشير عليكم إلّا بما أراه من قبله خيراً وصلاحاً وصواباً لي ولكم، وما أعلمكم من الصّواب ولا أسرّ خلاف ما أظهره، وما أهديكم بهذا الرّأي إلّا طريق الحقّ والسّداد، ولا أدعوكم في الإيمان بي والعبادة لي إلّا إلى الرّشاد، ولا أدعوكم في أمر موسىٰ وتكذيبه وقتله حسماً للفتنة الثّآئرة إلّا إلى صلاح دينكم ودنياكم، فإنكم إن لم تقتلوه بدّل دينكم وأظهر في أرضكم الفساد لايمكن إصلاحها بعد.

وقد كان فرعون طاغي مصر كاذباً في قوله لأنّه كان مستشعراً للخوف الشّديد من جهة موسىٰ عليه السّلام ولكنّه كان يتجلّد، وهذا دأب سياسيّ، وشعار شيطانيّ يتظاهر به كلّ مستكبر طاغ في كلّ ظرف لاواقع له، لاينبغي للدّعاة والمصلحين أن يخافوا.

٣٠ ـ (وقال الّذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)

وقال الّذي آمن بموسىٰ عليه السّلام ناصحاً لفرعون وملئه: يا قوم! إنّي أخاف عليكم ـ بقتلكم موسىٰ إن قتلتموه ـ عذاباً مثل عذاب يوم الأحزاب الّذين تحزّبوا على رسل الله: نوح وهود وصالح ... فأهلكهم الله لكفرهم وتكذيبهم الرّسل وبتجرّئهم عليهم، فيهلككم كما أهلكهم واحداً بعد واحد.

قال الله تعالى: «كذّبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون والأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب إن كلّ إلّا كذّب الرّسل فحقّ عقاب» ص: ١٣ـ ١٤).

وقال: «كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب» المؤمن: ٥).

٣١ ـ (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد)

قال الرّجل المؤمن البطل لفرعون وملئه ـ من دون خوف ـ: إنّي أخاف عليكم مثل سنّة الله جلّ وعلا في قوم نوح وهود وصالح، ومثل سنّة الّذين من بعد هم من قوم إبراهيم وقوم لوط، وهم أيضاً من الأحزاب إذ أهلكهم الله واستأصلهم جزآءً على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، وخلافهم أمره، فحذارِ حذارِ أيّها القوم! إنّي لكم ناصح أمين، وما أهلك الله أولئك الأحزاب من تلك الأمم الماضية ظلماً منه سبحانه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه لأنّ الله عزّوجلّ لايريد ظلم عباده ولا يشآؤه، ولكنّه أهلكهم بكفرهم وسوء أفعالهم وعظيم ما اجترحوا من الآثام والمعاصي، فكان تدميرهم عدلاً وقسطاً منه إذ استوجبوه بأعمالهم ... فلايعاقب

أحد بدون ذنب، ولا يخطي ظالم بغير انتقام.

قال الله تعالى: «ذلك بما قدّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إنّ الله قويّ شديدالعقاب» الأنفال: ٥١- ٥٢).

وقال: «إنّ الله لايظلم مثقال ذرّة» النسآء:٤٠).

وقال: «ولا يظلم ربّك أحداً» الكهف: ٤٩).

وقال:«إنّ الله لايظلم النّاس شيئاً ولكنّ النّاس أنفسهم يظلمون» يونس:٤٤).

٣٢ـ (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التّناد)

وقال الرّجل المؤمن البطل لفرعون وملئه: يا قوم إنّي أخاف عليكم بقتلكم موسىٰ عليه السّلام إن قتلتموه عقاب الله تعالى يوم التّناد، يوم ينادي «أصحاب الجنّة أصحاب النّار أن قد وجدنا ماوعدنا ربّنا حقّاً فهل وجدتم ماوعد ربّكم حقّاً قالوا نعم فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون» الأعراف: ٤٤- ٤٥).

قال الله تعالى: «إنّ الّذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون» المؤمن: ١٠).

وتنادي الملائكة وأصحاب الأعراف أصحاب الجنّة بالبشارة والسّلام: «ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنّة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون» الأعراف:٤٣- ٤٦).

ويوم ينادي أصحاب الأعراف المستكبرين: «ونادىٰ أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنىٰ عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون» الأعراف: ٤٨).

٣٣ـ (يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد)

أيّها القوم! يوم التّناد هو يوم تولّون أنتم يومئذ هاربين حذار عذاب الله تعالى وعقابه عند معاينتكم نار جهنّم، وسماع زفيرها وشهيق نارها.

قال الله تعالى: «كلاّ إنّها لظىٰ نزّاعة للشّوىٰ تدعوا من أدبرو تولّىٰ» المعارج: ١٥-١٧).

مالكم أيّها القوم من الله يومئذ مانع يمنع عنكم هذا العذاب، ولا عاصم يعصمكم من بأسه: «قل من ذالّذي يعصمكم من الله إن أرادبكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليّاً ولا نصيراً» الأحزاب: ١٧) «استجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير» الزّمر: ٤٧) من اختار الكفر والضّلالة بسوء إختياره، وأصرّ على الشّرك والجناية باتباع نفسه بعد الإنذار والبيان يذره الله تعالى في طغيانه ولايوفقه رشده.

قال الله تعالى: «فبأيّ حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون» الأعراف: ١٨٦).

٣٤ - (ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شكّ ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هومسرف مرتاب)

قال الرّجل المؤمن البطل لفرعون وملئه: وأقسم بالله جلّ وعلا لقد جآءكم-آبآءكم- المصريّين القبطيين يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، إذ بعثه الله تعالى رسولاً إلى القبط من قبل موسىٰ عليه السّلام بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة لا تدع ريباً في رسالته من الله تعالى، فمازلتم في ريب مما جآءكم به يوسف من الدّين مادام حيّاً حتّى إذا مات يوسف، قلتم من دون دليل ولابرهان: لن يبعث الله من بعد موته رسولاً آخر، فأقمتم على الكفر والطّغيان، وظننتم أنّ الله لايجدّد لكم ايجاب الحجّة، وقد قلتم هذه المقالة الخبيثة، وناقضتم أنفسكم ولم تبالوا ليكون لكم أساس في تكذيب مَن بعده أولم يكن هذا إقراراً منهم برسالته، بل هوضمّ إلى الشّك في رسالته، التّكذيب برسالة مَن بعده.

وقد نسب تكذيب الآبآء إلى أبنآءهم لأنّ الأمم متكافلة فما بينها، فينسب ماحدث من بعضها إلى جميعها إذا تواطئوا واتّفقوا عليه كما جآء في قصص ثمود حين عقر قُدار النّاقة، فنسب العقر إلى ثمود جميعها: «كذّبت ثمود بطغواها إذا نبعث

أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسُقْيٰها فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها» الشّمس: ١١- ١٤).

فالتّكذيب متوارث والعناد قديم، والرّيب دأب آبآئكم الغابرين، كذلك أنتم تشكّون في نبوة موسىٰ عليه السّلام شكّ آبآؤكم في نبوّة يوسف قبلكم.

وقد كان ليوسف عليه السّلام شأن وذكر في الحياة المصرية، وقد رأى القوم من آياته ماسمّوه من أجلها صدّيقاً، فيقول له صاحب السّجن: «يوسف أيّها الصّدّيق» يوسف: ٤٦) ثمّ يرى منه فرعون والقوم معه هذه المعجزة الّتي كشف بها عن حلم فرعون، والّتي قرأ عليهم فيها من صحف الغيب ماسيطلع عليهم من أحداث ... ثمّ رأوا منه هٰذه الآيات المعجزة في هذا التّدبير المحكم الّذي ساس به البلاد، وقادبه سفينتها إلىٰ شاطئ الأمن والسّلام وهي في متلاطم الأمواج العاتية، وقد كانت وشيكة أن يبتلعها اليمّ ...

ذلك هو يوسف وتلك هي آياته البيّنات الّتي رآها آبآؤهم منه، ومع هذا فقد كانوا في ريب من أمره بين مصدّق بدينه الّذي كان يدعوهم إليه من كلمة التّوحيد وتوحيد الكلمة ومن الطّاعة والعبادة لله وحده وبين مكذّب متّهم له فيما عنده من علم لايتجاوز به في تقديرهم أن يكون ساحراً عليماً ... وهكذا يمضي القوم مع يوسف النّبيّ عليه السّلام حتّى يهلك دون أن يجتمعوا على رأي فيه، فلمّا هلك يوسف، وأفلت من أيديهم هذا الخير الّذي كان ينبغي لهم أن ينالوه على يديه، تطلعوا إلى هذه الشّمس الغاربة من أفقهم في أسًى وحسرة ... وانتظروا أن تطلع عليهم شمس أخرى في صورة يوسف جديد، فلمّا طال إنتظارهم جيلاً بعد جيل، إستيأسوا وصرفوا أبصارهم عن ترقبه، وقالوا في يأس وحسرة: «لن يبعث الله من بعده رسولاً»!

وها هوذا قدجآء الرّسول الّذي كانوا يتطلعون إليه، أفلا يرون في موسى وجهاً كوجه يوسف فيما يدعو إليه من عبادة إله واحد، وفيما بين يديه من آيات بيّنات؟ وأيقفون من موسى موقف الشّك والإرتياب الّذي وقفه آبآؤهم من يوسف؟ ثمّ هل

ينتظرون رسولاً آخر بعد أن يمضي موسى؟ ذلك هو الواقع الّذي هم فيه الآن، فماذا هم فاعلون؟ وإلى أيّ متجّه يتّجهون؟ أ إلى الشكّ والإرتياب؟ أم إلى التّصديق والإيمان؟ ذلك لهم ولهم مايشتهون!

وقوله: «كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب» مثل ما حكم الله تعالى بضلال أولئك بسبب إسرافهم في التّجاوز عن الحدّ، وإرتيابهم في الدّين الحقّ، يحكم بضلال كلّ مسرف على نفسه بإرتكاب المعاصي والآثام، شاكّ في الدّين الحقّ وفي نبوّة الأنبيآء وفيما شهدت به البيّنات فيسلمه الله تعالى إلى إرتيابه، ويتركه في ظلماته...

۳٥ ـ (الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عندالله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار)

قال الرّجل المؤمن البطل ناصحاً لفرعون وملئه: الّذين يجادلون في إبطال آيات الله الظّاهرة ودفع حججه الواضحة، وردّ براهينة القاطعة الّتي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل بغير حجّة ولابرهان أتاهم، كبر ذلك الجدال بغضاً وعداوة عندالله تعالى وعندالّذين آمنوا بالله وملائكته ورسله وباليوم الآخر، فإنّ المؤمنين يكرهون أشدّ الكره من يعاند الحقّ ويخاصم أهله، ويجادل بالباطل.

قال الله تعالى: «ويجادل الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ واتّخذوا آياتي وما انذروا هزواً» الكهف: ٥٦).

وقوله: «كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار» كما طبع الله تعالى على قلوب المسرفين المرتابين الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر على الله أن يوحّد ويصدّق رسله، متعظّم عن اتباع الحق، حتّى لايعقل الرّشاد ولايقبل الحقّ، فإنّ العتوّ والتّكبّر من حيث هو يمرض القلوب ويعمي البصيرة، وأنتم أيّها القوم جادلتم وخاصمتم في ردّ آيات الله ودفع حججه مثلهم فاستحققتم ذلك. وقد نسب التّكبّر إلى القلب لأنّ القلب إذا تكبّر تكبّر صاحبه، وأنّ التكبّر ناش عن القلب، فيظهر على الوجه كما قال تعالى: «فظلت

أعناقهم» الشعراء: ٤) لأنّ الأعناق إذا خضعت خضع صاحبها، وتكبّر القلب قسوته، وإذا قسى القلب كان معه ترك الطّاعة.

٣٦ ـ (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب)

ولمّا سمع فرعون كلام الرّجل المؤمن البطل ونصآئحه وزجره عن قتل موسى عليه السّلام وخاف أن يتمكّن الكلام في قلوب قومه أوهم أنّه يمتحن ماجآء به موسى عليه السّلام من التّوحيد، فإن بانَ له صوابه يخفه عنهم، وإن لم يصحّ ثبّتهم على دينهم، فأمرو زيره وصاحب أمره هامان، وقال له: إبن لي بناءً عالياً ظاهراً رفيع العمار أرفع من الجبل العالي لايخفى على عين ناظر وإن بعد، لعليّ أبلغ الأسباب ...

٣٧ ـ (أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسىٰ وإنّي لأظنّه كاذباً وكذلك زيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل وماكيد فرعون إلّا في تباب)

لعلّي أبلغ من أسباب السّموات أسباباً أصعد بهاإلى أبواب السّموات وطرقها فأطلع هناك إلى إله موسى الّذي يزعم أنّه في السّمآء أرسله إليّ، فأنظر إليه نظر مشرف عليه فتوهّم فرعون طاغي مصر أنّ الخالق المتعال كفرعون المخلوق الضئيل جسم تحويه الأماكن وكان فرعون يدّعي الالوهيّة ويرى تحقيقها بالجلوس في مكان مشرف، وقال لقومه: إنّي أظنّ موسى كاذباً فيما يدّعي من أنّ له في السّمآء ربّاً أرسله إلينا.

قال الله تعالى: «وقال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطّين فاجعل لي صرحاً لعليّ أطّلع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه من الكاذبين» القصص: ٣٨).

وقوله تعالى: «وكذلك زيّن لفرعون سوء عمله» ومثل مازيّن لهؤلآء الكفّار والمشركين، والفجّار والمجرمين، والفسّاق والمتكبّرين سوء أعمالهم زيّن لفرعون حين عتا وتمرّد، قبيح عمله من الشّرك والتّكذيب حتّى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السّموات ليطّلع إلى إله موسى عليه السّلام فزيّن له الشّيطان كما زيّن لهم.

قال الله تعالى: «وإذ زيّن لهم الشّيطان أعمالهم» الأنفال:٤٨).

وقوله تعالى: «وصدّ عن السّبيل» عن طريق الحقّ والهدىٰ، فأجذبه الشّيطان إلى نفسه فينكر جذبة الحقّ لتباعده عنها كما هوحال من إنجذب جذبة الشّيطان يبتعد عن حذبة الرّحمان فينكرها بالتّمام، فيفرح بما فيها ومن المحتمل أنّ فرعون لخبث سريرته تغافل عن الدّليل وكان يلقي إلى الجّهال ومردته:أنّه لما كان لاطريق إلى الإحساس بهذا إلاله وجب نفيه.

قال الله عزّوجلّ: «وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل» العنكبوت: ٣٨).

وقال: «بل زيّن للذين كفروا مكرهم وصُدّواعن السّبيل» الرّعد: ٣٣).

وقال: «إنّ الّذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلّوا ضلالاً بعيداً» النّسآء: ١٦٧).

وقوله عزّوجلّ: «وماكيد فرعون إلّا في تباب» وما احتيال فرعون طاغي مصر الّذي كان يحتال للإطّلاع إلى إله موسىٰ إلّا في خسار وذهاب مال وغبن إذ ذهبت نفقته الّتي أنفقها على الصّرح باطلاً، ولم ينل بما أنفق شيئاً ممّا أراده فذلك هوالخسار والضياع والفساد.

قال الله تعالى: «وأنّ الله موهن كيد الكافرين» الأنفال: ١٨).

٣٨ ـ (وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرّشاد)

لقد كشف الرّجل المؤمن البطل عن حاله بعد إتمام الحجّة على فرعون طاغي مصر وملئه، وأعلن ماكان يخفيه من إيمانه بموسى عليه السّلام، فيلقى النّاس في مجلس فرعون وخارجه مواجهة بالدّين الّذي دان به، ويحاجّهم بمنطق الحقّ الّذي استقام عليه، فأخذ بدعوتهم إلى إتباعه، فإنّ اتباعه هو اتباع موسىٰ عليه السّلام، واتباع موسىٰ عليه السّلام، هو اتباع الله جلّ وعلا: يا قوم اتّبعوني واقتدوا بي في الدّين لأنّني أهدكم بالأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة، طريق الحق والهدىٰ، طريق الخير و الصّواب، وطريق الصّلاح و الكمال ... وهو الإيمان بالله عزّوجلّ وتوحيده، والعبادة لله تعالى

وحده والإقرار برسالة موسى عليه السّلام، والعمل بماجآء كم به.

الرّشاد: ضدّ الغيّ والضّلال، وسبيل الرّشاد هو سبيل يصيب الإنسان في سلوكه الحقّ ويظفر بالسّعادة: «والسّلام على من اتّبع الهدىٰ» طه: ٤٧).

٣٩ ـ (يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دار القرار)

ينصح الرّجل المؤمن البطل لقومه ويقول: يا قوم! ماهذه الحياة الدّنيا العاجلة عجلت لكم في هذه الدّار إلّا متاع كمتاع البيت لايبقى، تستمتعون بها إلى أجل قريب تمتّعاً يسيراً وأيّاماً قلائل لسرعة زوالها، فأنتم بالغوه فتتركونها عند الموت إن لم يزل نعيمها قبل ذلك، ثمّ تنقطع وتزول عنكم، فلا تغترّوا بالدّنيا الفانية ولا تؤثروها على الدّار الباقية.

قال الله تعالى: «وما هذه الحياة الدّنيا إلّا لهو ولعب وإنّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعملون» العنكبوت: ٦٤).

وقال: «ماعندكم يَنْفَدُو ماعندالله باقٍ» النّحل: ٩٦).

وقوله: «وإنّ الآخرة هي دار القرار» هي دارالخلود والبقآء والإقامة الّتي تستبقّرون فيها لاتحويل ولا إنتقال منها، ولا ظعن عنها إلى غيرها أبداً، فلا تموتون ولا تزول عنكم فلها فاعملوا وإيّاها فاطلبوا، فإنّ الدّنيا مقدّمة مقصودة لأجلها، وذلك أنّ الدّنيا لم تخلق لذاتها بل تكون وسيلة إلى تحصيل نشأة اخرى وذريعة إليها، فلابدّ من انقطاعها ومصيرها البوار. وأمّا الدّار الآخرة فهي دآئمة باقية مصونة عن الإنقطاع والإنقضاء والزّوال، آمنة من الانقراض واستحالة الأحوال لأنّها خلقت لذاتها لالشيّ آخر فهي محلّ الإقامة ودارالقرار، تستقرّ فيها الخلائق، تستقر الجنّة بأهلها، وتستقرالنّار بأهلها.

قال الله تعالى: «أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً ـ والّذين يقولون ربّنا اصرف عنّا عذاب جهنّم إنّ عذابها كان غراماً إنّها سآئت مستقرّاً ومقاماً» الفرقان: ٢٤ و٦٦).

٤٠ ـ (من عمل سيّئة فلايجزىٰ إلّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن

فاولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغيرحساب)

من عمل معصية إعتقاداً أو قولاً أو عملاً من الشّرك والطّغيان، والكذب والعدوان في الحياة الدّنيا ومات عليها فلايجزىٰ في الدّار الآخرة إلّا مقدار مايستحقّه عليها من العقاب ولايعذّب إلّا بقدرها لا أكثر من ذلك لأنّ الله عزّوجلّ عادل في الحكم والجزآء بين عباده.

قال الله تعالى: «وجزآء سيئة سيّئة مثلها» الشورى: ٤٠).

وقال: «ومن جآء بالسّيّئة فلا يجزىٰ إلّا مثلها وهم لايظلمون» الأنعام: ١٦٠).

وقال: «ومن جآء بالسّيّئة فكبّت وجوههم في النّار هل تجزون إلّا ماكنتم تعملون» النّمل: ٩٠).

وقال: «ولا تستوي الحسنة ولا السّيّئة» فصّلت:٣٤).

وقال: «أم حسب الّذين اجترحوا السّيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات سوآء محياهم ومماتهم سآء مايحكمون» الجاثية: ٢١).

وقوله: «ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ ...» ومن عمل صالحاً في الحياة الدّنيا من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن بالله تعالى وأنبيآئه ورسله وكتبه وباليوم الآخر ومات على ذلك فأُولئك يدخلون الجنّة جزآءً على إيمانهم وصالح أعمالهم، ويتمتّعون بنعيمها بلا تقدير ولا موازنته للعمل، يرزقون فيها بغير حساب زيادة على مايستحقونه تفضّلاً من الله عزّ وجلّ.

قال الله تعالى: «فأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فيوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله» النّسآء: ١٧٣).

وقال: «للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة» يونس: ٢٦).

فقال: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النّحل: ٩٧).

وقال: «من آمَنَ وعمل صالحاً فاولئك لهم جزآء الضّعف بما عملوا» سبأ: ٣٧).

وقال: «رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولابيع عن ذكر الله وإقام الصّلاة وإيتآء الزّكاة

يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشآء بغير حساب» النور: ٣٧ـ ٣٨).

وقال: «قل يا عبادالّذين آمنوا اتّقوا ربّكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب» الزّمر: ١٠).

فالمؤمن حقّاً لايلق جزآء حسنته بمثلها فحسب، بل يضاعف له لجزآء الحسن أضعافاً مضاعفة بدون حساب ولا انقضآءٍ ولا نفاد نعمة، فالجنّة الّتي يجزئ بها أهل الحقّ والإيمان، وأهل التّقوىٰ والإحسان لايقدر لها ثمن، ولايبلغها إحسان محسن، وإنّما هي فضل من فضل الله جلّ وعلا، ورحمة من رحمته الخاصّة، إذ ليس بين المحبّ والمحبوب حساب.

ولا يبعد أن يكون جعل العمل عمدة والإيمان حالاً للدّلالة على أنّه شرط في إعتبار العمل وأنّ ثوابه أعلى من ذلك.

٤١ ـ (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة وتدعونني إلى النّار)

وقال الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون ناصحاً لقومه، إظهاراً لهم إيمانه، وبراءة من فعلهم: يا قوم! أخبروني عن أحوالكم كيف أنتم؟ كيف هذه الحال حالكم؟ أدعوكم إلى سبب النّجاة من الإنحطاط، إلى سبب الخلاص من نقمة الله تعالى وغضبه عليكم في الحياة الدّنيا، وأدعوكم إلى سبب النّجاة من عذاب الله جلّ وعلا وعقوبته في الآخرة وأنتم تدعونني إلى سبب الإنحطاط والهلاك، إلى سبب نقمة الله وغضبه في الدّنيا، وإلى سبب عذب الله وعقوبته في الآخرة؟ أدعوكم إلى طريق الإيمان الموصل إلى الجنان، وأنتم تدعونني إلى طريق الكفر الموجب للنّيران؟ أدعوكم إلى التّوحيد والإيمان بالله تعالى واتباع رسوله و تصديقه فيما جآءكم به من عند ربّه والعمل به، وصالح الأعمال وإخلاص العبادة لله تعالى كلّ ذلك يوجب دخول الجنّة وخلودها، وأنتم تدعونني إلى الشّرك والكفر وتكذيب الرّسول وفساد الأعمال والعبادة للأوثان والطّواغيت ... كلّ ذلك يوجب دخول النّار وخلودها.

أدعوكم إلى الحقّ والهدىٰ، إلى النّور والصّلاح، وإلى الخير والفلاح ... وأنتم

تدعونني إلى الباطل والضّلالة، إلى الظّلمة والفساد وإلى الشّرّ والخسران، وإلى البغي واتباع فرعون ... وأنتم الآن تستطيعون أن تستدركوا ما مضىٰ منكم: من الشّرك والطّغيان، وتكذيب الرّسول والعدوان، ومن البغي والعصيان ... فتنجوا من الهلاك والدّمار، ومن العذاب والنّار ... بخطوة واحدة وهي التّوبة، فعليكم أن تنتهزوا الفرصة وإلاّ فصيركم إلى الدّمار والنّار.

الدّعوة: طلب الدّاعي الفعل من غيره، فالمحقّ يدعو النّاس إلى التّوحيد والإيمان بالله جلّ وعلا ورسوله، إلى عبادة الله تعالى واخلاص طاعته، وإلى كلّ ما أمر الله عزّ وجلّ به أو نهىٰ عنه، وأمّا المبطل يدعو النّاس إلى الشّرك والكفر بالله سبحانه، وإلى تكذيب الرّسول وعبادة الطّاغوت، وإلى الشّرّ والعصيان ... سوآء أيدري المدعوّ ذلك أم لا؟

من دعا إلى سبب الشّيْ فقد دعا إليه، ومَن صرف عن سبب الشّيْ فقد صرف عنه، فمن صرف عن معصية الله فقد صرف عن النّار، ومن دعا إليها فقد دعا إلى النّار، فجعل الدّعوة إلى السّببين دعوة إلى المسبّبين.

قال الله تعالى: «اولئك يدعون إلى النّار والله يدعوا إلى الجنّة والمغفرة بإذنه» البقرة: ٢٢١).

وقال: «ومالكم لا تؤمنون بالله والرّسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم» الحديد: ٨).

وقال: «قل هذه سبلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يوسف: ١٠٨).

وقال: «يا أيّها الّذين آمنوا إستجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم» الأنفال: ٢٤).

وقال: «إنّ الشّيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السّعير» فاطر: ٦).

٤٢ ـ (تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار)

قال الرّجل المؤمن البطل لقومه: أتدعونني إلى أن أكفر بالله الواحد الأحد، وأُشرك به سبحانه، وأن أعبد مع الله آلهة أخرىٰ لا أعلم لها حقيقة يطمئنّ إليها

العقل، ويستسيغها المنطق؟! أ أُشرك بالله سبحانه مالا يمكن به حصول العلم لي ولالغيري إذ لايمكن قيام دليل ولاحجة ولا برهان على اثبات الشّريك له سبحانه عقلاً ولا نقلاً؟! فكيف أُشرك بالله سبحانه ما ليس بإلهٍ؟ فأفتري على الله بغير علم؟ وما ليس كيف يصحّ أن يعلم إلهاً؟ سوآء أكان هو فرعون طاغي مصر أم غيره من الآلهة المصنوعة مع حصول العلم ببطلانه، فلا يصحّ أن يعلم له شريك، ومالا يصحّ أن يعلم فهو باطل. فدلّ المؤمن على فساد اعتقاد قومه للشّريك من هذه الجهة شتّان بين الدّعوتين: دعوة الرّجل المؤمن لهم واضحة مستقيمة يدعوالهم إلى العزيز الغفّار، يدعوهم إلى إله واحد تشهد آثاره في الكون بوحدانيته وربوبيته، وكمال علمه وسعة رحمته، ونهاية قدرته وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتدبيره يدعوهم إليه ليغفرلهم بفضله ورحمته، وهم يدعونه إلى الكفر والشّرك والطّغيان ....

قال الله تعالى: «إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعملون» يونس: ٦٨).

وقال: «مالهم به من علم ولا لآبآئهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذباً» الكهف: ٥).

وقال: «ويعبدون من دون الله مالم ينزّل به سلطاناً وما ليس لهم به علم» الحجّ: ٧١).

وأنا أدعوكم أيّها الكفّار والمشركون إلى الذّات الواحد الأحد الّذي يقوم على هذا الوجود، ويمسك كلّ ذرّة منه حفظاً وعلماً، أدعوكم إلى الإيمان بالله تعالى والإسلام له وحده فكلّ ماسواه فهو باطل، ولا يصحّ الإعتقاد بالالوهية إلّا عن إيقان، هو القادر الّذي لايقهر ولايُمنع، الغالب على أمره ولا يغلب، الّذي تذلّ لعزّته الجبابرة، فينتقم من كلّ جبّار عنيد، الغافر الّذي يغفر لذنوب المسيئين إذا تابوا إليه عن كفرهم ومعصيتهم تفضّلاً منه على خلقه، ويقبل توبتهم إذا رجعوا إليه و وجّهوا إليه وجوههم ...

قال الله تعالى: «إنّ الّذين كفرَوا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز

ذوانتقام» آل عمران: ٤).

وقال: «قل يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم» الزّمر: ٥٣).

وقال: «غافر الذّنب وقابل التّوب شديدالعقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير» المؤمن: ٣).

وقال: «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدىٰ» طه: ٨٢).

وقال: «والّذين عملوا السّيّئات ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم» الأعراف: ١٥٣).

وقال: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ماقد سلف» الأنفال: ٣٨).

٤٣ - (لاجرم أنّما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة وأنّ مردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النّار)

قال الرّجل المؤمن البطل لقومه المستكبرين: حقّاً مقطوعاً به أنّ الّذي تدعونني إليه من تلك الآلهة الموهومة لأعبده ليس له دعوة إلى نفسه قطّ إذ من حقّ المعبود بالحقّ أن يدعو العباد إلى طاعته: «له دعوة الحقّ» الرّعد: ١٤) «ومالكم لا تؤمنون بالله والرّسول يدعوكم لتؤمنوا بربّكم» الحديد: ٨) وما تدعون إلى عبادته لايدعو هو إلى ذلك، ولا يدّعي الرّبوبيّة، فكيف تدعونني إلى عبادة مالا يدعو أحداً إلى ذلك، فإنّه لا يبصر ولا يسمع ولاحقّ له ولا يدعو إليه، فهذا جهالة، لا أتبعها، مع أن ليس لأحد من تلك الآلهة المصنوعة أن يجيب دعوة من يدعوه لأنّه جماد لاينطق ولايفهم شيئاً، فلاينفعه ولايضرّه شيئاً في الحياة الدّنيا ولا في الدّارالآخرة.

قال الله تعالى: «إن تدعوهم لايسمعوا دعآءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم» فاطر: ١٤).

وقال: «من أضلّ ممّن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعآئهم غافلون» الأحقاف: ٥).

وقال: «ويوم يقول نادوا شركآئي الّذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم»

الكهف: ٥٢) وأنّ مرجعنا ومنقلبنا بعدالموت والبعث إلى الله تعالى للحساب والجزآء فيومئذ يجازي كلاً بما يستحقّه من خير أو شرّ، من حقّ أو باطل، من إيمان أو كفر، ومن طاعة أو طغيان ... وأنّ الّذين أسرفوا في العقآئد والأقوال والأعمال ... هم أصحاب النّار وملازموها.

قال الله تعالى: «واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثمّ توفّىٰ كلّ نفس ما كسبت وهم لايظلمون» البقرة: ٢٨١).

وقال: «ومن أعرض عن ذكري فانّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمىٰ قال ربّ لِمَ حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسىٰ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقىٰ» طه: ١٢٤- ١٢٧).

٤٤ - (فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)

قال الرّجل المؤمن البطل لفرعون طاغي مصر ولملئهالمستكبرين- من دون خوف منهم-: فستذكرون أيّها القوم عند معاينة عذاب الله تعالى قد حلّ بكم، وما لقيتموه لقيتم صدق ما أدعوكم إليه من الإيمان بالله الواحد العزيز الغفّار، وبطلان ماتدعونني إليه من الشّرك والطّغيان ... وستعلمون صحّة ما أقول لكم اليوم من النّصيحة وستعلمون عندئذ علم اليقين حقيقة ما أُخبركم به من أنّ المسرفين- وأنتم منهم- هم أصحاب النّار.

قال الله تعالى: «فستعلمون من أصحاب الصّراط السّويّ ومن اهتدىٰ» طه: ١٣٥) .

وقال: «فستعلمون من هو في ضلال مبين» الملك: ٢٩).

وقال: «يوم يتذكّر الإنسان ما سعىٰ وبرّزت الجحيم لمن يرىٰ» النّازعات: ٣٥-٣٦).

وقال: «وجيئ يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكّر الإنسان وأنّىٰ له الذّكرىٰ» الفجر: ٢٣).

وقوله: «وأفوّض أمري إلى الله» وأسلّم أمري إلى الله جلّ وعلا وأستعين به في

كلّ أمري ليوفّقني لما يحبّ ويرضاه، وأتوكّل عليه ليعصمني من كلّ سوء وأعتمد على لطفه وأثق به وهو الكافي من توكّل عليه لأنّ الله عزّ وجلّ عالم بأحوال عباده وبنيّاتهم وما يخطر ببالهم، وبما يفعلون من إيمان وكفر، من طاعة ومعصية، ومن صدق وكذب ... وأنّه تعالى خبير بهم فيهدي من اهتدىٰ ويحفظه، ويضلّ من أعرض عنه ويذره في طغيانه، وله تعالى الحجّة الدّامغة والحكمة البالغة والقدرة النّافذة.

وقد أظهر الرّجل المؤمن البطل إيمانه لفرعون طاغي مصر وملئه تمام الإظهار بهذا القول من دون خوف ولا تقيّة، ولقد دعاهم إلى الحقّ والهدىٰ وأراهم طريق النّجاة فإن استجابوا له واتّبعوا سبيله نجوا معه وإن هم أبوا أن ينزعوا عمّاهم فيه تركهم وشأنهم، وأخذ هو طريقه الّذي استقام عليه، مفوّضاً أمره إلى الله، مسلماً له وجهه، مستعيناً به وحده فهو الّذي يكفيه ويحميه «إنّ الله بصير بالعباد» يعلم مَن هم أوليآؤه ومَن هم أعدآؤه: «ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز» الحجّ: ٤٠) ولايخفى أنّ تفويض الأمر إلى الله عزّوجلّ هو ردّه إليه تعالى فيقرب من معنى التوكّل والتّسليم، ولكنّ الإعتبار مختلف، حيث إنّ التّفويض من العبد ردّه ما نسب إليه من الأمر إلى الله تعالى، وحال العبد حينئذٍ حال من هو أعزل لا أمر راجعاً إليه، والتوكّل من العبد جعله ربّه وكيلاً يتصرّف فيماله من الأمر، والتّسليم من الأمر مطاوعته المحضة لما يريده الله عزّوجلّ فيه، ومنه من دون نظر إلى انتساب أمر إليه فهي مقامات ثلاث من مقامات العبودية بعد معرفة الله جلّ وعلا: التوكّل ثمّ التّفويض وهو أدقّ من التّوكّل ثمّ التّسليم وهو أدقّ منها، وهذا هو أوّل العلم وآخره أشار إليها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله: «أوّل العلم معرفة الجبّار وآخر العلم تفويض الأمر إليه».

فمن لم يكن علمه كذلك فهو لايستطيع أن يهدي النّاس إلى معرفة الله جلّ وعلا وتفويض الأمر إليه وإن بلغ مابلغ من قيل وقال، فإنّ فاقد الشّيء لايكون معطيه، وإنّ الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون حجّة بالغة على الدّعاة والمصلحين وعلمآء الدّين في كلّ ظرف، فعليهم بيان الحقّ في كلّ حال، فإنّهم قوّامون بالقسط شهدآء

لله جلّ وعلا أخذ الله تعالى ميثاقهم لبيان الحقّ.

قال الله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهدآء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيّاً أو فقيراً فالله أولىٰ بهما فلا تتبعوا الهوىٰ أن تعدلوا» النّسآء: ١٣٥) فإذا لم يكن العلماء قوّامين ... فمن؟!

وقال: «وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه ورآء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون لاتحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم» آل عمران: ١٨٧-١٨٨).

وقال: «إنّ الّذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدىٰ من بعد مابيّناه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاّعنون» البقرة: ١٥٩).

وقال: «ألم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطّاغوت ويقولون للّذين كفروا هؤلآء أهدىٰ من الّذين آمنوا سبيلاً اولئك الّذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً» النّساء: ٥١- ٥٢).

٤٥ - (فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

فحفظ الله عزّوجلّ الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون شدآئد مكرهم إذ كانوا يدبرّون له من كيد عظيم بعد أن أعلن إيمانه، وتحدّىٰ فرعون طاغي مصر، وخرج عن سلطانه، منحازاً إلى جبهة موسىٰ عليه السّلام من دون خوف ولا تقيّة، فكفاه الله شرّهم، ودفع عنه بسبب إيمانه وتصديق رسوله ونصرة دينه، مكروه ما كان فرعون وملئه ينالون به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء والمكر السّيّئ فنجاه منه، ورجع وبال مكرهم إليهم، وحلّ و وجب عليهم ماسآءهم من شدّة عذاب الله، فنزل ودار بهم الغرق في اليمّ وأحاط بهم سوءالعذاب، فاستغنىٰ بذكر آله عن ذكره للعلم بأنّه المنشأ لذلك فهو أولى بذلك.

ولعمري إنّ كلّ مؤمن إستكمل شمائل الإيمان وجاهد الطّغيان بكلمة الحقّ فأنّه يرمي بيدالله جلّ وعلا لابيده.

إذ قال الله تبارك وتعالى: «وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلآء حسناً إنّ الله سميع عليم ذلكم وأنّ الله موهن كيد الكافرين» الأنفال: ١٧ـ١٨).

٤٦ ـ (النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب)

إنّ فرعون طاغي مصر وملئه يعرضون على النّار صباحاً ومسآءً في عالم البرزخ وهو الفترة بين الموت والبعث، فإذا كان يوم القيامة دُفِعوا إلى تلك النّار الّتي كانوا يغدون عليها ويُروحون، وليست النّار فحسب، بل الدّرك الأسفل منها، حيث يلقون أشدّ وأنكىٰ مايلقىٰ أهل النّار من عذابها ... مع أنّ نار جهنّم أبقىٰ من نار كانوا يعرضون عليها صباحاً ومسآءً في البرزخ. ويوم القيامة يأمرالله عزّوجلّ الملائكة أن يدخلوا فرعون وملئه ومن انسلك مسالكهم أشدّ العذاب فيدخلونها ولايخرجون منها أبداً.

فلهم عذاب ثلاثة: في الحياة الدّنيا، وفي البرزخ ويوم القيامة.

قال الله تعالى: «سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب عظيم» التوبة: ١٠١).

وقال: «لهم عذاب في الحياة الدّنيا ولعذاب الآخرة أشقّ ومالهم من الله من واقٍ» الرّعد: ٣٤).

وقال: «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدّو أبقىٰ» طه: ٢٧).

٤٧ ـ (وإذ يتحاجّون في النّار فيقول الضّعفآء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار)

واذكر يا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك قصّة آل فرعون وعاقبة أمرهم، حين يتخاصم الرّؤسآء والمرؤسون، يتخاصم القادة والسّفلة، ويتخاصم الأتباع والمتبوعون في نار جهنّم، فيقول الأتباع الضّعفآء السّفلة الّذين غررهم الأقويآء... يقولون للرّؤسآء الّذين استكبروا عن الإنقياد وتعظموا عن الإيمان بالله جلّ وعلا وعن تصديق رسوله: إنّا كنّا لكم معاشر الرّؤسآء تابعين لآرائكم، مطيعين

على دينكم، وكنـا نمتثل أمركم، ونجيبكم لكلّ ما تدعوننا إليه من الشّرك بالله سبحانه والطّغيان، وتكذيب الرّسول والعصيان ... وكان لازم ذلك أن تكفوّنا في الحوآئج، وتنصرونا في الشّدآئد، ولا شدّة أشدّ ممّا نحن فيه اليوم، فيلزم الرئيس الدّفع عن أتباعه والمنقادين لأمره.

فهل أنتم اليوم، متحملون عنّا جزءاً من عذاب النّار؟ وهل أنتم اليوم دافعون عنّا شيئاً يسيراً من العذاب فتخفّفوه عنّا، وإن لم تكونوا قادرين على دفع جميع عذابها فقد قنعنا بالبعض؟ فقد كنّا نسارع إلى محبّتكم وإطاعتكم في الحياة الدّنيا، ومن قِبَلِكم جآئنا أشدّ العذاب، ولو لا أنتم لكنّا في الدّنيا من المؤمنين فلم يصبنا اليوم هذا البلآء.

قال الله تعالى: «وبرّزت الجحيم للغاوين- وهم فيها يختصمون» الشّعراء: ٩١- ٩٦).

وقال: «وبرزوا لله جميعاً فقال الضّعفآء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيْ» إبراهيم: ٢١).

وقال: «يقول الّذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين» سبأ: ٣١).

وقال: «يوم لايغني مولًى عن مولًى شيئاً ولاهم ينصرون» الدّخان: ٤١).

وقال: «سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع» المعارج: ١- ٢).

٤٨ - (قال الّذين استكبروا إنّا كلّ فيها إنّ الله قدحكم بين العباد)

فأجاب الرّؤسآء المتبوعون على الكفر والضّلالة والبغي والجناية ... الّذين استكبروا عن الإنقياد وتعظّموا عن الإيمان بالله تعالى وعن تصديق رسوله، أجابوا أتباعهم: نحن معاشر القادة، وأنتم معاشر السّفلة: التّابع والمتبوع،العابد والمعبود بالباطل، والضّالّ والمضلّ ... كلّنا مجتمعون، مستقرّون،ومخلّدون في النّار لاخلاص لنا ولكم منها أبداً، فإنّ اليوم يوم جزآء لايوم عمل، فالأسباب يومئذ ساقطة عن التّأثير، وقد طاحت منّا ما كنّا نتوهّمه لأنفسنا في الحياة الدّنيا من القوّة والقدرة،

ومن السّطوة والشّوكة ... فحالنا وحالكم- ونحن جميعاً في النّار- واحدة، فظهور الحكم الإلهي قد أبطل أحكام سآئر الأسباب وتأثيراتها، وقد أثبتنا على ما نحن فيه من الحال في حدّ سوآء، فلسنا نختصّ دونكم بقوّة حتّى نغني عنكم شيئاً من العذاب.

قال الله تعالى: «والّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النّارهم فيها خالدون- إنّ الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السّمآء ولايدخلون الجنّة حتّىٰ يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين- ماأغنىٰ عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون» الأعراف: ٣٦-٤٠-٤٨).

وقوله تعالى حكاية عن المستكبرين في نارجهنّم: «إنّ الله قد حكم بين العباد» إنّ الله عزّ وجل قد قضىٰ يوم القيامة بين العابد والمعبود، بين القادة والسّفلة، وبين الأتباع والرّؤسآء ... بالنّار ولا رادّ لحكمه، فلا يتحمّل أحد عن أحد، وأنّه تعالى يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لامحالة، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره فكلّ منّا كافر مشرك، وعاص وطاغ ... بنا مابكم وزيادة، ولاحول لنا ولا طول فكيف ندفع أو نغني عنكم أو نتحمّل منكم شيئاً من عذاب النّار؟ ولو كنّا نستطيع أن ندفع العذاب أو نغنيه أو نخفّفه عنكم لدفعناه وأغنيناه أو نخفّفه أوّلاً عن أنفسنا، ولا سبيل لذلك، فكيف لكم! فلا نستطيع أن ندفعه عنّا فضلاً عنكم، فأنزلنا الله منازلنا وأنزلكم منازلكم ...

فكلّ من التّابعين والمتبوعين، والرّؤسآء والمرؤسين والقادة والسّفلة قد لقي الجزآء الّذي يستحقّه، فالقاضي بينهم هو الله عزّوجلّ الّذي قضآؤه الفصل، وحكمه العدل، وأنّه إذا كان الرّؤسآء قد غرروا بأتباعهم وساقوهم سوقاً إلى الشّرك والعصيان، وإلى الكفر والطّغيان ... فأنّهم قد نالوا مايستحقّون من عذاب فوق مانال به أتباعهم ...

قال الله تعالى: «وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم» العنكبوت: ١٣).

٤٩ - (وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم اُدعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب)

ولمّا جاء فرعون طاغي مصر وملئه من الرّؤسآء المستكبرين والأتباع المستضعفين الكفرة الفجرة الّذين كانوا بالأمس ينكرون البعث والنّار، لمّا جآؤا نار جهنّم ودخلوها استقرّوا في قعرها واشتدّ عليهم العذاب وقلّ صبرهم وأيسوا من أن يغني بعضهم عن بعض شيئاً من العذاب، وأيسوا من دعآء أنفسهم، استغاثوا -حينئذ حتّى بخزنته النّار- وهم ملائكة حرّاس هذا السّجن الجهنّمي المطبق على الكافرين، يتولّون لأمر جهنّم وعذاب أهلها، موكّلون بهم- إستغاثة بهم من عظيم ماهم فيه من البلآء:

ادعوا أيّها الزّبانية ربّكم يخفّف عنّا قدر يوم واحد من أيّام الدّنيا من العذاب الّذين نحن فيه: «عليها ملائكة غلاظ شداد» التحريم: ٦).

يسئلونهم أن يدعوا ربّهم، ويسئلوه تخفيف العذاب عنهم ولو يوماً ما، رجآء أن يجدوا من عندهم فرجاً، وأن يسمح لهم بالتّنفّس، وليجدوا نَسْمة من نسمة الحياة تدخل إلى صدورهم المكظومه بلهيب السّعير، إذ لاطاقة لهم على شدّة العذاب وشدّة جزعهم إلّا أنّهم يطمعون في التّخفيف زماناً ما، ولا يطمعون القطع والدّفع تماماً، لأنّ معارفهم ضرورية يعلمون أنّ عقابهم، لاينقطع وعذابهم لايخفف ولايدفع عنهم أبداً.

٥٠ - (قالوا أولَمْ تَكُ تأتيكُم رسُلُكم بالبيّنات قالوا بلىٰ قالوا فادعُوا ومادعاؤ الكافرين إلّا في ضلال)

قال خزنة جهنّم لهؤلآء الرّؤسآء المستكبرين الكفرة، ولهؤلآء الأتباع المستضعفين السّفلة- على طريق الإستخبار والإنكار توبيخاً لهم على سوء ماكانوا يصنعون ممّا استحقّوا عليه أشدّ العذاب-: أولم تك تأتيكم رسلكم من أنفسكم بالحجج الواضحة والمعجزات الباهرة والبراهين القاطعة على صحّة التّوحيد و وجوب إخلاص العبادة له جلّ وعلا ولزوم الطّاعة، وعلى بطلان الشّرك وترك العصيان، وعلى صحّة النّبوّة والرّسالة والبعث والحساب والجزآء، فأشركتم بالله سبحانه وكفرتم برسله، وعاندتم وأنكرتم البعث والجزآء حتّى استحققتم هذا العذاب الدّائم؟

أجاب هؤلآء الرّؤسآء والأتباع معترفين بالكفر والطّغيان والشّرك والعصيان: بلى قد جآئنا الرّسل بالبراهين والدّلالات ... ولكنّا كفرنا وكذّبنا وعصينا وجحدنا ...

قال الله تعالى: «وللّذين كفروا بربّهم عذاب جهنّم وبئس المصيرإذاأُلقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ كلّما أُلقي فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلىٰ قد جآءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شيْ إن أنتم إلّا في ضلال كبير وقالوا لوكنّا نسمع أو نعقل ماكنّا في أصحاب السّعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السّعير» الملك: ٦- ١١).

قال لهم الخزنة: أيّها المشركون والطّغاة من الرّؤسآء والأتباع إذا كان الأمر كما اعترفتم فادعوا أنتم وحدكم بمالا ينفعكم قطّ، فإنّا لن ندعوا لله جلّ وعلا لمن كفر بالله تعالى وكذّب رسله، وإنّ دعآءكم لايفيدكم شيئاً، فما هو إلّا في خسارو تبار، فلا يستجاب لكم ولا يخفّف عنكم العذاب ولو آناً ما فضلاً عن يوم واحد، فإنّ دعآء الكافرين في النّار ليس إلّا في ضياع لايجاب لأنّه في وقت لاينفع.

٥١ - (إنّا لَنَنْصُرُ رسلنا والّذين آمنوا في الحيٰاة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد)

من شأننا المستمرّ أنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا بالله جلّ وعلا ورسله وباليوم الآخر وعملوا بماجآؤهم في الحياة الدّنيا بوجوه النّصر: بالحجّة البالغة والدّلائل الواضحة على مَن خالفهم، باعلآء كلمتهم، وإد حاض كلمة أعدآئهم، بإظهار الدّين الحقّ وانتشار معارفهم، وعلوّ الشّأن وحصول الذكّر الجميل، واقتدآء النّاس بسيرتهم، بالظّفرو الغلبة على أعدائهم في المحاربة والجدال، بإعزازهم وإذ لال مَن عاندهم، بإنجاءهم وإهلاك أعدآئهم بالعذاب المستأصل، بالإنتقام لهم منهم، بإهدآئهم إلى الحقّ والرّشاد، والصّلاح والكمال، وإضلال معانديهم وفسادهم وإنحطاطهم، وبتطمين قلوبهم وتثبيت أقدامهم، وإلقآء الرّعب في قلوب أعدائهم ... وغير ذلك من وجوه النّصر.

قال الله عزّوجلّ: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون

وإنّ جندنا لهم الغالبون» الصّافات: ١٧١- ١٧٣).

وقال: «أُذِنَ للذين يقاتَلون بأنّهم ظُلِمُوا وإنّ الله على نصرهم لقدير الّذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ- الّذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» الحجّ: ٣٩- ٤١).

وقال: «إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الّذين كفروا- فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الّذين كفروا السّفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم» التوبة: ٤٠).

وقال: «وينصرك الله نصراً عزيزاً هو الّذي أنزل السّكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السّموات والأرض» الفتح: ٣- ٤).

وقال: «ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤهم بالبيّنات فانتقمنا من الّذين أجرموا وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين» الرّوم: ٤٧).

وقال: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً» الأسراء: ٣٣).

وقال: «هو الّذي أخرج الّذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرّعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الأبصار» الحشر: ٢).

وقال: «وأنزل الّذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرّعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كلّ شيئ قديراً» الأحزاب: ٢٦- ٢٧).

وقال: «إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الّذين آمنوا سألقي في قلوب الّذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان» الأنفال: ١٢).

وقال: «ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» آل‌عمران: ١٣٩).

وقال: «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» النّسآء: ١٤١).

وقوله عزّوجلّ: «ويوم يقوم الأشهاد» وننصرهم يوم القيامة، يوم، يجمع فيه الأوّلون والآخرون، والمراد بالأشهاد من يقف يومئذ للشّهادة على الأعمال ... والله يشهد على أعمال النّاس، ويشهد عليها الملائكة، والأنبيآء على أممهم، والمؤمنون من أمّة محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على سآئر الأمم، ويشهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أمّته، ويشهد المجرمون على أنفسهم، وتشهد الجوارح على أصحابها ... ولعلّ الفآئدة في قيام الأشهاد واعتبار قولهم المبالغة في إظهار الفضيحة.

قال الله تعالى: «ولا تعملون من عمل إلّا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّمآء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين» يونس: ٦١).

وقال: «كتاب مرقوم يشهده المقرّبون» المطففين: ٢٠ - ٢١).

وقال: «أولئك يعرضون علىٰ ربّهم ويقول الأشهاد هؤلآء الّذين كذبوا علىٰ ربّهم ألا لعنة الله على الظّالمين» هود: ١٨).

وقال: «ويوم نبعث في كلّ أمّة شهيداً عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلآء» النّحل: ٨٩).

وقال «وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرّسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣).

وقال: «يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا شهدنا علىٰ أنفسنا وغرّتهم الحياة الدّنيا وشهدوا علىٰ أنفسهم أنّهم كانوا كافرين» الأنعام: ١٣٠).

وقال: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النور: ٢٤).

وماورد في المقام فمن باب التّأويل وهو اللّب فتأمّل جيّداً.

٥٢ (يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار)

يوم لاينفع الّذين ظلموا في الحياة الدّنيا إعتذارهم من الشّرك والطّغيان، من

الكفر والعصيان، ومن البغي والعدوان ... لأنّهم يومئذ لايعتذرون إن اعتذروا إلاّ بباطل، فيستحيل أن تكون للظّالم معذرة مقبولة بعد الفرض بأنّه ظالم لأنّ الشيّ لايمكن أن يكون غير ذاته ونفسه، وقد أعذرالله تعالى إلى الظّالمين في الدّنيا، وتابع عليهم بالحجج فيها، فلا حجّة لهم في الدّار الآخرة الاّ الإعتصام بالكذب بأن يقولوا: والله ربّنا ما كنّا مشركين، ما كنّا كافرين، ماكنّا مفسدين في الأرض، وما كنّا مكذّبين بآيات الله ورسله ...

وللظّالمين مع اللّعنة ـ وهي الإهانة والذّلّة، واليأس والسّخط، والبُعد عن رحمة الله تعالى بالتّمام ـ شرّ ما في الدّارالآخرة وهي نار جهنّم والقرار في سوآء الجحيم مع سوء العذاب.

قال الله تعالى: «فهذا يوم البعث ولكنّكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لاينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون» الرّوم: ٥٦ ـ ٥٧).

وقال: «ومن أظلم ممّن افترىٰ على الله كذباً أولئك يُعْرَضون علىٰ ربّهم ويقول الأشهاد هؤلآء الّذين كذبوا علىٰ ربّهم ألا لعنة الله على الظّالمين الّذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرةهم كافرون» هود: ١٨ ـ ١٩).

وقال: «ويوم نحشرهم جميعاً ثمّ نقول للّذين أشركوا أين شركآؤكم الذين كنتم تزعمون ثمّ لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا والله ربّنا ماكنّا مشركين أُنظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ماكانوا يفترون» الأنعام: ٢٢ ـ ٢٤).

وقال: «كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرّسول حقّ وجآءهم البيّنات والله لايهدي القوم الظّالمين اولئك جزآؤهم أنّ عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين خالدين فيها لايخفّف عنهم العذاب ولاهم ينظرون» آل عمران: ٨٦ ـ ٨٨).

وقال: «والّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمرالله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللّعنة ولهم سوء الدّار» الرّعد: ٢٥).

٥٣ ـ (ولقد آتينا موسى الهُدىٰ وأورثنا بني إسرائيلَ الكتاب)

ولقد آتينا موسىٰ عليه السّلام التّوراة الصّحيحة الصّادقة الّتي يهتدي بها من استهدىٰ لما فيها من أدلّة واضحة وبراهين قاطعة على وجوب معرفة الله تعالى وتوحيده وجعلناها ميراثاً لبني إسرائيل من بعد موسىٰ عليه السّلام فحرّفوها تبعاً لأهوآئهم.

قال الله تعالى: «من الّذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه» النّسآء: ٤٦).

وقال: «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذكّروا به» المآئدة: ١٣).

٥٤ ـ (هدىً وذكرىٰ لأولي الألباب)

هذا الكتاب قبل أن يحرّفوه ـ كان هدىً لمن اهتدىٰ به، وكان ذكر لمن تذكّر من ذوي العقول السّليمة لأنّهم الّذين يتمكّنون من الإنتفاع به دون من لاعقل له.

قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى الكتاب لعلّهم يهتدون» المؤمنون: ٤٩).

وقال: «وآتينا موسى الكتاب وجعلنا هدى لبني إسرائيل ألّا تتّخذوا من دوني وكيلاً» الاسرآء: ٢).

وقال: «قل من أنزل الكتاب الّذي جآء به موسىٰ نوراً وهدىً للنّاس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعُلّمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون» الأنعام: ٩١).

وقال: «إنّما يتذكّر أولوالألباب » الرّعد: ١٩).

ولايخفى على القارئ الخبير: أنّه جآء في قاموس الكتاب المقدس بالنصّ: «إسرائيل معنى هذا الإسم العبري: (يجاهد الله) أو (يصارع الله) وهو إسم يعقوب إذ أطلقه عليه الملاك الّذي صارعه حتّى مطلع الفجر» التوراة سفر التّكوين الاصحاح ٣٢ الآية ٢٨).

فعنى إسرائيل إذن يصارع الله ويجاهده بنصّ التّوراة. والفرق كبير جدّاً بين العبد والمصارع لأنّ المصارع والمبارز نظير ومثيل، أمّا العبد فرقيق وضعيف، وبهذا يتبيّن معنى أنّ التّوراة الحالية غيرالكتاب الّذي أشار إليه جلّ وعلا بقوله: «وأورثنا بني إسرائيل الكتاب

هدىً وذكرىٰ » لأنّ هذا الكتاب كما وصفه سبحانه «هدىً وذكرىٰ» أمّا التّوراة الموجودة فهوىً وعمىً لأنّها تقول: «يعقوب صارع الرّبّ حتّى مطلع الفجر، ولوط ضاجع إبنتيه وحملتا منه، وداود إغتصب الزّوجات وقتل أزواجهنّ ...» وقد أجمع الباحثون: أنّ التّوراة الحاليّة كتبت بعد موسىٰ بأمد غير قصير. انظر قاموس الكتاب المقدّس ص ٧٦٣ و ١١٢٠) المطبعة الإنجيلية ببيروت سنة ١٩٦٤م وكتاب الأسفار المقدّسة لعبد الواحد وافي ص ١٦ ومابعدها الطبعة الاولى سنة ١٩٦٤ م).

٥٥ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ واستغفر لذنبك وسبّح بحمّد ربّك بالعشيّ والإبكار)

فاصبر ايّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمر ربّك، وأنفذ لما أرسلك به من الرّسالة وبلّغ قومك ومن أمرت بابلاغه ما أُنزل إليك، واصبر على ايذآء أعدآئك ومجادلتهم من المشركين والكافرين والمنافقين، وتحمّل المشاقّ في تكذيبهم إيّاك كما صبر مَن قبلك من الرّسل على ما كذّبوا وأُوذوا فلا تستعجل لهم.

قال الله تعالى: «واصبر لحكم ربّك فإنّك بأعيننا» الطّور: ٤٨).

وقال: «ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا علىٰ ما كُذّبوا وأوذوا حتّىٰ أتاهم نصرنا» الأنعام: ٣٤).

وقال: «واصبرو ما صبرك إلّا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق ممّا يمكرون» النّحل: ١٢٧).

وقال: «واصبر علىٰ مايقولون واهجرهم هجراً جميلاً» المزمّل: ١٠).

وقال: «فاصبر كما صبر أولوالعزم من الرّسل ولا تستعجل لهم كأنّهم يوم يرون مايوعدون» الأحقاق: ٣٥).

وقوله تعالى: «إنّ وعدالله حقّ» إنّ وعدالله الّذي وعدك به من النّصر والتأييد والظّفر والغلبة عليهم، ومن إعلاء كلمة الحقّ وإعزاز أهلها، وإد حاض كلمة الباطل وإذ لال أهلها حقّ لايخلفه كما قصّ عليك من حال موسىٰ عليه السّلام والرّجل المؤمن البطل من آل فرعون، فأنت ومن معك في ضمان نصرة رسله، وإنّ الله تعالى لايخلف وعده.

قال الله عزّوجلّ: «ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف‌الله وعده» الحجّ: ٤٧).

وقال: «بنصرالله ينصر من يشآء وهو العزيز الرّحيم وعدالله لايخلف الله وعده ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» الروم: ٥ـ ٦).

وقال: «فلا تحسبنّ الله مخلف وعده رسله إنّ الله عزيزذوانتقام» إبراهيم: ٤٧).

وقال: «وعدالله حقّاً ومن أصدق من الله قيلاً» النسآء: ١٢٢).

وقوله عزّوجلّ: «واستغفر لذنبك» إنّ المراد من إستغفار النّبيّ المعصوم صلّى الله عليه وآله وسلّم لذنبه هو التأدّب والتّعبّد من الله تعالى في حقّه لمزيد الدّرجات، ولتصير سنّة لأمّته ولإظهار خضوعه في العبودية، وتعليم للدّعآء والإستغفار وليس المراد به: أنّه صدر منه صلّى الله عليه وآله وسلّم ذنب، صغيراً كان أو كبيراً فيستغفر له، مع أنّ الإستغفار يوجب مزيد الفضل والرّحمة كما قال تعالى: «وأن استغفروا ربّكم ثمّ توبواإليه يمتّعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمّىً ويؤت كلّ ذي فضل فضله» هود: ٣).

وقال: «لولا تستغفرون الله لعلّكم ترحمون» النمل: ٤٦).

وأنّ الإستغفار والتّوبة قبل الذّنب والعصيان ممّا يمنع الإنسان عن العصيان، وأنّ مجامع الطّاعات على قسمين: **أحدهما**ـ التّوبة عمّا لاينبغي كالإستعاذة قبل القرائة، وإن لم يوسوسه الشّيطان: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشّيطان الرّجيم إنّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا وعلىٰ ربّهم يتوكّلون» النحل: ٩٨-٩٩).

ثانيهاـ الإشتغال بما لاينبغي، ومن دون مرآءٍ أنّ الأوّل مقدّم لأنّ التّخلية مقدّمة على التّحلية والتّطهير مقدّم على الطّهارة بحسب الرّتبة الذّاتية، فوجب أن يكون مقدّماً في الذّكر، ولو أنّ المراد أمّته صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ما صدر عنه مكروه قطّ قبل البعثة وبعدها فضلاً عن الذّنب، فما لاينبغي فهو قوله تعالى: «واستغفر لذنبك» وما ينبغي فهو قوله عزّوجلّ: «وسبّح بحمّد ربك ...».

مع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان كثيراً ما يستغفر للتّائبين والمؤمنين من أمّته كما أنّ الملائكة يستغفرون لهم.

قال الله تعالى: «فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفرلهم» آل عمران: ١٥٩).

وقال: «ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جآؤك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرّسول لوجدوا الله توّابا رحيماً» النّسآء: ٦٤).

وقال: «إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله ـ واستغفرلهم الله إنّ الله غفور رحيم» النّور: ٦٢).

وقال: «يا أيّها النّبيّ إذا جآءك المؤمنات يبايعنك ـ فبا يعهنّ واستغفرلهنّ إنّ الله غفور رحيم» الممتحنة: ١٢).

وقوله سبحانه: «وسبّح بحمّد ربّك بالعشيّ والإبكار» وكن أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على ذكر دآئم لربّك، فنزّهه مصاحباً لحمده على جميع نعمآئه مستمرّاً متوالياً بتوالي الأزمان ... قال الله عزّوجلّ: «فاصبر على مايقولون وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشّمس وقبل غروبها ومن آناء اللّيل فسبّح وأطراف النّهارلعلّك ترضىٰ» طه: ١٣٠).

وقال: «ومن اللّيل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً» الإنسان: ٢٦).

وقال: «وسبّح بحمّد ربّك حين تقوم ومن اللّيل فسبّحه وإدبار النّجوم» الطّور: ٤٨ ـ ٤٩).

٥٦ ـ (إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السّميع البصير)

إنّ الّذين يخاصمونك أيّها النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم من المشركين الفجرة، من المعاندين الكفرة، ومن المستكبرين الفسقة فيما أتيتهم به من عند ربّك، بغير حجّة جآئتهم من عندالله بمخاصمتك فيها، ويكابرون في آيات الله جلّ وعلا ودفعها وإبطالها من دون علم ولابرهان أتاهم الله يتسلّطون بها على إنكار مذهب يخالف مذاهبهم، بل يردون البرهان القاطع بكلام فارغ، وبحرف «لا».

قال الله تعالى: «ويجادل الله الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ واتّخذوا

آياتي وما أُنذروا هزواً» الكهف: ٥٦).

وقال: «ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ويعبدون من دون الله مالم ينزّل به سلطاناً وما ليس لهم به علم» الحجّ: ٨ و٧١).

وقال: «إن هي إلّا أسمآء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتّبعون إلّا الظّنّ وما تهوي الأنفس ولقد جآءهم من ربّهم الهدىٰ» النّجم: ٢٣).

وقوله تعالى: «إن في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه» الكبر: الحالة الّتي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التّكبّر: التّكبّر على الله تعالى بالإمتناع من قبول الحقّ، والإذعان له بالعبادة والمعنى: ما في صدور هؤلآء المجادلين المعاندين في كلّ ظرف إلّا كبر وغرور وتعظّم وتفوّق يحملهم على هذا الجدل والمكابرة، ويمنعهم عن إتّباعك وعن قبول الحقّ الّذي أتيتهم به، بغياً وحسداً منهم على الفضل الّذي آتاك الله تعالى، وعلى الكرامة الّتي أكرمك بها من النّبوّة والولاية، إذلو سلّموا بنبوتك لزمهم أن يكونوا تحت لوآئك وطوع أمرك ونهيك، لأنّ النّبوّة والولاية الإلهيّة فوق الملك والرّئاسة، وهم في صدورهم كبر وغرور ... لايرضون معه أن يكونوا في خدمتك، وماهم ببالغي موجب الكبر وهو دفع النّبوّة والولاية عنك.

قال الله عزّوجلّ: «أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله» النّسآء: ٥٤).

وقال: «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزّل الله من فضله على من يشآء من عباده- ودّ كثير من أهل الكتاب لويردّونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحقّ» البقرة: ٩٠- ١٠٩).

فالّذي يحسدونك عليه أمر لايدركونه ولن ينالوا به لأنّ ذلك فضل الله يؤتيه من يشآء من عباده، وليس بأمر يدرك بالأمانيّ والآمال ... فلا ينالون بغيتهم ولن ينالوا بما أرادوا من إبطال الحقّ وإطفآء نورالله جلّ وعلا، وذلك أنّ عاملهم في ذلك ليس طلب الحقّ وإحقاقه، ولا الإرتياب في آيات الله والشّك فيها حتّى يريدوا بها ظهور الحقّ، ولا حجّة ولا برهان عندهم حتّى يريدوا إظهارها، وإنّما الّذي في

صدورهم وهو الدّاعي لهم إلى الجدال والمكابرة في آيات الله هو الكبر يريدون به إدحاض الحقّ الصّريح وإبطال الدّعوة الحقّة وإطفآء نورالله تعالى.

قال الله تعالى: «يجادلونك في الحقّ بعد ما تبيّن- ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الأنفال: ٦- ٨) فالكبر الّذي يملأ صدور المجادلين الكافرين، صدور المكابرين المجرمين، وصدور المخاصمين المستكبرين ... ماهو إلّا دخان من الباطل، وأنّهم لن يبلغوا به ما يطمعهم فيه من أمانيّ وآمال ... فلا يحزنك جدالهم، وطب نفساً أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من ناحيتهم، فإنّهم لن يبلغوا شيئاً ممّا يريدون به النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعوته من سوء، فإنّ الله عزّوجلّ سيقضي بينهم وبين النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وسيكون هذا القضآء إدانة لهم وخذلاناً لجمعهم على حين يكون نصراً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والّذين اتّبعوه.

قال الله تعالى: «بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» الأنبيآء: ١٨).

وقوله جلّ وعلا: «فاستعذ بالله» فاستعذ يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم بالله جلّ وعلا والتجئ إليه من شرّ هؤلآء المجادلين في آيات الله من دون حجّة، وممّا في صدورهم من الكبر كما استعاذ موسىٰ عليه السّلام من كلّ متكبّر مجادل: «وقال موسى إنّي عذت بربيّ وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب» المؤمن: ٢٧) والتجأ إليه تعالى الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون: «وأُفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» المؤمن ٤٤).

وقوله سبحانه: «إنّه هو السّميع البصير» إنّ الله هو السّميع لأقاويل هؤلآء المجادلين، هو السّميع الذي يسمع لما يدعوه النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويستعيذ به، ويستجيب له، هو السّميع لدعآء عباده، وهو السّميع الذي يسمع كلّ شئ ٍ هو البصير بضمآئر هؤلآء المكابرين وبأحوالهم ... البصير بحوآئج عباده، البصير الّذي يبصر ماهم فيه من شدّة أورفاه البصير الّذي يرى أين تنزل مواقع رحمته وإحسانه،

وأين تقع صواعق نقمه وبلآئه، فلايخفى عليه شيء، فيجازي كلاً حسب أعمالهم ...

قال الله تعالى: «وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير» الحديد: ٤).

٥٧ - (لخلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

لخلق السّموات والأرض إبتدآءً من دون سبق مادّة مع عظمهما وثقلهما وكثرة أجزائهما وأجرامهما واستقرارهما بغير عمد ترونها، وجريان الفلك والكواكب ... من غير سبب ظاهريّ أكبر وأهول في النّفوس، وأعظم وأجلّ في الصّدور من خلق النّاس بالإضافة إلى عقول البشر وإذعانها بأنّها خلق عظيم، لايقادر قدره، وخلق النّاس بالقياس إليه شيئ قليل مهين، وإلّا فالخلقان عند قدرته عزّوجلّ على حدّ سوآء، ومثله قوله تعالى: «وهو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده وهو أهون عليه» الرّوم: ٢٧) أي بالإضافة إلى نظر الإنسان وقياسه من أنّ الإعادة أهون من الإبداء، وإلّا فهما عليه سيّان لا تفاوت في قدرته القاهرة عليهما حتّى يقع التفضيل على حدّه.

وإن كان خلق النّاس عظيماً بما فيه من الحياة والحواسّ المهيّأة لأنواع مختلفة من الإدراكات ... ولكنّ العادة قد جرت في مزاولة الأفعال أنّ علاج الشّيئ الكبير أشقّ من علاج الشّيئ الصّغير، فمن قدر على ذلك قدر على مادونه.

قال الله عزّوجلّ: «أولم يروا أنّ الله الّذي خلق السّموات والأرض ولم يَعْيَ بخلقهنّ بقادر على أن يحيي الموتىٰ بلى إنّه على كلّ شيئ قدير» الأحقاف: ٣٣).

وقوله تعالى: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايعلمون ذلك، ولايتدبّرون هذه الحجّة، ولا يتأمّلونها، ولايعلمون أنّ الله لايعجزه شيئ، لعدولهم عن التّعلّم والتّفكّر فيه، والإستدلال على صحّته، فإذا اعترفوا بأنّ الله عزّوجلّ خلق السّموات والأرض، فكيف ينكرون قدرته على إحيآء الموتىٰ، ولكنّهم أعرضوا عن التّعلّم والتّدبّر فحلّوا محلّ الجاهل الّذي لايعلم شيئاً، لأنّهم لاينظرون ولايتأملون لفرط غفلتهم واتباع أهوآءهم ... ولذلك يجادلون في مسئلة البعث والحساب والجزآء ...

٥٨ - (ومايستوي الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئى قليلاً

ماتتذكّرون)

ولا يستوي الأعمىٰ الّذي لايبصر شيئاً وأهمل نفسه، وهو مثل أعمىٰ البصيرة الّذي لايتأمّل حجج الله تعالى بعينيه فيتدبّرها ويعتبر فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق مايشآء، ويؤمن به ويصدّق رسله ويعمل بكتبه ... والبصير الّذي يرىٰ بعينيه ما شخص لها من الدّلآئل ويبصره، وهذا مثل بصير القلب الّذي يرىٰ بعينيه آيات الله جلّ وعلا فيتفكّر فيها ويتّعظ، ويعلم مادلّت عليه من توحيد صانعه وعظيم سلطانه وقدرته على خلق مايشآء.

فهما عند الخالق المتعال والمخلوق المتأمّل، وفي الدّنيا والآخرة لايستويان ظاهراً وباطناً، ولا في آثارهما الوجودية في المجتمع الإنساني، ولا في مآل أمرهما ... لأنّهما على طريقين متعاكسين: النّور والظّلمة، العلم والجهل، والحسن والقبح، والهدىٰ والضّلالة، الخير والشّرّ، والحقّ والباطل ...

قال الله تعالى: «ومايستوي الأعمىٰ والبصير ولا الظّلمات ولا النّور ولا الظّلّ ولا الحرور وما يستوي الأحيآء والأموات» فاطر: ١٩- ٢٢).

وقال: «قل لايستوي الأعمىٰ والبصيرأفلا تتفكّرون» الأنعام: ٥٠).

وقوله تعالى: «والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيئ» كذلك لايستوي الّذين آمنوا بالله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر وأطاعوا لربّهم وأطاعوا رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأولى الأمر المعصوم من أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وعملوا الصّالحات، ولا الّذين كفروا بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر، وعصوا ربّهم وخالفوا أمر رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته عليهم السّلام ولم يأتمروا بما أمرالله تعالى به، ولم ينتهوا عمّا نهى الله عزّوجلّ عنه فالفريقان بالبداهة لايستويان في الإعتقاد والقول والعمل، ولا في الحساب والجزآء ...

قال الله جلّ وعلا: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون أمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم جنّات المأوىٰ نُزُلاً بما كانوا يعملون وأمّا الّذين فسقوا

فمأواهم النّار» السّجدة: ١٨ـ ٢٠).

وقال: «لايستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة» الحشر: ٢٠) فشتّان بينهما!.

وقوله عزّوجلّ: «قليلاً ماتتذكّرون» أيّها النّاس إنّكم قليلاً ماتتذكّرون هذا التّفاوت بين الأعمىٰ والبصير بين الضّالّ والمهتدي، بين الجاهل والعالم، وبين المؤمنين الصّالحين والكافرين الفاسدين ... ممّا يعثر عليه المكلّف بأدنىٰ تأمّل لولم يكن معانداً لجوجاً، ومصرّاً ظلوماً، وهذا التّفاوت وإن كان طبيعيّاً وبديهيّاً لايحتاج إلى بيان، ولكنّ العناد واللّجاجة، والكبر والغواية تمنع صاحبها من دركه وتذكّره، ولو تذكّر تم أيّها النّاس هذا التّفاوت الواضح بين الفريقين واعتبرتم لعرفتم خطأما أنتم عليه، ولما سلكتم طريق الإنحطاط والخسران، ولاسبيل الكفر والنّيران ... ولا يتذكّر ذلك إلّا أولو الألباب الّذين هم أقل النّاس عدداً في كلّ ظرف جداً.

قال الله تعالى: «إنّ هذه تذكرة فمن شآء اتّخذ إلى ربّه سبيلاً» المزّمّل: ١٩).

وقال: «ومايذكّرّ إلّا أولوا الألباب» البقرة: ٢٦٩).

وقال: «ولقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبىٰ أكثر النّاس إلّا كفوراً» الأسرآء: ٨٩).

وقال: «ولقدصرّفناه بينهم ليذّكّروافأبىٰ أكثرالنّاس إلّا كفوراً» الفرقان: ٥٠).

٥٩ ـ (إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون)

إنّ السّاعة الّتي يحيي الله عزّوجلّ فيها الموتىٰ ويبعث مَن في القبور للحساب والجزآء من الثّواب والعقاب لآتية: «وأنّ السّاعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور» الحج: ٧) لايشكّ في مجيئها المؤمنون العقلاء لوضوح الدّلآئل العقليّة عندهم على لزومها للجزآء، ولإجماع الأنبيآء والمرسلين والأوصيآء المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين على الوعد بوقوعها، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايؤمنون بها لفقد معرفتهم بالله جلّ وعلا وبقدرته، ولكفرهم بالله تعالى وشكّهم في أخباره، ولجهلهم بأسرار الكون ونواميس الوجود، وعدم تفكّرهم في البراهين الدّالّة على لزومها، ولقصور نظرهم على ظاهر مايحسّون به وخفآء أمرها، ولتضادّها على ماهم عليه من

الكفر والطّغيان، ومن الإنهماك في الشّهوات وإفسادهم في الحرث والنّسل، وإجتراحهم السّيّئات دون خوف الرّقيب الحسيب.

قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «كلّ متوقّع آت» وذلك أنّ العقلآء لاينتظرون مايستحيل وقوعه، وإنّما ينتظرون مايمكن وقوعه، وما لابدّ من وقوعه، فقد صحّ أنّ كلّ منتظر فسيأتي، ولذلك لايشك أهل الإيمان واليقين في أمر السّاعة بل يستعدّون لقآئها ويرونها كأنّها قآئمة عليهم كما في قوله تعالى: «الّذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من السّاعة مشفقون» الأنبيآء: ٤٩) والّذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنّها الحقّ» الشّورى: ۱۸) فهم ينتظرون قيامها لا كانتظار أهل الكفر والغفلة الّذين يشكون في وقوعها، ويمارون فيها ويسئلون عن وقتها ويكذّبون بها: «ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين» سبأ: ۲۹) «ومايدريك لعلّ السّاعة قريب يستعجل بها الّذين لايؤمنون بها ـ ألا إنّ الّذين يمارون في السّاعة لفي ضلال بعيد» الشّورى ۱۷ـ ۱۸) «وما أظنّ السّاعة قائمة» الكهف: ٣٦) «بل كذّبوا بالسّاعة» الفرقان: ۱۱).

وبذلك يبين فرق مابين الأعمىٰ والبصير، والمؤمنين الصّالحين والكافرين المسيئين وقليلاً مايتذكّر به النّاس ولذلك كان أكثرهم كافرين بالسّاعة.

وقد سميّت السّاعة ساعة لأنّها تسعىٰ إليها النّفوس لابقطع المسافات المكانية، بل بقطع الأنفاس الزّمانية بحركة جوهرية ذاتية وتوجّه غريزيّ إلى الله جلّ وعلا كما ذكر في لمّيّة ضرورة الموت الطّبيعي، فمن مات وصلت إليه ساعته وقامت قيامته، وهي ساعة القيامة الصّغرىٰ، وعلى هذا القياس حصول يوم القيامة العظمىٰ والطّامّة الكبرىٰ الّتي لساعات الأنفاس كاليوم للسّاعات أو كالسّنة للأيّام ... فتفكّروا أيّهاالنّاس في البراهين العقليّة القاطعة، وتدبّروا الدّلآئل النّقليّة الواضحة على لزوم السّاعة للجزاء، وأيقنوا بمجيئها، وأنّكم مبعوثون من بعد موتكم لامحالة، ومجازون بأعمالكم يوم القيامة، فتوبوا إلى ربّكم الغفور، واشكروا له جزيل إنعامه، ليدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.

٦٠ ـ (وقال ربّكم أدعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)

وقال ربّكم أيّها النّاس: أدعوني أستجب لكم إذا اجتمعت شرآئط الإجابة لكم واقتضت المصلحة إجابتكم، فمن يسئل الله عزّوجلّ شيئاً ويدعوه فلابدّ أن يشترط فيه مصلحة إمّا لفظاً أو إضماراً وإلاّ كان قبيحاً لأنّه ربّما كان داعياً بما يكون فيه مفسده ولا يشترط إنتفآؤها فيكون قبيحاً.

إنّ الّذين يتعاظمون ولا يدعون الله جلّ وعلا ولا يوجّهون إليه وجوههم، هم أهل كفر بالله وضلال عنه، إذ يمنعهم كبرهم وإستعلآؤهم عن أن يخضعوا له ويذلّوا لديه، ويمدّوا أيديهم سآئلين من فضله، طالبين من رحمته، إنّهم سيدخلون جهنّم صاغرين أذلآء، بعد أن صرفوا وجوههم عن الله مستعلين مستكبرين،إنّه الهوان والإذلال هو جزآء كلّ متكبّر جبّار.

الدّعآء في الأصل: النّدآء، وفي الإصطلاح: إظهار الذّلّة والإنكسار والرّغبة إلى الله عزّوجل، وطلب الرّحمة منه على وجه الإستكانة والخضوع، والإعتراف بأنّ الكلّ من الله تعالى هو محتاج إليه حدوثاً وبقآءً.

قال الله جلّ وعلا: «ادعو ربّكم تضرّعاً وخفية» الأعراف: ٥٥).

وقال: «ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» الأنبيآء: ٩٠).

وقال: «ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» الأنبيآء: ٩٠).

وقال: «يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً» السّجدة: ١٦).

وقال: «قل مايعبؤا بكم ربّي لولا دعآؤكم» الفرقان: ٧٧).

وقد يطلق على التّمجيد والتّقديس لما فيه من التّعرّض للطلب، وإنّ الدّعآء من معظم أبواب العبادات، وأعظم مايستعصم به من الآفات، وأمتن ما يتوسّل به إلى استنزال الخيرات ... وجوبه وفضله معلوم من العقل والشّرع، ولذلك أمر عباده بالدّعآء فقال: «ادعوني أستجب لكم» وهدّد تاركيها بنار جهنّم وعذابها فقال: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين».

وقال سيّد السّاجدين زين العابدين الإمام الرّابع عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «وأنا يا إلهي عبدك الّذي أمرته بالدّعآء فقال: لبيّك وسعديك، ها أنا ذا يا ربّ مطروح بين يديك ...».

واعلم أنّه لمّا كان لله عزّوجلّ خزآئن السّموات والأرض، وكان أمرها بيده لامعطي ولا مانع إلّا هو تعالى، وقد أمر بالدّعاء وتكفّل بالاجابة فقال: «ادعوني أستجب لكم» وقال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «يا من ضَمِنَ لهم الإجابة» أي تكفّل والتزم لهم قبول الدّعآء.

قال الله تعالى: «وإذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان» البقرة: ٨٦) وقد علّق الإجابة على الدّعآء. والمعنى: لا تطلب منه الإجابة إلّا بعد الدّعآء.

وقد حثّ الخلق على أن يسئلوه ليعطيهم فقال: «واسئلوا الله من فضله» النّسآء: ٣٢).

وقد كانت له القدرة التّامّة الّتي لايعجزها شيءٌ، وكان له الجود الّذي لابخل فيه، والغنىٰ الّذي لافقر معه، لاينقصه عطآء ولا يعزّه منع، لاجرم كان من طلب إصلاح خلّته وجبر فاقته من عنده ورام صرف الفقر عن نفسه به، طالباً لحاجته من موضعها الّذي يعلم أنّها فيه، وقصد ماطلبه من جهته الّتي يقصد منها، فكان حريّاً بالنّجح لما سئل، وجديراً بالظّفر بما طلب.

٦١ ـ (الله الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون)

الله الّذي جعل لأجلكم معاشر النّاس، اللّيل ـ هو مابين ذهاب الحمرة المشرقية من قمّة الرّأس إلى طلوع الفجر الصّادق ـ مظلماً لتسكنوا وتستريحوا فيه من كدّ النّهار

وتعبه الّذي عرض لكم من جهة السّعي في طلب الرّزق، وجعل لكم النّهار - هوما بين طلوع الفجر الصّادق إلى ذهاب الحمرة المشرقية من قمّة الرّأس - مضيئاً لتبصروا فيه مواضع حوائجكم، وتتصرّفوا في طلب معآئشكم، وتسعوا في سبيل مظاهر الحياة ولتبتغوا من فضل ربّكم.

قال الله تعالى: «ألم يروا أنّا جعلنا اللّيل ليسكنوا فيه والنّهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون»: النمل: ٨٦).

وقال: «وجعلنا اللّيل لباساً وجعلنا النّهار معاشاً» النبا : ١٠-١١).

وقال: «وجعلنا آية النّهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم ولتعلموا عدد السّنين والحساب» الأسراء: ١٢).

وقال: «ومن رحمته جعل لكم اللّيل والنّهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون» القصص: ٧٣).

إنّ الله تعالى لذو فضل عظيم بهذه النّعم على النّاس لايوازيه فضل ولا يدانيه من غير استحقاق منهم لذلك، ولا تقدّم طلب، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايؤدّون حقّ الله تعالى عليهم من الشّكرو الإخلاص، وهم يهملون هذا الواجب فلا يشكرونه بالإيمان والعبادة له وحده، ولا يعترفون بالنّعم، بل يجحدونها ويكفرون بها لجهلهم بالمنعم، وغفلتهم عن مواقع النّعم الّتي لاتحصىٰ عليهم.

قال الله تعالى: «يا أيّها النّاس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غيرالله يرزقكم من السّمآء والأرض لا إله إلاّ هو فأنّىٰ تؤفكون» فاطر: ٣).

وقال: «ألم تروا أنّ الله سخّر لكم ما في السّموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠).

وقال: «وآتاكم من كلّ ماسئلتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار» إبراهيم: ٣٤).

٦٢ - (ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شيً لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون)

أيها النّاس إنّ الّذي بيّن لكم الدّلآئل الدّالّة على وحدانيّته وعظمته، على علمه

وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته، ما أنعم عليكم من هذه النّعم الّتي لا تستطيعون على إحصآئها قط، هوالله ربّكم ومالككم ومصلح أموركم ومدبّر شئونكم، هو خالقكم وخالق كلّ شيءٍ من السّموات والأرض ومابينهما، لا إله إلّا هو، ولا معبود تصلح له العبادة غيره، فأيّ وجه تأخذون؟ إلى أين تذهبون عنه فتعبدون سوآه؟ كيف تنقلبون عن الإيمان بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الشّرك بالله وتكذيب رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ كيف تنصرفون عن العبادة لله وحده إلى عبادة الأوثان والأصنام والطّواغيت ... بعد أن بيّنت لكم دلائل التّوحيد وبراهين الرّسالة ...؟ كيف تجادلون في آيات الله بغير سلطان مع وضوح الدّلائل على صحّتها؟ كيف تعدلون عن الحقّ والهدى إلى الباطل والضّلالة، عن الخير والسّعادة إلى الشّرّ والشّقاوة، وعن الصّلاح والكمال إلى الفساد والإنحطاط ...؟ وإلى أين تذهبون بعيداً عن الحقآئق والمعارف وتنصرفون عن سبيل الله تعالى؟؟؟!!!

قال الله تعالى: «ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون» المؤمن: ٨١).

وقال: «فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون» الجاثية: ٦).

وقال: «فذلكم الله ربّكم الحقّ فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال فأنّى تصرفون» يونس: ٣٢).

٦٣ ـ (كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون)

بمثل هذا الإفك والإفترآء على الله سبحانه،بنسبة الشّركآء إليه سبحانه،يأفك ويفتري الّذين كانوا بآيات الله يجحدون من الأمم الماضية، وكانوا ينصرفون عن الحقّ إلى الباطل، وعن الرّشد إلى الضّلال، فلا يؤمنون، فسلكتم أيّها الكافرون مسالك من كان قبلكم، وركبتم محجّتهم في الكفر والطّغيان ... فلستم أنتم ببدع في الأمم قبلكم بل قد سبقكم إلى هذا خلق كثير، فصرفوا عن الحق وابتعدوا عن الإيمان بالله تعالى وأشركوا به إذ ذهلوا عن الدّلآئل على وجوده وعظمته وعلمه وحكمته وعلى كماله وجلاله ... كما صرفتم عن الحقّ والهدىٰ مع قيام البراهين القاطعة عليه إذ لم تتفكّروا فيها ولم تعرفوا مافيها من دلآئل الكمال والجلال لذات الله

تعالى، فسبب الجحد هو الجهل بآيات الله وعدم الوقوف عليها فينتهي إلى انكارها ثمّ إلى إنكارالله جلّ وعلا.

قال الله تعالى: «ومايجحد بآياتنا إلاّ الكافرون- ومايجحد بآياتنا إلاّ الظّالمون» العنكبوت: ٤٧- ٤٩).

وقال: «ومايجحد بآياتنا إلاّ كلّ ختّار كفور» لقمان: ٣٢).

٦٤ - (الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً والسّمآء بنآءً وصوّركم فأحسن صُوَرَكم ورزقكم من الطّيبات ذلكم الله ربّكم تبارك الله ربّ العالمين)

الله الّذي له الألوهيّة خالصة، أيّها النّاس هو الّذي جعل لأجلكم الأرض الّتي أنتم على ظهرها سكّان قراراً، تستقرّون عليها، وتتصرّفون فيها،وتسكنون فوقها لمعاشكم إلى حين لتنالوا بكمال يليق بكم، حيث إنّ الدّنيا دار عمل وظرف كمال.

قال الله تعالى: «الّذي جعل لكم الأرض فراشاً- ولكم في الأرض مستقرّ ومتاعإلى حين» البقرة: ٢٢ و٣٦).

وقال: «هوالّذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» الملك: ١٥).

وقال: «والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً» نوح: ١٩- ٢٠).

وقال: «ومن آياته أن تقوم السّمآء والأرض بأمره» الرّوم: ٢٥).

وقوله تعالى: «والسّمآء بنآءً» وجعل لأجلكم السّمآء سقفاً محفوظاً وقبّة، ومضاربة العرب أبنيتهم لأنّ السّمآء في منظر العين كالقبّة المضروبة على الأرض، فرفعها مع كواكبها ونجومها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دينكم ودنياكم إلى بلوغ آجالكم ... قال الله تعالى: «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشّمس سراجاً» نوح: ١٥- ١٦).

وقال: «الله الّذي رفع السّموات بغيرعمد ترونها» الرّعد: ٢).

وقال: «وجعلنا السّمآء سقفاً محفوظاً» الأنبياء: ٣٢).

وقوله عزّوجلّ: «وصوّركم فأحسن صوركم» والله تعالى هوالّذي خلقلكم وصوّركم في الأرحام، فأحسن صوركم من صور الدّوابّ وغيرها من الخلائق إذ جعلكم على أحسن صورة شكلاً وقواماً، إضافة إلى الإدراك وسآئر الغرآئز والقوىٰ الظّاهرة والباطنة، وقد خلق الله عزّوجلّ إبن آدم قآئماً معتدلاً يأكل بيده، ويتناول بيده، وكلّ من خلقه الله غير الإنسان يتناول بفيه، وقد خلق الإنسان منتصب القامة، بادي البشرة، متناسب الأعضآء، مهيّأة لمزاولة الصّناعات واكتساب الكمال، مجهّز بما يقوي من الأعمال المتنوّعة العجيبة على مالا يقوي عليه غيره من سآئر الموجودات الحيّة. ويلتذّ من مزايا الحياة بما لايتيسّر لغيره أبداً.

قال الله تعالى: «ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» الأعراف: ۱۱).

وقال: «هو الّذي يصوّركم في الأرحام كيف يشآء» آل عمران: ٦).

وقال: «الّذي خلقلك فسوّاك فعدلك في أيّ صورة ماشآء ركّبك» الأنفطار: ۷-۸) وقال: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» التين: ٤).

يقال: صوّرت الشّئ تصويراً: جعلت له صورة، والصّورة هيئة حاصلة للشّئ عند إيقاع التأليف بين أجزآئه، وهي ضربان: صورة نوعيّة تسمّىٰ بالطّبيعيّة وهي الّتي تختلف بها الأجسام أنواعاً، وأنّها جوهر بسيط لايتمّ وجوده بالفعل دون ماحلّ فيه، وصورة جسميّة، وأنّها جوهر من شأنه أن يخرج به محلّه من القوّة الى الفعل. وبعبارة اخرى: إنّ الصّورة ما تنتقش به الأعيان، وتتميّز به عن غيرها وهي نوعان:

أحدهما- محسوس تدركه الخاصّة والعامّة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار ... بالمعاينة.

ثانيها: معقول تدركه الخاصّة دون العامّة كالصّورة الّتي اختصّ بها الإنسان من العقل والرّوية، والمعاني الّتي خصّ بها شئ فشئ، وإلى الصّورتين أشار تعالى بقوله: «وصوّركم فأحسن صوركم» وقد أشار سيّد السّاجدين زين العابدين الإمام الرّابع

عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما إلى أنواع الصّورة: نوعيّة كانت أو جسميّة أو شخصيّة، وعنصريّة كانت أو فلكية بقوله: «وأنت الله لا إله إلّا أنتَ الّذي أنشأت الأشيآء من غير سنخ، وصوّرت ما صوّرت من غير مثال ...».

وقوله جلّ وعلا: «ورزقكم من الطّيبات» هوالّذي رزقكم من حلال الرّزق، ولذيدات المطاعم والمشارب، ورفيعات المساكن وسريعات المراكب، وجعل أرزاقكم أطيب وألين من رزق الدّوابّ ... إذ ليس شيئ من الحيوان له طيّبات المآكل والمشارب ... مثل ما خلق الله تعالى لإبن آدم، فإنّ أنواع الطّيبات واللّذّات الّتي خلقها الله تعالى لهم من الثّمار وفنون النّبات واللّحوم وما إليها مما لاتحصىٰ كثرة، وللإنسان أرزاق متنوّعة تلآئم بطبائعها طبيعة الإنسان من الحبوب والفواكه وغيرها، وليس للحيوان أرزاق متنوّعة كالإنسان.

قال الله تعالى: «قل من يرزقكم من السّموات والأرض» سبأ: ٢٤).

وقال: «هل من خالق غيرالله يرزقكم من السّمآء والأرض ـ ألم تر أن الله أنزل من السّمآء مآءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها» فاطر: ٣ و٢٧).

وقال: «والأنعام خلقها لكم ـ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ـ وإن تعدّوا نعمت الله لاتحصوها ـ فكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً واشكروا نعمت الله» النّحل: ٥ ـ ١٨ و١١٤).

وقوله تعالىٰ: «ذلكم الله ربّكم» فالّذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيّها النّاس تلك النّعم الّتي لا تستطيعون على إحصآئها هو الله الّذي لا تنبغي ألوهيّة إلّا له، هو ربّكم الّذي لا تصلح الرّبوبيّة لغيره فاعرفوه حقّ المعرفة، واشكروه بالإيمان والعبادة له وحده وصالح الأعمال ...

قال الله عزّوجلّ: «ذلكم الله ربّكم له الملك لا إله إلّا هو» الزّمر: ٦).

وقال: «ذلكم الله ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه» الأنعام: ١٠٢).

وقوله عزّوجلّ: «فتبارك الله ربّ العالمين» فتبارك الله مالك جميع الخلق، فعلا

وعظم ربّكم لأنّه ربّ العالمين، وذلك أنّ الرّبوبيّة واحدة، وتدبيره لأمر الإنسان عين تدبيره لأمر العالمين جميعاً، فإنّ النّظام الجاري في الكون كلّه نظام واحد رُوعِيَ في إنطباقه على كلٍّ، انطباقه على الكلّ، فهو تعالى متبارك منشأ للخير كلّه فتبارك الله ربّ العالمين، فكلّ ماسواه مربوب مفتقر بالذّات، معرض للزّوال.

قال الله تعالى: «وهو الّذي في السّمآء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم وتبارك الّذي له ملك السّموات والأرض ومابينهما» الزّخرف: ۸۴- ۸۵).

وقال: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين» الأعراف: ۵۴).

۶۵ - (هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمد لله ربّ العالمين)

إنّ الّذي أنعم عليكم بهذه النّعم هو الحيّ الّذي لايموت، الباقي على الإطلاق من دون علّة ولا فاعل ولا بنية، وهو واهب الحياة لا إله يفعل ذلك إلّا هو، وكلّ شيئ فمنقطع الحياة غير دآئمها الّا هو، فوحّدوه أيّها النّاس وادعوه مخلصين في دعآئه وعبادته، وإنّ الألوهيّة تستدعي التّفرّد والوحدانية، فلا معبود بحقّ تجوز عبادته وتصلح الألوهيّة إلّا الّذي هذه الصّفات صفاته لايساويه ولايدانيه أحد في ذاته ولا في صفاته، فلا تشركوا به شيئاً من أنحآء الشّرك ، واحمدوه على هذه النّعم وقولوا في كلّ حال: الحمد لله ربّ العالمين لأنّه وحده ربّ الخلائق جميعاً.

قال الله تعالى: «الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة ولانوم» البقرة: ۲۵۵).

وقال: «وتوكّل على الحيّ الّذي لايموت وسبّح بحمده» الفرقان: ۵۸).

وقال: «وقل الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً» الأسراء: ۱۱۱).

۶۶ - (قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا جآئني البيّنات من ربّي وأمرت أن أسلم لربّ العالمين)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم لكلّ من يشرك بالله سبحانه من أنحآء الشّرك في كلّ ظرف: إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون آلهة وتعبدونها من الأوثان

والأصنام والطّواغيت والآلهة المزعومة ... لمّا جآئني آيات بيّنات، وحجج واضحة وبراهين قاطعة من جانب ربّي بأنّ الله واحد لاشريك له في الوجود والإيجاد، ولا في تدبير العالم ونواميس الوجود، ولا في العبادة، وأمرت أن انقاد لربّ العالمين، وأخلص له ديني وأستقيم على الإسلام، فأخضع له وحده، وأعبده وحده فإنّه وحده خالق كلّ شيءٍ ومالكه ومدبّره فما سواه مخلوق لايليق بذلك.

قال الله تعالى: «قل أغير الله أتّخذ وليّاً فاطر السّموات والأرض وهو يطعِم ولايطعَم قل إنّي أُمرتُ أن أكون أوّل من أسلم ولا تكوننّ من المشركين- قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله قل لا أتّبع أهوآءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين قل إنّي علىٰ بيّنة من ربّي وكذّبتم به- قل إنّ هدى الله هو الهدىٰ وأُمرنا لنسلم لربّ العالمين» الأنعام: ١٤ و٥٦- ٥٧ و٧١).

وقال: «إنّ الّذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين» الأعراف: ١٩٤).

وقال: «وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بيّنات تعرف في وجوه الّذين كفروا المنكر- يا أيّها النّاس ضُرِب مثل فاستمعوا له إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولواجتمعوا له وإن يسلبهم الذّباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطّالب والمطلوب» الحجّ: ٧٢- ٧٣).

وقال: «والّذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير» فاطر: ١٣).

٦٧ - (هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقه ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون)

الله تبارك وتعالى هو الّذي خلقكم معاشر النّاس من تراب، حيث إنّ مبدأ تكوّنكم هو التّراب.

قال الله عزّوجلّ: «يا أيّها النّاس إن كنتم في ريبٍ من البعث فإنّا خلقناكم من تراب» الحجّ: ٥).

وقال: «ومن آياته أن خلقكم من تراب ثمّ إذا أنتم بشر تنتشرون» الرّوم: ٢٠).
ثمّ خلقكم من نطفة حقيرة معلومة الحال، وهي مآء الرّجل والمرءة.

قال الله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منيٍّ يمنىٰ» القيامة: ٣٦- ٣٧).

وقال: «ألم نخلقكم من مآءٍ مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم» المرسلات: ٢٠- ٢٢).

وقال: «فلينظر الإنسان ممّ خلق خلق من مآءٍ دافق يخرج من بين الصّلب والترآئب» الطّارق: ٥-٧).

وقوله تعالى: «ثمّ من علقة» ثمّ خلقكم معاشر النّاس من دم عبيط وهي قطعة من الدّم.

قال الله عزّوجلّ: «ثمّ كان علقة فخلق فسوّىٰ فجعل منه الزّوجين الذّكر والأنثىٰ» القيامة: ٣٨- ٣٩).

وقوله جلّ وعلا: «ثمّ يخرجكم طفلاً» ثمّ يخرجكم من بطون أمّهاتكم أطفالاً واحداً فواحداً فيطلق الطّفل على الأحد والجمع لقوله تعالى: «أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النّسآء» النّور: ٣١) فالمعنى: ثمّ يقلّبكم أطواراً إلى أن يخرجكم من أرحام الأمّهات أطفالاً صغاراً لا تعلمون شيئاً.

قال الله تعالى: «ونقرّ في الأرحام مانشآء إلى أجل مسمّى ثمّ نخرجكم طفلاً» الحجّ: ٥)

وقال: «والله أخرجكم من بطون امّهاتكم لا تعلمون شيئاً» النّحل: ٧٨).

وقوله سبحانه: «ثمّ لتبلغوا أشدّكم» ثمّ يبقيكم إلى أن تبلغوا أشدّكم رجالاً وهو حال استكمال القوى الظاهرة وتمام العقل.

قال الله تعالى: «وأمّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزلهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربّك أن يبلغا أشدّهما» الكهف: ٨٢).

وقوله تعالى: «ثمّ لتكونوا شيوخاً» بعد الأشدّ.

وقوله عزّوجلّ: «ومنكم من يتوفّىٰ من قبل» البلوغ، ومنكم من يتوفّىٰ بعد البلوغ، من قبل أن يصير شيخاً بالأجل المعلّق إذا أذنب وبغىٰ أو كان عمره قصيراً أو قُتِلَ مظلوماً، أو غير ذلك من أسباب الموت قبل أجل المحتوم.

وقوله جلّ وعلا: «ولتبلغوا أجلاً مسمّىً» ومنكم معاشر النّاس من يبلغ أجلاً مسمّى له وهو الأجل المحتوم والموت الطّبيعي وهو منتهىٰ آجالكم لاتجاوزونه أبداً.

قال الله تعالى: «أن اعبدواالله واتّقوه وأطيعون يغفرلكم من ذنوبكم ويؤخّركم إلى أجل مسمّى إنّ أجل الله إذا جآء لايؤخّر لوكنتم تعلمون» نوح: ٣ـ ٤).

وقال: «وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكن من الصّالحين ولن يؤخّر الله نفساً إذا جآء أجلها والله خبير بما تعملون» المنافقون: ١٠ـ ١١) وإلى الأجلين: المعلّق والمحتوم أشار تعالى بقوله: «هو الّذي خلقكم من طين ثمّ قضىٰ أجلاً وأجل مسمّى عنده» الأنعام: ٢).

وقوله سبحانه: «ولعلّكم تعقلون» دلآئل التّوحيد، تتفكّرون في الحجج والعبر، وتعقلون ما أنعم الله به عليكم من أنواع النّعم وأراد منكم التّوحيد وإخلاص العبادة، وتعقلون بأنّ الله خلقكم لهذه الأغراض الّتي ذكرها، وتدركون الحقّ بالتّعقّل المغرور فيكم، وتعلمون مافي التّنقّل في هذه الأحوال المختلفة من فنون العبر والحكم ... فتؤمنون بالله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالعبث والحساب والجزآء وهذا غاية خلقة الإنسان بحسب حياته المعنوية كما أنّ بلوغ الأجل المسمّىٰ غاية حياته الدّنيا الصّورية.

قال الله تعالى: «الله الّذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله علىٰ كلّ شيْ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً» الطّلاق: ١٢).

وقال: «هذا بلاغ للنّاس ولينذروا به وليعلموا أنّما هو إله واحد وليذّكّر أولوا الألباب» إبراهيم: ٥٢).

٦٨ ـ (هو الّذي يحيي ويميت فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون)

قل أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم للنّاس كافّة: الله جلّ وعلا هو الّذي يحييكم بعد موتكم يوم القيامة للحساب والجزآء كما أنّه تعالى هو الّذي يميتكم بعد حياتكم في الدّنيا فأوّلكم معاشر النّاس من تراب وآخركم إلى تراب، ثمّ بعد ذلك إلى الله جلّ وعزّ ترجعون.

قال الله تعالى: «فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ـ قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً الّذي له ملك السّموات والأرض لا إله إلّا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النّبيّ الأُمّيّ الّذي يؤمن بالله وكلماته واتّبعوه لعلّكم تهتدون» الأعراف: ٢٥ و١٥٨).

وقال: «الله يبدؤ الخلق ثمّ يعيده ثمّ إليه ترجعون» الرّوم: ١١).

وقال: «يوم نطوي السّمآء كطيّ السّجلّ للكتب كما بد أنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين» الأنبيآء: ١٠٤).

وقوله تعالى: «فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون» فالله تعالى وحده هو القادر على الإحيآء والإماتة، والبعث من القبور ... وهو الخالق بلا موادّ أوّليّة ولا جوارح وأعضآء ولا أدوات وآلات ولا حركة أو أيّ شيئ سوى مجرّد الإرادة، فبها وحدها يوجد المراد، فإنّ الله عزّوجلّ إذا أراد كون أمر من الامور الّتي يريد تكوينها فيكون بلا معاناة ولا كلفة، فكأنّه قال: فلذلك الإقتدار إذا قضىٰ أمراً تيسّر له من غير أن يتعذّر أو يمتنع عليه، وكان أهون شيءٍ أو أسرعه.

قال الله تعالى: «إنّ ربّك فعّال لما يريد» هود: ١٠٧).

وقال: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» يس: ٨٢).

٦٩ ـ (ألم ترإلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يُصْرَفُوْنَ)

ألا تعجب أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من أمر هؤلآء المكابرين في آيات الله الواضحة الموجبة للإيمان بها، الزّاجرة عن الجدل فيها؟ كيف يخاصمُونك في إبطال حجج الله تعالى ودفعها بغير علم عناداً وسفهاً وتطاولاً؟ كيف يصرفون عنها

وعن التّصديق بها، مع تعاضد الدّواعي على الإقبال عليها، وانتفآء الصّوارف عنها، وقيام الأدلّة على صحّتها، وأنّها في نفسها موجبة للإيمان بالله عزّوجلّ ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر؟ أيّ وجه يصرفون عن الحقّ ويعدلون عن الرّشد ويكذّبون بها، ويكذّبون على الله جلّ وعلا؟ من أيّ جهة يقلبون عن الهدى إلى الضّلال، عن الإيمان إلى الكفر؟ ومن أين يقلبون عن الطّريق المستقيم إلى الإعوجاج والإنحراف؟ وماذا بعد الحق إلّا الضّلال؟ بعد الإيمان إلّا الكفر؟ بعد الكمال إلّا الإنحطاط؟ وبعد التّوحيد إلّا الشّرك ؟؟؟!!!

٧٠ ـ (الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون)

الّذين كذّبوا بالقرآن الكريم وجحدوه، وكذّبوا بما أرسلنا به من الكتب والشّرآئع ... رسلنا قبلك في الحياة الدّنيا، فسوف يعلمون يوم القيامة جزآء تكذيبهم، ومآل أمر مجادلتهم في آيات الله جلّ وعلا إذا حلّ بهم وبال ماجحدوه ونزل بهم عقاب ما جادلوا فيه، فيعرفون أنّ مادعوتهم إليه حقّ، وما ارتكبوه ضلال وفساد، فيعلمون يومئذ ماذا يفعل بهم من العذاب ومنه:

٧١ ـ (إذِ الأغلالُ في أعناقهم والسّلاسلُ يسحبون)

فسوف يعلم هؤلآء المكابرون في آيات الله، صحّة ما أُخبروا به، وبطلان ماهم فيه، حين يساقون إلى جهنّم حالكون الأغلال في أعناقهم، والسّلاسل في أيديهم وأرجلهم يجرّون بها لايُرجئ خلاصهم منها، فينسلخ كلّ شيئ عليهم من جلد ولحم وعروق ...

قال الله تعالى: «إنّا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً» الإنسان: ٤).

وقال: «خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذرعاً فاسلكوه إنّه كان لايؤمن بالله العظيم» الحاقة: ٣٠ـ ٣٣).

وقال: «وجعلنا الأغلاق في أعناق الّذين كفروا هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون» سبأ: ٣٣) الأغلال ـ جمع غلّ ـ وهو طوق يدخل في العنق للذّلّ والألم، ومعنى الغلّ: الدّخول يقال: إنغلّ في الشّيئ: إذا دخل فيه، والغَلول: الخيانة الّتي تصير

كالغلّ في عنق صاحبها. والسّلاسل- جمع سلسلة- وهي الحلق منتظمة في جهة الطّول مستمرّة، يقال: تسلسلت المعاني: إذا استمرت شيئاً قبل شيئ كالسّلسلة الممدودة.

٧٢- (في الحميم ثمّ في النّار يسجرون)

إنّ المكابرين في آيات الله يجرّون يوم القيامة بالأغلال والسّلاسل في المآء المسخّن الحارّ الّذي قد انتهت حرارته، ولمّا عُذّبوا بهذا المآء- لايعلم مدّة العذاب به إلّا الله تعالى- يلقون في نار جهنّم، فيعذّبون بها خالدين فيها فهم يعذّبون مرّة بالمآء الشّديد الحرارة، ومرّة أُخرىٰ بالنّار الّتي انتهت حرارتها، والحميم هو ما يغلي من السّوآئل ... يعذّبون بها مرّةِ بشربها، واخرىٰ بصبّها من فوق رؤسهم ...

قال الله تعالى: «إنّ شجرة الزّقّوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سوآء الجحيم ثمّ صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم» الدّخان: ٤٣- ٤٨).

وقال: «ثمّ إنكم أيّها الضّالّون المكذّبون لآكلون من شجر من زقّوم فمالئون منهم البطون فشاربون عليه مِن الحميم» الواقعة: ٥١- ٥٤).

وقال: «فالّذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود» الحجّ: ١٩- ٢٠).

وقال: «والّذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون» يونس: ٤)

وقال: «وخاب كلّ جبّار عنيد من ورآئه جهنّم ويسقىٰ من مآءٍ صديد يتجرّعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميّت ومن ورآئه عذاب غليظ» إبراهيم: ١٥- ١٧).

وقال: «كمن هو خالد في النّار وسقوا مآءً حميماً فقطّع أمعآءهم» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٥).

وقال: «وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً» الجنّ: ١٥).

٧٣ - (ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون)

ثمّ إنّ المكابرين في آيات الله، المكذّبين بها، والمشركين بالله سبحانه لمّا دخلوا النّار يسئلون عن آلهتهم الّتي يجعلونها شركآء لله تعالى ويعبدونها في الحياة الدّنيا، فيقال لهم على وجه التّوبيخ والتّقريع لايلام قلوبهم كإيلام أبدانهم بالتّعذيب: أين آلهتكم الّتي كنتم تزعمونها آلهة لكم وتعبدونها،من العذاب، أو يشفعوا لكم كما كنتم تزعمون أنّهم سيشفعون لكم قبال دعآؤكم إيّاها وعبادتكم لها، فإنّ المعبود لابدّ أن يغيث عبده وخدمه؟ هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرّون؟ قال الله تعالى: «وبرّزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ماكنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون» الشّعرآء: ٩١- ٩٣).

وقال: «والّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النّارهم فيها خالدون- قالوا أين ماكنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنها وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرون» الأعراف: ٣٦- ٣٧).

٧٤ ـ (من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين)

قال المشركون بالله سبحانه، والمكابرون في آياته، والمكذّبون برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر حين سُئِلُوا ـ وهم في نارجهنّم ـ عن آلهتهم: ضاعت وغابوا عنّا آلهتنا، وتركونا في العذاب، فصاروا بحيث لانجدهم ولانراهم ولا نقدر عليهم، فلم نجد ما كنّا نتوقّع منهم اليوم من النّفع والشّفاعة.

قال الله تعالى: «ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الّذين كنتم تزعمون ونزعنا من كلّ أمّة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أنّ الحقّ لله وضلّ عنهم ماكانوا يفترون» القصص: ٧٤- ٧٥).

وقال: «ويوم يناديهم أين شركآئي قالوا أذنّاك مامنّا من شهيد وضلّ عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنّوا مالهم من محيص» فصّلت: ٤٧- ٤٨).

وقال: «أين ماكنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين- فهل لنا من شفعآء فيشفعوا لنا أو نردّ فنعمل غير الّذي كنّا

نعمل قد خسروا أنفسهم وضلّ عنّهم ما كانوا يفترون» الأعراف: ٣٧و٥٣).

وقال: «وما نرىٰ معكم شفعاء كم الّذين زعمتم أنّهم فيكم شركآؤ لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ماكنتم تزعمون» الأنعام: ٩٤).

وقوله تعالى حكاية عنهم: «بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً» ثمّ استدركوا فقالوا: بل تبيّن لنا اليوم أنّا لم نكن ندعوا آلهتنا من قبل- في الحياة الدّنيا- شيئاً يعتنىٰ به، فعبادتنا لهم ليست بشيءٍ إذ ليسوا هم بشيءٍ فما كان فيهم خير.

وذلك أنّه يظهرهم يومئذ أنّ الآلهة الّذين كانوا يزعمونهم شركآء لم يكونوا إلّا أسمآء لامسمّيات لها ومفاهيم لايطابقها شيئ، ولم يكن عبادتهم لها إلّا سدىً ولذلك نفوا أن يكونوا يعبدون شيئاً إذ ما أغنت عنهم آلهتهم يومئذ من شيءٍ يرجونه.

قال الله تعالى: «ماتعبدون من دون الله إلّا أسمآء سمّيتموها أنتم وآبآؤكم» يوسف: ٤٠).

وقال: «فما أغنت عنهم آلهتهم الّتي يدعون من دون الله من شيءٍ» هود: ١٠١).

وقوله تعالى: «كذلك يضلّ الله الكافرين» مثل ما حكم الله عزّوجلّ بضلال الّذين أشركوا بالله سبحانه، وكذّبوا برسله وجادلوا في آياته وكفروا باليوم الآخر، وأصرّوا على ذلك بغياً وعناداً ولجاجاً من الأمم الماضية ... يحكم بضلال كلّ من يشرك بالله سبحانه، ويكذّب برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويجادل في آياته ويكفر باليوم الآخر من الامّة المتأخّرة إلى يوم القيامة، حيث إنّ كلا الفريقين مستحقّون الضّلال لخروجهم جميعاً عن طريق الهدىٰ، وإنحرافهم عن سبيل الرّشاد.

٧٥- (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)

فعل بكم أيّها المشركون المكذّبون المكابرون ذلك العذاب في النّار جزآء ماكان لكم من الفرح والنّشاط بغير الحقّ وهو الشّرك بالله سبحانه، والعبادة للأوثان والأصنام والطّواغيت واتباع الهوىٰ، وتكذيب الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والمكابرة في آيات الله والكفر باليوم الآخر، ومعاداتكم لكلّ حقّ يخالف باطلكم، فتفرحون باحيآء باطلكم وإماتة الحقّ وإضطهاده، وجزآء بطركم في معاصي الله وتبختركم

وطغيانكم وفخركم بما نلتم من اللّذات العاجلة والشّهوات الزّائلة ... وذلك لتعلّق قلوبكم بعرض الدنيا وزينتها، وغفلتكم عن حساب الآخرة وجزائها.

قال الله تعالى: «وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولّواوهم فرحون۔ فرح المخلّفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرّ قل نار جهنّم أشدّ حرّاً لوكانوا يفقهون فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون» التوبة: ٥٠ و٨١- ٨٢).

وقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لايحبّ كلّ مختال فخور» لقمان: ١٨).

٧٦ـ (ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

يقول لهؤلآء المتبخترين عند أبواب جهنّم خزنتها: ادخلوا أيّها المشركون بالله سبحانه المكذّبون برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم المكابرون في آياته ... الفرحون بذلك والبطرون في معاصي الله ... أدخلوا۔ كلّ فرقة منكم۔ جهنّم من باب خاصّ بكم من أبوابها السّبعة المقسومة لكم، من كلّ باب منها جزء مقسوم منكم «وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكلّ باب منهم جزء مقسوم» الحجر: ٤٣- ٤٤) فلكلّ جماعة بابها الّذي تدخل منه إلى منزلها المعدّلها في جهنّم مؤبّدين مقيمين فيها، لا تموتون ولاتخرجون منها، فلا إنقطاع لكربكم ولانهاية لعقابكم فيها، فبئس مقام الّذين يتكبّرون عن التّوحيد والإيمان بالله جلّ وعلا، وعن عبادته ويتجبّرون عن الإنقياد له، وعن الحقّ والهدىٰ، فبئس مثوى المتكبّرين ومنزلهم جهنّم.

قال الله تعالى: «ويوم يعرض الّذين كفروا على النّار أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدّنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تفسقون» الأحقاف: ٢٠) قيل: إنّما جعل لجهنّم أبواب كما جعل لها دركات تشبيهاً بما يتصوّرالإنسان في الدّنيا من المطابق۔ السّجون تحت الأرض۔ والسّجون، والمطامير۔ الحفيرات تحت الأرض۔ فإنّ ذلك أهول وأفظع وأعظم في

الزّجر.

۷۷ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حق فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أو نتوفّينّك فإلينا يرجعون)

فاصبر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على مايجادلك به المكابرون في آيات الله الّتي أنزلناها عليك، واصبر على كفرهم بالله جلّ وعلا وتكذيبهم بك وأذاهم إيّاك، فإنّ الله جلّ وعلا منجز لك فيهم ماوعدك من النّصر والظّفر والعلوّ عليهم، وإحلال العقاب بهم كسنّتنا في موسى بن عمران عليه السّلام ومن كذّبه، فأمّا نرينّك في حياتك الدّنياويّة بعض الّذي نعدهم من العذاب والنّقمة كالقتل والأسر يوم بدر و الغلبة يوم فتح مكة وما إليها، فيحلّ بهم في الدّنيا فذاك. وقد قال: «بعض الّذي نعدهم» لأنّ المعجّل من عذابهم في الدّنيا هو بعض ما يستحقونه.

أو نتوفّينّك قبل أن يحلّ بهم ذلك، فهم إلينا يرجعون يوم القيامة، فنفعل بهم مايستحقّونه من العقاب ولا يفوتوننا، فننتقم منهم أشدّ الإنتقام، ونأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فنحكم يومئذ بينك وبينهم بالحقّ، فنجازيهم على أعمالهم ونعذّبهم أشدّ العذاب، سوآء عُذّبوا في الدّنيا أم لم يعذّبوا، فتشهد عذابهم في الآخرة.

قال الله تعالى: «ولنذيقنّهم من العذاب الأدنىٰ دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون ومن أظلم ممّن ذكّر بآيات ربّه ثمّ أعرض عنها إنّا من المجرمين منتقمون» السّجدة: ۲۱ـ ۲۲).

وقال: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون» الزخرف: ٤۱ـ ٤۲).

وقال: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل ولا تستعجل لهم كأنّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلّا القوم الفاسقون» الأحقاف: ۳۵).

۷۸ ـ (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسولٍ أن يأتي بآية إلّا بإذن الله فإذا جآء أمرالله قضي بالحقّ وخسر هنا لك

المبطلون)

ولقد أرسلنا أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم رسلاً من قبلك إلى قومهم «مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل» النّسآء: ١٦٥) من جملتهم من قصصنا عليك قصصهم وسميّناهم في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرون، وأنبأناك بأخبارهم، وما لاقوه من قومهم من الإيمان والكفر، من التّصديق والتّكذيب، ومن النّصرة والإيذآء ... «ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتّىٰ أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جآءك من نباء المرسلين» الأنعام: ٣٤) «وكلاً نقصّ عليك من أنبآء الرّسل ما نثبّت به فؤادك وجآءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين» هود: ١٢٠) «فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون» الأعراف: ١٧٦).

ومن جملتهم من لم نقصص عليك قصصهم، ولم نذكر أخبارهم ولم نسمّهم لك في القرآن: «ألم يأتكم نبأ الّذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم لايعلمهم إلاّ الله» إبراهيم: ٩).

وما كان لرسول من الرّسل أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبين قومه، ولا يأتي بمعجزة ودلالة لاثبات رسالته من قِبَل نفسه إلاّ بإذن الله تعالى له بذلك وأمره فيأتيهم بها حين طلبوها من الرّسول دلالة لمدّعاه إذا إقتضت المصلحة بإتيانها، فإنّ الإتيان بالمعجزات لإثبات الرّسالة ليس إلى الرّسول وبيده، بل إلى الله عزّوجلّ وبيده يأتي بها على وجه المصلحة.

قال الله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليه السّلام: «أنّي قد جئتكم بآية من ربّكم أنّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأُحي الموتىٰ بإذن الله» آل عمران: ٤٩).

فسنّة الله عزّوجلّ قدجرت على أنّ لاياتي أحد من رسله بآية ممّا يتحدّاه به المكابرون أو فيها عذاب الله إلاّ باذنه، وحيثما تقتضيه حكمة، وأنّ الّذي عليه هو إنتظار أمرالله وقضآئه، فإذاماجآء كان النّصر للحقّ وأهله، والخسران للباطل

وأصحابه، وأنّ الرّسل جميعاً لم يأت أحد منهم بآية من تلك الآيات، المعجزة أو المهلكة الّتي أخذت أقوامهم إلّا بإذن الله جلّ وعلا وهوالّذي أمدّهم بهذه الآيات ... وأنّ هذه الآيات لم تأت من عندالله بطلب من الرّسل أو إستجابة لتحدّي أقوامهم، وإنّما هي بتقدير العزيز الحكيم، فإنّ المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضت حكمته، ليست لهم إختيار في ايثار بعضها، والإستبداد باتيان المقترح بها، فإذا جآء الوقت الموقوت لقضآء الله حكم بالحقّ بين الرّسول وقومه المكذّبين به، المكابرين في آيات الله، وفي هذا القضآء بالحقّ تقع الواقعة بالمبطلين وينزل بهم بلاء الله وسخطه، على حين ينجّي الله تعالى الرّسول والّذين آمنوا معه.

قال الله تعالى: «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز» المجادلة: ٢١).

وقال: «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنّهم لهم المنصورون وإنّ جندنا لهم الغالبون» الصافّات: ١٧١- ١٧٣).

وقال: «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا» المؤمن: ٥١).

وقال: «وما النّصر إلّا من عندالله إنّ الله عزيز حكيم» الأنفال: ١٠).

٧٩ - (الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون)

الله الّذي خلق لأجلكم أيّها النّاس! الأنعام من الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير لتركبوا بعضاً منه كالإبل والخيل والحمير والبغال ومالإليها وتأكلون من لحوم بعضها كالإبل والبقر والضّأن والمعز.

قال الله تعالى: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيه جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس إنّ ربّكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون» النّحل: ٥- ٨).

وقال: «ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا ممّا رزقكم الله ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين ثمانية أزواج من الضّأن اثنين ومن المعز اثنين» الأنعام: ١٤٢- ١٤٣).

٨٠ ـ (ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون)

ولكم أيّها النّاس في الأنعام ـ غير الرّكوب والأكل ـ منافع أُخر، وهي نسلها ودرّها، وألبانها وسمنها، وجبنها وزبدها، وأصوافها وأوبارها، وأشعارها وجلودها ... ولأن تطلبوا على الأنعام حاجة في قلوبكم بالمسافرة عليها لأغراض مختلفة، من حمل الأثقال إلى البلاد النّائية، وأن تبلغوا المواضع الّتي تقصدونها بحوائجكم ... وعلى ظهور الأنعام وهي الإبل وماجانسها من الأنعام المركوبة في البرّ، وعلى السّفن في البحر تحملون في الأسفار ...

قال الله تعالى: «وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين» النّحل: ٨٠).

٨١ ـ (ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون)

ويريكم الله تعالى أيّها النّاس حججه الظّاهرة وآياته الآفاقية والأنفسيّة الدّالّة على وحدانيته وعظمته، على علمه وحكمته، وعلى تدبيره وقدرته ... فأيّ حجج الله وآياته الّتي يريكم في السّمآء والأرض وفي أنفسكم تنكرون صحّتها، وتجحدون أنّها ليست من الله جلّ وعلا ولا تدلّ على توحيد الذّات الواجب والصّفات ... فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله وتدعون من دونه آلهة تعبدونها، وأنّ الآيات لغاية ظهورها لا تقبل الإنكار، وهي آيات ربّانية أقوىٰ من أن تنكرو أسطع من أن تجحد؟ فأنتم تعرفونها وتنكرونها والله يعلم بما كنتم تعملون.

قال الله تعالى: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّىٰ يتبيّن لهم أنّه الحقّ» فصّلت: ٥٣).

وقال: «سيريكم آياته فتعرفونها وما ربّك بغافل عمّا تعملون» النّمل: ٩٣).

وقال: «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون» الأنبياء: ٥٠).

وقال: «تلك آيات الله نتلوها عليك بالحقّ فبأيّ حديث بعدالله وآياته يؤمنون» الجاثية: ٦).

وقال: «أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون» المؤمنون: ٦٩).

وقال: «يعرفون نعمت الله ثمّ ينكرونها وأكثرهم الكافرون» النّحل: ٨٣).

٨٢ ـ (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون)

أفلم يسر أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم المشركون بالله سبحانه، والمكابرون في آيات الله والمكذّبون بها، والمنكرون للبعث والحساب والجزآء من كفّار العرب ومشركي مكّة وغيرهم في كلّ ظرف؟ أفلم يسيروا في الأرض بأن يمرّوا في جنباتها ويشاهدوا آثار عذاب الله في أمثالهم من الأمم السّابقة، فينظروا فيما حلّ بهم من بأس الله بسبب تكذيبهم الرّسل وجحودهم آيات الله وإنكار يوم القيامة وبغيهم وفسادهم ...؟ أو ليست لهم عيون تبصر وعقول تعقل ليروا ما أنزل الله جلّ وعلا من بلاء ونقم بالكافرين قبلهم فيتفكّروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم ومآل أمرهم، كانوا هم أقوى من هؤلآء كمّاً وكيفاً إذ كانوا أكثر من مشركي العرب عدداً وأشدّ قوّة وبطشاً، وأقوىٰ جنداً، وأوسع وأبقىٰ في الأرض عمراناً وآثاراً باقية بعدهم من الأبنية العظيمة، والقصور الرّفيعة، والبروج المشيّدة والحصون الحصينة، ومن المصانع والأموال وما أدالوا به من الأولاد والأتباع ... لأنّهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ويتّخذون مصانع ويبنون أهراماً ضخمة ...

فلمّا عصوا الله تعالى وكفروا به وكذّبوا رسله أخذهم الله ببأسه فأهلكهم واستأصلهم بعذا به، فلم يغن عنهم شيءٌ ممّا كان في أيديهم من مال ورجال وأتباع ... وما أقاموا من دور وقصور وحصون ... وما قالوا وما فعلوا في دينهم ... فلم يغن عنهم شيئاً من عذاب الله تعالى وبأسه.

قال الله تعالى: «فكأيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطّلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتي في الصّدور» الحجّ: ٤٥ـ ٤٦).

وقال: «ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين فأخذتهم الصّيحة مصبحين فما اغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون» الحجر: ٨٠- ٨٤).

وقال: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدّ منهم بطشاً فنقّبوا في البلاد هل من محيص إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد» ق: ٣٦-٣٧).

٨٣ ـ (فلمّا جآءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

فلمّا جآئت الأمم الماضية رسلهم الّذين أرسلهم الله إليهم بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة والمعجزات الباهرة ليدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له جلّ وعلا «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» الأنبيآء: ٢٥) ويهدوهم إلى الحقّ والرّشاد، وإلى الصّلاح والكمال، فجحدوها وأنكروا دلالتها واستخفّوا برسلهم وبما معهم، واغترّوا بما في أيديهم من أباطيل وأوهام، ومن خرافات وأكاذيب ... وفرحوا بما علموا من أمور الدّنيا ومعايشهم ومعرفتهم بتدبيرها، كيف يحصّلون الأموال ويكثرون الأتباع؟ كيف يكنزون الذّهب والفضّة ويستعبدون الضعفآء؟ وكيف يستثمرون ذخآئر عامّة النّاس وأفكارهم ... واطمأنّوا إليها، فلمّا جآئتهم الرّسل بعلوم المعاد والدّيانات وهي أبعد شيئ من علمهم بالمعاش والشّهوات ... لبعثها على رفض الدّنيا والظّلف عن الملاذّ والشّهوات لم يلتفتوا إليها وصغّروها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنّه لاعلم أنفع وأجلب للفوائد المادّية من علمهم، ففرحوا به فأحاطت بهم خطيئتهم، و وقع بهم البلآء جزآءً لإستهزآئهم بالرّسل وماجآؤهم به من البيّنات ...

قال الله تعالى «ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ـ وزيّن لهم الشّيطان ماكانوا يعملون فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيئ حتّىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون» الأنعام: ٤٢- ٤٤).

وقال: «وكم أرسلنا من نبيّ في الأوّلين وما يأتيهم من نبيّ إلّا كانوا به يستهزؤن» الزّخرف: ٦- ٧).

وقال: «وما نرسل المرسلين إلّا مبشّرين ومنذرين ويجادل الّذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحقّ واتّخذوا آياتي وما أنذروا هزواً» الكهف: ٥٦).

٨٤ ـ (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين)

حين كانت هؤلآء الأمم المكذّبة برسلهم، المكابرة في آيات الله جلّ وعلا في أمان كفروا بالله وكذّبوا برسله، وجادلوا في آياته، ولمّا رأوا بأسنا الّذي وعدتهم به رسلهم قدحلّ بهم، وعاينوا نذر العذاب تطلع عليهم آمنوا بالله ورسله، قالوا: آمنّا بالله وحده لاشريك له وأقررنا بتوحيد الله وصدّقنا أنّه لا إله غيره، وجحدنا الآلهة الّتي كنّا قبل وقتنا ها نشركهم في عبادتنا الله ونعبدهم معه، ونتّخذها آلهة فبرئنا منها، وكفرنا بتلك المعبودات الباطلة والآلهة الزّائفة من الأصنام والأوثان والطّواغيت الّتي كنّا بسبب عبادتها مشركين بالله سبحانه.

قال الله تعالى: «وكم من قرية أهلكناها فجآئها بأسنا بياتاً أوهم قائلون فما كان دعواهم إذ جآءهم بأسنا إلّا أن قالوا إنا كنّا ظالمين» الأعراف: ٤ ـ ٥).

وقال: «وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين فلمّا أحسّوا بأسنا إذاهم منها يركضون لاتركضوا وارجعوا إلى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلّكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين، فما زالت تلك دعواهم حتّىٰ جعلناهم حصيداً خامدين» الأنبيآء: ١١ـ ١٥).

٨٥ ـ (فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله الّتي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون)

فلم يك ينفع المشركين بالله سبحانه، والمكذّبين برسله والمكابرين في آياته ... إيمانهم وتصديقهم في الدّنيا عند معاينة عقابنا قد حلّ بهم، وحين رؤية عذابنا قد نزل عليهم، وقد مضي فيهم حكمنا، فإنّهم أضاعوا الفرصة، وفاتت عليهم الأوان، فلم يفدهم ايمانهم حينئذٍ، فإنّ الإيمان لايكون إلّا بارادة مختار للإيمان، وأما إرادته حين العذاب فهي إرادة الخلاص من العقوبة والنّجاة من العذاب ولاصلة لها بالإيمان من قريب أو بعيد، لأنّهم صدّقوا حين لاينفع التّصديق مصدّقاً، وأنّهم

عندئذ صاروا ملجئين، وفعل الملجأ لايستحقّ به المدح والثّواب.

قال الله تعالى: «يوم يأتي بعض آيات ربّك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل» الأنعام: ١٥٨).

وقال: «يوم الفتح لاينفع الّذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون» السّجدة: ٢٩).

وإيمانهم هذا كإيمان فرعون حين الغرق إذ قال: «آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ءآلآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين» يونس: ٩٠- ٩١) فإن مثل هذا الإيمان غير مقبول لأنّه وقع تحت حكم الإضطرار والضغط والقهر فهو إيمان باطل لا إرادة فيه للإنسان، فلا يُحسَبُ له شيئاً.

وقوله عزّوجلّ: «سنّت الله الّتي قد خلت في عباده» ترك الله جلّ وعلا إقالتهم وقبول التّوبة منهم ومراجعتهم الإيمان بالله تعالى وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم، فإنّ الله عزّوجلّ قد سنّ هذه السّنّة في الأمم الماضية كلّها بأن لاينفع كلّ من تلبّس بالكفر وأصرّ عليه حتّى فات عليه الأوان ...

إيمانه حين معاينة العذاب، وحين حصول العلم الضّروري، إذ كان قد مضى حكم الله تعالى في السّابق من علمه: أنّ من تاب عند نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته وأنّ التّوبة لا تقبل حينئذٍ، فلذلك لم يقلهم، ولم يقبل توبتهم في تلك الحال، والمراد بالسّنّة هي الطّريقة المستمرّة من فعله تعالى بأعدائه والجاحدين لنعمه ...

قال الله تعالى: «قل للّذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ماقد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّة الأوّلين» الأنفال: ٣٨).

وقال: «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين» آل عمران: ١٣٧)

وقال: «فهل ينظرون إلّا سنّت الأوّلين فلن تجد لسنّت الله تبديلاً ولن تجد لسنّت الله تحويلاً» فاطر: ٤٣).

وقوله جلّ وعلا: «وخسر هنالك الكافرون» وخسر عند مجيئ بأس الله الكافرون

بربّهم، الجاحدون توحيد خالقهم، المتّخذون من دونه آلهة يعبدون من دون بارئهم، فغبنت صفقتهم، و وضعوا في بيعهم الآخرة بالدّنيا، والمغفرة بالعذاب والإيمان بالكفر، والحقّ بالباطل، والكمال بالإنحطاط، والعزّة بالذّلة والسّعادة بالشّقاوة ... فاحذروا أيّها الكافرون عذاب الله جلّ وعلا قد حلّ بأمثالكم من الأمم الماضية لكفرهم بالله تعالى وجدالهم في آياته بغير الحقّ وتكذيبهم برسلهم ... قال الله تعالى: «ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير-خسر الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعوا من دون الله مالا يضرّه وما لا ينفعه ذلك هو الضّلال البعيد» الحجّ:٨-١٢).

وقال: «أفحسب الّذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أوليآء إنّا أعتدنا جهنّم للكافرين نزلاً قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً اولئك الّذين كفروا بآيات ربّهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلانقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزآؤهم جهنّم بما كفروا واتّخذوا آياتي ورسلي هزواً» الكهف: ١٠٢-١٠٦).

﴿جملة المعاني﴾

٤١٣٤(حم)

سرّ من الأسرار بين الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

٤١٣٥ ـ (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)

هذا القرآن الكريم منزّل من عندالله عزّوجلّ القاهر في ملكه وسلطانه، العليم على الإطلاق.

٤١٣٦ ـ (غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير)

إنّ الله جلّ وعلا يغفر لمن استغفرو آمن قبل إضاعة الفرصة، ويقبل التّوبة ممّن تاب قبل رؤية العذاب والموت، يعاقب عقاباً شديداً من عصاه، هو ذوا البسط والقدرة الّذي لايغلب، لا معبود بحقّ إلّا هو إلى الله مصير عباده.

٤١٣٧ ـ (ما يجادل في آيات الله إلّا الّذين كفروا فلا يغررك تقلّبهم في البلاد)

لايجادل في القرآن الكريم إلّا الّذين كفروا بالله تعالى و رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وباليوم الآخر، فلا يخدعك تصرّف الكافرين وتقلّبهم في البلاد ومايملكون من أموال بالتّجارة فيها.

٤١٣٨ ـ (كذّبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ فأخذتهم فكيف كان عقاب)

كذّبت قبل هؤلآء الكافرين المجادلين في آيات الله، قوم نوح عليه السّلام رسولهم نوحاً عليه السّلام وكذّب الأحزاب من الأقوام المختلفة من بعد قوم نوح عليه السّلام رسلهم، وهمّت كلّ أمّة من تلك الأمم برسولهم ليأخذوه بأنواع الإيذاء وجادلوهم بالباطل ليبطلوا به الحقّ، فأخذتهم بالعذاب جزآءً وفاقاً،فانظر كيف كان عقابي لهم؟ وكيف وقع موقعه؟

٤١٣٩ ـ (وكذلك حقّت كلمت ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار)

وكذلك وجبت كلمة ربّك بالعذاب على كلّ من تلبّس بالكفر ومات عليه أنّه أهل النّار خالداً فيها.

٤١٤٠ ـ (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وَسِعْتَ كلّ شيءٍ رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)

إنّ طآئفة من الملائكة يحملون العرش الّذي تصدر منه الأحكام والأوامر الإلهيّة، وطائفة منهم يطوفون حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم، ويؤمنون بالله تعالى ببصآئرهم، ويسئلون الله تعالى المغفرة للذين آمنوا من أهل الأرض، ويقولون في دعآئهم للمؤمنين: وسعت رحمتك وعلمك كلّ شيءٍ، فاغفر للذين تابوا من المعصية، واتّبعوا سبيلك الّذي دعوت إليه عبادك، واحفظهم من عذاب الجحيم.

٤١٤١ ـ (ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرّياتهم إنّك أنت العزيز الحكيم)

يقولون: ربّنا! وأدخل المؤمنين بساتين إقامة وخلود وعدتهم بها على ألسنة أنبيآئك ورسلك، وأدخل الصّالحين من آبآء المؤمنين والصّالحين من أزواجهم وذرّياتهم جنّات عدن معهم، إنّك أنت العزيز في ملكك وسلطانك، الحكيم في أمرك وقضائك.

٤١٤٢ ـ (وقهم السّيّئات ومن تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم)

واصرف عنهم سوء عاقبة سيّئاتهم التي أتوها قبل توبتهم، واحفظهم بعد ذلك

فلا تؤاخذهم بذلك في الدّنيا والآخرة، ومن تصرف عنه شرّ عاقبة سيّئاته فقد رحمته، وذلك هو الظّفر بالبغية والفلاح العظيم.

٤١٤٣ ـ (إنّ الّذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون)

وطآئفة آخرون من الملائكة وهم خزنة جهنّم غلاظ شداد ينادون الكافرين حين دخولهم النّار: نقسم بالله تعالى أيّها الكافرون! إنّ مقت الله أنفسكم وشدّة غضبه عليكم اليوم أكبر من شدّة بغضكم لها اليوم لما حلّ بكم من سخط الله، وذلك أنّكم كنتم تدعون في الدّنيا إلى الإيمان فتكفرون إتّباعاً لأنفسكم الأمّارة بالسّوء.

٤١٤٤ ـ (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل)

قال الكافرون بعد دخولهم النّار: ربّنا أمتّنا اثنتين: مرّة بقبض أرواحنا في الحياة الدّنيا، ومرّة أخرىٰ في القبور بعد أن سئلنا منكر ونكير، وأحييتنا اثنتين: مرّة قبل أن يسئلنا منكر ونكير في القبور، ومرّة اخرىٰ يوم البعث للحساب والجزآء، فاعترفنا الآن بكفرنا وذنوبنا الّتي اقترفناها في الدّنيا، فهل لنا سبيل إلى خروج من النّار إلى الدّنيا فتؤمن بك ونطيعك؟

٤١٤٥ ـ (ذلكم بأنّه إذا دُعيَ الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم للّه العليّ الكبير).

أيّها الكافرون ليس لكم من حيلة في خروجكم من نار جهنّم إلى الدّنيا لأنكم كنتم إذا دُعيتم إلى الله تعالى وحده كفرتم به، وإن يشرك بالله سبحانه معبود آخر من الآلهة الموهومة تؤمنوا بها، فالحكم يومئذ لله تعالى وحده المتعال في صفاته الّتي لايشاركه فيها غيره الكبير الّذي لايدانية شئ.

٤١٤٦ ـ (هو الّذي يريكم آياته وينزّل لكم من السّمآء رزقاً وما يتذكّر إلّا من ينيب)

أيّها النّاس! الله تعالى هو الّذي يريكم آياته في كلّ ظرف وحال تدلّ على توحيده، وينزّل لكم من السّمآء مآءً هو سبب رزقكم، وما يعتبر بتلك الآيات إلّا

من أعرض عن الشّرك ويرجع إلى توحيد ربّه.

٤١٤٧ ـ (فادعوالله مخلصين له الدّين ولوكره الكافرون)

فادعوا الله أيّها المنيبون واعبدوه وحده، مخلصين له تعالى دينكم من الشّرك والرّياء ولو كره الكافرون توحيدكم وإنابتكم إلى الله جلّ وعلا.

٤١٤٨ ـ (رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده لينذر يوم التّلاق)

الله تعالى هو الكبير المتعال الّذي درجته فوق الدّرجات بأنّ كلّ درجة لايستند إليه عزّوجلّ لا تكون درجة في الحقيقة، هو صاحب العرش العظيم الّذي ينزّل الرّوح مع ملائكة الوحي لإلقآئه على مَن يشآء من عباده لينذر الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس يوماً يلاقي أهل السّمآءأهل الأرض للحساب والجزآء.

٤١٤٩ ـ (يوم هم بارزون لايخفىٰ على الله منهم شيٌ لمن الملك اليوم لله الواحدالقهّار)

يوم أعيانهم وأحوالهم كلّها بعين الله تعالى لايخفىٰ على الله منهم شيٌ من العقائد والأعمال ... الله جلّ وعلا يومئذ هو القآئل: لمن الملك اليوم؟ فيجيب: هو تعالى لله الواحدالقهّار.

٤١٥٠ ـ (اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلمَ اليوم إنّ الله سريع الحساب)

يوم القيامة تجزىٰ كلّ نفس مؤمنة وكافرة بماكسبت من خير أو شرّ، لايظلم يومئذ على أحد، إنّ الله سريع الحساب لايحتاج إلى تفكّر وعقد يدٍ، فوقع الإشتباه في الحساب، فيظلم على أحد في الحساب والجزآء.

٤١٥١ ـ (وأنذرهم يوم الآزفة إذا لقلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع)

وأنذر النّاس أيّها الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة وأهوالها، قرب وقتها، فإنّ قلوب الكافرين يومئذ تضطرب، وأنفاسهم تختنق، حتّى تبلغ حناجرهم في خفقها وشدّة إضطرابها، ليس يومئذ لكلّ من تلبّس بالظلم في الحياة الدّنيا ومات عليه من صديق مشفق يدفع عنه أهوالها، ولا شفيع مطاع يشفع لهم عندالله سبحانه.

٤١٥٢ ـ (يعلم خآئنة الأعين وماتخفي الصّدور)

الله تعالى هوالّذي يعلم إستراق نظر كلّ إنسان من ذكر أو أنثى إلى مالا يحلّ، ويعلم بجميع أفعال القلوب ...

٤١٥٣ ـ (والله يقضي بالحقّ والّذين يدعون من دونه لايقضون بشيءٍ إنّ الله هو السّميع البصير)

والله تعالىٰ يحكم يوم القيامة بين عباده بالعدل، والّذين يدعون من دون الله، من الآلهة الموهومة لايقضون لعابديهم يوم القيامة بشيءٍ، إنّ الله عزّوجلّ هو السّميع لكلّ شيءٍ، البصير الّذي لايخفىٰ عليه شيءٌ.

٤١٥٤ ـ (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوّة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واقٍ)

ما شأن هؤلآء المشركين أولم يسيروا في أقطار الأرض فينظروانظر تفكّر واعتبار كيف كان مآل أمر الّذين كانوا من قبلهم من الأمم الماضية الّذين سلكوا سبيل الكفر والطّغيان كانوا هم أشدّ من هؤلآء المشركين تمكّناً، وأبقىٰ آثاراً في الأرض، فأخذهم الله بسبب ذنوبهم وأهلكم، وماكان لهم من عذاب الله إذ جآءهم من واق يقيهم.

٤١٥٥ ـ (ذلك بأنّهم كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فكفروا فأخذهم الله إنّه قويّ شديد العقاب)

ذلك العذاب النّازل بالأمم الماضية قبل هؤلآء المشركين بأنّهم كانت تأتيهم رسل من أنفسهم من جانب الله تعالى بالآيات الواضحات والمعجزات القاهرات، فكفروا بها فاستحقّوا العذاب في الدّنيا قبل الآخرة، فأخذهم الله بعقوبته فأهلكم جزآءً على كفرهم لأنّ الله تعالى ذوقوّة بأخذه، شديد عقابه من عاقبه من الكافرين.

٤١٥٦ ـ (ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا وسلطان مبين)

وأقسم بالله تعالى إنّا بعثنا موسىٰ عليه السّلام بآياتنا التّسع، وبسطوة قاهرة إلهيّة أُيّد بها موسىٰ عليه السّلام فمنعت فرعون أن يقتله، وأن يطفئ نوره.

٤١٥٧ ـ (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذّاب)

إلى فرعون طاغي مصر، وهامان وزيره الباغي، وقارون صاحب الكنوز، وأكثر النّاس همج، تبع لهم، فقالوا: إنّ موسىٰ ساحر يفرّق بين النّاس، كذّاب، يكذب على الله.

٤١٥٨ ـ (فلمّا جآءهم بالحقّ من عندنا قالوا اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه واستحيوا نسآءهم وما كيد الكافرين إلّا في ضلال)

فلمّا جآء موسىٰ عليه السّلام فرعون وقومه بالكتاب من عندنا، ودعوهم إلى التّوحيد قالوا: اقتلوا أبنآء الّذين آمنوا مع موسىٰ عليه السّلام من بني إسرائيل، واستحيوا نسآءهم، و ما كيد كلّ من تلبّس بالكفر إلّا في ضياع وخسران.

٤١٥٩ ـ (وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)

وقال فرعون لطائفة يمنعونه من قتل موسىٰ عليه السّلام ويخوّفونه بأنّ موسىٰ عليه السّلام يدعو ربّه لو أريد به القتل، فيهلك فرعون ومن معه جميعاً: أتركوني أقتل موسىٰ عليه السّلام وقولوا له: وليدع ربّه أن يهلكني كما تزعمون، إنّي أخاف أن يبدّل موسىٰ دينكم أو أن يظهر في أرض مصر، الفساد بين النّاس.

٤١٦٠ ـ (وقال موسىٰ إنّي عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب)

وقال موسىٰ عليه السّلام حين سمع تهديد فرعون إيّاه بالقتل: إنّي اعتصمت من أوّل أمري بربّي وربّكم، من شرّ كلّ متكبّر على خالقه، لايؤمن بيوم الحساب.

٤١٦١ ـ (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقدجآءكم بالبيّنات من ربّكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم إنّ الله لايهدي من هومسرف كذّاب)

ولمّا عزم فرعون قتل موسىٰ عليه السّلام وعظهمن‌ملئه‌رجل قبطيّ مؤمن بموسىٰ عليه السّلام من آل فرعون وخاصّته يكتم إيمانه، قال لفرعون وقومه: أتقتلون أنتم رجلاً لأجل أن يقول ربّي الله تعالى، وقد جآءكم بما يدلّ على صدق قوله من الحجج

الظّاهرة، فلا تقتلوه فإنّه إن يك كاذباً في قوله، فعلىٰ نفسه وبال كذبه، وإن يك صادقاً في قوله وكذّبتموه يصبكم بعض الّذي يعدكم به من العذاب عاجلاً قبل الآخرة، إنّ الله لايرشد إلى دينه من هو مسرف على نفسه، كذّاب على ربّه.

٤١٦٢ ـ (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جآئنا قال فرعون ما أريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد)

قال الرّجل المؤمن: يا قوم! لكم السّطوة والملك اليوم حال كونكم غالبين على أرض مصر، فاشكروا لله تعالى على ذلك، فإن كذّبنا بموسىٰ عليه السّلام فهل تأمنون على أنفسكم من غضب الله وسخطه؟ فإن جآئنا بسبب تكذيبنا إيّاه بعض ماوعدنا به فمن يدفع عنّا بأس الله وعذابه؟ قال فرعون ـ مجيباً للرّجل ـ: ما أريكم أيّها الملأ من الرّأى إلّا ما أرىٰ لنفسي، وما أهديكم بهذا الرّأي إلّا طريق الحقّ والسّداد.

٤١٦٣ ـ (وقال الّذي آمن يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب)

وقال الرّجل المؤمن ـ ناصحاً لفرعون وملأه ـ: يا قوم! إنّي أخاف عليكم ـ إن قتلتم موسىٰ عليه السّلام ـ عذاباً مثل عذاب يوم الأحزاب الّذين تحزّبوا على رسلهم، فأهلكم الله لكفرهم وتكذيبهم الرّسل.

٤١٦٤ ـ (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد)

مثل سنّة الله تعالى في قوم نوح وهود وصالح، ومثل سنّة الّذين من بعدهم من قوم إبراهيم وقوم لوط ... إذ أهلكهم الله جزآءً على كفرهم، والله لايريد ظلماً لأحد من عباده.

٤١٦٥ ـ (ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التّناد)

وقال الرّجل المؤمن: يا قوم! إنّي أخاف عليكم ـ إن قتلتم موسىٰ عليه السّلام عذاب الله تعالى يوم التّناد، يوم ينادي أصحاب الجنّة أصحاب النّار بالتّوبيخ، وتنادي الملائكة أصحاب الجنّة بالبشارة والسّلام.

٤١٦٦ ـ (يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد)

يوم تولّون أنتم يومئذ هار بين حذار عذاب الله عند معاينتكم نار جهنّم، مالكم

يومئذ من الله مانع يمنع منكم هذا العذاب، ولا عاصم يعصمكم من بأسه، ومن اختار الكفر والضّلالة بسوء إختياره وأصرّ عليه يذره و يتركه الله تعالى في طغيانه ولا يوفقه رشده.

٤١٦٧ ـ (ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات فمازلتم في شك ممّا جآءكم به حتّىٰ إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب)

وقال الرّجل المؤمن لفرعون وملئه: اقسم بالله جلّ وعلا لقد جآءكم ـ آبآءكم ـ يوسف بن يعقوب عليهما السّلام إذ بعثه الله تعالى رسولاً إلى القبط من قبل موسىٰ عليه السّلام بالحجج الظّاهرة، فمازلتم في ريب ممّا جآءكم به يوسف، حتّىٰ إذا مات يوسف قلتم من دون دليل: لن يبعث الله من بعد موته رسولاً آخر، فأقمتم على الكفر، مثل ماحكم الله تعالى بضلال أولئك بسبب إسرافهم في التّجاوز عن الحدّ، وإرتيابهم في الدّين الحقّ، يحكم بضلال كلّ مسرف على نفسه، شاكّ في الدّين الحق.

٤١٦٨ ـ (الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عندالله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار)

قال الرّجل المؤمن ناصحاً لفرعون طاغي مصر وملئه: الّذين يجادلون في آيات الله ويسعون في إبطالها بغير حجّة ولا برهان أتاهم، كبر ذلك الجدال بغضاً عندالله تعالى وعند الّذين آمنوا بالله جلّ وعلا، كما طبع الله على قلوب هؤلاء المسرفين المرتابين كذلك يطبع على كلّ قلب متكبّر على الله، متعظّم عن اتباع الحقّ، مستبدّ في رأيه.

٤١٦٩ ـ (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب)

وقال فرعون عندئذٍ: ياهامان إبن لي بناءاً عالياً لايخفىٰ على عين ناظر وإن بَعُدَ لعلّي أبلغ الأسباب.

٤١٧٠ ـ (أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسىٰ وإنّي لأظنّه كاذباً وكذلك زُيّن لفرعون سوء عمله وصدّ عن السّبيل وماكيد فرعون إلّا في تباب)

أسباباً أصعد بها إلى أبواب السّموات وطرقها، فأطلع هناك إلى إله موسىٰ الّذي يزعم أنّه في السّمآء أرسله إليّ، فأنظر إليه نظر مشرف عليه، وإنّي لأظنّ موسىٰ كاذباً فيما يدّعيه، ومثل مازيّن لهؤلآء الكفّار سوء أعمالهم ... زُيّن لفرعون قبيح

أعماله، وصُدّ عن طريق الحقّ والهدىٰ، وما احتيال فرعون الّذي كان يحتاج للإطّلاع إلى إله موسىٰ إلّا في ضلال وخسار.

٤١٧١ ـ (وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرّشاد)

وقال الرّجل الّذي آمن بموسىٰ عليه السّلام يا قوم! إتبعوني واقتدوابي في الدّين لأنّي أهدكم بالبراهين القاطعة، طريق الحقّ والهدىٰ ...

٤١٧٢ ـ (يا قوم إنّما هذه الحياة الدّنيا متاع وإنّ الآخرة هي دارالقرار)

يا قوم! ما هذه الحياة الدّنيا العاجلة إلّا متاع كمتاع البيت لايبقىٰ، وإنّ الآخرة هي دار الخلود والبقآء تستقرّون فيها لاتحويل ولا انتقال منها.

٤١٧٣ ـ (من عمل سيّئة فلايجزىٰ إلّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب)

من عمل سيّئة في الدّنيا، فلا يجزىٰ يوم القيامة إلّا مثلها، ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن بالله تعالى فأولئك يدخلون الجنّة جزآءً على إيمانهم، يرزقون فيها بنعيمها بغير حساب ولا تقدير.

٤١٧٤ ـ (ويا قوم مالي أدعوكم إلى النّجاة وتدعونني إلى النّار)

وقال الرّجل المؤمن ناصحاً لقومه: يا قوم! أخبروني عن أحوالكم كيف أنتم؟ كيف هذه الحال حالكم؟ أدعوكم إلى سبب النّجاة من الإنحطاط والعذاب، وأنتم تدعونني إلى سبب الإنحطاط والعذاب!

٤١٧٥ ـ (تدعونني لأكفر بالله واشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفّار)

تدعونني إلى الكفر بالله جلّ وعلا وإلى الشّرك به سبحانه من دون علم ولا دليل عليه، وأنا أدعوكم إلى القادر الّذي لايقهر، الغافر لذنوب من تاب إليه وآمن.

٤١٧٦ ـ (لاجرم أنّما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة وأنّ مردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النّار)

قال الرّجل المؤمن لقومه المستكبرين: حقّاً تدعونني إلى ماليس له دعوة في الدّنيا

ولا في الآخرة إلى نفسه من الآلهة الموهومة ... وأنّ مرجع كلّنا بعد الموت إلى الله تعالى للحساب والجزآء، وأنّ الّذين أسرفوا في العقآئد والأقوال والأعمال هم أصحاب نار جهنّم وملازموها.

٤١٧٧ ـ (فستذكرون ما اقول لكم وافوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد)

قال الرّجل المؤمن لفرعون طاغي مصر وملئه المستكبرين: فستذكرون عند معاينة عذاب الله تعالى ما أقول لكم اليوم، واسلّم أمري إلى الله جلّ وعلا، لأنّ الله بصير بأحوال عباده.

٤١٧٨ ـ (فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

فحفظ الله تعالى الرجلّ المؤمن، شدائد مكر فرعون وملئه، فكفاه الله شرّهم، ورجع وبال مكرهم إليهم، وحلّ بهم سوء العذاب في الحياة الدّنيا.

٤١٧٩ ـ (النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب)

إنّ فرعون وملئه يعرضون على النّار صباحاً ومسآءً في عالم البرزخ، ويوم تقوم السّاعة، يأمرالله تعالى الملائكة: أدخلوا أيّها الملائكة، آل فرعون أشدّ العذاب.

٤١٨٠ ـ (وإذ يتحاجّون في النّار فيقول الضّعفآء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا نصيباً من النّار)

واذكر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومك قصّة فرعون وآله المستكبرين ووبال أمرهم حين يتخاصم الرّؤسآء والأتباع منهم في نار جهنّم، فيقول الأتباع السّفلة للرّؤسآء الفجرة: إنّا كنّا لكم تبعاً لكم في الحياة الدّنيا، فهل أنتم اليوم متحمّلون عنّا جزءً من عذاب النّار.

٤١٨١ ـ (قال الّذين استكبروا إنّا كلّ فيها إنّ الله قدحكم بين العباد)

قال الرّؤسآء المستكبرون: نحن الرّؤساء وأنتم الأتباع كلّنا مخلّدون في النّار، لأنّ الله تعالى قدحكم هذا الحكم بين عباده لاراد لحكمه.

٤١٨٢ ـ (وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم أدعوا ربّكم يخفّف عنّا يوماً من العذاب)

وقال فرعون وملئه الّذين هم مستقرّون في نار جهنم لخزنتها: ادعوا لنا ربّكم يخفّف عنّا من العذاب قدر يوم من أيّام الدّنيا.

٤١٨٣ ـ (قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلىٰ قالوا فادعوا وما دعآؤا الكافرين إلّا في ضلال)

قال خزنة جهنّم لهؤلآء الرّؤسآء والأتباع من أصحاب النّار: أولم تك تأتيكم رسلكم من أنفسكم بالحجج الواضحة من الله تعالى؟ قالوا: بلىٰ قد جآئتنا ولكنّا كفرنا بالله وكذّبنا بالرّسل ... قال لهم الخزنة: إذا كان الأمر كما اعترفتموه فادعوا أنتم وحدكم بما لاينفعكم قط، وما دعآوا الكافرين في النّار إلّا في ضياع لايجاب.

٤١٨٤ ـ (إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد)

من شأننا المستمرّ أنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا معهم في الحياة الدّنيا بوجوه النّصر، وننصرهم يوم يقوم الأشهاد للشهادة على الأعمال ...

٤١٨٥ ـ (يوم لاينفع الظّالمين معذرتهم ولهم اللّعنة ولهم سوء الدّار)

يوم لاينفع الّذين ظلموا في الحياة الدّنيا إعتذارهم من الشّرك والطّغيان، وللظّالمين يومئذ لعنة الله تعالى، ولهم سوء الدّار وهي نار جهنّم وسوء عذابها.

٤١٨٦ ـ (ولقد آتينا موسى الهدىٰ وأورثنا بني إسرائيل الكتاب)

ولقد آتينا موسىٰ عليه السّلام التّوراة، وجعلناها ميراثاً لبني إسرائيل من بعد موسىٰ عليه السّلام وإن حرّفوها بعد ذلك تبعاً لأهوآئهم ...

٤١٨٧ ـ (هدىً وذكرىٰ لأولي الألباب)

كانت التّوراة قبل تحريفها هدى لمن اهتدىٰ بها، وكانت ذكرىٰ لمن تذكّر من ذوي العقول السليمة بذكراها.

٤١٨٨ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربّك بالعشيّ والإبكار)

فاصبر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لأمر ربّك، وبلّغ النّاس ما أُنزل إليك من ربّك، إنّ وعدالله تعالى الّذي وعدك به من النّصر حقّ، واستغفر لذنبك ـ وأنت معصوم من كلّ خطاء وزلل ـ ليتقدي بك أمّتك، فيصير الإستغفار سنّة بينهم لما فيه

من الآثار .. وكن على ذكر دآئم لربّك، فنزّهه مصاحباً لحمده على جميع نعمآئه مستمرّاً متوالياً بتوالي الأزمان ...

٤١٨٩ ـ (إنّ الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلّا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنّه هو السّميع البصير)

إنّ الّذين يكابرون في آيات الله بغير حجة جآئتهم من عندالله، ما في صدورهم إلّا كبر وغرور، وماهم ببالغي موجب الكبر وهو دفع النّبوّة، فاستعذ بالله من شرّهم لأنّ الله تعالى هو السّميع لأقاويلهم، البصير بضمآئرهم.

٤١٩٠ ـ (لخلق السّموات والأرض أكبر من خلق النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون)

لخلق السّموات والأرض إبتداءً من دون سبق مادة مع عظمهما أكبر في الصّدور من خلق النّاس، وإن كان الخلقان عند قدرته تعالى على حدّ سواء، ولكنّ أكثر النّاس في ظرف لايتفكّرون في ذلك، فلايعلمون

٤١٩١ ـ (وما يستوي الأعمىٰ والبصير والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ولا المسيءُ قليلاً ماتتذكّرون)

ولا يستوي عندالله جلّ وعلا ولا عندالعقل السّليم، الأعمىٰ الّذي لايبصر شيئاً وأهمل نفسه، والبصير الّذي يرىٰ بعيني قلبه الحقائق، ولايستوي الّذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصّالحات ولا الّذين كفروا وأساؤا، أيّها النّاس! إنكم قليلاً ماتتذكّرون هذا التّفاوت بين الفريقين.

٤١٩٢ ـ (إنّ السّاعة لآتية لاريب فيها ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون)

إنّ السّاعة الّتي يحيي الله تعالى فيها الموتىٰ للحساب والجزآء لآتية لايشكّ في مجيئها المؤمنون العقلآء، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايؤمنون بها.

٤١٩٣ ـ (وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين)

وقال ربّكم أيّها النّاس: أدعوني أستجب لكم إذا اجتمعت شرائط الإجابة واقتضت المصلحة إجابتكم، إنّ الّذين يتعاظمون ولايدعون الله جلّ وعلا ولايعبدونه

هم سيدخلون جهنّم صاغرين أذلآء.

٤١٩٤ ـ (الله الّذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصراً إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون)

الله الّذي جعل لأجلكم معاشر النّاس اللّيل مظلماً لتسكنوا وتستريحوا فيه من كدّ النّهار وتعبه، وجعل النّهار مبصراً لتبتغوا من فضل ربّكم، لأنّ الله ذوفضل على النّاس، ولكنّ أكثر النّاس في كلّ ظرف لايشكرون الله تعالىٰ بما أنعم عليهم من فضله.

٤١٩٥ ـ (ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شئ لا إله إلّا هو فأنّىٰ تؤفكون)

أيّها النّاس! إنّ الّذي بيّن لكم البراهين القاطعة على وحدانيته، وأنعم عليكم من فضله هو الله ربّكم خالق كلّ شيء لامعبود تصلح له العباده غيره، فإلى أين تذهبون عنه فتعبدون سواه؟!

٤١٩٦ ـ (كذلك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون)

بمثل هذا الإفك والإفترآء على الله سبحانه يأفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون من الأمم الماضية ...

٤١٩٧ ـ (الله الّذي جعل لكم الأرض قراراً والسّمآء بنآءً وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطّيّبات ذلكم الله ربّكم فتبارك الله ربّ العالمين)

الله الّذي جعل لأجلكم الأرض قراراً تستقرّون عليها وتعيشون إلى حين، وجعل لأجلكم السّمآء سقفاً محفوظاً، وصوّركم في الأرحام فأحسن صوركم، ورزقكم حلالاً طيّباً، الّذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم أيّها النّاس هوالله ربّكم، فتبارك الله مالك جميع الخلق ربّ العالمين.

٤١٩٨ ـ (هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمدلله ربّ العالمين)

هو الحيّ الّذي لايموت لامعبود بحقّ يفعل ذلك إلّا هو فوحّدوه أيّها النّاس وادعوه مخلصين في دعآئه وعبادته، واحمدوه على هذه النّعم ... وقولوا في كلّ حال: الحمد لله ربّ العالمين.

٤١٩٩ ـ (قل إنّي نهيت أن أعبد الّذين تدعون من دون الله لمّا جآئني البيّنات من ربّي وأمرت أن أسلم لربّ العالمين)

قل يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم لكلّ من يشرك بالله سبحانه من أهل الشّرك في كلّ ظرف: إنّي نُهيت أن أعبد الّذين تدعون وتعبدونها من الآلهة الموهومة ... لمّا جآئني آيات بيّنات من جانب ربّي بأنّ الله واحد لاشريك له، وأمرت أن انقاد لربّ العالمين.

٤٢٠٠ ـ (هوالّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة ثمّ يخرجكم طفلاً ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفّىٰ من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمّى ولعلّكم تعقلون)

هو الله الّذي خلقكم أيّها النّاس من تراب، ثمّ خلقكم من نطفة مهينة، ثمّ من دم عبيط، ثمّ يخرجكم من بطون أمّهاتكم طفلاً، ثمّ لتبلغوا أشدّكم رجالاً، ثمّ لتكونوا شيوخاً بعد الأشدّ، ومنكم مَن يتوفّىٰ قبل البلوغ سقطاً أو طفلاً، ومنكم من يتوفّىٰ بعد البلوغ من قبل أن يصير شيخاً بالأجل المعلّق، ومنكم من يبلغ الأجل المحتوم وهو منتهىٰ آجالكم ... وقد بيّن لكم ذلك لعلّكم تتفكّرون.

٤٢٠١ ـ (هوالّذي يحيي ويميت فإذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون)

هو الّذي يحييكم معاشر النّاس بعد موتكم يوم القيامة للحساب والجزآء، هو الّذي يميتكم بعد حياتكم في الدّنيا، فإذا أراد الله كون أمر، فإنّما يقول له: كن فيكون بلا معاناة ولا كلفة.

٤٢٠٢ ـ (ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يصرفون)

ألم تر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الّذين يكابرون في آيات الله تعالى كيف يصرفون عنها، ويقلبون عن الهدىٰ إلى الضّلال؟!

٤٢٠٣ ـ (الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون)

الّذين كذّبوا بالقرآن الكريم، وكذّبوا بما أرسلنا قبلك، فسوف يعلمون يوم القيامة جزآء تكذيبهم ومآل أمر مجادلتهم في آيات الله تعالى.

٤٢٠٤ ـ (إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون)

حين كون الأغلال في أعناقهم، والسّلاسل في أيديهم وأرجلهم يجرّون بها.

٤٢٠٥ ـ (في الحميم ثمّ في النّار يسجرون)

في المآء المسخن الحارّ الّذي قد انتهت حرارته، ثمّ يلقون في نار جهنّم.

٤٢٠٦ ـ (ثمّ قيل لهم أين ما كنتم تشركون)

ثمّ قيل لهؤلآء المكذّبين ـ على وجه التّوبيخ ـ: أين آلهتكم الّتي كنتم تزعمونها آلهة لكم وتعبدونها.

٤٢٠٧ ـ (من دون الله قالوا ضلّوا عنّا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضلّ الله الكافرين)

قال المشركون ـ وهم في نار جهنّم ـ: غابوا عنّا آلهتنا وتركونا في العذاب، بل تبيّن لنا اليوم أنّا لم نكن ندعوهم من قبل شيئاً يعتنى به، مثل ما حكم الله تعالى بضلال المشركين المعاندين، يحكم بضلال كلّ من كفر بالله جلّ وعلا وأصرّ على كفره.

٤٢٠٨ ـ (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقّ وبما كنتم تمرحون)

فعل الله تعالى بكم أيّها الكافرون جزاءً بما كان لكم من الفرح والنّشاط بغير الحق وبطركم في معاصي الله وافتخاركم بمانلتم بمتاع الدّنيا وشهواتها.

٤٢٠٩ ـ (ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين)

يقول خزنة جهنّم عند أبوابها لهؤلآء المتكبّرين: ادخلوا ـ كلّ فرقة منكم ـ جهنّم من باب خاصّ بكم من أبوابها السّبعة المقسومة لكم، فبئس منزل المتكبّرين نار جهنّم.

٤٢١٠ ـ (فاصبر إنّ وعدالله حقّ فإمّا نرينّك بعض الّذي نعدهم أو نتوفّينّك فإلينا يرجعون)

فاصبر يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما يجادلك به المكابرون في آيات الله تعالى وعلى كفرهم، فإنّ الله عزّوجلّ منجز لك فيهم ماوعدك من وجوه النّصر، فإمّا

نريَنّك في الحياة الدّنـيا بعض الّذي نعدهم من العذاب والنّقمة، أو نتوفّينّك قبل أن يحلّ بهم العذاب فهم إلينا يرجعون يوم القيامة، فنجازيهم بما يستحقونه من العذاب.

٤٢١١ ـ (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وماكان لرسول أن يأتي بآية إلّا بإذن الله فإذا جآء أمرالله قضي بالحقّ وخسر هنا لك المبطلون)

ولقد أرسلنا يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم رسلاً من قبلك إلى قومهم، من جملتهم من قصصنا عليك قصصهم في القرآن الكريم، ومن جملتهم من لم نقصص عليك قصصهم فيه، وماكان لرسول من الرّسل أن يأتي قومه بآية إلّا بإذن الله تعالى له بذلك، فإذا جآء أمرالله جلّ وعلا حكم بالحقّ بين الرّسول وقومه، وغبن عندئذ كلّ من كان يسعىٰ في إبطال الحقّ، وإعلاء الباطل.

٤٢١٢ ـ (الله الّذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون)

الله الّذي خلق لأجلكم أيّها النّاس! الأنعام لتركبوا بعضاً منها، وتأكلون من لحوم بعضها.

٤٢١٣ ـ (ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون)

ولكم أيّها النّاس في الأنعام ـ غير الرّكوب والأكل ـ منافع أُخر، وهي نسلها وألبانها وأصوافها وأوبارها وما إليها من المنافع، ولأن تبلغوا المواضع الّتي تقصدونها بحوآئجكم، وعلى ظهور الأنعام في البرّ، وعلى السّفن في البحر تحملون في أسفاركم إلى بلاد نائية.

٤٢١٤ ـ (ويريكم آياته فأيّ آيات الله تنكرون)

ويريكم الله أيّها النّاس آياته الآفاقيّة والأنفسيّة، فأيّ آياته تنكرون صحّتها وتجحدون دلالتها على وحدانية الله جلّ وعلا وقدرته.

٤٢١٥ ـ (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثاراً في الأرض فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكسبون)

أفلم يسيروا يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم هؤلآء المنكرون لآيات الله جلّ وعلا في الأرض فينظروا فيما حلّ بالأمم الماضية من بأس الله تعالى بسبب إنكارهم آيات الله عزّوجلّ، كيف كان مآل أمرهم، وقد كان السّابقون أكثر من هؤلآء المنكرين المشركين، وأشدّ منهم بطشاً، وأبقىٰ آثاراً في الأرض، فلم يغن عنهم شيئ ممّا كان بأيديهم من عذاب الله.

٤٢١٦ ـ (فلمّا جآءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

فلمّا جآئت الأمم الماضية رسلهم بالحجج الظّاهرة والمعجزات الباهرة من الله تعالى ليدعوهم إلى التوحيد والإخلاص، اغترّوا بما في أيديهم من أباطيل، وفرحواْ بما علموا من أمر المعاش، وحلّ بهم من العذاب والبلآء جزآءً لإستهزآئهم بالرّسل وبما جآؤهم به.

٤٢١٧ ـ (فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين)

فلمّا رأوا بأسنا الّذي وعدتهم به رسلهم قد حلّ بهم قالوا: آمنّا بالله وحده لاشريك له، وكفرنا بما كنّا به مشركين من قبل نزول هذه البأس والعذاب.

٤٢١٨ ـ (فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّت الله الّتي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون)

فلم يك ينفع المشركين إيمانهم حين رؤيتهم عذابنا قد نزل عليهم فإنّ الله تعالى قد سنّ هذه السّنة بأن لاينفع الكافرين إيمانهم عند نزول العذاب عليهم، وخسر عند مجيئ بأس الله عزّوجلّ الكافرون بربّهم.

﴿بحث روائي﴾

في فروع الكافي ـ باب الشّعار ـ بإسناده عن معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السّلام قال ـ في حديث ـ : «وشعار يوم الأحزاب «حم لايبصرون» الحديث.

رواه المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار: «حم لاينصرون» بدل «حم لايبصرون».

وفي النّهاية لإبن الأثير ـ في حديث الجهاد ـ : «إذا بليتم (بيتم خ) فقولوا : حم لاينصرون».

قيل: معناه: أللّهمّ لاينصرون، ويريد به الخبر لا الدّعاء لأنّه لوكان دعاءً لقال: «لاينصروا» مجزوماً فكأنّه قال: «والله لاينصرون. وقيل: إنّ السّور الّتي أوّلها حم سورلها شأن، فنبّه أنّ ذكرها لشرف منزلتها ممّا يستظهر به على استنزال النّصر من الله، وقوله: «لاينصرون» كلام مستأنف كأنّه حين قال: قولوا: حم قيل: ماذا يكون إذا قلناها؟ فقال: لاينصرون.

وفي نوادر الرّاوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبآئه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لسريّة بعثها: «ليكن شعاركم: حم لاينصرون، فإنّه إسم من أسمآء الله تعالى الأعظم».

وفي مجمع الطّبرانيّ الأوسط ـ من حديث أنس ـ قال: إنهزم المسلمون يوم حنين ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على بغلته الشّهبآء الّتي يقال لها: دلدل، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: دُلدُل أسدي، فألصقت بطنها بالأرض حتّىٰ أخذ

النّبيّ حفنة من تراب فرمىٰ بها وجوههم قال: «حم لاينصرون» قال: فانهزم القوم وما رميناهم بسهم ولا طعنّاهم برمح ولا ضربناهم بسيف».

وفيه: ـ من حديث شيبة بن عثمان ـ أنّ النّبيّ قال لعمّه عباس يوم حنين: ناولني من البطحآء فأفقه الله البغلة كلامه، فانخفضت به حتّىٰ كاد بطنها يمسّ الأرض، فتناول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الحصبآء فنفخ في وجوههم وقال: شاهت الوجوه «حم لاينصرون».

وقد ورد: أنّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السّلام كان يقرأ في القتال: «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذّنب وقابل التّوب شديدالعقاب ذي الطّول لا إله إلّا هو إليه المصير» فيغلب على أعدآئه ببركة الآيات ...

أقول: إنّي كنت أقرأ تلك الآيات الكريمة بسنين طويلة، في كلّ يوم بعد صلاة الصّبح حتّى اليوم، فوجدت آثارها عجيباً جدّاً في دفع كيد الأعدآء وشرّ الأشرار ...

وفي كتاب حياة الحيوان ـ في كلمة «القنفذ» ـ روي البيهق في أواخر دلآئل النّبوة عن أبي دجّانة وإسمه سماك بن خرشة قال: «شكوت إلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي نمت في فراشي، فسمعت صريراً كصرير الرّحىٰ ودويّاً كدويّ النّحل ولمعاً كلمع البرق، فرفعت رأسي فإذاً أنابظلّ أسود يعلو ويطول في صحن داري، فمسست جلده فاذاً هو كجلد القنفذ، فرمىٰ في وجهي مثل شرر النّار فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: عامر دارك يا أبادجّانة.

ثمّ طلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دواة وقرطاساً، وأمر عليّاً عليه السّلام أن يكتب:

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

«هذا كتاب من محمّد رسول ربّ العالمين إلى من يطرق الدّار من العمّار والزّوّار إلّا طارقاً يطرق بخير، أمّا بعد: فإنّ لنا ولكم في الحقّ سعة، فإن كنت عاشقاً مولعاً

أو فاجراً مقتحماً فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحقّ، إنّا كنّا نستنسخ ماكنتم تعملون ورسلنا يكتبون ماتمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أنّ مع الله إلهاً آخر، لا إله إلّا هو كلّ شيء هالك إلّا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، حم لاينصرون، حمٓ عسٓق تفرّق أعدآء الله وبلغت حجّة الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم».

قال أبو دجّانة رضي الله عنه: فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبتّ ليلتي، فما انتبهت إلّا من صراح صارخ يقول: يا أبادجانة أحرقتنا بهذه الكلمات، فبحقّ صاحبك إلّا ما رفعت عنّا هذه الكلمات، فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب. قال أبودجّانة: فقلت: ولا أرفعه حتّى أستأذن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال أبودجّانة: فلقد طالت عليّ ليلتي بما سمعت من أنين الجنّ وصراخهم وبكآئهم حتّى أصبحت، فغدوت فصلّيت الصّبح مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأخبرته بما سمعت من الجنّ ليلتي، وما قلت لهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا أبادجّانة ارفع عن القوم، فوالّذي بعثني بالحق نبيّاً إنّهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة».

وفي معاني الأخبار: في حديث سئل سفيان الثوري الإمام الصّادق عليه السّلام عن معنى «حم» فقال الإمام عليه السّلام: «وأمّا «حم» فمعناه الحميد المجيد» الحديث.

وفي مهج الدّعوات: ـ في عوذة وُجِدَتْ في ثياب الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام بعد وفاته ـ: «حم لايبصرون» كما في فروع الكافي بدل «لاينصرون».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «حمٓ» إسم من أسمآء الله تعالى وهي مفاتيح خزآئن ربّك».

وفيه: «إنّ أعرابياً سئل النّبيّ: ما «حمٓ» فإنّا لانعرفها في لساننا؟ فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: بدء أسمآء وفواتح سور».

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «غافر الذّنب وقابل التّوب»: وذلك

خاصّة لشيعة أميرالمؤمنين عليه السّلام».

وذلك أنّ الله تعالى يغفر الذّنوب لمن آمن، ويقبل التّوبة ممّن تاب، وأي ذنب أكبر من فقد الولاية لأهل بيت النّبوة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفيه: قال: في قوله تعالى: «مايجادل في آيات الله»: وهم الأئمّة عليهم السّلام.

أقول: وذلك لأن الائمّة عليهم السّلام آيات الله الناطقه، كما أنّ القرآن الكريم وآياته كتاب صامت، كما ورد ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وفي كمال الدّين: بإسناده عن عبدالرّحمن بن سمرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لعن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيّاً، ومن جادل في آيات الله فقد كفر قال الله عزّوجلّ: «مايجادل في آيات الله إلاّ الّذين كفروا...» الحديث.

وفيه رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تماروا في القرآن فإنّ المرآء فيه كفر». وفي رواية: قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ جدالاً في القرآن كفر».

أقول: في تنكير «جدالاً» دلالة على جواز الجدال فيه لحلّ عقده وإستنباط حقائقه وقطع تشبّث أهل الزّيغ وردّ مطاعنهم فيه.

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «والأحزاب من بعدهم» هم أصحاب الأنبيآء الّذين تحزّبوا « وهمّت كلّ أمّة برسولهم ليأخذوه» يعني يقتلوه «وجادلوا بالباطل» أي خاصموا «ليدحضوا به الحقّ» أي يبطلوه ويدفعوه.

وفي الدّرّ المنثور: عن ابن عبّاس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من أعان باطلاً ليدحض بباطله حقّاً فقد برئت منه ذمّة الله وذمّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم ».

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن جابرعن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «وكذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين كفروا أنّهم أصحاب النّار» يعني بني اميّة.

٧ ـ (الّذين يحملون العرش ومن حوله ـ وقهم عذاب الجحيم)

في تفسير القمّي: في قوله تعالى: «الّذين يحملون العرش» يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأوصيآء من بعده يحملون علم الله ومن حوله يعني الملائكة يسبّحون

بحمّد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا أي شيعة آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «فاغفر للّذين تابوا» من ولاية فلان وفلان وبين امية «واتبعوا سبيلك» أي ولاية عليّ وليّ الله عليه السّلام «وقهم عذاب الجحيم ربّنا وأدخلهم جنّات عدن الّتي وعدتهم ومن صلح من آبآئهم وأزواجهم وذرياتهم إنّك أنت العزيز الحكيم» يعني من تولّى علياً عليه السّلام فذلك صلاحهم «وقهم السّيئات ومن تق السّيئات يومئذ فقد رحمته» يعني يوم القيامة «وذلك هو الفوز العظيم» لمن نجاه الله من ولاية فلان وفلان، ثمّ قال: «وإنّ الّذين كفروا» يعني بني امية «ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان» يعني إلى ولاية عليّ عليه السّلام «فتكفرون».

وفيه: بإسناده عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السّلام أنّه سئل هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ «فقال: والّذي نفسي بيده لعدد ملائكة الله في السّموات أكثر من عدد التّراب في الأرض، وما في السّمآء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه ولا في الأرض شجرة ولا مدر إلّا وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها والله أعلم بها وما منهم أحد إلّا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت ويستغفر لِمحبّينا ويلعن أعدآئنا، ويسئل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً».

أقول: إنّ الملائكة متعبّدون بالإستغفار لشيعة الإمام عليّ عليه السّلام كتعبّدهم بالتّوحيد والنّبوّة والولاية.

وفي روضة الكافي: عن أبي بصير قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «يا أبا محمّد إنّ لله عزّوجلّ ملائكة يسقطون الذّنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الرّيح الورق من الشّجر في أوان سقوطه، وذلك قوله عزّوجلّ: «يسبّحون بحمّد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا» والله ما أراد بهذا غيركم».

قوله عليه السّلام: «يسقطون الذّنوب» بالإستغفارلهم كما يشهد به إستشهاده بالآية الكريمة.

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام عن عليّ بن أبيطالب عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في حديث طويل ـ قال

صلّى الله عليه وآله وسلّم: وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا عليّ الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمّد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا».

وفي كنز الفوائد: بإسناده عن محمدبن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه السّلام يقول في قوله عزّوجلّ: «الّذين يحملون العرش ومن حوله» يعني محمّداً وعلياً والحسن والحسين ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ صلوات الله عليهم أجمعين».

وفيه: عن جابر بن يزيد قال: سئلت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «الّذين يحملون العرش ومن حوله» قال يعني الملائكة «يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا» يعني شيعة محمّد وآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم «ربّنا وسعت كلّ شيئ رحمة وعلماً فاغفر للّذين تابوا» من ولاية الطّواغيت الثّلاثة ومن بني اميّة «واتّبعوا سبيلك» يعني ولاية عليّ عليه السّلام وهو السّبيل، وقوله تعالى: «وقهم السّيّئات» يعني الثّلاثة «ومن تق السّيّئات يومئذ فقد رحمته» وقوله تعالى: «إنّ الّذين كفروا» يعني بني اميّة «ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان» يعني إلى ولاية عليّ عليه السّلام وهي الإيمان «فتكفرون» .

وفيه: عن أصبغ بن نباتة عن أميرالمؤمنين عليه السّلام قال: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُنزل عليه فضلي من السّمآء وهي هذه الآية: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمّد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للّذين آمنوا» وما في الأرض يومئذ مؤمن غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأنا».

قال المجلسي رضوان الله تعالى عليه بعد نقل الخبر: يدلّ هذا الخبر على أنّ سورة المؤمن من أوآئل السّور النّازلة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمكّة، ولا خلاف في أنّها مكّيّة، لكن عدّها بعضهم من أواسط ما نزلت بمكّة، ولا عبرة بقولهم، مع أنّه لاينافي ذلك ،لأنّ أكثر من عدّوه من السّابقين صاروامن المنافقين...

وفي البرهان: - بعد قوله عليه السّلام غير رسول الله وأنا- وهو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لقد استغفرت لي الملائكة قبل جميع النّاس من امّة محمد صلّى الله

عليه وآله وسلّم سبع سنين وثمانية أشهر».

وفيه: بالإسناد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لقد صلّت الملائكة عَلَيَّ وعلى عليّ سنين لأنّا كنا نصلّي وليس أحد معنا غيرنا».

وفي المناقب: عن أبي أيّوب الأنصاري قال: سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبيطالب عليه السّلام سبع سنين وذلك أنّه لم يؤمن بي ذكر قبله، وذلك قوله: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمّد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض»».

وفي المناقب لأبن شهرآشوب المازندراني رضوان الله تعالى عليه: أبوذر عن النّبيّ في خبر في قوله: «واتّبعوا سبيلك» يعني عليّاً عليه السّلام».

وفي تفسير فرات الكوفي: قال بعض أصحاب جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: قلت: جعلت فداك يا أبا عبدالله وإنّ الملائكة لتعرفنا؟ قال: سبحان الله وكيف لايعرفونكم وقد وُكّلوا بالدّعآء لكم والملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا ما استغفارهم إلّا لكم دون هذا العالم.

وفيه: بإسناده عن سليمان الأعمش عن جعفربن محمّد الصّادق عليه السّلام - في حديث- فقال: «إنّ لله عزّوجلّ ملائكة يستغفرون لكم حتّىٰ تتساقط ذنوبكم كما تتساقط ورق الشّجر في يوم ريح، وذلك قول الله تعالى: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمّد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا» هم شيعتنا وهي والله لهم يا سليمان هل سررتك؟ فقلت: جعلت فداك زدني! قال: ما على ملّة إبراهيم عليه السّلام إلّا نحن وشيعتنا، وسآئر النّاس منها برئ».

وفي مصباح الكفعمي وجنّة الأمان والبلد الأمين والإختيار: يستحبّ أن يقول في قنوت الوتر ماكان أميرالمؤمنين يقول في الإستغفار: «ألّلهمّ إنّك قلت في كتابك المحكم المنزل على نبيّك المرسل وقولك الحقّ- إلى أن قال-: وقلت تباركت وتعاليت: «الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا» وأنا أستغفرك وأتوب إليك» الحديث.

وفي الصّحيفة السّجّادية: قال الإمام سيّدالسّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «أنت الّذي وسعت كلّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وأنت الّذي جعلت لكلّ مخلوق في نعمك سَهْماً ...».

والمعنى: أنّه لا إختصاص لرحمتك بشيءٍ دون شيءٍ، بل شملت جميع الأشيآء ولا يختصّ علمك بمعلوم دون آخر، بل أنت تفسيرعالم بكلّ معلوم. وتقديم الرّحمة لأنّها المقصودة بالذّات ههنا كقوله تعالى: «ربّنا وسعت كلّ شيءٍ رحمةً وعلماً».

ومعنى إتّساع رحمته لكلّ شيءٍ أنّ رحمته تعالى في الدّنيا تعمّ الكلّ، فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص بل ما من مكلّف وغيره إلّا وهو متقلّب في نعمته، وأمّا في الآخرة فهي مختصّة بالمؤمنين.

والظّاهر أنّ المراد بالفقرة الثّانية: «وأنت الّذي جعلت لكلّ مخلوق في نعمك سهماً» أخصّ من المراد بالفقرة الأولى، فيكون المراد بقوله: «وسعت كلّ شيءٍ رحمة» الرّحمة العامّة أعني إفاضة الوجود على الممكنات، وبقوله: «جعلت لكلّ مخلوق في نعمك سهماً» تخصيص كلّ ممكن بحصّة من كلّ تلك الرّحمة أعني الوجود الخاص، وما يتبعه من وجود كمالاته كما قال تعالى: «ربّنا الّذي أعطىٰ كلّ شيءٍ خلقه ثمّ هدىٰ» طه: ٥٠).

أو يكون المراد برحمته الّتي وسعت كلّ شيءٍ مايعمّ الكلّ في الأطوار كلّها حسبما في قوله تعالى: «ورحمتي وسعت كلّ شيءٍ» الأعراف: ١٥٦) وبجعله لكلّ مخلوق في نعمه سهماً ما يفيض على الكلّ بعد الخروج إلى طور الوجود من النّعم كما يدلّ عليه لفظ كلّ مخلوق، فبيّن أنّه تعالى خالق لجميع الأشيآء منعم عليها بجميع مايليق بها بطريق التّفضّل وأتى بلفظ النّعم مجموعاً إيذاناً بتنوّعها لأنّ منها ما هو محسوس وغير محسوس، ومعلوم وغير معلوم إلى غير ذلك، وجآء بالعآئد في خبر الموصول مخاطباً وإن كان الأكثر لكونه غائباً كما في الفقرات الآتية: «وأنت الّذي عفوه أعلى من عقابه، وأنت الّذي تسعىٰ رحمته أمام غضبه ...» إستلذاذاً بالخطاب.

وفي اصول الكافي: بإسناده عن إبن أبي عمير عن بعض أصحابنا رفعه قال: «إنّ

الله عزّوجلّ أعطى التّائبين ثلاث خصال لو اعطىٰ خصلة منها جميع أهل السّموات والأرض لنجوا بها قوله: «الّذين يحملون العرش ومن حوله- وذلك هو الفوز العظيم» الحديث.

وفيه: بإسناده عن محمّدبن مسلم عن أحدهما عليها السّلام قال: «الصّلاة على المستضعف، والّذي لايعرف الصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والدّعآء للمؤمنين والمؤمنات يقول: «ربّنا اغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك - وذلك هو الفوزالعظيم»».

وفي تفسير نورالثّقلين: بالإسناد عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السّلام قال:«إذا صلّيت على المؤمن فادع له واجتهد له في الدّعآء وإن كان واقفاً مستضعفاً فكبّر وقل: أللّهمّ اغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم».

وفيه: عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: يقول: أشهد أن لا إله الاّ الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله اللّهم صلّ على محمّد عبدك ورسولك اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وتقبّل شفاعته، وبيّض وجهه وأكثر تبعه، أللّهمّ اغفرلي وارحمني وتب عليّ، أللّهمّ اغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فإن كان مؤمناً دخل فيها، وإن كان ليس بمؤمن خرج منها».

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وادي بدر عشآء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان، فلمّا أصبح المسلمون عدل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صفوفهم ونظم جيشه تنظيماً لم يعرفه العرب، ثمّ وقف أمام القوم وخطبهم، فحمدالله وأثنىٰ عليه ثمّ قال: «أمّا بعد فانّي أحثّكم على ماحثّكم الله عليه، وأنهاكم عمّانهاكم الله عنه، فإنّ الله عظيم شأنه، يأمر بالحقّ ويحبّ الصّدق ويعطي على الخير أهله أعلىٰ منازلهم عنده، به يُذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحقّ لايقبل الله فيه من أحد إلّا ما ابتغىٰ به وجهه، وإن الصّبر في مواطن البأس ممّا يفرّج الله به الهمّ وينجّي به من الغمّ تدركون به النّجاة في الآخرة، فيكم نبيّ الله يحذّركم ويأمركم فاستحيوا اليوم

أن يطّلع الله على شيءٍ من أمركم يمقتكم عليه فإنّه تعالى يقول: «لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم»».

وفي المناقب: الباقر والصّادق عليهما السّلام في قوله تعالى: «إنّ الّذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون» قالا: إلى ولاية عليّ عليه السّلام .

١١ ـ (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ...)

في تفسير القمّي: قال في قوله: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ـ من سبيل» قال الصّادق عليه السّلام ذلك في الرّجعة».

أقول: ولا يبعد أن يكون المراد أنّ التّثنية تتحقّق بالرّجعة أو يقولون ذلك في الرّجعة بسبب الإحيآء والإماتة اللّتين في القبر للسّئوال، كما يحتمل أن يكون أحد الإحيائين في الرّجعة والآخر يوم القيامة، وإحدى الإماتتين في الدّنيا والأخرىٰ في الرّجعة.

وفي الإختصاص: بالإسناد عن محمّدبن سالم عن أبي جعفرعليه السّلام في قوله تعالى: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل» قال عليه السّلام هو خاصّ لأقوام في الرّجعة بعدالموت، ويجري في القيامة فبعداً للقوم الظّالمين».

وفي البحار: «سُئِلَ الرّضا عليه السّلام عن تفسير «أمتّنا اثنتين ...» الآية قال: والله ماهذه الآية إلّا في الكرّة».

وفيه: عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال: «إذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّ صلوات الله عليه وجبرئيل وملك الموت، فيدنو إليه عليّ عليه السّلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، فيقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يا جبرئيل إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه، فيقول جبرئيل لملك الموت: إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فابغضه واعنف به، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبدالله أخذت

فكاك رقبتك، أخذت أمان براءتك، تمسّكت بالعصمة الكبرىٰ في دارالحياة الدّنيا؟ فيقول: وماهي؟ فيقول:

ولاية عليّ بن أبيطالب عليه السّلام فيقول: ما أعرفها ولا أعتقد بها، فيقول له جبرئيل: يا عدوّ الله وما كنت تعتقد؟ فيقول له جبرئيل: أبشر يا عدوّالله بسخط الله وعذابه في النّار أمّا ماكنت ترجو فقد فاتك، وأمّا الّذي كنت تخاف فقد نزل بك، ثمّ يسلّ نفسه سلاً عنيفاً ثمّ يوكّل بروحه مائة شيطان كلّهم يبصق في وجهه، ويتأذّي بريحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النّار، يدخل إليه فوح ريحها ولهبها.

ثمّ إنّه يؤتىٰ بروحه إلى جبال برهوت ثمّ إنّه بصير في المركّبات بعد أن يجري في كلّ سنخ مسخوط عليه حتّى يقوم قآئمنا أهل البيت، فيبعثه الله فيضرب عنقه وذلك قوله: «ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل» الحديث.

وفي تفسير القمّي: قال في قوله تعالى: «ذلكم بأنّه إذا دعي الله وحده كفرتم» أيء جحدتم «وإن يشرك به تؤمنوا» فالكفر ههنا الجحود قال: إذاوحده الله كفرتم وإن جُعِل لله شريكاً تؤمنوا.

وفيه: بإسناده عن محمّدبن حمدان عن أبي عبدالله عليه السّلام في قوله: «إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير» يقول: إذا ذكرالله و وحده بولاية من أمرالله بولايته كفرتم وإن يشرك به من ليست له ولآية تؤمنوا بأنّ له ولاية».

وفي الكافي: عن جعفربن محمّد الصّادق عليه السّلام قال: «إذا دعي الله وحده» وأهل الولاية «كفرتم».

وفي الصّحيفة السّجّادية: قال الإمام الرّابع سيّدالسّاجدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «لك يا إلهي وحدانيّة العدد، وملكة القُدرة الصّمد، وفضيلة الحول والقوّة ودَرَجة العلوّ والرّفعة، ومَن سواك مرحوم في عمره، مغلوب على أمره، مقهور

على شأنه، مختلف الحالات، متنقّلٌ في الصّفات، فتعاليت عن الأشباه والأضداد، وتكبّرت عن الأمثال والأنداد، فسبحانك لا إله الاّ أنت».

أقول: إنّ علوّه جلّ وعلا علوّعقليّ مطلق، بمعنى انّه لارتبة تساوي رتبته، بل لارتبة سوى رتبته، وذلك أنّ أعلى مراتب الكمال العقلية هو مرتبة العليّة ولمّا كانت ذاته المقدّسة هي مبدأ كلّ موجود حسّيّ وعقليّ، وعلّته الّتي لايتصوّر النّقصان فيها بوجه من الوجوه لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب، ودرجته أرفع الدّرجات العقليّة، وله الفوق المطلق في الوجود والعلوّ العالي عن الإضافة إلى شيْ دون شيْ، وعن إمكان أن يكون أحد يساويه في العلوّ أو يكون أعلى منه. وإنّ الرّفعة للدرجات وقد جرت صفة الله تعالى لأنّ القديم تعالى لايوصف بأنّه رفيع أو شريف لأنّ حقيقتها في ارتفاع المكان وإشرافه، قال الإمام عليّ عليه السّلام: «قربه قدرة، وبُعده عظمة، ونزوله إلى الشّيْ إقباله عليه، وإتيانه إيّاه إيصاله لما يريد إليه،ينجلي ولا يتجلّىٰ، ويتداني ولا يتدانىٰ، علوّه من غير توقل، ومجيئه من غير تنقّل».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام : «كبير لايوصف بالخفآء».

وفي تفسير القمّي: قال عليّ بن إبراهيم رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى: «هوالّذي يريكم آياته» يعني الأئمّة صلوات الله عليهم الّذين أخبرهم الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهم.

وفي روايه: عن عبدالله بن الزّبير قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول عقب الصّلوات المكتوبة: لا إله إلّا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيْ قدير لاحول ولا قوّة إلّا بالله، لا إله إلّا الله، ولا نعبد إلّا إيّاه، له النّعمة، وله الفضل وله الثّنآء الحسن، لا إله إلّا الله مخلصين له الدّين ولوكره الكافرون».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم «ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنّ الله لايستجيب دعآء قلب غافل لاهٍ».

وفي تفسير القمّي: قوله: «رفيع الدّرجات ذوالعرش يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده» قال: روح القدس وهو خاصّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة عليهم السّلام».

وفي البحار: عن سلمان الفارسي وأبي ذرالغفاريّ رضوان الله تعالى عليهما- في حديث طويل- عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام قال: «وصار محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم نبيّاً مرسلاً وصرت أنا صاحب أمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال الله عزّوجلّ: «يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده» وهو روح الله لايعطيه ولايلقي هذه الرّوح إلّا على ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو وصيّ منتجب، فمن أعطاه الله هذا الرّوح فقد أبانه من النّاس وفوّض إليه القدرة وأحيى الموتىٰ، وعلم بما كان ومايكون، وسار من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق في لحظة عين، وعلم ما في الضّمآئر والقلوب، وعلم ما في السّموات والأرض ...».

وفي تفسير القمّي: في قوله: «لينذر يوم التّلاق» قال: يوم يلتقي أهل السّموات والأرض».

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «يوم التّلاق» يوم يلتقي أهل السّمآء وأهل الأرض».

وفي كتاب التّوحيد - باب ۲۲ في تفسير حروف المعجم- باسناده عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام - في حديث طويل- قال عليه السّلام في معنى (م ن): فالميم ملك الله يوم الدّين يوم لامالك غيره ويقول الله عزّوجلّ: «لمن الملك اليوم» ثمّ تنطق أرواح أنبيآئه ورسله وحججه فيقولون: «لله الواحدالقهّار» فيقول جلّ جلاله: «اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب» والنّون نوال الله للمؤمنين ونكاله للكافرين».

وفي علم اليقين للفيض الكاشاني رحمة الله تعالى عليه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم - في خبر حشر الخلائق ...- قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ثمّ يأمرالله تعالى إلى السّمآء أن يمطر فيمطر السمآء كمنيّ الرّجال أربعين يوماً، ويكون المآء فوق كلّ

شيْ إثنى عشر ذراعاً، فينبت الخلق بذلك المآء كنبات البقل حتّى تكاملت أجسادهم كما كانت، ثمّ يطوي السّمآء والأرض فيقول الله تعالى: «لمن الملك اليوم» فلايجيبه أحدٌ، وثانياً وثالثاً ثمّ يقول الله تعالى: «لله الواحد القهّار» ثمّ يقول الله تعالى: أين الجبابرة؟ وأين أبنآء الجبابرة؟ وأين الملوك ؟ وأين أبنآء الملوك الّذين يأكلون رزقي ويعبدون غيري؟ ...» الحديث.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن عبيدبن زرارة قال: «سمعت أباعبدالله يقول: إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السّمآء الدّنيا، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السّمآء الدّنيا وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السّمآء الثّانية ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض والسّمآء الدّنيا، والسّمآء الثانية وأضعاف ذلك، ثمّ أمات أهل السّمآء الثّالثة، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السّمآء الدّنيا والسّمآء الثّانية والسّمآء الثّالثة وأضعاف ذلك في كلّ سمآء مثل ذلك وأضعاف ذلك.

ثمّ أمات ميكائيل ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق، ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك، ثمّ أمات جبرائيل، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق، ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك ثمّ أمات إسرافيل، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق، ومثل ذلك كلّه وأضعاف ذلك، ثمّ أمات ملك الموت، ثمّ لبث مثل ما خلق الخلق، ومثل ذلك كلّه، وأضعاف ذلك، ثمّ يقول الله عزّوجلّ: «لمن الملك اليوم»؟ فيردّ على نفسه الله القهّار أين الجبّارون؟ وأين الّذين ادّعوا معي إلهاً آخر؟ أين المتكبّرون ونخوتهم؟ ثمّ يبعث الخلق، قال عبيدبن زرارة: فقلت: إنّ هذا الأمر كأين طولت ذلك؟ فقال: أرأيت ماكان هل علمت به؟ فقلت: لا فقال: فكذلك هذا».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «وإنّه سبحانه يعود بعد فنآء الدّنيا وحده لاشيْ معه كما كان قبل إبتدآئها كذلك يكون بعد فنآئها بلاوقت ولا مكان، ولاحين ولازمان، عدمت عند

ذلك الآجال والأوقات، وزالت السّنون والسّاعات، فلا شئ إلّا الواحدالقهّار الّذي إليه مصير جميع الامور بلاقدرة منها كان ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الإمتناع لدام بقآؤها ...».

وفي نورالثّقلين: بالإسناد عن ثوير بن أبي فاختة عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ماشآء الله فقيل له: فأخبرني يابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمّا النّفخة الأولى فإنّ الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدّنيا ومعه الصّور، وللصّور رأس واحد وطرفان، ويبيّن طرف كلّ رأس منهما إلى الآخر مثل مابين السّمآء والأرض، قال: فاذا رأت الملائكة إسرافيل قد هبط إلى الدّنيا ومعه الصّور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السّمآء، قال: فيهبط إسرافيل بحضيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فاذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة، فيخرج الصّوت من الطّرف الّذي أهل الأرض، فلا يبقىٰ في الأرض ذوروح إلّا صعق ومات، ويخرج الصّوت من الطّرق الّذي يلي السّموات، فلا يبقىٰ في السّموات ذو روح إلّا صعق ومات إلّا إسرافيل قال:

فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ماشآء الله، ثمّ يأمر السّموات فتمور، ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: «يوم تمور السّمآء موراً وتسير الجبال سيراً» يعني تبسط و«تبدّل الأرض غير الأرض» يعني بأرض لم تكسب عليها الذّنوب بارزة ليس عليها جبال ولا بنات كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على المآء كما كان أوّل مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصورت من قبله جهوري يسمع أقطار السّموات والأرضين: «لمن الملك اليوم»؟ فلم يجبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبّار عزّوجلّ مجيباً لنفسه: «لله الواحدالقهّار» وأنا قهرت الخلآئق كلّهم فأمتهم إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي لاشريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي ...» الحديث.

۱۷ ـ (اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب)

في الدّرّ المنثور: عن جابر قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في القصاص فأتيت بعيراً فشددت عليه رحلي ثمّ سرت إليه شهراً حتّى قدمت مصر فأتيت عبدالله بن أنيس، فقلت له: حديث بلغني عنك في القصاص؟ فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «يحشرالله العباد حفاة عراة غرلاً قلنا: ماهما؟ قال: ليس معهم شيئ ثمّ يناديهم بصوت يسمعه من بُعدٍ كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الدّيّان لاينبغي لأحد من أهل الجنّة أن يدخل الجنّة ولا لأحد من أهل النّار أن يدخل النّار وعنده مظلمة حتّى أقصّه منها حتّى اللطمة، قلنا: كيف وأن نأتي الله غرلاً بهما؟ قال: بالحسنات والسّيّئات، وتلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم»».

وفي تفسير القمّي: وقوله: «وأنذرهم يوم الآزفة» يعني يوم القيامة «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» قال: مغمومين مكروبين، ثم قال: «ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» يعني ماينظر إلى ما يحل له أن يقبل شفاعته.

وفي رواية: عن أبي ذرالغفاريّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما يحكيه عن ربّه: «يا عبادي إنّي حرمت الظّلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا- إلى أن قال- : يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثمّ أُوفّيكم إيّاها، فمن وجد خيراً فليحمدالله تبارك وتعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه».

وفي البحار: - كتاب المزار باب فضل الكوفة ومسجدها الأعظم وأعماله - دعآء الأمان لعليّ عليه السّلام- : «و أسئلك الأمان الأمان يا كريم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع».

وفي كتاب التّوحيد: بإسناده عن ابن أبي عمير قال: قلت لموسى بن جعفر عليه السّلام: يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فكيف تكون الشّفاعة لأهل الكبآئر والله تعالى ذكره يقول: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ وهم من خشيته مشفقون» ومن يرتكب الكبآئر لايكون مرتضًى؟ فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلّا سآئه ذلك وندم عليه، وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كفىٰ بالنّدم توبةً»

وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام: «من سرّته حسنته وسآئته سيّئته فهو مؤمن فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشّفاعة وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع»».

فقلت له: يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وكيف لايكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنّه سيعاقب عليها إلّا ندم على ما ارتكب، ومتىٰ ندم كان تائباً مستحقّاً للشّفاعة، ومتىٰ لم يندم عليها كان مصرّاً والمصرّ لايُغفَر له لأنّه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولوكان مؤمناً بالعقوبة لندم وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لاكبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» وأمّا قول الله عزّوجلّ: «ولا يشفعون إلّا لمن ارتضىٰ» فإنّهم لايشفعون إلّا لمن ارتضى الله دينه والدّين: الإقرار بالجزآء على الحسنات والسّيّئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذّنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة».

وفي روضة الكافي: كلام لعليّ بن الحسين عليهما السّلام يقول فيه: «واعلم يابن آدم أنّ وراء هذا أعظم وأفظع وأوجع للقلوب يوم القيامة، وذلك يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين».

وفي المجمع: «وفي الخبر أنّ النّظرة الأولى لك والثّانية عليك» فعلى هذا تكون الثّانية محرّمة فهي المراد بخآئنة الأعين.

وفي معاني الأخبار: بإسناده عن عبدالرّحمن بن مسلمة الجريريّ قال: «سئلت أبا عبدالله عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «يعلم خآئنة الأعين» فقال: ألم تر إلى الرّجل ينظر إلى الشّئ وكأنّه لاينظر فذلك خآئنة الأعين».

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: «ولما جيئ بعبدالله بن أبي سَرْح إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد ما اطمأن أهل مكّة، وطلب له الأمان عثمان، صَمَتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم طويلاً ثمّ قال: «نعم» فلمّا انصرف قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن حوله: «ما صَمَتّ إلّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه»

فقال رجل من الأنصار: فهلاّ أو مأتَ إليّ يا رسول الله؟ فقال: «إنّ النّبيّ لا تكون له خآئنة الأعين».

أقول: إنّ عبدالله بن سرح إرتدّ بعد إيمانه، فلحق بالمشركين، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتله يوم فتح مكّة.

وفي الدّرّ المنثور: أخرج أبوداود والنّسآئي وابن مردويه عن سعد قال: لمّا كان يوم فتح مكّة أمن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس إلاّ أربعة نفر وامرأتين وقال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلّقين بأستار الكعبة» منهم عبدالله بن سعدبن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان فلمّا دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم النّاس إلى البيعة جآء به فقال: يا رسول الله بايع عبدالله؟ فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كلّ ذلك يأبىٰ يبايعه ثمّ بايعه، ثمّ أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأني كففت يدي عن بيعته، فيقتله، فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلاّ أو مأت إلينا بعينك؟ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّه لاينبغي أن يكون له خآئنة الأعين.

وفي نورالثّقلين: قال صلّى الله عليه وآله وسلّم لأصحابه يوم فتح مكّة، وقد جآء عثمان بعبدالله بن سعدبن أبي سرح يستأمنه منه، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل ذلك أهدر دمه وأمر بقتله، فلمّا رآى عثمان إستحيىٰ من ردّه وسكت طويلاً ليقتله بعض المؤمنين ثمّ أمنه بعد تردّد المسئلة من عثمان، وقال: أما كان منكم رجل رشيد يقوم إلى هذا فيقتله؟ فقال له عبادبن بشر: يا رسول الله إنّ عيني مازالت في عَيْنك إنتظاراً أن تؤمي فأقتله؟ فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الأنبيآء لايكون لهم خآئنة أعين.

وفي مكارم الأخلاق: ـ في وصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعبدالله بن مسعود ـ حديث طويل ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا ابن مسعود إيّاك أن تظهر من نفسك الخشوع والتّواضع للآدميّين وأنت فيما بينك وبين ربّك مصرّ على المعاصي والذّنوب يقول الله تعالى: «يعلم خآئنة الأعين وما

تخفي الصّدور».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «قسّم أرزاقهم، وأحصىٰ آثارهم وأعمالهم وعدد أنفاسهم، وخآئنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضّمير ...».

وفي رواية: كتب الإمام عليّ عليه السّلام إلى عامل له: «إعمل بالحقّ ليوم لايقضىٰ فيه إلّا بالحقّ».

وفي البحار: - باب ماورد في أصناف آيات القرآن- وسئلوه صلوات الله عليه عن المتشابه في القضآء، فقال: هو عشرة أوجه مختلفة المعنى- إلى أن قال-: وأمّا قضآء الحكم فقوله تعالى: «قضي بينهم بالحقّ ...» أي حكم بينهم وقوله تعالى: «والله يقضي بينهم بالحقّ ...».

وفي توحيد الصّدوق رحمة الله تعالى عليه: «والثّالث الحكم وهو قوله عزّوجلّ: «والله يقضي بالحقّ» أي يحكم بالحقّ».

۲۱ - (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم ...)

في تفسير القمّيّ: في قوله تعالى: «وما كان لهم من الله من واق» أي من دافع.

وفي العلل: بإسناده عن رجل عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول فرعون: «ذروني أقتل موسىٰ» مَن كان يمنعه» قال عليه السّلام: منعته رشدته ولا يقتل الأنبيآء وأولاد الأنبيآء إلّا أولاد الزّنا».

وفي البحار: بإسناده عن محمّدبن مروان عن العبد الصّالح عليه السّلام قال: كان من قول موسىٰ عليه السّلام حين دخل على فرعون: «ألّلهمّ إنّي أدرأبك في نحره وأستجير بك من شرّه وأستعين بك» فحوّل الله ماكان في قلب فرعون من الأمن خوفاً».

وقد ورد صحيحاً: أنّ أمرآء ابن سعد لـمّا دعوا الإمام الحسين بن عليّ عليهماالسّلام يوم الطّف إلى الصّلح مع يزيدبن معاوية عليهما الّلعن والهاوية أنكر الإمام عليه السّلام ذلك وقال: «لا والله لا اعطيكم يدي إعطآء الذّليل، ولا أقرّ

فرارالعبيد يا عبادالله «إنّي عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب» وقال عليه السّلام: مَوْتٌ في عزٍّ خير من حياة في ذُلٍّ. ثمّ قال:

الموت خير من ركوب العار والعار أولىٰ من دخول النّار

والله ماهذا وهذا جاري

وفي المصرع الأخير وجهان: **أحدهما**ـ أن لاتجري عَلَيَّ الذّلّة، إنّما تجرى عَلَيَّ الشّهادة. **ثانيها**ـ أن لاتجرى عَلَيَّ الذّلّة ولا دخول النّار.

وفي الدّرّالمنثور: عن أبي ليلىٰ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الصّدّيقون ثلاثة: حبيب النّجّار مؤمن آل يس الّذي قال: «يا قوم اتّبعوا المرسلين» وحزقيل مؤمن آل فرعون الّذي قال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله» وعليّ بن أبيطالب عليه السّلام وهو أفضلهم».

وفي عيون الأخبار: ـ باب معنى آل محمّد وأهل بيته وعترته عليهم السّلام ـ قال الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام في مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع فيه جماعة من علمآء أهل العراق والخراسان: «وأمّا الحاديعشر: فقول الله عزّوجلّ في سورة المؤمن حكاية عن رجل من آل فرعون: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جآءكم بالبيّنات من ربّكم ...» الآية فكان ابن خال فرعون، فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه، وكذلك خصصنا نحن إذ كنّا من آل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بولادتنا منه، وعمّمنا النّاس بالدّين، فهذا فرق مابين الآل والامّة فهذه الحاديعشر» الحديث.

وفي البرهان: بالإسناد عن محمّدبن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «كان خازن فرعون مؤمناً بموسى قدكتم إيمانه ستمأة سنّة وهو الّذي قال الله: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد جآئكم بالبيّنات»».

أقول: إنّ الرّجل المؤمن البطل كتم إيمانه في أوّل أمره كما كان يكتمه قبله،

ولكنّه أظهر إيمانه لمّا أرادوا قتل موسى عليه السّلام كما تصرح بذلك الآيات القرآنية التّالية.

وفي تاريخ الكامل لإبن الأثير-في حوادث سنة ٦١-: «وجآء حنظلة بن أسعد الشّبامي- يوم الطف- فوقف بين يدي الحسين عليه السّلام وجعل ينادي: «يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب- ومن يضلل الله فماله من هاد»: ٣٠- ٣٣) يا قوم لا تقتلوا الحسين عليه السّلام فيسحتكم الله بعذاب «وقد خاب من افترىٰ» طه: ٦١) فقال له الحسين عليه السّلام: رحمك الله! إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا مادعوتهم إليه مِن الحقّ، ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك، فيكف بهم الآن قد قتلوا إخوانك الصّالحين؟ فسلّم على الحسين عليه السّلام وصلّىٰ عليه وعلى أهل بيته وتقدّم وقاتل حتّىٰ قُتِلَ».

وفي تاريخ الطّبري: ذكر بعد «وقد قتلوا إخوانك الصّالحين-: قال: صدقت جعلت فداك أنت أفقه منّي وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟ فقال عليه السّلام: رُحْ إلى خير من الدّنيا وما فيها، وإلى ملك لايبلىٰ، فقال: السّلام عليك أباعبدالله صلّى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينك في جنّته، فقال عليه السّلام: آمين آمين فاستقدم فقاتل حتّى قُتِلَ». **وفي معاني الأخبار:** بإسناده عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «يوم التناد» يوم ينادي أهل النّار أهل الجنّة: أن أفيضوا علينا من المآء أو مما رزقكم الله».

وفي البحار: بالإسناد عن محمد قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: أخبرني عن يعقوب عليه السّلام كم عاش مع يوسف بمصر بعد ما جمع الله ليعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصّادقة، قال: عاش حولين، قلت: فمن كان الحجّة لله في الأرض يعقوب أم يوسف؟ قال: كان يعقوب الحجّة، وكان الملك ليوسف، فلمّا مات يعقوب عليه السّلام حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشّام فدفنه في بيت المقدس، فكان يوسف بعد يعقوب الحجّة، قلت: فكان يوسف رسولاً نبيّاً؟ قال: نعم أما تسمع قول الله تعالى: «ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات ...».

لعلّ موضع الإستشهاد قوله تعالى: «قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً».

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى عهد إلى آدم- إلى أن قال عليه السّلام-: وكان بين موسىٰ ويوسف عليهم السّلام الأنبيآء».

٣٥ ـ (الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ...)

في تفسير القميّ: وقوله: «الّذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان» يعني بغير حجّة يخاصمون.

وفيه: بإسناده عن منصوربن يونس عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ في النّار لناراً يتعوّذ منها أهل النّار ما خلقت إلّا لكلّ متكبّر جبّار عنيد، ولكلّ شيطان مريدو لكلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب، ولكلّ ناصب العداوة لآل محمّد، وقال: إنّ أهون النّاس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار عليه نعلان من نار وشرّاً كان من نار يغلي منهاد ماغه كما يغلي المرجل، مايرى أنّ في النّار أحداً أشدّ عذاباً منه، وما في النّار أحد أهون عذاباً منه».

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قال الله عزّوجلّ: العزّ إزاري، والكبر يآء ردآئي، فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذّبته».

وفي معاني الأخبار: ـ باب معنى الإمام المبين- بإسناده عن عبدالعزيز بن مسلم عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام ـ في حديث طويل- قال: «إنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأمور عباده شرح لذلك صدره فأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعيَ بعده بجواب، ولا يحار فيه عن الصّواب، وهو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد قد أمن الخطأ والزّلل والعثار يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشآء والله ذوالفضل العظيم، فهل يقدرون على مثل هذا فيختاروه؟ أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه؟ بَعُدُوا وبيتِ الله من الحقّ، ونبذوا كتاب الله ورآء ظهورهم كأنّهم لايعلمون وفي كتاب الله الهدىٰ والشّفآء فنبذوه واتّبعوا أهوآءهم، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم، فقال

عزّوجلّ: «ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لايهدي القوم الظّالمين» وقال: «فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم» وقال: «كبر مقتاً عندالله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار».

أقول: وقد كنّىٰ بالقلب عن الجملة لأنّ القلب هو الّذي يتكبّر وسآئر الأعضآء تبع له. ولهذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسدالجسد كلّه ألا وهي القلب».

وفي البحار: ـ باب ماورد في أصناف آيات القرآن ـ قال الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام ـ حديث طويل ـ: «وأمّا ترغيب العباد في كتاب الله تعالى: «ومن اللّيل فتهجّد به نافلة لك عسىٰ أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً» وقوله: «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب».

وفي توحيد الصّدوق رضوان الله تعالى عليه ـ باب الرّدّ على الثّنوية والزّنادقة ـ بإسناده عن أبي مَعْمَر السّعداني عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ حديث طويل ـ وأمّا قوله: «فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب» فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: قال الله عزّوجلّ: لقد حَقَّتْ كرامتي ـ أو قال: مودّتي ـ لمن يراقبني ويتحابّ بجلالي إنّ وجوههم يوم القيامة من نور على منابر من نور عليهم ثيابٌ خضرٌ قيل: مَن هم يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: قوم ليسوا بأنبيآء ولا شهداء ولكنّهم تحابّوا بجلال الله ويدخلون الجنّة بغير حساب، نسئل الله عزّوجلّ أن يجعلنا منهم برحمته».

قوله عليه السّلام: «أو قال: مودّتي» التّرديد إمّا من الرّاوي وإمّا كلمة «أو» للتّخيير لوقوع الكلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مرّتين: مرّة حَقَّتْ كرامتي، ومرّة حقّت مودّتي.

وفي الإحتجاج: ـ في خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم غدير خم ـ: «معاشر النّاس أنا صراط الله المستقيم الّذي أمركم باتباعه، ثمّ عليّ من بعدي ثمّ

ولـدي من صلـبه أئمّـة يـهدون بالحق وبـه يعدلـون. ثـمّ قرأ صلّـى الله عليه وآله وسلّم : «الحمد لله ربّ العالمين ...» إلى آخـرها وقـال: فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهـم عمّت وإيّاهم خصّت أولئك «أوليآء الله لاخـوف عليهم ولاهم يحزنون» ـ إلى أن قال صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: ألا إنّ أولـيآء هم الّـذين قال الله عزّوجلّ: «يـدخلـون الجنّة بغير حساب» الخطبة.

وفي أمـالي الصّدوق رحمة الله تـعـالى عليـه بإسنـاده عـن محمّـدبـن أبي عمير قال: حدّثني جماعة من مشـايخنا منهم: أبان بـن عثمان وهشام بـن سالم ومحمّدبن‌حمران‌عن الصّادق‌عليه السّلام قال: «عجبـت لمن فزع من أربع كيف لايفزع إلى أربع: عجبت لمن خاف كـيف لايـفزع إلى قوله: «حسـبناالله ونعم الـوكـيل» فانّي سـمعت الله عزّوجلّ يـقول بعقبها: «فانقلبوا بنـعمة من الله وفضل لم يمسسهم سـوء» وعجبت لمن اغتـمّ كيف لايفزع إلى قـوله: «لا إلـه إلاّ أنت سبحانـك إنّي كـنت من الظّالمين» فإنّي سمعت الله عزّوجـلّ يقول بعقبها: «فنـجّيناه من الغمّ وكـذلك ننجي المؤمنين» وعجبـت لـمن مـكـر بـه كيف يفـزع إلى قـولـه: «وافـوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بـالعبـاد» فإنّي سـمـعت الله عزّوجـلّ يقول بـعقبها: «فوقـاه الله سيّئـات مامكروا» وعجبت لمن أراد الدّنيـا وزينتها كيف لايفزع إلى قوله: «ماشآء الله لاقوّة إلاّ بالله» فإنّي سمـعت الله عزّوجلّ يقـول بـعقبها: «إن ترن أنا أقـلّ منك مالاً و ولداً فـعسىٰ ربّي أن يؤتيني خيراً من جنّتك» و«عسىٰ» موجبة» .

وفي مصباح الشّريعة: قـال الصّـادق عليه السّلام: «المفـوّض أمـره إلى الله في راحة الأبد والـعيش الـدّآئم الرّغد والمفوّض حـقّاً هـوالعالي عـن كلّ هـمّة دون الله كقول أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام نظماً:

رضـيـت بمـا قسّـم الله لي	وفـوّضـت أمـري إلى خـالقي
كما أحسـن الله فيا مضـىٰ	كـذلـك يحسـن فيا بقي

وقال الله عزّوجلّ في المؤمن من آل فـرعون: «وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فـوقاه الله سيّئات مـامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» والتّفويض خمسة

أحرف لكلّ حرف منها حكم، فمن أتى بأحكامه فقد أتى به: التّاء من ترك التّدبير والدّنيا، والفآء من فنآء كلّ همّة غيرالله، والواو من وفاء العهد وتصديق الوعد، واليآء من اليأس من نفسك واليقين بربّك والضّاد من الضّمير الصّافي لله والضّرورة إليه. والمفوّض لايصبح إلّا سالماً من جميع الآفات، ولايمسي إلّا معافاً بدينه».

وفي البحار: وقال الرّضا عليه السّلام: «الايمان أربعة أركان: التّوكّل على الله، والرّضا بقضآء الله، والتّسليم لأمرالله، والتّفويض إلى الله، وقال العبد الصّالح: «وأفوّض أمري إلى الله ـ فوقاه الله سيّئات مامكروا».

أقول: أراد الإمام عليه السّلام بالعبد الصّالح مؤمن آل فرعون.

وفي مكارم الأخلاق: صلاة في المهمّات: عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام: «تصلّي أربع ركعات تحسن قنوتهنّ وأركانهنّ تقرأ في الأولى الحمّد مرّة، و«حسبنا الله ونعم الوكيل» سبع مرّات، وفي الثّانية الحمد مرّة وقوله: «ماشآء الله لاقوّة إلّا بالله إن ترن أنا أقلّ منك مالاً و ولداً» سبع مرّات، وفي الثّالثة الحمد مرّة وقوله: «لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين» سبع مرّات وفي الرّابعة الحمد مرّة: «وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» سبع مرّات، ثمّ يسئل حاجته».

وفي البحار: ـ باب أحراز أميرالمؤمنين عليه السّلام ـ فصل: وجدت في آخر كتاب قالبه نصف ثمن الورق بخطّ ابن الباقلاني المتكلّم النحويّ مناماً بغير خطّه هذا لفظه: حدّثني السّيّد الأجل الأوحد العالم مؤيّد الدّين شرف القضاة عبدالملك أدام الله علوّه أنّه كان مريضاً فجآء أميرالمؤمنين عليه السّلام وكأنّه قد نزل من الهوآء فأراد أن يسئله الدّعآء لكونه مريضاً، فلم يسئله، فقال له: الشّفآء ومرّ يده على ذراعه الأيمن ثمّ قال له: قُل ثلاث مرّات يحفظك الله بها قل:

«أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم «الّذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم« وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» قل: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم «مايفتح الله للنّاس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده

وهو العزيز الحكيم».

إذا قلت: «الّذين ...» الآية قال الله تعالى: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء».

وإذا قلت: «وافوّض أمرى إلى الله ...» قال الله تعالى: «فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب».

وإذا قلت: «مايفتح الله ...» الآية. وهذا الإيمان التامّ. هذا تفسير أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه. أقول أنا: وقد سقط تمام تفسير الآية الأخيرة.

وفي تفسير القمّي: وقوله: «فوقاه الله سيّئات مامكروا» يعني مؤمن آل فرعون فقال أبوعبدالله عليه السّلام: «والله لقد قطعوه إرباً إرباً ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه».

وفي أصول الكافي: - باب سلامة الدّين - بإسناده عن أيّوب بن الحرّ عن أبي عبدالله عليه السّلام في قول الله عزّوجلّ: «فوقاه الله سيّئات مامكروا» فقال: أما لقد بسطوا عليه وقتلوه ولكن أتدرون ماوقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه».

وفي البحار: عن الصّادق عليه السّلام: «إنّ المسلم لايقضي الله عزّوجلّ له قضآء إلّا كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، ثمّ تلاهذه الآية: «فوقاه الله سيّئات مامكروا» ثمّ قال: أم والله لقد سلّطوا عليه وقتلوه فأما ماوقاه الله فوقاه أن يفتنوه في دينه».

وفي معاني الأخبار: - باب معنى الآل والأهل والعترة والامّة- باسناده عن سليمان الدّيلمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك مَن الآل؟ قال: ذرّية محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: فقلت: ومن الأهل؟ قال: الأئمّة عليهم السّلام فقلت: قوله عزّوجلّ: «ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب» قال: والله ماعنىٰ إلّا إبنته».

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً» قال: ذلك في الدّنيا قبل القيامة، وذلك أنّ في القيامة لايكون غدوّاً ولا عشيّاً لأنّ الغدوّ والعشيّ إنّما يكون في الشّمس والقمر ليس في جنان الخلد ونيرانها شمس ولاقمر.

وفيه: قال: وقال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: ما تقول في قول الله عزّوجلّ: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً»؟ فقال أبوعبدالله عليه السّلام: ماتقول النّاس فيها؟ فقال: يقولون: إنّها في نار الخلدوهم لايعذّبون فيما بين ذلك، فقال عليه السّلام: فهم من السّعدآء فقيل له: جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: إنّما هذا في الدّنيا وأمّا في نارالخلد فهو قوله: «ويوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب».

قوله عليه السّلام: «فهم من السّعدآء» إذهم يستريحون من العذاب إلى يوم القيامة.

وفي البحار: باب ماورد في أصناف آيات القرآن ـ : «وأمّا الرّدّ على من أنكر الثّواب والعقاب في الدّنيا وبعد الموت قبل القيامة فيقول الله تعالى: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم السّاعة» والغدوّ والعشيّ لايكونان في القيامة الّتي هي دار الخلود، وإنّما يكونان في الدّنيا».

وفي نورالثّقلين: عن هشام عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أسري بي إلى السّمآء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلايقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: مَن هؤلآء يا جبرئيل؟ قال: هؤلآء الّذين يأكلون الرّبوا لايقومون إلّا كما يقوم الّذي يتخبّطه الشّيطان من المسّ، وإذاهم بسبيل آل فرعون يعرضون على النّار غدوّاً وعشياً، يقولون: ربّنا متى يقوم السّاعة».

وفي الكافي: باسناده عن محمّدبن عثمان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «سئلته عن أرواح المشركين، فقال: في النّار يعذّبون يقولون: ربّنا لا تقم السّاعة ولا تنجز لنا وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأوّلنا».

وفي نورالثّقلين: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم يعرضون عليها يقولون: ربّنا لا تقم لنا السّاعة، ولا تنجزلنا ماوعدتنا ولا تلحق آخرنا بأوّ لنا».

وفيه: قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «شرّ بئر في النّار برهوت الّذي فيه أرواح الكفّار».

وفيه: بالإسناد عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: شرّ مآءٍ على وجه الأرض مآء برهوت، وهو واد بحضر موت يرد عليه هام الكفّار وصداهم».

قوله عليه السّلام: «هام» جمع هامة: رأس كلّ شيئ ورئيس القوم وقآئدهم، والصّدىٰ: الرجلّ اللّطيف الجسم. لعلّ المراد بالهامة هنا أرواح الكفّار وأبدانهم المثالية.

وفيه: بالإسناد عن بشير الدّهان عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «يجيئ الملكان: منكر ونكير إلى الميّت حين يدفن- إلى أن قال-: وإذا كان الرّجل كافراً دخلا عليه واقيم الشّيطان بين يديه عيناه من نحاس، فيقولون له: مَن ربّك ومادينك ومايقول في هذا الرّجل الّذي قدخرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري فخلّيا بينه وبين الشّيطان، فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنّيناً لو أنّ تنّيناً واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شجر أبداً، ويفتح له باب إلى النّار ويرىٰ مقعده فيها».

وفيه: بالإسناد عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: أصلحك الله مَن المسئولون في قبورهم؟ قال: من محض الإيمان ومن محض الكفر، قال: قلت: فبقية هذا الخلق؟ قال: يلهى والله عنهم وما يعبأ بهم، قال: قلت: وعمّا يسئلون؟ قال: عن الحجّة القآئمة بين أظهركم، فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذلك إمامي، فيقول: نم أنام الله عينك، ويفتح له باب من الجنّة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة، ويقال للكافر: ما تقول في فلان بن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت به وما أدري ماهو؟ قال: فيقال له: لادريت، قال: ويفتح له باب من النّار فلايزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة».

قوله عليه السّلام «لادريت» دعآء عليه، ولا يبعد أن يكون إستفهاماً إنكارياً أي قد علمت وتمّت لك الحجّة في الدّنيا، وقد جحدت تكبّراً أو كان عدم العلم لتقصيرك .

وفيه: عن أبي الحسن موسىٰ عليه السّلام قال: «يقال للمؤمن في قبره: من ربّك ؟

ـ إلى أن قال ـ ويقال للكافر من ربّك؟ فيقول: الله ربّي فيقال: من نبيّك؟ فيقول محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقال: فيقال: مادينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت النّاس يقولون، فقلت: فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليها الثقلان: الإنس والجنّ لم يطيقوها، قال: فيذوب كما يذوب الرّصاص، ثمّ يعيدان فيه الرّوح فيوضع قلبه بين لوحين من نار، فيقول: يا ربّ أخّر قيام السّاعة».

وفيه: بالإسناد عن ضريس الكناسي قال: قال أبوجعفر عليه السّلام: «إنّ لله تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار ويأكلون من زقّومها، ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى وادٍ باليمن يقال له: برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدّنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساءعادوا إلى النّار، فهم كذلك إلى يوم القيامة».

وفي المجمع: وعن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ إن كان من أهل الجنّة فمن الجنّة وإن كان من أهل النّار فمن النّار يقال: هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصّحيحين. وقال أبوعبدالله عليه السّلام: «ذلك في الدّنيا قبل يوم القيامة لأنّ في نارالقيامة لايكون غدوّ وعشيّ، ثمّ قال: إن كانوا يعذّبون في النّار غدوّاً وعشيّاً ففيما بين ذلك هم من السّعدآء لاولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عزّوجلّ: «ويوم تقوم السّاعة ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب».

وفي البرهان: ابن طاوس في الدّروع الواقية قال: ذكر أبوجعفر أحمد القمّي في كتاب زهد النّبيّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد نزل عليه جبرئيل وهو متغيّر اللّون ـ وذكر حديثاً طويلاً قال: ـ وفي الحديث ـ «إنّ أهل النّار إذا دخلوها ورأوا نكالها وعلموا عذابها وعقابها» كما قال زين العابدين عليه السّلام: «ما ظنّك بنار لا تبقىٰ على من تضرّع إليها، ولا تقدر على التّخفيف عمّن خشع لها، إستسلم إليها تلقىٰ سكّانها بأحرّ مالديها من أليم النّكال وشديدالوبال، يعرفون أنّ أهل الجنّة في

ثواب عظيم، ونعيم مقيم، فيؤملون أن يطعموهم أو يسقوهم ليخفّف عنهم بعض العذاب الأليم كما قال الله جلّ جلاله في كتابه العزيز: «ونادىٰ أصحاب النّار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من المآء أو ممّا رزقكم الله».

قال فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، ثمّ يجيبوهم بلسان الإحتقار والتهوين: «إنّ الله حرّمهما على الكافرين» قال: «فيرون الخزنة عندهم وهم يشاهدون مانزل بهم من المصاب، فيؤملون أن يجدوا عندهم فرجاً بسبب من الأسباب كما قال الله جلّ جلاله: «وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفف عنّا يوماً من العذاب» قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثمّ يجيبونهم بعد خيبة الآمال: «قالوا فادعوا ومادعآء الكافرين إلّا في ضلال».

قال: فاذا يئسوا من خزنة جهنّم رجعوا إلى مالك مقدم الخزان، وأملوا أن يخلصهم من ذلك الهوان كما قال الله جلّ جلاله: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك» قال: فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة، وهم في العذاب ثمّ يجيبهم كما قال الله تعالى في كتابه المكنون: «قال إنّكم ماكثون».

قال: «فإذا يئسوا من مولاهم ربّ العالمين» الّذي كان أهون شيء عندهم في دنياهم، وكان قد آثر كلّ واحد منهم عليه هواه مدّة الحياة، وكان قد قرّر عندهم بالعقل والنّقل: أنّه واضح لهم على يدالهداة فسبل النّجاة، وعرفهم بلسان الحال أنّهم الملقون بأنفسهم إلى دار النّكال والأهوال، وأنّ باب القلوب والأحوال يغلق عن الكفّار بالممات أبدالآبدين، وكان يقول لهم في أوقات كانوا في الحياة من المكلّفين بلسان الحال الواضح المبين: هب إنكم ماصدقتموني في هذا المقال أما تجوزون أن أكون مع الصّادقين، فكيف أعرضتم عنّي وشهدتم بتكذيبي وتكذيب من صدّقني من المرسلين والمؤمنين؟ وهلاّ تحرّزتم من هذا الضّرر المجوز (المحوّرخ) الهآئل؟

أمّا سمعتم بكثرة المرسلين وتكرار الرّسآئل، ثمّ كرّر جلّ جلاله مواقفهم وهم في النّار ببيان المقال فقال: «ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذّبون قالوا ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضآلّين ربّنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون» قال:

فيبقون أربعين سنة في ذلّ الهوان لايجابون، وفي عذاب النّيران لايكلّمون، ثمّ يجيبهم الله جلّ جلاله: «إخسئوا فيها ولا تكلمون» قال: فعند ذلك يئسوا من كل فرج وراحة، وتغلق أبواب جهنّم عليهم، وتدوم لديهم مآتم الهلاك والشّهيق والزّفير والصّراخ والنّياحة».

وفي البحار: ـ باب فضل يوم الغدير وصومه ـ قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام ـ في خطبة الغدير ـ في قوله تعالى: «وإذ يتحاجّون في النّار فيقول الضّعفآء للذين استكبروا ...»: «أفتدرون الإستكبار ماهو؟ هو ترك الطّاعة لمن أُمروا بطاعته، والترفّع على من ندبوا إلى متابعته، والقرآن ينطق من هذا عن كثير، إن تدبّره متدبّر زجره و وعظه» الخطبة.

وفي الصحيفة السّجّادية ـ من دعآء سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام في الصّلاة على حملة العرش وكلّ ملك مقرب ـ «ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان...» الدعاء.

قوله عليه السّلام «مالك» إسم مقدّم خزنة النّار، وهو إسم مشتقّ من الملك والقوّة حيث تصرّفت حروفه قال الله تعالى: «ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنكم ماكثون» الزخرف: ٧٧).

وقوله عليه السّلام: «الخزنة» هم ملائكة يتولّون لأمر جهنّم قال تعالى: «وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم» المؤمن: ٤٩) وقال تعالى: «عليها ملائكة غلاظ شداد» التّحريم: ٦).

وفي لئالي الأخبار: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والّذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنّم قبل أن تخلق جهنّم بألف (بآلاف خ) عام فهم كلّ يوم يزدادون قوّة إلى قوّتهم».

٥٠ ـ (إنا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد)

في توحيد الصّدوق رضوان الله تعالى عليه ـ باب ذكر مجلس الإمام الرّضا عليه السّلام مع المروزي ـ قال الصّدوق: «كان المأمون يجلب على الرّضا عليه السّلام من متكلّمي

الفرق والأهوآء المضلّة كلّ من سمع به حرصاً على انقطاع الرّضا عليه السّلام عن الحجّة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه له ولمنزلته من العلم، فكان عليه السّلام لايكلّم أحداً إلّا أقرّ له بالفضل والتزم الحجّة له عليه لأنّ الله تعالى ذكره أبىٰ إلّا أن يعلي كلمته، ويتمّ نوره وينصر حجّته، وهكذا وعد تبارك وتعالى في كتابه، فقال: «إنا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا» يعني بالّذين آمنوا: الأئمة الهداة عليهم السّلام وأتباعهم والعارفين بهم والآخذين عنهم، ينصرهم بالحجّة على مخالفيهم ماداموا في الدّنيا، وكذلك يفعل بهم في الآخرة وإنّ الله لايخلف وعده».

وفي تفسير القمّيّ: في قوله تعالى: «وإنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا» قال: وهو في الرّجعة إذا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السّلام.

وفيه: بإسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قلت: قول الله تبارك وتعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد» قال: «ذلك (ذاك خ) والله في الرّجعة، أما علمت أنّ أنبيآء (الله) كثيرة لم ينصروا في الدّنيا وقتلوا والأئمّة بعدهم قتلوا ولم ينصروا، ذلك في الرّجعة».

وقال عليّ بن إبراهيم قدّس سرّه في قوله تعالى: «ويوم يقوم الأشهاد» يعني الأئمّة عليهم السّلام.

وفي البحار: عن أبي المضاصبيح مولى الرّضا عن الرّضا عن آبآئه عليهم السّلام في قوله: «لننصر رسلنا والّذين آمنوا» قال: منهم عليّ عليه السّلام».

وفي كامل الزّيارة: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السّلام قال: تلاهذه الآية: «إنا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد» قال: الحسين بن عليّ عليهما السّلام منهم ولم ينصر بعد ثمّ قال: والله لقد قتل قتلة الحسين عليه السّلام ولم يطلب بدمه بعد».

وفي كنزالفوائد: بالإسناد عن سليمان بن خالد قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام في قوله تعالى: «يوم ترجف الرّاجفة تتبعها الرّادفة» قال: الرّاجفة الحسين بن عليّ عليهما

السّلام، والرّادفة عليّ بن أبيطالب عليه السّلام وأوّل من ينفض عن رأسه التّراب الحسين بن عليّ عليهما السّلام في خمسة وسبعين ألفاً وهو قوله تعالى: «إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد...».

وفي تفسير فرات الكوفي: «في خمسة وتسعين ألفاً» بدل «في خمسة وسبعين ألفاً».

وفي الصّحيفة السّجادية: قال سيّد السّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «ويشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد».

٦٠ ـ (وقال ربّكم ادعوني أستجب لكم ...)

في أصول الكافي: ـ باب فضل الدّعآء والحثّ عليه ـ بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ يقول: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» قال: هو الدّعآء وأفضل العبادة الدّعآء قلت: إنّ «إبراهيم لأوّاه حليم»؟ قال: الأوّاه هو الدّعآء».

وفيه: بإسناده عن زرارة عن رجل قال: قال أبوعبدالله عليه السّلام: «الدّعآء هو العبادة الّتي قال الله عزّوجلّ: «إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي ...» الآية أدع الله عزّوجلّ ولا تقل: إنّ الأمر قد فُرغ منه، قال زرارة؛ إنّما يعني لايمنعك إيمانك بالقضاء والقدر أن تبالغ بالدّعآء وتجهد فيه».

وفي توحيد الصّدوق رضوان الله تعالى عليه: ـ باب ذكر مجلس الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي ـ حديث طويل ـ: «قال سليمان: لأنّه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً، قال الرّضا عليه السّلام : هذا قول اليهود، فكيف قال عزّوجلّ: «أدعوني أستجب لكم»؟ قال سليمان: إنّما عنىٰ بذلك أنّه قادر عليه، قال عليه السّلام أفيعد مالا يفي به؟! فكيف قال عزّوجلّ: «يزيد في الخلق مايشآء» وقال عزّوجلّ: «يمحواالله مايشآء ويثبت وعنده ام الكتاب» وقد فرغ من الأمر، فلم يُحِرْ جواباً ...» الحديث.

وفي الإحتجاج: ـ باب إحتجاجات الإمام الصّادق عليه السّلام على الزّنادقة والمخالفين ـ حديث طويل ـ قال الزّنديق: ألست تقول: يقول الله: «ادعوني أستجب

لكم» وقد نرى المضطرّ يدعوه فلا يستجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوّه فلاينصره؟ قال عليه السّلام: ويحك مايدعوه أحد إلّا استجاب له، أمّا الظّالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب إليه، وأمّا المحقّ فانّه إذا دعاه استجاب له، وصرف عنه البلآء من حيث لايعلمه وادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الّذي سئل العبد خيرة له إن أعطاه أمسك عنه والمؤمن العارف بالله ربّما عزّ عليه أن يدعوه فيما لايدري أصواب ذلك أم خطاء؟ وقد يسئل العبد ربّه إهلاك من لم ينقطع مدّته، ويسئل المطر وقتاً، ولعلّه أو ان لايصلح فيه المطر لأنّه أعرف بتدبير ماخلق من خلقه، وأشباه ذلك كثيرة فافهم هذا ...» الحديث.

وفي البحار: قال رجل للصّادق عليه السّلام: يقول الله: «أدعوني أستجب لكم» وإنّا ندعو فلايستجاب لنا؟ فقال: إنكم لا تفون لله بعهده فإنّه تعالى يقول: «أوفوا بعهدي أوف بعهدكم» والله لو وفيتم لله سبحانه لوفى لكم».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحّدين إمام المتّقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السّلام: «من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدّعآء لم يحرم الإجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الإستغفار لم يحرم المغفرة، ومن اعطي الشّكر لم يحرم الزّيادة، وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه قال الله عزّوجلّ في الدّعآء: «ادعوني أستجب لكم» وقال في الإستغفار: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» وقال في الشّكر: «لئن شكرتم لأزيدنّكم» وقال في التّوبة: «إنّما التّوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً».

أقول: إنّ المراد بالإعطآء توفيق الإتيان به في الكل، وأمّا التّخلّف المتوهّم في بعض الموارد فلعدم تحقق بعض الشّرائط، فإنّ كلاً منها مشروط بعدم كون المصلحة في خلافها، وعدم صدور مايمنع الإستحقاق عن فاعله.

وفي مكارم الأخلاق: - باب وصيّة النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن مسعود-

حديث طويل ـ: «يابن مسعود لاتختارنّ على ذكر الله شيئاً فإنّه يقول: «ولذكر الله أكبر» ويقول: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» ويقول: «إذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان» ويقول: «أدعوني أستجب لكم»».

وفي مهج الدّعوات: ـ في دعاء الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام في قنوته ـ: «فاستشرت نصيحي فأشار عَلَيَّ بالرّغبة إليك، واسترشدت دليلي فلم يدلّني إلّا عليك، فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنّه لافرج لي إلّا عندك ولا خلاص لي إلّا بك، أنتجز وعدك في نصرتي وإجابة دعآئي لأنّ قولك الحقّ الّذي لايردّ ولايبدّل، وقد قلت تباركت وتعاليت: «ومن بغي عليه لينصرنّه الله» وقلت جلّ ثناؤك وتقدّست أسمآؤك : «أدعوني أستجب لكم» فأنا فاعل ما أمرتني به لامنّاً عليك، وكيف أمنّ به وأنت عليه دللتني، فاستجب لي كما وعدتني يا من لايخلف الميعاد ...» الدّعاء.

وفي غيبة الشّيخ قدّس سرّه بالإسناد عن أبي نعيم محمّدبن أحمد الأنصاري عن القائم عليه السّلام قال: كان أميرالمؤمنين عليه السّلام يقول بعد صلاة الفريضة: «... يا من أمر بالدّعاء و تكفّل بالإجابة، يا من قال: «أُدعوني أستجب لكم»...».

وفي قرب الأسناد: عن الصّادق عن أبيه عليهما السّلام قال: «قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ممّا أعطى الله به أمّتي وفضّلهم به على سآئر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلّا نبيٌّ وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبيّاً قال له: اجتهد في دينك ولاحرج عليك، وإنّ الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أُمّتي حيث يقول: «وما جعل عليكم في الدّين من حرج» يقول: من ضيق، وكان إذا بعث نبيّاً قال له: إذا أحزنك أمر تكرهه فادعني أستجب لك، وإنّ الله أعطىٰ امّتي ذلك حيث يقول: «ادعوني أستجب لكم» وكان إذا بعث نبيّاً جعله شهيداً على قومه، وإنّ الله تبارك وتعالى جعل أمّتي شهدآء على الخلق حيث يقول: «ليكون الرّسول

عليكم شهيداً وتكونوا شهدآء على النّاس».

وفي الدّعوات للرّاوندي: وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أفضل عبادة أمّتي بعد قراءة القرآن الدّعاء ثمّ قرأ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» ألا ترى أنّ الدّعآء هو العبادة».

وفي دعآئم الإسلام: عن جعفربن محمّد عليهما السّلام أنّه قال في قول الله عزّوجلّ: «فإذا فرغت فانصب وإلى ربّك فارغب»: الدّعاء بعد الفريضة، إيّاك أن تدعه فإنّ فضله بعد الفريضة كفضل الفريضة على النّافلة، ثمّ قال: إنّ الله عزّوجلّ يقول: «ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» فأفضل العبادة الدّعآء، وإيّاه عنىٰ».

وفي وسآئل الشّيعة: بالإسناد عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: «رجلان افتتحا الصّلاة في ساعة واحدة، فتلاهذا (من خ) القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه ودعا هذا، فكان دعآؤه أكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا في ساعة واحدة أيّهما أفضل؟ قال: كلّ فيه فضل، كلّ حسن، قال: قلت: إنّي قد علمت أنّ كلاً حسن، وأنّ كلاً فيه فضل، فقال: الدّعآء أفضل، أما سمعت قول الله عزّوجلّ: «وقال ربّكم أدعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» هي والله العبادة، هي والله أفضل، هي والله أفضل، أليست هي العبادة؟ هي والله العبادة هي والله العبادة، أليست هي أشدّ هنّ؟ هي والله أشدّ هنّ، هي والله أشدّ هنّ والله أشدّ هنّ».

وفي الصّحيفة السّجاديّة ـ الدّعآء الرّابع والأدعية في وداع شهر رمضان ـ قال سيّدالسّاجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «وقلت: ادعوني أستجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين» فسمّيت دعاءك عبادة وتركه إستكباراً، وتوعّدت على تركه دخول جهنّم داخرين».

وفي وسآئل الشّيعة: بالإسناد عن عثمان بن عيسى عمّن حدّثه عن أبي عبدالله

عليه السّلام: قال: قلت: آيتان (إنّي لأجد آيتين خ) في كتاب الله عزّوجلّ أطلبها ولا (فلاخ) أجدهما؟ قال: وماهما؟ قلت: قول الله عزّوجلّ: «أُدعوني أستجب لكم» فندعوه ولانرى إجابة، قال: أفترى الله عزّوجلّ أخلف وعده؟ قلت: لا، قال: فممّ ذلك؟ قلت: لا أدري، قال: لكنّي أُخبرك من أطاع الله عزّوجلّ فيما أمره ثمّ دعاه من جهة الدّعآء أجابه، قلت: وما جهة الدّعآء؟ قال: تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك، ثمّ تشكره ثمّ تصلّي على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثمّ تستغفر منها، فهذا جهة الدّعآء.

ثمّ قال عليه السّلام: وما الآية الأخرىٰ؟ قلت قول الله عزّوجلّ: «وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرّازقين» وإنّي أُنفق ولا أرى خلفاً؟ قال عليه السّلام: أفترى الله عزّوجلّ أخلف وعده؟ قلت: لا قال: فممّ ذلك؟ قلت: لاأدري، قال: لو أنّ أحدكم إكتسب المال من حلّه وأنفقه في حلّه لم ينفق درهماً إلّا أخلف عليه».

وفي مكارم الأخلاق: وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إنّ كلّ دعآءٍ لايكون قبله تمجيد فهو أبتر، وإنّما التّمجيد ثمّ الدّعآء، قلت: ما أدنىٰ مايجزئ من التّمجيد؟ قال: قل: «ألّلهمّ أنت الأوّل فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظّاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ، وأنت العزيز الحكيم»».

وفي وسآئل الشّيعة: بالإسناد عن عليّ بن حسان عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السّلام: «كلّ دعآء لايكون قبله تحميد فهو أبتر، إنّما هو التّحميد ثمّ الثّنآء قال: قلت: ما أدري مايجزي من التّمجيد والتّحميد، قال: تقول: ألّلهمّ أنت الأوّل فليس قبلك شئ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظّاهر فليس فوقك شئ، وأنت الباطن فليس دونك شئ وأنت العزيز الحكيم».

وفي نورالثّقلين: عن الإمام السّابع موسى بن جعفر عليه السّلام قال: قوم للصّادق عليه السّلام: ندعوه فلا يستجاب لنا؟ قال عليه السّلام: لأنّكم تدعون من لا تعرفونه».

وفي بصآئر الدّرجات: بالاسناد عن محمّد بن نعمان قال: سمعت أباعبدالله عليه

السّلام وهـو يقول: «إنّ الله لايـكلنا إلى أنفسـنا، ولو وكلنـا إلى أنفسنا لكـنّا كعُرض (كبعض) النّاس ولكن نحن الّذين قال الله عزّوجلّ: «اُدعوني أستجب لكم»».

قوله عليه السّلام: «كعرض» بالضّمّ أي كعامتهم، يقال: هو من عُرض النّاس أي من العامة «ولكن نحن» إستدراك عن السّابق بمنزلة التّعليل أي إنّا ندعوالله تعالى بأن يزيد في علمنا ولا يكلنا إلى أنفسنا ويستجيب لنا بمقتضى وعده، فلسنا كعامّة النّاس.

وفي المجمع: وروى حنان بن سدير عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: أيّ العبادة أفضل؟ قال: «ما من شيئ أحبّ إلى الله من أن يسئل ويطلب ماعنده، وما أحد أبغض إلى الله عزّوجلّ ممّن يستكبر عن عبادته ولا يسئل ماعنده».

٦٥ ـ (هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمدلله ربّ العالمين)

في تفسير القمّي: بإسناده عن سليمان بن داود رفعه قال: «جآء رجل إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام .فسئله عن مسآئل، ثمّ عاد ليسئل عن مثلها، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: مكتوب في الإنجيل: «لا تطلبوا علم مالا تعلمون، ولمّا عملتم بما علمتم، فإنّ العالم إذا لم يعمل به لم يزده من الله إلّا بعداً، ثمّ قال: عليك بالقرآن فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك وترابها الزّعفران، وحصاها اللّؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمن قرأ القرآن قال له: إقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنّة لم يكن أحد في الجنّة أعلى درجة منه ما خلا النّبيّين والصّدّيقين.

فقال له الرّجل: فما الزّهد؟ قال: الزّهد عشرة أجزآء فأعلىٰ درجات الزّهد أدنىٰ درجات الرّضىٰ ألا وأنّ الزّهد في آية من كتاب الله: «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» فقال الرّجل: «لا إله إلّا الله» فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: وأنا أقول: «لا إله إلّا الله» فإذا قال أحدكم: «لا إله إلّا الله» فليقل: «الحمد لله ربّ العالمين» فإنّ الله يقول: «هو الحيّ لا إله إلّا هو فادعوه مخلصين له الدّين الحمد لله ربّ العالمين»».

أقول: ومن البداهة: أنّ التّوحيد والشّهادة بوحدانيّة الله عزّوجلّ أعظم النّعم الإلهيّة على الإنسان، فإذا وفق به، يجب عليه الحمد لله ربّ العالمين.

كما أنّ الولاية لأهل بيت النّبوّة من تمام النّعمة إذ قال الله جلّ وعلا: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة: ٣) «الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله» الأعراف: ٤٣).

ومن الضّرورة أنّ الولاية للشّهادة كالطّهارة للصّلاة كما أنّ البرآءة من أعداء أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين وغاصبي حقوقهم كالتّطهير قبل الطّهارة ولا تصحّ الصّلاة إلّا بالتّطهير والطّهارة قبلها، ولايشكّ في ذلك إلّا من كان خبيث الولادة.

في أمالي الشّيخ الطّوسي قدّس سرّه بإسناده عن أبي الصّلت الهرويّ قال: كنت مع الرّضا عليه السّلام لمّا دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهبآء وقد خرج علمآء نيسابور في إستقباله، فلمّا صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته، وقالوا: يابن رسول الله حدّثنا بحقّ آبآئك الطّاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين، فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خزّ فقال عليه السّلام:

حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّدبن عليّ عن أبيه محمّدبن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين سيّد شباب أهل الجنّة عن أميرالمؤمنين عليهم السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: أخبرني جبرئيل الرّوح الأمين عن الله تقدّست أسمآئه وجلّ وجهه قال: «إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي، عبادي فاعبدوني، وليعلم من لقاني منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله مخلصاً بها أنّه قد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي».

قالوا: يابن رسول الله وما إخلاص الشّهادة لله؟ قال: «طاعة الله ورسوله و ولاية أهل بيته عليهم السّلام».

وفي الكافي: بإسناده عن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث: «من شهد أن لا إله إلّا الله مخلصاً وجبت له

الجنّة» قال: قلت له: إنّه يأتيني من كلّ صنف، أفأروي لهم هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين، فتسلب لا إله إلّا الله منهم إلّا من كان على هذا الأمر» أي الولاية لأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي تفسير النّعمانيّ: بإسناده عن الإمام السّادس جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: قال: «سُئِلَ أميرالمؤمنين عليه السّلام: عن متشابه (مشابه خ) الخلق؟ فقال: هو على ثلاثة أوجه: فمنه خلق الإختراع كقوله سبحانه: «خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام» وخلق الإستحالة: قوله تعالى: «يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث» وقوله: «هو الّذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ...» الآية وأمّا خلق التّقدير فقوله لعيسىٰ: «وإذ يخلق من الطّين ...» الآية».

وفي عيون الأخبار: ـ باب مناظرات الرّضا عليه السّلام: واحتجاجاته ـ حديث طويل ـ قال: «ثمّ جعل الحروف بعد إحصآئها وإحكام عدّتها فعلاً منه كقوله عزّوجلّ: «كن فيكون» و«كن» منه صنع، ومايكون به المصنوع» الحديث.

وفي تفسير القمّي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «الّذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ـ إلى قوله ـ كذلك يضلّ الله الكافرين» فقد سمّى الله الكافرين مشركين بأن كذّبوا بالكتاب، وقد أرسل الله رسله بالكتاب، وبتأويله فمن كذّب بالكتاب أو كذّب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك كافر».

وفي شرح ابن أبي الحديد: ـ سئل معاوية عليه النّار والهاوية عقيلاً عن قصّة الحديدة المحماة ـ قال عقيل: نعم أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسئلته عليه السّلام فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضّرّ ظاهر ان عليهم، فقال عليّ عليه السّلام: ائتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحمد ولدي، فأمره بالتّنحّي ثمّ قال: ألا فدونك، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعت يدي على حديد تلتهب ناراً، فلمّا قبضتها نبذتها وخرت كما يخور الثّور تحت

جازره فقال لي: ثكلتك أمّك هذا من حديدة أوقدت لها نار الدّنيا، فكيف بك وبي غداً أن سلكنا في سلاسل جهنّم؟ ثمّ قرأ «إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون».

ثمّ قال عليه السّلام: ليس لك عندي فوق حقّك الّذي فرضه الله لك إلّا ماترىٰ، فانصرف إلىٰ أهلك، فجعل معاوية يتعجّب ويقول: هيهات عقمت النّسآء أن يلدن بمثله».

قوله: «أقويت»: إفتقرت، و«صفاته» الصّفاة: الحجر الصّلد الضخم، يقال: «فلان لا تندي صفاته» أي انّه بخيل، والجملة كناية عن إمساكه عليه السّلام عن بذل بيت المال لأخيه عقيل. و«الجشع»: أشدّ الحرص، و«خرت» من خار البقر: صاح.

وفي تفسير القمّي: بإسناده عن ضريس الكناني عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك ما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من المسلمين المذنبين الّذين يموتون وليس لهم إمام، ولايعرفون ولايتكم؟ فقال: أمّا هؤلآء فإنّهم في حفرهم لايخرجون منها، فمن كان له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة، فإنّه يخدّله خدّاً إلى الجنّة الّتي خلقها الله بالمغرب، فيدخل عليه الرّوح في حفرته إلى يوم القيامة، حتّى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيّئآته، فإمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النّار، فهؤلآء الموقوفون لأمرالله.

قال عليه السّلام: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الّذين لم يبلغوا الحلم، وأمّا النّصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّلهم خدّاً إلى النّار الّتي خلقهاالله في المشرق، فيدخل عليهم اللّهب والشّرر والدّخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة ثمّ بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم «في النّار يسجرون ثمّ قيل لهم أين ماكنتم تشركون من دون الله» أي أين إمامكم الّذي اتّخذ تموه دون الإمام الّذي جعله الله للنّاس إماماً».

وفي بصآئر الدّرجات: بالإسناد عن بشير النّبّال عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

كنت خلف أبي وهو على بغلة فنفرت بغلته، فإذاً شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه، فقال: يا عليّ بن الحسين! إسقني؟ فقال الرّجل: لا تسقه لاسقاه الله وكان الشّيخ م ع و ى ه» يعني معاوية بن أبي سفيان عليهمان الهاوية والنّيران.

وفي نورالثّقلين: بالإسناد عن عبدالملك القمّي عن إدريس أخيه قال: سمعت أباعبدالله عليه السّلام يقول: «بينا أنا وأبي متوجّهان إلى مكّة، وأبي قد تقدمني في موضع يقال له: ضجنان، إذجآء رجل في عنقه سلسلة يجرها، فقال له: إسقني إسقني، قال: فصاح بي أبي: لا تسقه لاسقاه الله، ورجل يتبعه حتّى جذب سلسلته وطرحه في أسفل درك من النّار».

وفيه: بالإسناد عن عليّ بن المغيرة قال: نزل أبوجعفر عليه السّلام ضجنان فقال ثلاث مرّات: لاغفرالله لك، ثمّ قال لأصحابه: أتدرون لم قلت ما قلت؟ فقالوا: لم قلت جعلنا الله فداك ؟ قال: مرّ م ع وي ه يجرّ سلسلة قد أدلىٰ لسانه يسئلني أن أستغفر له، وأنّه يقال: إنّ هذا واد من أودية جهنّم».

وفي تفسر القمّي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «إنّ الفرح والمرح والخيلاء كلّ ذلك في الشّرك والعمل في الأرض بالمعصية».

وفي الخصال: عن الأصبغ بن نباتة قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «وشعب الطّمع أربع: الفرح والمرح واللّجاجة والتكبّر، والفرح مكروه عندالله تعالى والمرح خيلاء» الحديث.

وفي رواية: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله أوحىٰ إليّ أن تواضعوا حتّى لايفخر أحد على أحد ولايبغي أحد على أحد».

وفي الإختصاص: ـ باب احتجاج النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على اليهود ـ جآء عبدالله بن سلام، النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأراد أن يسئله صلّى الله عليه وآله وسلّم مسآئل ... فقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم : فسل عمّا تشآء قال: أنصفت يا محمّد فأخبرني عنك أنبيّ أنت أم رسول؟ قال: أنا نبيّ رسول، ذلك قوله تعالى في القرآن: «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك».

وفي المجمع: روي عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: «بعث الله نبيّاً أسود لم يقصّ علينا قصّته».

وفي رواية عن أبي ذرالغفاري رحمة الله تعالى عليه قال: «قلت يا رسول الله كم عدّة الأنبيآء؟ قال: مأة ألف وأربعة وعشرون ألفاً».

وفي نهج البلاغة: ـ في كتاب الإمام عليّ عليه السّلام لشريح القاضي لمّا اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً ـ : «فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرىٰ وقيصر وتبّع وحمير ومَن جمع المال على المال، فأكثر ومن بنىٰ وشيّد وزخرف ونجّد وادّخر واعتقد ونظر بزعمه للولد إشخاصهم جميعاً إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثّواب والعقاب إذا وقع الأمر بفصل القضآء «وخسر هنالك المبطلون» شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسرالهوى وسلم من علائق الدّنيا».

وفي أمالي الصّدوق رحمة الله تعالى عليه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان في المدينة رجل بطّال يضحك النّاس، فقال: قد أعياني هذا الرّجل أن أضحكه ـ يعني عليّ بن الحسين عليهما السّلام ـ قال: فمّر عليه السّلام وخلفه موليان له فجآء الرّجل حتّىٰ انتزع ردآئه من رقبته، ثمّ مضىٰ فلم يلتفت إليه عليّ عليه السّلام فاتّبعوه وأخذوا الرّدآء منه، فجاؤا به فطرحوه عليه، فقال لهم: من هذا؟ فقالوا: هذا رجل بطّال يضحك أهل المدينة، فقال: قولوا له: إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون».

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «وآثاراً في الأرض» قال: يقول: أعمالاً في الأرض.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: «ويريكم آياته» يعني أميرالمؤمنين والأئمة عليهم السّلام في الرّجعة وإذارأوهم «قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين» أي جحدنا بما أشركناهم «فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا ...».

وفي البحار: وقال الآبيّ في نثر الدرّ: عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام سئله

الفضل بن سهل في مجلس المأمون فقال: يا أباالحسن الخلق مجبرون؟ فقال: الله أعدل من أن يجبر ثمّ يعذّب، قال: فمطلقون؟ قال: الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه.

أُتِيَ المأمون بنصرانيّ قد فجر بها شميّة فلما رآه أسلم فغاظه ذلك، وسئل الفقهآء فقالوا: هدر الإسلام ما قبله، فسئل الرّضا عليه السّلام فقال: أقتله لأنّه أسلم حين رأى البأس، قال الله عزّوجلّ: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده ..» إلى آخر السّورة

وفي التّهذيب: ـ باب قتل اليهوديّ والنّصرانيّ إذازنى بمسلمة ـ بالإسناد عن جعفر بن رزق الله قال: قدّم إلى المتوكّل رجل نصرانيّ فجر بامرأة مسلمة، وأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا، فأمر المتوكّل بالكتاب إلى أبي الحسن الثّالث ـ الإمام الهاديّ ـ عليه السّلام وسؤاله عن ذلك، فلمّا قدم الكتاب كتب أبوالحسن عليه السّلام: «يضرب حتّى يموت».

فأنكر يحيى بن أكثم وأنكر فقهآء العسكر ذلك، وقالوا: يا أميرالمؤمنين سله عن هذا فإنّه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجيئ به السّنّة، فكتب: إنّ فقهآء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجيئ به سنّة ولم ينطق به كتاب، فبيّن لنا بما أوجبت عليه الضّرب حتّى يموت؟

فكتب عليه السّلام: «بسم الله الرّحمن الرّحيم «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا سنّةالله الّتي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون» قال: فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات».

وفي عيون الأخبار: بإسناده عن إبراهيم بن محمّد الهمداني قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام: لأيّ علّة أغرق الله عزّوجلّ فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال: لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول،

وذلك حكم الله تعالى في السّلف والخلف، قال الله عزّوجلّ: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا» وقال عزّوجلّ: «يوم يأتي بعض آيات ربّك لاينفع نفساً إيمانهم لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً» وهكذا فرعون لمّا أدركه الغرق «قال آمنت أنّه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنوإسرآئيل وأنا من المسلمين» فقيل له: «الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية».

وفي الإحتجاج: ـ في خبر الزّنديق الّذي سئل أميرالمؤمنين صلوات الله عليه عمّا زعم من التّناقض في القرآن ـ قال الإمام عليه السّلام: «فكلّ عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي أهل الإصطفآء وعهودهم وحدودهم وشرآئعهم وسنّتهم ومعالم دينهم مردود غير مقبول، وأهله بمحلّ كفر، وإن شملتهم صفة الإيمان، ألم تسمع إلى قول الله تعالى: «وما منعهم أن تقبل منهم نفقآتهم إلّا أنّهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصّلاة إلّا وهم كسالىٰ ولاينفقون إلّا وهم كارهون ـ وأمّا الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون» التوبة: ٥٤ و١٢٥).

فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النّجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفعه حقّ أوليآئه وحبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، وكذلك قال الله سبحانه: «فلم يك ينفعهم إيمانهم لمّا رأوا بأسنا» وهذا كثير في كتاب الله عزّوجلّ، والهداية في الولاية كما قال الله عزّوجلّ: «ومن يتوّل الله ورسوله والّذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون» والّذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلآئق من الحجج والأوصيآء في عصر بعد عصر، وليس كلّ من أقرّ أيضاً من أهل القبلة بالشّهادتين كان مؤمناً إنّ المنافقين كانوا يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويدفعون عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بما عهد به من دين الله وعزآئمه وبراهين نبوّته إلى وصيّه، ويضمرون من الكراهة لذلك والنّقض لما أبرمه منه عند امكان الأمر لهم فيه فيما قد بيّنه الله لنبيّه بقوله: «فلا وربّك لايؤمنون حتّى

يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدون في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً».

وبقوله: «وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» ومثل قوله: «لتركبنّ طبقاً عن طبق» أي لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصيآء بعد الأنبيآء، وهذا كثير في كتاب الله عزّوجل، وقد شقّ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مايؤول إليه عاقبة أمرهم، وإطّلاع الله إيّاه على بوارهم، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» «ولا تأس على القوم الكافرين».

وقوله عليه السّلام: «وإن شملتهم صفة الايمان» أي ببعض معانيه وهو الإسلام الظّاهري وقد جمع الإمام عليه السّلام: بين مضامين الآيات مشيراً إليها جميعاً فإنّها كلّها في وصف المنافقين.

وقوله عليه السّلام: «وحبط عمله» يشير إلى قوله تعالى: «ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين» فاستشهد الإمام عليه السّلام بهذه الآية على عدم قبول أعمال المنافقين لاثبات الكفر لهم في الآية السّابقة. ثمّ لمّا ذكر عليه السّلام أوّلاً: انّه: ليس كلّ من وقع عليه إسم الإيمان كان حقيقاً بالنّجاة، وقال: للإيمان حالات ومنازل، أشار عليه السّلام هنا إلى بعض شرآئط الايمان، وبعض الحالات الّتي لايقبل الإيمان فيها، وهي حال رؤية البأس، فقال: «وكذلك قال الله سبحانه».

وقوله عليه السّلام: «وهذا كثير» أي شروط الإيمان أو خصوص هذا الشّرط، وهو عدم كونه عند رؤية البأس، وإنّما ذكر ذلك لرفع إستبعاد السّآئل إشتراط قبول الأعمال بالإهتدآء ثمّ عاد إلى بيان الإهتدآء، وأنّ المراد به الولاية. وحاصل الجواب: أنّه لا تنافي بين الآيتين إذ في الآية الاولى شرط الإيمان الأعمال الصّالحة، والإيمان مشروط بالولاية، وصلاح العمل لايكون إلّا بالأخذ عن الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فالإهتدآء داخل في الاولى إجمالاً وفي الثّانية تفصيلاً أيضاً،

وللايمان درجات ومعانٍ، فيمكن أن يراد بالايمان في إحدى الآيتين غير ما هو المراد في الاخرى.

وقوله عليه السّلام: «ويدفعون عهد رسول الله» أي خلافة أميرالمؤمنين عليه السّلام و وصايته «انقلبتم على أعقابكم» كما ارتدّوا بعد موته بترك وصيّه، وبيعة العجل والسّامريّ «فلا تذهب نفسك» أي لاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيّهم وإصرارهم على التّكذيب واللّجاجة والجدال والعداوة ...

﴿بحث قرآني﴾

يستدلّ بقوله تعالى: «وجادلوا بالباطل» المؤمن: ٥) على جواز الجدال إذا كان بحقّ بأن يجادل في دفع الباطل بحقّ من القول، وعلى حرمة الجدال إذا كان في دفع الحقّ بباطل من القول. وذلك أنّ الجدال نوعان:

أحدهما ـ جدال لتقرير الحقّ وإبطال الباطل، وهو حرفة الأنبيآء والمرسلين والأصيآء والمصلحين كجدال نوح عليه السّلام على قومه لبيان الحق كما قال الله تعالى حكاية عن قومه: «يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا» هود: ٣٢) وجدال إبراهيم ولوط وصالح وهود وشعيب وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السّلام لأقوامهم، وجدال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لقومه المشركين في قوله تعالىٰ: «وجادلهم بالّتي هي أحسن» النّحل: ١٢٥) وجدال أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمين لأصحاب الأديان والمخالفين، وجدال العلمآء المصلحين للكافرين والمنافقين ... وهذا النّوع من الجدال مشروع، وقد يجب على أهله لدفع الباطل وإحقاق الحقّ.

ثانيها ـ جدال لدفع الحقّ وتقرير الباطل، وهذا مذموم محرّم كقوله تعالى: «وحادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ» المؤمن: ٥).

وقد استدلّ بعض الأصولين بقوله عزّوجلّ: «وما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع» المؤمن: ١٨) على عدم وجوب إعتبار الرّتبة في الأمر والطّاعة، فلايجب أن يكون الآمر والمطاع أعلى رتبة من المأمور والمطيع.

أقول: يجب عندنا اعتبار الرّتبة، وأمّا الآية الكريمة فقد استعير للإجابة لفظة

الطّاعة فتأمّل جيّداً.

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «يكتم إيمانه» المؤمن: ۲۸) قال القاضي أبوبكر بن العربي: «ظنّ بعضهم أنّ المكلّف إذا كتم إيمانه ولم يتلفّظ به بلسانه لايكون مؤمناً بإعتقاده وقد قال مالك: إنّ الرّجل إذا نوىٰ بقلبه طلاق زوجته أنّه يلزمه، كما يكون مؤمناً بقلبه وكافراً بقلبه. فجعل مدار الإيمان على القلب وأنّه كذلك، لكن ليس علىَ الإطلاق وقد بيّناه في اصول الفقه بما لبابه أنّ المكلّف إذا نوى الكفر بقلبه كان كافراً وإن لم يتلفّظ بلسانه، وأمّا إذا نوى الإيمان بقلبه فلا يكون مؤمناً بحال حتّىٰ يتلفّظ بلسانه، ولا تمنعه التّقيّة والخوف من أن يتلفّظ بلسانه فيما بينه وبين الله تعالى، إنّما تمنعه التّقية من أن يسمعه غيره وليس من شرط الإيمان أن يسمعه الغير في صحّته من التّكليف، وإنّما يشترط سماع الغير له ليكفّ عن نفسه وماله» إنتهى كلامه.

أقول: إنّ فساد ظنّ البعض، وخبط مالك رئيس الفرقة المالكية، وخطأ القرطبي لايخفىٰ على القارئ الخبير المتدبّر، وسيأتي البحث حول الإيمان تفصيلاً في تفسير سورة «العصر» إن شآء الله تعالى فانتظر.

ويستدل بقوله تعالى: «فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده ـ وخسر هنا لك الكافرون» المؤمن: ۸٤ـ ۸٥) على أنّ الكافر إذازنىٰ بمسلمة يقتل محصناً كان أم لا، وعلى أنّ التّوبة بعد الثّبوت عند الإمام عليه السّلام لا تسقط الحدّ وهو المشهور عند أصحابنا الشّيعة الإماميّة الإثنىٰ عشرية الحقّة، ويدلّ عليه كثير من الرّوايات المتضمّنة أنه لايجوز تعطيل حدودالله تعالى. وقد سبقت رواية جعفربن رزق الله في البحث الرّوائي تدلّ بإطلاقها على أن الكافر إذازنىٰ بمسلمة يقتل محصناً كان أم لا، ويدلّ عليه أيضاً ماروواه حنّانبن سدير عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «سئلته عن يهوديّ فجر بمسلمة قال: يقتل» والحكم مجمع عليه بين أصحابنا.

﴿بحث مذهبي﴾

في قوله تعالى: «ويؤمنون به» المؤمن: ٧) ردّ على مذهب المجسّمة وتكذيبه، وذلك أنّ الأمر لوكان على زعمهم لكانت الملائكة يشاهدونه، فلا يوصفون بالإيمان به، إذ لايوصف بالإيمان إلّا الغآئب، فعلم أنّ إيمانهم كإيمان أهل الأرض، والكلّ سوآء في أنّ إيمانهم بطريق النّظر والإستدلال.

واحتجّ كثير من أهل الخلاف بقوله عزّوجلّ: «ويستغفرون للّذين آمنوا ...» المؤمن: ٧) على أنّ الملائكة هم أفضل من غيرهم إطلاقاً، فقالوا: إنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّه لامعصية للملائكة وإلّا لزم بحكم: إبدأ بنفسك،أن يستغفروا أوّلاً لأنفسهم كما قال تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ١٩) وقال نوح عليه السّلام: «ربّ اغفرلي ولوا لديَّ ولمن دخل بيتيَ مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات» نوح: ٢٨).

أقول: ليست في الآية الكريمة دلالة على أفضليته الملائكة على غيرهم إطلاقاً، ولايلزم من طلب المغفرة لأحد لو سلّم أنّ قوله: «للّذين آمنوا» عامّ أن يكون المستغفر له عاصياً على أنّه قد خصّ الإستغفار في قوله تعالى: «فاغفر للّذين تابوا» مع أنّ كثيراً مايكون الإستغفار من دون ذنب، بل لترفيع المقام، ولما فيه من الآثار سيأتي ذكرها في تفسير سورة «النّصر» إن شآء الله تعالى فانتظر.

وفي قوله جلّ وعلا حكاية عن الملائكة: «إنّك أنت العزيز الحكيم» المؤمن: ٨) ردّ على الأشاعرة المجبرة إذ زعمت أنّ الله سبحانه يفعل مايشآء من دون مصلحة في

فعله.

و وجه الرّدّ: أنّ معنى الحكمة ـ في الإنسان ـ كما ثبت: أن لايفعل الحكيم الإنساني فعلاً بغير مصلحة في فعله، فكيف الله جلّ وعلا الحكيم المطلق يفعل مايشآء من دون مصلحة؟!

وفي الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في قوله تعالى: «قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» المؤمن: ١١) قال: «واستدلّ العلمآء ـ أهل الخلاف ـ من هذا في إثبات سئوال القبر، ولوكان الثّواب والعقاب للرّوح دون الجسد فما معنى الإحيآء والإماتة؟».

وفي التّبيان قال الشّيخ الطّوسي رضوان الله تعالى عليه: «وفي النّاس من استدلّ بهذه الآية على صحّة الرّجعة والإماتة الثّانية بعدها، والإحيآء الثّاني يوم القيامة».

وفي الفصول المختارة (ج ١ ص ٦١ ـ ٦٤) ذكر ممّا جرىٰ للسّيّد اسمعيل بن محمّد الحميري رحمة الله تعالى عليه مع القاضي سوّار ماحدّث به احرث بن عبيدالله الرّبيعي، قال: كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوّار عنده، والسّيّد ينشده:

إنّ الإله الّذي لاشيئ يشبهه آتاكم الملك للدّنيا وللدين
آتاكم الله ملكاً لازوال له حتّىٰ يقاد إليكم صاحب الصّين
وصاحب الهند مأخوذ برمّته وصاحب التّرك محبوس على هون

حتّىٰ أتى القصيدة والمنصور يضحك فقال سوّار: هذا والله يا أميرالمؤمنين يعطيك بلسانه ماليس في قلبه، والله إنّ القوم الّذين يدين بحبّهم لغيركم، وإنّه لينطوي في عداوتكم ـ إلى أن قال سوّار ـ: يا أميرالمؤمنين إنّه يقول بالرّجعة ويتناول الشيخين بالسّبّ والوقيعة فيهما.

فقال السّيّد الحميري: أمّا قوله: بأنّي أقول بالرّجعة فإنّ قولي في ذلك على ما قال الله تعالى: «ويوم نحشر من كلّ أمّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون» النّمل: ٨٣) وقد قال في موضع آخر: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» الكهف: ٤٧) فعلمت أنّ ههنا حشرين: أحدهما عامّ والآخر خاص، وقال سبحانه: «ربّنا أمتّنا

اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل» المؤمن: ١١) وقال الله تعالى: «فأماته الله مأة عام ثمّ بعثه» البقرة: ٢٥٩) وقال الله تعالى: «ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذرالموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم» البقرة: ٢٤٣) فهذا كتاب الله عزّوجلّ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يحشر المتكبّرون في صُوَر الذرّ يوم القيامة» وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لم يجر في بني إسرائيل شيئ إلّا ويكون في أمّتي مثله حتّى المسخ والخسف والقذف وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الأمّة قردة وخنازير» فالرّجعة الّتي نذهب إليها هي مانطق به القرآن وجآئت به السّنّة وإنّي لأعتقد أنّ الله تعالى يردّ هذا ـ يعني سوّاراً ـ إلى الدّنيا كلباً أو قردة أو خنزيراً أو ذرّة فإنّه والله متجبّر متكبّر كافر».

وقد استدل أهل الحقّ والعدل وهم شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بقوله تعالى: «يلقي الرّوح من أمره على من يشآء من عباده» المؤمن: ١٥) على أنّ منصب النّبوّة والرّسالة منصب إلهيّ ليس لأحد من النّاس فيه مشيئة وخيرة، وأنّ منصب الولاية والإمامة كمنصب الرّسالة ليس لأحد من الأمّة فيه خيرة قطّ، فلا يجوز التلقّب بالإمام لمن لايكون له الإمامة المنصوصة من الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فمن انتحل فهو كافر عقلاً ونقلاً أعاذنا الله من الأهوية النّفسانية الأمّارة بالسّوء، ومن حبّ الرّياسة المهلكة.

وقد استدلّ أهل الحقّ والعدل بقوله تعالى: «اليوم تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم» المؤمن: ١٧) على انّ الله سبحانه يستحيل عليه من حيث الحكمة: أن يكلّف العبد مالا قدرة له عليه ولا طاقة له به، وأن يطلب منه فعل مايعجز عنه ويمتنع منه. وذلك أنّ الظّلم هو إقرار غير المستحقّ، وأيّ إضرار أعظم من هذا مع أنّه غير مستحقّ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبير. وعلى أنّ أفعال الله تعالى منزّه عن أن تكون مثل أفعال المخلوقين في التّفاوت والإختلاف والظّلم. واستدلّوا بالآية الكريمة على اختلاف العذاب في الآخرة بحسب قلّة السّيّئات وكثرتها، وعلى شدّته وضعفه

بحسب شدّة قبح المعاصي وضعفه، وعلى اختلاف أنواعه بحسب أنواع السّيّئات ...

وقد خالفت الأشاعرة المجبرة من العامّة المعقول الدّالّ على قبح ذلك، والمنقول المتواتر من الكتاب العزيز، فذهبوا إلى جواز تكليف العبد مالا يطاق ولا يتمكّن من فعله كما صرّح بذلك الشّهرستاني في (الملل والنّحل: ج ١ ص٩٦) والفخر في تفسيره (ج٧ ص ١٤٠) والألوسي في تفسيره (ج ٧ ص ٦٠) وغيرهم من أعلام العامّة وحملة أسفارهم.

في تفسير المجمع: قال الطّبرسي رضوان الله تعالى عليه في قوله عزّوجلّ: «وما الله يريد ظلماً للعباد» المؤمن: ٣١) «وفي هذا أوضح دلالة على فساد قول المجبّرة القآئلة بأنّ كلّ ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى».

وفي نهج الحقّ وكشف الصّدق للعلاّمة الحلّي قدّس سرّه: «وذهبت الأشاعرة كافة إلى أنّ الله تعالى قد فعل القبآئح بأسرها من أنواع الظّلم والشّرك والجور والعدوان ورضي بها وأحبّها».

كما جآء في «شرح العقآئد» وحاشيته للكستلي ص١٠٩ و١١٣) وفي «الملل والنحل: ج ١ ص٩٤ و٩٥ و١٠١) وفي «الفصل لإبن حزم: ج ٣ ص٦٦ و٦٩) و«شرح التّجريد للقوشجي: ص٣٧٣).

وفيه: قال رحمة الله تعالى عليه: «وقالت الأشاعرة: إنّ الله تعالى لايعذّب العبد على فعل العبد، بل يفعل الله تعالى فيه الكفر ثمّ يعاقبه عليه، ويفعل فيه الشّتم لله تعالى والسّبّ له ولأنبيآئه عليهم السّلام ويعاقبه عليها، ويخلق فيهم الإعراض عن الطّاعات وعن ذكره وذكر أحوال المعاد، ثمّ يقول: «فما لهم عن التّذكرة معرضين» المدّثر: ٤٩).

كما جآء في «الملل والنّحل: ج ١ ص٩٦) و«شرح العقآئد: ص ١١٢» و«الفصل لإبن حزم: ج٣ ص١٤٢».

وقد استدلّ أهل الحقّ والعدل بقوله عزّوجلّ: «وما الله يريد ظلماً للعباد» المؤمن: ٣١) على أنّ الله تعالى لايفعل القبيح ولايُخلّ بالواجب، بل جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب، ليس فيها ظلم ولاجور ولاعدوان ولا كذب ولا فاحشة لأنّ الله عزّوجلّ

غنيّ عن القبيح، وعالم بقبح القبيح لأنّه عالم بكلّ المعلومات، وعالم بغناه عنه، وكلّ من كان كذلك فإنّه يستحيل عليه صدور القبيح عنه، والضّرورة قاضية بذلك.

واستدلّوا بهذه الجملة على أنّ الله جلّ وعلا لايعذّب العبيد على فعل يفعله فيهم ولا يلومهم عليه، وإنّما يجازيهم على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالإستطاعة الّتي ملّكهم إيّاها فأمرهم ونهاهم.

وفي الألفين للعلاّمة الحلّي رضوان الله تعالى عليه قال ـ في وجوب الطّاعة عن المعصوم وعدم وجوب الطّاعة عن غيره ـ: «الحادي عشر: قوله تعالى: «وما الله يريد ظلماً للعباد» والمأمور به مراد على ماثبت في الأصول، وكلام الأشاعرة قد أبطلناه في كتبنا الأصولية، فمحال أن يأمر بطاعة غير المعصوم لأنّه قد يأمر بالظّلم للعباد والإمام أمر الله تعالى بطاعته، فلا شيئ من غير المعصوم بإمام».

أقول: إنّ الخلاف بين أهل الحقّ والعدل وهم شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وبين أهل الخلاف والفرقة من الأشاعرة المجبرة من العامّة وهم شيعة آل أبي سفيان في أفعال العباد معروف لايخفى.

وذلك أنّ أهل الحقّ يقولون: إن كان الفعل من العبد مأموراً به من الله تعالى فهو مراد له، وإن لم يكن مأموراً به فليس بمراد، وإنّما هو فعل من أفعال العباد أنفسهم.

وأنّ أهل الخلاف يخرصون: أنّ كلّ ما هو واقع فهو مراد له تعالى سوآء أكان طاعة أم معصية ايماناً أو كفراً، خيراً أم شرّاً ...

وقد استدل أهل الحقّ على كلامهم بأمرين: **أحدهما**ـ أنّ الله عزّوجلّ حكيم لايفعل القبيح، وكما لايفعله لايريده ولا يأمر به، فإنّ فعل القبيح كما كان قبيحاً كانت إرادته والأمر به أيضاً قبيحاً.

قال الله تعالى: «قل إنّ الله لايأمر بالفحشآء أتقولون على الله مالا تعلمون» الأعراف: ٢٨).

وقال: «إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتآء ذي القربىٰ وينهىٰ عن الفحشآء

والمنكر والبغي» النّحل: ۹۰).

وقال: «ولايرضىٰ لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم» الزّمر: ۷).

ثانيها ـ أنّ الله عزّوجلّ يأمر عباده بالطّاعة وينهاهم عن المعصيته،، والحكيم إنّما يأمر بما يريد لا بما يكره وينهىٰ عمّا يكره لاعمّا يريد، فلا يأمر بالطّاعة إلّا لأنّها مرادة له، ولاينهى عن المعصية إلّا لأنّها مكروهة عنده، فلو كانت الطّاعة غير مراده له لما أمر بها، ولوكانت المعصية غير مكروهة لديه لما نهىٰ عنها، فثبت أنّ كلّ مأمور به مراد لله عزّوجلّ، وأنّ المعصية كلّها غير مرادة ولا مأمور بها للنّهي عنها.

وقد تشبّثت الأشاعرة المجبرة من أهل الخلاف على توهّماتهم بالأمور:

الأوّل: أنّ الله فاعل لكلّ موجود، فتكون القبآئح كلّها مستندة إليه بإرادته.

أقول: إنّ الجواب عنه واضح، حيث إنّ ذلك عين الدّعوىٰ، فإنّ الله جلّ وعلا فاعل كلّ شيءٍ بمعنى أنّه موجد للممكنات وخالقها، فالإنسان مخلوق له تعالى، ولكن ذلك لايستلزم بأن تكون أفعاله أيضاً مخلوقة له، لأنّنا نجد بالوجدان والضّرورة، أنّ أفعال العبد مستندة لإختياره، وهو قادر على فعل الشّيء وتركه معاً في آن واحد، ومن ثَمّ يصحّ ثوابه على الطّاعة وعقابه على المعصية.

الثّاني: لو أراد الله عزّوجلّ من الكافر الطّاعة، والكافر أراد المعصية، وكان الواقع ما أراده الكافر للزم أن يكون الله مغلوباً، إذ من يقع مراده من المريدين هو الغالب.

والجواب عنه: بأنّه عزّوجلّ إنّما يريد الطّاعة من العباد على سبيل الإختيار منهم دون إلجاء وقهر، ولايتحقّق ذلك إلّا بإرادة المكلّف نفسه، ولو أرادالله سبحانه الطّاعة من الكافر مطلقاً سوآء أكانت عن إختيار أم إجبار لوقعت على كلّ حال، والفرق بين الإرادتين واضح.

الثّالث: أنّ كلّما علم الله وقوعه وجب، وما علم عدمه امتنع، فإذا علم عدم وقوع الطّاعة من الكافر إستحال منه إرادتها، وإلّا لكان مريداً لما يمتنع وجوده.

والجواب عنه: بأنّ العلم تابع للمعلوم فلا يؤثّر في إمكانه، فعلمه تعالى بأفعال عباده لايكون علة فاعليّة لوجودها بعد أن كان متعلقاً بها وتابعاً لوجودها.

ومماذكرناه يتّضح بطلان ماتوهّمه الأشاعرة المجبرة من أهل الخلاف، وحقّيّة مايعتقده أهل الحقّ لأنّ الله عزّوجلّ يستحيل عليه أن يأمر عباده بطاعة غيرالمعصوم لأنّ الأمر بطاعته قبيح لإستلزامه الظّلم للعباد، فإنّ الإمام غير المعصوم- وإن بلغ من التّقوىٰ والزّهد والعلم مابلغ - قد يقع منه الظّلم وقد يأمر به، فكيف يأمرالله عزّوجلّ بالظّلم أو يريده، فما يقع من القبآئح من العباد فليس بمراد له ولا مأمور به، فكما أنّ الله تعالى لا يأمر عباده بالمعصية، كذلك المعصوم - نبيّاً كان أو إماماً - لايأمر عبادالله تعالى بالمعصية ولذلك قال: «يا أيّها الّذين آمنوا أطيعواالله وأطيعوا الرّسول وأولي‌الأمرمنكم- من يطع الرّسول فقد أطاع الله» النسآء: ٥٩ و٨٠).

ولذلك أيضاً لن ينال غيرالمعصوم بالإمامة قال الله عزّوجلّ: «إنّي جاعلك للنّاس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لاينال عهدي الظّالمين» البقرة: ١٢٤).

وقد تشبّثت المشبّهة بقول فرعون طاغي مصر: «أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسىٰ» المؤمن: ٣٧) على أنّ الله سبحانه ساكن في السّمآء، فقالوا: إنّ بديهة فرعون قد شهدت بأنّه في ذلك الصّوب، وأنّه سمع من موسىٰ أنّه يصف الله بذلك وإلّا لما رام بنآء الصّرح.

أجيب عنه: أوّلاً - أنّ بديهة فرعون لاحجّة فيها، وثانياً- أنّ سماعه من موسىٰ عليه السّلام ممنوع، فليس فيه دلالة على أنّ موسىٰ عليه السّلام قال له: «الله فوق السّموات» فلعلّه هو توهّم ذلك إذ لم يرفي الأرض من يصلح أن يكون الإله الّذي يدّعيه موسىٰ عليه السّلام فتوهّمه موجوداً جسمانياً في إحدىٰ طبقات الجوّ، والسّمآء لايتوصّل إليها إلّا بسلّم، فيجب أن نبني الصّرح لنصل إليه، وثالثاً - لوسلّم أنّ موسىٰ عليه السّلام قال له ذلك، لكنّه لقصور فهمه أنّ مسكن إله موسىٰ عليه السّلام في السّموات، ولم يدر أنّ كون الإله في السّمآء أنّه متعال عن الماديات، وأنّه فوق أطباق العلىٰ لابالجهة والحدود، بل بالرّفعة والشّموخ، وهكذا الأشعري وأذنابه المبتورة من المشبّهة والمجسّمة لم يعد أفهامهم، فهم فرعون من أمثال هذا لمقال، إذ ذهبوا إلى أنّه تعالى كانت في جهة «فوق» مستوياً على عرشه فوق أطباق الثّرىٰ،

وأنّه سبحانه ينزل ويصعد، ويتحرّك من مكان إلى مكان، فيحويه مكان ويخلو منه مكان.

وقد اتّفق المحقّقون من المفسّرين في قوله عزّوجلّ: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً» المؤمن: ٤٦) على أنّ هذا العرض في البرزخ، واحتجّوا به على تثبيت عذاب القبرو إستمراره مادامت الدّنيا، وعلى بقآء النّفس بعد الموت، وقالوا: ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: «ويوم تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب» المؤمن: ٤٦).

في الصّحيفة السّجّادية: قال سيّدالسّاجدين زين العابدين الإمام الرّابع عليّ بن الحسين عليهما السّلام ـ في دعآئه الأوّل ـ «... والحمد لله ـ حمداً يضيئ لنا به ظلمات البرزخ ...» الدّعآء.

البرزخ ـ في الأصل ـ: الحاجز بين الشّيئين، وقد اطلق ـ في الشّرع ـ على الحالة الّتي تكون بين الموت والبعث، قال الله تعالى: «ومن ورآئهم برزخ إلى يوم يبعثون» المؤمنون: ١٠٠) وهي مدّة مفارقة الرّوح لهذا الجسد المحسوس إلى وقت البعث وعودها إليه، ويطلق على القبر بهذا الإعتبار.

وقوله عليه السّلام: «يضيئ» أي يصير الحمد جسماً متكيّفاً بالضّوء تشرق به الظّلمات البرزخية كالشّمس المشرقة الّتي تشرق بضوئها الظّلمات الزّمانية بنآءً على ماهو الصّحيح من تجسّم الأعمال والإعتقادات في تلك النّشأة، كما دلّ عليه كثير من الأخبار الواردة عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فالأعمال الصّالحة والإعتقادات الصّحيحة تظهر صوراً نورانيّة مشرقة يستضيئ بنورها أصحابها ...

وقد ورد: «إنّ العمل الصّالح يضيئ قبر صاحبه كما يضيئ المصباح الظّلمة».

وأنّ الأعمال السّيئة والإعتقادات الباطلة تظهر صوراً ظلمانيّة كاسفة يتحيّر في ظلمها أربابها ...

وقد دلّت الأخبار المروية عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين: أنّ الأرواح بعد مفارقتها الأبدان العنصرية تتعلّق بأشباح مثاليّة تشابه تلك الأبدان،

وهذا التعلّق يكون في مدّة البرزخ، فتتنعّم أو تتألّم بها إلى أن تقوم السّاعة، فتعود عند ذلك إلى أبدانها كما كانت عليه.

في التّهذيب ـ باب ـ ٢٣ـ تلقين المحتضرين: ح ١٧٢) بإسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبدالله عليه السّلام عن أرواح المؤمنين فقال: «في الجنّة على صور أبدانهم لورأيته (رأيتهم خ) لقلت فلان».

وفي فروع الكافي ـ باب آخر في أرواح المؤمنين: ح ٧) بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: «إنّا نتحدّث عن أرواح المؤمنين أنّها في حواصل طيور خضر ترعىٰ في الجنّة وتأوي إلى قناديل تحت العرش؟ فقال: لا إذاً ماهي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة».

وفيه: ـ في هذا الباب: ح ١) بإسناده عن أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قلت له: «جعلت فداك يرو ون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ولكن في أبدان كأبدانهم».

قوله عليه السّلام: «حواصل» جمع حوصلة وهي للطّيركالمعدة للإنسان. **وفي قصص الأنبيآء** للسّيّدنعمة الله الجزائري في قوله تعالى: «النّار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً» قال: «هذه النّار هي نار البرزخ الّتي يعذّب فيها أرواح الكفّار في الدّنيا وهي برهوت واد في حضرموت من بلاد اليمن، كما أنّ جنّة الدّنيا وادي السّلام ومحلّها ظهر الكوفة بين النّجف وكربلا وفيها أرواح المؤمنين في أجساد مثالية يتنعمون بها حتّىٰ يوافوا جنّة الخلد، وأولئك يوافون نار جهنّم».

وقد استدلّ أهل الحقّ والعدل وهم شيعة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بقوله تعالى: «ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون ـ قليلاً ماتتذكّرون ـ ولكنّ أكثر النّاس لايؤمنون ـ ولكنّ أكثر النّاس لايشكرون» المؤمن: ٥٧ ـ ٥٩ و٦١) على فساد ما تشبّث به العامّة ـ وهم شيعة آل أبي سفيان ـ من إطلاق ماروي: «يدالله مع الجماعة» بأنّ الأكثرية دليل على حقّيّة أهلها ...

و وجه الفساد أنّ الله عزّوجلّ ذمّ الأكثرية، ومدح الأقلّيّة في تلك الآيات وفي كثير من الآيات القرآنية، فالأكثرية في حدّ ذاتها لا تدلّ على حقّيّة أهلها كما أنّ الأقلّيّة لاتدل بنفسها على بطلان أهلها، أفلا ترى أنّ القلّة قد حمدت: «قليلاً ماتتذكّرون» وإنّما حمدالله تعالى أتباع الحقّ وإن قلّوا، وذمّ أتباع الباطل وإن كثروا، فما كانت يدالله على جماعة أهل الباطل قطّ، وإلّا لزم أن يكون أتباع الشّيطان حقاً، وأتباع الرّحمن باطلاً لأنّ أتباع الشّيطان أكثر من أتباع الرّحمن في كلّ ظرف، فإنّ الشّيطان «قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين» ص: ٨٢ - ٨٣» «قال أرأيتك هذا الّذي كرّمت عليّ لئن أخّرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذرّيّته إلّا قليلاً» الاسراء: ٦٢).

وقال الله تعالى: «فلا يؤمنون إلّا قليلاً - ولايذكرون الله إلّا قليلاً» النّسآء: ٤٦ و١٤٢) وقال: «وقليل من عبادي الشّكور» سبأ: ١٣).

وقد تشبّثت الأشاعرة المجبرة من العامّة بقوله تعالى: «ذلكم الله ربّكم خالق كلّ شئ لا إله إلّا هو» المؤمن: ٦٢) على نفي الإستطاعة وسلب القدرة عن العباد. وقال التفتازاني: أي خالق كلّ شئ ممكن بدلالة العقل، وفعل العبد شئ فهو داخل في عموم مخلوقاته، فيثبت أن لاعمل للعبد.

أقول: وقد سبق منّا كلام في الأمر الرّابع عشر من البحث المذهبيّ في تفسير قوله تعالى: «الله خالق كلّ شيءٍ» الزّمر: ٦٢) فراجع.

قوله تعالى: «ألم تر إلى الّذين يجادلون في آيات الله أنّىٰ يصرفون» المؤمن: ٦٩) ردّ على القدرية وهم الأشاعرة المجبرة من العامّة الّذين اتّخذوا طريق الجبر المحض في مسئلة القضآء والقدر.

في نظرية التّكليف - آراء القاضي عبدالجبّار - للدكتر عبدالكريم عثمان قال في معنى «القضاء والقدر»: «وذهب جمهور مشايخ الأشاعرة إلى أنّ القضآء: إرادة الله الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، وأنّ القدر هو تعلّق تلك الإرادة بالأشيآء في أوقاتها المخصوصة، أي تعلّق إحداث وإيجاد، ويعتبر هذا القول

فرعاً على مذهبهم في الكسب، وبموجب هذا القول تكون كلّ أفعال العباد خيراً أو شرّاً بقدرة الله خلقهافي العباد».

أقول: إنّ الأشاعرة المجبرة من العامّة زعموا أنّ القضآء والقدر هو الحتم والإلجاء، ومن ثمّ أسندوا أفعال العباد كلّها خيرها وشرّها، صلاحها وفسادها حتّى الإيمان والكفر والطّاعة والمعصية إلى الله سبحانه، وأنّه الفاعل لها حقيقة، وإن كان المباشر في الظّاهرهم العباد أنفسهم، ولذلك صحّت تسميتهم بالقدرية إنطباقاً عليهم بالحديث المأثور عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً، قيل: مَن القدرية يا رسول الله؟ قال: الّذين يعصون الله تعالى ويقولون: كان ذلك بقضآء الله وقدره».

والايمان بالقدر بهذا المعنى الباطل هي عقيدة عربيّة جاهليّة امتدّت حتّى مابعد إزدهار الإسلام، ورغم مكافحة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمّة الهداة من بعده لهذه العقيدة الجاهلية الأولى. قال الإمام الحسن بن عليّ عليهما السّلام: «بعث الله محمّداً إلى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله تعالى».

والدّليل على ذلك قولة المشركين: «لوشآء الله ما أشركنا ولا آبآؤنا ولا حرّمنا من شيء» الأنعام: ١٤٨) ومن ثمّ كذّبهم الله تعالى في هذه العقيدة الفاسدة المخالفة لصريح الوجدان قال الله عزّوجلّ- تعقيباً على قولتهم تلك -: «كذلك كذّب الّذين من قبلهم حتّىٰ ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلّا الظّن وإن أنتم إلّا تخرصون».

ومن العجآئب: أنّ الأشاعرة استسلمت قيادتها- بكلّ جرأة وصراحة- لهذه العقيدة المنافية للفطرة الإنسانية، ولتعاليم الإسلام النّزيهة: قال قائدتهم المتفلسف: «إعلم أنّ أفعال العباد أمور ممكنة الوجود، والممكن لايترجّح وجوده على عدمه إلّا بسبب» ثمّ أخذ في الإستدلال على وجوب كون هذا السّبب ضروريّ الوجود، وإلّا

لزم المحال (التسلسل الباطل) وبذلك حاول إثبات إنتهاء أفعال العباد في علل وجوداتها، وفي سلسلة الحاجة إلى ذاته المقدّسة الواجب الوجود، وأخيراً قال: «فثبت: أنّ أفعال العباد بقضآء الله تعالى وقدره، وأنّ الإنسان مضطرّ في اختياره، وأنّه ليس في الوجود إلّا الجبر» هذا نصّ عبارته في باب القضآء والقدر من كتابه (المباحث المشرقية- الفصل الثّاني: ج ٢ ص٥١٦ - ٥١٧) وأمّا (تفسير الكبير) فقد ملأه بأحكام قواعد الجبر على اصول مذهب أبي الحسن الأشعري وأتباعه الأشاعرة ...

وقد بالغ في ذلك حتّىٰ قال بشأن سورة الأنعام: «إنّ هذه السّورة من أوّلها إلى آخرها تدلّ على صحّة قولنا ومذهبنا (في الجبر) التّفسير الكبير: ج ١٣ ص٢٢٧).

ولا يخفىٰ على المحقّق الخبير: أنّ الأشاعرة باعتبارهم أنّ القضآء والقدر أزليان و واجبان كأنّهم ينفون الإختيار عن الله سبحانه في خلق الكآئنات ...

ويستدلّ بقوله تعالى: «وكفرنا بما كنّا به مشركين» على أنّ الكفر نوعان: **أحدهما**- الكفر بالله سبحانه. **ثانيها**- الكفر بالشّيطان وأذنابه ...

«مؤمن آل فرعون و إسمه»

قال الله تعالى: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ـ فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب» المؤمن: ٢٨ـ ٤٥).

واعلم أنّ هذه السّورة: «المؤمن» سمّيت بما وصف رجل مؤمن بطل من آل فرعون به من الإيمان، وقد جآئت قصّته الرّآئعة في خلال (١٨) آية من آيها ...

وقد اختلفت الأقوال في إسمه حتّىٰ انتهت إلى ثلاث عشر قولاً: ١ـ حزقيل. ٢ـ جبرئيل. ٣ـ حزبيل. ٤ـ خربيل. ٥ـ خزبيل. ٦ـ حبيب. ٧ـ حبرك. ٨ـ خبرك. ٩ـ جبرك. ١٠ـ سمعان. ١١ـ شمعان. ١٢ـ شمعون. ١٣ـ طالوت. والأوّل هوالمرويّ عن أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد اختلفت الكلمات في هويّته: أكان قبطياً أو إسرائيليّاً؟ هل كان نبيّاً أولا؟ وأكان هو المراد بقوله: «وجآء رجل من أقصى المدينة يسعىٰ قال يا موسىٰ إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك» القصص: ٢٠) «وجآء من أقصى المدينة رجل يسعىٰ قال يا قوم اتّبعوا المرسلين» يس: ٢٠) ولكلٍّ قآئلٌ.

في تاريخ الطّبري: «عن وهب بن منبه اليماني قال: فمشىٰ بضعاً وعشرين ليلة حتّى كادت نفسه أن تخرج، ثمّ استمسك فقال لملئه: «إنّ هذا لساحر عليم» أي ما ساحر أسحر منه «فماذا تأمرون أقتله»؟ فقال مؤمن من آل فرعون العبد الصّالح كان إسمه فيما يزعمون حبرك : أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله».

وفي الكامل لإبن الأثير: «قيل: كـان خربيل مؤمن آل فرعون، كانعلى بقيّة من دين إبراهيم عليـه السّلام وكان أوّل من آمن بموسىٰ فلمّا أخبره خرج من بينهم «خآئفاً يترقّب قال: ربّ نجّني من القوم الظّالمين» القصص: ٢١).

وفيه: «وكان خربيل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه: قيل: كان من بني إسرائيل وقيل: كان من القبط. وقيل: هو النّجّار الّذي صنع التّابوت الّذي جُعِل فيه موسىٰ وأُلقِيَ في النّيل، فلـمّا رأىٰ غلبة موسىٰ عليه السّلام السّحرة أظهر إيمانه، وقيل: أظهر إيمانه قبل، فقُتِل وصُلِبَ مع السّحرة، وكان له إمرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً، وكانت ماشطة إبنة فرعون، فبينا هي تمشطها إذ وقع المشط من يدها فقالت: بسم الله. فقالت إبنة فرعون: أبي؟ قالت: لابل ربّي وربّك وربّ أبيك، فأخبرت أباها بذلك، فدعابها وبولدها، وقال لها: مَن ربّك؟ قالت: ربّي وربّك الله. فأمر بتنوّر نحاس فأحمىٰ ليعذّبها وأولادها، فقالت: لي إليك حاجة، قال: وماهي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي، فتدفنها، قال: ذلك لك، فأمر بأولادها فالقوا في التّنوّر واحداً واحداً، وكان آخر أولادها صبيّاً صغيراً فقال: إصبري يا أمّاه فانّك على الحقّ، فالقيت في التّنّور مع ولدها».

وفي المجمع: «قال ابن عبّاس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير إمرأة فرعون وغير المؤمن الّذي أنذر موسىٰ، فقال: «إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك» قال السّدي ومقاتل: كان ابن عمّ فرعون، وكان آمن بموسىٰ وهوالّذي جآء من أقصى المدينة يسعىٰ، وقيل: إنّه كان وليّ عهده من بعده».

وفي تفسير النّيشابوري: قال: «والأصحّ أنّه كان قبطياً ابن عمّ لفرعون آمن بموسىٰ سرّاً وإسمه سمعان أو حبيب أو خربيل. وقيل: كان إسرائيلياً وزيف بأنّ المؤمنين من بني إسرائيل لم يعتلوا ولم يعزوا لقوله: «أُقتلوا أبنآء الّذين آمنوا معه» فما الوجه في تخصيصه؟ والقآئل أن يقول: الوجه تخصيصه بالوعظ والنّصيحة إلّا أنّ قوله: «فمن ينصرنا من بأس الله» وقوله: «يا قوم» على رأس كلّ نصيحة يغلب على الظّنّ أنّه يتنصح لقومه».

وفي تفسير المراغي: «الرّجل المؤمن: هو ابن عمّ فرعون و وليّ عهده وصاحب شرطته وهوالّذي نجىٰ مع موسىٰ عليه السّلام وهو المراد بقوله: «وجآء رجل من أقصى المدينة يسعىٰ»».

وفي الميزان: «فكان الرّجل من القبط من خاصّة فرعون، وهم لايعلمون بإيمانه لكتمانه إياهم ذلك تقيّة ـ إلى أن قال: : على أنّ الرّجل يكرّر ندآء فرعون وقومه بلفظة «يا قومي» ولولم يكن منهم لم يكن له ذلك».

وفي التّفسير القرآني للقرآن: قال في قوله تعالى: «من آل فرعون» أي من آل بيته، ومن الرّؤس البارزة في دولة فرعون ... فقد يكون أميراً أو وزيراً أو قآئد جند ونحو هذا ...» ثمّ قال: «بقي هنا سؤال وهو: هل كان مؤمن آل فرعون نبيّاً مرسلاً من عندالله إلى فرعون؟ وليس بالمستبعد أن يكون نبيّاً لم يذكره القرآن في عداد الأنبيآء الّذين ذكرهم الله، فكثير من الأنبياء لم يذكرهم الله سبحانه في القرآن كما يقول سبحانه: «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك» النّسآء: ١٦٤).

وفي تفسير الصّافي: وفي المجالس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: الصّدّيقون ثلاثة: وعدّ منهم حزقيل مؤمن آل فرعون.

وفي أنوار التّنزيل للبيضاوي: قال: «الرّجل إسرائيليّ أوغريب موحّد كان ينافقهم: «أتقتلون رجلاً»: أتقصدون قتله؟

وفي البحار ـ باب أحوال مؤمن آل فرعون ـ: «وقيل: إنّه كان خازناً لفرعون مأة سنة، وكان مؤمناً مخلصاً يكتم إيمانه إلى أن ظهر موسىٰ عليه السّلام على السّحرة فأظهر حِزْبيل إيمانه، فأُخِذَ يومئذ وقُتِلَ مع السّحرة صلباً وأمّا إمرأة حزبيل فانّها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة».

وقدورد: أنّ الرّجل المؤمن كان ابن خال فرعون.

وورد أيضاً: أنّ الرّجل المؤمن البطل كان أخاً لآسية إمرأة فرعون.

وورد أيضاً: أنّه كان من أقربآئه.

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ هدف قصّة الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون هو إنذار الكفّار العرب، وإنذار الكافرين إطلاقاً، وتطمين النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم والمؤمنين بأنّ مايلقونه هو ماكان يلقاه الرّسل والمؤمنون السّابقون الّذين أيّدهم الله ونصرهم، وأهلك أعدآئهم وأخزاهم، وتطمين للمؤمنين، ودرس للدّعاة والمصلحين في كلّ ظرف ... وقد كان موقف أبي طالب بن عبدالمطلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تجاه بغاة قريش من عدوان وطغيان ضدّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو موقف الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون تجاه فرعون وملئه المستكبرين، وفي القصّة مما ثلة تامّة لقصّة أبي طالب عليه السّلام وحمايته وذبّه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتمان ايمانه، حتّى افترى المعاندون الأشقيآء والمخالفون الأغبيآء وتبعتهم سفلة جهلاء: أنّ أباطالب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما آمن به صلّى الله عليه وآله وسلّم وهذا إفك مفترى من الأعداء لاننتظر منهم غير هذا.

إنّ الله تعالى قيّض لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عمّه أباطالب عليه السّلام الّذي يدافع عنه من بغاة قريش أنفسهم، ويذبّ عنه على أكمل الوجوه وأحسنها، ويبالغ في تسكين تلك الفتنة ويجتهد في إزالة ذلك الشّر كما قيّض لموسىٰ عليه السّلام من يدافع عنه من آل فرعون أنفسهم ...

ومن موضوعات أهل الخلاف ومختلقات العامّة ـ وهم شيعه آل أبي سفيان ـ أنّ المماثلة بين أبي بكر والرّجل المؤمن البطل من آل فرعون، وكذبه واضح لايخفىٰ على من له طيب الولادة لأنّ أبابكر لم يكن يكتم إيمانه الظّاهري، وماكان بطلاً ولا له صلابة في الدّين، ولا إيمانه إلّا لقلقة اللّسان.

حكمة كتمان مؤمن آل فرعون إيمانه

ولايخفى على القارئ الخبير المتدبّر: أنّ كتمان الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون ما كان عن ضعف أو خوف حتّى يحمل إيمانه على أنّه كان مجرّد إعجاب بموسىٰ عليه السّلام وميل إلى الطّريق الّذي هو عليه، إذ لوكان غير منظور فيه إلى شيءٍ آخر لآمن كإيمان السّحرة ولما منعه بطش فرعون وجبروته أن يعلن هذا الإيمان، متحدّياً فرعون، مستخفّاً بكل مايلقىٰ في سبيل الحقّ والجهربه ... كلاّ ... فإنّ إيمان هذا المؤمن كان إيماناً راسخاً وثيقاً قائماً على اقتناع بلغ مبلغ اليقين القاطع ... وإنّما كان كتمانه هذا الإيمان عن سياسة حكيمة وتدبير محكم ...

وذلك أنّ الرّجل ما أراد الإيمان لنفسه فحسب، بل إنّه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وملئه أجمعين إلى الإيمان بالله جلّ وعلا، ولو أنّه أعلن إيمانه، وجآء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن بالله تعالى كما آمن هو، لما استمع فرعون لكلمة منه، ولأخذته العزّة بالإثم، وأبىٰ عليه كبره وعناده، أن ينقاد لداعية يدعوه إلى أيّ أمر ولو فتح له أبواب السّمآء ... وهل أتى المكذّبون برسل الله إلّا من دعوة الرّسل إلى متابعتهم، والإيمان بالإله الّذي سبقوهم إلى الإيمان به؟ وهل كانت مقولة المكذّبين برسل الله إلّا ترجمة لهذه المشاعر الّتي تملأ صدور المكذّبين أنفةً وكبراً أن يكونوا متابعين لغيرهم، مسبوقين غير سابقين؟

وهذا مايشير إليه قوله تعالى على لسان هؤلآء المكذّبين: «إن هو إلّا رجل مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم» المؤمنون: ٢٤) وقوله عزّوجلّ: «أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون»

الشّعراء: ۱۱۱) وقوله سبحانه على لسان فرعون طاغي مصر: «أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون» المؤمنون: ٤٧).

ثمّ ماذا لو أعلن الرّجل المؤمن البطل إيمانه، ثمّ جآء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان باللهّ تعالى؟ أكان شأنه معه إلاّ كشأن موسىٰ وهارون؟ بل إنّ موسىٰ وهارون معهما من آيات الله المعجزة القاهرة مايؤيّد دعوتهما ... أمّا الرّجل فما كان معه إلاّ منطق العقل وحجّة الكلمة، وهل كان لفرعون عقل يقبل منطقاً أو أُذُن تصغىٰ إلى حجّة؟؟؟!!!.

لقد كان من تدبير الرّجل المؤمن، وهو رجل سياسة وملك ـ أن يجلس إلى فرعون المجلس الّذي اعتاده منه ... مجلس إبداء الرّأي وعرض النّصيحة، وإتمام الحجّة على فرعون وملئه في معرض تبادل الآرآء وتقليب وجوهها ... وهنا كان للرّجل أن يقول مايشآء من آراء ... ويبدي مايرى من حجج، وأن يجد لذلك من فرعون اذناً تسمع وعقلاً يعقل، وإنّه لابأس على فرعون أن يأخذ بالرّأي الّذي يخلص به من بين تلك الآراء ... إنّه حينئذ يكون هو الّذي يعطي الرّأي ولا يأخذه ويصدر الحكم ولا يتلقّاه!!!

ومن هنا نجد الرّجل المؤمن البطل ـ بهذا التّدبير الحكيم ـ قد استطاع أن يعرض قضيّة الايمان بالله تعالى في وضوح وجلآء وأن يقدمها إلى فرعون في جوّها دئ لا تعكر صفوْ الأعاصير المحملة برجوم الرّدع والتحدّي ...

وفي هذا قال الله عزّوجلّ على لسان الرّجل المؤمن البطل:

«وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربيّ الله وقد جآءكم بالبيّنات من ربّكم».

وقد كان فرعون وملئه يأتمرون بموسىٰ ليقتلوه وهم يعدّون التّهمة الّتي يأخذونه بها، والتّهمة عند فرعون: أنّ موسىٰ يريد أن يبدّل دين القوم، وأن يفسد المجمع بما يثير فيه من فتنة وإنقسام وفرقة، إزآء هذا الدّين الجديد ... كما أنّ هذا شعار الحكّام الجابرة على الدّعاة والمصلحين في كلّ عصر ...

وهنا يبدئ هذا الرّجل المؤمن ـ وقد كتم ايمانه ـ رأيه، فيقول: وأيّة جناية جناها موسىٰ عليه السّلام؟ إنّه يقول: ربّي الله، هذا دينه الّذي يدين به ويدعو إليه بلا قهر ولاقسر ... فهل هذه الدّعوة تستوجب قتله وسفك دمه؟ لا أرى ذلك ...! ثمّ إنّ هذه القولة الّتي ينادي بها موسىٰ عليه السّلام تستند إلى آيات بيّنات قدر أيناها رأي العين، وقد بطل بها سحرالسّاحرين، وهذا يعني أنّها من عند إله قويّ فوق الآلهة كلّها ... فإذا آمن موسىٰ بهذا الإله، وتلك حجّته القاهرة بين يديه على قوّة معبوده الّذي يعبده، فهل نستحلّ لذلك دمه؟ «وقد جآءكم بالبيّنات من ربّكم» الّذي آمن به، فهو يؤمن باله له دليله عليه، ويدعو إلى عبادة إله وضع بين يديه الحجّة الّتي تؤيّد دعواه ... فكيف ندينه وهو بريئ؟.

ثمّ ماذا لوتركناه وشأنه؟ إنّه «ان يك كاذباً فعليه كذبه» إنّه يسير في طريق اختاره لنفسه، فان يهلك فلن يهلك إلّا هو وجنايته على نفسه وحده لا تصيب أحداً غيره!

ثمّ من يدري؟ فقد يكون الرّجل صادقاً فيما يقول، وشواهد الصّدق بادية فيما نرىٰ ... فماذا لو انتظرنا ثمّ نظرنا في دعوته هذه وعرضناها معرض الدّراسة والبحث ... فقد نجد فيها خيراً، وقد ينكشف لنا منها هدى ونور ... وهل ثمّة من بأس علينا إذا وجدنا خيراً فأخذنا بحظّ منه؟ أو رأينا هدى ونوراً فاتجهنا نحو هذا الهدىٰ والنّور؟ «وإن يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم» إنّه لابأس إذن من أن ندع موسىٰ، ولانعرض لقتله وسفك دمه، سوآء أخذنا بما يدعو به أولم نأخذ ... فلندعه يمضي في طريقه، فإن كان كاذباً مدّعياً فإنّه لن يفلح أبداً، فما كان الكذب مركباً إلّا إلى البلآء وسوء المصير، فكيف إذا كان يكذب على الله الّذي يقول: إنّه رسول من عنده؟ «إنّ الله لايهدي من هو مسرف كذّاب».

ويمضي الرّجل المؤمن البطل في عرض رأيه ومشورته، فيحذّر القوم من أن يقدموا على ما هم عازمون عليه في شأن موسىٰ عليه السّلام فقد يكون الرّجل صادقاً، ودلآئل الصّدق بادية فيما جآءهم به، وفيما حذّرهم به من عذاب الله في الآخرة، فإن أنفذوا

أمرهم فيه وقتلوه أفيتخلّي عنه ربّه هذا الّذي رأينا بعض قوته فيا جآءهم به موسىٰ من عنده؟ فكيف تكون الحال إذا قتلناه وهذا ربّه، وتلك قوّته؟ وهذا مايشير إليه قوله تعالى على لسان هذا المؤمن: «يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جآئنا؟».

نعم! نحن أولوا قوة قادرة، وملك عظيم، وسلطان ظاهر غالب ... هذا مانحن فيه الآن ولكن أيكون لنا من كلّ هذا مايدفع عنّا بأس هذا الإله القوي، ويحول بيننا وبين نقمته؟ هذارأيي، وتلك نصيحتي للملك كما يقضي بذلك واجب الولآء والإخلاص للملك وللرّعيّة ...!! وهكذا استطاع الرّجل المؤمن بحكمته وسياسته في كتم ايمانه أن يلقىٰ فرعون والملأ من حوله بهذا المنطق الرّزين الهادئ في غلاف رقيق من النّصح والمناصحة وإتمام الحجّة عليهم!

ويطرق الملأ من آل فرعون، وقد دارت رؤسهم من هذا المنطق الواضح ومابين يديه من حجّة وبرهان ... ثمّ تتحرّك بعد ذلك شفاه وتنطلق كلمات، تعلّق على هذا الحديث، بين آخذٍ به، ورادٍّ له ... ويدع فرعونُ القومَ يجادل بعضهم بعضاً، ويفنّد بعضهم مقولات بعض ... حتّى إذا فرغوا ممّا عندهم، جآء إليهم من علٍ في سلطانه ومايحفّ به من جلال وهيبة، فيلقي إليهم بهذا الأمر الملكي:

«قال فرعون ماأريكم إلّا ما أرىٰ وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد».

إنّه ليس لكم عندي في هذا الأمر إلّا مارأيته من قبل، وماسمعتموه منّي حين قلت لكم: «ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه» تلك هي كلمتي الاولى والأخيرة ... وإنّها الكلمة الّتي فيها رشادكم، وحمايتكم من هذا الشّرّ الّذي يهبّ عليكم: «وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد»! فهل تشكّون في حمايتي وحرصي على حفظكم ورعايتكم، وارتياد مواقع الخير لكم؟

وتؤذن هذه الكلمة بانفضاض مجلس المشورة، وما يكادالقوم يهمّون بالإنصراف، حتّىٰ تمسّك بهم نظرة من الرّجل المؤمن، تريد أن تقول شيئاً، فيتلكأ بعضهم، ويهمّ آخرون حتّىٰ إذا تكلّم الرّجل المؤمن البطل عاد المجلس إلى ماكان عليه ... وهنا

يتابع الرّجل المؤمن حديثه، ويصل ما انقطع منه، وكأنّ فرعون لم يقل شيئاً، وكأنّ هذه الكلمة ليست الكلمة الأخيرة في هذا الأمر، وتخرج الكلمات من فم الرّجل المؤمن، متدفقة هادرة، تحمل نبرة عالية من الأسىٰ والحزن والإشفاق ...

«وقال الّذي آمن يا قوم ...»: ٣٠) بهذا الايمان الّذي يملأ قلب المؤمن، يجدالرّجل منطقاً يتّسع له مجال القول، وتتداعي إليه الأدلّة والبراهين ... وتنحلّ به عُقَد الخوف واللّجلجة في هذا المقام الرّهيب!

«يا قوم» بهذه الكلمة يمسك الرّجل المؤمن البطل جماعة المجلس حيث هم ... إنّه يريد أن يقول شيئاً، وإن قال فرعون كلمته وأصدر حكمه! وما اعتاد القوم أن يسمعوا بعد حكم فرعون تعليقاً ولا تعقيباً فماذا في الأمر؟ ألا فليسمعوا: «إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب».

إنّ هذا الحكم الّذي أصدره فرعون، وقال لهم فيهم: «وما أهديكم إلّا سبيل الرّشاد» هو حكم إن أخذوا به فلم يسلموا من سوء عواقبه ... فإنّ ورآئه شرّاً مستطيراً ... إنّهم يدبّرون ليقتلوا رسولاً من رسل الله، وإنّ عندهم لخبراً عمّا حلّ بالأقوام الّذين آذوا رسل الله من قبلهم ... فإن مضوا على ماهم فيه من إلحاق الأذىٰ بموسىٰ عليه السّلام فلن يسلموا من أن يحلّ بهم يوم كيوم هؤلآء الأحزاب: قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم ... وإنّه ليوم عسير لقي فيهم المكذّبون برسل الله الدّمار والهلاك ... ويلاحظ هنا أنّه سمّي يوم الأحزاب يوماً مع أنه أيّام ... إذا كان لكلّ قوم يومهم الّذي لاقوا فيه هلاكهم، وذلك لأنّ جريمة القوم واحدة، والحكم الّذي أُخذوا به حكم واحد، فكأنّهم أُدينوا في يوم واحد، وإن تراخى الزّمن بينهم في ايقاع الحكم الواقع على كلّ من هؤلآء الأقوام ...

«مثل دأب قوم نوح ...» هذا ما أخذ به المكذّبون برسل الله من عقاب في الدّنيا ... إنّه الهلاك الجماعي، والدّمار الشّامل لكلّ ما عمّروا وجمعوا ... وهناك عذاب آخر أشدّ وأنكىٰ، ينتظر هؤلآء المكذّبين ... هو عذاب الآخرة.

ويمضي الرّجل المؤمن البطل يذكّر قومه بنبيّ كريم كان فيهم، وهو يوسف عليه

السّلام :

«ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبيّنات ...».

وقد كان ليوسف عليه السّلام شأن وذكر في الحياة المصرية، وقد رأى القوم من آياته ماسمّوه من أجلها صدّيقاً، فيقول له صاحب السّجن: «يوسف أيّها الصّديق» يوسف: ٤٦) ثمّ يرىٰ منه فرعون والقوم معه هذه المعجزة الّتي كشف بها عن حلم فرعون، والّتي قرأ عليهم فيها من صحف الغيب ما سيطلع عليهم من أحداث ... ثمّ رأوا منه هذه الآيات المعجزة في هذا التّدبير المحكم الّذي ساس به البلاد، وقاد به سفينتها إلى شاطئ الأمن والسّلام، وهي في متلاطم الأمواج العاتية، وقد كانت وشيكة أن يبتلعها اليمّ ...

ذلك هو يوسف النّبيّ عليه السّلام وتلك هي آياته البيّنات الّتي رآها آبآؤهم منه، ومع هذا فقد كانوا في شكٍّ منه: بين مصدّق بدينه الّذي يدعو إليه من عبادة الله الواحدالقّهار، وبين مكذّب متّهم له فيما عنده من علم لايتجاوز به في تقديرهم أن يكون ساحراً عليماً، وهكذا يمضي القوم مع يوسف عليه السّلام حتّى يهلك دون أن يجتمعوا على رأي فيه، فلمّا هلك يوسف، وأفلت من أيديهم هذا الخير الّذي كان ينبغي أن ينالوه على يديه تطلعوا إلى هذه الشّمس الغاربة من افقهم في أسًى وحسرة ... وانتظرا أن تطلع عليهم شمس أخرىٰ في صورة يوسف جديد ... فلمّا طال إنتظارهم جيلاً بعد جيل استيأسوا وصرفوا أبصارهم عن ترقّبه، وقالوا في يأس وحسرة: «لن يبعث الله من بعده رسولاً».

وها هو ذاقد جآءكم رسول كنتم تتطلعون إليه، أفلا ترون في موسىٰ وجهاً كوجه يوسف فيما يدعو إليه من عبادة إله واحد، وفيما بين يديه من آيات بيّنات؟ وأتقفون من موسىٰ موقف الشّك والارتياب الّذي وقفه آبآؤكم من يوسف؟ ثمّ هل تنتظرون رسولاً آخر بعد أن يمضي موسىٰ؟

ذلك هو الواقع الّذي أنتم فيه الآن ... فماذا أنتم فاعلون؟ وإلى أيّ متجه تتحهون؟ أ إلى الشّكّ والإرتياب؟ أم إلى التّصديق والإيمان؟ ذلك لكم، ولكم

ماتشتهون!

ثمّ حكم هذا الرّجل المؤمن البطل بعد إتمام الحجّة ـ من دون خوف واضطراب ـ على فرعون وملئه: أنّهم لن يهتدوا ولن يخرجوا عمّا هم من عمًى وضلال ... إنّهم في ارتياب شديد مسرف، فأسلمهم الله عزّوجلّ إلى ارتيابهم وتركهم في ظلمات يعمهون، وإنّهم ليجادلون في آيات الله، وليس بين أيديهم سلطان من حقّ يجادلون به، وكلّ ما معهم هو باطل وضلال، يلقون به آيات الله تعالى، وإنّهم متكبّرون جبّارون طبع الله على قلوبهم ... بقوله: «كذلك يضلّ الله ـ كذلك يطبع الله ...» ٣٤ـ ٣٥) لأنّه تعقيب على هذا الموقف الّذي بين الرّجل المؤمن البطل، وبين فرعون وملئه ...

وهكذا ينفضّ المجلس دون أن ينتهي القوم إلى رأي في موسىٰ عليه السّلام بعد أن لبستهم حال من البلبلة والإضطراب من هذا النّذير الّذي طلع عليهم به الرّجل المؤمن الّذي يكتم إيمانه!!!

وإذ ينفضّ المجلس الّذي ضمّ فرعون وملئه، ومنهم الرّجل المؤمن الّذي يكتم إيمانه ـ إذ ينفضّ المجلس على تلك الحال الّتي اضطرب فيها الرّأي، ودارت برؤس القوم فيها عواصف البلبلة والحيرة ـ لم يجد فرعون طريقاً يحفظ به ناموس سلطانه، ويستر به الحال الّتي إستولت عليه من الرّهبة والفزع، إلّا أن يلقي بهذا الأمر الطآئش يتخبّط به كما يتخبّط الغريق بين الأمواج ... «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ـ وماكيد فرعون إلّا في تباب»: ٣٦ـ ٣٧).

والأمر ـ كما ترى ـ هزل ليس فيه شيئ من الجدّ، وإنّما هو تكأة يتكئ بها فرعون على كرسيّ سلطانه الّذي يكاد يسقط من فوقه! إذ كيف يبني «هامان» صرحاً يرتفع به إلى السّمآء؟ وفي كم من الزّمن يتمّ بنآؤه إن كان ذلك الأمر مستطاعاً وكان محمولاً على محمل الجدّ؟ وهل ينتظر فرعون بموسىٰ عليه السّلام هذا الزّمن المتطاول حتّى يتمّ بنآء الصّرح، ويصل به إلى أبواب السّمآء ثمّ يطرقها، ويبحث عن إله موسىٰ هناك ؟ إنّها مماحكات وتعللات يتعلل بها فرعون ليخلص من هذا

المأزق الّذي أوقع فيه نفسه بإعلان رأيه في قتل موسىٰ والخلاص منه!

وفي تفسير القمّي: في قوله تعالى: «يكتم إيمانه» قال: كتم إيمانه ستّ مأة سنة.

﴿ دفاع الرجل المؤمن عن موسىٰ عليه السلام ﴾
و دعوته فرعون و ملئه إلى التوحيد

قال الله عزّوجلّ: «وقال فرعون ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربّه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد»: ٢٦).

لمّا ضاق فرعون طاغي مصر ذرعاً بموسىٰ عليه السّلام ائتمر وملئه المستكبرون على قتله والخلاص من دعوته ومن فساده على زعمهم، وبينما هم في أخذٍ وردٍّ يقلبون أوجه الرّأي في سبيل الإقدام على قتله إذ دفعت المروءة رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتم ايمانه، فدافع عن موسىٰ عليه السّلام دفاعاً مجيداً مبيّناً لهم أنّه لاينبغي أن يقتلوا رجلاً يقول: «ربّي الله» وبالأخص أنّه جآءهم بالمعجزات الدّالّة على صدقه، ولو فرض أنّه كاذب فيما يقول مانالهم ضرر من كذبه، ولو أنّه كان صادقاً لأصابهم بعض الوعيد الّذي توعدهم به، واستمرّ قآئلاً لهم: أنتم اليوم ذو ونفوذ وسيطرة في الأرض فمن يستطيع أن يدفع عنّا عذاب الله تعالى إذا جآئنا، فعارضه فرعون فيما رأىٰ وادّعىٰ أنّه يهدي قومه سبيل الرّشاد.

ثمّ أخذ هذا المؤمن يذكّرهم بعذاب الله وبطشه في هذه الدّنيا كما حصل في الامم السّالفة بسبب أعمالهاالسّيّئة، ثمّ حذّرهم من عذاب الآخرة يوم يحاول الكافرون الفرار من عذاب الله تعالى ولا مفرّ من هذا العذاب، ثمّ ذكّرهم بأنّ الدّعوة الّتي جآء بها موسىٰ اليوم ليست جديدة، فقد جآء يوسف بالبيّنات إلى آبآئهم، فارتابوا في صدقه حتّىٰ إذا توفّيّ قالوا: لن يبعث الله من بعده رسولاً، ثمّ أبان لهم أنّ ذلك الموقف السّيّ أدّىٰ بهم إلى الضّلال لأنّهم حين إنصرفوا عن الرّشد

صرف الله قلوبهم عن الهداية: «كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب ـ كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار» وفي الآيات: (٢٨ـ ٣٥) دلالات كثيرة تشير إلى أنّ هذا المؤمن كان إلى جانب إيمانه ودفاعه عن موسىٰ عليه السّلام داعيةً يدعو إلى الله جلّ معززاً ومؤيّداً الدّعوة الّتي يدعو بها موسىٰ وهارون عليهما السّلام.

ولمّا تمادىٰ فرعون وملئه في الغيّ والضّلال، تابع هذا الرّجل المؤمن البطل ـ من دون خوف وإضطراب ـ دعوتهم إلى سبيل الحقّ والرّشاد، فنصحهم بعدم الإغترار بهذه الدّنيا الفانية، والعمل للآخرة دار البقآء، فهناك يجازي السّيّئة بمثلها والحسنات يكافأ عليها المرء بأحسن مايشتهيه، ثمّ لامهم هذا المؤمن على دعوتهم إلى الكفر والضّلال بينما هو يدعوهم إلى التّوحيد والإيمان، فالآلهة الّتي يدعونه إلى عبادتها لا تنفع في الدّنيا، ولا تشفع لهم في الآخرة، حيث إنّ المرجع إلى الله عزّوجلّ وحده، ثمّ نبّههم بأنّه سيأتي وقت يذكرون فيه نصحه إيّاهم، وأنّه يفوّض أمره إلى الله جلّ وعلا، ولقد همّوا بقتله فوقاه الله سوء عملهم، وكانت عاقبته السّعادة، ومآل آل فرعون الشّقآء.

وقد بُيِّن القرآن الكريم هذا النّدآء الّذي وجهه ذلك الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون بأسلوب رائع يشع منه غاية الإخلاص وكمال الشّجاعة ونهاية الصّدق ... يجعلك تخرج من قراءته بإقتناع تامّ بمصدره الإلهي لما يثيره في نفسك من إحساس روحي ورعشة سماوية تصلك بالله عزّوجلّ فاقرؤا هذه الآيات.

«وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعوني أهدكم سبيل الرّشاد ـ فوقاه الله سيّئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب»: ٣٨ ـ ٤٥).

وقد كان الرّجل المؤمن إنساناً عاقلاً رشيداً يزن الأمور بعقله، ويتعرّف مواقع الخير ببصيرته، ثمّ إلى جانب هذا العقل وهذه البصيرة إرادة قاطعة ورأي جميع، يقهرالحدود ويحطم القيود ليعبر عن مشيئته وإرادته على الوجه الّذي شآء وأراد ... وأنّ الإنسان لهذا مناط للتّكليف وأهل لِلثّواب والعقاب، وبه ينال بالإنسانية والكمال والسّعادة ...

وأنّ المثل الماثل هنا هو هذا الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون لم يضلله تزويره

وبهتانه، ولم يقفه زوره وطغيانه، ولم يُخْفِه بطشه وسلطانه ... فما استبان له الهدىٰ من دعوة موسىٰ عليه السّلام وما أن اطمأنّ قلبه إلى مايدعوه إليه حتّىٰ خرج عن سلطان فرعون، وتحرّر من دائرة فلكه الّذي كانت تدور فيه الدّولة كلّها معه وبهذا إستحق أن يكون مثلاً مضروباً للعقل الحرّ والقلب السّليم والإرادة المتحرّرة وكان له هذا الذكّر الكريم الّذي سمّي سورة منه بما وصف به من الإيمان، إنّه رجل مؤمن من آل فرعون، لم يذكر القرآن المجيد إسمه، إذ لا دَخْل للإسم ما للوصف دَخْلٌ في إنسانيّة الإنسان وكماله أو إنحطاطه ومآل أمره خيراً أو شرّاً ... لم يذكر القرآن الكريم إسمه ليكون هكذا علم جنس للرّجل في كلّ ظرف.

ولعمري! إنّ قصّة هذا الرّجل المؤمن البطل ـ كما نعته القرآن المجيد ـ هي حجّة كافية على كلّ من يدّعي الإيمان بالله جلّ وعلا، وعلى الدّعاة والمصلحين وعلى علمآء الدّين، الّذين يسكتون عن كلمة الحقّ لمصالح شخصيّة واهية حيث يريدون المعاش ويتركون المعاد، فقد جابهم المؤمن الصّالح الطّاغية فرعون بكلمة الحقّ غير مرتاع ولاهياب، وهو لايملك إلّا نفسه وعقيدته، وكلّ نبيٍّ من أنبيآء الله عليهم صلوات الله ناضل أمّته وحيداً فريداً، وقال الله عزّوجلّ لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم :«فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلّا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكفّ بأس الّذين كفروا» النّسآء: ٨٤).

وقال: يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهدآء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيّاً أو فقيراً فالله أولىٰ بهما فلا تتّبعوا الهوىٰ أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً» النّسآء: ١٣٥).

وقد ورد صحيحاً: «قولوا الحقّ ولو علىٰ أنفسكم».

وفي الحديث الشّريف: «أفضل الجهاد كلمة الحقّ عند سلطان جآئر».

نعم! إعلان الحرب لابدّ أن سبقه إعداد العدة، ولكنّ الحرب شيء، والأمر بالمعروف في كلمة حقّ شيء آخر.

﴿ مؤمن آل فرعون و اعلان إيمانه بعد كتمانه ﴾

قال الله عزّوجلّ: «وقال الّذي آمن يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرّشاد ـ وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» المؤمن: ٣٨ ـ ٤٤).

ماكان الرّجل المؤمن البطل من آل فرعون رسولاً، إذ لوكان نبيّاً ذا رسالة لكان بين يديه حجّة من الله عزّوجلّ على رسالته إلى مَن أرسل إليهم، ولم يذكر القرآن الكريم أنّ بين يديه تلك الحجّة الّتي يحاجّ بها فرعون، ومن جهة اخرىٰ فإنّه كان يكتم إيمانه في مرحلة من مراحل دعوته لمصالح نوعيّة وحكم إلهيّة ذكرناها آنفاً، والنّبيّ إنّما يرى النّاس نبوّته ممثلة في إيمانه بالدّين الّذي يدعو إليه، قبل أن يدعو أحداً الاليه، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى لنبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم «قل إنّي أمرت أن اعبدالله مخلصاً له الدّين وأُمرت لأن أكون أوّل المسلمين» الزّمر: ١١ ـ ١٢).

وإنّما كان الرّجل المؤمن البطل داعية من دعاة الله تعالى إلى الحق وهو صوت العقل وحجّته الّتي تقوم إلى جانب المعجزة المادية وحجّتها ...

وقد كشف الرّجل المؤمن عن حاله، وأعلن ماكان يخفيه من إيمانه، وخرج عن سلطان فرعون، وانطلق يلقى النّاس مواجهة بالدّين الّذي دان به، ويحاجّهم بمنطق الحقّ الّذي إستقام عليه ...

سوآء أكانت هذه المقولات الّتي يقولها الرّجل المؤمن خارج المجلس الّذي ضمّه وفرعونَ والملأ من قبل .. وإنّه إمتداد إلى خارج هذا المجلس، حيث يلقاه النّاس في

كلّ مجتمع وناد ... أم كانت داخل المجلس مواجهاً لفرعون وملئه، فدعاهم ـصراحاً من دون خوف واضطراب ـ إلى خلاف مادعاه فرعون إليه، وحذّرهم عما كان فرعون يرغّبهم فيه، ثمّ أخذ بمقولة يعرض بها موازين النّاس عند الإله الّذي يدعوهم إليه ... إنّه إله عادل، حكيم، عالم بكلّ شيْ: «من عمل سيّئة فلا يجزىٰ إلّا مثلها» إنّ عمله هذا مردود عليه، وَمجزيّ بـه، مثقالاً بمثقال «ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب».

فالمحسن ـ من ذكر أو أنثىٰ ـ لايليق! جزآء الحسنة بمثلها فحسب، بل إنّه يضاعف له الجزآء الحسن أضعافاً مضاعفة بلاحساب ... فالجنّة الّتي يجزي بها أهل الإحسان لايقدّر لها ثمن، ولا يبلغها إحسان محسن، ولكنّها فضل من فضل الله، وإحسان من إحسانه، إلى مَن أحسنوا واتّقوا «والله يحبّ المحسنين» وليس بين المحبّ والمحبوب حساب، وفي قوله: «وهو مؤمن» إشارة إلى أنّ العمل الصّالح لايقبل ولايدخل في الأعمال الصّالحة إلّا مع الإيمان بالله تعالى، فدعاهم إلى التّوحيد والإيمان أوّلاً ثمّ إلى العمل الصّالح ثانياً، حيث إنّ العمل الصّالح لايفيد إلّا بالإيمان، ثمّ بيّن مابين الموقفين: موقفه من قومه، وموقفهم منه من التضادّ، إذ كان يدعوهم إلى الخلاص والنّجاة من قمةالله في الدّنيا، وعذابه في الآخرة، وهم يدعونه إلى نقمة الله في الدّنيا وإلى عذاب النّار في الآخرة، إنّه يدعوهم إلى الحقّ والهدىٰ، إلى الخير والصّلاح، إلى البرّ والتّقوىٰ، إلى النّور والفلاح وإلى الرّشد والكمال ... وهم يدعونه إلى الباطل والضّلال، إلى الشّرّ والفساد، إلى البغي والفجور، إلى الظّلمة والخسران، وإلى الإنحراف والإنحطاط ...

إنّهم يدعونه ليكفر بالله الواحد الأحد،وأن يعبد مع الله سبحانه آلهةً أُخرىٰ لايعلم لها حقيقة يطمئنّ إليها عقله،ويستسيغهامنطقه ... وهويدعوهم إلى إله يقوم على هذا الوجود ويمسك كلّ ذرّة منه حفظاً وعلماً ... فهو جلّ وعلا «العزيز» الّذي تذلّ لعزّته الجبابرة ... «الغفّار» الّذي يغفر لذنوب المسيئين، ويقبل توبتهم إذاهم رجعوا إليه وجّهوا وجههم له ...

ثمّ حكم ـ صراحاً ـ بإبطال ماكانوا عليه من العقائد والأعمال وإسرافهم فيها، وبكونهم أصحاب النّار بقوله: «لاجرم أنّما تدعونني إليه ...» فإنّه تعقيب من الرّجل المؤمن على هذا الموقف الّذي بينه وبين قومه ... إنّ مايدعونه إلى عبادته من آلهتهم: «ليس له دعوة في الدّنيا ولا في الآخرة» إنّه لايسمع دعآء داع ولايستجيب له، سواء أكان ذلك في هذه الدّنيا أم في الآخرة، إنّه لايسمع دعآء داع ولايستجيب له، سواء أكان ذلك في هذه الدّنيا أم في الآخرة، وأنّ مرجع جميع الخلائق إلى الله فهو المالك لها وحده يبسطها ويقبضها وينشرها ويطويها ... وأنّ النّاس جميعاً سيرجعون إلى الله تعالى للحساب والجزآء في الآخر، وأنّ الّذين أسرفوا في العقآئد والأعمال ... هم أصحاب النّار حيث يلقون جزآء كفرهم وضلالهم وإسرافهم على أنفسهم ...

ولم يذكر هنا جزآء المحسنين وهو الفوز بالجنّة ونعيمها ... لأنّ الموقف موقف إنقاذ وتخليص لهؤلآء الهلكىٰ من هذا الضّلال الّذي هم فيه، فإذا خلصوا من النّار فذلك كسب عظيم لهم، ثمّ يكون لهم بعد هذا أن يتطلّعوا إلى المنزل الّذي ينزلونه بعد أن خلصوا بجلدهم من هذا البلآء المحيط بهم ... إنّ الّذي تعلّق به النّار لايعنيه شيئ أكثر من أن يتخلّص من هذا الثّوب الّذي أمسكت به النّار، وليس يعنيه في شيءٍ أن يفكر في الثّوب الّذي يلبسه بعد أن ينزع هذا الثّوب عنه ويتركه وقوداً للنّار تأكله ... إنّ دفع المضارّ مقدّم على جلب المصالح ...

ثمّ أخذ بالموعظة والتّهديد بهم ليتفكّروا في مآل أمرهم بقوله: «فستذكرون ...» ستعلمون علم اليقين ما أحدّثكم به وما أدعوكم إليه من الإيمان بالله الواحدالغفّار وما أحذّركم به من عذابه يوم القيامة، إذا أنتم لم ترجعوا إلى الله جلّ وعلا وتدعوا عبادة ماتعبدون من آلهة ليس لها حول ولا طول في الدّنيا ولا في الآخرة، إنّكم ستذكرون هذا وترونه عياناً يوم القيامة، يوم لاينفع تذكّر ولا يغني علم، ثمّ جآء بما هو خاتمة المطاف فيما بينه وبين قومه: «وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد» إذ دعاهم إلى الهدىٰ، وأراهم طريق النّجاة فإن استجابوا له واتّبعوا سبيله نجوا معه،

وإن أبوا أن ينزعوا عمّا هم فيه تركهم وشأنهم، وأخذ هو طريقه الّذي استقام عليه، مفوّضاً أمره إلى الله، مسلماً له وجهه، مستعيناً به وحده فهو الّذي يكفيه ويحميه «إنّ الله بصير بالعباد» يعلم من هم أولياؤه ومنهم من هم أعداؤه ...

وقد جاء التّفريع في ختام القصّة على تفويض الرّجل المؤمن البطل أمره إلى الله جلّ وعلا والتّقرير لإستجابته تعالى له، فكفاه الله عزّوجلّ شرّ قومه و وقاه شدائد مكرهم، وحماه وصانه ونصره عليهم وأهلكهم إذ قصدوه بالسّوء ودبّروا له من كيد عظيم بعد أن أعلن إيمانه، وتحدّىٰ فرعون وخرج عن سلطانه، منجازاً إلى جبهة موسىٰ عليه السّلام: «فوقاه الله سيّئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب»: ٤٥).

وهكذا كلّ مؤمن استكمل شمائل الإيمان، وكلّ داعية الحقّ، جاهد الطّغيان بكلمة الحق في كلّ الزّمان ... فإنّ الله عزّوجلّ يحفظه ويحميه ويعزّه، ويذلّ أعدائه وينصره عليهم ويخزيهم في الدّنيا والآخرة، وهذا حكم معلّق في أعناقهم ... لاريب فيه، فاعتبروا يا أولي الأبصار ...

تمّت سورة المؤمن

والحمد لله ربّ العالمين وصلوات الله على محمّد وآله الطّاهرين.

الفهرس

فهرس ماجاء في تفسير سورة الزمر
يقع البحث عنها في فصل واحد:

في عناوين تفسير السورة وفيها تسعة عشر بصيرة:

فهرس ما جآء في تفسير سورة غافر

يدور البحث حولها على فصلين:

الفصل الأوّل : في عناوين تفسير السّورة، وفيها تسع عشرة بصيرة:

الفصل الثّاني : فى مواضيع الحِكَم القرآنية الدّقيقة والمعارف الإسلاميّة العميقة المبحوث عنها في تفسير سورة غافر

وفي الفصل بصيرة واحدة وفيها أربعة أُمور:

الصفحة